مجلة
كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد

العدد السادس

نيسان ١٩٦٣

مطبعة العاني ــ بغداد

في هذا العدد

في هذا العدد

التوقيعات التدريسية

الاستاذ ناجي معروف
عميد كلية الآداب

الفصل الاول

التوقيعات في الحضارة العربية

١ ـ تمهيــد :

يظهر للباحث بعد دراسة الوثائق والنصوص الواردة فى المظان المختلفة ، ان الحضارة العربية قد تعددت ألوانها . واختلفت أغراضها ، واتسعت مطاليبها . وتغلغلت في كل البلاد ، التي تم فتحها على أيدي العرب ، في آسية ، وافريقية ، وأوربة في القرون الوسطى . وشملت مختلف نواحي الحياة . وأبدعت نظماً ، وعلوماً افاد منها العالم . وابتكرت فنوناً جميلة ، وآداباً رفيعة هذبت الذوق الانساني ، وصقلته . وجاءت بقوانين وتشريعات كرّمت الانسان . ورفعت من قدره . وبوأته المنزلة التي تليق به . وأنقذته من ضلال العبودية ، والرق . وأخرجته من الظلمات الى نور الحياة الحرة الكريمة . وكان الدين الاسلامى من أقوى العوامل التى أمدت هذه الحضارة بهذا التراث الخالد ، الذى لا يزال موضع تقدير العالم ، واعجاب العلماء .

ولما كانت الحياة العربية قد انتظمت ، واستقرت على أسس ثابتة ، فقد أصبح لشؤونها المختلفة قواعد ثابتة أيضاً . فالتدريس كانت له انظمته وتقاليده . والنقابات كانت لها أسسها ومبادؤها . وغدا لتقليد الوزارة ، ونيابتها عُرْف معين . وصار لتعيين القضاة ، وقضاة القضاة ، والمحتسبين ، « توقيعات » ورسوم تدل كلها على مبلغ عمق الحضارة العربية ، واستقرار الحياة الاسلامية يومئذ .

وقد بلغ التنظيم في الحياة درجة كبيرة بحيث أصبح لكل شأن

من شؤونهـا صيغة « توقيع » أو « تقليد » خاصة ترد في المظـان المختلفة ، مقرونة ـ في الغالب ـ باسم الـكاتب الذي انشأها • ويكون عادة من كبار الـكتاب البلغاء أو من كتّاب دواوين الانشاء • كما تكون مقرونة باسم الـكاتب الذي رسم خطها • ومعلّـمة بعلامة السلطان القائم يومئذ •

وقد بـدأت « التوقيعات » أو « التقاليد » ، و « العهود » في زمن مبكر من الحياة العربية • فقد كتب الرسول (ص) والخلفاء عهودهم لولاتهم وقادتهم الذين كانوا يولونهم على الولايات التابعة لهم ، كعهد الخليفة عمر بن الخطاب لابى موسى الاشعرى عامله على الـكوفة . وقـد شرح لـه فيه قواعد القضاء . وكعهد الامام علي بن ابي طالب لعامله مالك بن الاشـتر عندمـا ولاه مصر . وعهود الخلفاء لولاة عهدهم الذين يخلفونهم في الخـلافة ، كعهد الرشيد لابنائه ، وعهود الخلفاء للسلاطين بالسلطنة . وعندما يحمل هؤلاء الى الخلفاء المـال الذى ينسب الى البيعة[1] .

وقـد يكون التقليد موجزاً[2] . وقـد يـكون عظيماً[3] جداً يبسط فيـه القول ، والمبالغة في تفخيـم الشـخص المعين ، المفوض بالتدريس أو الاعادة ، أو القضاء ، أو نيابة الوزارة ، أو النقابة ، أو ما الى ذلك .

٢ ـ مفهوم التوقيعات :

ولقد رأيت قبـل ان أبدأ بحث « التوقيعات التدريسية » ان أذكر أن في هـذا البحث مصطلحـات كثيرة ، لها دلاتها ، ومعانيها التى اختلفت باختلاف العصور ، والاقطار . وقـد عُنيت فى هـذا البحث ، بشـرح مفهوم التوقيعات ليقف القارىء على معناهـا قبل قراءة النصوص والوثائق الحضـارية . وليسهل عليه فهم الغرض من ذكرهـا لانهـا صـفة لـكل

---

(١) ابن الجوزي ٩ : ٨٠ •

(٢) جاء في أدب الـكتاب للصولي ص ١٣٤ ان جعفر البرمكي قال لـكتابه : « ان استطعتم ان تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا » •

(٣) اليونيني ج ١ ص ٣٥٦ •

الوثائق التي وردت فيه . اما المصطلحات الاخرى الكثيرة التي ذُكرت في النصوص فسأُعْنَى بشرحها أنّا وردت في هذا البحث .

فالتوقيع : اصطلاح يطلق على نسخة أمر ، أو تشريف[1] خليفتي ، أو ملكي ، أو اميري يرسم بتعيين موظف ، أو ترتيب مستخدم في احدى الوظائف الهامة كترتيب مدرس ، أو تعيين نقيب ، أو محتسب ، أو قاض[2] ، أو قاضي قضاة ، أو تعيين شخص[3] على اقطاع . وقد يسمى التوقيع « فرماناً »[4] . ويقرأ بحضور الاعيان في الجوامع أو المدارس . ويتلى من فوق المنابر كما سنذكر ذلك .

و « التوقيع » كالتقليد تحدد فيه الامور التي يفوض بها صاحب التقليد كافة ، من ادارة الاوقاف ، والبيمارستانات ، والتدريس في المدارس ، أو استنابة الموظفين في الوظائف التي تحت ادارته .

و « التوقيع العظيم » هو كتاب السلطان ويكون بمثابة بيان للناس يصدره الملوك ، أو الامراء ، أو الحكام أو السلاطين لرعاياهم يفرضون عليهم فيها ضرائب معينة . أو يسقطون عنهم ضرائب ورسوماً معينة[5] ... أو ما الى ذلك .

ويكون « التوقيع » احياناً كالسند أو « الفرمان » يدون فيه ما في أيدي الناس من ولايات ، ووظائف ، أو من املاك ، وعقار[6] .

ولعل أساس « التوقيع » وأصله ، ما كان يكتبه الخليفة ، أو الملك ، أو الامير ، أوالسلطان ، أو الوزير تعليقاً على كتاب ، أو رقعة ، أو ملتمس بتوقيعه بجملة ، أو عدة جمل قصيرة هي جواب الكتاب ، أو الرقعة

---

(١) السلوك ١٦٧ و٨٠٨ .
(٢) السلوك ٥٤٢ .
(٣) صبح الاعشى ١٣ : ١٤٤ .
(٤) اليونيني ج ١ ص ٣٦٠ .
(٥) اليونيني ج ١ ص ٣٧٢ والسلوك ص ٤٣٧ ــ ٤٣٨ .
(٦) اليونيني ج ١ ص ٤٥٤ .

يذيلونهـا باسمهم على صـورة توقيع ، أي « امضاء » .

وقـد يكون الجواب أو « التوقيع » اما على ظهـر الرّقاع ، أو في حاشية الـكتاب • وقد يكون في هذه الحالة شعراً أو نثراً مسجوعاً[1] أو مثلاً سائراً أو حكمة بليغة أو آية كريمة أو حدياً شريفاً •

وكان الخلفاء الاولون يكتبون أمثال هذه « التوقيعات » بأنفسهم • ومن أمثلة ذلك ان الرشيد لما نكب يحيى بن خـالد البرمكي كتب لـه يحيى : « ان كان الذنب يا أمير المؤمنين خاصّاً فلا تَعُمّ بالعقوبة فان لي سـلامة البريء ، ومودة الوَليّ » • فوقع الرشيد في حاشية كتابه : « قضي الامر الذي فيـه تستفتيان »[2] • وذكر الجهشياري ان المأمون وقّع للفضل بن سهل بخط يده[3] ... الخ .

وظلت التوقيعات تجري على هـذا المنوال حتى أيام الرشيد ، حيث كثرت « التوقيعات » فأصبحت تناط بوجه عـام بالكُتّاب . قال الجهشياري :

« ولـم تزل كتب الملوك والرؤساء تجري في التوقيعات على ان يوقّع الرئيس في القصة بما يجب فيهـا ، ويذكر المعاني التي يأمر بهـا ، ولـم يكن للـكتّاب في ذلك الامر شيء أكثر من ان يكتبوا تلك الجملة من التوقيع ، الفاظاً تشرحها ، ويقـرب من العامة فهمها ، ولا تخرجها عن معنى قصد الرئيس الى أيام الرشيد فان المتظلمين كثروا على باب جعفر . وتأخر جلوسه اياماً ثم جلس ، وكانت القصص قـد كثرت ...... فوقـع على ظهرهـا : « يعمل في ذلك بما يعمل في مثله على سَنَن الحق وقصده ، وجهة الانصاف وسبيله ان شـاء الله » فورد على الـكتّاب من ذلك ما لـم يردْ مثلُه . وامتثلوه . ثم صـار ذلك رسماً للرؤساء »[4] .

---

(١) الجهشياري ص ٢٠٥ .
(٢) الجهشياري ص ٢٥٣ .
(٣) الجهشياري ص ٣٠٦ .
(٤) الوزراء والـكتاب ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

ومرت « التوقيعات » بمرحلة أخرى حيث صار « التوقيع » يطلق على الكتاب كله ، أو على المرسوم كله ، أو على الامر الادارى كله . وذلك من باب اطلاق الجزء ، وارادة الكل . وأصبحت كلمة « التوقيعات » ترادف لفظة « السجلات » ، التى تحتوى على الكتب ، أو الاوامر ، أو المراسيم أو الدعوة كالتوقيعات الفاطمية التى حفلت بمعلومات مهمة عن نظام الدعوة الفاطمية ، وعن العقيدة الفاطمية ، والتعابير الدينية التى كانوا يستعملونها ، كالنجوى وهى الضريبة التى كان يدفعها المستجيبون لمذهبهم ، و « الفطرة » التي تدفع يوم عيد الفطر[1] ... الخ .

« وكان سبيل ما يثبت فى الدواوين ان يثبت فى صحف فكان خالد [بن برمك] أول من جعله في دفاتر » في العراق كما يذكر الجهشياري[2] . وفي مصر كانت التواقيع والمراسيم السلطانية تثبت في « ديوان النظر » وهو ارفع دواوين المال كما يذكر المقريزى[3] .

٣ ـ تحرير التوقيعات في ديوان الانشاء :

ولاشك فى ان « التوقيعات » بشكلها الثانى أصبحت فناً وصنعة تكتب في دواوين الانشاء ، التى كانت فى الدول الاسلامية . فقد كان يكتبها كتّاب معروفون في الغالب ، اختص كل منهم بفن من فنون الانشاء . وحذق ضرباً من ضروبه ، بل لقد كان ثمة كتّاب يوقعون أمثال هذه التوقيعات بختم الخليفة نفسه[4] . ويظهر أن الخاتم كان يسلّم للكاتب ، يختم به الرسائل عن صاحب الخاتم[5] . وأصبح يراد بالتوقيع يومئذ : التأشير على الكتب ، وابداء الرأى فيما تضمنته ، وتعيين الطريقة التى تحرر بمقتضاها الردود .

ويبدو لنا أن الخلفاء الذين كانوا يكتبون بعض العبارات ، أو الجمل

---

(١) السجلات المستنصرية ص ٢ و٢٣ .
(٢) الوزراء والكتاب : ٨٩ .
(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٤ .
(٤) السجلات المستنصرية ص ١٤ راجع ابن الصيرفي « قانون ديوان الرسائل » .
(٥) الجهشياري ص ١٠١ .

في الـكتب والرسائل ، والتوقيعات . انما كانوا يفعلون ذلك لاضفاء شيء من القدسية والبركة على تلك التوقيعات .

وكان التوقيع في هـذه الحـالة يحرر بأمر الخليفة ويعرض عليه ، فيشرّفه بالتوقيع والامضاء[١] . وأحياناً يكتب بعضه بخطه . فقد ذكر ابن الجوزى ان الخليفة القائم بأمر الله قال عندما ولى حفيده « عدة الدين » ولاية العهد : « اشهدوا ما تضمنته هـذه الرقعة التي كتبت فيها سطرين بخطي ... »[٢] .

ويلاحظ ان التوقيعات الفاطمية التى كانت تصدر عن الخلفاء الفاطميين كان يذكر فيهـا العبارات الآتيـة : « بخط اليد النبوية » أو « بخط اليد الشريفة النبوية صلعم » أو « بخط اليد الشريفـة صلعم » مكتوبـة بالحبر الاحمر وربما دل ذلك على ان هذه الجمل كان يكتبها الخلفاء الفاطميون انفسهم ولذلك اختلف مدادها عن مداد « التواقيع » . اما التى لا يبدأونها بمثل هذه العبارات فيظهر ان الـكتّاب هم الذين كانوا يكتبونها[٣] . ومن المحتمل ان الخليفة ان لم يكن يكتب « التوقيع » كله أو بعضه بنفسه ، فانه كان يملي بعضه بنفسه على الـكتاب .

ومما يدل بوضوح على ان الخلفاء ، والسلاطين كانوا لا يكتبون أكثر التوقيعات بانفسهم ، ورود عدد كبير من اسماء الـكتّاب ، الذين دونوا هذه التوقيعات في مؤلفات المؤرخين . وسوف نشير في هذا البحث الـى بعض كتّاب « التواقيع » الذين وردت أسماؤهم في الوثائق والنصوص التي سنوردها . ولا يفوتنا في الوقت نفسه ان نذكر ان هناك عددا ضخما من الكتّاب حفلت بهم دواوين الانشاء فى البلاد الاسلامية بأسرها[٤] .

---

(١) الجامع المختصر لابن الساعي ٩ : ١٩٩ والمنتظم ج ٩ ص ٨٠ .
(٢) المنتظم ٨ : ٢٩٠ .
(٣) السجلات المستنصرية ص : ١٥٢ و١٦١ و٢٠٨ .
(٤) راجع السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣١ طبعـة القاهرة ١٩٠٣ ـ ٤ . ومعجم الادباء لياقوت الحموي طبعة فريد رفاعي ٤ : ٥ ـ ١٢ و٩ : ١٥٣ و١٧ : ٢١٢ .

وكانت دواوين الانشاء هذه من أهم الدواوين فى البلاد الاسلامية . يتولى الاشراف عليها ، كما يقول القلقشندي[1] : « اعلام البيان ، وأفذاذ الكتاب » . وكان « كتّاب السر يشرفون على كتّاب الدواوين » ويلي « كتّاب السر » ، « كتاب الدّست » الذين كانوا يجلسون عند « الدّست » وهو مرتبة جلوس السلطان للكتابة بين يديه[2] . وكانوا يعرفون بـ « الموقعين » ، لانهم كانوا يوقعون على بعض الرقاع ، كما يقول القلقشندى[3] .

ومن أشهر كتاب التوقيعات الذين وردت اسماؤهم فى بحثنا هذا ...

١ ـ مجد الدين محمد بن جميل كاتب المخزن ببغداد .

٢ ـ كمال الدين احمد بن العطار ابى الفتح بن محمود الحموى بدمشق .

٣ ـ القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري .

٤ ـ صلاح الدين الصفدى المؤرخ الشهير .

وسنذكر موجز تراجمهم في الفصل الثالث عند البحث في التوقيعات التدريسية التى انشأوها ببغداد أو الشام . على أننا ندون هنا اسماء بعض كتاب التوقيعات بوجه عام ممن زخرت بأخبارهم كتب الادب ، والتاريخ ، ليقف القارىء على قيمة التوقيعات التى دوّنوها ، في مختلف شؤون الحضارة العربية ببغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، ان كانوا في دواوين الانشاء التي في هذه البلاد أو لم يكونوا فيها . فمنهم الكتاب الذين ترجمنا لهم فى كتابنا « وثائق ونصوص من الحضارة العربية » المعدللطبع باعتبارهم من كتاب الوثائق الحضارية الواردة فيه واليك اشهرهم :ـ

١ ـ بهاء الدين بن الفخر عيسى الاربلى المنشىء ببغداد .

٢ ـ ابو الحسن محمد القُمى كاتب ديوان الانشاء ببغداد فى خلافة الناصر .

---

(١) ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) القلقشندي ١ : ١٣٧ .

(٣) صبح الاعشى ١ : ١٣٨ .

٣ ـ القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني كاتب صلاح الدين الايوبى .

٤ ـ العماد الكاتب .

٥ ـ الصاحب علاء الدين الجويني .

٦ ـ محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر بمصر .

٧ ـ تاج الدين أحمد بن الاثير .

٨ ـ شهاب الدين محمود العمرى كاتب الدرج .

٩ ـ فخر القضاة نصر الله بن بصاقة .

١٠ ـ الملك الناصر داود .

١١ ـ الصاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان الاسعردى رئيس الكتاب .

١٢ ـ محمد بن محمد الحسينى بمصر .

ومن كتاب التواقيع المشهورين ايضاً : آل العمرى وهم :

١ ـ القاضي محيي الدين بن فضل الله العمري .

٢ ـ القاضى شرف الدين بن الشهاب محمود العمرى .

٣ ـ القاضى علاء الدين بن فضل الله العمرى .

ومنهم :

١ ـ شمس الدين ابراهيم القيسرانى .

٢ ـ شهاب الدين محمود الحلبى .

٣ ـ القاضى علاء الدين بن عبدالظاهر .

٤ ـ **أبو سعد بن المُوصَلايا .**

٥ ـ الصدر جمال الدين حسين بن الموصلى ... الخ .

٤ ـ « العلامة » في التوقيعات :

وكانت الكتب ، والاوامر الخليفتية ، والسلطانية لا تخرج من « الدار العزيزة » ببغداد ، أو القصور السلطانية ، بالممالك الاسلامية الاخرى كمصر ، والشام الا بعد أن تمهر بـ « العلامة » . وهى : اشارة

تكسب هذه الاوامر ، صفة رسمية . وذلك ان الخليفة ، أو السلطان ، أو الوزير كان يكتبها بخطه ، بشكل خاص .

وقد كان لكل خليفة ، أو سلطان « علامة » و « توقيع » . قال المقريزى : قد جرت العادة ان السلطان يكتب خطه ، على كل مايأمر به . فأما مناشير الامراء ، والجند ، وكل من له اقطاع ، فانه يكتب عليه « علامته »[١] .

وذكر ابن شاهين أن ناظر الجيش فى مصر ، كان « يقرأ ما يتعلق بالاقطاعات على المسامع الشريفة ، فيمضي السلطان من ذلك ما يشاء . ثم يدخل كاتب السر ، ويقدم « العلامة » فيعَلّم السلطان ما امضاه . وكذلك المناشير ، والمراسيم ، والمربعات[٢] ، والتواقيع الشريفة »[٣] .

وذكر المقريزى[٤] : ان السلطان كان يكتب اسمه ، واسم ابيه ، ان كان ابوه ملكاً في تقاليد النواب ، وتواقيع ارباب المناصب من القضاة ، والوزراء ، والكتّاب ، وبقية الوظائف ، وتواقيع ارباب الرواتب ، والاطلاقات[٥] . وان لم يكن ابوه ممن تسلطن فيكتب اسمه فقط .

ويذكر شهاب الدين العمرى[٦] : ان كافل المملكة الاسلامية بالحضرة وهو نائب السلطة بمصر ، كان يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان . ويُعَلّم في التقاليد ، والتواقيع ، والمناشير . كما كان كل نائب يُعَلّم على ما يتعلق بخاصة نيابته .

وذكر المقريزى ايضاً : ان الذى يُعَلّم عليه السلطان : اما اقطاع ، فالرسم فيه أن يقال : « خرج الامر الشريف » . واما وظائف ورواتب ،

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢١١ و٢٢٢ .

(٢) المربعات : واحدها مربعة وهي ورقة مربعة الشكل يكتب فيها اسم الشخص الذي اقطع قطعة من الارض . وترسل المربعة الى ديوان الانشاء ليكتب بها توقيع .

(٣) زبدة كشف الممالك ص ٨٧ .

(٤) الخطط ج ٢ ص ٢١١ .

(٥) الاطلاقات : مفردها اطلاق . قطعة أرض تمنح وتعفى من الضرائب بكل أنواعها . وقد تكون ابتداء أو زيادة في احسان على ما كان مقررا .

(٦) المصطلح الشريف ص ٦٥ .

واطلاقات فالرسم في ذلك ان يقال : « رسم بالامر الشريف »[١] .

وكان أعلى ما يُعَلّم عليه ما افتتح بخطبة أولها : « الحمد لله » ثم ما افتتح بخطبة اولها : « اما بعد حمد الله » ، حتى يأتي على : « خرج الامر في المناشير » أو « رسم بالامر في التواقيع » . ثم بعد هذا أنزل الرتب ، وهو أن يفتتح في المناشير : « خرج الامر » وفي التواقيع : « رسم بالامر » .

وتمتاز المناشير المفتتح فيها بـ « الحمد لله » في أول الخطبة ان تُطَغّر بالسواد ، وتتضمن اسم السلطان ، والقابه[٢] .

ويظهر ان « العلامة » كانت تستعمل ببغداد ، ومنها انتشرت الى سائر الدول الاسلامية باعتبار ان بغداد كانت يومئذ مركز الاشعاع الحضاري ، الذي تقتبس منه سائر البلاد العربية والاسلامية . فقد اقتبس الفاطميون « العلامة » كما اقتبسها المماليك بمصر في جملة ما اقتبسوه من بغداد ، كانظمة الدواوين ، والمدارس ، والتواقيع وسائر النظم الاخرى .

ويصف لنا ابن الساعي[٣] : صورة « العلامة » في أحد التوقيعات النقابية ، عند تولية فخر الدين الكوفي نقابة الطالبيين ببغداد سنة ٦٠٣هـ حيث ذكر صورتها ، على الوجه الآتي :

« صورة العلامة الشريفة »

« تحت البسملة « الناصر لدين الله » » .

صورة خط الوزير نصير الدين ابى الحسن ناصر بن مهدى العلوى بين سطوره :

« عرض هذا العهد بمقار العز المقدس ، وشريف العرض ، ومخايم الطاعة على أهل الارض حضرة سيدنا ، ومولانا الامام المفترض الطاعة ، على سائر الانام ، الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، ظاهر الله سلطانه .

---

(١) الخطط ٢ : ٢١١ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) الجامع المختصر ٩ ص ١٩٩ .

وأعلى اعلاء كلمته ، كلمة الحق وشانه . فشرّفه بالتتويج ، والامضاء . وأوضح فيه من المراشد ، كل محجة بيضاء . والله تعالى يعضد آراء سيدنا ، ومولانا ، أمير المؤمنين بمواد التوفيق ، والتأييد . ويوزع الامة شكر ما مدّ عليهم من ظل امامته ، المؤيد بمنّه ، وطَوْله . الحمد لله وحده ، وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآلـه ، وسلامُه ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل . رب اختم بخير » .

وقـد تولى كتابة « العلامة » بعض الوزراء . وكان يعهد بكتابتهـا أحياناً الى أحد كبار الـكتاب نيابة عن الوزير . ولمـا تولت الملـكة عصمة الدين أم خليل المعروفة بـ « شجر الدر » جارية الخليفة المستعصم . الحكم في مصر سنة ٦٤٨ هـ اتفق ارباب الدولة ، ان تكون العلامات السلطانية على « التواقيع » تبرز من قبلها[١] . ويقال لهـا : « العلائم »[٢] .

وفي أواخر الدولة العباسية كان من وظائف « الدوادار » ان يقـدم الى السلطان كل أمر « تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير ، والتواقيع ، والـكتب » كما يقول المقريزي[٣] . فيكتب السلطان بخطه على كل ما يأمر به . ويضع « العـلامة » على المنشورات الخـاصة بالامراء ، وأصحـاب الاقطاعات .

وكان استعمال هذه « العلامة » يعهد احياناً الى احد « الدوادارية » فيكون عمله هو هـذه « العـلامة » فقط أي توقيع السلطان[٤] . على ان « الدوادار » كان لا يصـدر مرسـوماً الا بعـد عرضـه على السلطـان ومشاورته ، ومعاودة أمره الشريف ، ومراجعته[٥] .

وتتكون « العـلامة » من عبارات ، وجمل مختلفة نذكر منهـا :ـ

(١) السلوك : ٣٦٢ .
(٢) السلوك : ٤٧٠ وابن شاهين ص ١٠١ .
(٣) الخطط ج ٢ ص ٢١١ .
(٤) السلوك : ٦٨١ .
(٥) شهاب الدين العمري ص ١٥٠ .

« الحمـد لله شـكراً بنعمته »[١] و « الحمـد لله ولـى كل نعمـة »[٢] .

وهى علامة أم المستعلى الفاطمى، وابنة الخليفة الظاهر الفاطمى[٣] و « الحمـد لله على نعمه » وهى علامـة أم المستنصر الخليفة الفاطمى . وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون : « الله أملي » .

وكان بعض الملوك يجعل « العلامة » الحرف الاول من اسمه . ومنهم من كان يستعملها فيما يعرض عليه من أمور ، ولا يستعملها فى التقاليد ، والتواقيع . بل يكتب اسمه ، واسم ابيه[٤] .

وقـد تكلم ابن شاهين عن « القلم » أى الخط الذى كانت تكتب به « العلامة » . وأورد بعض التفصيلات عن « علامة » الرسائل الاخوانية وغيرهـا[٥] .

اما الورق الذى كانت تكتب به العهود ، والتواقيع ، والمناشير فيذكر شهاب الدين العمرى[٦] انه كان يختلف من حيث الحجم ، حيث عُيِّن حجم معلوم لـكل نوع من أنواع التواقيع ، والمراسيم ، والمناشير ، كمـا عُيِّن لـكل نوع منها قلم خاص تكتب به .

وهكذا أصبحت كتابة « التواقيع » فناً يحتذى ، حيث وضعت لهـا القواعـد ، وعينت لهـا الاقـلام ، وانواع خاصـة من الورق . واختلفت « التواقيع » باختلاف الدواوين ، والمصادر التى تصدر عنهـا ، والاغراض التى تهدف اليهـا ، والاسباب التى دُونت من أجلها ، والـكتّاب الذين دونوها . والموقعين الذين وقعوها .

وصـار للمناشير الـكبار « طغراء » بالالقاب السلطانية تكون فـوق

---

(١) ابن منجب الصيرفي ص ٣٥ و٣٧ .
(٢) السجلات المستنصرية ص ١٦١ ، ١٧١ .
(٣) السجلات المستنصرية سجل ٣٥ و٥٢ .
(٤) خطط المقريزي ٢ : ٢١٢ .
(٥) زبدة كشف الممالك ص ١٠٢ .
(٦) التعريف بالمصطلح الشريف ص ٨٩ .

وصل بياض فوق البسملة . كما صار لهذه « الطغراء » رجل مفرد لعملها ، وتحصيلها بالديوان . فاذا كتب الكاتب منشوراً ، اخذ من تلك الطغراوات والصمق فيما كتب به كما جاء في التعريف بالمصطلح الشريف[1] .

٥ ــ المصطلحات والتعابير الفنية في التوقيعات :

ذكر شهاب الدين العمرى[2] ان التقاليد كانت تستفتح بحمد الله ، ويؤكد وجوب العمل بها ، وتختم بعبارة « الخط الشريف اعلاه » .

وجاء فيه ايضاً : ان الكتّاب تفننوا في أساليب هذه التقاليد . فقالوا في : عنوان التقاليد : « تقليد شريف » . وفي التفاويض لا يقال : « يقلد » بل يقال : « وبعد » . وتكون التفاويض اوجز من التقاليد . ويقال في تعريفها : « تفويض شريف » . وفي التواقيع يقال : « أن يفوض » أو « أن يرتب » أو « ان يقرر » . وعنوانها : « توقيع شريف .. لفلان بكذا »[3] .

وقد تستفتح التواقيع بحمد الله ، أو بأما بعد حمد الله ، أو « بأما بعد ، أو بـ « أن أولى ما كان كذا » أو بـ « من حسنت طرايقه وحمدت خلايقه » . أو بـ « رسم بالامر الشريف بالالقاب السلطانية الكاملة والحمد لله » أكبرها . أو « رسم بالامر الشريف » اصغرها ، وما بينهما على الترتيب . ومن استُصْغِر من الموَلَّيْن لا يدعى له في آخر توقيعه . ولا يقال في آخر التواقيع على اختلافها : « وسبيل كل واقف عليه » ، بل يقال : « فليعتمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه »[4] .

وأما المراسيم ، فيكون فى أقلها : « رسم بالامر الشريف زاده الله شرفاً » . وأما المناشير ، فكانت تكتب للامراء ، والجند ، بما يجرى في ارزاقهم من ديوان الاقطاع . وهو ديوان الجيوش بصورة مختصرة .

---

(١) شهاب الدين العمري ص : ٨٩ .
(٢) المصطلح الشريف ص ٨٧ .
(٣) شهاب الدين العمري ص ٨٧ .
(٤) المصطلح الشريف ص ٨٨ .

ولا يقال فيهـا : « رسم بالامر الشريف » بل يقال : « خرج الامر الشريف » ويقال فيها : « أن يجري في اقطاعه »[١] .

وقد أورد القاضي شهاب الدين العمرى[٢] تفصيلات عمن تكتب لهم التواقيع ، والعهود ، والتقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والمناشير فـذكر أن :

١ ـ « العهود » : ولا تكون الا للخلفاء عن الخلفاء وللملوك . ومن قام من الخلفاء بغير عهد فانما يكتب له « مبايعة » . ومن قام من الملوك بغير عهد من خليفة ، ولا من ملك متقدم ، فلم تجر العادة بكتابة « مبايعة » له .

٢ ـ « التقاليد » ولا تـكون الا لـكفلاء المـلك ، كـأكابر النواب والوزراء ، ومن كان في معناهما . وقد تكون لاكابر قضاة القضاة . فأما عامة القضاة فالواجب أن لا يسمى ما يكتب لهم الا تفاويض » .

٣ ـ « التواقيع » وهى لعامة ارباب الوظائف ، جليلها ، وحقيرها ، وكبيرها ، وصغيرها ، حتى النواب اللاحقين بشأو الـكبار فَمَنْ دونهم . غير أنـه يقول : والـذى أرى ان يـكون لمـن لحـق بشأو الـكبار منهم « تفاويض » ، وللصغار « مراسيم » ، ولأدنى الطبقات منهم « تواقيع » لميزة السيوف على الاقلام . وكذلك تجرى نسبة « التواقيع » على ما يكتب في المسامحات ، والاطلاقات . وهو يرى أيضاً أن ما يكتب لعامة القضاة ينبغى ان يسمى : « تفاويض » وأما جمهور من عانى الـكتابة فى زمانه ، وما قاربه فيرى ان يكتب لهم « تفاويض » ايضاً ، وليس « توقيعات » .

٤ ـ « المراسيم » وهى ما يكتب فى صغائر الامور التى لا تتعلق بولاية . ومن « المراسيم » ما يستفتح ببسملة وهو للأهم . وما لا يستفتح بها وهو لما هو ادنى ، كأوراق الجواز في الطرق . ويكتب عن النواب مثل هذا في الاطلاقات ، من الخزانة العالية ، والاهداء ، والاصطبلات ، وخزائن السلاح .

---

(١) المصطلح الشريف ص ٨٨ .
(٢) المصطلح الشريف ص ٨٤ ـ ٨٥ .

٦ ـ اختصاصات الكتاب في ديوان الانشاء :

وكان الكتاب فى ديوان الانشاء يتوزعون الاعمال بينهم على أساس الاختصاص[١] . ويلاحظ ان دواوين الانشاء بمصر فى عصر المماليك قد تعطينا صورة لدواوين الانشاء في الدول الاسلامية المعاصرة فقد كان فيها من الكتاب :ـ

١ ـ كاتب يُعنى بتحرير البيعات ، والعقود . وكان يشترط فيه ان يكون بليغاً فصيحاً .

٢ ـ كاتب يُعنى بتحرير الكتب ، التى ترسل الى الملوك . وكان يختار من بين فحول الشعراء . كما كان يشترط فيه أيضا ان يكون بليغاً جيد الخط .

٣ ـ كاتب يتولى كتابة المراسيم . ويشترط فيه ان يكون عارفاً بالقاب الملوك والامراء ، والاساليب المستعملة فى مخاطبتهم .

٤ ـ كاتب يتولى رسم التوقيعات ، والاوامر بخطه الحسن .

٥ ـ كاتب خاص يتولى كتابة الرسائل الى ملوك الفرنج . ويشترط فيه ان يكون ملماً باللغات الاجنبية .

٦ ـ كاتب يتولى تعريب الرسائل الاجنبية .

ويذكر ابن شاهين[٢] أن ديوان الانشاء بمصر كان فيه عدة موقعين وهم قسمان : « موقعو الدّست » وهم أجلّهم ، ولهم مراتب شيءٌ أعلى من شيء . و « موقعو الدّرْج » الذين يتولون كتابة رسائلهم على « دروج » وهى : الورق المستطيل الذى يتكون من عدة قطع متلاصقة بعضها تبلغ العشرين[٣] .

---

(١) صبح الاعشى ١ : ١٣٨ .
(٢) زبدة كشف الممالك ص ١٠٠ .
(٣) القلقشندي ج ١ ص ١٣٨ .

وكان كتّاب الدَّرْج كما يقول ابن شاهين[1] : « لا يبطلون من الكتابة ، ولا يضجرون منها لكثرة متخصصهم ، وهى على أنواع متعددة منها : العهود للخلفاء ، والسلاطين على المنهج الواضح ، والاسلوب المبين ، والتقاليد لقضاة أهل الحل ، والعقد بما يليق بكل منهم ، من براعة المطلع ، والختام ، الداليّيْن على عظم القصد . ولكفّال الممالك الشريفة ، ذوي الرتب العوالي ، والمناصب المنيفة . وللصاحب الوزير الذى وظيفته : قوام الملك فى التصرف ، والتدبير . وللسادة المباشرين أركان الدولة الشريفة ، أولي الاقلام الموضحة ، والايدى العفيفة . ومناشير الاقطاعات للامراء ، والاجناد المؤبّدين لنصرة الدين ، وحماية البلاد ، والتفاوض لمن يعتمد عليهم مما يطول وصف ذكرهم . والتواقيع لارباب المناصب ، والوظائف المنصفين كل مظلوم ، والرادعين كل حائف . والتواقيع الشريفة ، الموصّلة كل ذى حق حقه ، وقاطعة من كل ظالم سببه . والمراسلات ، والمكاتبات المشتملة على طلب الحوائج ، وذكر الاشواق والمعاتبات ، والمربّعات بالارزاق . والامثلة المبلّغة كل راج سؤاله ، وأمله » .

ويظهر أن صاحب ديوان الانشاء فى أوائل عهد المماليك بمصر كان يلقب بـ « صاحب الدست الشريف » وأحياناً بـ « كاتب الدَّرْج »[2] أو « كاتب الدست » أو « كاتب السر » أو « كاتم السر » أو « صاحب ديوان الانشاء » أو « ناظر الانشاء الشريف » أو « ناظر دواوين الانشاء الشريف »[3] .

---

(١) زبدة كشف الممالك ص ١٠٠ .

(٢) جمعها دروج . وهي كما ذكر القلقشندي ج ١ ص ١٣٨ الورق المستطيل المركب من عدة اوصال تبلغ عشرين وصلا متلاصقة .

(٣) المقريزي ٢ : ٢٢٥ وزبدة كشف الممالك : ٩٨ ويظهر ان كلمة شريفة كانت توصف بها المرافق المختلفة . فهم يقولون : الاصطبلات الشريفة . والدولة الشريفة . واسمطة الخاص الشريف . والآدر الشريفة . والمهمات الشريفة . والابواب الشريفة . المصدر نفسه ص ٩٧ و٩٨ و١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

وقد ذكر المقريزى فى كتابه السلوك[١] سبعة من كتاب الدرج منهم : الصاحب فخر الدين لقمان ، والصدر بدر الدين حسن الموصلى .

وجاء فى صبح الاعشى[٢] : انه يجوز ان يطلق على كتّاب الدَّرْج ، كتّاب الانشاء لانهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها . ولا يجوز ان يطلق عليهم لقب « الموقعين » لأن المراد من التواقيع : الكتابة على جوانب القصص ونحوها .

وجاء فيه أيضاً[٢] : ان كتّاب « الدَّسْت » صاروا فيما بعدُ هم المتصدرين لكتابة المهم من كتابة « الدَّرْج » كمتعلقات البريد ، المختصة بالسلطان : من المكاتبات ، والتقاليد ، وكبار التواقيع ، والمراسيم ، والمناشير .

ويذكر القلقشندى : ان المكاتبات السلطانية أو الملكية اذا صدرت بدون ختم سميت منشوراً . وهو ما يكتب بالاقطاعات[٣] . وكان يسمى فى أيام الايوبيين بـ « التوقيع » . وفى أيام الفاطميين بـ « السجل » . وفى زمن العباسيين بـ « المقاطعة » أو « القطيعة »[٤] .

ويشير ابن شاهين الى أهمية الانشاء بقوله : « واما كتابة الانشاء فهي من مقومات الملك ، وقواعد المملكة . وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان ، معدود من أكبر الاعضاء ، والاعوان ، قائم فى اهتمام مقاصده ، واغراضه مقام الترجمان . نازل منه منزلة القلب ، واللسان ، من الانسان . فانه المطلع على الاسرار ، المجتمع لديه خفايا الاختبار ، المنتفع به فى طريقى النفع ، والاضرار .... »[٥] .

---

(١) ص ٤٩٠ .
(٢) ج ٥ ص ٤٦٤ ــ ٥
(٣) صبح الاعشى ج ١٣ : ١٥٧ .
(٤) صبح الاعشى ج ١٣ ص ١١٨ ــ ١٥٧ .
(٥) زبدة كشف الممالك ٩٩ .

٧ ـ أثر بغداد في تعميم التوقيعات في البلاد الاسلامية :

ولقد كان لبغداد أثر كبير فى الحضارة العربية التى عمت الاقطار الاسلامية . فقد اقتبست البلاد الاسلامية كثيراً من الانظمة العباسية ، التى ابتكرت ببغداد ، ونمت وترعرعت فيها .

ويمكننا أن نشير الى أن انظمة البلاط المصرى ، فى زمن الخلفاء الفاطميين بمصر اقتبست من نظام البلاط العباسى ببغداد . ويظهر ذلك جلياً بعد ان انتقلت الخلافة العباسية من بغداد الى القاهرة . وأصبح لبلاط المماليك فى القاهرة طابع خاص لم يكن معروفاً قبل انتقال الخلافة العباسية من العراق الى مصر .

واما الدواوين فقد نظمت فى البلاد الاسلامية ، وعينت فيها وظائف كبار الموظفين ، واختصاصاتهم على غرار ما كان متبعاً ببغداد فى خلافة العباسيين .

و « التوقيعات » انما راج استعمالها ببغداد ، ومنها انتشرت وذاعت فى سائر البلاد سواء كانت هذه « التوقيعات » ادارية ، أم تدريسية ، أم لتقليد القضاة ، والمحتسبين وغيرهم . وكانت الشام ، ومصر بوجه خاص تحتفل بهذه « التواقيع » و « التقاليد » بحملها بين أيدى السلاطين ، والملوك ، وبقراءتها على المنابر فى الجوامع والمدارس ، والناس قيام ينظرون ، على غرار ما كان متبعاً ببغداد على عهد العباسيين .

ويمكننا ان نقول : ان الدول الاسلامية تأثرت بكل ما كان ببغداد عندما كانت اقطارها تابعة للخلافة العباسية بوجه عام . وحاولت فى اثناء ذلك ، وبعد استقلالها عن بغداد تقليد العاصمة العباسية ببناء المدارس[١]، وفي اجراء الجرايات على طلابها ، وفى الخدمات الاجتماعية ، وفى التأنق فى الملبس ، والمشرب ، والمسكن ، وفى التوقيعات التدريسية ، والتوقيعات المختلفة الاخرى ، وفى كل الامور الحضارية بوجه عام .

ويظهر أثر بغداد واضحاً فى السّفارات التى كان يرسلها الخلفاء الى

---

(١) تاريخ علماء المستنصرية ص ٧ .

البلاد الاسـلامية ، والاجنبية تحمـل الخـلع ، والتقاليد الى الملوك ، والسلاطين ، والامراء .

ويمكن القول : ان تأثير بغداد ظل مفعوله قوياً في هذه الامور حتى بعد احتلال المغول لهـا . فقد طبعتهم بغداد بطابعها الخاص حين عمرت قلوبهم بالاسـلام . وقوّمت ألسنتهم بالعربية . ومدنتهم بحضارتهـا حين اشاعت بينهم تقاليدها وعاداتها ، وانظمتها .

٨ ـ أهمية التوقيعات ، وقيمتها العلمية :

على ان التوقيعات المختلفة التي ذكرناها ، والتي لم نذكرها تعد ذات قيمة حضارية كبيرة . فهي تطلعنا على كثير من الانظمة ، التي كانت متبعة يومئذ في البلاد الاسـلامية . وتمـدنا بمعلومات وافيـة عـن الالقاب ، والوظائف ، واحـوال التعليم ، والمدرسين ، وأخبـار موظفي الدولة ، والاحتفالات التي تقام لهم ... الخ .

وفي هـذه التوقيعات فوائد لغويـة ، فهي بمثـابة معجم لـكثير من الالفاظ ، والمصطلحات الفنية التي كانت تستعمل آنذاك ، في مختلف شؤون الحياة ، وبواسطتها يمكن الوقوف على مبلغ رقي فن الـكتابة ، حيث يختلف توقيع عن توقيع في اسلوبه ، واهدافه تبعاً لاختلاف الاقطار الاسلامية ، وتباين الثقافات ، واختـلاف الحـكام . بـل تختلف حتى في الابتـداء ، والانتهاء . كما تختلف في العلامات التي يوقّع بها الحكام .

ولعل العبارات والجمل الآتية وهي : « رب أختم بخير » و « الحمد لله رب العالمين » و « الحمد لله على نعمه » كانت فيما يظهر من العلامات التي استعملت ببغداد في خلافة العباسيين ، وبالقاهرة في خلافة الفاطميين .

وقد احتوت « التوقيعات » اضافة الى ما ذكر ، على بشائر بفتح ، أو انتصار . أو بولادة مولود . أو على تعزيـة . أو تقليد سـلطنة . أو تولية مُلك . أو تنصيب لرأس المشيئة ، أو للجاثليق . أو على كتاب من كتب « الانهاء » .

وكان كثير منها يحتوى على آيات قرآنية ، أو احاديث نبوية ، أو امثلة سائرة ، أو حكم بليغة ... الخ كما اسلفنا .

وتعتبر هذه الوثائق والنصوص الحضارية المختلفة ذات قيمة كبيرة لطلاب الدراسات التاريخية فى الجامعات العربية والاسلامية فى اقسام « البكلوريوس » أو « الليسانس » أو الدراسات العليا فى « الماجستير » و « الدكتوراه » لانها بمثابة بحوث أساسية تمهد لهم السبيل الى دراسات أعم ، واشمل فى هذه الحقول التاريخية الزاهرة وثمارها اليانعة التى لا تزال بحاجة الى شيء كثير من التقصي والتحري ، والدرس والتحليل .

٩ ـ الاحتفال بالتواقيع والتقاليد :

ذكر المقريزى فى حوادث سنة ٦٠٤ هـ[١] ان الخليفة الناصر لدين الله العباسى ، سيّر من بغداد الشيخ شهاب الدين السُهروردى الى الملك العادل بدمشق ومعه : « التشريف الخليفتي » ، و « التقليد » وذكر ان الوزير الصاحب صفى الدين قرأ « التقليد » قائماً على كرسى ، والملك العادل وسائر الناس قيام اجلالاً للخليفة . وجرى مثل ذلك للملك الكامل بمصر .

وذكر المقريزى أيضاً فى حوادث سنة ٦٤٣[٢] ان رسولين للخليفة المستعصم وصلا القاهرة ومعهما : « التقليد » و « التشريف الاسود » فنصب المنبر وصعد عليه أحد الرسولين وهو : جمال‌الدين عبدالرحمن بن محيي الدين يوسف بن الجوزى مدرس الحنابلة بالمستنصرية وقرأ « التقليد » بالدهليز السلطانى . والسلطان : الملك الصالح نجم الدين قائم على قدميه حتى فرغ من القراءة . ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتي .

وذكر اليونيني في حوادث سنة ٦٥٨هـ ان « تقليداً » بتعيين قاضي

---

(١) كتاب السلوك ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
(٢) السلوك ص ٣٢٣ .

قضاة قرىء على منبر فى صحن الجامع ببعلبك . كما ذكر ان « تقليداً » آخـر بتعيين قاضٍ قرىء بشباك الحكم بالجـامع بدمشق في سنة ٦٥٨هـ ايضـاً[١] .

وذكر المقريزى أنـه قرىء على المنابر : « توقيع » للملك الظـاهر بابطال ضرائب على الناس بلغت ٦٠٠ الف دينار[٢] .

وجاء في ذيل مرآة الزمان[٣] فى حوادث ذى الحجة من سنة ٦٥٩هـ ان المؤرخ « أبا شامة » حضر قراءة « تقليد » ابن خلـكان . قضاء البـلاد الشامية بالشباك الـكمالى ، بجامع دمشق ، وهو يتضمن تفويض الحـكم اليه ، في جميع بلاد الشام ، من « العريش » الى « سَلمية » ، يستنيب فيها من يراه اهلاً . وفوض اليه النظر فى اوقـاف الجـامع ، والمصـــالح ، والبيمارستان ، والمدارس ، وجميع أوقاف الشام ظاهراً ، وباطناً . وفوّض اليه تدريس سـبع مدارس وهى : العادلية ، والعـذراوية ، والناصـرية ، والفلـكية ، والركنية ، والاقبالية ، والبهنسية[٤] .

وجاء فى كتاب السلوك[٥] للمقريزى : ان « تقليداً » للملك السعيد ابن الظاهر بيبرس قرىء بحضور اعيان الدولة بايوان القلعة المعروف بدار العدل بمصر فى ثالث عشر صفر سنة ٦٦٧ هـ . وكان من انشاء المولى فخر الدين بن لقمان وخطه . وجاء فى نهايته : « ونسأل كل واقف على هذا « التقليد » أو من يسمع به من الامراء ، والنواب ، والعساكر المنصورة ايدهم الله تعالى امتثال أمره ، والقيام بما يجب عليه من طاعته فى سره ، وجهره . والنهوض فى خدمة ركابه . والاجتهاد فى تسهيل ما يصعد من طلابه ، والمسير عند سيره تحت علمه . والالتجاء فى السراء ، والضراء الى حرمه . والوفود الى جنابه المنيع ، المريع . فهو بحمد الله كعبة تحج اليهـا

(١) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٣٥٦ .
(٢) السلوك ٤٣٧ ـ ٤٣٨ .
(٣) ج ١ ص ٤٦٠ .
(٤) اليونيني ج ١ ص ٤٦٠ .
(٥) ص ٩٧١ .

الآمال . وحرم تخفف ما على الاعناق ، من اعباء الخدم الثقال .

والاعتماد على الخط الشريف أعلاه . وكتب فى عاشر صفر سنة سبع وستين وستمئة » .

وكانت « التواقيع » تخرج على صور مختلفة بحسب العصور التى مرت بها الدول الاسلامية . منها على سبيل المثال : التقليد بتعيين الملك الاشرف : « رسم بالامر العالى ، المولوى ، السلطانى الملكى الاشرفى ، والملكى المعزى »[1] ، وقد تبلغ هذه الصيغ من النسب مبلغاً كبيراً كما سنشير الى ذلك فى الوثيقة الخاصة بتعيين ابن خلكان مدرساً فى المدرسة الامينية[2] .

وعندما كانت الخلع تفاض على الملوك ، أو الامراء ، او الوزراء كان « التقليد » بالسلطنة ، أو الامارة ، أو الوزارة يحمل اليهم . ويسار به أمامهم[3] .

وجاء فى كتاب السلوك[4] فى حوادث سنة ٦٩٤هـ قال : « ركب السلطان [الملك العادل] على عادة الملوك ، واللواء الخليفتي على رأسه ، و « التقليد بين يديه » .

وقال المقريزى فى حوادث سنة ٦٩٦ هـ : « ركب السلطان [الملك المنصور] وعليه الخلعة الخليفتية ، والتقليد محمول بين يديه »[5] .

وقال ايضاً فى حوادث سنة ٦٩٨هـ « ركب السلطان [الملك الناصر] بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه »[6] .

١٠ ــ كتب « الأنهاء » :

ويظهر ان العادة التى كانت جارية ببغداد أن « التواقيع » والتقاليد »

---

(١) اليونيني ج ١ ص ٥٦ .
(٢) راجع التوقيع المرقم (٢) من هذا البحث .
(٣) اليونيني ج ١ ص ٥٢ .
(٤) ص ٨٠٨ .
(٥) السلوك ٨٢٣ .
(٦) السلوك ٨٧٣ .

المذكورة كانت تُتْبَع بكتاب جوابي يطلق عليه : « انهاء » وهو الكتاب الذي يبعث بـه الشخص المقلَّد الذى صـدر له « توقيع » بوظيفة معينة كتقليد الوزارة ، أو تعيين وكيل لخليفة أو تعيين صدر بديوان الزمام .

وكان الشخص المعين أو الموقع له يكتب هذا « الأنهاء » بنفسه جواباً على توليته تلك الوظيفة سـواء كانت التولية « مشـافهة »[1] أم تحريرية بتوقيع يسمى « انهاء » ينهي فيه ما جرى عليه الحال وما تجدد لـه بعـد صدور « التوقيع » بالتولية . ويسجل فيه شكره لمن صدر عنه « التوقيع » ان كان خليفة ، أو سلطاناً أو وزيراً ، مظهراً فيه ولاءه ، واخلاصه له[2] .

وقد جاء في الحوادث الجامعة[3] المنسوب لابن الفوطي عدد من كتب « الانهاء » منها نصوص كاملة . ومنها كتب لم يذكر منها الا الجمل أو الآيات التي صُدِّرت بها . وتشير كتب « الانهاء » هذه الى ان الشخص المعين كان يخلع عليه ، ثم يمضي الى الديوان فيجلس به ويكتب « انهاءً » على جاري العادة .

الفصل الثاني

التوقيعات التدريسية ببغداد والشام

١ ـ تمهيـــد :

يظهر أن التوقيعات التدريسية ، لم تكن تصدر من الخلفاء ، أو الملوك ، أو الامراء ، الا بعد ان تطورت الدراسة من الجامع الى المدرسة والجامعة . فقد أصبح المدرسون يعينون بمرسوم خاص بعد ان انشئت المدارس ، وبعد أن خصصت للمدرسين المعاليم ، وهى المرتبات أو الجرايات . وعندما كان

(١) الحوادث الجامعة ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(٢) الحوادث الجامعة ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
(٣) ص ٢٠٢ و٢٠٣ .

التدريس في المساجد لم يكن التعيين بتوقيع ، أو تقليد . أى انه لم يكن بمرسوم خليفتى ، أو ملكى ، أو أميرى ، أو وزيرى . ولم يكن لاصحاب الحلقات فى المساجد جرايات ، أو مرتبات . وانما كان التدريس حسبة لله تعالى ، لان العلم عند المسلمين ما كان يقوَّم بثمن أو يثمن بمال . أي لا يعادَل بمادة من معلوم ، أو مرتب ، أو جراية . ولذلك يمكننا ان نحدد تاريخ صدور « التوقيعات التدريسية » بوجه عام بتاريخ ظهور المدارس المستقلة عن المساجد ، والتى كان التدريس فيها يجري بحسب انظمة معروفة ، وشروط معينة .

وبالرغم من كثرة المدارس التى انشئت فى البلاد الاسلامية فى العصور العباسية وبعدها فاننا لا نجد من « التوقيعات التدريسية » الا النزر اليسير . ولعل السبب في ذلك ان هذه التوقيعات لم تكن تدون لانها توقيعات شخصية تتعلق بالمدرسين ، ترسل اليهم عند تعيينهم للتدريس فى المدارس فيحتفظون بها ولم يحررها المؤلفون . أو لعلها ضاعت فيما ضاع من الوثائق ، والكتب الخطية . فالنعيمى الذى يذكر الشيء الكثير عن المدارس العربية فى بلاد الشام فى جزئى كتابه « الدارس فى تاريخ المدارس » ويترجم لمئات من المدرسين فيها لا يذكر الا توقيعا واحداً[1] من التوقيعات التى نحن بصدد دراستها . وقل مثل ذلك عن المدارس العراقية في العهود العباسية والمغولية حيث لا نجد ايضاً الا توقيعاً واحداً هو[2] الذى اصدره الخليفة الناصر لدين الله عندما ولى ضياء الدين التركستانى مدرساً بمشهد أبى حنيفة ومدرسته سنة ٦٠٤هـ .

وما يذكر عن « التوقيعات التدريسية » ينطبق على التواقيع ، والعهود الاخرى التي فقدت أو ضاعت أو لم تدون[3] .

ولعل من أوائل « التوقيعات » التدريسية « التوقيع » الذى اصدره

(١) الدارس ج ١ ص ٢٤٨ .
(٢) الجامع المختصر ص ٢٣٣ .
(٣) ابن شاهين ص ٨٩ .

السلطان سنجر السلجوقي بتعيين محمد بن يحيى مدرساً في نظامية نيسابور في الربع الاول من القرن السادس الهجرى[1] بين سنتى ٥١١ و ٥٢٢هـ . ولعل اصدار هذه « التوقيعات » في هذه البلاد كان يجرى تبعاً لما كان يعمل به ببغداد منذ ان أسس نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ، وتقليداً لما كان متبعاً في المدارس البغدادية الاخرى . نقول ذلك بالرغم من اننا لم نعثر على « تقليد » أو « توقيع » في الفترة الزمنية المحصورة بين السنة ٤٥٩هـ وهي سنة افتتاح النظامية ، ومدرسة ابى حنيفة والسنة ٦٠٤هـ وهى السنة التى صدر فيها « توقيع » الخليفة الناصر لدين الله العباسى بتعيين ضياء الدين احمد بن مسعود التركستانى الحنفى مدرساً بمشهد ابى حنيفة ومدرسته وناظراً في وقوفهما[2] .

٢ - **التوقيعات التدريسية ببغداد :**

ويمكننا ان نذكر أن هذه التوقيعات احتوت على امور تتعلق بمنصب التدريس ، وأهمية المدرس حيث لم يكن يعين للتدريس الا من عُرف بعلمه ، وعفته ، وسداد آرائه[3] ، وتقواه ، وخشية الله ، وطاعته ، مستشعراً ذلك في علنه وسريرته .

كما انها تبين للمدرس طريقة التدريس التى ينبغى عليه اتباعها ، كأن يذكر الدرس على « اكمل شرائط ، واجمل ضوابط ، مواظباً على ذلك ، سالكاً فيه اوضح المسالك » .

وكان يذكر فيها ما يخصص للمدرس شهرياً من جرايات عينية ، ومرتبات نقدية وذلك بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور .

كما كان يشار في التوقيع الى الامور الاخرى التى يكلف النظر فيها من

---

(١) راجع مجلة يادگار الفارسية عدد كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٥ ص ٤١ - ٤٣ . وقد حكم سنجر من السنة ٥١١هـ حتى السنة ٥٢٢هـ .

(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٣٣ .

(٣) ابن الساعي ج ٩ ص ٢٣٣ .

غير الشؤون التدريسية ، كالنظر في الوقوف المحبّسة على المدرسة التي عين مدرساً فيها . واستنمائها ، واستثمار حاصلها ، وتنمية وارداتها ، ومراقبة المستخدمين في هذه الاوقاف .

كما ان عليه ان ينظر في عمارة المدرسة ، والمكتبة . وان يتعهدهما . ويلزم القوّام بالمواظبة على الخدمة فيهما ، والمتفقهة بملازمة الدروس ، واثبات الكتب ، ومعارضتها بالفهارس . وله ان يأمر خازن المكتبة بمراعاة الكتب وتنظيمها . وان لا يخرج منها الا الى ذى امانة مستظهراً بالرهن عن ذلك :

ومما تجدر ملاحظته ان أول توقيع تدريسي عثرنا عليه ببغداد يتعلق بمدرسة بغدادية هي مدرسة ابى حنيفة يرجع تاريخه الى السنة ٦٠٤هـ ويظهر ان البلاد الاسلامية اخذت تحذو حذو بغداد في هذا الامر منذ أن اسست المدارس ببغداد . وقد استطاعت بغداد ان تسن للبلاد الاسلامية ليس فقط طريقة التوقيعات وانما شرّعت لها بناء المدارس المستقلة ، والجامعات الكبرى ، وجمع المذاهب الفقهية الاربعة في بناية واحدة فحذت حذوها مصر وغيرها[1]. ومما يدل على ذلك ، اننا لم نعثر على توقيع مماثل الا بعد ثلاثة ارباع القرن من تاريخ هذا التوقيع وذلك عندما عين « ابن خلكان » مدرساً فى المدرسة « الامينية » بدمشق سنة٦٧٩هـ[2] . ومن ثم صرنا نلحظ وجود بعض التوقيعات الاخرى فى هذا القرن ، والقرن الذى تلاه . فى بعض البلاد الاسلامية .

ان التوقيع الذى يتعلق بمدرسة ابى حنيفة ببغداد افتتح بالبسملة ، ثم بحمد الله ، والثناء عليه ، ثم بذكر دار الخلافة ، ونعتها بالدار العزيزة ، ثم الخلوص من ذلك الى ذكر الخليفة والدعاء بدوام الدولة ، ثم بالشهادتين ، والصلاة على رسول الله (ص) وعلى ادنى ولده وابعد جده . ثم يفيض التوقيع بعد ذلك كله بصفات المدرس ، الذى خرج « التوقيع » بتعيينه وهو الغرض المقصود من التوقيع .

---

(١) تاريخ علماء المستنصرية ص ٧ .
(٢) اليونيني ج ٤ ص ٣٧ ـ ٣٩ .

ويختتم التوقيع بتقدير التدريس ، وضرورة المبادرة بالعمل بما جاء موضحاً في هذا التوقيع من غير توقف أو تردد . ثم ينهى بتدوين اليوم ، والشهر والسنة الهجرية التى تم فيها هذا التوقيع . وأخيراً يذيل بعلامة « المخزن المعمور »[1] .

٣ ـ التوقيعات التدريسية بالشام :

اما في الشام فقد كانت التوقيعات التدريسية تستهل اما بحمد الله أو بالجملة « رُسم بالامر العالى أن يرتَّب .. فلان .. في ... » وبعد أن يخلص الى الغرض المقصود ، ويشرح شرحاً وافياً يختم بوجه عام بهذه الكلمة : « والخط الكريم أعلاه حجة بمقتضاه » . وذلك بعد أن تُعدد صفات المدرس . ويشاد بفضله ، وتضلعه في العلوم ، ومقارنته بفحول العلماء . في جمل مسجوعة ، قد تكون متكلفة احياناً . وقد تكون آية في البلاغة احياناً أخرى[2] .

وقد تخرج التوقيعات احياناً عن القصد فتتحول الى قطع ادبية رائعة يتلاعب كتابها بالالفاظ . ويتبارون فى انتقاء الكلمات ، وصوغ المعانى المبتكرة . ويُغرقون في مديح المدرس الذى صدر التوقيع بتوليته التدريس . ويذكرون من الجمل ، والكلمات ، والاوصاف ما يناسب تخصصه فى العلوم التى سيقوم بتدريسها . كالاجتهاد فى نصرة مذهب ، أو العمل بظاهر الحديث ، أو تدريس العربية ، أو علم الشرع ، أو علم الخلاف ، أو ما الى ذلك[3] .

وكان المدرس فى هذه الديار كالمدرس فى العراق يجتهد فى نظر وقوف مدرسته . ويعمل على تنفيذ شرط الواقف . ويسعى فى خدمة أهل

---

(١) الجامع المختصر لابن الساعي ج ٩ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧ .
(٢) اليونيني ج ٤ ص ٣٧ ـ ٣٩ .
(٣) الوافي ج ٢ ص ١٦٦ ـ ١٦٨ واليونيني ج ٤ ص ٣٧ ـ ٣٩ والوافي ج ٤ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

العلم الشريف من أى بلد عربى أو اسلامى كانوا . ولا غرابة فى ذلك فقد كان العالم الاسلامى يومئذ يمثل وحدة متماسكة لا يفصل بينها حدود ولا حواجز على العكس مما عليه هذه البلاد اليوم .

وكان يذكر في التوقيعات التدريسية بوجه عام اسم المدرسة التى صدر « التوقيع » بتقليد التدريس فيها لاحد المدرسين ، وفُوّض النظر فيها اليه . كما كان يذكر فى هذه الوثيقة : اسم المدرس ، وصفاته ومزاياه . وقد يطنب « التوقيع » فى اوصاف المدرس اذا كان مشهوراً جداً ، او ممن انتهت اليهم رئاسة العلم . وكثيراً ما كان يذكر فى « التوقيعات » التدريسية مثل الجمل التالية يخاطب بها المدرس للمبادرة بالتدريس .

« وليباشر ذلك على قاعدته فيه ، وعادته ، والاعتماد على الخط الكريم اعلاه ان شاء الله تعالى »[1] . أو « الاعتماد على الخط الشريف اعلاه »[2] أو « فليباشر ما فُوّض اليه ... » ... الخ .

الفصل الثالث

نماذج من التوقيعات التدريسية

وسنقدم فى هذا الفصل عدداً من التوقيعات التدريسية التى جمعناها مع شروح موجزة لها ، وتراجم مختصرة لكتابها ، وللمدرسين الذين وردت اسماؤهم مقرونة بها ، والمدارس التى عينوا فيها بعد أن افضنا فى شرح التواقيع وتطورها منذ ان كانت جملاً وعبارات بسيطة الى ان اصبحت فناً له اسسه وقواعده . والى ان خرج بعضها عن القصد الى المباراة اللغوية المسجوعة ، والالقاب العديدة الغريبة فى صيغتها وفى نسبتها[3] .

---

(١) اليونيني ج ٤ ص ١٤٢ ــ ١٤٤ .

(٢) السلوك ص ٩٧١ .

(٣) لاحظ الالقاب التي اضفيت على ابن خلكان في التوقيع المرقم (٢) والاوصاف التي وصف بها المجلس الكاملي والامر السلطاني فقد اربت على الاربعين .

وقد حاولنا بقدر الامكان تصحيح بعض العبارات والكلمات المغلوطة أو المصحفة فيها • ومع ذلك لم تخل بعض النصوص من الاضطراب كما يلاحظ ذلك في التوقيع الثاني والثالث • وعُنينا أيضاً بوضع الفواصل بين أجزائها المختلفة • وشرح ما غمض منها • وضبط أعلامها ، وبعض كلماتها بالشكل •

١ – توقيع بتعيين مدرس في مدرسة ابى حنيفة

ذكر ابن الساعى فى حوادث سنة ٦٠٤ هـ ان « توقيعاً » صدر من « المخزن المعمور »(١) بتعيين « ضياء الدين احمد بن مسعود التركستانى(٢) الحنفى مدرساً بمشهد(٣) ابى حنيفة ، ومدرسته(٤) ، وناظراً في وقوفهما .

---

(١) المخزن عند العباسيين هو بيت المال • وكان يطلق على ديوان الخراج ، وهو : ديوان أموال الدولة • ويوصف بالمعمور • ويقابل وزارة المالية • ويقال « صدر المخزن » ويقابل اليوم وزير المالية • وفي المغرب أي في مراكش تسمى الوزارة اليوم « المخزن » •

(٢) ضياءالدين أحمد بن مسعود التركستاني : « قدم بغداد واختص بخدمة الوزير ناصر بن مهدي العلوي فكان ينفذه من الديوان الى الاطراف وجعل يعرض على الوزير الرقاع للناس » وكان رئيس الحنفية في خلافة الناصر لدين‌الله • كان يدرس بمشهد ابى حنيفة مرتين في الاسبوع • وكان يروي الحديث في حلقة الحنفية بجامع القصر في كل جمعة • توفي سنة ٦١٠هـ وصلي عليه بالمدرسة النظامية • ودفن في مقبرة الخيزران المجاورة لمشهد ابى حنيفة بالاعظمية • [الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ١٢٥] •

(٣) مشهد ابى حنيفة : في سنة ٤٥٩هـ بنى أبو سعد الخوارزمي على قبر ابى حنيفة (ر) قبة عالية عظيمة • وعمل تحتها « ملبنا » وهو ما نسميه اليوم بـ « القفص » • وعمل بين يديه رواقاً ، وصحناً • وجعله مشهدا كبيرا • وبنى القبة مرة أخرى السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ ولا تزال القبة ماثلة حتى اليوم • وقد جدد السلطان مراد الرابع كلاً من المسجد والمشهد • وجددت ام السلطان عبدالعزيز سنة ١٢٨٨هـ هذا المشهد ، ووسعته • وقد عنيت الجمهورية العراقية بزخرفة المسجد على أيدي صناع ماهرين من عراقيين ومغاربة •

(٤) مدرسة ابى حنيفة • بناها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي مستوفى المملكة للسلطان الب ارسلان السلجوقي • وافتتحها سنة ٤٥٩هـ • ورتب فيها لاصحاب ابى حنيفة درساً • واوقف

وذلك عندما خُلع عليه ، وولي التدريس . كتبه له « مجد الدين محمد بن جميل »[1] كاتب « المخزن » وذلك في خلافة الناصر لدين الله العباسي ، لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٦٠٤هـ . وقد نقله ابن الساعي من خطه . وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المعروف بفنون المعروف والكرم . الموصوف بصنوف الاحسان ، والنعم . المتفرد بالعظمة ، والكبرياء ، والبقاء ، والقدم . الذي اختص الدار العزيزة ، شيد الله بناها . وأشاد مجدها ، وعلاها ، بالمحل الاعظم ، والشرف الاقدم . وجمع لها شرف البيت العتيق ذي الحرم ، الى شرف بيت هاشم الذي هشم . جاعل هذه الايام الزاهرة ، الناضرة ، والدولة القاهرة الناصرة ، عِقدا في جيد مناقبها ، وحليا يجول على ترائبها . ادامها الله — تعالى — ما انحدر لثام الصباح ، وبرح خفاء براح[2] . أحمده حمدَ معترِف بتقصيره عن واجب حمده ، مغترف من بحر عجزه ، مع بذل وسعه وجهده . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وهو الغني عن شهادة عبده . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي صدع بأمره . وجاء بالحق من عنده — صلى

عليهم ضيعة يصرف مغلها عليهم . وكان أول مدرس فيها أبو طاهر الياس ابن ناصر المتوفى سنة ٤٦١هـ . وقد دفن بمقبرة الخيزران . ومرت هذه المدرسة بأدوار مختلفة فسميت بكلية الامام الاعظم ، وكلية العلوم الدينية والعربية . وسميت كلية الشريعة أخيرا . والحقت بجامعة بغداد سنة ١٩٦٢م بعد أن كانت تابعة لمديرية الاوقاف العامة .

(١) محمد بن جميل : محمد بن ابى العز الفزاري من أهل « جبتا » المعروفة اليوم بـ « جبة » . استوطن بغداد صغيرا . ودرس فيها العلوم الابتدائية حتى صار من الادباء البلغاء . ومدح الناصر لدين الله . وتولى النظر في « ديوان التركات الحشرية » وهم الذين يموتون من دون وارث الا من ذوي الارحام . وتولى « كتابة المخزن » ثم « صدرية المخزن » سنة ٦٠٥هـ بالاضافة الى نظارة دجيل ، وطريق خراسان ، والخالص والخزانة والعقار . وكانت وفاته ببغداد سنة ٦١٦هـ ودفن بمقابر قريش أي في الكاظمية .

(٢) برح الخفاء : زال . وما برح يفعل كذا : أي ما زال . والمعنى زال السر فوضح الامر . وقال بعضهم : الخفاء : المتطأطىء من الارض . والبراح : المرتفع . أي صار الخفاء براحاً . راجع « مجمع الامثال » للميداني ص ١٠٠ .

الله عليه ـ صلاة تتعدى الى ادنى ولده ، وأبعد جده حتى يصل عِتْقُها الى أقصى قُصَيّه ونزاره ومعدّه .

المدرس :

وبعد فلما كان الاجل ، السيد ، الاوحد ، العالم ضياء الدين شمس الاسلام ، رضي الدولة ، عز الشريعة ، علم الهدى ، رئيس الفريقين ، تاج الملك ، فخر العلماء أحمد بن مسعود التركستانى ، ادام الله علوه ممن أعرق في الدين منسبُه ، وتحلى بعلوم الشريعة أدبه ، واستوى في الصحة مغيبه ، ومشهده . وشهد له بالامانة لسانُه ويدُه . وكشف الاختبار منه عفة ، وسداداً . وأبت مقاصده الا أناة واقتصاداً . رأى الاحسان اليه ، والتعويل عليه في التدريس بمشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه ، ومدرسته . وأسند اليه النظر في وقف ذلك أجمع ، لاستقبال حادى عشري ذى القعدة سنة اربع وستمائة الهلالية وما بعده وبعدها . وأمره بتقوى الله جلت آلاؤه ، وتقدست اسماؤه التى هى ازكى قربات الاولياء ، وأنمى خدمات النصحاء ، وأبهى ما استشعره ارباب الولايات ، وأدل الادلة على سبل الصالحات ، وفاعله بثبوت القدم خليق ، وبالتقدم جدير . قال الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» .

طريقة التدريس :

وأن يذكر الدرس على اكمل شرائط ، واجمل ضوابط . مواظبا على ذلك ، سالكا فيه أوضح المسالك ، مقدما عليه تلاوة القرآن المجيد على عادة الختمات في البكر ، والغدوات ، متبعا ذلك بتمجيد آلاء الله ، وتعظيمها ، والصلاة على نبيه ـ صلى الله عليه ـ صلاة يضوع أرج نسيمها شافعا ذلك بالثناء على الخلفاء الراشدين ، والائمة المهديين ـ صلوات الله عليهم اجمعين ـ والاعلان بالدعاء للمواقف الشريفة ، المقدسة ، النبوية ، الامامية ، الطاهرة ، الزكية ، المعظمة ، المكرمة ، الممجدة ، الناصرة لدين

الله تعالى ، ولا زالت منصورة الكتب ، والكتائب ، منشورة المناقب ، مسعودة الكواكب والمواكب ، مسودة الأُهُب[1] مبيضة المواهب ، ما خَطَبَ الى جموع الاكابر ، وعلى فروع المنابر خطيب" وخاطب .

مادة الدرس :

وأن يذكر من الاصول فصلا يكون من سهام الشُبه جُنّة ، ولنصر اليقين مظنة . متبعا من المذهب ، ومفرداته ونكته ومشكلاته ، ما ينتفع به المتوسط ، والمبتدي • ويتبينه ويستضيء به المنتهي • وليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعيا الى وفاق المعاني ، والعبارات . هاديا لشوارد الافكار ، الى موارد المنافسات . ناظما عقود التحقيق في سلوك المحاقّات . مصوباً اسنة البديهة الى ثغر الاناة • معتصما في جميع أمره بخشية الله ، وطاعته • مستشعرا ذلك في علنه ، وسريرته .

الجرايات والمرتبات :

والمفروض له عن هذه الخدمة في كل شهر ، للاستقبال المقدم[2] ذكره ، من حاصل الوقف المذكور لسنة تسع وتسعين الخراجية وما يجري معها من هلالية ، وما بعدها . أسوة بما كان لعبد اللطيف بن الكيال[3] : من الحنطة كيل البيع ثلاثون قفيزا . ومن العين الامامية عشرة دنانير . يتناول ذلك شهرا فشهرا مع الوجوب والاستحقاق للاستقبال المقدم ذكره من حاصل الوقف المعين للسنة المبينة الخراجية وما بعدها ، بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور أجلّه الله تعالى . وأذن ، فليجر على عادته المذكورة وقاعدته .

---

(١) مفردها أهبة وهي العدة • ومسودة الأهب : اشارة الى شعار العباسيين الاسود •

(٢) اي استقبال حادي عشري ذى القعدة •

(٣) عبداللطيف بن الكيال : أبو المحاسن بن نصرالله الواسطي ، من فقهاء الحنفية • ولي التدريس بمدرسة ابى حنيفة سنة ٥٩٤هـ • وتولى القضاء بواسط • وكانت ولادته سنة ٥٤٠هـ ووفاته بواسط سنة ٦٠٥هـ •

واجبات المدرس :

ولتكن صلاتُه وجماعتُه في جامع القصر الشريف[١] في الصُفَّة التى لاصحاب ابي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ . وليصرف حاصل الوقوف المذكورة في سبلها بمقتضى شرط الواقف المذكور فى كتاب الوقفية ، من غير زيادة فيها ، ولا عدول عنها ، ولا حذف شيء منها . عالما أنه مسؤول في غده عن يومه وأمسه . وأن افعال المرء صحيفة له في رمسه . وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة ، واستنمائها ، واستثمار حاصلها ، وارتفاعها[٢] . مستخيرا من يستخدمه فيها من الاجلاد الامناء ، ذوي العفّة ، والغَناء . متطلعا الى حركاتهم ، وسكناتهم . مؤاخذا لهم على ما لعله يتصل به من فُرُطاتهم ، لتكون الاحوال متسقة النظام ، والمال محروسا من الانثلام . وليبتدىء بعمارة المشهد ، والمدرسة المذكورين ، واصلاح فرشها ، ومصابيحها ، وأخذ القُوام بالمواظبة على الخدمة بها ، والزام المتفقهة[٣] بملازمة الدروس ، وتكرارها واتقان المحفوظات واحكامها .

خزانة الكتب :

وليثبت[٤] ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضا ذلك بفهرسته ، متطلبا ما عساه قد شذ منها . وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ، ونفضها فى كل وقت ، ومرمة شعثها . وان لا يخرج شيئا منها الا الى ذى امانة ، مستظهرا بالرهن عن ذلك .

---

(١) جامع القصر: هوجامع الخلفاء ببغداد . أنشأه الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) وأحرقه المغول سنة ٦٥٦هـ وجدده علاءالدين الجويني سنة ٦٧٠هـ . وفي العصور المتأخرة انتهبت أرضه ، ولم يبق منه الا جامع صغير نقض سنة ١٩٥٧م ، وادمجت أرضه في شارع الجمهورية . اما منارته فتعرف اليوم بمنارة سوق الغزل . وقد سقطت واعيد بناؤها سنة ٦٧٨هـ في زمن اباقا بن هولاكو . ولا تزال قائمة حتى اليوم .

(٢) الارتفاع : الخراج والواردات .

(٣) المتفقهة : الطلاب الذين يدرسون الفقه . وقد يطلق عليهم فقهاء باعتبار ما سيكونون .

(٤) من الاثبات وهو التسجيل في السجلات .

قيمة التدريس :

وليتلق هـذه الموهبة بشكر يرتبطها ، ويدر أخلافها[١] ، واجتهـاد يضبطها ، ويؤمن إخلافها[٢] • وليعمل بالمحدود له في هذا المثال[٣] من غير توقف فيه بحال ـ ان شاء الله تعالى ـ . وكتب لتسع بقين من ذى القعدة من سنة اربع وستمائة . وحسبنا الله ، ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين الاكرمين وسلم »[٤] •

العلامة

المخزن المعمور

٢ ـ توقيع بتعيين مدرس بالمدرسة الامينية

في العشر الآخر من محرم سنة **٦٧٩** تقـدم الملك الـكامل باضافـة الاعمال الحلبية الى قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلـكان[٥] • وان يُعطى تدريس المدرسة « الامينيـة »[٦] بدمشـق • وكتب لـه بالمدرسـة

---

(١) الاخلاف : الضرع •

(٢) الاخلاف : التعويض •

(٣) المثال : الامر ويريد به التوقيع الخليفتي •

(٤) ابن الساعي ج ٩ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧ •

(٥) ابن خلـكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن ابى بكر البرمكي الاربلي • ولد بأربل سنة ٦٠٨هـ وتوفى بايوان المدرسة النجيبية بدمشق سنة ٦٨١هـ • تفقه بالموصل على كمال الدين بن يونس الذي تفرد باتقان العلم الرياضي ورحلت الطلبة اليه من الاقطار ـ وقرأ النحو فيها على ابى البقاء المعروف بابن الصائغ ثم قدم الشام • ودخل مصر وسكنها وناب في القضاء • وولى القضاء بالشام منفردا • وأضيف اليه مع القضاء ، نظر الاوقاف والجامع ، والمارستان ، وتدريس سبع مدارس • وكان بصيرا بالعربية ، علامة في الادب والشعر وايام الناس [الدارس ١ : ١٩١ ـ ١٩٣] •

(٦) المدرسة الامينية : مدرسة قديمة تقع بدمشق في سوق الحرير اليوم • وقديما كانت قبلى باب الساعات احد أبواب الجامع الاموي وهي فيما يقال أول مدرسة بنيت للشافعية بدمشق بناها اتابك العساكر الذي يقال له « امين الدولة ربيع الاسلام » المتوفى سنة ٥٤١هـ • وقد وقف المدرسة سنة ٥١٤هـ وكانت تسمى « حق الذهب » وبنى فيها أمين الدولة مسجدا • [الدارس ١ : ١٧٧ ـ ٢٠٥ و٢ : ٣٣٢] •

« الامينية » تقليد من انشاء كمال‌الدين أحمد بن العطار[1] وكان ذلك بيد قاضي القضاة نجم‌الدين بن سناالدولة[2] .

ونسخته :

« الحمد لله الذي اطلع في فلك سادتنا شمس‌الدين بازغة الانوار . وأقام بنا بناء الحق ، مشيد الاركان على المنار . وجعل روض الفضل فى ايامنا زاهـراً ، تصبو اليه ابصـار وقلوب ونفوس فمـا[3] يحـف منه نجم الا نَشف من بعده سناء نجوم ، واقمار ، وشموس . ولا يذوي منه عود الا يروى بماء الرعاية منه اصول ، وفروع ، وغروس ، يبرّ بها لايامنا ان يبذل فيها الحسنات . أو يتعطل فيها مدارس آيات . والصلاة على سيدنا محمد ذي الحسب الصميم ، والدين القويم ، والشـرع الهـادى الى الصـراط المستقيم . صلاة يحلي اللسان تكرارُها . ويملأ سواد القلب أنوارُها .

وبعد فان أحق من عمرت به العلوم الدارسة . وطلعت شموس فضله ، فتجلت بها كلمات الجهل الدايسة ، من كانت آية فضله شمسية ، اذا طلعت حَجَبَ النجمَ سناها . واذا تناهى في اشادة عليائه اعربها بمساعيه ، وحسن بناها . واذا تسابقت جياد الافكار في حلبة جدال عطف أعنتها الى الصواب وثناها . طالما حل الرتب العالية بجليل مقداره ، ودقيق افكاره . وجلا الرتب العالية بخفي تدبيره ، وجلىّ انواره . وماست على معـاطف مناقبه ذوائب فخاره . وهامت الافكارُ في اودية محامده ، وما بلغت وصف محله ومقداره . وافتخر قلم الفتيا براحته ، وتباعد السيف عن قربه خوفا من مهابه . وسدد

---

(١) كمال‌الدين أحمد بن العطار : هو أحمد بن ابى الفتح بن محمود الحموي .

(٢) أبو بكر محمد بن قاضي القضاة صدرالدين ابى العباس يلقب بسنا الدولة درس بالمدرسة الامينية سنة ٦٦٩هـ كما درس بالركنية وعدة مدارس غيرهما . ناب في القضاء عن والده بدمشق ثم ولى قضاء القضاة عقب كسرة التتار على عين جالوت في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ وولى قضاء حلب . ودمشق . [الدارس ١ : ١٩٠ ـ ١٩١] .

(٣) في الاصل : فيما يحف .

الحق سهام أحكامه ، فأصابت الاغراض . وشيد الصدق نظام كلامه فشفى صحيحه الامراض . فان شرع في علم الشرع ، شفي انسان عن الجهل الارمداء . روى الحديث النبوي باسناده فما يصل احد الى مسند احمد . وان صال في الاصول فاليه منتهى فخار الرازي . أو حكم في الحكمة ، فابن سينا غير مساو له ، ولا مواري له . وان نطق في المنطق فهو أثير زمانه ، وسراجه المنير . أو يحدث في علم العربية فهو أبو العباس تحقيقا غير تقدير . أو تكلم في علم الخلاف فهو الاوحد على الحقيقة . وكم له الى الحق من طريق ، وطريقة . وان قص ابناء السلف ، والخلف . وكل خطيب يثني عليه ، وابن عساكر لا تنجده[1] عساكر معلوماته لو كان بين يديه »[2] .

« ولما كان المجلس العالي ، القضائي ، الاجلي ، الصدري الكبيري ، الاوحدي ، الرئيسي ، الافضلي ، العالمي ، العاملي ، الكاملي الناسكي ، العارفي ، الاثري ، الحافظي ، الشيخي ، الامامي ، الحاكمي ، الشمسي ، شرف الاسلام ، فخر الانام ، زين العلماء ، اوحد الفضلاء ، وارث الانبياء محجة العرب العرباء ، بقية السلف ، مفتي الفرق ، صدر الحفّاظ ، شمس الشريعة ، قاضي القضاة ، سيد الحكام ، صفي الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام ابى عبدالله محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان البرمكي ، الشافعي . ضاعف الله جلاله ، وحقق في الدارين آماله . نظام هذا العقد المليح . ومعنى هذا اللفظ الفصيح . وثمرة هذه الدوحة النضرة . ونَشْر هذه الروضة الخضرة . رسم بالامر العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الكاملي ، الشمسي لازال يقر الحق في يد مستحقه ، ويوضع لسالكه في سبله ، وطرقه[3] . ان يفوض

---

(١) في الاصل تنخذه ويظهر انها مصحفة .

(٢) اليونيني ٤ : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) وردت « في سبلية . وطرقه » والصحيح ما دوناه . راجع ج ٤ ص ٣٩ . من اليونيني .

اليه تدريس المدرسة « الامينية » . ويجرى باسمه المعلوم[١] الشاهد به كتاب وقفها المبرور ، وذلك لما تعين سرف[٢] مباشرها ، عند تبين اخلاله بشروط واقفها ، فيتقدم على خيرة الله تعالى ، ويذكر بها دروس فضله التي لا تدرس للأنام آثارها . ويغرس في قلوب طلبتها حب فرائده ، ليجتني ساعة غرسها ثمارها . ويجلو وجوه معارفه على خطابها ، ليبلى بمحاسنها ، ويتمتع . ويغذي اطفال الاذهان الرّضع بلبان فضله الى أن يتسنى بين يديه ، ويترعرع . ويعمر معناها بالعلم الذى تنكرت فيها معالمه . وخفي سناه ، حتى لا يدركه شاتمه ليجنى بها فضله الحسن السهل خالداً . ويغذو كل ظام من جعفره المعروف ، ومعروف جعفره وارداً . وتصبح هذه المدرسة كنيفاً مليء علماً ، وقليباً حُشِيَ فهماً . وفلكاً يبدي شمساً[٣] ، ويخفي نجماً . وكنانة يخرج من طلبتها في كل حين سهماً يراه متأمله شهماً . والله تعالى يحيي ببقاء علمه ما أماته الجهل ، ويؤنس بانفاسه ما استوحش من معاهد الخير والفضل ان شاء الله تعالى . كتب في ثالث عشرين المحرم سنة تسع وسبعين وستمئة »[٤] .

٣ ـ توقيع باعادة تعيين مدرس بالمدرسة الامينية

في يوم الاربعاء عاشر صفر سنة ٦٨١ هـ فوّض الى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان التدريس بالمدرسة « الامينية » بدمشق ، بعد ان انتزعت منه . وكتب له بها تقليد من نائب السلطنة بالشام الامير حسام الدين لاجين في ١٣ صفر سنة ٦٨١هـ وهو من انشاء المولى القاضي شرف الدين بن فضل الله في ديوان الانشاء ومضمونه :

« الحمد لله الذي أقر الحق في نصابه . وأعاد الامر الى من هو اولى به . ورد الفضل الى وطنه ، بعد معاناة اغترابه . ورفع منار العلم

(١) و (٢) وردتا في النص « العلوم » و « اجلاله » ويظهر انهما مصحفتان وصحيحهما « المعلوم » . و « اخلاله » واذا كانت الاخيرة غير مصحفة فلا يستقيم المعنى الا اذا قرأنا الكلمة « شرف » بدلا من « سرف » ليستقيم المعنى .

(٣) يريد بالشمس : شمس الدين بن خلكان وبالنجم : نجم الدين بن سناء الدولة .

(٤) اليونيني ج ٤ ص ٣٩ .

للمسترشدين من طلابه . نحمده حمداً نستزيد به النعم . ونستفيد ونسترد به فائت الشكر ، ونستعيد . ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . شهادة من تيقن شهادته فأداها ، واجرى الله المشيئة بتزكية نفسه ، فآتاها هُداها . واشهد ان محمداً عبده ورسوله . خاتم رسله . ونبيه الذى ارسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله . صلى الله عليه وعلى آله ، وصحبه الكرام . أئمة الدين ، وخلفاء الاسلام . الذين سبقوا ونصروا وأعلنوا بالاسلام . وصابروا في الله وصبروا . وطلقوا الدنيا وهجروا . ما تُوج مفرق في الصبح من الشمس بتاج • وأمسى لذهب الاصيل بالافق امتزاج .

وبعدُ : فاما الامور الدينية اولى ما كانت عيون العناية بها متأملة ، وركائب الافكار نحوها متحملة • لتوضع الاشياء في مواضعها • وتقع الامور في أحسن مواقعها . فلا يقع الاشتباه مع غير الانظار والاشباه . ولا يوضع غير التيجان بمكانها من المفارق والجباه • واذا رقدت لحظة الحظ أو سهت . وتخطت خطوة الخطأ فما وقفت حيث انتهت ، ايقظت تلك العناية الحظ من هجوعه • وصدت الخطأ عن قصده ، وحكمت عليه برجوعه فتمسى والنجم له استقامة بعد الرجوع . ويصبح وللشمس من بعد الغروب طلوع . ولذلك رسم بالامر العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المنصوري ، السيفي — زاده الله شرفا وملأ بمحامده من الايام صحفاً — أن يفوض تدريس المدرسة « الامينية » بدمشق المحروسة الى الجناب العالي ، المولوي ، القضائي ، الامامي ، الاوحدي ، الافضلي ، الارشدي ، الزاهدي ، العابدي ، الورعي ، الناسكي ، العلوي ، العلّامي ، الشمسي ، ضياء الاسلام ، صدر الانام ، بقية الكرام ، علامة العلماء بمصر والعراق والشام ، كهف الملة ، ركن الشريعة ، شيخ المذاهب ، مفتي الفرَق ، قدوة العالمين ، ظهير الملوك ، والسلاطين ، خالصة امير المؤمنين : أحمد بن الشيخ الامام ، العلامة ، بهاء الدين بن خلكان — ضاعف الله جلاله — اذ كان المعني بهذا المعنى • والاوحد الذي لا نظير له فما يجمع ولا يثنى • وهو الاولى بان ينعت بواحد الزمان . والمراد به من مفهوم هذا الخطاب وغيره هو الذى

أردناه بقولنا : مضى هذا من هذا الباب لتزين سماء العلوم منها بشمسه المنيرة ، ويحتوي صدرها من تصدره بها على حاوى العلوم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة . وليفوض نظرها اليه . فقد حكم له بها الاستحقاق . وأصبحت نظامية الشام لما درّس بها • وقد اربت على نظامية العراق ، وقد درّس فيها الشيخ أبو اسحاق • وشهادة فضله الآن مغنية عن فضل امسه • والاخبار عن الماضي من الامر لا يفتقر اليه والعيان شاهد لنفسه . ومتى احتاج النهار الى دليل مع طلوع فجره ، وشروق شمسه . والواصف لمناقبه ما عساه ان يورد بين يدي فضائله ، وسماعه لدرسه . ويوجز ويطنب فلا يخلي ولا يملي . وكيف يمل وتوفيق مفيد العقول عليه تملى . فليقصر في هذا المقام على افادته . وتحصيل الاكتفاء باباناته ، عن تكرر المقال واعادته . وليباشر ذلك على قاعدته فيه ، وعادته ، والاعتماد على الخط الكريم اعلاه ان شاء الله تعالى »[1] .

٤ ـ توقيع بتولية مدرس بدار الحديث النفيسية

عين الشيخ شمس الدين الذهبي[2] سنة ٧٤٨هـ لتدريس الحديث بالمدرسة النفيسية[3] وامامتها بعد وفاة علم الدين البرزالي[4] كتبه له صلاح الدين الصفدي • ونسخته :

---

(١) اليونيني ج ٤ ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ٠

(٢) ولد الشيخ شمس الدين الذهبي سنة ٦٧٣هـ وتوفي سنة ٧٤٨هـ وكان مؤرخ الشام وشيخ المحدثين وقدوة الحفاظ والقراء ٠ ولي مشيخة الظاهرية والنفيسية والفاضلية وغيرها ٠ وقد اشتهر بمؤلفاته التي بلغت نحو المئة ٠ منها : تاريخه الكبير المسمى « تاريخ الاسلام » والدول الاسلامية ٠ وطبقات القراء المسمى « معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار » ٠ وميزان الاعتدال و « المشتبه في الاسماء والانساب » و « تذكرة الحفاظ » ٠٠٠ الخ ٠ ومعجم اشياخه وهم ١٣٠٠ شيخ بالسماع والاجازة ٠ راجع ترجمته في الوافي ج ٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٦ والنعيمي [١ : ٧٨ ـ ٧٩] ٠

(٣) المدرسة النفيسية : احدى دور الحديث في دمشق تقع شمالي غربي المدرسة الامينية ٠ وهي تنسب الى واقفها النفيس اسماعيل بن محمد بن عبدالواحد بن صدقة الحراني الدمشقي ٠ كان ناظر الايتام ٠ مولده سنة ٦٢٨هـ ووفاته سنة ٦٩٦هـ [الدارس ١ : ١١٤] ٠

(٤) علم الدين البرزالي : الامام الحافظ المؤرخ أبو محمد القاسم

« رُسم بالامر العالي لا زالت اوامره المطاعة تطلع في آفاق المدارس شمسا ، وتُزيل بمن توليه عن المشكلات لبسا ، ان يرتّب المجلس السامي الشيخي الشمسي في كذا وكذا علما بانه علاّمة ، وحافظٌ متى أُطلق هذا الوصف كان عَلَماً عليه وعلامة ، ومتبحرٌ أشبه البحر اطّلاعه والدرّ كلامه ، ومترجمٌ رفع لمن ذكره في تاريخ الاسلام اعلامه ، فالبخاريُّ طابَ ارَجُ ثنايه عليه ، ومسلمٌ أول مؤمن بأنّ هذا الفن انتهى اليه ، وابو داود يحمد اثاره في سلوك سَنَن السُنَن ، والترمذيُّ يخال انه فداه بنور ناظره من آفات دار الفتَن ، والنسائي لو نسأ الله في اجَله لرأى منه عجبا ، وابن ماجة لو عايَن ما جاء به ماج له طربا .

فليباشر ما فُوّض اليه مباشرةً تليق بمحاسنه ، وتدلّ طالبي الصواب على مظانّه واماكنه ، ويبيّن لهم طُرق الرواية . فالفقه حلة وعلم الحديث عَلَمُها وطرازها ، والرواية حقيقةٌ ومعرفة الرجال مجازها ، ويتكلم على الاسانيد ففي بعض الطرق ظلمٌ وظلام ، ويورد ما عنده من الجرح والتعديل ان بعض الكَلام فيه كِلام ، ويوضح احوال الرُواة الذين سلفوا فليس ذاك بعيب وما لجرح بميّت ايلام ، وينمّ بما اطلع عليه من تدليسهم فما احسن روضةً هو فيها نمّام ، ويسرد تراجم من مضى من القرون التي انقضت فكأنها وكأنهم أحلام . ويحرّض على اتصال السند بالسماع ليكون له من الورق والمداد رصدان ضوء الصبح والاظلام ، ولا يدع لفظةً تُوهِمُ إشكالا فالشمس تمحو حندس الاوهام ، حتى يقول الناس : ان شُعبة منك شُعبة ، وابا زُرعة لم تترك عنده من الفضل حبّة ، وابن حزم ترك الحزم وما تنبّه ، وابن عساكر توجّس منك رُعبَه ، وابن الجوزي عدم لُبّه ، واكل الحسدُ قلبه .

الاشبيلي الاصل ، الدمشقي ولد سنة ٦٦٥هـ وتوفي سنة ٧٣٩هـ · ولي مشيخة دار الحديث النورية ومشيخة النفيسية · ذكر الذهبي ان مشيخته بلغت أكثر من ٣٠٠٠ شيخ · صنف كتبا كثيرة · وكتب بخطه ما لا يحصى · [الدارس ١ : ١١٢] ·

ولا تغفل عن الزام الطلبة بالتكرار على المتون الصحيحة دون السقيمة ، فما يستوى الطيب والخبيث ، وذكّرهم بقوله عليه السلام : مَنْ حفظ على أُمّتى اربعين حديثا وان كان الحفظ بمعنى الجمع فالعمل بظاهر الحديث ، فانت ذو الصفات التى اشتهرَت ، والفضايل التى بهرَت ، والدربة التى اقتدرت على هذا الفنّ ومهرت ، والفوايد التى ملأت الامصار وظهرَت ، والحجج التى غلبت الخصوم وقهرَت ، لم تضع وقتا من زمانك اما ان تُسمع أو تُلقي أو تنتقي ، واما ان تجتهد في نصرة مذهب الشافعى رضى الله عنه حتى كانك البيهقى ، واما ان تصنّف ما يتمنى بقيّ بن مخلد لو عاش له وبَقِي ، وانت ادرى بشروط الواقف رحمه الله فارْعها ، واتبع اصلها وفرعها ، واهدِ الدعاء له عقيب كل ميعاد وأشركه مع المسلمين في ذلك . فانوار الرحمة تلمع على هذا السواد ، واذكر من تقدّمك فيها بخير ، ففضلُه كان مشهورا ، واسأل له الجنة من الله ليسرّك يوم القيامة اذا اصبح علَماً منشورا . والوصايا كثيرة ومثلك لا يُنبَّه ، ولا يُقاس بغيره ولا يشبّه ، وملاك الامور تقوى الله تعالى وقد سلكتَ منها المحجة ، وملكتَ بها الحُجّة ، فلا تُعطّل منها جيدك الحالي . وارو ما عندك فَسَنَدُكَ فيها عالي ، والله يمدك بالاعانة ، ويوفّقك للانابة والابانة ، بمنّه وكرمه »[1]

٥ ـ توقيع بتولية معيد بالمدرسة الدولعية

عندما ولي القاضي فخر الدين المصري الشافعي[2] الاعادة بالمدرسة

---

(١) الوافي ج ٢ ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

(٢) القاضي فخرالدين وردت ترجمته في الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥١ وطبقات السبكي ج ٥ ص ٢٥١ والشذرات ج ٦ ص ٢٩٢ والدارس ١ : ٢٤٥ ـ ٢٤٨ . ولد سنة ٦٩١هـ بالقاهرة وتوفى بدمشق سنة ٧٥١هـ [وفي الشذرات انه توفى سنة ٧٨٦هـ] قرأ الفقه والعربية على كمال الدين ابن قاضي شهبة . وقرأ بقية العلوم على كمال الدين بن الزملكاني . وولي تدريس العادلية الصغيرة . واذن له في الافتاء . وجلس في

الدَوْلَعية[1] . كتب له صلاح الدين الصفدي . سنة ٧٣٣هـ توقيعاً هذا نصه :

« رُسم بالامر العالي لا زال يرتفع به العلم الشريف (الى فخره)[2] ، ويعيده الي خَيْر حَبْرٍ تُقتبس الفوائد من نوره . وتُغْترف من بحره . ويجمّل الزمان بولائه[3] مَنْ هو عَلَم عصره ، وفخر مصره ، ان يعاد المجلس العالي الفخري الى كذا وكذا وضعا للشيء في محلّه ، ورفعا للوَبْل[4] على طلّه ، ودفعا لسيف النظر الى يدٍ هي مألف[5] هزّه وسلّه ، ومنعا لشعب مكة ان ينزله غيرُ أهله ، اذ هو لاصحاب الشافعي رضي الله عنه حُجَّة ، ولبحر مذهبه الزاخر لُجَّة ، ولأهل فضله الذين يقطعون مفاوزه بالسُرَى صُبْحٌ ، وبالمسير محجّة ، طالما ناظر الاقران فعدّ لهم ، وجادل الخصوم في حومة البحث فجدّ لهم وجدّلهم[6] . كم[7] قطع

حلقة الاشغال بالجامع الاموي بعد وفاة شيخه برهان الدين . وتأدب مع شيخه فأخلى مكانه . وجلس دونه . واقدم من سمع عليه الحديث : هدية بنت عسكر . وقد درس بالدولعية في شهر ربيع الاول سنة ٧٣٣هـ وناب في القضاء مدة ثم ترك ذلك . وتفرغ للعلم . وتصدر للاشتغال ، والفتوى . وشغل الناس بالعلم مدة مديدة . ويوصف فخرالدين المصري بأنه كان من أذكياء العالم .

(١) انشأها بدمشق عند جيرون جمال الدين أبو عبدالله محمد التغلبي الارقمي الدولعي خطيب دمشق . وولد بالدولعية احدى قرى الموصل سنة ٥٥٥هـ . ورد دمشق شاباً . وولي خطابتها بعد عمه عبدالملك الدولعي ٣٧ سنة وكانت وفاته سنة ٦٣٥هـ . ودفن في مدرسته المذكورة التي وقفها بجيرون . وهو أول من ذكر الدرس بمدرسته [الدارس ١ : ٢٤٢ ـ ٢٥٢] .

(٢) الزيادة التي بين القوسين من كتاب الدارس ج ١ : ٢٤٨ .

(٣) في الدارس ١ : ٢٤٨ ويحمد الزمان بولايته .

(٤) في الدارس ١ : ٢٤٨ الوابل .

(٥) في الدارس ١ : ٢٤٨ تأليف ١ : ٢٤٨ .

(٦) في الدارس ١ : ٢٤٨ فخذلهم وجندلهم .

(٧) في الدارس ١ : ٢٤٨ كما .

الشُبُهات بحجج لا يعرفها (السيف)[1] . وأتى بوجه ما رأى الراؤون[2] احلَى منه في احلام الطيف ، ودخل باب علم فتحه القفّال لطالب[3] نهاية المطلب التبري ، وارتوى من مَعين ورد عينَ حياته الخضرى[4] وتمسك بفروعٍ صحّ سبكُها فقال ابن الحدّاد[5] : هذا هو الذهب المصري ، وأوضح المغالط[6] بما نسف به جبالَ النسفي[7] ، وروى أقوال اصحاب المذهب بحافظة يتمنّاها الحافظ السلفى ، كم جاور بين زمزم والمقام ، وألقى عصا سفره لما رحل عنها الحجيج وأقام ، وكَم طاب له القرار بطَيْبَة ، وعطّر بالاذخر والجليل رُدْنَه وجَيْبَه ، وكَم استروح بظل نخلها والسَمُرات[8] . وتملّى بمشاهد الحُجْرة الشريفة ، وغيره يسفح على قُرب تُربَها العبرات ، وكَم كُتب له بالوصال[9] وصول . وبثّ شكواه فلم يكن بينه وبين الرسول رسول[10] . لا جرم انه عاد وقد زاد وقارا . وآب بعد ما غاب ليلاً فتوضّح شبيه[11] نهارا .

فليباشر ما فُوِّض اليه جرياً على ما عُهد من افادته ، وأُلِف من

---

(١) يعلق الناشر في هامش الصفحة ٢٠٧ ج ٤ عن كلمات سقطت هنا يقتضيها السياق فيقول : ولعلها أصحاب السيف . وصحيحها في « الدارس » ١ : ٢٤٨ لا يعرفها السيف .

(٢) الدارس ١ : ٢٤٨ . وفي الوافي : الرؤياني .

(٣) لطلب . الدارس ١ : ٢٤٩ .

(٤) وفي الدارس ١ : ٢٤٩ الحضرمي مصححة وفي الحاشية وهو يعقوب بن اسحق بن زيد الحضرمي (١١٧ – ٢٠٥) ثامن القراء العشرة .

(٥) محمد بن أحمد بن محمد الكناني من فقهاء الشافعية .

(٦) المقال . الدارس ٢٤٩ .

(٧) عمر بن محمد بن أحمد النسفي كان يلقب بمفتي الثقلين ويروى انه كان له نحو مئة مصنف .

(٨) والثمرات . الدارس ١ : ٢٤٩ .

(٩) بالوصل . الدارس ١ : ٢٤٩ .

(١٠) رسولا . الدارس ١ : ٢٤٩ .

(١١) سبيله . الدارس ١ : ٢٤٩ .

رياسته لهذه العصابة وسيادته[1] ، وعُرف من زيادة يومه على امسه فكان كنيل بلاده ، ولا يتعجّب من زيادته ، حتى يحيي بدرسه ما دَرَس ، ويُثمر عود الفروع ، فهو الذى انبته بهذه المدرسة . وغرس مجتهدا في نظر وقفها ، معتمداً على تَتَبّع ورقات حسابها وصحفها . عاملا بشروط الواقف فيما شرط . قابضا ما قبضه ، وباسطا ما بسطه ، وتقوى الله تعالى جنّة"[2] يرتع فيها خاطره ، ويسرّح في رياضها الناضرة ناظره ، ومثله لا ينبّه عليها ، ولا يومأ له بالاشارات[3] اليها ، فلا ينزع ما لبسه[4] من حُلاها . ولا يَسْرِ[5] في مَهْمَهٍ الا بَسناها ، واللهُ يديم فوائده[6] لأهل العلم الشريف[7] ، ويجدّد له سعدا يشكر التالد منه والطريف ، والخطّ الكريم أعلاه حجة بمقتضاه »[8] .

٦ – توقيع بتولية مصدر بالجامع الاموي

ولي القاضي بهاء الدين محمد بن عبدالبر الانصاري السبكي الشافعي[9] مصدراً[10] بالجامع الاموي يشغل[11] الناس بالعلم ويفتي في مذهب

---

(١) في الدارس ١ : ٢٤٩ وزيادته .
(٢) في الدارس ١ : ٢٤٩ ويقوى الله تعالى على حبه .
(٣) في الدارس ١ : ٢٤٩ بالاشارة .
(٤) في الدارس ١ : ٢٤٩ ما لبس .
(٥) في الدارس ١ : ٢٤٩ يسيرة .
(٦) في الدارس ١ : ٢٤٩ بفوائده .
(٧) في الدارس ١ : ٢٤٩ لاهل العلم الظل الوريف .
(٨) الوافي ج ٤ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
(٩) وردت ترجمة القاضي بهاءالدين الانصاري في الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٩ وبغية الوعاة ص ٦٣ وذكره الصفدي في ج ٣ ص ٢١٠ ـ ٢١١ . ومولده سنة ٧٠٧هـ قرأ العربية على الشيخ اثيرالدين ابى حيان وهو من أجل تلامذته في العربية وكمل اشتغاله على ابن عمه قاضي القضاة تقي‌الدين السبكي . سمع على الواني وعلى اشياخ عصره . وجود الفقه والاصلين وقد أثبت له الصفدي شيئا من نظمه في ج ٣ ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .
(١٠) المصدر : من التصدير وهو اقراء القرآن وافادة الحديث . راجع السلوك ص ٥٠٤ .
(١١) اشغل : درّس . واشتغل : درس .

الشافعي ورتبه الامير سيف الدين تنكز[1] . كتبه له صلاح الدين الصفدي . ويذكر الصفدي انه كتب له توقيعاً آخر اجود من هذا واكبر لكنه لم يثبت نصه في كتابه الوافي لانه لم يكن حاضراً لديه عندما دون ترجمته . ونسخة التوقيع :

« رُسم بالامر العالي لا زالت اوامره المطاعة تزيد العلم بهاءاً ، وترفع له بمن تَوَلّيه اذ توليه النعم لواءاً ، وتفيده على مرّ الايام من وسمه واسمه بقاءاً ، أن يُرَتّب في كذا رُكونا الى فضله الذي اظهره الاختيار وأبانه ، وساعده الاجتهادُ عَلَى ما حصّله وأعانه ، وتحقّق العلمُ أنه بهاؤه فلهذا جمّله بما حمّله منه وزاده وزانه ، وشهدَتْ مصرُ لفنونه المتعدّدة انه سهمٌ خرج من كِنانَه ، أما القراآت فما يبخل السخاوي ان يكون من حزبه ، وما يبعد الداني ان يتمنى تيسير قُربه ، وأما الفقه فالقفّال لا يدخل معه في بابه ، وابن الصبّاغ تتلون عليه الوجوه فما ترضى فيما اتى به ، وأما النحو فالفارسي لم يبق له في العربية ايضاحٌ ولا تكملة ، وابن جنّي غاب من أول ما ذكر البسملة ، وأما الفتاوى فانها تفيّأتْ ظِلّ قلمه ، وطوى ابن الصلاح لها نشر عَلَمِه ، وأما الاحكام فما اسرع سهمَ اصابته فيها نفاذا ، وأطيب ثناءا ، حتى قال الماوردي من قال اقضى القضاة عنّي فانما عنى هذا .

فليباشر ما فُوّض اليه ناشراً عَلَمَ علمه الباهر ، مُظْهراً نُكَتَ فضله التي ما علم ابنُ حزم باطن حُسنها في الظاهر ، باحثا عن الخبايا لانه شافي العيّ في مذهب الشافعي ، ماكثاً على افادة الطلبة ماضمّه

---

(1) سيف الدين تنكز : نائب الشام ، ولي نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ . افتتح ملطية سنة ٧١٥هـ . له آثار حسنة في أماكن من البلاد الاسلامية . ودفن بتربته جوار جامعه بدمشق . ومن آثاره بدمشق : دار القرآن والحديث التنكزية . وكانت هذه الدار حماما يعرف بحمام « سويد » فهدمه وجعله دار قرآن وحديث . ورتب فيها الطلبة والمشايخ . عمر القدس . وأنشأ فيها رباطا ودار حديث . وعمر بصفد البيمارستان المعروف به . وجدد القنوات بدمشق . كما جدد عمائر المساجد والمدارس . ووسع الطرقات . الدارس [١ : ١٢٣ ـ ١٢٧ و ٢ ٢٣٨ ـ ٢٣٩] .

الرافعي ، باذلاً ما عنده من العلم الذى هو اخْبَرُ بما جاء فى حقِّ مَنْ كتمه ، عاملا على اظهار الغوامض لمن حصّل محفوظاً وما فَهِمَه ، مُهْدياً من نفايس ما ادّخر من الجواهر التى يتحلى بها النَحْرُ ، مُبْدياً فوايده التى اكتسبها من ابن عمّه حتى يقال ابن عبدالبرّ يحدث عن البحر ، مقيّداً بطريقه فعمُّ الرجل صنْو أبيه ، مهتدياً به فيما ياتيه عند انقياده وتأبّيه ، وعلى كلّ حالٍ فهو ابوه شاء العُرف أو أبى ، لأن بعض المفسّرين ذهب ان آزر عم ابراهيم وقد سماه الله أبا ، فقد طلعتما بأفق الشام نَيِّرَيْن ، وأحيى الله بكما سيرة العُمَرَيْن ، ما ذُكر فضلكما في الاوراق الا راق ، ولا طلع بدرُ علمكما في الآفاق الا ، فاق ، قد انكشف بكما من الباطل زَيْفُه وبهرَجُه ، ونصرتما الشرع لانكما من قوم هم أوسُه وخزرَجُه طالما كثر الانصارُ يوم اليأس اذ قل الناس وقلوا يوم الطمع ، ولو خرّ سيفٌ من العَيُّوق مُنصلتاً ما كان الا على هاماتهم يقع ، وحقيقٌ بمن كان من هؤلاء وهو فرعُهم الزاكى ، ونجلُهم الذى يعجز عن وصفه الحاكى ، أن تجرى عَلَى اعراقهم جيادُه ، وأن يكون بازاء دم الشهيد مدادُه ، والوصايا كثيرة والتقوى زمامُها وامامُها ، اذا تقدم كل جماعة أمامَها اِمامُها فلا تُعَطّل من حُلِيِّها عُنُقَك ، ولا تُخَلِّ من بدورها أُفقَك ، والله يجمّل بك الايام والانام ، ويديم لهم فضلك الذى أراح جفنهم من الارق وأنام ، والخطّ الكريم أعلاه حجّة بمقتضاه ان شاء الله تعالى»(1).

---

(1) الوافي ٣ ص ٢١١ ــ ٢١٢ .

المراجع

١ ـ الوافي بالوفيات تأليف الصفدي : مطبعة وزارة المعارف باستانبول سنة ١٩٤٩ باعتناء س : ديدرينغ ٠

٢ ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير تأليف ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ طبع بغداد ١٩٣٤ ٠

٣ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة المنسوب لابن الفوطي : بغداد ٠ مطبعة الفرات سنة ١٣٥١هـ ٠

٤ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ٠ ابن الجوزي ٠ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الطبعة الاولى ٠

٥ ـ ذيل مرآة الزمان٠ تأليف الشيخ قطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ ـ ١٣٢٦م ٠ الطبعة الاولى : مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ٠

٦ ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ٠ المجلد الثامن ج ١ و٢ تأليف شمس الدين يوسف ابى المظفر الشهير بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ ٠ الطبعة الاولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند ٠

٧ ـ تاريخ البيهقي : ترجمه الى العربية الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت ـ مطبعة دار الطباعة الحديثة ـ مصر ١٩٥٦ ٠

٨ ـ السجلات المستنصرية ـ تحقيق الدكتور عبدالمنعم ماجد ٠ مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٥٤ ٠

٩ ـ دراسات في تاريخ المماليك البحرية ـ الدكتور علي ابراهيم حسن ٠ الطبعة الثانية ١٩٤٨ مطبعة النهضة بالقاهرة ٠

١٠ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : تأليف جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المازني التميمي المتوفى سنة ٦٩٧هـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ٠

١١ ـ كتاب الوزراء والكتاب ـ الجهشياري المتوفى سنة ٣٣١هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٣٨م ٠

١٢ ـ التعريف بالمصطلح الشريف تأليف القاضي ابن فضل الله العمري ٠ مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٣١٢هـ ٠

١٣ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري . المطبعة الجمهورية بباريس سنة ١٨٩٤م .

١٤ـ كتاب قوانين الدواوين ـ ابن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦هـ مطبعة مصر سنة ١٩٤٣م .

١٥ـ الاشارة الى من نال الوزارة ـ ابن منجب الصيرفي . المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٢٤ .

١٦ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي . طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

١٧ـ الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الاخبار ـ المقريزي . طبعة بولاق .

١٨ـ صبح الاعشى ـ القلقشندي . المطبعة الاميرية بالقاهرة .

١٩ـ أدب الكتاب ـ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ . المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١هـ .

٢٠ـ تاريخ علماء المستنصرية ـ ناجي معروف . مطبعة العاني بغداد ١٩٥٩ .

٢١ـ قانون ديوان الرسائل ـ ابن منجب الصيرفي . مطبعة الواعظ بالقاهرة ١٩٠٥ .

٢٢ـ حسن المحاضرة ـ السيوطي طبعة القاهرة ١٩٠٣ ـ ٤ .

٢٣ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي طبعة فريد رفاعي .

الأعلام في الشمالي الافريقي

الدكتور ابراهيم السامرائي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كنت قد درست الاعلام العربية فى ديار المشرق العربى ، وقد تهيأ لى مادة جيدة لدراسة الاعلام العربية فى بلدان المغرب العربى لا سيما ما كان من ذلك فى تونس والجزائر . ودراسة العلم تقتضى دراسة اللقب والكنية لدخولهما في مادة العلم دخولا تاما . وهذا النوع من الدراسات يدخل فى مادة الجانب الاجتماعى فى اللغة . وقد عني به الغربيون عناية كبرى فدرسوا أعلامهم وأرخوها وتبينوا مادتها الاجتماعية ، وما تقدم لعالم الاجتماع وللمتخصص بما يدعى اليوم بالانثروبولوجى من فوائد جمة . ولكننا معاشر العرب لم نهتم بشيء من هذه الدراسات ، فاذا طرق احد منا هذا الموضوع ، فانما أمره مقصور على الترجمة للاعلام المشهورين من ادباء وعلماء وشعراء ولغويين وسائر المفكرين . وهذا العمل لم يختلف كثيرا عما قام به أصحاب الطبقات والذين عنوا بالتراجم ، وفى تاريخنا الاسلامى وادبنا العربى مجاميع ضخمة من هذا النوع من التأليف .

ولا اريد أن أقول : ان دراسة الاعلام فى النطاق اللغوى التأريخى لم تعرف فى الدراسات القديمة ، ذلك أن شيئا من ذلك قد تم ضمن الدراسات اللغوية الاولى ، فانت واجد لونا من الوان هذه الدراسات فى المطولات من المعجمات اللغوية كأن يذكر صاحب المعجم العلم ضمن المادة اللغوية فيعلق على ذلك بشيء يدخل فى هذا الباب . ولا بد ان نذكر أن ابن دريد صاحب « الجمهرة » وهى من امهات المعاجم قد ألف كتابا اسماه « الاشتقاق » ، وسماه الازهرى فى مقدمة « التهذيب » « كتاب اشتقاق الاسماء » ، وسماه ياقوت « كتاب اشتقاق اسماء القبائل »[1] .

---

(١) انظر مقدمة الناشر لكتاب الاشتقاق ص ٣١ .. (بتحقيق عبدالسلام هارون) .

وقد ذكر ابن دريد في مقدمة كتابه هـذا ما حفزه على تأليفه فقال :
« ان العرب كانت لهم في جاهليتهم مذاهب في اسـماء ابنائهم وعبيدهم وأتلادهم ، فاستشنع قوم اما جهلاً واما تجاهلاً تسميتهم كلباً وكليباً وأكلب وخنزيراً وقرداً وما أشبه ذلك ، فطعنوا من حيث لا يجب الطعن ، وعابوا من حيث لا يستبط عيب . فشرحنا في كتابنا هذا اسماء القبائل والعمائـر وأفخاذها وبطـونها وتجاوزها ذلك الى أسـماء ساداتها وثنيانها وشعرائها وفرسانها .... »[٤] .

وابتدأ باشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسـماء آبائه ، ثم يمضي في منهجة في شرح اسماء القبائل الاخرى ومن تفرع عنهـا من الاعلام المشهورة . وفي ذلك عدة فوائد منها خاص بالانساب ومنها خاص بكثير من المعارف التأريخية النادرة .

وقـد ذكر السيوطي في المزهـر[٣] ما كتب في الاشتقاق ، وهـذه الـكتب تؤلف مجموعة ضخمة في هذا الباب ، مبتدئا بابي العباس الفضل بن محمد بن عـامر الضبي ، المتوفى سـنة ١٦٨ هـ الـذي ألف في « الاشتقاق » . ثم ذكـر سائر الذين كتبوا في هذه المـادة منهم : قطـرب والاصمعي والاخفش الاوسط وغيرهم . على انه لابد من الاشارة الى أن « اللغة » قد استحوذت على الجانب العظيم من هذه الدراسات .

ولا بد من العودة الى موضوعنا فنقول : ان للشمالي الافريقي تاريخاً حافلاً قبل الفتح العربي فهناك الفينيقيون ثم الرومان ثم الفتح الاسلامي . واذا عرفنا ان البربر يؤلفون مادة ضخمة في هذه الاقاليم أمكننا أن نعرف ما خلفت هذه الاقوام من تراث تاريخي . غير انه من المسلم به ان هـذه الاقاليم حين اسلمت اتصلت بالعرب وبالمشرق العربي اتصالاً وثيقاً حتى ظهرت العربيـة بجلاء وطبع الناس بها ، وصارت اللغة السائدة ، وتخلفت اللهجات البربرية أمام لغة الدين الجديد الذي اعتنقه الافريقيون وأحبوه ،

---

(٢) الاشتقاق ص ٣ .
(٣) السيوطي ، المزهر ١/٣٥١ .

وعكفوا عليه ، وجاهدوا في سبيله ، وان تنكروا له وقاوموه ابان الفتح .

وهكذا امتدت العربية أو قل انتشر العرب فى هذه الديار ، وقد تهيأ لهؤلاء البربر أن يندسوا في المجتمع الاسلامي فاختلطوا مع جيش الفتح . وطبيعى أن يكون فى هذه الديار عربية قد ورثت من هذه اللغات القديمة شيئاً . ومن هذه المخلفات ما ورد فى الاعلام فى هذه الديار ، وسنتبين ذلك فى عرضنا لهذه المسألة .

من الملاحظ فى الأعلام التونسية وفى سائر الشمالى الافريقى انها مصدرة بالباء . وهذه الباء مختصرة من « ابن » احياناً كما فى : « بلحاج » وهو « ابن الحاج » ، و « بلقاضى » وهو « ابن القاضى » و « بلخوجه » وهو « ابن الخوجه » ، و « بلعجوزه » وهو « ابن العجوزه » . وهذه المسألة اللغوية عربية قديمة فقد سمع « بلحارث بن كعب » و « بلعنبر » و « بلهجيم » وغيرها .

وحذف نون « ابن » على هذا النحو قد عرض لكثير من الشعراء وقد فسر بادغام النون باللام لان هذا النون لا يطوى الا اذا وليه الاسم محلى بالاداة ، وقد نسبت هذه اللغة الى « بلحارث بن كعب » فمن المنسوب للشاعر العربى قوله[1] :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها
لخادمها : قومي اسألي لي عن الوتَرِ

وقوله[2] :

ومِلآن فاضرب لي ولا تخلفنّي
لدى شعبة الاصغاء ان شئت موعدا

وقد ترد هذه « الباء » وهى مختصرة عن « ابو » كما فى : « بلخير »

---

(١) انظر ديوان العرجي (بتحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي بغداد ١٩٥٦) ص ١٧٨ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ .

وهو ابو الخير ، وفي « بلعيد » وهو ابو العيد و « بلقاسم » وهو بو القاسم .

واضافة « ابو » على هذا النحو لم يأت لغرض الكنية ، ذلك ان هذا هذا التركيب يفيد العلمية كثيرا وربما أفاد اللقب أيضا فهناك الكثير ممن يسمون بـ « بلقاسم » وهو ابو القاسم .

وهذه التسمية ترد في القطر التونسي في اسماء قبور الاولياء أو المرابطين مصدرة بـ « سيدي »[٣] مثل : سيدي بو سعيد[٤] ، سيدي بلحسن[٥] . ووجود القبور لهؤلاء الاولياء في أماكن معلومة جعل هذه الاماكن تسمى بهذه الاسماء .

وتعرض كلمة « بو » في اعلام القبائل نحو : بني بو يوسف ، واولاد بو علي ، واولاد بو سالم وآيت بو مهدي . ولابد من الوقوف على التركيب الاخير فهو مصدر بكلمة « آيت » وهي كلمة بربرية تعني « ابن » وهذه الكلمة نسمعها احياناً متوسطة بين علمين للدلالة على « ابن » في العربية ومن ذلك اسم المجاهد الجزائري « حسين آيت أحمد »[١] .

كما ترد « بو » في اسماء الامكنة مع كلمات هي : برج ، دار ، بير نحو : برج بو خليفة ، برج بو ريال ، بير بو حامد دار ملوار ،

---

(٣) تلفظ « سيدي » بتخفيف الياء الاولى على الطريقة العامية في المغرب .

(٤) تلفظ « بوسعيد » باسكان السين على الوجه العامي المعروف وأن « بو » هي « ابو » . والهمزة تحذف دائما .

(٥) تلفظ « بلحسن » بفتح الباء واللام واسكان الحاء .

(١) ان « ايت » تقابل « ابن » وقد احتفظ الافريقيون بهذه الكلمة بين علم الابن وعلم الاب نحو محمد بن القاسم على نحو الاعلام العربية القديمة بخلاف أهل المشرق الذين تخففوا من هذه الكلمة . ومن المفيد ان نشير الى أن أعلامهم تكثر من استعمال الالف واللام على سبيل الزيادة اللازمة نحو الحسين والقاسم والعباس والمنصف والطيب وغير ذلك ، أقول ولكنهم يكثرون من استعمال هذه الأداة ذلك أنهم يضيفونها حتى الى الاعلام التي لم تحل بها في التاريخ القديم نحو ، البشير والحبيب ، والمعروف انهما جاءا مجردين منها نحو أبو تمام حبيب بن اوس ، والنعمان بن بشير .

هنشير بو زيد[2] .

كما تدخل هذه الكلمة فى مادة اللقب دخولاً كبيراً ، فهى تؤلف مع اعضاء الجسم مركبات ينبغى النظر فيها فأنت تسمع أن احدهم يدعى « محمد بو رجل »[3] ، وآخر « بو سن » ومثله « بو خشم » و « بو نيف »[4] و « بو راس » و « بو كراع » و « بو كراعين » و « بو رقيبه » و « بو ذن »[5] و « بو صويبع »[6] و « بو راويس » و « بو راس و « بو راسين » و « بو سنينه » .

كما تدخل ايضاً للدلالة على صفة فى الرجل أو فى المكان كما فى : « بو سنادر » وهو الرجل ذو الاسنان الطويلة المتفرقة ، و « بو دربالة » للرجل ذى الملابس الرثة ، و « بو غزل » للمكان حيث يكثر الغزال ، و « بو نخيله » و « بو جريده » للمكان الذى يكثر فيه النخل ، و « بو حجره » للمكان الذى يكثر فيه الحجر .

وقد ترد هذه الكلمة فى اسماء وديان نحو : بو عرقوب ، بو فيشه ، بو سليمان ، بو رقبه . كما تكون فى مركبات يراد منها التفاؤل نحو : بو السعاده ومثله بو الزهر .

وقد اشرنا الى انها تكون مختصرة مقصورة على الباء فى « بلقاسم »

---

(٢) هذه كلمة افريقية لا نعرفها في المشرق ، وهي تطلق الآن على المزرعة الكبيرة ، وقد حدثني السيد الجليل العلامة حسن حسني عبدالوهاب أنها كانت تطلق قبل هذا العصر على الارض التي تشتمل على مخلفات الآثار القديمة والعاديات .

(٣) تلفظ « رجل » باسكان الراء وهذه مسألة عامة في النطق التونسي في الاسماء الثلاثية على وزن « فعل » بكسر الفاء أو فتحها . فهم يبدؤون بالساكن ومن اجل ذلك يحركون الحرف الثاني بحركة .

(٤) تلفظ « نيف » بكسر النون وتعنى « الأنف » فهو أبو الأنف كناية كبر انفه .

(٥) تلفظ « بوذن » أو « بودن » بالدال المهملة وهي « اذن » الفصيحة فكأنه صاحب الاذن .

(٦) تصغر الاصبع على هذا النحو العامي وتصغيرها الفصيح اصيبعة لان الاصبع مؤنث كما جاء ابن اصيبعة المعروف .

واضيف هنا انها قد تصدر العلم المعرف المبدوء بالنون فيحصل نوع من الادغام فيدغم لام التعريف بالنون كما في « بنّور » بتشديد النون واصله « ابو النور » . وهو معروف مسموع فى اقاليم الشمالى الافريقى .

وقد ترد اعلامهم منسوبة وهذه النسبة على حد العلمية لا تفيد اللقب فمن أعلامهم : العربي والمكي والتهامي والجيلاني والتجاني وغيرها .

ومن اعلامهم ما يجيء على وزن « يفعول » وهذا الوزن على أنه قديم . فقد سمعت أن فيهم من سمي بـ « يحمود » و « يعمور » وفكرة التفاؤل والبركة واضحة في هذين العلمين[١] ، فهما من « الحمد » وهو الشكر لله الذى منّ بالمولود الجديد ، ومن العمر فهم يتفاءلون أن يعيش مولدهم الجديد ويعمر ، ونظير هذا في أعلامنا المشهورة « يحيى » و « يعمر » بفتح الميم[٢] .

ووزن « يفعول » قديم فى العربية وقد جمع الصاغانى اللغوى الاسماء التى وردت عليه فى رسالة صغيرة مثل : يحمور ، ويعفور ، ويربوع ، وغيرها[٣] والدليل على قدمها أنها تخففت الى وزن الفعل المضارع تطوراً اقتضاه مرور الازمان الطويلة فصارت : « يحمر » و « يعفر » بضم العين . ومثل هذا « اليعقيد » و « اليعضيد »[٤] فهما « يفعيل » الذى انتهى الى « يفعِل » بكسر العين .

ومن المناسبات أن نشير الى ان من اعلامهم ما جاء على وزن المضارع مثل « يحمد » وهذا من الاعلام التاريخية القديمة فقد ذكر ابن دريد ان « يحمد » بفتح الميم بطن من الازد[٥] .

---

(١) فكرة التفاؤل في اطلاق العلمية واضحة في الاعلام العربية والاسلامية بصورة عامة .

(٢) ومنه يحيى بن يعمر احد النحويين المتقدمين من اصحاب ابى الاسود الدؤلي .

(٣) انظر كتاب يفعول للصاغاني نشر حسن حسني عبدالوهاب تونس ١٣٤٣ .

(٤) اليعقيد عسل يعقد حتى يخثر ، واليعضيد نوع من البقل .

(٥) ابن دريد ، الاشتقاق ص ١٠ .

ومن هذه الاعلام ما جاء من الاعلام الحميرية فى التاريخ القديم مثل « يحصب » بفتح الصاد وضمها . ومن هذه الاعلام اليمنية الجنوبية « يشجب » بضم الجيم و « يعرب » و « يعفر » بضم الفاء .

ومن القابهم ما يشير الى أصول عرقية فالهلالى والزبيدى والتميمى واليعلاوي ونحو ذلك وهو يشير الى الاصل العربي . و « الجلاصي » و « الغريانى » و « الزرزرى » و « السملالى » و « الغدامسى » و « التكروتى » وغيرها الى أصول بربرية قديمة . و « الزمرلى » و « السطمبولى » و « درغوث » و « الشندرلى » يشير الى أصول تركية . وفيها ما يدل على أصول ايطالية ويونانية واندلسية .

وهم يتلقبون بالمهن والحرف على طريقة المشارقة في هذا الامر مثل الحداد ، والفحام ، والنجار ، والصائغ ، والخضار لبائع الخضر ، والنواورى لبائع الزهور ، والحلايبي لبائع الحليب والبرادعي لصانع البرادع ، و « طرشون » لصاحب العربات وغيرها .

وقد يكون من القابهم او اعلامهم ما يشعر بالضعة أو بصفة نقص مثل : الاصرم ، والاعور ، والاقرع ، والاحدب ، والضراط[٦] ، والاعرج ، والعكروت للمقطوع الاذن ، ومن الظريف ان نذكر أن هذه الكلمة لا تحمل المعنى السافل الذى يعرفه العراقيون ، ومثلها « التراس » للاعزب . وقد يكون من اسمائهم أو القابهم ما يدل على اشياء تافهة مثل : « شريحة » وهى اما التين أو شريحة اللحم ، و « كرموس » وتعنى التين ، و « حشيشة » باسكان الحاء .

وهم يسمو باسماء الشجر والثمار فمن اسمائهم « اللوز » و « الفلفل » و « الزيتون » وغيرها .

ويكثر فى اعلامهم التصغير بزيادة الواو والنون فى آخر الاسم

---

(٦) ورد في صحيفة « برقة » من الصحف الليبية في الجزء المؤرخ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦١ هذا الخبر : « تم ايقاف يوسف الضراط رئيس نادي النصر للرياضة » .

وهو أمر ظاهر فى هذه الاقاليم وقد عرف هذا اللون من الاسماء فى التاريخ الاندلسي فمن ذلك : « وضحون » و « عرضون » و « وهبون » و « جلون » و « بحرون » و « زرقون » و « زيدون » وغيرها . وهذا التصغير معروف فى ديار المشرق ولكن المشارقة لم يكثروا منه على هذا النحو[1] .

اما اعلام الاناث فالجديد منها كالجديد فى ديار المشرق فمن اعلامهم فائزة وأحلام وسعاد وساجدة و « هند » و « مي » وغيرها ، وفي هذا الميدان تعلق بالجديد وأخذ بالجميل من الاسماء من الناحية الصوتية ، واحياء لشيء من التراث القديم .

ولكن الاسماء القروية أو قل الاسماء التى ما زالت بعيدة عن هذا المولد الجديد فهي مفيدة من الناحية اللغوية الاجتماعية فمن ذلك أنهم يسمون بـ « ربح » ودلالة الكلمة معروفة و « خيره » و « زهره » بضم الزاى ، و « صليحه » و « مبروكه » و « شاذليه » نسبة لاحد اصحاب الطرق الصوفية وهى الطريقة الشاذلية ، وغيرها .

ومن اعلامهم للاناث : حمدانه ونزهونه وعثمانه وهذا التأنيث للاعلام المذكرة غير معروف في ديار المشرق .

ومن المفيد أن نلاحظ غرابة القابهم التى لا نستطيع ان نردها الى وجه ولم استطع التزود بفائدة فى هذا الباب ومن ذلك على سبيل المثال : « زنطوط » و « زعطوط » و « قويعه » و « المسفيوى » و « السرموسى » و « الكلبوسي » و « قريصيعه » ومثل هذا كثير يضيق عنه هذا المختصر .

ولا بد أن نشير الى انهم مثل المشارقة من حيث التسمية بالايام فمن

---

(١) وهذا التصغير معروف في الفصيح كما في « زيدون » و « سعدون » ونحو ذلك ، ومعروف في اللغات العامية ألا ترى اننا نصغر « الدرب » على « دربونة » بزيادة التاء مبالغة في التصغير والتحقير ومثل ذلك نقول في « البيت » « بيتونه » .

وهذا التصغير معروف في اللغة السريانية فهم يصغرون « الكتاب » على « كتابونا » .

اسمائهم السبتي والخميسي وهذا على سبيل النسبة للسبت والخميس من الايام وقد قيل لي : ان « العروسي » وهو من الاعلام المشهورة كثيراً يطلق على من ولد يوم الخميس . كما يسمون باسماء الشهور والمناسبات الدينية نحو شعبان ورمضان وصفر والمولدي أو الميلودي لمن ولد في يوم المولد النبوى الشريف .

على أن أكثر الاعلام وروداً هو « محمد » وقد يكون « محمد » جزءاً فى كثير من الاسماء المركبة مثل : محمد الامين ، محمد الطيب ، محمد العربى ، محمد المنصف ، محمد المكى ، محمد الشريف محمد العيّاشى[1] وهذا .

وأنك تجد في أعلامهم شيئا مما هو تاريخي قديم قد زال في الاستعمال فى ديار المشرق مثل : معاوية ، ويزيد ، فقد ترك الناس عندنا التسمية بهذين العلمين لسبب تاريخى معروف .

وهذا العرض لهذه الاعلام يصدق في تونس كما يصدق في الجزائر الى حد بعيد وأنا أضيف الآن ما عندي مما استقريته من أعلام الجزائريين ، وقد أخذت معظمها من الولاية الثالثة التى تمتد ما بين سطيف والجزائر العاصمة .

والملاحظ ان مادة الاعلام فى هذا الجزء هى مادة عربية حتى بين القبائليين انفسهم ، ذلك انهم يسمون بـ « محمد » كثيراً . وتعليل ذلك أنهم أحبوا الاسلام والتزموا به التزاما شديدا وربما فاقوا العرب في هذا ، وقد حدث أن فيهم من تعرب وفارق كل أثر بربرى بل قل صار يتعصب للعرب والمسلمين .

وسأكتفى بما اختص به القبائليون عن غيرهم من اعلامهم وأضيف اليه ما لم اعرض له فى القسم الاول .

(١) والتسمية بمحمد شهيرة كما أسلفنا ، واعظم من هذا أنهم يطلقون « محمدا » على من لا يعرفون اسمه ، فهم اذا أرادوا نداء رجل مار بالطريق لا يعرفون اسمه ينادون بـ « محمد » . اما العياشي فقد سمي بذلك رجاة أن يكتب له العيش والبقاء .

من أعلامهم : « أعراب » بصيغة الجمع وهذا الاسم لا يوجد ألا عند القبائليين واستعماله كثير جداً .

والقبائل يسمون أولادهم « أكلي » ومعناه « العبد » والتسمية بهذا بسبب من ان الام قد فقدت اطفالاً عدة فماتوا وهى تسميه بالعبد ليكتب له البقاء ، ومؤنث « أكلى » هو « تكليث » مبدوء بتاء في الاول وتاء في الآخـر .

ومن اختصاصاتهم أنهم يسمون « أحمد » ويستحيل عندهم هـذا الاسـم التاريخي المشهور الى نطق محـلي ربمـا كان بسبب من التحبب والتصغير هو « حميمى » .

ومن اعلامهم ما هو غريب فى تركيبه نحو : « لتامن » من أعلام الرجال والـكلمة مركبة منحوتة من جملة هي : « لا تأمن » ثم خففت اللام وخففت الهمزة .

وتعليل هذا ان ولادة المولود قد صادفت اندلاع شر لايأمن مصيره الناس فتأثرت التسمية بهذا . ومثل هذا يحصل فى كثير من الاقاليم .

ومن اعلامهم الخاصة « أمزيان » وهى قبائلية معناها « الصغير » ، ومنها « أمقران » ومعناها الـكبير وهـم يسمون بهـا ويركبونها مـع « محمد » فيقولون « محمد أمزيان » و « محمد أمقران » ، كما يقولون : « محمد أكلى » أى محمد العبد . وقد تحذف محمد من هذه المركبات كما تحذف الهمزة من « أمزيان » و « أمقران » فيصبحان « مزيان » و « مقران » .

أما « أكلى » فهى العبد كما أشرنا والهمزة فى اولها للتعريف وهى فى حالة التنكير « وكلى » بالواو .

ومن هذه الاعلام القبائلية « يذير » وهو فعل في الاصل ومعناه يبقى ويحيى ويسمى بهذا تفاؤلاً بالعيش والبقاء .

ومن اعلام الاناث عندهم « أم الخـير » ومن الغريب انهـم يطلقونه للبنت الصغيرة .

ومن هذه الاعلام المؤنثة الغريبة « بعوشة » ودلالة البعوشة على الدودة الصغيرة في اللغة القبائلية . وعندهم ان « كلثوم » تستحيل الى « توتو » .

ومن هذه الاعلام المؤنثة « تستعدث » وهي كلمة قبائلية معناهـا « سعيدة » ، وكذلك استعمالهم « علجية » علما لانثي والـكلمة من أصل قبائلي هو « ثعلجت » ويعنى الدمية الصـغيرة والثاء الاول للدلالة على التأنيث عندهم •

والآثار البربرية تظهر في استعمال « آيت » بمعنى « ابن » بصـورة واضحة كما بينا •

ومن الطريف ان نختم هذا الفصل بأسماء اليهود في هذه الاقاليم • ومن المعروف ان اليهود قد سكنوا هذه البلدان منذ أزمنة قديمة وساكنوا العرب المسلمين فتأثروا بهم في العادات واللغة والامور الاجتماعية الاخرى • فاذا عرضنا لاعلامهم وجدنا آثار هذا التأثر ، فهم وان كانوا يستعملون الاعلام العبرانية الا أنهم أخذوا من العربية الشيء الـكثير ، وهذا المأخوذ من العربية صار مختصا بهم • وهم يخلطون هذا الاثر العربي باعلامهم العبرية كما أشرنا أو بما اقتبسوه من الاعلام الاوربية وسنعرض في هذا المختصر لذلك •

فمن اعلامهم : « بولاقيا جوزيف » والاسم الاول هو « بولاقيا » وهو مصدر بكلمة « بو » وهي « ابو » على الطريقة المغربية العربية ثم يركب مع « جوزيف » وهو النطق الاوربي لـكلمة « يوسف » • وبهذا يكون « بولاقيا » لقب عليه •

ومثـل ذلك « بسيس هنري » وبسيس بالتصـغير من أعـلام المسلمين ولـكنهم أخذوه وركبوه مع « هنرى » هو علم اجنبى مسيحى اوربى .

ومن اعلامهم « بشموط » وهو علم يهودى عبرى ولـكنهم يستعملونه استعمال اللقب فيضيفون اليه اسماء اوربية منها : « الفرد » و « فكتور » و « البرت » و « مويس » وهذا العلم الاخير هو عبرى فى الصيغة الاوربية وهو « موسى » وفى العبرية « موشى » .

ومما اختصوا به من الاعـلام استعمالهم « قسطون » وهـو يهودى ولـكن صيغته عربية ذلك انه مختوم بالواو والنون على نحو ما عرفنا في

الاعلام المغربية والاندلسية .

وقد يستخدمون الاسلوب المغربى فى الاعلام وذلك كما فى الاعلام المصدرة بكلمة « ابو » كما فى « بلعيش » ومعناها « ابو العيش » تفاؤلاً بالعيش وهذا من اعلام المسلمين الذى ما زال معروفاً بين المسلمين ، ولكن اليهود يستعملونه مضافاً الى علم آخر عبرانى أو اوربى فيقولون : « بلعيش غزلان » وغزلان من اعلامهم اليهودية كما يقولون : « بلعيش البرت » .

ويستعملون العلم العربى المصدر بكلمة « ابن » بحيث تكون هذه « الابن » جزءاً من الكلمة تكتب ممزوجة معها فى الرسم فيقولون « بنعطار فكتور » و « بنعطار رينه » مع الاسم الاوربى وبهذا يكون « بنعطار » لقباً من الالقاب .

ومن المفيد ان نشير الى انهم يستعملون الفاظ الحرف للدلالة الاسمية أو اللقبية اسوة بالمسلمين كما بينا ، غير ان اليهود يجردون هذه الالفاظ من اداة التعريف دائماً بخلاف المسلمين فيقولون : « حداد شارل » و « حطاب ايلى » و « دباش ماكس » والدباش عندهم بائع السلع المختلفة مما يصلح للحياة المنزلية والكلمة مغربية ، فالادباش عندهم أدوات المنزل والامتعة الخاصة . وكذلك يستعملون : « خياط جورج » .

وقد اشرنا الى أنهم يستعملون الاعلام المختومة بالواو والنون ومن ذلك ما هو مختص بهم مثل « قسطون » ومنه ما هو مشترك بينهم وبين المسلمين مثل « خلفون » و « حيّون » و « زغدون » و « زيتون » و « سعدون » و « ميمون » . على انهم يختصون بـ « هيبون » و « هيقون » و « هنون » و « درمون » وهذا العلم الاخير هو أوربى الاصل هو "Darmond" والدال الاخيرة لا تلفظ في الفرنسية . وفي هذا العلم لون من ألوان التخفي . والتخفي يحصل في انهم يبدلون أعلامهم ذات الصيغة العربية بابدال حروفها وابدال طريقة نطقها فتصبح كأنها أجنبية مثال ذلك أنهم يسمون « بوكبزه » وهذا العلم آت من « بو خبزة » اى صاحب الخبز وقد اختص اليهود المغاربة بهذا العلم وحولوه الى هذا الشكل ، على ان منهم من لا يزال محتفظاً بالعلم على صورته العربية .

ومن هـذا التخفي أن من أعلامهـم العربية « طيبى » وهو منسوب للطيب أى بائع الطيب أو صانعه وكثير من اليهود المغاربة من سمى بهـذا العلـم عدلوا الآن عن الطـاء الى التاء فصارت « تيبى » ثم يضـيفون اليها علماً آخـر من العبرية أو الفرنسية كـأن تسمع : « تيبى شارل » و « تيبى ليفى » و « ليفى » اسم عبرانى بالاسلوب الاوربى وفى العبرية هو « لاوى » المعروف قديماً وحديثاً بين اليهود ، واللاوى فى العبرية منسوب الى اللاويين وهم جماعة من رؤساء اليهود فى تاريخهم القديم .

ومن أعلامهم العربية التى استعملوها مع المسلمين بالاشتراك « طيب » ولـكنهم يجردونه من الالف واللام خلافاً للمسلمين ثم يضيفون اليه علماً آخر اوربياً على الاكثر فيقال : « طيب جاك » .

ويستعملون : « سعادة هنرى » و « علوش ايزاك » والعلوش فـي اللغات العامية الافريقية يعنى « الخروف الصغير » ومثل هذا كثير .

ومن المفيد ان نعرض لشيء من الاعلام العربية التى اخذها الافارقة المسلمون فسموا بها فاكتسبت طريقة أخرى فى النطق والاستعمال . ففى غينيا وهي جمهورية مستقلة كانت تابعة للحكم الفرنسي أن للغينيين المسلمين طريقتهم في اطلاق الاعلام العربية الاسلامية .

وها نحن ندرج هذه الاعلام العربية الغينية مع طريقة النطق المحلية :

أعلام الذكور

العلم	طريقة النطق	
محمد	مامادي	Mamadi
محمود	مامودو	Mamoudou
خليل	كالو	Kader
شيخ	سيكو	Sekou
طالب	طالبي	Talibi
الامين	لامين	Lamin
القادر	كادِر	Kader
أحمد	أمادو	Amadou

ابراهيم	ابرايما	Braïma
صديق	صديقى	Sidiki
عبدالله	بورلاي[1]	Bourlay
سعيد	سعيدو	Sédou
سليمان	سولمانا	Solamana
عثمان	انسمانا	Ansamana
الحسن	لانسينه	Lansiñé
الحسين	لانسانى	Lansani
ضياء	دِ يا	Dia

أعلام الاناث

العلم	طريقة النطق	
حواء	هوى	Hawa
آمنة	مناتا	Minata
رقية	روكيتو	Rokétou
خديجة	كديا	Kedia
زينب	جنبو	Dijinabou
فاطمة	فنتا	Fanta
سعاد	سوادو	Souwadou
رحمة	رماتا	Ramata
عائشة	آيستا	Aïssata

(١) وفي هذه الحالة تبدل العلم (عبدالله) الى شيء آخر ، ومعنى ذلك ان من كان اسمه عبدالله لا يلفظ في تلك الجهة الا باسم « بورلاي » .

فائدة : في موريتانيا المغربية وهي الكائنة في الجنوب محاذية للسنغال شعب عربي عرف بشعب شنقيط ومنهم الشيخ ابن التلاميذ الشنقيطي اللغوي الشهير . وهؤلاء اميل الى البدو منهم الى الحضر وعربيتهم بدوية سليمة قريبة من الفصيحة بسبب انتشار التعليم الديني بينهم . ومن عاداتهم في الاسماء أنهم يستعملون كلمة « ولد » بمعنى « ابن » فيقولون : « المختار ولد دادا » وهو اسم رئيس الجمهورية عندهم ، ويقولون : « محمد ولد دادا » و « محمد ولد مكي » و « دادا » من اعلامهم المعروفة .

فوح الشذا بمسألة كذا
لابن هشام الانصاري

تحقيق
أحمـد مطلوب
مدرس في قسم اللغة العربية

مقـــدمة

ان دراسة الادوات في اللغة العربية مهمة جدا ، لانها السبيل الى تفهم أساليبها وتذوقها وادراك ما فيها من روعة وجمال • وقد اهتم العرب منذ القديم بدراستها وكان لعلماء اللغة كلام عليها ، وللنحاة بحوث مستفيضة في معانيها واستعمالاتها . غير انهم لم يجمعوا الادوات ويضموا الاشباه الى الاشباه ، وانما بحثوها كما املاها عليهم منهجهم اللغوي أو النحوي • ومن هنا نرى الادوات الدالة على معان واحـــدة أو متقاربة مبعثرة في أبواب مختلفة • ولعل كتـــاب « مغني اللبيب عن كتب الاعاريب » لابن هشـــام الانصاري (٧٦١ هـ)[1] ، اكثر كتب النحو اهتماما بدراسة الادوات . وقد حاول المؤلف ان يبحثها بالتفصيل مبيناً معانيها واستعمالاتها ، ورتبهـا ترتيبا معجميا لتسهل على الدارسين معرفتها والاستفادة منها • ولم يقف ابن هشام عند هذا ، وانما كتب رســائل في موضوعــات مختلفة منها رســالة « فوح الشذا بمسألة كذا » .

و « كذا » من الادوات التي تحمل عدة معان ، جاء في لسان العرب

---

(١) هو أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ابن هشام الانصاري ، ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٩) ، ونشأ فيها وتلقى علومه • وكان نحويا كبيرا له عدة مؤلفات منها مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، وأوضح المسالك الى ألفيه ابن مالك ، وشذور الذهب ، وشرح قطر الندى وغيرها • توفي في ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة (١٣٦٠م) •

لابن منظور : « الليث : العرب تقول كذا وكذا وكافهما كاف التشبيه و « ذا » اسم يشار به . الجوهري : قولهم كذا كناية عن الشيء تقول : فعلت كذاوكذا ، يكون كناية عن العدد فتنصب ما بعده على التمييز . تقول : له عندي كذا وكذا درهما ، كما تقول : له عندي عشرون درهماً . وفي الحديث: نجيء أنا وأمتي يوم القيامة على كذا وكذا . قال ابن الاثير: هكذا جاء في مسلم كأن الراوي شك في اللفظ فكنى عنه بكذا وكذا . وهي من ألفاظ الكنايات مثل كَيْتَ كَيْتَ ، ومعناه مثل ذا . ويكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به . قال أبو موسى : المحفوظ في هذا الحديث : نجيء أنا وأمتي على كوم . أو لفظ يؤدي هذا المعنى . وفي حديث عمر : لا تَذْعَروا علينا ابلنا ، أي حسبكم . وتقديره دع فعلك وامرك كذاك . والكاف الاولى والآخرة زائدتان للتشبيه والخطاب والاسم « ذا » . واستعملوا الكلمة كلها استعمال الاسم الواحد في غير هذا المعنى . يقال رجل كذا خسيس ، واشترِ لي غلاماً ، ولا تشتره كذاك ، أي ولا تتجاوزه . والكاف الاولى منصوبة الموضع بالفعل المضمر . وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه يوم بدر : يا نبي الله كذاك ، أي حسبك الدعاء فان الله منجز لك ما وعدك »[٢] .

واهتم النحاة ببحثها منذ عهد سيبويه وتكلم ابن هشام عليها في كتاب « مغني اللبيب »[٣] وذكر انها ترد على ثلاثة أوجه :

احدها : ان تكون كلمتين باقيتين على اصلهما وهما كاف التشبيه و « ذا » الاشارية كقولك : « رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا » وقوله :

واسلمني الزمان كذا   فلا طرب ولا انس

وتدخل عليها « ها » التنبيه كقوله تعالى « أهكذا عرشك » .

الثاني : ان تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير

(٢) لسان العرب (كذا) .

(٣) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ج ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

عدد كقول ائمة اللغة : قيل لبعضهم أما بمكان كذا وكذا وجذ[٤] ؟ فقال : بلى وجاذا ، فنصب باضمار اعرف . وكما جاء في الحديث : انه يقـال للعبد يوم القيامة أتذكر يوم كذا وكذا ؟ فعلت فيه كذا وكذا .

الثالث : ان تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن العدد فتوافق « كأي » في أربعة أمور : التركيب والبناء والابهام والافتقار الى التمييز . وتخالفها في ثلاثة أمور :

احدها : انها ليس لها الصدر تقول : قبضت كذا وكذا درهما .

الثاني : ان تمييزها واجب النصب فلا يجوز جره بـ « من » اتفاقاً ، ولا بالاضافة خلافا للكوفيين ، أجازوا في غير تكرار ولا عطف ان يقال : كذا ثوب وكذا أثواب ، قياسا على العدد الصريح ، ولهذا قال فقهاؤهم انه يلزم بقول القائل : « له عندي كذا درهم » ، مائة . وبقوله : «كذا دراهم» ، ثلاثة . وبقوله : « كذا كذا درهما » ، أحد عشر . وبقوله : « كذا درهما » ، عشرون . وبقوله : « كذا وكذا درهماً » ، احد وعشرون ، حملاً على المحقق من نظائرهن من العدد الصريح . ووافقهم على هذه التفاصيل ـ غير مسألتي الاضافة ـ المبرد والاخفش وابن كيسان والسيرافي وابن عصفور ، ووهم ابن السيد فنقل اتفاق النحويين على اجـازة ما اجازه المبرد ومن ذكر معه .

الثالث : انها لا تستعمل غالباً الا معطوفاً عليها كقوله :

عد النفس نعمى بعد بؤساك ذاكراً   كذا وكذا لطفاً به نسي الجهد

وزعم ابن خروف انهم لـم يقولوا « كذا درهمـاً » ولا « كذا كذا درهماً » . وذكر ابن مالك انه مسموع ولـكنه قليل .

وألف أبو حيا نالنحوى الاندلسى (٧٤٥ هـ) رسالة فى « كذا » سماها : « الشذا فى أحكام كذا » . ولا نعرف ما فى هذه الرسالة ؟ لانها لم تصلنا ، ولم نعثر عليها في فهارس كثير من مكتبات العالم .

---

(٤) الوجذ : النقرة في الجبل .

وصلتنا رسالة « فوح الشذا بمسألة كذا » لابن هشام الانصاري ، وقد وضعها بعد ان اطلع على رسالة ابي حيان . يقول : « وبعد فاني لما وقفت على كتاب « الشذا في أحكام كذا » لابي حيان رحمه الله تعالى ، رأيته لم يزد على انسج أقوالاً وحدها وجمع عبارات وعددها ولم يفصح كل الافصاح عن حقيقتها واقسامها ، ولا بيّن ما يعتمد عليه مما اورده من أحكام ، ولا نبه على ما أجمع عليه أرباب تلك الاقوال واتفقوا ، ولا اعرب عما اختلفوا فيه وافترقوا . فرأيت الناظر لا يحصل منه بعد الكد والتعب الا على الاضطراب والشغب ، فاستخرت الله في وضع تأليف مهذب ابيّن فيه ما اجمل ، واستئناف تصنيف مرتب اورد فيه ما اهمل وسميته « فوح الشذا بمسألة كذا » ، وبالله تعالى استعين ، وهو حسبي ونعم المعين » .

والرسالة في خمسة فصول : تكلم في الاول على استعمالات « كذا » . وفي الثاني على كيفية اللفظ بها وتمييزها وذكر الاقوال في ذلك . وفي الثالث تكلم على اعرابها . وفي الرابع على بيان معناها عند النحويين . وفي الخامس فيما يلزم بها عند الفقهاء .

وابن هشام في هذه الفصول الخمسة ، يعرض الوجوه والآراء المختلفة ويناقش النحاة ويبيّن رأيه وتوجيهاته .

واختلف في عنوان الرسالة . فذكر ابن هشام انها « فوح الشذا بمسألة كذا » ، وذكر بعض من ترجم له انها « فوح الشذا في مسألة كذا » ، وذكر آخرون انها « الشذا في أحكام كذا »(٥) .

والرسالة من الرسائل العديدة التي أودعها السيوطي كتابه « الاشباه والنظائر »(٦) غير ان فيها تصحيفاً واضطرابا قليلا . وفي مكتبة ليدن مخطوطة لها برقم "OR. 2516" وهي ست صفحات خطها ليس بالجيد ، وعلى هاتين النسختين اعتمدنا في اخراج هذه الرسالة .

---

(٥) تأريخ الادب العربي لبروكلمان ج ٢ ص ٣١ (الطبعة الالمانية) ودائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٩٧ ، ومعجم المطبوعات ج ١ ص ٢٧٦ .

(٦) الاشباه والنظائر ج ٤ ص ١١١ ـ ١٢٢ .

ولرسالة « فوح الشذا بمسألة كذا » أهمية فى دراسة الاداة ، وتأتى أهميتها بالدرجة الاولى في ان كاتبها عرض فيها الآراء المختلفة ونقل عن جماعة قد لا نعثر على آرائهم في كتاب آخر ، ومن هنا كانت لها أهميتان :

الاولى : انها تبحث احدى أدوات اللغة العربية بحثا مفصلا .

والثانية : انها تعرض الآراء المختلفة وتظهر وجهات نظر النحاة ، مما لا يمكن العثور عليه فى كثير من كتب النحو والموسوعات اللغوية .

ولعلنا فى تحقيق هذه الرسالة نقدم خدمة للغتنا الحبيبة ، ولاجيالنا العربية الصاعدة . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

أحمد مطلوب

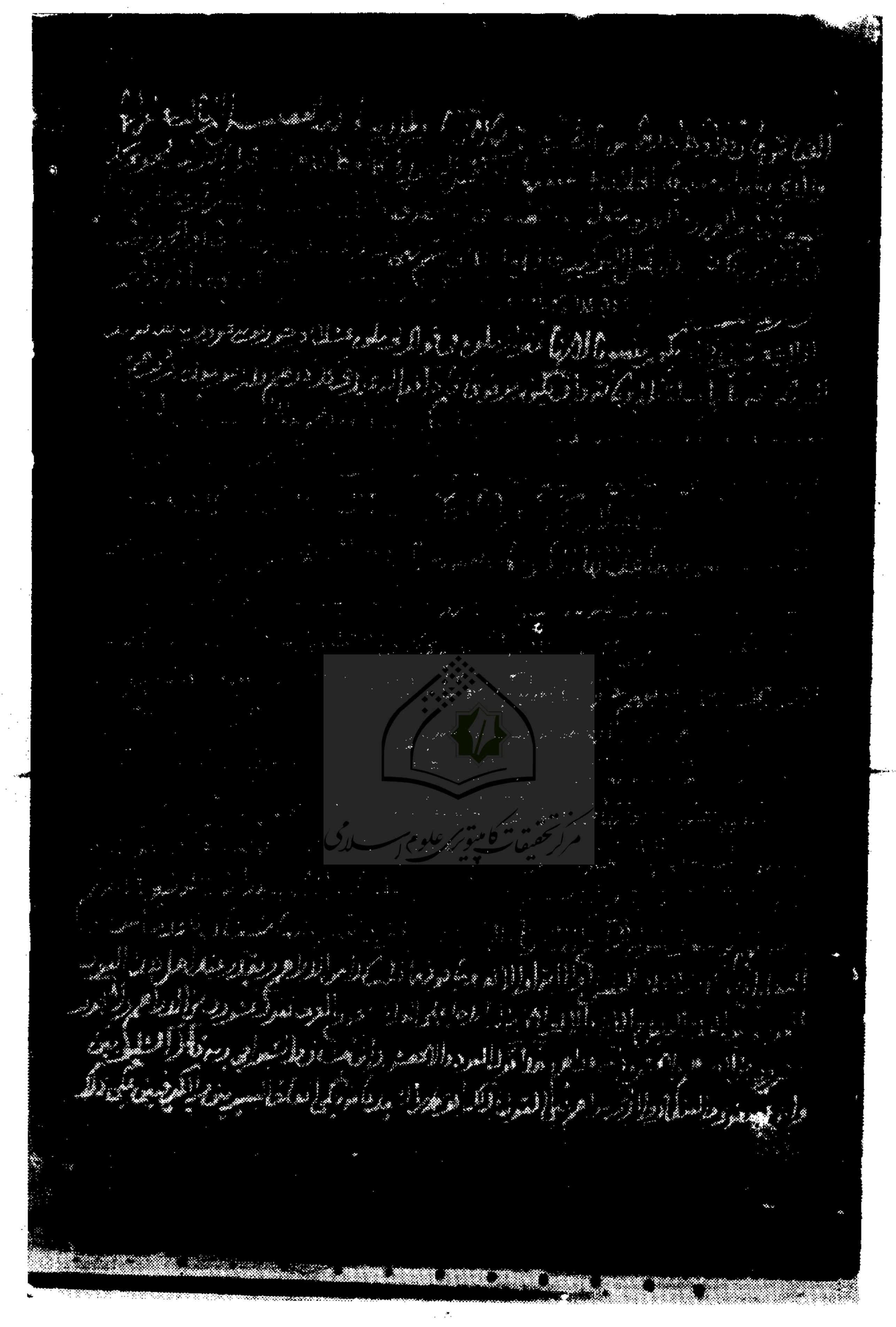
بغداد في ٥ شباط ١٩٦٣م
١١ رمضان ١٣٨٢هـ



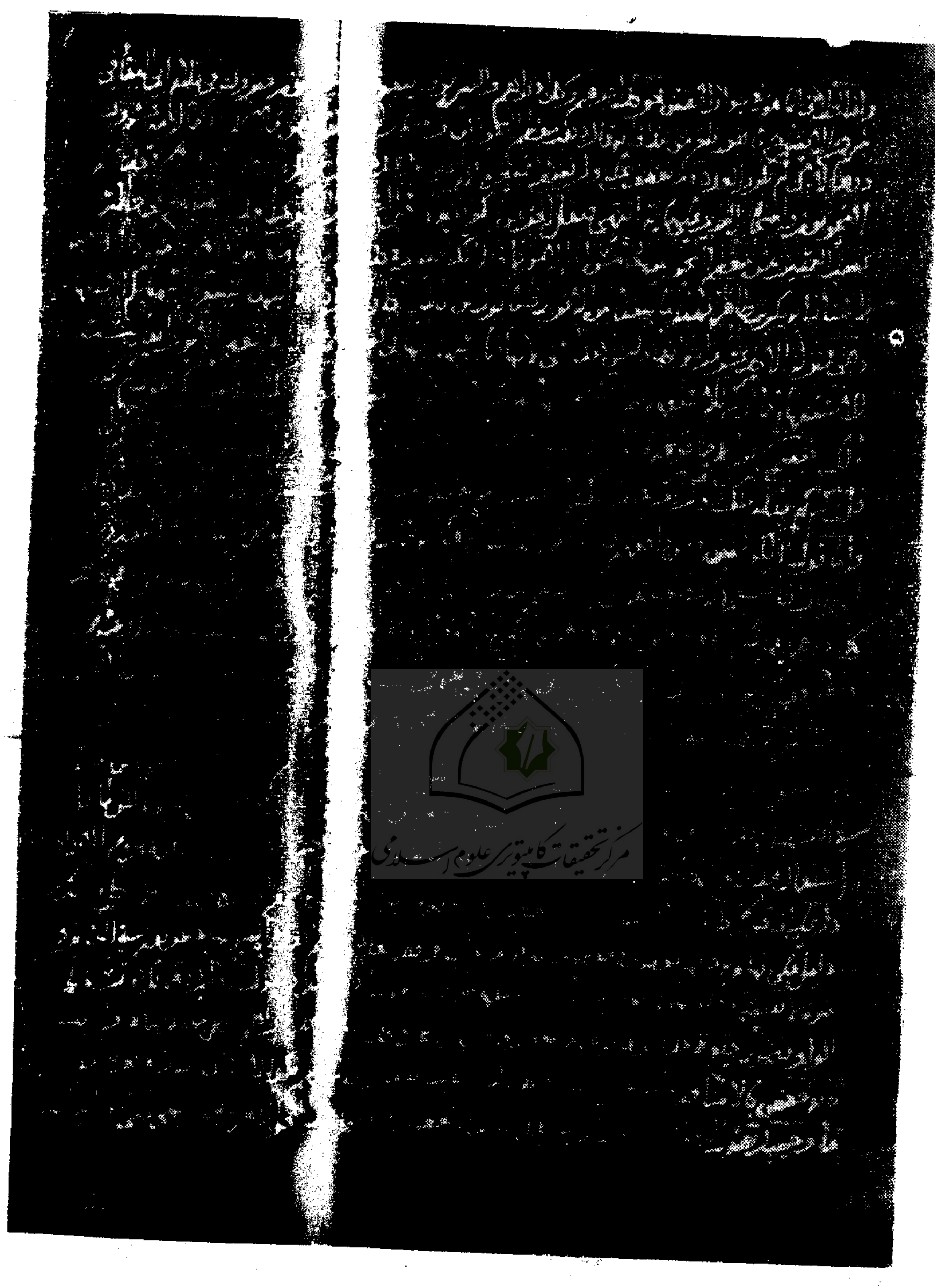
(١)
مخطوطة ليدن

(٢)
مخطوطة ليدن

(٣)
مخطوطة ليدن



(٤)
مخطوطة ليدن



(٥)
مخطوطة ليدن

(٦)
مخطوطة ليدن

رســـــالة

فوح الشذا بمسألة كذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وذويه[1] .

وبعـد : فاني لما وقفت على كتاب « الشذا في أحكام كذا » لابي حيان[2] رحمه الله تعالى ، رأيته لم يزد على ان نسج أقوالاً وحدها وجمع عبارات وعددها ، ولم يفصح كل الافصاح عن حقيقتها وأقسامها ، ولا بيّن ما يعتمد عليه مما أورده من أحكامها ، ولا نبّه على ما أجمع عليه أرباب تلك الاقوال واتفقوا ، ولا أعرب عما اختلفوا فيه وافترقوا . فرأيت الناظر لا يحصل منه بعد الـكد والتعب الا على الاضطراب والشغب ، فاستخرت الله في وضع تأليف مهذّب أبيّن فيه ما أجمل ، واستئناف تصنيف مرتب اورد فيه ما اهمل ، وسميته « فوح الشذا بمسألة كذا » وبالله تعالى استعين ، وهو حسبي ونعم المعين . [ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم][3] .

وينحصر في خمسة فصول .

---

(١) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : قال الشيخ جمال الدين ابن هشام رحمة الله عليه . بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الاندلسي أثيرالدين أبو حيان من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . ولد في احدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ وتوفي بمصر سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) . لـه شرح التسهيل والارتشاف والبحر المحيط وغيرها .

(٣) الزيادة من الاشباه والنظائر .

الفصل الاول

في ضبط موارد(٤) استعمالها

اعلم ان لـ « كذا » استعمالين :

احدهما : ان يستعمل كل من جزئيها على أصله فيراد بالكاف التشبيه ، وبـ « ذا » الاشارة ، ولا يراد بمجموعهما الكناية عن شيء . فهذه بمعزل عما نحن فيه ، وذلك كقولك : « رأيت زيداً فقيراً وعمراً كذا » . وقول الشاعر :

واسلمني الزمانُ كذا فلا طَرَبٌ ولا أُنْسُ(٥)

ويكون اسم الاشارة في هذا النوع باقياً على معناه يصح ان يسبقه حرف التنبيه وان يليه كاف الخطاب ولام البعد . الا ترى انك لو قلت في المثال : « ورأيت عمراً هكذا أو كذاك وكذلك » . وقلت في البيت : « واسلمني الزمان هكذا » ، كان مستقيماً الا ان حرف التنبيه هنا متقدم على الكاف كما « أريتك »(٦) ، وانما القاعدة فيه مع سائر حروف الجر ان يتأخر عنها كقولك « بهذا ولهذا » ، الا في هذا الموضع خاصة . قال أبو الطيب(٧) .

[من الخفيف] :

ذي المعالي فليعلوَنْ مَنْ تعالى
هكذا هكذا ، والاّ فلا لا(٨)

والثاني : ان يخرج كل من الجزئين عن أصله ، ويستعمل المجموع كناية . وهذه على ضربين :

---

(٤) كذا في الاشباه والنظائر ، أما في المخطوطة : مورد .
(٥) ذكره ابن هشام في مغني اللبيب ج ١ ص ١٨٧ .
(٦) في المخطوطة : كما أرأيتك . والتصحيح من الاشباه والنظائر .
(٧) الشاعر العربي الكبير . ولد سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) ، وقتل سنة ٣٥٤هـ (٩٦٥م) .
(٨) البيت مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة . (ديوان المتنبي ج ٣ ص ١٣٤) .

احدهما : ان تكون كناية عن غير عدد كقولك : « مررت بدار كذا »[٩] . واعتقادي في هذه انها انما يتكلم بها من يخبر عن غيره ، وانها تكون من كلامه لا من كلام المخبر عنه . هذا الذي شهد به الاستقراء وقضى به الذوق الصحيح ، فلا يقول أحد ابتداء : « مررت بدار كذا ولا بدار كذا وكذا » ، بل يقول : بالدار الفلانية . ويقول من يخبر عنه : « قال فلان مررت بدار كذا أو بدار كذا وكذا » ، وذلك لشأن اعترى المخبر أو لغير ذلك . ومنه ما ورد[١٠] في حديث الحساب أعاذنا الله من سوء فيه : « أتذكر يوم كذا وكذا ؟ فعلت فيه كذا وكذا »[١١] . وقول من قال : « أما بمكان كذا وكذا وَجْذ ؟ »[١٢] ، انما الكناية فيه من كلام من حكى عن غيره . الا ترى انهم حكوا انه قيل له في الجواب : « بلى وِجاذا »[١٣] . ولو كان السائل كافياً لم يعلم مراده ، ولم تقبح اجابته بالتعيين . ودعوى ان المسؤول علم ما كني به على خلاف الاصل والظاهر . وغلط جماعة فجعلوا من هذا القسم[١٤] قوله : « واسلمنى الزمان كذا » . والحق ان ذلك ليس من الكناية في شيء وقد مضى .

الضرب الثاني : وهو الغالب ، ان يكنى بها عن عدد مجهول الجنس والمقدار ، وهذه والتي قبلها مركبتان من شيئين : احدهما الكاف ، والظاهر انها الكاف الحرفية [١] المفيدة للتشبيه ؛ لانها القسم الغالب من أقسام الكاف كما ركبوها مع « أن » في « كأنّ » في نحو قولك : « كأنّ زيداً أسدٌ » .

---

(٩) في المخطوطة والاشباه والنظائر : بذا كذا .

(١٠) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : جاء .

(١١) كذا في المخطوطة والاشباه والنظائر ، أما في مغني اللبيب ج ١ ص ١٨٧ : وكما جاء في الحديث : « انه يقال للعبد يوم القيامة : أتذكر يوم كذا وكذا ؟ فعلت فيه كذا وكذا » .

(١٢) الوجذ : النقرة في الجبل تمسك الماء ويستنقع فيها ، وقيل هي البركة ، والجمع وجذان ووجاذ .

(١٣) قال سيبويه : « وسمعت من العرب من يقال له : أما تعرف بمكان كذا وكذا وجذاً ؟ وهو موضع يمسك الماء ، فقال : بلى وجاذا أي أعرف بها وجاذا » ينظر اللسان مادة وجذ .

(١٤) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : الاسم .

والثاني : ذا التي للاشارة كما ركبوها مع « حبّ » في « حبّذا » ومع « ما » في نحو « ماذا صنعت ؟ » في أحد التقادير . ولا يحكم على « ذا » بانها في موضع جر ، ولا على الكاف بانها متعلقة بشيء ولا بان فيها معنى التشبيه ، وان كان باقياً بعد التركيب في « كأنّ » الا انه لا معنى له هنا فلا وجه لتكليف ادعائه لان التركيب كثيرا ما يزيل معنى المفردين ويحدث مجموعهما معنى لم يكن . ويحكم على مجموع الكلمتين بانه في موضع رفع أو نصب أو جر بحسب العوامل الداخلة عليها ، ويدل على ان الامر كذلك أمور :

أحدها : ان « ذا » لا تؤنث لتأنيث تمييزها ، تقول له : « عندي كذا وكذا أَمَةً » ولا تقول : كذه وكذه » .

الثاني : انها لا تتبع بتابع ، لا يقولون : « كذا نفسه رجلاً » .

الثالث : انهم قالوا : « انّ كذا وكذا مالُك » برفع المال ، ذكره أبو الحسن في المسائل .

الرابع : انهم قالوا : « حسبي بكذا » فادخلوا عليها الجار . ذكره أبو الحسن ايضاً .

الخامس : انهم يقولون : « كذا وكذا درهماً » مع انهم لا يركبون ثلاثة أشياء ، فما ظنك بأربعة ، فلولا ان « كذا » قد صارت بمنزلة الشيء الواحد لم يسغ ذلك .

وذهب جماعة من النحويين الى ان الكاف و « ذا » كلمتان باقيتان على اصلهما من غير تركيب ، ثم اختلفوا على أقوال :

أحدها : ان الكاف حرف تشبيه ، وان معنى التشبيه باقٍ[15] ،

---

(١٥) جاء في كتاب سيبويه ج ١ ص ٢٩٨ : « كذا وكأين عملتا فيما بعدهما كعمل « افضلهم » في « رجل » حين قلت : « افضلهم رجلاً » ، فصار « أي » و « ذا » بمنزلة التنوين كما كان « هم » بمنزلة التنوين . وقال الخليل : كانهم قالوا له كالعدد درهما وكالعدد من قرية . فهذا تمثيل وان لم يتكلم به ، وانما تجيء الكاف للتشبيه فتصير وما بعدها بمنزلة شيء واحد . من ذلك قولك « كأن » ادخلت الكاف على « ان » للتشبيه » .

وهذا ظاهر قول سيبويه[١٦] والخليل[١٧] وصريح قول الصفار[١٨] .

بيان ذلك ان سيبويه قال : صار ذلك[١٩] بمنزلة التنوين ؛ لان المجرور بمنزلة التنوين[٢٠] . وقال الخليل : كأنهم قالوا له كالعدد « درهماً » ، فهذا تمثيل وان لم يتكلم به ، وانما تجيء الكاف للتشبيه فتصير وما بعدها بمنزلة شيء واحد[٢١] . انتهى.

وبيان الثاني : ان الصفار لما رد على من جوز[٢٢] « كذا درهم » بالخفض بان اسماء الاشارة لا تضاف ، اعترض على نفسه بان معنى الكاف والاشارة قد زال . واجاب بان المتكلم لابد ان يقدر في نفسه عدداً لها وحينئذ تقول : « له عدد مثل هذا العدد » .

الثاني : ان الكاف اسم بمنزلة « مثل » ، قال ابن أبي الربيع[٢٣] :

(١٦) هو عمرو بن عثمان بن قنبر امام النحاة . ولد في احدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ (٧٦٥م) ، وقدم البصرة فلزم الخليل وصنف كتابه المسمى بالكتاب . توفي سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م) .

(١٧) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي من ائمة اللغة والادب وواضع العروض وكتاب العين . ولد بالبصرة سنة ١٠٠هـ (٧١٨م) ، ومات فيها سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) .

(١٨) في كتاب انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي عدة رجال بهذا اللقب . وأغلب الظن ان المقصود أبو جعفر أحمد بن محمد الصفار تلميذ الزجاج المشهور بالنحاس .

(١٩) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : ذا .

(٢٠) جاء في كتاب سيبويه ج ١ ص ٢٩٧ : « هذا باب ما جرى مجرى « كم » في الاستفهام ، وذلك قولك له : « كذا وكذا درهما » وهو مبهم في الاشياء بمنزلة « كم » وهو كناية للعدد بمنزلة : « فلان » اذا كنيت به في الاسماء . وكقولك : « كان من الامر ذية وذية وذيت وذيت وكيت وكيت . صار « ذا » بمنزلة التنوين لان المجرور بمنزلة التنوين » .

(٢١) ينظر كتاب سيبويه ج ١ ص ٢٩٨ ، وقد مر كلام الخليل في هامش رقم ١٥ .

(٢٢) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : جواز .

(٢٣) عبيدالله بن أحمد بن عبيدالله بن محمد بن عبيدالله الامام أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي الاموي : العثماني الاشبيلي امام أهل النحو في زمانه ولد في رمضان سنة ٥٩٩هـ وقرأ النحو على الشلوبين . مات سنة ٦٨٨هـ . له شرح سيبويه وشرح الجمل .

يظهر لي ان الكاف اسم بمنزلة « مثل » في قولك : « لي مثله رجلاً » .
قال : والاصل ان يقال حيث يكون هناك مشار اليه يساويه[٢٤] ما عندك في العدد .

فالاصل : « له عندي مثل ذا من العدد » ثم جيء برجل تفسير المثل كما قالوا : « مثلك عالماً » .

الثالث : انها اسم ، ولكن لا معنى للتشبيه فيها ، قاله أبو الطيب العبدي[٢٥] . قال : الكاف في نحو « له عندي كذا درهماً » اسم في موضع رفع بالابتداء[٢٦] ، ثم اعترض على نفسه بان أبا علي[٢٧] ذكر ان الكاف انما تكون اسماً بشرطين .

احدهما : ان يكون ذلك في الشعر .

الثاني : ان يتعين الموضع ، وذلك[٢٨] كما في قول الاعشى[٢٩] [من البسيط] :

---

(٢٤) كذا في الاشباه والنظائر ، اما في المخطوطة : يشاربه .

(٢٥) ويسمى العبدي النحوي . صحب أبا علي الفارسي وأخذ عنه وحضر مجلس أبي سعيد السيرافي واستفاد منه . وكان اختصاصه بأبي علي وانتسابه اليه اكثر وتعصبه له أوفر . أخذ عن أبي علي جل ما عنده وشرح كتابه الايضاح . عاش الى قريب سنة ٤٢٠هـ .

(٢٦) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : بذا الابتداء .

(٢٧) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي الاصل . أحد الائمة في علم العربية . ولد في فسا من أعمال فارس سنة ٢٨٨هـ (٨٤٣م) ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ . وتجول في كثير من البلدان . توفي سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) . له الايضاح والتذكرة وجواهر النحو والعوامل وغيرها .

(٢٨) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : كذلك .

(٢٩) هو ميمون بن قيس بن جندل المعروف باعشى قيس من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية ، واحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، وكان يسمى صناجة العرب . توفي سنة ٧هـ (٦٢٩م) .

أتنتهون ولـن يَنْهى ذوي شـطط
كالطعنِ يذهب فيه الزيتُ والفُتُلُ[٣٠]

اراد مثل الطعن ؛ لان الـكلام شعر . و « ينهى » فعل لابد له من فاعل • فأجاب بان ذلك في الـكاف المفيدة للتشبيه ، وهي في « كذا » انما جاءت كالمركبة مع « ذا » بدليل ان الواو قد سقط فتركبت مع مثلها . واذا كان كذلك وفارقتها لم يمتنع ان تكون مرفوعة بالابتداء .

والرابع : نها محتملة للحرفية والاسمية ، قاله ابو البقاء[٣١] [٢] في « شرح الايضاح »[٣٢] .

قال : اذا قيل : « له عندى كذا درهماً » فـ « كذا » فى موضع الصفة لمبتدأ محذوف ، أي شيء كالعدد • أو الكاف اسم مبتدأ ك « مثل » • قال : فاذا جعلت الـكاف حرفاً لم تحتج [الى][٣٣] ان تتعلق بشيء لان التركيب غيّر حكمها كما فى « كأنّ » فانها قبل ان تتقدم كانت متعلقة بمحذوف ، وهى الآن غير متعلقة بشيء .

الخامس : ان الكاف حرف جر زائد ، وهو قول ابن عصفور[٣٤] . قال : لا معنى للتشبيه فى هذا الـكلام ، فالـكاف زائدة كزيادتها فى قولهم : « [فلان][٣٥] كذى الهيئة » ، أى : ذو الهيئة ، الا انها زائدة لازمة

---

(٣٠) في ديوان الاعشى ص ٤٨ : هل تنتهون • ورواية ابن هشام هي رواية أبي عبيدة للبيت •

(٣١) هو أبو البقـاء عبدالله بن الحسـين العكبري شارح كتـاب الايضاح لابي علي الفارسي ولد سنة ٥٣٨هـ وتوفي سنة ٦١٦هـ وله كتب عديدة ذكرها الصفدي في نكت الهميان ص ١٧٨ ــ ١٨٠ • وله في الجزء الرابع من شرح ديوان المتنبي ترجمة مع ثبت بمؤلفاته •

(٣٢) الايضاح أحد كتب أبي علي الفارسي المهمة • (ينظر كتاب أبو علي الفارسي ص ٥١٤ وما بعدها) عن هذا الـكتاب •

(٣٣) الزيادة من الاشباه والنظائر •

(٣٤) هو علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي أبو الحسن • حامل لواء العربية بالاندلس في عصره • له المقرب في النحو والممتع • ولد سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) وتوفي سنة ٦٦٩هـ (١٢٧١م) •

(٣٥) الزيادة من الاشباه والنظائر •

كلزوم « ما » في « أينما »[٣٦] و « ذا » مجرورة بالجار الزائد كانجرار « أي » بالكاف الزائدة في قوله تعالى : « وكأيّنْ من قريةٍ »[٣٧] . [الا ترى ان معناها كمعنى « كم » وليس فيها معنى تشبيه][٣٨] .

واذا ثبت انها زائدة [لم تكن][٣٩] متعلقة بشيء ، فليس ما قاله بلازم ؛ لانا لا نسلم ان عدم معنى التشبيه هنا لزيادة الكاف ، بل لما ذكرنا من تركيبها مع « ذا » وانه صار للمجموع بالتركيب معنى آخر ، وقد أقمنا الدليل عليه فيما مضى . ثم دعوى التركيب وان كانت كدعوى الزيادة في انها خلاف الاصل لكنها أقرب ، فكان اعتبارها أولى .

الفصل الثاني

في كيفية اللفظ بها وتمييزها

اما اللفظ بها فالمسموع في الكنى بها من غير عدد الافراد والعطف نحو : « مررت بمكان كذا وكذا » . وفي الكنى بها عن عدد العطف لا غير . وكذا مثّل بها سيبويه والاخفش[٤٠] والائمة ، وقال[٤١] الشاعر [من الطويل] :

عِدِ النفسَ نُعْمى بَعْدَ بُؤْساكَ ذاكراً
كذا وكذا لطفاً به نُسي الجهدُ[٤٢]

(٣٦) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : ائذا ما .
(٣٧) سورة الحج ، الآية ٤٨ .
(٣٨) الزيادة من الاشباه والنظائر .
(٣٩) الزيادة من الاشباه والنظائر .
(٤٠) الاخفش الاوسط : هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة كان من تلاميذ سيبويه توفي سنة ٢٢١هـ . والاخفش لقب اشتهر به أحد عشر عالما من النحويين وأشهرهم الاخفش الاكبر أبو الخطاب (١٧٧هـ) والاوسط ، والاصغر علي بن سليمان .
(٤١) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : قول .
(٤٢) ذكره ابن هشام في مغني اللبيب ج ١ ص ١٨٨ والسيوطي في همع الهوامع ج ١ ص ٢٥٦ . ولم يذكرا قائله .

وممن صرح بأنهم لم يقولوا : « كذا درهما » بتمييزها ، ولا « كذا كذا درهما » ـ ابن خروف[٤٣] . وذكر ابن مالك[٤٤] ان ذلك مسموع ولـكنه قليل . وسيأتي نقل كلامهما بعد[٤٥] .

وأما اللفظ بتمييزها ففيه ثلاثة أقوال :

احدها : انه منصوب ابداً ، وهذا قول البصريين ، وهو الصواب بدليلين :

احدهما : انه المسموع كقولـه : « كـذا وكـذاً لطفاً به نسـي « الجهد »[٤٦] .

والثاني : القياس وذلك من وجوه :

احدها : ان الخفض اما بالكاف على انها حرف جر أو على انها اسم مضاف ، أو باضافة « ذا » ، ولا سبيل الى شيء من ذلك ؟ لان « ذا » معمولة للـكاف وحرف الجر لا يخفض شيئين ، والاسم لا يضاف مرتين . ومن ثم وجب نصب التمييز في نحو « ما في السماء قدر راحة سحابا » .

---

(٤٣) هو علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي أبو الحسن . عالم بالعربية ، اندلسي من أهل اشبيلية ، ونسبته الى حضرموت . ولد سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م) وتوفي باشبيلية سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م) .

(٤٤) هو محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني أبو عبـدالله جمال‌الدين . أحد الائمة في علوم العربية . ولد في جيان بالاندلس سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) وانتقل الى دمشق وتوفي بها سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) . أشهر كتبه الالفية والتسهيل ولامية الافعال .

(٤٥) جاء في همع الهوامع للسيوطي ج ١ ص ٢٥٦ : « مميز « كذا » لا يكون الا مفردا منصوبا . قال الشاعر :

عد النفس نعمى بعد بؤساك ذاكرا كذا وكذا لطفا به نسي الجهد

ولا يجوز جره بـ (من) اتفاقا ولا بالاضافة ، خلافا للـكوفيين أجازوا في غير تكرار ولا عطف ان يقال :« كذا ثوب وكذا اثواب » قياسا على العدد الصريح . ورد بان المحكي لا يضاف ، وبان في آخرها اسم الاشارة واسم الاشارة لا يضاف . وأجاز بعضهم « كذا درهم » بالجر على البدل ، وجوز الـكوفيون الرفع بعد « كذا » . قال أبو حيان : وهو خطأ لانه لم يسمع . وجوزوا الجمع بعد الثلاثة الى العشرة » .

(٤٦) الشطر الثاني من البيت المتقدم .

واسماء الاشارة لا تضاف لانها ملازمة للتعريف والتمييز نكرة . والقاعدة ان تضاف النكرة للمعرفة لا العكس .

والثاني : ان الكاف لما دخلت على « ذا » وصارتا كناية عن العدد ، صارتا كذلك بمنزلة « يزيد » اذا سمي به (ويزيد وامثاله اذا سمي به)[٤٧] لا يجوز اضافته ؛ لانه محكي ، والمحكي لا يضاف .

والثالث : ان الكلمة اشبهت بالتركيب « أحدَ عَشَرَ » واخواته ، وذلك لا يضاف كراهة الطول ، فكذلك هذا .

القول الثاني : انه جائز الخفض بشرط ان لا يكون تكرار ولا عطف ، فتقول : « كذا درهم وله الثوب » ، ولا تقول : « كذا كذا درهم » ولا « كذا وكذا درهم » ، قاله الكوفيون ومن وافقهم . وشبهتهم في ذلك حمل كناية العدد على صريحه ، وقد ذكرنا ما يرد هذا القياس .

وقال ابن أياز[٤٨] : يجوز الجر من وجهين :

احدهما : اجراء « كذا » مجرى « كم » الخبرية .

والثاني : ان الكلمتين رُكبتا وصارتا كلمة واحدة . يعني : فالمضاف المجموع لاسم الاشارة فقط والمجرور[٤٩] انما يلزم على القول بان المضاف اسم الاشارة .

والثالث : انه جائز الخفض والرفع ، وهذا خطأ أيضاً ؛ لانه غير مسموع ، ولا يقتضيه [٣] القياسَ ، فان « كذا وكذا درهماً » من باب « خَمْسةَ عَشَر درهما » لا من باب « رطل زيتاً » فافهمه .

---

(٤٧) سقطت من الاشباه والنظائر .

(٤٨) هو الحسين بن بدر بن أياز ، وقيل انه كان أوحد زمانه في النحو والتصريف . مات ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة ٦٨١هـ . وقد ولي مشيخة بالمستنصرية . له شرح الضروري لابن مالك وشرح فصول ابن معط .

(٤٩) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : والمحذور .

الفصل الثالث

في اعرابهـــا

والذي يظهر [لي][50] انه مبنى على الخلاف فى حقيقتها ، فـاذا قيل : « له عندي كذا وكذا درهماً » فان قيل بالتركيب فمجموع كـذا مبتدأ خبره الجار والمجرور ، والظرف متعلق بـه ، والظرف يعمـل فى الظرف اذا كان متعلقاً بمحذوف لوقوعه موقع ما يعمل نحو : « أكُلّ يوم لك ثوب ؟ » ، وان قيل لا تركيب • فان قيل : الكاف اسم فهي المبتدأ ، وان قيل حرف فالجار والمجرور صفة موصوف محذوف أي : « له عندي كذا وكذا درهما » •

وقال ركن الدين الاستراباذي[51] في « شرح كافية ابن الحاجب »[52]: الغالب فى تمييز « كذا » ان يكون منصوبا ؛ لانها بمنزلة « ملؤه » فى قولك : « لي ملؤه عسلاً » • ويجوز كونه مجرورا باضافة « كذا » اليه على تنزيلها منزلة ثلاثة ومائة ، وان يكون مرفوعا . فاذا قيل : « له عندى كذا درهم » ، فـ « له » خبر مقدم ، و « درهم » مبتدأ مؤخر ، و « كذا » حال . هكذا قالوه وفيه نظر[53] .

---

(٥٠) الزيادة من الاشباه والنظائر •

(٥١) هو الرضي الامام المشهور صاحب شرح الكافية وشرح الشافية لابن الحاجب ، قيل انه توفي سنة ٦٨٤هـ يقول السيوطي : « ولقبه نجم الائمة ولم اقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته الا انه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة » • بغية الوعاة ص ٢٤٨ •

وجاء في مقدمة كتاب شرح شافية ابن الحاجب ج ١ ص ٣ انه « نجم الملة والدين محمد رضي الدين بن الحسن الاستراباذي » •

(٥٢) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدين أبو عمر بن الحاجب النحوي ولد بعد سنة ٥٧٠هـ باسنا من الصعيد وتوفي سنة ٦٤٦هـ • له الكافية في النحو ، والشافية في الصرف وغيرهما •

(٥٣) جاء في شرح الرضي على الكافية ج ٢ ص ٩٥ : « وورد « كذا وكذا » مكررا مع واو نحو كذا وكذا أكثر من افراده ، ومن تكرره بلا واو • ويكنى به عن العدد نحو « عندي كذا درهما » • وعن الحديث نحو : « قال

والاولى عندى ان يكون مبتدأ ، و « درهم » بدلاً أو عطف بيان ، و « له » خبرا ، و « عندي » ظرفا له . انتهى . وقد مضى ان الصحيح امتناع الرفع والجر .

الفصل الرابع

في بيان معناها عند النحويين

وفى ذلك أقوال :

احدها : لابن مالك وهو انها للتكثير بمنزلة « كم » الخبرية[٥٤] ، وتابعه على ذلك ابنه في شرحه لخلاصته[٥٥] . ومقتضى قولهما هذا : انها

فلان كذا » ، ولا دلالة فيه على التكثير اتفاقا . ولكن بعضهم بـ « كذا » المميز بجمع نحو « كذا دراهم » عن ثلاثة وبابها ، وبالمكرر دون عطف عن أحد عشر وبابه ، وبالمكرر مع العطف عن احد وعشرين وبابه ، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ، فطابقوا به العدد حتى اجازوا « كذا درهم » بالجر حملا على « مائة درهم » . وهذا خروج عن لغة العرب ؛ لانه لم يرد مميز « كذا » في كلامهم مجرورا . والشافعي رحمه الله لا ينظر في تفسير الالفاظ المبهمة الى ما يناسبها من الفاظ العدد المفصلة ، لان المفصلة تدل على كمية العدد نصا والمبهمة لا تدل عليه ، بل يلزم بالاقرار بالمبهم ما هو يقين وهو الاقل ، فيلزم في نحو « كذا درهما » درهم واحد ، وهو الحق » .

(٥٤) قال ابن مالك في الالفية :

ككم كأي وكذا وينتصب   تمييز ذين أو به صل من تصب

وقال ابن عقيل في شرحه ج ٢ ص ٣٣٠ : « تستعمل كم للتكثير فتميز بجمع مجرور كعشرة أو بمفرد مجرور كمائة ... ومثل كم في الدلالة على التكثير كذا وكأي ومميزها منصوب أو مجرور بـ « من » وهو الاكثر نحو قوله تعالى « وكأي من نبي قاتل معه » و « ملكت كذا درهما » . وتستعمل « كذا » مفردة كهذا المثال ، ومركبة نحو « ملكت كذا كذا درهما » ومعطوفا عليها مثلها نحو « ملكت كذا وكذا درهما » .

(٥٥) هو محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك بدرالدين . كان اماما حاد الخاطر في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض . ولد بجيان بالاندلس وهاجر مع والده الى دمشق وتلقى العلم بها عليه . وعندما مات أبوه ولي وظيفته وتصدى للاشتغال بالعلم وتصنيف الكتب الى ان مات سنة ٦٨٦هـ . له شرح ألفية والده والمصباح وروض الاذهان وشرح التسهيل وغيرها .

لا يكنى بها عما نقص عن الاحد عشر ؟ لانه عدد قليل .

الثاني : انها للعدد مطلقاً قليلاً كان أو كثيراً ، وهو قول سيبويه والخليل[٥٦] • ومن تابعهما واختاره ابن خروف • وممن نقل ذلك عن سيبويه الاستاذ ابو بكر بن طاهر[٥٧] ، وذلك ظاهر من كلامه فانه قال : هذا باب ما جرى مجرى « كم » الاستفهامية[٥٨] فى الاستفهام ، وذلك قولك : « له كذا وكذا درهما » وهو مبهم فى الاشياء بمنزلة « كم » وهو كناية للعدد ، وصار « ذا » بمنزلة التنوين . وقال الخليل : كانهم قالوا له كالعدد درهما[٥٩] .

الثالث : انها بمنزلة ما استعملت استعماله من الاعداد الصريحة فيقال : « له كذا دراهم » ، فتكون للثلاثة فما فوقها الى العشرة ، و « كذا كذا درهما » فتكون للاحد عشر فما فوقها الى التسعة عشر[٦٠] ، و « كذا درهماً » فتكون للعشرين واخواتها من العقود الى التسعين ، و « كذا كذا درهماً » فتكون لاحد وعشرين[٦١] وما فوقها من الاعداد المتعاطفة الى التسعة والتسعين[٦٢] . و « كذا درهم » فيكون للمائة وللالف وما فوقهما . فاذا أقر مقر بكلام فيه كذا ، ألزمناه بالمتيقن ، وهو أول مرتبة من المراتب المشروحة وخلفناه فى الباقي . وهذا قول الكوفيين وتبعهم جماعة منهم ابن

---

(٥٦) جاء في كتاب سيبويه ج ١ ص ٢٩٧ : « وهي كناية للعدد بمنزلة « فلان » اذا كنيت به في الاسماء • وكقولك : « كان من الامر ذية وذية وذيت وذيت وكيت وكيت » وقد تقدمت تكملة هذا النص في هامش رقم ٢٠ •

(٥٧) محمد بن أحمد بن طاهر الانصاري الاشبيلي أبو بكر المعروف بالخدب • نحوي مشهور حافظ بارع مات سنة ٥٨٠هـ •

(٥٨) سقطت من الاشباه والنظائر •

(٥٩) ينظر كتاب سيبويه ج ١ ص ٢٩٨ ، وهامش رقم ١٥ •

(٦٠) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : السبعة عشر •

(٦١) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : لاحد وتسعين •

(٦٢) كذا في الاشباه والنظائر ، اما في المخطوطة والعشرين •

معط[٦٣] فى فصوله[٦٤] .

الرابع : ان الامر كما قالوا الا فى مسألة الاضافة فانهما ممتنعان لما قدمنا من التعليل ، فان اردت العدد القليل أو المائة أو الالف وما فوقهما قلت : « كذا من الدراهم » .

ويقدر عند اهل هذا القول الفرق بين العدد القليل والمائة والالف ؛ لان « من » انما تدخل على العدد المجموع المعرف تقول : « عشرون من الدراهم » ولا يجوز «عشـــرون من الدرهم »[٦٥] (ولا عشـــرون من دراهـــم)[٦٦] • وهـــذا قول المبـــرد[٦٧] والاخفش وابن كيسان[٦٨] والسيرافي[٦٩] ، وبه قال الشلوبين[٧٠] وابن‌عصفور والصفار • والذي‌جرأهم

---

(٦٣) هو يحيى بن عبدالمعطي ، عالم بالعربية والادب ، واسع الشهرة في المغرب والمشرق . ولد سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م) وسكن دمشق زمنا وذهب الى مصر ودرس في الجامع العتيق بالقاهرة وتوفي فيهـــا سنة ٦٢٨هـ (١٢٣١م) . اشهر كتبه الدرة الالفية في علم العربية ، والفصول الخمسون وأرجوزة في القراءات السبع والعقود والقوانين .

(٦٤) منه نسخة في دار الـكتب بالقاهرة .

(٦٥) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : دراهم .

(٦٦) سقطت من الاشباه والنظائر .

(٦٧) هو محمد بن يزيد امام العربية ببغداد في زمانه . ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ (٨٢٦م) وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) . من كتبه : الـكامل والمقتضب واعراب القرآن .

(٦٨) هو محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الحسن ، عالم بالعربية نحواً ولغة من أهل بغداد . أخذ عن المبرد وثعلب . توفي سنة ٢٩٩هـ (٩١٢م) . من كتبه : تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ، والمهذب في النحو ، وغلط أدب الـكاتب ، ومعاني القرآن .

(٦٩) هو الحسن بن عبدالله نحوي عالم بالادب . ولد سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وسكن بغداد وتولى نيابة القضاء وتوفي بها سنة ٣٦٨هـ (٩٧٩م) . له شرح كتاب سيبويه واخبار النحويين البصريين وصنعة الشعر والبلاغة .

(٧٠) هو عمر بن محمد بن عبدالله الازدي أبو علي الشلوبيني أو الشلوبين من كبار العلماء بالنحو واللغة ولد باشبيلية سنة ٥٦٢هـ (١١٦٦م) وتوفي بها سنة ٦٤٥هـ (١٢٤٧م) . له القوانين وشرح المقدمة الجزولية .

على القول بذلك ابو محمد بن السيد فانه حكى اتفاق البصريين والكوفيين على ذلك [٤] وان الخلاف انما هو في جواز الخفض نحو « كذا درهم وكذا دراهم » . والبصريون يمنعون ، والكوفيون يجيزون . وفى كلام أبي البقاء فى « شرح الايضاح » ، ما هو ابلغ من هذا فانه قال : وذهب معظم النحويين واصحاب الرأى الى ان من قال : « كذا درهماً » لزمه « عشرون درهماً » ؛ لانك لم تكرر العدد ولم تعطف عليه ، ولم تضفه لتمييزه فحمل على أول عدد حاله ذلك . فان جررت الدرهم ، فقد حمله النحويون وأصحاب الرأى على مائة . انتهى .

فنقل الجر عن النحويين ونقل اجراء « كذا » مجرى العدد الصريح فى حالة نصب التميز عن معظم النحويين .

الخامس : ان الامر كما قال الكوفيون فى « كذا كذا درهماً » وفى « كذا درهم » خاصة ، قاله الاستاذ ابو بكر بن طاهر .

فهذا ما بلغنا من الاقوال ، فاما قول ابن مالك فكان الذى دعاه اليه ان سيبويه شبهها بـ « كم » الاستفهامية وهى منزلة الاحد عشر واخواتها . وليس هذا بشيء ؛ لانها انما شبهت بها في نصب التمييز لا في المعنى . الا ترى انها ليست للاستفهام ، كما ان « كم » للاستفهام . ثم ان « كم » نفسها بمنزلة الاحد عشر ولا تختص بالعدد الكثير ، بدليل انك تقول : « كم عبداً ملكت » فيصح بالواحد[71] فما فوقه . واما قول سيبويه والمحققين ، فوجهه انها كلمة مبهمة ، كما ان « كم » كلمة مبهمة ، فكما انك لو قلت : « كم كم عبداً ملكت ؟ » أو « كم وكم عبداً ملكت ؟ » أو غير ذلك لم يقتضِ مساواة ما شابهته من العدد الصريح بـ « كذا وكذا »[72] .

واما قول الكوفيين ومن وافقهم فمردود من جهات :

احدها : انه قول بلا دليل ، وانما هو مجرد قياس فى اللغة ، وذكر

(٧١) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : الواحد .
(٧٢) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : فكذا كذا .

ابن اياز ان البستي ذكر في تعليقه ان ابا الفتح[٧٣] سأل أبا علي[٧٤] عن قولهم : « ان كذا كذا درهماً يحمل على أحد عشر درهماً ، و « كذا وكذا درهماً » يحمل على أحد وعشرين و « كذا درهم » يحمل على مائة . وقال : و « كذا وكذا وكذا درهما » يحمل على « مائة وواحد وعشرين درهما » . فقال أبو علي : هذا من استخراج الفقهاء ، وليس هو في النحو . انما « كذا » بمنزلة عدد منوّن ، والجر خطأ .

الثاني : ان الناس اختلفوا ، فقال ابن خروف : ان العرب لم يقولوا « كذا كذا درهماً » ولا « كذا درهماً » ولا « كذا دراهم » ، لا بالاضافة ولا بالنصب . وعلى هذا فالحكم على هذه الالفاظ بما ذكروا باطل ؛ لانه حكم على ما لا يتكلم به . فاين معناه ؟ .

وقال ابن مالك في « التسهيل »[٧٥] : وقد ورد « كذا » مفرداً ومكرراً بلا واو ، فاثبت ورود هذين من كلامهم[٧٦] ، والمثبت مقدم على النافي ، ولكن لما قل[٧٧] استعمال هذين مع ان الحاجة التي دعت الى الكناية عن العدد المعطوف ، والمعطوف عليه داعية الى الكناية عن غيره من الاعداد دل على ان قولك : « كذا وكذا » لا يختص بالعدد المعطوف والمعطوف عليه[٧٨] .

والثالث : انه سمع اذا مكان كذا وكذا رجل[٧٩] ، وذلك دليل على

---

(٧٣) هو عثمان بن جني اللغوي الشهير . ولد في الموصل سنة ٣٢٢هـ أو ٣٢١هـ ونشأ وتلقى مبادىء التعلم فيها . وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ أو ٣٩٣هـ له الخصائص والتمام والمحتسب والمنصف وسر صناعة الاعراب وغيرها .

(٧٤) هو أبو علي الفارسي .

(٧٥) أحد كتبه المشهورة ، وقد شرحه كثيرون منهم أبو حيان الاندلسي ، وشرحه في عدة مجلدات ، ولا يزال مخطوطا في دار الكتب بالقاهرة ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ومكتبات العالم الاخرى .

(٧٦) كذا في المخطوطة ، أما في الاشباه والنظائر : خلافهم .

(٧٧) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : قال .

(٧٨) سقطت من الاشباه والنظائر .

(٧٩) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : وجه . وكتب الناشر في الهامش : ربما وجذ وهو النقرة في الجبل .

انها لم يرد بها معطوف ومعطوف عليه .

والرابع : ان موافقة العدد المبهم للعدد الصريح في طريقته في التميز وغيره لا يقتضي تساويهما في المعنى بدليل « كم » الاستفهامية ، فانك تقول : « كم درهما لك ؟ » وتقول : « كم وكم درهما لك ؟ » . أو تسقط الواو فيجاب بجميع الاعداد في كل من هذه الصور .

الخامس : ان اجازة « كذا درهم » و « كذا دراهم » ، باطل بما قدمناه .

واجيب بانه خفض بالاضافة وان معنى الاشارة قد زال . واجاب الصفار بان المتكلم بـ « كذا » لابد ان يقدر في نفسه عددا ما ، وحينئذ تقول : « له عدد مثل هذا » أي : مثل هذا المركب والمعطوف . وفي مثل هذا الجواب نظر ، وهو مبني على ادعاء التركيب [٥] ، وان معنى التشبيه باق وهو بعيد جداً .

واما قول ابي بكر ، فحجته انه سمع من العرب : « مررت بمكان كذا وكذا » ، (و « بدار كذا » ولم يسمع مثل « مررت بمكان كذا وكذا »)[٨٠] . فلما كان ذلك واقعاً على العدد ناسب ان يكون جارياً مجرى ما يوافقه من الاعداد ، وليس هذا بشيء . وقد جوز « كذا درهم » بالخفض على ان يراد « مائة درهم » مع اعترافه[٨١] بانه لم يسمع في غير العدد . فما الفرق بينه وبين بقية الالفاظ ؟

واما قول المبرد والاخفش ومن وافقهما فزعم الشلوبين واصحابه انه القياس ، وانه لا ينافي قول سيبويه ، وان قوله : « انها مبهمة » ، معناه ان قولنا « كذا كذا » مبهم في الاحد عشر والتسعة عشر ، وما بينهما مبهم في القليل والكثير ، وكذلك يقولون في الباقي .

---

(٨٠) سقطت من الاشباه والنظائر .

(٨١) كذا في المخطوطة ، اما في الاشباه والنظائر : اعترافهم .

الفصل الخامس

فيما يلزم بها عند الفقهاء

وقد اختلفت المذاهب في ذلك ، فاما مذهب الامام احمد[٨٢] رضي الله عنه ، ففي « المحرر » ما معناه : انه اذا افـرد « كـذا » أو كررهـا بلا عطف ، وكان التميز منصوباً فيهما أو مرفوعا لزمه درهم . فان عطف أو رفع أو نصب فكذلك عند ابن حامد ، وقال التميمي : درهمان ، وقيل درهم وبعض آخر .

وقيل : درهم مع الرفع ودرهمان مع النصب . وان قال ذلك كله بالخفض قبل تفسيره بدون الدرهم . قال المصنف : وهذا كله عندي اذا كان يعرف العربية فان لم يعرفها لزمه درهم في الجميع .

واما مذهب الامام الشافعي[٨٣] رضي الله عنه : فالفتيا عندهم على انه يلزم مع العطف والنصب درهمان ، فان رفع أو جر لزمه درهم ، وكذا ان ركب أو افرد سواء رفع التميز أو نصبه أو جره .

ونقل المزني[٨٤] عنه في « كذا كذا درهماً » انه يلزمه درهمان ، وكذا يروى عنه في مسألة العطف والنصب .

واما مذهب الامام مالك[٨٥] رضي الله عنه ففي « الجواهر » لابن

---

(٨٢) هو أحمد بن حنبل ، امام المذهب الحنبلي ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ونشأ منكبا على طلب العلم وسافر في سبيله أسفارا طويلة . توفي سنة ٢٤١هـ . له كتب في التأريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من ادعى التناقض في القرآن والتفسير .

(٨٣) هو محمد بن ادريس امام المذهب الشافعي . ولد في غزة سنة ١٥٠هـ وحمل منها الى مكة المكرمة وزار بغداد وقصد مصر سنة ١٩٩هـ وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ .

(٨٤) هو اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل أبو ابراهيم المزني صاحب الامام الشافعي من أهل مصر كان زاهدا عالما مجتهدا قوي الحجة وهو امام الشافعيين . ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي سنة ٢٦٤هـ . له الجامع الصغير والجامع الكبير والمختصر .

(٨٥) هو مالك بن أنس احد الائمة وصاحب المذهب المالكي . ولد سنة ٩٣هـ في المدينة المنورة ومات فيها سنة ١٧٩هـ .

شأس[٨٦] ما معناه اذا قيل له على كذا فهي كالشيء • فلو قيل « كذا درهماً » ، فقال ابن عبدالحكم يلزمه عشرون ، وان قال « كذا كذا درهماً » لزمه أحد عشر ، وان عطف فاحد وعشرون .

وقال سحنون[٨٧] : ما اعرف هذا ، فان كان هذا أقل ما يكون في اللغة بهذا اللفظ فهو كما قالوه ، وان كان يقول القول قول المقر مع يمينه • وكذا يقول في « كذا » وكذا دينارا أو درهما » • وعلى الاول يجعل نصف الاحد والعشرين ديناراً دنانير ونصفها دراهم .

واما مذهب الامام أبي حنيفة[٨٨] رضي الله عنه ، انه يلزمه في العطف أحد عشر كما في التركيب . [والله تعالى أعلم][٨٩] .



(٨٦) هو عبدالله بن نجم بن شأس شيخ المالكية في عصره بمصر • من أهل دمياط مات فيها مجاهدا سنة ٦١٦هـ والافرنج محاصرون لها • وكان جده شأس من الامراء • له الجواهر الثمينة في فقه المالكية •

(٨٧) هو عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، قاضٍ فقيه انتهت اليه رياسة العلم في المغرب • كان زاهدا لا يهاب سلطانا في حق • اصله شامي من حمص ومولده في القيروان سنة ١٦٠هـ • ولي القضاء بها سنة ٢٣٤هـ واستمر الى ان مات سنة ٢٤٠هـ •

(٨٨) هو النعمان بن ثابت امام الحنفية • ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ ونشأ فيها وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ •

(٨٩) الزيادة من الاشباه والنظائر •

مراجع التحقيق

١ ـ أبو علي الفارسي ٠ الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ٠ القاهرة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م ٠

٢ ـ الاشباه والنظائر ٠ السيوطي ٠

٣ ـ الاعلام ٠ الزركلي ٠ الطبعة الثانية ٠

٤ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ٠ جمال‌الدين القفطي ٠ دار الكتب بالقاهرة ٠

٥ ـ بغية الوعاة ٠ السيوطي ٠ القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ٠

٦ ـ تأريخ الادب العربي ٠ بروكلمان ٠ (الطبعة الالمانية) ٠

٧ ـ الخصائص ٠ ابن جني ٠ تحقيق محمدعلي النجار ٠ دار الكتب ٠ القاهرة ٠

٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية ٠ (الطبعة العربية) ٠

٩ ـ ديوان الاعشى ٠ طبعة القاهرة ٠

١٠ ـ ديوان المتنبي (شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان) ٠ تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبدالحفيظ شلبي ٠

١١ ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٠ تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ٠ الطبعة السادسة ٠ القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ٠

١٢ ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٠ مجمع الرضى سنة ١٢٧٥هـ ٠ وشرح شافية ابن الحاجب لرضي‌الدين الاستراباذي ٠ تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي‌الدين عبدالحميد ٠

١٣ ـ فهرس مخطوطات ليدن ٠

١٤ ـ كتاب سيبويه ٠ القاهرة مطبعة بولاق الطبعة الاولى ١٣١٦هـ ٠

١٥ ـ لسان العرب ٠ ابن منظور ٠

١٦ ـ معجم المطبوعات العربية ٠ يوسف اليان ٠ القاهرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٠٦م ٠

١٧ ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب · ابن هشام الانصاري · تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد · القاهرة ·

١٨ ـ نكت الهميان في نكت العميان · صلاح‌الدين الصفدي · القاهرة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م ·

١٩ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري · تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي · بغداد ١٩٥٩ ·

٢٠ ـ همع الهوامع ـ شرح جمع الجوامع · جلال‌الدين السيوطي · مطبعة السعادة بالقاهرة · الطبعة الاولى ١٣٢٧هـ ·



طرق المواصلات

والمنافسة بين السيارة والقطار في العراق

الدكتور أحمد نجم الدين
مدرس في قسم الجغرافية

من المعروف بان اختراع القطار وانتشار استعماله كوسيلة من وسائل النقل البرية سبق اختراع السيارة وانتشار استعمالها كوسيلة اخرى من وسائل النقل البرية ، ونتيجة لاهتمام دول العالم بتعبيد الطرق بالوسائل الحديثة وتوسيع شبكتها ساعد على كثرة انتاج السيارات واستعمالها كوسيلة حديثة للنقل فى معظم دول العالم فظهرت بذلك وسيلة برية أخذت تنافس القطار فى نقل الركاب والبضائع المختلفة ، واشتدت هذه المنافسة فى دول أوربا وامريكا الشمالية بسبب انتشار الطرق الحديثة واعتدال اسعار السيارات فيها وادت هذه المنافسة الى تهديد السكك الحديدية بالخسائر الجسيمة والتوقف عن العمل لو لا اهتمام الحكومات والحد من هذه المنافسة بوسائل مختلفة .

ان بحثنا هذا سيتناول المشكلة ، أى مشكلة منافسة السيارة للقطار فى العراق فقط ، وان هذه المشكلة قائمة الان فى بلدنا وهذه المنافسة تشتد سنة بعد أخرى ، ولاثبات وجود هذه المنافسة دعنا نلقي نظرة على الجداول والخطوط البيانية الخاصة بعدد المسافرين وكمية البضاعة التي يقوم القطار بنقلها فسنرى بصورة عامة انخفاضاً مستمراً منذ عام ١٩٤٥ بعدد المسافرين على جميع الخطوط الحديدية ففى سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ بلغ عدد المسافرين أكثر من خمسة ملايين مسافر والسنة التى تليها أكثر من اربعة ملايين ونشاهد فى جميع السنين التى تلت هذا التاريخ لم يصل العدد الى اربعة ملايين مطلقاً ، ونشاهد أيضاً وجود بعض الذبذبات فى الخط البيانى منخفض تارة ومرتفع أخرى وسبب ذلك الاحوال الاقتصادية والنقص فى

الانتاج الزراعي بسبب الجفاف والفيضانات العالية كما حدث في سنة ١٩٥٣ – ١٩٥٤ وكذلك بالنسبة للاحوال السياسية الداخلية والاضطرابات الناشئة عنها كما حدث سنة ١٩٥٦ .

أما بالنسبة لكمية البضاعة المنقولة باجرة فنلاحظ وجود زيادة في الفترة ما بين سنة ١٩٥٤ الى سنة ١٩٥٧ وبدأت في انخفاض بعد هذا التاريخ .

جدول يبين عدد المسافرين وكمية البضاعة المنقولة بأجرة (بالقطار)(١)

السنة	عدد المسافرين	السنة	كمية البضاعة بالطن
١٩٤٥ – ١٩٤٦	٥٢٩٢٤٤١	١٩٤٥ – ١٩٤٦	٢٠٢٠٨٧٦
١٩٤٦ – ١٩٤٧	٤٣٠٠٤١٣	١٩٤٦ – ١٩٤٧	١٩٠٢٥١٥
١٩٤٧ – ١٩٤٨	٣٧٧٢٥٤٠٣	١٩٤٧ – ١٩٤٨	١٨١٠٧٩٣
١٩٤٨ – ١٩٤٩	٣٣٤٠٠٨٤	١٩٤٨ – ١٩٤٩	١٧٢٥٦٤٧
١٩٤٩ – ١٩٥٠	٣٦٠٩٣٣٧	١٩٤٩ – ١٩٥٠	١٩٩٥٥١٦
١٩٥٠ – ١٩٥١	٣٦٠٩٤١٢	١٩٥٠ – ١٩٥١	١٨٩٠٤١٨
١٩٥١ – ١٩٥٢	٣٤٤٧٥٩٣	١٩٥١ – ١٩٥٢	٢٠٠٩٧٢٩
١٩٥٢ – ١٩٥٣	٣٠١٧١٠٢	١٩٥٢ – ١٩٥٣	٢٠٥٢٨٣٧
١٩٥٣ – ١٩٥٤	٣٠١٤٤٠١	١٩٥٣ – ١٩٥٤	٢٣٤٠١٩٠
١٩٥٤ – ١٩٥٥	٣٤٠٥٤٢٢	١٩٥٤ – ١٩٥٥	٢٤٧٧٢٧٩
١٩٥٥ – ١٩٥٦	٣٧٣٢٩٢٦	١٩٥٥ – ١٩٥٦	٢٧٨٩٧٨٠
١٩٥٦ – ١٩٥٧	٣٣٢٢٥٥٧	١٩٥٦ – ١٩٥٧	٢٥٦٣٥٣٤
١٩٥٧ – ١٩٥٨	٣٥٤٦٩٤٤	١٩٥٧ – ١٩٥٨	٢٥٩٦٠٠٢
١٩٥٨ – ١٩٥٩	٣٢٤٠٣٥٢	١٩٥٨ – ١٩٥٩	٢٧١٧٩٤٥
١٩٥٩ – ١٩٦٠	٣٢٧٧٤٠٨	١٩٥٩ – ١٩٦٠	٢١٠٢٣٤٢

(١) عن المجموعة الاحصائية السنوية العامة التي تصدرها وزارة التخطيط .



ونلاحظ زيادة المصروفات بالنسبة للايرادات وخاصة فى السنين الاخيرة كما مبين فى الخط البيانى .

والمفروض بالنسبة لعدد المسافرين وكمية البضاعة المنقولة أن تكون في حالة ازدياد مستمر وذلك للاسباب التالية :ـ

اولاً :ـ ازدياد عدد السكان المستمر ونمو المدن الكبيرة والمربوطة بخطوط حديدية فهذا المفروض ان يؤدى الى زيادة عدد المسافرين وزيادة فى كمية البضاعة التى يحتاجها السكان المتزايدون للاستهلاك .

ثانياً :ـ ارتفاع مستوى المعيشة نسبياً ، فوفرة النقود تشجع السكان على السفر والانتقال ويزداد طلبهم على السلع الاستهلاكية فيشجع حركة النقل .

ثالثاً :ـ زيادة نسبة المثقفين الذين يرغبون فى التنقل والسفر بغية الاطلاع وزيادة المعلومات .

رابعاً :ـ نشاط حركة الانتاج المحلى فجعل كمية البضاعة التى تنتج محلياً فى تزايد وهذه البضاعة لابد ان تنقل من مراكز الانتاج الى مراكز الاستهلاك فى الاسواق الداخلية والخارجية . كالمنتوجات الزراعية ومواد البناء والانسجة المختلفة وكذلك نقل المواد الاولية للمصانع المختلفة .

خامساً : نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية نتيجة لازدياد عدد السكان وارتفاع مستوى المعيشة وهذا يؤدى كما قلنا الى زيادة الطلب على السلع المختلفة وبالتالى نشاط حركة النقل بصورة عامة .

فالمفروض ونتيجة لهذه العوامل أن عدد المسافرين بالقطار وكذلك تزداد كمية البضاعة المنقولة زيادة تتناسب مع العوامل التى ذكرناها ولكن نجد هذا لم يتحقق والجداول مع الخطوط البيانية تثبت ذلك .

هذا مع العلم أن عدد عربات لمسافرين وعربات البضاعة الخاصة بالقطار يزداد عددها سنة بعد أخرى كما هو مبين في الجدول :

العربات التي تمتلكها مصلحة السكك الحديدية

السنة	عدد عربات المسافرين	عددعربات البضاعة
١٩٥٦ ـ ١٩٥٧	٣٥٧	٧٢٠٦
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	٤٢٧	٨٠٦٠
١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	٤٣٩	٨٢٧٠
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	٤٦٠	٨٢٦٦

فبعد أن ايقنا بان جميع هذه العوامل لن تؤدى الى زيادة عــــدد المسافرين بل نراهم فى تناقص مستمر كما انها لن تساعد على زيادة كمية البضاعة زيادة تتناسب مع هذه العوامل المشجعة . اذن ما السبب ؟ وهـــذا سؤال لابد من بحثه بحثاً وافياً .

السبب فى نظرى هو السيارة وسرعة انتشار اســـتخدامها فى نقل الركاب والبضاعة بين مختلف انحاء البلاد ، وقبل أن نثبت ذلـــك ونأتى بالاسباب الموجبة لذلك علينا أن نستبعد منافسة النقل النهرى فكمية البضاعة المنقولة بواسطة أنهـار العراق هي في نقصان مستمر وذلك لاسباب كثيرة ليست داخلة فى بحثنا هذا ، فالسفن النهرية بانواعهـــا المختلفة فى تناقص مستمر كما يوضح الجدول ادناه .

جدول يبين عدد السفن الشراعية والدوبات والابلام والمشاحيف(١)

١٩٥٥ ـ ١٩٥٦	بلغ عددها	١٧٤٤
١٩٥٦ ـ ١٩٥٧	بلغ عددها	١٧٠٠
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	بلغ عددها	١٦٤٩
١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	بلغ عددها	١٦٨٨
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	بلغ عددها	١٤٠٠

جدول يبين عدد السفن النهرية الآلية والبخارية

١٩٥٥ ـ ١٩٥٦	بلغ عددها	١٨٦
١٩٥٦ ـ ١٩٥٧	بلغ عددها	١٦٢
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	بلغ عددها	٦٤
١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	بلغ عددها	٦٢
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	بلغ عددها	٦٤

كما يجب أن تستبعد منافسة النقل الجوى اذ لا يزال هذا النوع من النقل غير متطور داخل العراق وكذلك ارتفاع اجور النقل فيه لا تشجع حتى ركاب الدرجة الثانية على استعماله .

---

(١) الاحصائية السنوية العامة التي تصدرها وزارة الاقتصاد ووزارة التخطيط .

لنأتي الان الى السيارة لنرى مدى تأثيرها على القطار ، فنلاحظ أولاً زيادة عدد السيارات الخاصة بنقل الركاب والبضاعة زيادة مستمرة وكبيرة وهذا دليل على زيادة الطلب على هذه الوسيلة الحديثة والجدول يبين عدد السيارات في السنين الاخيرة ومدى زيادتها .

جدول يبين عدد السيارات المختلفة في العراق

السنة	تاكسي	باصات	عربات حمل (لوري)
١٩٥٥	٥٢٦٥	٣٣١١	٩٠٤٣
١٩٥٦	٦٢٤٦	٣٤٥١	١٠٥٤٣
١٩٥٧	٦٥٤٦	٣٥٠٠٠	١٠٨٦٩
١٩٥٨	٦٥٠١	٣٧٦٤	١٢٢١٤
١٩٥٩	٧٦٧٨	٣٩٩٠	١٣١٧٣
١٩٦٠	٩٥٢٤	٥٠٩٩	١٤٩٣٨

وقد بلغ عدد السيارات الخاصة في السنين الاخيرة بقدر مجموع الانواع الثلاثة التكسي والباصات وعربات الحمل .

ونلاحظ كذلك ازدياد عدد السيارات الباص وسيارات الحمل خلال هذه السنة نتيجة للاستيراد الفردي وهذا دليل على زيادة الطلب عليها بسبب زيادة رغبة السكان في استعمالها . ولهذا نجد ان السيارة اخذت معظم ركاب الدرجة الثالثة وقسماً من الدرجات الاولى والثانية خاصة بالنسبة للمسافات القريبة . وكذلك أخذت معظم كمية البضائع المختلفة ، هذا مع العلم أن معظم الطرق الرئيسية للسيارات والموازية للسكة الحديد لا تزال مسافات كبيرة منها غير معبدة وحتى غير ممهدة ، فهناك طريق بغداد الموصل وطوله ٣٩٥ كم فالمسافة بين (بيجى) و (الشرقاط) لا تزال غير معبدة وحتى غير ممهدة فالطريق صحراوى تعترضه كثير من الحفر والمجارى التى تكونها السيول ، والمسافة بين الشرقاط والموصل فمعبدة تعبيداً قديماً والطريق ضيق . أما المسافة بين بغداد وبيجى فمعبدة تعبيداً حديثاً ومن الدرجة الاولى ، وفي فصل الامطار يسلك الطريق بعد بيجي

عبر دجلة عند الفتحة الى كركوك ثم اربيل ومنها الموصل وهو معبد وطوله **٤٧٠** كم تقريباً ، فمع وجود هذه العقبات نجد ان حركة النقل بالسيارات للمسافرين والبضائع نشطة على هذا الخط مما أثر تأثيراً كبيراً على النقل بالقطار والجدول ادناه يبين هذه الحقيقة (انظر الرسم البياني ايضاً) فنجد انخفاضاً كبيراً مستمراً بعد سنة **١٩٥٥ – ١٩٥٦** فبعد ان كان عدد ركاب هذا الخط سنة **١٩٥٥ – ١٩٥٦ (٩٣٤٣٤٨)** • أصبح العدد **(٤٣٠٤٧٨)** وكذلك بالنسبة لكمية البضائع المنقولة باجرة فبعد ان كانت سنة **١٩٥٧ – ١٩٥٨ (٧٧٩١٤٢)** أصبحت أقل من **٥٠٠** الف في السنين التي تلتها • (الكمية بالاطنان) •

جدول يبين عدد المسافرين وكمية البضاعة بالطن المنقولة على خط بغداد – تل كوچك

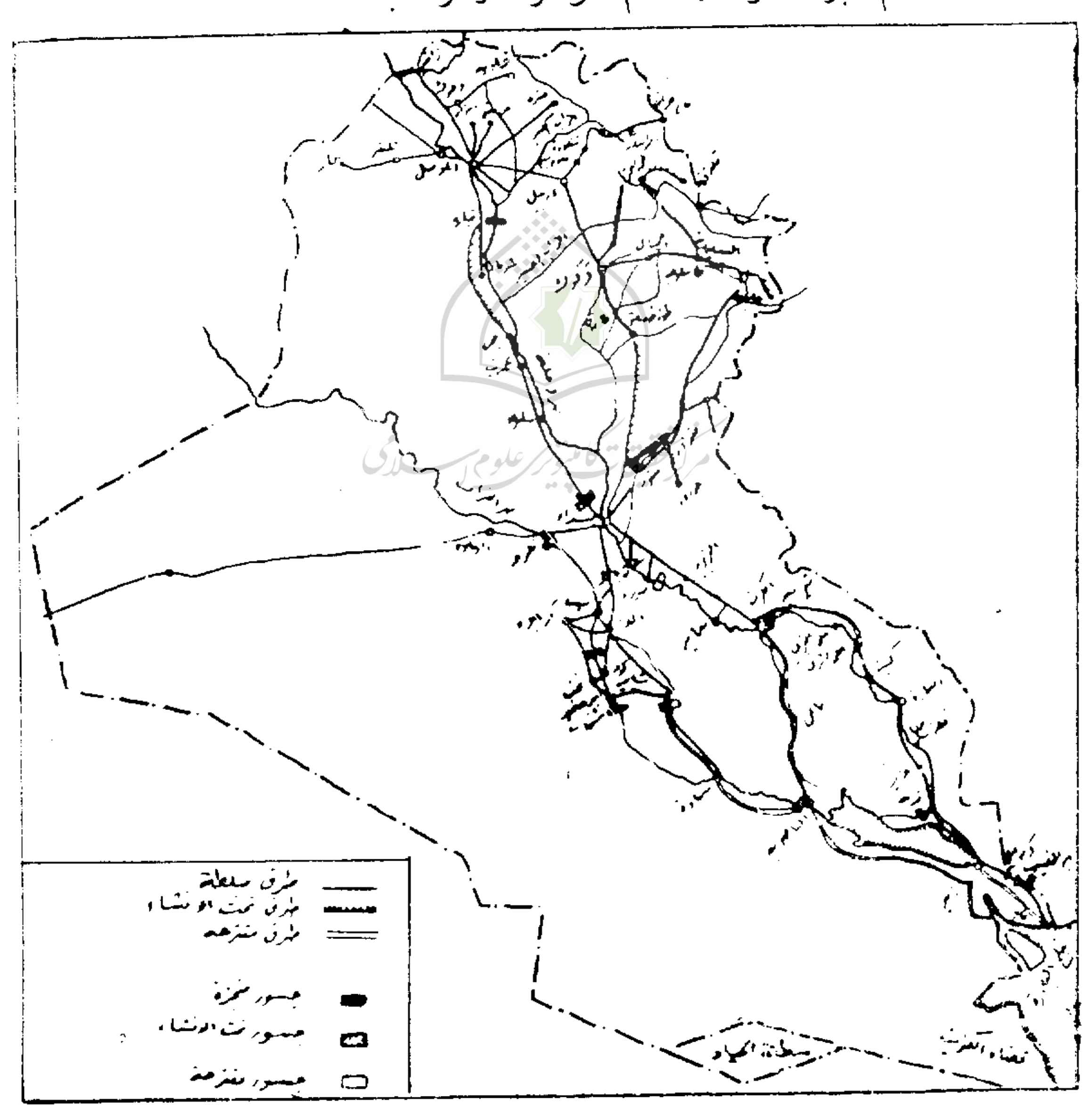
السنة	عدد المسافرين	كمية البضاعة بالاطنان[1]
١٩٥٠ – ١٩٥١	٦٩٠٩٠١	٢٠٠٠٩٥
١٩٥١ – ١٩٥٢	٦٦٠٧٩٥	٢٢٤٥٧٧
١٩٥٢ – ١٩٥٣	٦٣٧٠٧٩٥	٢٥١٥١٥
١٩٥٣ – ١٩٥٤	٥٩٧٥٣٠	٣٦٤٨٩٣
١٩٥٤ – ١٩٥٥	٧٧٢٧١٨	٦٣٠٢٥٢
١٩٥٥ – ١٩٥٦	٩٣٤٣٤٨	٥١٦٣٩٩
١٩٥٦ – ١٩٥٧	٧٧٩٥٣١	٥٢٩٢٢٢
١٩٥٧ – ١٩٥٨	٧١٥٠٦٨	٧٧٩١٤٢
١٩٥٨ – ١٩٥٩	٦١٢٤٥٦	٤٧٨٤٨٨
١٩٥٩ – ١٩٦٠	٥٥٨٨٥٩١	٤٤٣٣٩٠
١٩٦٠ – ١٩٦١	٤٣٠٠٤٧٨	٤٨٠٣١١

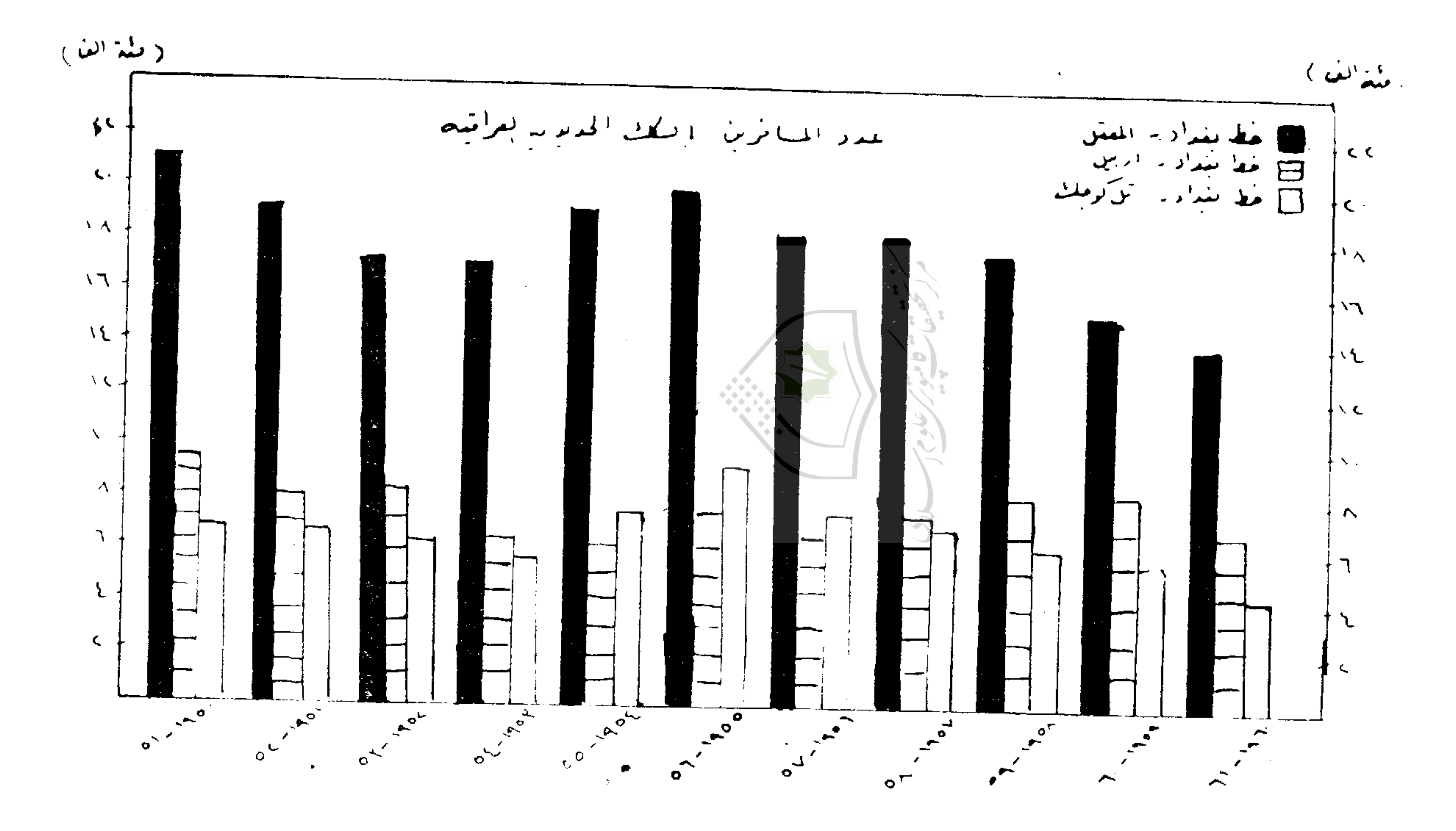
وهناك طريق بغداد – كركوك – اربيل للسيارات والموازي للسكة الحديد وطوله **٣٨٣** كم نجد المسافة بين جلولاء والطوز غير معبدة وغير

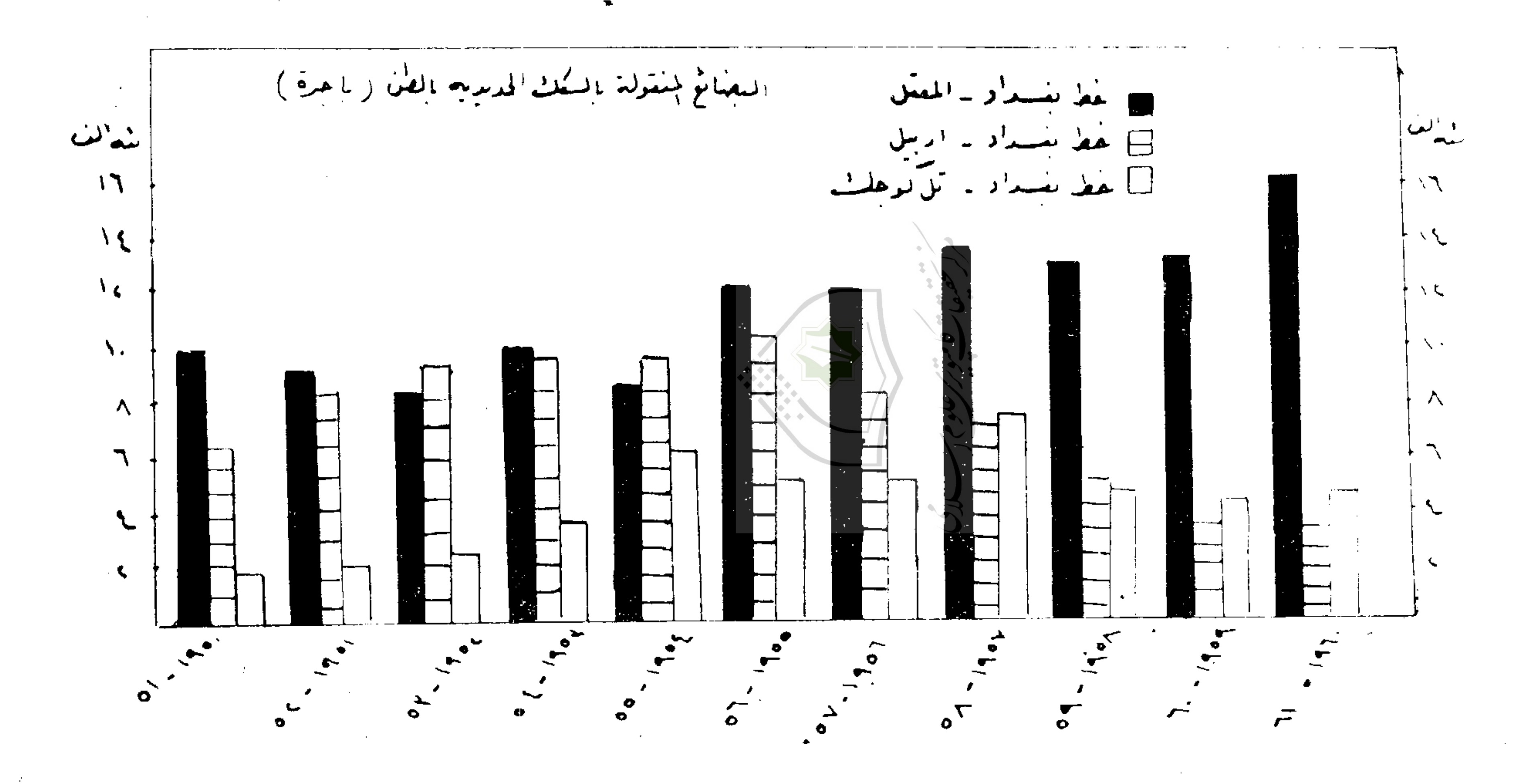
(١) احصائيات مصلحة السكك العراقية •

صالحة تماما لسير السيارات فمعظم السيارات تسلك طريق الخالص ـ انجانه ـ الطوز وهو غير معبد كذلك ويعتبر طريق صحراوى خال من القرى ومحطات الاستراحة والتموين بالوقود . ومع كل هذه العقبات نجد ان حركة النقل بالسيارات نشطة جداً ، وتقطع السيارات التاكسي المسافة بين بغداد وكركوك بحوالى خمس ساعات بينما القطـــــار فيقطعها بعشر ساعات .

والذى زاد من منافسة السيارة للقطار على خط بغداد كركوك هو تعبيد الطريق بين جلولاء والسليمانية عن طريق دربندخان تعبيداً حديثاً ومن الدرجة الاولى ، فأخذت السيارات ركاب بغداد كركوك ثم السليمانية بالسيارة . وهناك طريق آخر نافس هذا الخط وهو طريق بغداد ـ بيجى ـ الفتحة . ثم عبور نهر دجلة ثم كركوك وهو معبد .




عدد المسافرين بالسكك الحديدية العراقية
خط بغداد - المعقل
خط بغداد - اربيل
خط بغداد - تل كوجك
(مئة ألف)
٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠ ٢٢
١٩٥٠ - ٥١
١٩٥١ - ٥٢
١٩٥٢ - ٥٣
١٩٥٣ - ٥٤
١٩٥٤ - ٥٥
١٩٥٥ - ٥٦
١٩٥٦ - ٥٧
١٩٥٧ - ٥٨
١٩٥٨ - ٥٩
١٩٥٩ - ٦٠
١٩٦٠ - ٦١


البضائع المنقولة بالسكك الحديدية بالطن (باجرة)
خط بغداد - المعقل
خط بغداد - اربيل
خط بغداد - تل كوجك
مئة ألف
١٦
١٤
١٢
١٠
٨
٦
٤
٢
١٩٥٠ - ٥١
١٩٥١ - ٥٢
١٩٥٢ - ٥٣
١٩٥٣ - ٥٤
١٩٥٤ - ٥٥
١٩٥٥ - ٥٦
١٩٥٦ - ٥٧
١٩٥٧ - ٥٨
١٩٥٨ - ٥٩
١٩٥٩ - ٦٠
١٩٦٠ - ٦١

هذا الخط بغداد ـ كركوك ـ اربيل . نتيجة لحركة النقل بالسيارات والتى تنشط يوماً بعد يوم اخذ عدد المسافرين فى النقصان والاكثر من ذلك كمية البضائع فقلت قلة ملحوظة فمثلا بلغت في الفترة بين سنة ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ حوالى المليون طن انخفضت فى السنتين الاخيرة الى حوالى ٣٣٠ الف طن فهذه ظاهرة عجيبة سببها كما قلنا نشاط حركة النقل بالسيارات . والجدول ادناه وكذلك الرسم البيانى قبل هذا يوضح ذلك .

جدول يبين عدد المسافرين وكمية البضائع بالاطنان المنقولة على خط بغداد ـ كركوك ـ أربيل

السنة	عدد المسافرين	كمية البضائع بالاطنان (باجرة)
١٩٥٠ ـ ١٩٥١	٩٧٤٨٣٩	٦٨١٢١٠
١٩٥١ ـ ١٩٥٢	٨٠٢١٦٦	٨٥٧٨١١
١٩٥٢ ـ ١٩٥٣	٨٢٥١١٩	٩٥٧٦٣٨
١٩٥٣ ـ ١٩٥٤	٦٥٧٨٢٢	٩٧٠٢٠٣
١٩٥٤ ـ ١٩٥٥	٦٣٨١٧٣	٩٦٥٨٣٣
١٩٥٥ ـ ١٩٥٦	٧٥٥٢٥٨	١٠٤٤٢٣٥
١٩٥٦ ـ ١٩٥٧	٦٦٧٢٣٠	٨٢١٥٧٨
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	٧٤٧١٩٤	٧٢٧٩٤٧
١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	٨٠٢١٤٤	٥٠٢٠٥٦
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	٨٠٩٤١٠	٣٣٣٥٦٢
١٩٦٠ ـ ١٩٦١	٦٩٤٧٣٠	٣٣٢٦٠٤

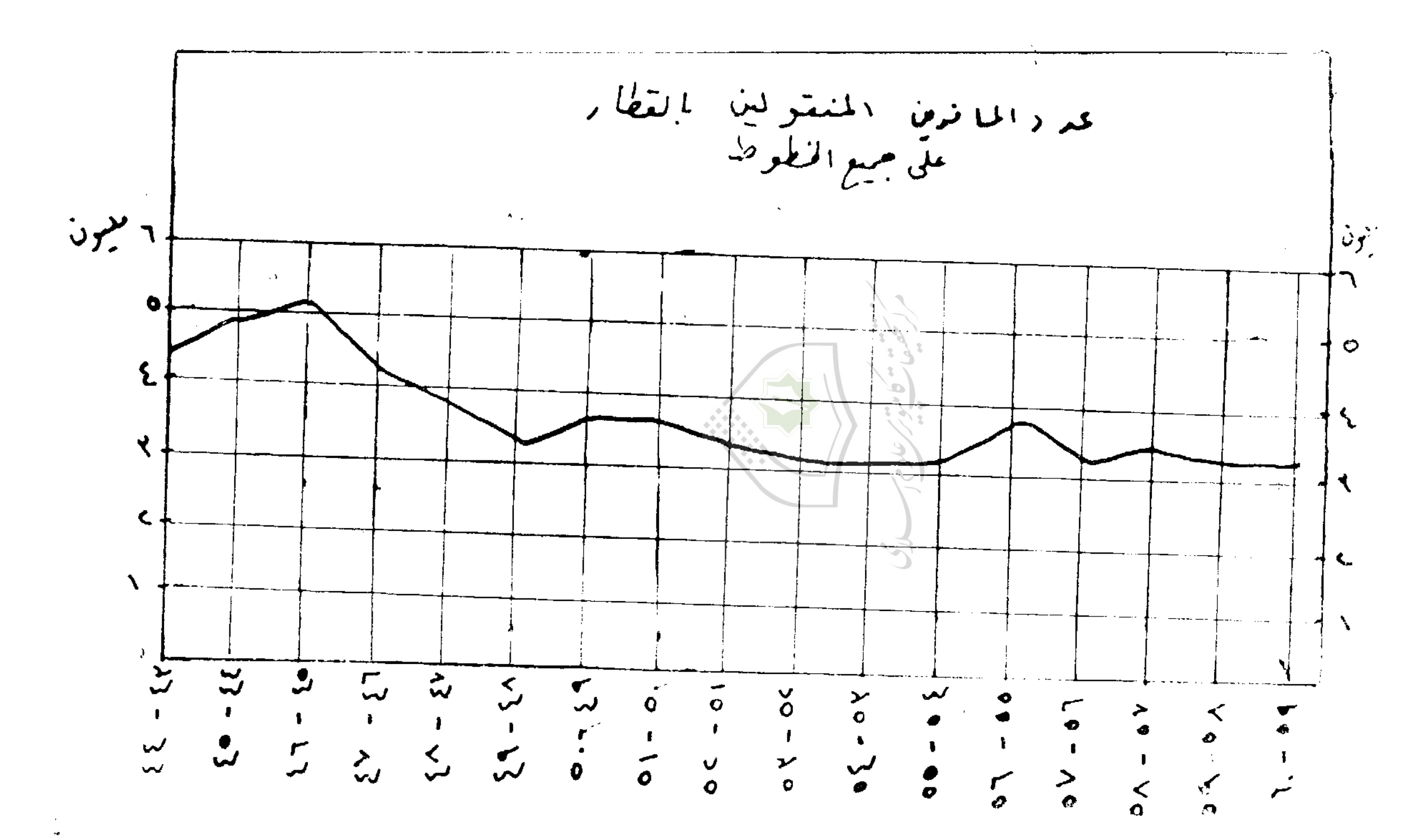
أما الطريق الثالث الموازى لسكة حديد بغداد ـ الحلة ـ الديوانية ـ الناصرية ـ البصرة . أى طريق الفرات وطوله ٦١١ كم فان طول المسافة المعبدة من هذا الطريق تبلغ حوالى الثلث فقط وهى الممتدة بين بغداد والديوانية ومعبدة تعبيداً حديثاً ومن الدرجة الاولى أيضاً ، أما الجزء الباقى من المسافة أى من الديوانية الى البصرة ماراً بالسماوة فهو بحالة رديئة جداً لا تشجع استعماله من قبل سيارات الركاب والحمولة نظراً

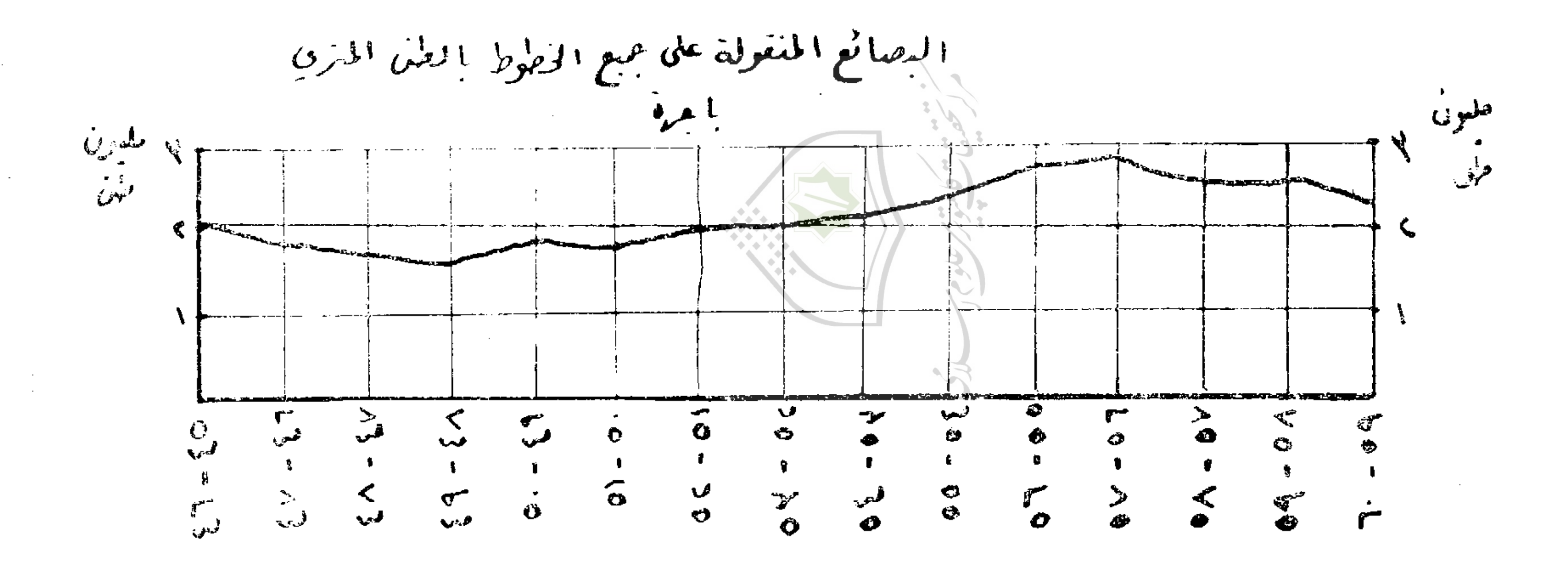
لطول هذه المسافة الغير معبدة وانقطاع الطريق في فصل الامطـار كما أن الاتربة مع الحرارة الشديدة حدد نقل الركاب بالسيارات . فلهذا نجد ان هذا الخط لا يزال بعيداً عن منافسة السيارة والجدول أدناه مع الخط البياني السابق يوضح ذلك ، أما الطريق الثاني (للسيارات) الذي يربط بغداد بالبصرة بمحاذاة نهر دجلة والذي يبلغ طوله **٥٤٩** كم فالمسافة بين بغداد والـكوت وبين العمارة والبصرة فهي معبدة تعبيداً من الدرجة الاولى ولا تزال المسافة بين الـكوت والعمارة غير معبدة تعيق حركة النقل فـي فصل الامطار ، فهذا الطريق بحالته الحاضرة لا يشجع كذلك حركة النقل بالسيارات بين بغداد والبصرة .

جدول يبين عدد المسافرين وكمية البضاعة المنقولة على خط بغداد ـ المعقل

السنة	عدد المسافرين	كمية الضاعة بالطن (باجرة)
١٩٥٠ ـ ١٩٥١	٢١٤٣٦٧٢	١٠٠٩١٠٨
١٩٥١ ـ ١٩٥٢	١٩٨٤٦٣٢	٩٢٧٣٤١
١٩٥٢ ـ ١٩٥٣	١٧٥٤٩٣٨	٨٤٣٦٨٤
١٩٥٣ ـ ١٩٥٤	١٧٥٩٠٤٩	١٠٠٥٠٩٤
١٩٥٤ ـ ١٩٥٥	١٩٩٤٥٣١	٨٨١١٩٤
١٩٥٥ ـ ١٩٥٦	٢٠٤٣٣٢٠	١٢٢٩٠٤٦
١٩٥٦ ـ ١٩٥٧	١٨٦٥٧٧٦	١٢١٢٧٣٤
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	١٨٤٣٨١٠	١٣٨١٨٨٤
١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	١٧٨٠٣٨٦	١٢٥٣٢٤٠
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	١٥٤٢٩١٤	١٣٧٣٨٤٨
١٩٦٠ ـ ١٩٦١	١٤٣٣١٠٠	١٦٢٣٥٧٦

نجد بالاضافة الى محافظة هذا الخط على نسبة عدد المسافرين وكمية البضاعة نلاحظ ان عدد الركاب وكمية البضـاعة تفوق كلاً من الخطين الاخرين بغداد ـ الموصل وبغداد ـ أربيل . فبالنسبة للبضاعة نجد ان البصرة


عدد المسافرين المنقولين بالقطار
على جميع الخطوط
٦ مليون
٥
٤
٣
٢
١
مليون
٤٢ - ٤٤
٤٤ - ٤٥
٤٥ - ٤٦
٤٦ - ٤٧
٤٧ - ٤٨
٤٨ - ٤٩
٤٩ - ٥٠
٥٠ - ٥١
٥١ - ٥٢
٥٢ - ٥٣
٥٣ - ٥٤
٥٤ - ٥٥
٥٥ - ٥٦
٥٦ - ٥٧
٥٧ - ٥٨
٥٨ - ٥٩
٥٩ - ٦٠


البضائع المنقولة على جميع الخطوط بالقطر المصري
بأجرة
مليون طن
٣
٢
١
٤٥ - ٤٦
٤٦ - ٤٧
٤٧ - ٤٨
٤٨ - ٤٩
٤٩ - ٥٠
٥٠ - ٥١
٥١ - ٥٢
٥٢ - ٥٣
٥٣ - ٥٤
٥٤ - ٥٥
٥٥ - ٥٦
٥٦ - ٥٧
٥٧ - ٥٨
٥٨ - ٥٩
٥٩ - ٦٠

هي المنفذ الوحيد للعراق فالصادرات والوردات تأتي وتتجمع في هذا الميناء ثم تنقل الى بغداد العاصمة والى شتى انحاء البلاد . أما بالنسبة لعدد المسافرين فيمر هذا الخط بعدة الوية مزدحمة بالسكان وهي الناصرية والديوانية والحلة ولواء كربلاء المجاور للحلة وهو اللواء الذي يحوى العتبات المقدسة التي يؤمها عدد غفير من السكان لزيارتها في المناسبات المتعددة .

فحالة الطرق الغير صالحة وانخفاض مستوى معيشة معظم سكان المنطقة لا يزال يشجع حركة النقل بالقطار على هذا الخط . ومع كل هذا فالسيارة آخذة في منافسة القطار ونلاحظ ذلك في السنتين الاخيرتين كما هو مبين في الجدول أعلاه .

هذا وصف موجز لحالة النقل على الخطوط الرئيسية التي تربط العاصمة بغداد بالمدن العراقية المهمة في الوقت الحاضر ومدى منافسة السيارة للقطار فكيف بعد اكمال تعبيد جميع الطرق التي تربط العاصمة بانحاء البلاد المزدحمة بالسكان والوفيرة بالانتاج ستكون طبعاً المنافسة أشد وهذا سيؤدي الى خسارة السكك الحديدية خسارة فادحة هذا في حالة عدم معالجة المشكلة معالجة جدية .

ناتي الان لدراسة الاسباب الحقيقية لهذه المنافسة وسنحاول ذكر بعض الاقتراحات في حلها . فكما بينت وثبت لدينا من ان السيارة هي وسيلة النقل الوحيدة التي تنافس القطار منافسة تزداد يوماً بعد آخر فمن الاسباب التي تجعل المسافرين والبضاعة يتحولان من القطار الى السيارة هي :ـ

اولاً : تعريفة أجور السفر بالقطار . فعند انشاء السكك الحديدية في العراق وضعت تعريفة الاجور بان صنف المسافرون الى ثلاث طبقات طبقة الفقراء وخصصت لها الدرجة الثالثة والطبقة المتوسطة وخصصت لها الدرجة الثانية وأخيراً الطبقة الغنية وخصصت لها الدرجة الاولى ، وحددت الاسعار بحيث تناسب دخل كل طبقة من هذه الطبقات فراكب الدرجة الثالثة يدفع فلساً واحداً لكل كيلو متر واحداً وراكب الدرجة الثانية يدفع

حوالى اربعة امثال ما يدفعه راكب الدرجة الثالثة أما راكب الدرجة الاولى فيدفع ضعفين ونصف ما يدفعه راكب الدرجة الثانية والبك مثلاً لذلك .

المسافة بين بغداد والموصل تبلغ ٤١٠ كم يدفع :

راكب الدرجة الثالثة ٤١٥ فلساً .

وراكب الدرجة الثانية ١٦٥٠ فلساً .

وراكب الدرجة الاولى ٤١٢٠ فلساً .

وبالحقيقة لم تكن في ذلك الوقت طبقة متوسطة تدفع ٤ امثال ما تدفعه الطبقة الفقيرة ، بل كان هناك طبقتين طبقة الذين يدفعون اجوراً عالية وطبقة الذين لا يدفعون ، فأجور الدرجة الثالثة كانت تناسب الفقراء من الناس أما الثانية والاولى تتناسب الاغنياء فقط . أما طبقة الموظفين الصغار واصحاب الحرف والمصالح المتوسطي الدخل فهـذه الطبقة قد اهملت فأسعار أجور الدرجة الاولى والثانية لا تناسبهم فهي مرتفعة بالنسبة لدخلهم ، أما أجور الدرجة الثالثة فهي رخيصة بالنسبة الى مدخولاتهم ولـكن هذه الدرجـة لا ترضيهم فهي غير مريحة بالنسبة لهم . مع العلم بان هذه الطبقة اصبحت في الوقت الحاضر تؤلف الغالبية العظمى من المسافرين فهي ترى في السيارة خير وسيلة مناسبة لحالتهم فهي أكثر راحة من الدرجة الثالثة واجور النقل فيهـا أقل من أجور الدرجة الثانية والاولى في القطار . وهذه الطبقة في ازدياد مستمر ، وعلى ما اعتقد بان مصلحة السكك الحديدية العراقية فطنت لذلك فقامت بتجهيز بعض الخطوط بعربات مريحة باسعار تناســب هذه الطبقة وسميت بالدرجة الثانية السياحية يدفع فيها راكبها ضعف ما يدفع راكب الثالثة تقريباً اذ انه يدفع ٩١٥ فلساً للمسافة بين بغداد والموصل .

ثانياً : النقل من الباب الى الباب . ان محطـات القطار لمعظم مدن وقرى العراق تقع بعيداً عن مركز هذه المدن والقرى فالمسافر والبضاعـة معاً يحتاجان الى وسيلة نقل خاصة تنقلهم وتنقل البضائع الى محطات القطار وعند وصول المسافر والبضاعة الى المحطة المقصودة لابد أن يبحث عن وسيلة أخرى لنقله الى المحل المطلوب فهذا من شأنه زيادة النفقات وضياع

الوقت والمتاعب التي يقاسيها الراكب وما تتعرض له البضاعة من تلف نتيجة لتحميلها أي شحنها وتفريغها عدة مرات . كل هذا جعل الناس يفضلون السيارة فهي تنقلهم من باب سكنهم أو مكان قريب الى الباب المقصود في المدينة الاخرى وكذلك تنقل البضاعة من مركز الانتاج أو الاستيراد الى مركز التوزيع والاستهلاك .

ثالثاً : عامل المناخ . فالمعروف ان مناخ العراق قاري ، فهو حار جداً في الصيف وبارد جداً في الشتاء ، فنجد ان عربات الدرجة الثالثة وحتى الثانية السياحية غير مجهزة بمكيفات للهواء ، فركاب المسافات الطويلة بصورة خاصة يقاسون الكثير طوال رحلتهم هذه ، لذلك نجدهم يفضلون السيارات ولو انها غير مريحة كالقطار ولكنها اسرع منه فيتحملون التعب لمدة قصيرة خير من تحمل الحر الشديد والبرد الشديد لمدة طويلة .

رابعاً : عامل السرعة ، فان معدل سرعة القطار في العراق لا تتجاوز الستين أو السبعين كيلومترا في الساعة بينما السيارة فقد تصل سرعتها الى المئة كيلو متراً في الساعة ، ومن أسباب تأخر القطار توقفه في عدد كبير من المحطات فمثلاً هناك ٣٦ محطة على خط بغداد ـ البصرة وطوله ٥٦٩ كيلو متراً و ٢٨ محطة على خط بغداد ـ كركوك وطوله ٣٢٢ كيلو متراً و ١٥ محطة على خط بغداد ـ الموصل وطولة ٤١٠ ، ثم هناك عامل آخر يجعل القطار يستغرق وقتاً طويلاً حتى يصل آخر الخط هذا العامل هو ان معظم قاطرات (ساحبات) القطارات في العراق تعمل بالبخار وهذا يجعلها تتوقف بعد مسافات قصيرة لتعويض الماء المفقود . وهناك عامل ثالث يسبب تأخير القطار وهو أن جميع الخطوط الحديدية في العراق فردية وليست زوجية أي خط واحد تستعمله القطارات الصاعدة والنازلة فلابد من انتظار أحد القطارين المتقابلين في احدى المحطات ليسمح للآخر بالمرور ثم يتابع هو سيره وقد يطول الانتظار احياناً لطول المسافة بين محطتين .

خامساً :ـ عدم توفر وسائل الراحة للمسافرين وذلك للاسباب التالية:ـ

(١) ان معظم أرصفة المحطات مكشوفة يقاسي المسافر من تطرف المناخ الكثير كاشعة الشمس المحرقة والامطار الغزيرة والبرد الشديد .

(٢) صالات انتظار الركاب غير مجهزة بوسائل الراحة حتى لركاب الدرجة الاولى والثانية .

(٣) وجود المحطات خارج مركز المدن لا تمر بها عدة خطوط لسيارات نقل الركاب داخل المدن فمثلاً محطة شمالي بغداد لا يمر بها سوى خط سير واحد ومحطة غربى بغداد الى البصرة بعيدة عن خطوط سير الباصات فالذى لديه أمتعة خفيفة يضطر الى تأجير تاكسي أو وسائل نقل اخرى .

(٤) فتح شباك التذاكر فى موعد قريب من حركة القطار مما يؤدى الى تزاحم الركاب على الحصول لتذاكر السفر والتسابق لحجز أمكنة لهم اذ ان مقاعد الدرجة الثالثة غير مرقمة .

(٥) النوافذ غير محكمة لعربات الدرجة الثالثة فهى تسمح للاتربة الدخول الى العربات ومضايقة المسافرين يزيد الطين بله .

(٦) فى معظم القطارات لا توجد عربة تستعمل لبيع المأكولات وتناول المرطبات .

سادساً : عدد سفرات القطار على الخط الواحد محدودة فهى لا تتعدى السفرتين يومياً على كل خط من الخطوط الرئيسية وهذا لا يتناسب مع رغبات المسافرين وخاصة مسافرى المسافات القصيرة .

سابعاً : تعطل الخطوط فى فترات معينة عند اشتداد الامطار فتغمر السيول بعض اجزاء الخط وتقطع المواصلات .

ثامناً : قلة فروع الخطوط الرئيسية فهناك مناطق واسعة ومدن عديدة لم تربط بخطوط حديدية بالخطوط الرئيسية فمسافرى هذه المناطق يفضلون استعمال السيارة من مناطقهم الى العاصمة أو المدن الاخرى بسفرة واحدة أو بوسيلة واحدة وهى السيارة . مثلاً سكان مدينة السليمانية المسافرين الى العاصمة عليهم أن يستقلوا السيارة الى كركوك ثم يأخذون القطار الى بغداد فهم يحبذون السفر بالسيارة مباشرة بين السليمانية وبغداد

وكذلك الحال بالنسبة لركاب منطقة العمارة وركاب منطقة النجف وغيرها من المدن التي تقع بعيدا عن الخطوط الحديدية .

تاسعاً : انخفاض اسعار مادة الوقود اللازمة لسير السيارات فهذا يشجع امتلاك السيارات بكثرة وانخفاض اجور النقل فيها .

أما أهم المقترحات التى تحد من شدة هذه المنافسة بين السيارة والقطار فهى :ـ

اولاً : اعادة النظر فى تعريفة أجور نقل المسافرين واعطاء أهمية للطبقة الوسطى التى يزداد عددها يوماً بعد يوم ، مع الاهتمام بتعميم عربات الدرجة الثانية السياحية وزيادة عددها .

ثانياً :ـ زيادة عدد القطارات النازلة والصاعدة لا سيما بين العاصمة والالوية المزدحمة بالسكان والقريبة من العاصمة كالحلة والديوانية وديالى . وتصنيف القطارات الى سريعة وعادية وديزل .

ثالثاً : زيادة سرعة القطارات وذلك بتحسين الخطوط بحيث تتحمل سرعة اعظم والاكثار من استعمال عربات الديزل والتى لا تتوقف الا بالمحطات المهمة فمثلاً خط بغداد ـ المعقل يخصص قطار ديزل سريع يتوقف فى الحلة والديوانية والناصرية فقط . والاكثار من مراكز تقابل القطارات لكى يقلل من فترات الانتظار .

رابعاً : توحيد مقاييس الخطوط كما هو جارى بالنسبة لخط بغداد البصرة اذ سيكون هذا الخط موحداً مع خط بغداد تل كوجك وهو المقياس العالمى ٤ قدم و ٨½ بوصة .

خامساً : توفير جميع وسائل الراحة للمسافرين كتحسين العربات والحاق عربة حانوت ومطعم فى كل قطار وتعميم استعمال مكيفات الهواء فى عربات جميع الدرجات ، وبناء المحطات الكبيرة الحاوية على جميع وسائل الراحة وما يحتاجه المسافر ، وكذلك بناء الارصفة المسقوفة .

سادساً : تقريب المحطات من مراكز المدن فمثلاً محطة شمالى بغداد يمكن وقوف القطار بالساحة الجانبية لكلية الهندسة بحيث تمر معظم

باصات المصلحة من هذه الساحة ، وكذلك بناء محطة قرب الاذاعة لوقوف قطار بغداد ــ المعقل .

سابعا : جعل جميع الخطوط مزدوجة لتسهيل سير القطارات وتقلل من فترة الانتظار .

ثامناً : هناك حل عملي اتبعته بعض دول العالم منها المانيا وذلك بالسيطرة على وسائل نقل الركاب بالطرق البرية ومنها السيارات فنجد أن باصات نقل المسافرين تابعة لمصلحة السكك الحديدية أو لمصلحة البريد وفي هذه الحالة تحدد الاجور بحيث لا تنافس اجور السكك الحديدية وكذلك تحدد السير لهذه الخطوط بحيث لا توازى خطوط السكك الحديدية في كثير من الاحيان وبهذه الطريقة أمنت الخطوط الحديدية من المنافسة الشديدية .

وهذه الظاهرة بدأت في العراق خلال السنين الاخيرة فهناك خطوط سير باصات تابعة لبلديات بعض المدن كبعقوبة والحلة فمثلاً احدث خط سير باصات بين بعقوبة وبغداد تابع لمصلحة نقل ركاب بعقوبة فأخذ هذا الخط ينافس الباصات والسيارات الاهلية وطبعاً زاد من منافسة القطار أو انه اشترك مع باقي السيارات في منافسة القطار ، فلو بدأت مصلحة السكك الحديدية باحداث مصلحة لنقل الركاب بين مختلف المدن العراقية وتكون تابعة لها فسيكون ذلك أفضل طريقة للحد من منافسة السيارات للقطار .

واني حينما ذكرت هذه الاقتراحات ليس معنى ذلك دفاعاً عن السكك الحديدية ومصالحها تاركاً مصلحة المسافرين ، بل بالعكس اني اعتقد ان راحة المسافرين وخاصة للمسافات الطويلة تكون بسفرهم بواسطة القطارات وتكون على اتم وجه ، هذا طبعاً في حالة توفر جميع وسائل الراحة والسرعة وغيرها من الاقتراحات الخاصة بالقطار والتي ذكرنا بعضها .

التظلم من الحكام

في أدب العصر الاسلامي والاموي

الدكتور باقر عبدالغني
مدرس في قسم اللغة العربية

تعهّد القرآن الكريم بالاصلاح والتهذيب هذا الضعف الانساني الذي يتمثل في نزعات ورغبات وأهواء تخرج بصاحبها عن الجادة وتبعد عن الاعتدال وهى أمراض اجتماعية تصيب بأذاها فريقاً من أفراد المجتمع وتربك أمور حياتهم وتعطل رسالة الحياة العامة عن المضي في عملها الخيّر . ومن هذه النزعات والرغبات حب الانسان المفرط للمال وامتلاك الثروات على اختلاف أنواعها مما يفيض عن حاجاته المعقولة ، والاخذ بأسباب الترف والنعومة فى العيش وما يستتبع ذلك من بذخ واسراف وتبذير . ومنها ميله الى الحكم والتسلط واستغلال النفوذ فى سبيل منافع ذاتية ، وحكمه بالهوى وظلمه ومحاباته ، وتجنّبه للحق وتنكُّره للسنن والقوانين الى غير ذلك من أنواع السلوك مما تعارفت الاخلاق على استنكاره واستهجانه وتواصت الاديان على استبشاعه وتحريمه وتواضعت القوانين على منعه وبطلانه .

وفى القرآن الكريم مجموعة كبيرة من النصائح والتوجيهات والتشريعات التى تعالج هذا الجانب من حياة الفرد . فقد عاقب على السرقة وحرّم الرّبا ونهى عن بخس الناس حقوقهم . قال تعالى (والسارقُ والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا ، ونكالا من الله واللهُ عزيز حكيم)[1] . (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتْدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً)[2] .

---

(١) سورة المائدة/الآية ٣٨ .
(٢) سورة النساء/الآية ١٦١ .

وموقف القرآن من ذوي الحكومة والسلطان والولاية على الناس مثله مع المسرفين في جمع الثروة والنعيم . اذ ان اسراف هاتين الطائفتين من الناس وتجاوزهما حدود الاعتدال مما يؤدي الى الحاق الاذى بالآخرين . فالسارق والمرابي والتاجر الجشع انما يتحين أولهم غفلة هذا وثانيهم حاجة ذاك ليحصل على ما ليس له حق به من أموال الآخرين . وحين يحكم الحاكم بهواه ويجور في أحكامه فهو ظالم لاشك لطرف من أطراف الخصومة اذ يمكّن احدها من اكتساب ما ليس له حق في اكتسابه ولهذا أكثر القرآن من وصاياه بالعدل في الحكومة واكثر من تحذيره وتوعّده لمن يقضي بالهوى ويأخذ بالظنّة ويخضع في أحكامه للمؤثرات المادية ويميل مع عواطف الرضا والغضب والاثرة والمحاباة . قال تعالى (يأيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسْط ، شُهداءَ لله ... فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ...)[٣] . (انّ اللهَ يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ...)[٤] ، (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون)[٥] . (يأيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله ، شهداء بالقسْط ولا يجر منّكم شَنَئانُ قومٍ على أن لا تعدلوا ، اعْدِلوا هو أقربُ للتقوى واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون)[٦] . (يا داود إنّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحْكم بين الناس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله)[٧] .

هذه صور من التعاليم القرآنية التي تتصل بسيرة الناس وتنظيم العلاقات بينهم . واذا كانت هذه التعاليم تسري على الحكّام وأهل السلطة منهم بوصفهم أفرادا من الناس فقد خصهم القرآن بأخرى تتناولهم دون

---

(٣) سورة النساء/الآية ١٣٥ .
(٤) سورة النساء/الآية ٥٨ .
(٥) سورة البقرة/الآية ١٨٨ .
(٦) سورة المائدة/الآية ٨ .
(٧) سورة ص/الآية ٢٦ .

غيرهم بالنصح والهدي والارشاد . ذلك لانهم يختلفون عن العامة للذى نصبوا اليه أنفسهم من حمل مسؤليات لها فروضها والتزاماتها وتبعاتها . ولانهم آخذوا مكان الصدارة فى الامة وتولوا رعاية شؤونها فهم اذاً قادة وقدوة للناس . وهم أدرى بهذه الانظمة وفروضها وحدودها . فصدّهم عن الاخذ بها تعطيل لاحكامها وهدم لكيانها . وفى خروجهم عليها ، وهم قادة ، تشجيع لخصومها على الطعن فيها ولاهل الغفلة من انصارها على الازورار عنها . وسيرهم فيها بالهوى والرأى والعاطفة ، وهم قدوة ، دفع لغيرهم على العبث بها والتغافل عنها والتحوير والتبديل في نصوصها . ولهذا أصبحت سيرتهم موضع امتحان ومراقبة وموضع مثل فى الاحسان أو الاساءة .

ولئن كان القرآن قد جاء موجزا مقتضبا في آياته التي تتناول سيرة الولاة وذوى السلطان ، فقد تولى الرسول الاكرم وخلفاؤه الراشدون هذا الباب بالايضاح والتفصيل . فكان أول ما عملوا ، لرسم السيرة المثلى في الحكم ، أن اخذوا أنفسهم بالذى أوصى به القرآن لا يحيدون عنه وحملوها على رياضة نفسية فريدة فى ضبط النفس وكبح العواطف والنزعات ، والتجرد عن الهوى والاثرة والمحاباة ، وفي هواية الحق واشاعة العدل وحب الانصاف وصنع الخير والجميل ، ومقت الظلم ، ومحق الباطل ، وسحق البغي ، واستئصال الفساد . لقد حكموا لله وبما انزله الله . ولم يحكموا لانفسهم بما أملته أهواؤهم . وكان خوفهم من أن يظلموا أشدّ من رغبتهم فى أن يحكموا . وقد راجعوا أنفسهم فى الاحكام مرتين ، حبا بالعدل مرة ، وخوفا من الظلم مرة أخرى .

وكانت قناعتهم بالزهيد من الرزق ثروةً أمّنت نفوسهم من خوف الفقر . فعفوا وكان لهم من عفتهم كنز أغناهم عن أن يمدوا يدا الى أموال الامة . ووقفوا على خدمة الامّة مالهم وأنفسهم . فانقطعوا الى العمل من أجلها وقطعوا عنهم ما كانوا يتعاطونه من أسباب الرزق . وكان أحدهم اذا عرضت له حاجة فى بيت المال جعل ذلك ديناً عليه يردّه فى حياته أو يوصي بردّه

بعد وفاته . كان ابو بكر رجلاً تاجراً قبل الخلافة . ومضى على عمله حين استخلف فلما رأى في عمله ما يعيقه عن القيام بواجبه (نظر في أمره فقال لا والله ما تصلح أمور الناس التجارة • وما يصلحهم الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم • ولابد لعيالي مما يصلحهم • فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم ويحج ويعتمر وكان الذى فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم • فلما حضرته الوفاة قال ردوا ما عندنا من مال المسلمين فانّي لا أصيب من هذا المال شيئاً ، وانّ أرضي التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم • فدفع الى ذلك عمر ولقوحا وعبداً صيقلاً وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم)[٨] . وكان عمر بن الخطاب (اذا احتاج اتى صاحب بيت المال فاستقرضه ، فربّما اعسر عمر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه ، فيلزمه فيحتال له عمر . وربّما خرج عطاؤه فقضاه)[٩] • وكان علي بن أبي طالب (اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضّة قال :

ابْيضّي واصْفري وغُري غيْري   اِنيّ من الله بكل خير)[١٠] .

وكانت شدة الخلفاء الراشدين على أهلهم وذويهم كشدّتهم على أنفسهم . كان هؤلاء أول من يُنهى عن شيء يريد الخليفة ان ينهى الناس عنه . ولم تكن لتشفع لهم قرابة عند الخليفة فيما يعرض لهم من الامور . وقد حُرموا من مناصب الحكم دفعاً لما قد يلحق بهم وبآبائهم من تهمة الاثرة والمحاباة (كان عمر اذا اراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله وتقدم اليهم بالوعظ لهم والوعيد على خلافهم أمره)[١١] .

وقد دعاهم حرصهم على السير بالامة وشؤونها سيراً سليماً نزيهاً ،

---

(٨) الطبري ٢/٦٢١ .
(٩) نفس المصدر ٣/٢٧٦ .
(١٠) العقد الفريد ٤/٣١٢ ـ ٣١٣ .
(١١) الطبري ٣/٢٧٥ .

الى التشديد فى اختيار العمال والولاة . فما كانوا ليولوا أحداً على عمل لهم الا بعد ان يتوثقوا من صلاحه وعفته وعدله • وكانت أولى الدلائل عندهم على استقامة المرشّح وصلاحه ، زهده فى الحكم والولاية . اذ ان الزاهد التقي يرى في هذه المهمة عبئا قد لا يتمكن من القيام بثقل فروضه • فاذا أدرك الخليفة ان فى المرشَّح ميلاً الى العمل حرمه منه اعتقاداً منه انما يسعى اليه لغرض من أغراض الدنيا (أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يستعمل رجلاً . فبدر الرجل فطلب منه العمل ؟ فقال عمر : والله لقد كنت اردتك لذلك . ولكن من طلب هذا الامر لم يُعن عليه)[١٢] فاذا وجدوا من يتوسمون فيه الكفاءة زوّدوه بنصحهم وارشادهم وحذّروه وتوعدوه ان هو خالف حدود الله فى سيرته بالرعيّة . وكانت وصاياهم تنصب على العدل بين الناس والرأفة بهم وتفقّد أمورهم والتواضع لهم والاستماع الى شكاواهم والسويّة بينهم والوفاء بحقهم فى العطاء والانصاف معهم فى الجباية . وطلبوا اليهم ان يتثبتوا من البيّنات قبل الحكم ويراجعوا انفسهم في حكم ظهر لهم فيه خطأ • وان لا يحكموا بالهوى ولا تأخذهم في الحق محاباة . وان يبتعدوا عن مواطن الشبهة ويقنعوا بالقليل الذى يسدّ الحاجة . وان لا يمدّوا يداً الى أموال المسلمين وان يحافظوا على امنهم وانفسهم وأموالهم . لقد خلّف الراشدون مجموعة ضخمة من هذه الوصايا تبيّن لنا مدى ادراكهم العميق لواجباتهم وشعورهم بالمسؤوليات العظام التى ائتمنتهم عليها الامة[١٣] .

وعلى الرغم من تحوّط الخلفاء الراشدين فى اختيار عمّالهم والتشديد عليهم في الوصية وأخذ العهود والمواثيق منهم لم يطمئنوا الاطمئنان كله الى سلامة أعمال الولاة جميعها فقد قدّروا ان لابد يوجد بينهم من لا يقوم بواجبه كما يريدون سواء كان ذلك عن غفلة أو قصد ،

---

(١٢) العقد الفريد ١/٢٤ .
(١٣) أنظر وصية لعمر بن الخطاب في هذا المعنى ، البيان والتبيين ٢/٤٧ ـ ٤٨ وأخرى لعلي بن ابي طالب ، الطبري ٣/٥٥٦ .

وهذا ما أشار اليه عمر بن الخطاب حين تمنى لو تمكن من الاقامة في كل مصر من أمصار العالم الاسلامي شهرين ليقف بنفسه على سير الامور (لئن عشت ان شاء الله لأسيرنّ في الرعيّة حولاً فانّي أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أمّا عمالهم فلا يرفعونها اليّ وأمّا هم فلا يصلون الينا . فأسير الى الشام فاقيم بها شهرين ثم أسير الى الجزيرة فأقيم فيها شهرين ثم أسير ...)(١٤) .

ولهذا لم يغفل الخلفاء أمر مراقبة الولاة والعمال في الامصار على الرغم من ثقتهم بهم . فقد كانوا يكتبون لهم بين حين وآخر يسألونهم عن شؤون ولايتهم ويعيدون عليهم الوصيّة بمثل ما زوّدوهم به عند استعمالهم . وكانوا يستطلعون أخبارهم بسؤال القادمين من ولاياتهم أو باستدعائهم للاجابة عما يبدر منهم من عمل مخالف يحمل خبره الى الخليفة . ولما لم تكن الدولة آنذاك تملك من وسائل التفتيش والرقابة على موظفيها ما تملكه الدولة الحديثة فقد ترك الامر في هذا الشأن الى ذمم العمال والى الوازع الديني والخلقي عندهم يسيرون بهديه ويكون عليهم شاهداً ورقيباً .

غير ان الذي أوصى به القرآن الكريم في هذا الباب وما سنّه الرسول الاكرم وخلفاؤه الراشدون لم يحل دون زيغ بعض الولاة وميلهم الى الاخذبنعيم الدنيا والجنوح الى استغلال مناصبهم في كثير من ذلك أو قليل ، ولم يتجرد بعضهم عن العاطفة والهوى في بعض أحكامه ولم تتنزه عهودهم عن الهنات والمآخذ سواء ذلك عن عمد أو غفلة أو خطأ في الرأي والاجتهاد .

وعلى الرغم من حزم الخلفاء الراشدين ويقظتهم في تتبع واستطلاع سيرة الولاة لم يكن باستطاعتهم ان يلموا بما كان يجري في الولايات والاقاليم جميعها أو يحيطوا باخبار القادة والولاة والقضاة والجباة على اختلاف مراتبهم واماكن عملهم وفترات حكمهم وتعدد القضايا والامور التي تعرض لهم في ولاياتهم . ذلك ان الدولة كانت ناشئة تعوزها الاجهزة

---

(١٤) الطبري ٣/٢٧١ ـ ٢٧٢ .

الادارية التى تنظم دورة العمل فيها . وقد اتسعت فى فترة وجيزة ولم يكن ما يصل بين اجزائها غير الوسائل البدائية التى لم يستطع الوضع الجديد ان يكيفها وفق ما تلزم به ضرورات الادارة والضبط .

ومهما يكن من أمر هذه العوامل ودورها فى الحيلولة دون الاحاطة بسير الامور فى الولايات احاطة تامة سريعة من قبل المسؤولين الكبار فى العاصمة فقد تهيئات للدولة وسيلة ليست من أجهزتها تعينها على مراقبة الحالة فى الولايات وتسمعها شكوى الاقاليم . هذه الوسيلة هى صحافة العصر المثلة فى أدبه ، خاصة هذا الادب الذى وقف جانباً من شعره ونثره على تتبع سيرة الولاة والكشف عن اخطائهم وهفواتهم .

ونحن اذ نعرض لهذا اللون من الادب الذى جعلناه مدار بحثنا لا نريد به هذا الادب الذي جاشت به نقمة شخصية صبت غضبها على هذا أو ذاك من الولاة لانها أخفقت فى حمله على تلبية رغبة ذاتية فراحت تسلقه بالسنة حداد مشهرة به وطاعنة مؤلبة عليه . ولا نريد به هذا الادب الذى دفعت اليه عصبية قبلية أو سياسية فباتت تغض الطرف عن اخطاء الولاة الذين هم من رهطها وتشهّر بالذين ليسوا منها فى عمومة أو شيعة . وانما نعنى به هذا الادب الذى جهر بالشكوى تحدوه رغبة الاصلاح والنصح والارشاد ولم يعلنها محاولة منه فى الطعن بالسياسة العامة وسعياً لاستبدال السلطة المركزية فهو يختلف عن أدب الاحزاب المعارضة اذ انه يعترف بهذه السلطة ومن ثم يطلبها بتقويم الظالمين والمنحرفين من ولاتها بينما نرى ان أدب الاحزاب يتظلم من السلطة المركزية ذاتها ولا يرى صلاح الامر الا فى تنحيتها عن الحكم وتمكين الكتلة الناطق بلسانها منه .

وأول ما يطالعنا من هذا الادب فى عهد عمر بن الخطاب . وهو عهد الفتوحات التى فتحت باب الغنائم والثروات على العرب . ويبدو ان الخير الذى ساقه الله على العرب فى الامصار قد حرّك فى نفوس بعض العمّال غريزة الطمع فراحوا يجمعون الثروات الخاصة ويتنعمون بملاذ الحياة

التى توفرها لهم هذه الثروات ، مما حمل الخليفة على مساطرتهم اموالهم .
وكان الذى نبهه الى هذا التحوّل فى سيرة فريق من عمّاله فيما يروى عن مالك بن أنس ان شاعراً كتب اليه يقول[١٥] .

نحجُّ اذا حجّوا ونغزو اذا غزوْا فانّى لهم وفْرٌ ولسنا بذي وفْر
اذا التاجر الهندي جاء بفارةٍ من المسْك راحت في مفارقهم تجرى
فدونك مالَ الله حيث وجدتَه سيرضون ان شاطرتَهم منك بالشطر

فالشاعر فى أبياته ، كما نرى ، يتساءل ، متعجباً مستنكراً ، عن مصادر الثروة الطارئة التى أصابها الولاة وهم بعد مثله ومثل أصحابه من عامّة الناس فى ظروف العيش وأسباب الرزق فمن أين تاتى لهم هذا الثراء الذى باتوا يرفلون بنعيمه ونعومته لو لم يمدّوا ايديهم الى بيب المال ؟ !
والشاعر اذ يشير الى هذا الثراء المريب والمال المغتصب من بيت أموال المسلمين فهو يدعو الخليفة الى استرجاعه . ومهما يكن الرأى فى الصلة التى تعقدها الرواية بين المناسبة التى قيلت فيها الابيات والقرار الذى اتخذه الخليفة ، فالثابت ان الخليفة قد شاطر بعض عماله اموالهم فعلاً . وان الابيات صريحة في موضوعها وهو الموضوع الذي عالجه الخليفة وأجرى أمره عليه .

ومرة أخرى نرى الشعر ينبرى داعياً الى الانصاف ورفع الحيف والسوية بين الناس في المعاملة . فقد روى ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن أبى وقّاص يوم القادسية أن يعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن فقال سعد لعمرو بن معد يكرب ، ما معك من القرآن ؟ قال : ما معي شيء ، قال : ان أمير المؤمنين كتب اليّ أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن . فقال عمرو :

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحدٌ قالت قريشٌ الا تلك المقادير
نُعطى السويّة من طعن له نَفَذٌ ولا سويّة إذ تُعطى الدنانير

---

(١٥) العقد الفريد ٥/٢٨١ .

فكتب سعد بأبياته الى عمر فكتب اليه أن يُعطى على مقاماته فى الحروب[١٦] .

وليس من المستبعد أن يرد الخليفة بالايجاب على مثل هذه الصيحات كما تشير الروايتان اللتان اوردتا الشعر ذلك للذى نعرف ما كان من حرصه على استطلاع أمور الولاة وسيرتهم فى الرعيّة والاستماع الى شكوى الناس ورفع ما قد يلحق بهم من مظلمة وايذاء واجحاف .

ثم كان أن مالت السياسة العامة التي ظلت عادلة منصفة على عهدي أبي بكر وعمر ، الى الاثرة والمحاباة ومسايرة العواطف ، وكان ذلك على عهد الخليفة عثمان اذا استغلّ المقرّبون اليه عطفه تارة وضعفه تارة أخرى فجعلوا يجمعون من مغانم الحكم ما يؤاتيهم به هذا الضعف واللطف ، مما سبب النقمة عليه كما هو معروف . وهنا أيضا نرى الشعر يتصدى لسياسة المحاباة والهوى والعواطف . قال عبدالرحمن بن حنْبل الجُمحي يندد بعثمان وسياسته[١٧] :

فأحْلِفُ باللهِ ربِّ الأنا م ما كتب اللهُ شيئاً سُدى
ولكنْ خلقتَ لنا فتنةً لكى نُبتلى بكَ أو تُبْتلى
فانَّ الأمينيْن قد بيَّنا مناراً لحقٍّ عليه الهدى[١٨]
وأعطيت مروان خمس العباد هيهات شأوك ممن شأى[١٩]

والابيات واضحة صريحة فيما تتحدث عنه . فهى اذ تذكر بالخير سيرة الخليفتين أبى بكر وعمر وأمانتهما ونهجهما العادل المستقيم ، لتشكو مرّ الشكوى من هذه المحنة التى جرّت اليها سياسة عثمان ومحاباته لفريق من أعوانه وأقربائه محاباة مكّنتهم مما ليس لهم به حق من أموال المسلمين .

---

(١٦) نفس المصدر ٢/٦٦ .
(١٧) العقد الفريد ٤/٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(١٨) الامينان أبو بكر وعمر .
(١٩) وهب عثمان لمروان بن الحكم خمس ما جاءه من فتح أفريقية . انظر العقد الفريد ٤/٢٨٣ . شأى القوم : سبقهم .

والملاحظ ، على أيّة حال ، ان هذا اللون من الادب ، شعراً كان أم نثراً ، لم تكثر ظروفه في عصر الخلفاء الراشدين . ذلك للذى نلاحظه من قلّة في نماذجه . ومردّ ذلك ، فيما نرى ، هو ان عصر الراشدين كان خاضعاً في تصريفه لامور الناس الى المُثل والقيم التى أرست قواعدها المدرسة الخلقية التى أقامها الرسول الاكرم . فالخلفاء في المدينة هم الرعيل الاول من روّاد هذه المدرسة . وأن أغلب العمّال والولاة هم ممن أدرك عصر الرسول ، فكان الذى زوّدوا به أنفسهم من تعاليم هذه المدرسة قد أشربها حب النهج السوي والسيرة النقية الصالحة الزاهدة ، مما أمن الناس على أموالهم وأنفسهم وحقوقهم . وقد قلّ من شذّ منهم عن هذا النهج فقلّت لذلك الشكوى والاحاديث والاشارات الى مثل هذا الموضوع في أدب هذه الفترة .

ثم دالت دولة الراشدين وقام على أعقابها الحكم الاموي . وهو حكم يختلف عن حكم الراشدين في مفاهيمه وسيرته ورسالته . فقد قلب شورى الاسلام ارثاً يتداوله بيت واحد . وصرف أموال المسلمين في وجوه لم يشرّع لها الاسلام . واختار عماله وولاته على أساس العصبيّة والولاء للبيت المالك . وكان قيامه على أثر معارك دامية ومراوغات سياسية. حتى اذا تمكن من الامر ، بطش ونكّل بالمعارضين له ، الامر الذى أثار النقمة والشحناء والبغضاء في نفوس فريق كبير من الامّة . فانتزعت الثقة من النفوس ، ثقة الحكّام في الرعيّة ، وثقة الرعيّة في ولاة أمرها وبات الامر كما عبّر عنه عبدالملك بن مروان اذ يقول : (الا تنصفوننا يا معشر الرعيّة ؟ تريدون منّا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعيّة أبي بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل)[٢٠] وللرعية أولى بهذا القول من رعاتها الامويين الذين لم يسيروا فيها سيرة الراشدين لتكون هي كرعيّة الراشدين أمناً واطمئناناً وسمعاً وطاعة . لقد عهدت الرعيّة عمر بن الخطاب يقوم في يوم حار شديد الحرّ يعدّ

---

(٢٠) البيان والتبيين ١/٢٦٥ .

إبل الصدقه ويكتب الوانها وأسنانها حرصاً منه على حفظها وصيانتها[٢١] . ولما صار الامر الى عبدالملك بن مروان رأته يأمر لجرير بمائة ناقة من أموال المسلمين وثمانية من الرّعاء وجامة من ذهب تكون محلبا . كل ذلك في قصيدة قالها في مدحه[٢٢] . فكيف للرعيّة أن تطمئن الى ان مالها وما عليها من حقوق في بيب المال في أيد أمينة كأيدي الراشدين بعد أن رأته ملكاً شخصياً تتصرف فيه الاريحية ! واذ يشرّع الله تعالى (ألاّ تزر وازرةٌ وزْرَ أخرى وأنْ ليس للانسان الاّ ما سعى) ترى الامّة زياد بن أبي سفيان والي البصرة للامويين يقرر أن يأخذ (الوليّ بالوليّ ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي)[٢٣] ، فاين هذه السيرة مما اوصى به الله وأخذ به الراشدون وكيف لها ان تجد عدلاً وانصافاً في ظل حكم يوضّح زياد فلسفته ونهجه . ونحن نعرف ما كان من أمر الحجاج وبطشه وتنكيل يزيد بن المهلّب والى العراق من بعده بآل الحجاج هذا ، وعصبية خالد بن عبدالله القسري والي العراق لهشام بن عبدالملك وملاحقته للقيسية ، يضاف الى ذلك انصراف اغلب الخلفاء الامويين الى التمتع بملاذّ الدنيا وترفها وتركهم الولاة يدبّرون أمور الناس حسب اهوائهم .

ولهذا كله كثرت الشكوى من ولاة هذا العصر وتوددت صورها بتعدد المظالم والهفوات التي ارتكبوها . وتعالت صيحات الاصلاح والانصاف . ونهض الادب ليعبّر عما يلاقيه الناس من أذى . فيشكو تارة من بعيد ويحمل الشكوى الى الخلفاء أنفسهم تارة أخرى . يعتب حيناً ويغضب حيناً آخر وهو على أحواله كلها انّما يصدر عن عاطفة بعيدة عن الدوافع السياسية والقبليّة ويخلص صيحته للاصلاح وحده ، ويرجو أن يتدارك ولاة الامر في الشام ما أفسدوه هم تارة وما أفسده عمالهم في الامصار تارة أخرى .

---

(٢١) الطبري ٣/٢٧١ .
(٢٢) الاغاني ٨/٦٦ - ٦٨ .
(٢٣) البيان والتبيين ٢/٦٣ .

ومن ذلك ما قاله عُقبْة بن هبيْرة الاسدى لمعاوية يندد بطمع الامويين واستحواذهم على أموال الناس ويلومهم على اختيار المغمورين والوضعاء امراء وولاة على الناس ويدعوهم الى العدل والانصاف(٢٤) :

« معاويَ » اِنّنا بشرٌ فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد(٢٥)

أكلتم أرضنا فجرد تموها ... فهل من قائم أو من حصيد

فهبنا أمّة ذهبت ضياعاً ... « يزيد » أميرها و « أبو يزيد »

أتطمع في الخلود اذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود

ذروا خوَل الخلافة واستقيموا ... وتأمير الاراذل والعبيد(٢٦)

وأعطونا السويّة لا تزركم ... جنودٌ مردفات بالجنود

وقال عبدالله بن همام السلولي حين لم ينفّذ النعمان بن بشير والي الكوفة ما أمر به معاوية من زيادة أعطياتهم(٢٧) :

زيادتَنا « نعمان » لا تحرمنّنا ... خفِ الله فينا والكتاب الذى تتلو

فانّك قد حُمّلت فينا أمانةً ... بما عَجزتْ عنه الصلاخمة البُزْل(٢٨)

وقبلك قد كانوا علينا أئمة ... يهمهم تقويمنا وهم عُصْل

اذا أنصتوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكنَّ حُسْنَ القول خالفَه الفعل

يذمّون دنياهم وهم يرضونها ... أفاويق حتى ما يدرّ لها ثُعْل(٢٩)

ووفدت سودة بنت عمارة بن الاشتر على معاوية تشكو اليه ظلم عامله على قومها وتسأله أن يعزله . وتذكّره بسيرة الخليفة من قبله وقضائه

---

(٢٤) خزانة الارب ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٢٥) سجح : سهل ولان .

(٢٦) الخول : الاماء والعبيد وغيرهم من الحاشية .

(٢٧) الاغاني (ط. بولاق) ١٤/١٢٠ .

(٢٨) الصلخم : الشديد القوى .

(٢٩) أفاويق : جمع فيقه وهو اللبن الذي يكون في الضرع بين الحلبتين . الثعل : الزيادة في ضرع الناقة والشاه .

العادل وعقابه للمسيئين من عماله . قالت : (يا أمير المؤمنين ، انّك للناس سيّد ولامورهم مقلّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنّا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطأة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته عنا فشكرناك ، واما لا فعرفناك ، فقال معاوية : إيّايَ تهددين بقومك ! والله لقد هممت أن اردّك على قتب أشرس[٣٠] فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت :

صلّى الأله على روح تضمّنه قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به ثمناً فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ؛ قال ما أرى عليك منه أثراً ؛ قالت : بلا ، أتيته يوماً فی رجل ولاّه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغثّ والسمين ، فوجدته قائماً يصلّي ، فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطّف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه الى السماء ، فقال : اللهمَّ انّي لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترْك حقّك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بيّنة من ربّكم ، فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين ، بقيّة الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . اذا اتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك ، حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام . فأخذته منه يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ، ولا ختمه بختام ، فقال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها ، فقالت : أليَّ خاصة أم لقومي عامّة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هی والله اذاً الفحشاء واللؤم ان لم يكن عدْلاً

---

(٣٠) القتب : الرحل على قدر سنام البعير . وأشرس : صفة لمحذوف وهو البعير أو صفة للقتب ، بمعنى الخشن .

شاملا ، والا يسعني ما يسع قومي ؟ قال : هيهات ، لمّظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تغطمون)[٣١] .

ووفدت عكْرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية تشكو اليه عمّال الصدقات وظلمهم وما لحق قومها من بؤس وصاروا اليه من ضيق وفاقة . فسألها معاوية عن حاجتها فقالت : (انه كانت صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد على فقرائنا ، وانا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير . فان كان ذلك عن رأيك ، فمثلك من انتبه عن الغفلة ، وراجع التوبة ، وان كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعان بالخونة ، ولا استعمل الظلمة . قال معاوية يا هذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق ، وبحور تنفهق ؟ قالت : يا سبحان الله ، والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علاّم الغيوب ؟ قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ، نبّهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافها)[٣٢] .

وفي النصوص المتقدمة اشارات صريحة الى التحول الذى طرأ على سيرة الولاة عما كانت عليه في عهد الراشدين فقد اشتدوا في معاملتهم للناس الا القليل منهم . ورفعوا الحرمة التى اضفاها الراشدون على أموال المسلمين فصارت تجمع دون تقدير عادل وتجبى لولاة الامر فى الشام دون أن تسد بها حاجات الذين شرعت لهم . ولم تنصب الشكوى على الامويين وحدهم بل شملت الزبيريين الذين أتيح لهم أن يحكموا شطراً من الامة الاسلامية لفترة دامت عشر سنوات . ولم يخرج الناس فى تذمرهم من هؤلاء عن المواضيع التى اداروا حولها شكواهم من الامويين والتى أثارها ترف الولاة وبذخهم مرة واهمالهم لشؤون الرعيّة وعجزهم عن تدبير الامور مرة أخرى . فهذا أبو الاسود الدؤلي يشكو الى عبدالله بن الزبير عامله على البصرة الحارث بن عبدالله الملقب بالقُباع الذى لا همّ له الا

(٣١) العقد الفريد ٢/١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٣٢) نفس المصدر ٢/١١١ ـ ١١٢ .

التمتع بملاذ الحياة من زواج ومأكل والذى ليست له القدرة على إحكام الامر وتدبيره والقطع برأى والثبات عليه(٣٣) :

أمير المؤمنين جزيت خيراً أرحنا من قُباع بني المغيره
بلوناه ولمناه فأعيا علينا ما يُمرّ لنا مريره(٣٤)
على ان الفتى نكْحٌ أكول ومسهابٌ مذاهبه كثيره

وتزوّج مصعب بن الزبير والي العراق لاخيه عبدالله من عائشة طلحة فأمرها ألف ألف درهم فكتب أنس بن زُنيْم الليثي الى عبدالله بن الزبير يقول(٣٥) :

أبلغ أميرَ المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يُريد خداعا
بضع الفتاة بألف الفٍ كاملٍ وتبيت قادات الجيوش جياعا
لو لأبي حفص أقولُ مقالتي وأبثّ ما أبثتكم لارتاعا

وتناول الشعراء الخلفاء أنفسهم بالنقد واللوم والتقريع اذ رأوهم يتنكرون لمن خدمهم بالامس ويتشاغلون عنهم متمتعين بما أوتوا من نعيم الملك قال في هذا جوّاس بن القعطل الكلبي يخاطب عبدالملك بن مروان(٣٦) :

أعبدَ المليك ما شكرت بلاءنا فكل في رجاء الأمن ما أنت آكل
بجابية الجوْلان لولا ابن بحْدل هلكت ولم ينطق لقومك قائل
فلمّا علوت الشام في رأس باذخٍ من العزّ لا يستطيعه المتناول
نفحت لنا سَجْل العداوة معرضاً كأنّك مما يُحدث الدهر جاهل(٣٧)

وقال ايضاً(٣٨) :

---

(٣٣) البيان والتبيين ١/١٩٦ ·
(٣٤) المريرة : الحبل الطويل الدقيق · وامرار الحبل احكام فتله · والمراد هنا انه لا يقضى في أمر ·
(٣٥) الاغاني ٣/٣٦١ ·
(٣٦) الحماسة ٤/٦٩ — ٧٠ ·
(٣٧) نفحه بكذا : أعطاه اياه · السجل : الدلو فيها ماء ، العطاء . النصيب ·
(٣٨) الحماسة ٤/٧٠ — ٧١ ·

صبغت أميّة بالدّماء رماحنا وطوت أُميّة دوننا دنياها
أ أميَّ ربّ كتيبةٍ مجهولةٍ صيد الكماة عليكم دعواها
كنّا ولاة طعانها وضِرابها حتى تجلّت عنكم غُمّاها
فالله يجزي لا أميّةُ سعينا وعلاً شددنا بالرماح عُراها

وتشكّى المحاربون من قادتهم فجعلوا يرفعون أمرهم للعمال مطالبين بأرزاقهم وحقوقهم فى العطاء ويعرّضون ببخل امراء الجيش الذين يكدّسون الاموال حتى تفسد دون أن يعطوا الجند منها شيئاً . ومن ذلك قول أحدهم يخاطب الحجّاج ويشكو اليه المغيرة بن المهلب ومساعده الرُّقاد[٣٩] :

ولو علم ابن يوسف ما نلاقي من الآفات والكُرب الشداد
لفاضت عينه جزَعاً علينا وأصلح ما استطاع من الفساد
آلا قل للامير جزيت خيراً أرحنا من مغيرة والرُّقاد
فما رزقا الجنود بها قفيزاً وقد ساست مطامير الحصاد[٤٠]

ولعل أصدق وأوضح ما وصلنا من نصوص فى موضوع التذمّر والشكوى من الولاة هو شعر الراعي النُميْري الذى خاطب به عبدالملك بن مروان وقصّ له فيه بأسلوب مؤثّر تجاوز السعاة حدود العدل والانصاف وتعسّفهم فى تقدير ما على قومه من حقوق ووسائلهم الغليظة العنيفة فى تحصيلها . وكيف ان هذا الظلم قد افقر قومه وأسلمهم الى حالة من البؤس والفاقة ، فتفرّقوا فى عرض الفلاة هاربين من شروط السعاة القاسية وضربهم الموجع وليس معهم غير ابل مهزولة أخذ السعاة الظالمون خيرها وأحسنها وأكرمها وكذبوا على الخليفة فكتبوا له انها الفِصال الصغار . والشاعر فى أبياته يستصرخ الخليفة ويستنجد به

(٣٩) الكامل ٢/٢٣٦ .

(٤٠) قفيز : مكيال . ساس الطعام اذا وقع فيه السوس . مطامير : جمع مطمورة وهي الحفيرة تحت الارض تخبأ فيها الحبوب .

ويرجوه ان يتدارك الامر ويرفع المظالم عن قومه مؤكداً لـه انهم عرب مسلمون يقومون بالفروض ويقرون بحق الزكاة . فمن الظلم أن يؤخذوا بمثل ما أخذهم به هؤلاء السعاة الظالمون يقول الراعي من قصيدة طويلة[٤٠] :

أخليفة الرحمن إنّا معشرٌ … حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عربٌ نرى لله في أموالنا … حقَّ الزكاة منزّلا تنزيلا
ان السعاة عصوك يوم أمرتهم … وأتوا دواهي لو علمت وغولا
آخذوا العريف فقطّعوا حيزومه … بالاصبحيّة قائماً مغلولا[٤٢]
حتى اذا لم يتركوا لعظامه … لحماً ولا لفؤاده معقولا[٤٣]
جاءوا بصكهم واحدب أسأرت … منه السياط يراعةً إجفيلا[٤٤]
نسي الامانة من مخافة لقّح … شمس تركن بضيعه مجدولا[٤٥]
أخذوا حمولته فأصبح قاعداً … لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين دونه … خرْقٌ تجرُّ به الرياح ذيولا[٤٦]
كهداهد كسر الرماة جناحه … يدعو بقارعة الطريق هديلا
أخليفة الرحمن ان عشيرتي … أمسى سوامهم عزين فلولا[٤٧]
قومٌ على الاسلام لما يتركوا … ماعونهم ويضيّعوا التهليلا[٤٨]

---

(٤١) جمهرة أشعار العرب ٣٤١ ـ ٣٤٩ ؛ ومنها في خزانة الارب (١٣١/٣ ـ ١٣٢) ٢٤ بيتا وفي طبقات فحول الشعراء (٤٣٩ ـ ٤٤١) ٨ أبيات .

(٤٢) العريف : السيد ، الرئيس ؛ الحيزدم : وسط الصدر ؛ الاصبحيه : السياط ح. أصبح .

(٤٣) المعقول : ما يعقل ، العقل . الادراك .

(٤٤) أشار الشارب في الاناء أبقى فيه بقية ؛ البراعة : القصبة الجوفاء ؛ اجفيلا : خائفا .

(٤٥) اللقح : السياط ؛ الشمس : الطوال ؛ البضيع : اللحم .

(٤٦) الخرق : الصحراء الواسعة .

(٤٧) عزين : جماعات .

(٤٨) الماعون هنا الزكاة .

قطعوا اليمامة يُطردون كأنهم	قومٌ أصابوا ظالمين قتيلا
يحدون حدْبا مائلاً أشرافها	في كل مقربة يدعن رعيلا[٤٩]
شهريْ ربيع ما تذوق لبونُهم	الا حموضاً وخمة وذبيلا[٥٠]
وأتاهم يَحْيى فشد عليهم	عقداً يراه المسلمون ثقيلا[٥١]
كُتبا تركن غنيَّهم ذا عيْلة	بعد الغنى وفقيرهم مهزولا
فتركت قومي يقسمون أمورهم	أإليك أم يتربصون قليلا
أنت الخليفة عدله ونوالُه	واذا أردت لظالم تنكيلا
فأرفع مظالم عيَّلت أبناءنا	عنّا وانقذ شِلْونا المأكولا[٥٢]

والشعر كما نرى طافح بالالم ، وأنين المثقل بالغرم ، وتوجع المغبون ولهفة المظلوم . وهو الى ذلك تصوير دقيق لجانب من المظالم التى كانت تقع على الناس من قبل الحكام ، والخيانة التي يرتكبها فريق من العمال فى حق الامّة والدولة حين يتجاوزون الحدود فى تقدير ما على الناس من ضرائب • وحين يزوّرون على الدولة في أصناف ما يجمعون • فشروطهم ، كما يروى الشاعر ، ثقيلة لا يطيقها الناس وطريقتهم فى الجباية قاسية غليظة . فهم يعمدون الى الضرب والاذلال . ثم هم الى هذا يكذبون على امرائهم اذ يكتبون لهم بخلاف ما يجمعون من أموال وأنعام ليحتفظوا لانفسهم بفروق الاثمان والاصناف .

لقد قام الشاعر النميْرى بهذه السفارة النبيلة لدى الخليفة أكثر من مرة فرفع شكوى الناس اليه فى شعر مؤثّر ، أخلصه لوجه الحق والعدل . دون أن يخلطه بأىّ غرض أو يلوّح الى أى مطمع خاص . واذا كانت قصيدته التى أثبتنا جزءً منها قد ضمّت أبياتاً فى مدح الخليفة

(٤٩) الحدب : الابل المهزولة ؛ أشرافها : اسمنتها ؛ المقربة : الطريق المختصر •

(٥٠) الحموض ، المرّ المالح من النبات •

(٥١) (يحمى) أحد السعاة •

(٥٢) الشلو : العضو من أعضاء اللحم • ولد الناقة •

وتمجيد بيته فانما كان ذلك ، فيما يبدو ، تمهيدا لعرض الموضوع الرئيسي الذى حدا به الى زيارة الخليفة وهو رفع المظالم عن قومه . ومن الجدير بالذكر هو ان الشاعر لم يشر ، من قريب أو بعيد ، الى نوال الخليفة وجوائره على عادة الشعراء المتكسبين بمدحهم . وقد روي عنه انه كان يقول : من لم يرو لي من أولادي هـذه القصيدة وقصيدتي التي أوّلها (بان الأحبّة بالعهد الذى عهدوا) فقد عقّني . وتصف الرواية القصيدة الثانية بانها في معنى القصيدة السابقة(٥٣) . وقد عثرنا على ثلاثة أبيات من نفس البحر والقافية ، أكبر الظن أنّها من قصيدة (بان الاحبّة ...) . يصف الشاعر فيها حالة البؤس والشقاء التى صار اليها قومه والتى تساوى فيها الفقراء منهم والاغنياء وذلك من ظلم السعاة ايضاً(٥٤) :

أمّا الفقير الذى كانت حلوبته وَفْق العيال فلم يُترك له سَبَد(٥٥)
واختلّ ذو المال ، والمثرون قد بقيت على التلاتل من أموالهم عُقد(٥٦)
فـان رفعت بهـم رأسـاً نعشـتهم وان لقوا مثلها في قابل فسدوا(٥٧)

وقد روي ان عبدالملك بن مروان قد سأله ، بعد أن سمع البيت الاخير ، عن حاجته فقال تَردّ عليهم صدقاتهم فتنعشهم ، فقال عبدالملك : هذا كثير ، قال : أنت أكثر منه ، قال : قد فعلت . فسلْني حاجة تخصّك قال : قد قضيت حاجتي . قال : سل حاجتك لنفسك . قال : ماكنت لافسد هذه المكرمة(٥٨) .

ويبدو ان الراعى انما فضّل هاتين القصيدتين من شـعره للذى

---

(٥٣) خزانة الارب ٣/١٣١ .
(٥٤) ابن سلام/٤٤٢ .
(٥٥) لم يترك له سبد : لم يترك له شيء ، والسبد في الاصل الوبر ويكنى به عن الابل . والحلوبة : الناقة التي تحلب . ومعناه انهم أخذوا من الفقير كل ما لديه حتى ناقته التي هي كفاية عياله .
(٥٦) التلاتل : الشدائد ج. تلتلة ؛ العقد : البقايا .
(٥٧) قابل : العام القادم .
(٥٨) الاغاني (ط. بولاق) ٢٠/١٧٢ .

حمّلهما من غرض نبيل . وقد أوصى اولاده بحفظهما أثراً طيباً وحديثاً حسناً عنه . وفى الواقع اننا مازلنا نقرأ شعره هذا فيترك فى نفوسنا أثراً سواء من حيث الصياغة الفنيّة الرقيقة المؤثّرة التى أفرغ فيها خواطره ، أو من حيث هذه الخواطر ذاتها اذ انها تتصل بموضوع انســانى مازال يحرّك حسّ المجتمعات ويشغل أفكارها وهو موضوع الظلم والعدل .

ولئن كان بعض الخلفاء الامويين قد استجاب لهذه الاستغاثات فانما كان ذلك ، فيمـا يظهر ، بدافع الاريحية والتفضـل اذ يرق لاستعطاف المشتكين فيجود عليهم بردّ صدقاتهم أو بشيء من نوالـه . دون الانتصاف ممن انتهكوا الحدود ، اذ ليس في ما لدينا من أخبار هذا الباب ما يشير الى ان الذين رفعت اليهم هذه الظلامات من امراء الشام قد حاسبوا هؤلاء السعاة والعمال الظالمين وأنزلوا بهم عقوبة تتناسب مع تجاوزهم للحدود المفروضة في مجالات عملهم . وقد يكون عمر بن عبدالعزيز ، الخليفة العادل التقي ، هو الوحيد الذي اشتد في محاسبة العمال ومراقبتهم والذي لم يتردد في اقامة الحد على المخالف منهم . فقـد عاقب يزيد بن المهلب بالحبس على أموال أصابها فى زمن ولايته على العراق وطالبه بردّها فلم يفعل[٥٩] . وعزل الجرّاح بن عبدالله عن خراسان فقد زاره وفد من أهلها يشكوه اليه وكان مما قاله احد رجال الوفـد : (يا أمـير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذّمة يؤخـذون بالخـراج . وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفيّاً وأنا اليوم عصبي ، والله لرجلٌ من قومي أحبُ اليّ من مائه من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كمّ درعه يبلغ نصف درعه وهو ، بعد ، سيفٌ من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان)[٦٠] فما كان من عمر بن عبدالعزيز الا ان استقدمه وعزله .

وقد عمل عمر بن عبدالعزيز على اشاعة العدل ورفع الظلم ومحاربة

---

(٥٩) الطبري ٣١٢/٥ .
(٦٠) الطبري ٣١٣/٥ ـ ٣١٤ .

الفساد وشدّد بالوصية في ذلك على عماله ، وفاء لمثله الزكيّة الصالحة في الحكم وادراكاً لواجبه نحو الامّة ، واصلاحاً لما فسد من أمر الحكم قبله . ولعل الكتاب الذى وجهه الى عامله بالكوفة يكفي ايضاحاً لسياسة هذا الرجل الصالح ، فقد كتب يقول : (أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله وسنّة خبيثة استنّها عليهم عمال السوء . وان قوامَ الدين العدلُ والاحسان ، فلا يكوننّ شيءٌ أهمّ اليك من نفسك فانه لا قليل من الاثم . ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب . انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر . ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لاهل الارض ...)[61] .

غير ان النهج السوىّ لهذا الخليفة العادل لم يحل دون وقوع المظالم . فقد اتسعت رقعة الدولة ، وتباعدت أمصارها وكثر عمالها والقائمون على خدمتها . وتهاونت العهود السابقة في مراقبة العمال وأغضت عن مساوئهم فأمنوا العقوبات ، وضعف الوازع الديني الذي كان قويا في توجيهه وسيطرته على النفوس في عهد الراشدين .

ولهذا لم يعدم عصره من الادب الذى ردد صيحة الاصلاح وطالب بتقويم الظالمين من العمّال فقد تنادى الشعراء بهذه الصيحة في شعر صريح شديد في تعريفه وعنيف في تجريحه . قال كعب الاشقرى يخاطب عمر بن عبدالعزيز[62] :

ان كنت تحفظ ما يليك فانّما	عمّال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذى تدعو له	حتى تجلّد بالسيوف رقاب

(61) نفس المصدر ٥/٣٢١ .

(62) البيان والتبيين ٣/٣٥٨ .

بـأكفّ منصلتين أهـل بصـائر   في وقعهـنّ مـزاجـر وعقـاب

وقام اليه رجل وهو على المنبر فقال[٦٣] :

ان الـذين بعثت في أقطـارها   نبذوا كتابك واستُحِلّ المحرْم
طُلْسٌ الثياب على منابر أرضنا   كلٌّ يجور وكلُّهم يتظلم[٦٤]
وأردت أن يليَ الامانة منهم   عـدْلٌ وهيهـات الأمين المسلم

والذي يلاحظ على هـذا الشـعر انه قاسٍ في لهجتـه ، عنيف في هجومه ، مؤلم في تجريحه على خلاف ما عهدناه في الشعر الذى عالج المواضيع ذاتها في صدر الدولة الاموية من اعتدال في اللهجة وتحفظ في النقد واتزان في عرض الشكوى . ولعلّ الذى جعل شعراء هذه الفترة يشتدون في النقد هو اسراف الولاة في تجاوز الحدود واشتداد جرأتهم على الحقوق من جهة ، وشدة الخليفة عمر بن عبدالعزيز على الباطل ونقمته على المنكر من جهة أخرى ، مما شجع الشعراء على أن يقولوا كلمتهم صريحة جريئة .

وصارت حركة التذمّر والشكوى من العمّال تتسع كلما اقتربت الدولة الاموية من نهايتها . ذلك أنّ السلطة المركزية في الشام بدأت تفقد سيطرتها على ممثليها المنتشرين في أقاليم متباعدة كما ان البيت الحاكم قد شغل بنزاع امرائه على الحكم مما أضعف هيبة الخلافة وسلطانها ، فبات العمال يدبّرون أمور ولاياتهم بمعزل عنها ويسيرون فيها بالذى تمليه عليهم أهواؤهم سوى نفر قليل عصمته بقيّة من دين وعدل .

ومضى الشعر في ترصّده لاعمالهم واستقصائه لاخبارهم ، يفضح المتهتّك منهم ويقرّع الظالم ويلوم المهمل على اغفاله لامور الرعيّة .

---

(٦٣) نفس المصدر ٣/٣٥٩ .
(٦٤) الطلس : الوسخ من الثياب ، والمراد هنا عدم العفّة .

قال يحيى بن نوفل في بلال بن أبي بُردة وكان يلي عملاً في البصرة على عهد هشام بن عبدالملك . وقد فضح بلال هذا بالشراب[64] :

وأمّا بلالٌ فذاك الذي	يميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمصّ عتيق الشراب	كمصّ الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطرباً ناعساً	تخال من السُكر فيه احولالا
ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف	تخال به حين يمشي شِكالا[66]

وقال فيه أيضا يفضح نفاقه ورياءه[67] :

أبَلال انّي رابني من شأنكم	قولٌ تزيّنه وفعلٌ منكر
مالي أراك اذا أردت خيانةً	جعل السجود بُحرٍ وجهك يظهر
متخشّعاً طَبِناً لكل عظيمةٍ	تتلو القرآن وأنت ذئب أغبر[68]

وتعالت الاستغاثات في الامصار البعيدة والثغور تردد شكوى الناس من اهمال الخلفاء لهم واسلامهم الى قادة وعمال لا يحكمون من أمرهم شيئاً ولا يدفعون عنهم ضرّاً . اوردوا الناس المهالك واسلموهم الى الاعداء فهذا الجُنيْد بن عبدالرحمن والي خراسان لخالد القسرى على عهد هشام بن عبدالملك يخسر المعركة يوم الشعب وهي واقعة حصلت في سمرقند بينه وبين الترك ويخسر المسلمون معها آلافاً من الشهداء وتحزّ الخسارة في نفوسهم ، فيخاطب ابن السجْف هشاما في عتب ولوم ويحذّره من مغبة اهماله[69] :

اذكر يتامى بأرض الترك ضائعةً	هزْلى كأنّهم في الحائط الحَجَل
وارحم والاً فهبها أمّةً دمرت	لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل

(٦٥) نهاية الارب ٤/٩٤ ٠

(٦٦) الشكال : حبل تشد به قوائم الدابة ٠

(٦٧) ابن قتيبة (ط٠ اوربا) ٤٦٦ ٠

(٦٨) طبن الشيء وللشيء : فطن له ٠

(٦٩) الطبري ٥/٤١٩ ٠

لا تأملن بقـاء الدهـر بعـدهم ... والمـرء ما عاش ممدود لـه الأمل
لاقوا كتائب من خاقان معلمةً ... عنهم يضيق فضاء السهل والجبـل
لمـا رأوهـم قليلاً لا صـريخ لهم ... مـدّوا بايديهـم لله وابتهـلوا
وبايعوا ربَّ موسى بيعةً صدقت ... مـا في قلوبهـم شـك ولا دَغَـل

وهذا آخر وهو الشرعبي الطائي يشكو الجنيد ، القائد الخاسر ، الى خالد القسرى فيقول بعد توجع ورثاء على ما صار اليه المسلمون فى هذه الموكه[٧٠] :

الى الله أشـكو نبـوةً في قلوبهـا ... ورعبـا مـلا أجوافهـا يتوسَّـع
فمـن مبلغ عنّي ألوكـاً صحيفـة ... الى خـالد من قبـل أن نتَـوزَّع
بأنّ بقـايـانـا وان أمـيرنـا ... اذا مـا عددنـاه الذليلُ الموقّع
هم أطمعوا خاقان فينا وجندَه ... الا ليتنا كنّا هشـيماً يزعـزع

ويقول ابن عرْس للجنيْد نفسه يقرّعه ويلومه ويؤنّبه على رميه الناس فى معركة لم يحسن تدبيرها[٧١] :

فتَقت مـا لـم يلتئم صدْعُـه ... بالجحفـل المحتشـد الزائـد
تبـكي لهـا ان كشفت ساقها جدْعاً ... وعقراً لـك من قائـد
تـركتنـا أجـزاء معبوطـة ... يقسـمها الجـازر للناهـد[٧٢]
أضـحت سـمرقند وأشياعها ... أحْـدوثة الغايب والشـاهـد
ليتك يـوم الشِعْب في حفـرة ... مرموسـة بالمَدَر الجـامد[٧٣]
طـار لهـا قلبـك من خيفـة ... مـا قلبـك الطـائر بالعـائـد
خمسون ألفـاً قتلوا ضـيعة ... وانت منهم دعـوة الناشـد

---

(٧٠) نفس المصدر ٥/٤٢٢ .
(٧١) نفس المصدر ٥/٤٢٣ .
(٧٢) المعبوطة : الذبيحة تنحر وهي سمينة فتية من غير علّة ؛ الناهد : الاسد .
(٧٣) المدر : الطين العلك الذي لا يخالطه رمل .

وتزداد النقمة على سادة الشام الذين لم يعملوا على تبديل الحال واصلاح الامر والذين لم يحفظوا للناس حقوقهم . لقد اتخذوا منهم سداً وسنداً يحفظ لهم ملكهم ليظلوا متنعمين بخير الملك ونعمه . قال رجل من عبدالقيس في خراسان[٧٤] :

تولّت قريشٌ لذّة العيش واتّقت بنا كلّ فجّ من خراسان أغبرا
فليت قريشاً أصبحت ذات ليلةٍ يعومون في لجّ من البحر أخضرا

وتضطرب الامور على هؤلاء السادة السادرين في اهمالهم ويلتفت احدهم وهو العباس بن الوليد بن عبدالملك لينذر بني مروان بقرب نهايتهم[٧٥] :

انّي أعيذكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفع
انّ البرية قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمنّ ذئابَ الناس أنفسكم انّ الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرنّ بأيديكم بطونكم فثمّ لا حسرة تغني ولا جزع

فما استمسكوا بعمود الدين ولا ارتدعوا ، وملت الامّة سياستهم اذ لم تنفع معهم صيحات شكواها وتذمرّها . فانضم التظلّم من سيرة الولاة الى التذمر السياسي الذي حرّكته الكتل السياسية المعارضة منذ قيام دولتهم فكان الذي نعرف من نهايتهم .

والخلاصة ، ان الادب الذي استعرضنا نماذج من شعره ونثره كان أدباً يهدف الى الاصلاح ويسعى الى تقويم الانحراف في سيرة المسؤولين . كان دوره يشبه دور ما نسميه الان بالمعارضة البناءة . فهو يختلف عن الادب الملتزم بسياسة كتلة حزبية تناوىء السلطة القائمة كما كان الشأن في أدب الخوارج والشيعة والزبيرين ، والذي لم ير في الامويين غير اناس اغتصبوا

---

(٧٤) الطبري ٥/٤٣٦ .
(٧٥) نفس المصدر ٥/٥٤٥ .

الحكم . وهو يختلف عن الهجاء الفردى الذى حركّته دوافع ذاتية . ولذلك نجد ان هذا الادب الاصلاحى قد تجنب الحديث فى أمور شخصيّة لا صلة لها بالموضوع الذى يعالجه . فهو مثلاً لم يمس ذوى الشخص الذى يتعرض له على عادة الهجاء الفردى الذى لم يدع للخصم أباً أو أخاً أو قريباً الا وأصابه بسهم . كما اننا لا نرى فيه نزعة النفاق والرياء التى كانت تدفع بعض الشعراء في هذا العصر الى هجاء عامل مدحوه حتى اذا غضب الخليفة عليه أو دالت دولته تناوشوه بالطعن والتجريح ارضاءً للخليفة الناقم عليه .

ومما يؤكد صدق النيّة وسلامة القصد عند أصحاب هذا الادب ما جاء في الاخبار التي روت ظروف أقوالهم من اشارات الى نزعة الايثار وسمو القصد عندهم وترفعهم عن الجزاء الماديّ . فكم من مرة عرض الخلفاء على هذا أو ذاك منهم أن يسأله حاجة خاصة فامتنعوا عن ذلك دفعاً لما قد يظن فى سعيهم وتنزيهاً للقصد الذى جاءوا من أجله .

ونلاحظ ان الشعر الذى تحدث عن هذه الظلامات لم يفرغ حديثه في قصائد الا نادرا . بل جاء في أبيات منفردة ومقطوعات . كما اننا نلاحظ قلة فى نصوصه النثرية والشعرية اذا قيس ما وصلنا منه بما وصلنا من نصوص الاغراض الاخرى التى عالجها الادب فى هذه الفترة . ولعل السبب في هذه القلّة لا يُردُّ الى قلّة الظروف التي دفعت لقوله ، بل الى تردد الناس والرواة فى حفظه وانشاده خوفاً من عقاب الذين تناولهم بالنقد من المسؤولين . ولعل عوامل الحزبية والعصبيّة قد عملت عملها فى طمس جزء منه حين رأته يطعن فيمن هو منها في عشيرة أو حزب .

وبعد ، ان الادب الذى جعلناه مدار بحثنا يسعفنا بالردّ على الذين لا يرون فى الادب العربى القديم غير أدب توزّعته أغراض ذاتية وطبعته بظروفها الموقوتة وخصائصها الفردية وانصرف عن شؤون الناس العامة لا يُعنى بجانب من جوانبها . فالادب الذى عرضنا له قد وقف انتاجه

الشعري والنثري على معالجة مواضيع تتناول مصالح الناس ومشاكلهم من تنظيم العلاقة بينهم وبين حكامهم وتوفير الامن لهم والعدل لهم والوفاء بحقوقهم والدعوة الى احترام الانظمة والقوانين والمحافظة على أموال الامة من التبذير وحماية الافراد من سطوة الحكام وجورهم الى غير ذلك من الامور التى يعمّ نفعها مجموع من انتظمتهم الامة دون حصره فى نطاق بيت أو قبيلة أو اقليم من أقاليمها .



المراجع :

١ – ابن سلام = طبقات فحول الشعراء
٢ – ابن قتيبة = الشعر والشعراء
٣ – الاغاني – أبو الفرج الاصفهاني ط· دار الكتب
– أبو الفرج الاصفهاني ط· بولاق
٤ – البيان والتبيين – الجاحظ ط· عبدالسلام هارون
٥ – تاريخ الامم والملوك – الطبري ط· الاستقامة
٦ – جمهرة اشعار العرب – القرشي ط· الطهطاوي
٧ – الحماسة – أبو تمام ط· محمد محي‌الدين عبدالحميد
٨ – خزانة الادب – البغدادي ط· السلفيه
٩ – الشعر والشعراء – ابن قتيبة ط· أحمد محمد شاكر
– ابن قتيبة ط· اوربا
١٠ – الطبري = تاريخ الامم والملوك
١١ – طبقات فحول الشعراء – ابن سلام ط· محمود محمد شاكر
١٢ – العقد الفريد – ابن عبد ربه ط· أحمد أمين وجماعه
١٣ – الكامل – المبرّد ط· لجنة من العلماء
١٤ – نهاية الارب – النويري ط· دار الكتب

ابن سينا والمبادىء العامة

الدكتور جعفر آل ياسين
مدرس في قسم الفلسفة

تمهيـــــد

اثار الفكر الاغريقي لدى الفلاسفة المسلمين جوانب كثيرة من البحث ارتبط قسم منها بالناحية النظرية البحت ، وارتبط القسم الآخر بالناحية العملية للحياة في جانبيها المثالي والواقعي على السواء • وكان للجانب الاول اثره الواضح عند فيلسوف مسلم هو ابن سينا[1] ، تسلم التراث المترجم وحاول على ضوء مقتضيات الظروف ان يقدم موسوعة فلسفية شاملة ساير فيها المدرسة الارسطوطالية مسايرة الناقد البصير ، فأخذ بقسم كبير من آرائها ، وناقش قسما آخر مناقشة حرة نافذة • وتبلورت تلك المحاولة في كتاب اسماه « الشفاء »[2] احتذى في ترتيبه الترتيب الذي تجري عليه

---

(١) أبو علي بن سينا ولد حوالي سنة ٣٧٠هـ (٩٨٠م) بالقرب من بخارى في قرية صغيرة تدعى أفشنة ، وتوفى عام ٤٢٨هـ (١٠٣٦م) •

(٢) « الشفاء » موسوعة فلسفية شاملة تقع في عدة مجلدات • ينقسم الى اربع « جمل » الجملة الاولى تبحث في المنطق والثانية في العلم الطبيعي والثالثة في العلم الرياضي والرابعة في العلم الالهي ، وتنقسم « الجملة » الى « فنون » والفن الى « مقالات » والمقالة الى « فصول » • ولسنا ندري هل ان هذا التقسيم بكاملة من أعمال ابن سينا نفسه ام انه من عمل النساخ ، ولكن مما لاشك لدينا ان تقسيمين من هذه التقسيمات هي سينوية الاصل حيث ان الشيخ الرئيس يشير اليهما في تضاعيف كتابه المذكور ، واعنى بهما لفظة (فن) و (فصل) • وجدير بالذكر ان لفظة (فن) التي ترد في كتابي « الشفاء » و « القانون في الطب » يدرجها الغربيون تحت ابتداعية ابن سينا وانه المبتكر لهذه اللفظة في استعمالها الاصطلاحي لا اللغوي طبعا • يؤيد هذا الادعاء الشاعر الانكليزي الشهير جوسر Chaucer في عبارة يستعمل فيها ذات اللفظة العربية مرجعا اياها الى ابن سينا نفسه •

انظر :
New English Dictionary, Oxford, 1901, Vol. I: p. 153.

فلسفة المشائين[٣] متجنبا الاطالة والتكرار •

ويبدو لنا من المقارنة بين النص الارسطوطالي[٤] وبين النص السينوي ان الاخير اتخذ من منهجية المعلم الاول سبيلا للتنظيم ولكن خالفه في أصول البحث والعرض والتخريج • ومن هنا فليس « الشفاء » في حد ذاته ـ وطبيعاته على الاخص ـ شرحا أو تعليقا على الفكر الارسطي بله فيه من الاصالة الشيء الكثير مما لا يمكن سلكه في عداد الرسائل الشارحة مطلقا • اما مسألة اطلاع ابن سينا بنفسه على النص العربي المترجم من « طبيعيات » المعلم الاول فأمر لا يدعو للريبة أو الشك لان النصوص التأريخية تؤكد لنا جازمة ترجمة النص وشروحه الى العربية قبل ولادة الشيخ الرئيس بعشرات السنين[٥] •• وليس من الشك في ان الدعاوة التي تعتمد القول بان السينوية هي ارسطوطالية في مسوح مسلمة دعاوة تفتقر الى كثير من الدليل والحجة ، لان أصالة الفكر ـ أي فكر كان ـ لا تعتمد على ابتداعية خالصة من التأثر بسابقتها ؟ فليس الابداع خلق أفكار من عدم لا أصل له ، بل الابداع ان تضيف الى ما تقدم جديدا يستند في بنائه وقيامه على أصول سابقة ولاحقة • وبهذا فليس الانتاج ـ بصوره المتعددة ـ ابداعا ، لان الاول يقوم على (الكمية) في الحصر ، والثاني ينهض على (الكيفية) في الفكر • ولا ضير على العقل ان يتناول أمورا تناولها غيره فيضيف اليها جديدا ، ولا يدعو ذلك اطلاقا الى استرقاق وعبودية للمتقدم

---

(٣) تراجع مقدمة ابن سينا لقسم « السماع الطبيعي » من مخطوطة الشفاء في مكتبة بودليانا بجامعة اكسفورد : Poc. 125, fol. 1b.

اما لفظة « المشائين » فتعني المدرسة الارسطية على العموم ابتداء من المعلم الاول حتى أواخر الشراح •

انظر مثلا :

D. Runes, Dictionary of Philosophy, New York, 1942, p. 22.

(٤) اعتمدنا بالنسبة الى النص الارسطوطالي على الطبعة الانكليزية التي اشرف عليها الاستاذ W. D. Ross وهي عبارة عن ترجمة للنص الاغريقي الذي قام بتحقيقه Bekker في برلين عام ١٨٣١ ـ ١٨٧٠ •

(٥) يراجع ابن النديم : الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨هـ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ •

على المتأخر ما دام الفكر وابداعه ملك الانسانية وحدها • وعن هذا السبيل **نعتقد ان لابن سينا اصالته الخاصة في الفكر الانساني** ، ومدرسته المحددة في الابداع الفلسفي • ولا ضير ان نجد خلال البحث تجاوبا فكريا بين المعلم الاول والشيخ الرئيس ، فالتجاوب الفكري أمر ضروري لفترة الارهاص الحضاري الذي عاش خلاله فيلسوفنا الكبير ابن سينا •

★ ★ ★

تتضمن مباحث ابن سينا في « السماع الطبيعي » ـ بادىء ذي بدء ـ البحث عن الاسباب والعلل[٦] • وسنقتصر الكلام هنا على نظريته في « المبادىء العامة » Common Principles التي تبدأ ضرورة بمفهوم هذا العلم ـ أعني الطبيعي ـ الذي يتحدد ارتباطه بالاجسام من حيث لها الحركة ، ويقصد بالاجسام هنا الاجسام الممتدة فعلا خلا الجسم الرياضي منها • ولنا ان نتساءل هل ان الحركة ـ بمدلولها العام ـ كافية لقيام هذا العلم ؟ الواقع اننا يجب ان نحدد مدلول الحركة من ناحية جنسها ؟ فالحركة الصناعية لا تدخل في مضمون هذه المعرفة ، وانما يقتصر هذا العلم على الاجسام التي تتحرك حركة ذاتية دون قسرٍ أو صناعة • وما زال اقتصارها على هذه الاجسام فالعلم الطبيعي علم جزئي بالنسبة الى العلوم الفلسفية الاخرى •

ولكن ما هو الموقف الذي يحدده ابن سينا لدارس هذا العلم ؟ يؤكد الشيخ الرئيس ان وجه التعليم والتعلم[٧] في هذا الحقل يبدأ « بالمبادىء

---

(٦) « الاسباب والعلل » لفظتان استعملتا في الفلسفة استعمالا اصطلاحيا يرتبط بوجهٍ ما بالاصل اللغوي الاول ، ولكنني اميل الى اعتبار **(الاسباب) ـ من الناحية الفلسفية ـ علّة خارجية ؛ و (العلل) علّة** داخلية • ومما يلاحظ ان اوائل المترجمين العرب ـ ومنهم اسحق بن حنين ـ كانوا يحاولون تجنب استعمال لفظة (العلة) قدر الامكان والاستعاضة عنها بلفظة (السبب) ، ولكن ابن سينا يستعملها في كثير من الاحيان مترادفة لمعنى واحد تصعب التفرقة فيه •

(٧) يذهب الشيخ الرئيس الى ان التعلّم والتعليم يمثلان في أساسهما جهة واحدة تتم احداهما الاخرى ؛ كما لو يحرك انسان ـ مثلا ـ الحجر بالفعل ، أو له القدرة على تحريكه بالقوة •

قارن ارسطو : Phys. 202b 10-20

ورسائل اخوان الصفاء ، القاهرة ، سنة ١٩٢٨ ، ١٩٨/١

العامة » ، أي يجب ان نبدأ مما هو أعم ونخلص الى ما هو أخص • أي انا يجب ان نبدأ بدائرة الجنس ، ومن ثمة دائرة النوع ، لان تعرف الجنس اقدم من تعرف النوع • أو بالاحرى ان المعرفة بالحد وتصوره تكون قبل معرفة المحدود(٨) ان عنينا بالحد ما يحقق ماهية المحدود • لذا يتحتم علينا أولا ان نتفهم « المبادىء العامة » كي نتعرف على الامور الخاصة(٩) ، لان المبادىء العامة أسهل تناولا ـ عن طريق العقل ـ مما هي عليه في الطبيعة ؛ حيث ان الطبيعة تهدف أولا الى ايجاد النوع لا الفرد • ولم يقم النظام الكوني الا لتحقيق هذه الفكرة • فغرض الطبيعة أولا وقبل كل شيء ان توجد انسانا ما وليس غرضها ايجاد شخص الانسان المتمثل بزيد وعمرو مثلا ، لان جميعهم صائرون الى فناء ، وعلى العكس فان صيرورة الطبيعة تستمر في تحقيق النوع بصورة دائمة •

فالاعرف اذن عند الطبيعة ـ على رأي الشيخ الرئيس ـ هو الجنس والنوع ، وقدمهما ليس بالطبع ولكن قدم بالزمان(١٠) • والفكرة بحد ذاتها لا تنهض على اسس سليمة لانها تفتقر الى أدلة أكثر مما يحاول ابن سينا تقديمه عن عقلانية الطبيعة وقصدها الغائي •

ولكن عند توفر المقايسة بين الامور العامة Common things والخاصة particulars من جانب ، وبين العقل من جانب آخر ، يظهر لنا ان الامور العامة أعرف عند العقل • واذا قايسنا بينهما معا وبين الغائية في الطبيعة ظهر لدينا ان الامور النوعية اعرف عند الطبيعة • اما اذا اجرينا المقايسة بين الامور النوعية specific ones من جانب ، وبين الافراد المعنية particular individual ونسبنا كلاهما الى العقل لم نجد للاخيرة مكان تقدم أو تأخر عند العقل على غيرها الا بان نستشرك القوة الباطنية للاحساس

---

(٨) قارن ارسطو : Met. 1023^b 17 ' Cat. 15^a 4.

(٩) قارن ارسطو : Phys. 184^b 24

(١٠) قارن ارسطو : Phys. 260^b 12-20 , Cat. 14^a 25

في ذات العملية ، فيبدو عند ذاك ان الجزئيات اعرف عندنا من الكليات • وهذا موقف حدده ابن سينا من المشكلة القائمة ، سبق للمعلم الاول ان اوقف عليه صفحات طوال في بحثه الميتافيزيقي عن الكلي والجزئي •

فغرض الطبيعة اذن هو تحقيق هذا « النوع » ، فاذا توفر حصوله في شيء معين غير خاضع للكون والفساد ، لم يكن ذلك النوع بحاجة الى أفراد تمثله في العالم الخارجي • ويضرب ابن سينا مثلا لذلك بالشمس والقمر ووحدانيتهما ، ظنا منه ان هذه الوحدانية ثابتة أصلا(١١) !

اما كيف يتم تصور هذه الحال بالنسبة للحس والتخيل ، فان للجسم عند الشيخ الرئيس معنيان : معنى عام مطلق ، ومعنى خاص يتحدد بشخص الجسم ذاته • ويتساوق هذا التقسيم أيضا مع الحيوان والانسان بمدلولهما العام والخاص على السواء فاذا نسبنا هذه المراتب الثلاث (أعني : جسم ـ حيوان ـ انسان) الى القوة المدركة مع مراعاة نوعيين من الترتيب بحيث نبدأ بالامور العامة ونتدرج الى الخاصة منها نجد : ان الامور العامة اعرف عند الحس من الامور الخاصة ؛ لان الادراك الحسي يرجع صورة الحيوان الى « ما صدق » أوسع منها وهو الجسم • ولكننا اذا ارجعنا ذلك الى التخيل فان للانسان القدرة على تصور شخص من « النوع » غير محدود بخاصية معينة تلزمه • ولعل خير مثل يضرب في هذا السبيل هو تصورات الطفل الصغير حيث انه في بواكير أيامه الاولى لا يمتلك القدرة على تمييز أباه من بين الرجال الآخرين ، ولا تمييز أمه من بين مجموعة من النساء(١٢) ؛ بل ان له القدرة فقط على تمييز صورة النوع للطرفين دون تحديدهما بالنسبة اليه • هذا الخيال الذي يرتسم في الذهن لصورة الانسان المطلقة غير المخصصة هو المعنى العام الذي يصطلح عليه ابن سينا عبارة « الشخص

---

(١١) قارن ارسطو : Met. 1074ª 31

(١٢) قارن ارسطو : Phys. 184ᵇ 12

المنتشر »[١٣] Indeterminate individual الدالة على كل « شخص » عام[١٤] غير معين • ويتحدد المصطلح السابق بمعنيين اولهما ان « الشخص المنتشر » يقصد به حد الفرد مضافا اليه طبيعته النوعية كقولنا « حيوان ناطق مائت » حيث يؤدي استعمال هذه الكلمات الى معنيين : الاول اطلاقها على الفرد المتعين المحدد ، والثاني اطلاقها على تعريف الانسان العام • ففي هذه الحال يرتبط الادراك برؤية انسان غير متشخص بصفاته الذاتية بل انسان على الاطلاق ، وفي كلا المعنيين تداخل واضح عند الشيخ الرئيس • وثانيهما هذا الفرد المتعين حقيقة وموضوعا ، ولكن يصلح عند الذهن ان يضاف اليه معنى الحيوانية أو الجمادية لشك يعتور الادراك فيؤدي الى اعتقاد ظاهري في التعميم لا يرتبط بحقيقة الشيء ذاته ؛ كرؤية جسم مبهم من بعيد يصعب علينا ارجاعه الى صفة معينة ، فحينئذ نطلق عليه مصطلح « المنتشر » باشتراك الاسم معا •

ولنا ان نتسائل هل ان هناك فارقا قطعيا بين لفظة « شخص » الدالة على النوع ، وذات اللفظة الدالة على اسم معين ؟ يبدو ان الامر لا يحتمل المبالغة التي أرادها له ابن سينا بل ان الكلمات الكلية مثل (انسان) جديرة منا بالمناقشة لنرى ان كان هنالك ما يصح ان يسمى بالكلمات الكلية اطلاقا •

---

(١٣) ان المصطلح الذي يستعمله ابن سينا هنا له دلالة اغريقية قديمة • واللغة اليونانية في الواقع ترادف بين هذا المصطلح « منتشر » indistinguished وبين لفظة (غير محدود) undetermined ، ويستعملها المعلم الاول استعمالا مشابها •

اما الحد الذي يذكره لهذا المصطلح السيد الشريف الجرجاني في تعريفاته (ط• القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٠٩) فيبدو انه يرجع لمصطلح قديم يميل نحو المدرسة الرواقية وخاصة فيلسوفها كروسيبوس Chrysippus .

(١٤) يذهب ابن سينا الى تحديد دقيق للفظة (شخص) من حيث دلالتها المطلقة حيث ترتبط هنا بمعنى واحد عام • فاذا قلنا لزيد انه (شخص) لم نرد بذلك انه زيد – مثلا – بل أردنا انه بحيث لا يصح ايقاع الشركة في مفهومه ، وهذا المعنى يشاركه فيه غيره • فالشخصية اذن من الاحوال التي تعرض للطبائع الموضوعة للجنس والنوع • والفرق بين الانسان الذي هو النوع وبين شخص الانسان الذي يعم لا بالاسم فقط بل بالقول أيضا • راجع : المدخل الى منطق الشفاء ، القاهرة ، ١٩٥٢ ص ١٧ •

فان كان الامر كذلك فبأي معنى نقول عن الكلمة انها كلمة كلية ؟ نعم ان هذه مسألة ميتافيزيقية الا انه لا مندوحة لنا في هذا الموضع عن القول بان الاستعمال الصحيح للكلمات الكلية ليس في ذاته دليلا على ان الانسان في مقدوره ان يجعل المعنى الكلي موضوعا لتفكيره • فقد كان المفروض دائما اننا ما دمنا نستطيع ان نستعمل لفظا كليا مثل (انسان) استعمالا صحيحا في لغة التفاهم ، اذن لابد ان تكون في أذهاننا فكرة مجردة عن الانسان لتقابل هذه الكلمة الكلية وتصبح معنى لها ، لكن ذلك رأي خاطيء وحقيقة الامر هي اننا نستجيب بصورة معينة لفرد معين من الناس ثم نستجيب بصورة أخرى معينة لفرد آخر من الناس • لكن بين أفراد الناس جميعا عنصرا مشتركا يجعل في استجاباتنا لمختلف الافراد عنصرا مشتركا كذلك ؛ فان اثارت الكلمة الكلية (انسان) الاستجابة المشتركة وحدها كان ذلك بمثابة فهمنا لكلمة انســـان الكلية • واذن فالاستعمال الصحيح للكلمة الكلية لا يقتضي بالضرورة ان يكون لدينا تصور مجرد يقابلها[١٥] •

ثم يتحـــدث ابن سينا عن « القبلية » priority و « البَعْدية » posteriority بالنسبة للعلل والمعلولات والبسائط والمركبات من حيث نسبتهما « الاولوية » الى الحس والعقل والطبيعة • فان كانت العلل محسوسة فلا كثير تقدم وتأخر لاحدهما على الآخر من ناحية الحس • اما اذا كانت غير محسوسة فلا نسبة لها الى الحس مطلقا وكذلك حكم الخيال •• اما بالنسبة الى العقل فمسلكه يتأدى على سبيلين : احدهما ان ينتهج طريقه من العلة الى المعلول وهذا سبيل « البرهان اللمي » وثانيهما ان ينتهج طريقه من المعلول الى العلة وهذا سبيل « البرهان الأني »[١٦] وكلاهما يعتمدان على الدليل العقلي من جهة ، وطريق الحس من جهة أخرى • فاذا كانت

---

(١٥) راجع :
B. Russell. An Outline of Philosophy, London, 1927, p. 57

(١٦) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة تحت لفظة (دليل) ، ١١/١٠١ •

« العلة » تعني الغاية في هذا الباب فهي أعرف عند الطبيعة من المعلول وكذلك العكس .

اما مشكلة البسائط والمركبات فان المركب اعرف عند الحس ، والبسيط اعرف عند العقل ؛ لاننا لا ندرك المركب قبل ان ندرك مسبقا بسائطه أو عرضا من اعراضه ؛ كأن ندرك جسما مستديرا ـ مثلا ـ لم تتبين بعد ماهيته وجوهره . ومن هنا ننتهي الى ان نظرية الشيخ الرئيس تتحدد بان الاعرف عند العقل من الامور العامة هي « المبادىء العامة » والبسيطة ، واما عند الطبيعة فالاعرف لديها هي الخاصة النوعية والمركبات . فالتعليم ـ اذن ـ يجب ان يبدأ من « المبادىء العامة » وبسائطها ويرتفع الى النوعيات وخصائصها . فالنوع من الناحية « الوجودية » Ontologically اسبق من الجنس في تطبيقات هذه النظرية .

ومن خلال هذا العرض الموجز « للمبادىء العامة » يمكننا ان نلمس رأي ابن سينا صريحا في الطبيعة حيث يحاول ان يمنحها مدلول التعقل الكامل الهادف لغاية ومعرفة واستدلال ، وكأنها تقف كالمارد أمام قوى الانسان تنازعه المعرفة فتسبقه تارة ويسبقها أخرى . وليس بالغريب هذا فهو موقف تمثله الفلاسفة اليونانيون من قبل ومفكرو العصور الوسطى سواء بسواء[١٧] .

جعفر آل ياسين

الرموز المستعملة :

Met. = Metaphysics.
Phys. = Physics.
Cat. = Category.

---

(١٧) قارن :
E. Zeller, Outline of the History of Greek philosophy, London, 1955, p. 179.

سعدى الشيرازى

خريج بغداد في العصر العباسي الاخير

الدكتور حسين علي محفوظ
استاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كانت مدينة السلام بغداد ـ قديما ـ جنة الارض[١] ، وحاضرة الدنيا[٢] ، وحرم الرجاء ، وقبة الاسلام[٣] . عششت بها المعارف؛ فاستوطنها فحولة العلماء ، وسكنها كبار الفلاسفة ، وحلّ بها أمراء الكلام ، وقطنها أئمة الفكر ؛ فدلف اليها طلاب العلم من كل فج ، ونهض نحوها روّاد المعرفة من كل شعب[٤] . فأضحت دار العلم[٥] ، وموطن الفضل[٦] وازدحم على أبوابها أهل المشرقين وأهل المغربين ، الذين قطعوا اليها اعراض البراري وبطون المفاوز حتى عدت أم الدنيا وسيدة البلاد[٧] .

وكان للمدرستين الكبيرتين ؛ النظامية[٨] ، والمستنصرية[٩] كل الاثر في تخريج العلماء والادباء الذين انتشروا في الارض ؛ فبلغوا رسالة الجامعتين ، واذاعوا ما تعلموه من فنون وعلوم وآداب . ولعلّ أفضل اولئك التلامذة الشاعر الفارسى المشهور سعدى الشيرازى ؛ خرّيج النظامية ـ رحمه الله ـ الذي تسدّ تتبعاتنا في ترجمته وآثاره ثلمة كبيرة في تاريخنا الثقافي لا نكاد نجد سدادها في غير سيرته وتراثه .

---

(١) ثمار القلوب ص ٤٠٤ « الباب ٤٣ » .
(٢) كتاب اخبار البلدان ورقة ١٦ من نسختنا الخطية ، ومناقب بغداد ص ٣٠ .
(٣) ديوان الرضي ص ٤٠٩ .
(٤) المتنبي وسعدي ص ٤٢ ـ ٤٣ .
(٥) مرآة الزمان مج ٨ ق ١ ص ١٢٠ .
(٦) ديوان أنوري ص ١٨١ .
(٧) معجم البلدان ج ١ ص ٦٧٧ .
(٨) المتنبي وسعدي ص ٥٠ ـ ٥٦ .
(٩) المرجع المذكور ص ٥٧ ـ ٥٩ .

ان تاريخ المدارس البغدادية معروف ، واسامي اساتيذها وتلاميذها مشتهرة . واذا صادفنا بعض الاشارات الى شيء مما كان طلاب العلم يدرسون فيه من كتب ، واذا عثرنا بأجزاء مما كانت تحفل به خزائنها من تآليف ؛ فما زال منهاج الدرس مجهولاً ؛ عـدِّ عن مادته التي أحاول التماسها ، والكشف عنها في خلل ديوان سعدى ، الذى قدم بغداد في عنفوان سنّه ، وفارقها وقد جاوزه الاكتهال ، ووخطه الشيب . فلما ألقى عصاه في بلده ، واستقرت به النوى في وطنه ، خدم الفارسية بما نقل الى آدابها مما تلقاه في بغداد من علم وأدب . وكتبه ــ من أجل ذلك ــ مرآة ما كان يلقى الى الطلاب من معرفة وفضل ، وما كان المتفقهون والمتأدبون يحفظون من آيات ، ويحملون من حديث ، ويروون من شعر ، ويستمعون من محاضرات .

سـيرته :

هو مصلح الدين ابو محمد ، عبدالله بن مشرف بن مصلح بن مشرف ، المعروف بالشيخ سعدى[١٠] .

ولد بشيراز[١١] في أوائل العشر الاول من القرن السابع للهجرة[١٢] . وهنالك شدا مقدمات العلوم[١٣] . ثم فارقها قبل سنة ٦٢٣هـ ؛ فأتى العراق ، وأقام ببغداد ، وتفقه بالنظامية[١٤] ، وعيّن معيداً بها[١٥] . وأتاحت له سكناه فيها لقاء كثير من الصوفية والعارفين ، والانتفاع بمجالس أهل الفضل . ورزق صحبة الشيخ شهاب‌الدين ابى حفص ، عمر بن محمد السهروردى[١٦] ؛ صاحب « عوارف المعارف » ، فاستفاد من طرائف

(١٠) تلخيص مجمع الآداب ص ٥٥١ .
(١١) گلستان ص ١٣٦ .
(١٢) سعدي نامه ص ٧٩ ــ ٨٠ .
(١٣) مقدمة قريب/صفحة ل .
(١٤) سعدي نامه ص ٧١ .
(١٥) بوستان ص ١٨٦ .
(١٦) شد الازار ص ٤٦١ ، وتراجع سعدي نامه ص ٧١ ــ ٩٠ ، و ١٦٢ ــ ١٦٤ .

حكمه ، وراض نفسه بعلومه ووصاياه[١٧] . وأدرك الشيخ جمال الدين ابا الفرج[١٨] عبدالرحمن بن محيي‌الدين ابى محمد يوسف بن جمال‌الدين ابى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى ، ولزمه .

ثم سافر الى الشام[١٩] ، وتركية[٢٠] ، وزار كثيرا من الممالك الاسلامية فالتقى برجالها ، واجتمع مع اولى العلم فيها[٢١] . ثم حجّ البيت – فمرّ بتبريز – ورجع الى شيراز[٢٢] فى أواخر عهد سلطنة ابى بكر ، سعد بن زنكى[٢٣] . فآثر أبو بكر وابنه قربه ، واغتنما مجالسته وحكمته ومشاورته ، وتواضعا لـه ، واكثرا من اسداء الاحسان اليه[٢٤] .

وكان سعدى يجدى فى زاويته على المعتفى ، ويبرّ المعترّ ، ويجير الفقير ، ويعين المسكين . وقد أنفق اواخر عمره فى الموعظـة والهدايـة ومحض النصيحة ، وتفقد الناس ، والدعوة الى مكارم الاخـلاق والدين القيم ، والعمل الصالح ، والانسانية ، والنفع والبرّ[٢٥] .

وتوفى سعدي ليلة الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٦٩١هـ[٢٦][٢٧]/٩ كانون الاول ١٢٩٢ م . ودفن فى صفة خانقاهه ، بمدينة شيراز[٢٨] .

---

(١٧) بوستان ص ٧٥ .

(١٨) گلستان ص ٦٥ – ولاحظ سعدي نامه ص ٢٣ – ٢٥ ، و ١٦٤ – ١٦٨ .

(١٩) تراجع/مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣٥ ج ٢ ص ٢٥٣ – ٢٦٩ .

(٢٠) المتنبي وسعدي ص ٦ .

(٢١) منتخبات ادبيات فارس ص ٢٢١ ، وسعدي نامه ص ٧١ ، ومقدمة قريب/صفحة : له .

(٢٢) كليات سعدي – رسائل نثر ص ٧٤ .

(٢٣) سعدي نامه ص ٧٧ .

(٢٤) المتنبي وسعدي ص ٦ .

(٢٥) المرجع المذكور ص ٧ .

(٢٦) مجلة دانشكدهٔ ادبيات مج ٦ ج ١ ص ٦٤ – ٨٢ .

(٢٧) كنت اظن ان تاريخ وفاة سعدي الصحيح هو سنة ٦٩٤هـ – كما دونه مؤلف الحوادث الجامعة ص ٤٨٩ – غير اني عثرت في كتاب (سلسلة النسب صفويه) ص ١٦ ما بدل رأيي .

(٢٨) شد الازار ص ٤٦٢ .

ثقافة سعدي :

قرأ سعدى فى النظامية الادب من شعر وبلاغة ولغة . وتعلم الفقه الشافعى ، ودرس الاصول والخلاف والفرائض والكلام والحديث والتفسير والجدل والوعظ(٢٩) . وكل الظن انه درس كتب ابى اسحاق الشيرازى(٣٠) وابن الصباغ(٣١) والكمال ابن الانبارى(٣٢)(٣٣) .

وربما كانت رسالة الشافعي أول ما وعى من متون الفقه . وفاتحة گلستان(٣٤) ترجمة جميلة لكلام الشافعى فى صدر رسالته(٣٥)

وقد حفظ سعدى ما تيسر من القرآن ؛ فاقتبس **١٠٢** من آياته . وروى الحديث ؛ فزين كلامه بـ **٩٧** من معانيه . وقرأ القصص فأوحت اليه **١٤** حكاية . وتحفظ الامثال فأخذ **٨٦** من طرائف حكمها . واطلع على دواوين العرب(٣٦) فاستمد من **١١٥** شاعراً ، منهم :

ابن الرومى(٣٧)

ابن الفارض(٣٨)

---

(٢٩) مجلة سومر مج ٩ ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٣٠) هو أبو اسحاق ، ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، المتوفى سنة ٤٧٦هـ ـ لاحظ ترجمته في أصول المراجع ؛ وتراجع الكنى والالقاب ج ١ ص ٥ ـ ٦ ، وطبقات الشافعية ص ٥٩ ـ ٦٠ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٩ ـ ١٢ .

(٣١) هو أبو نصير ، عبدالسيد بن محمد البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٧هـ ـ راجع الكنى والالقاب ـ أيضا ـ ج ١ ص ٣٢٤ ، وطبقات الشافعية ص ٦٠ ، ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

(٣٢) لاحظ ترجمته في مقدمة نزهة الالباء في طبقات الادباء/صفحة ج ـ ح طبعة الدكتور ابراهيم السامرائي .

(٣٣) الانصاف في مسائل الخلاف ص ١ ، والمتنبي وسعدي ص ٥٢ .

(٣٤) گلستان ص ١ .

(٣٥) معيد النعم ومبيد النقم ص ٨ . ولاحظ نظم المعنى في شعر محمود الوراق ـ أحسن ما سمعت ص ١٣ .

(٣٦) سبك شناسي ج ٣ ص ١١٣ .

(٣٧) المتنبي وسعدي ص ١٧٠ .

(٣٨) المرجع المذكور ص ٢١٦ .

ابن قلاقس[٣٩]

ابن الوردى[٤٠]

ابو تمام[٤١]

ابو العتاهية[٤٢]

ابو الفتح البستى[٤٣]

ابو فراس الحمدانى[٤٤]

ابو نواس[٤٥]

الارجانى[٤٦]

امرؤ القيس[٤٧]

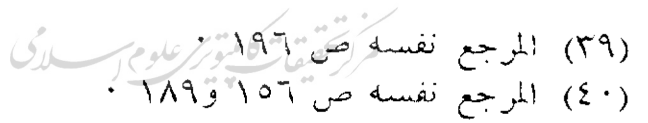
بشار[٤٨]

البهاء زهير[٤٩]

جرير[٥٠]

حاتم الطائى[٥١]

الحطيئة[٥٢]



(٣٩) المرجع نفسه ص ١٩٦ ·
(٤٠) المرجع نفسه ص ١٥٦ و١٨٩ ·
(٤١) المرجع نفسه ص ١٧٢ و١٧٥ و١٧٨ و١٧٩ و١٩٤ و٢١٨ ·
(٤٢) المرجع نفسه ص ١٢٦ و٢٢٢ ·
(٤٣) المرجع نفسه ص ١٧١ و١٨١ و١٨٤ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٣ و١٩٧ و١٩٨ و٢٠٠ و٢١٩ و٢٢٢ ·
(٤٤) المرجع نفسه ص ٢١٠ ·
(٤٥) المرجع نفسه ص ١٧٥ و١٩١ و٢٠٢ و٢٠٥ و٢١٥ و٢١٧ ·
(٤٦) المرجع نفسه ص ٢١٨ ·
(٤٧) المرجع نفسه ص ١٣٨ و١٨٢ ·
(٤٨) المرجع نفسه ص ١٧٣ و٢٢٣ ·
(٤٩) المرجع نفسه ص ٢٠٧ ·
(٥٠) المرجع نفسه ص ٢١٠ ·
(٥١) المرجع نفسه ص ١٩٤ ·
(٥٢) المرجع نفسه ص ١٥٨ ·

ديك الجن[٥٣]
الشريف الرضي[٥٤]
طرفة بن العبد[٥٥]
العباس بن الاحنف[٥٦]
العرجى[٥٧]
عمر بن ابى ربيعة[٥٨]
الفرزدق[٥٩]
فضل الله الراوندى[٦٠]
القطامى[٦١]
قيس العامري[٦٢]
كثير[٦٣]
كشاجم[٦٤]
المعرى[٦٥]
النابغة الذبياني[٦٦]



(٥٣) المرجع نفسه ص ١٢٠ .
(٥٤) المرجع نفسه ص ٢٥٢ .
(٥٥) المرجع نفسه ص ١٧٧ .
(٥٦) المرجع نفسه ص ٢١٤ .
(٥٧) المرجع نفسه ص ١٨٤ .
(٥٨) المرجع نفسه ص ٢١٢ .
(٥٩) المرجع نفسه ص ١٩٠ و٢٠١ .
(٦٠) المرجع نفسه ص ١٨٣ .
(٦١) المرجع نفسه ص ١٨٨ .
(٦٢) المرجع نفسه ص ٢١٦ .
(٦٣) المرجع نفسه ص ٢١٦ .
(٦٤) المرجع نفسه ص ١٧٩ .
(٦٥) المرجع نفسه ص ١٩٢ و٢٠٠ .
(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٠٩ .

وأمثالهم[٦٧] . ويدلّ هذا الفهرس على فضل بغداد في تدريس الادب العربي وترويجه .

أثر المتنبّي في أدب سعدي :

قرأ سعدي ديوان المتنبي ـ في بغداد ـ وكان كثير النظر فيه ؛ فعلق قلبه شعره ، وأعجب بأمثاله السائرة ، وحكمه المعروفة ، وغمرت جانبيه الصبابة بمعانيه ، والولوع بصوره ، وراقته تشبيهاته ؛ فمجدّه ، ونوّه بديوانه ، واثنى عليه ، قال :

كنت أنظر في جزء من شعر المتنبي
سفينة بحر المعاني الحافل بالدر النفيس
فاحتقرت متاعي[٦٨]
وليس للسهى رونق عند الشمس[٦٩]

وقد استظهره ، وقلّده واقتدى به ، وبرّ بقومه فأهدى الى الادب الفارسي تحف معاني المتنبي ، التي انتزعها فأحسن نقلها الى لسانه[٧٠] .

بلغ ما اقتبسه سعدي من اخيلة المتنبي ١٠٣ معنى في ٣٠٠ موطن ، حداه اعجابه ببعضها على تكرارها مراراً .

فقد كرّر قوله :

شيب رأسي وذلتي ونحولي ودموعي على هواك شهودي[٧١]

تسع مرار[٧٢] .

وقوله :

فاطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود[٧٣]

---

(٦٧) المرجع نفسه/فهرس الكتاب صفحة ى ـ يد .
(٦٨) أي ؛ شعره .
(٦٩) المتنبي وسعدي ص ١٦ .
(٧٠) وراجع مآخذ سعدي من المعاني العربية في كتابي « المتنبي وسعدي » ص ٨٠ ـ ٢٧٩ .
(٧١) ديوان المتنبي ص ١٤ .
(٧٢) تراجع ـ غزليات ص ٢٦ و٤٥ و١٥٣ و١٥٨ و١٦٧ و٢٠٤ و٢١٣ و٣٤٦ ، ومواعظ ص ٩٩ .
(٧٣) ديوان المتنبي ص ١٥ .

ستاً[٧٤] .

وقوله :

فذقت مـــاء حيـــاة من مقبّلهـا لوصاب تربا لأحيا سالف الامم[٧٥]

تسعاً[٧٦] .

وقوله :

فمن شاء فلينظر إليّ فمنظري نذير الى من ظنّ أن الهوى سهل

وما هى الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت فى قلبه رحل العقل[٧٧]

ثماني مرار[٧٨]

وقوله :

رأين التي للســـحر في لحظاتهـــا سيوف ظُباها من دمي أبداً حُمر[٧٩]

اربع عشرة مرّة[٨٠]

وقوله :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا من بعد أن أنشبن فيّ مخالبا[٨١]

سبع مرار[٨٢]

وقوله :

بنتم عن العين القريحـــة فيـــكم وسكنتم ظـن الفؤاد الوالـه[٨٣]

(٧٤) گلستان ص ٧٤ و١٤٩ ، وغزليات ص ٤٣ و١٦٧ و٣٢٠ ، ومواعظ ص ١٠٣ .

(٧٥) ديوان المتنبي ص ٣٠ .

(٧٦) غزليات ص ٢٠٦ و٢٣٨ و٢٤٣ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٨٠ و٣٨٣ ، ومواعظ ص ٩٩ و١٠٤ .

(٧٧) ديوان المتنبي ص ٣٩ .

(٧٨) بوستان ص ١١٠ « مرتان » ، وغزليات ص ٨٤ و٨٧ و١٨٠ « مرتان » و١٨٨ ومواعظ ص ١٩ .

(٧٩) ديوان المتنبي ص ٥٧ .

(٨٠) گلستان ص ١٧٣ ، وغزليات ص ١٨ و٢٣ و٤٢ و٤٧ و٦٣ و٦٨ و١٧٧ و١٩٢ و٢٦٤ و٢٧٢ و٢٩٤ و٣٠١ ، ومواعظ ص ٩٩ .

(٨١) ديوان المتنبي ص ١٠٠ .

(٨٢) بوستان ص ٢١٤ و٢٣٦ ، وغزليات ص ٢٠٦ ، ومواعظ ص ٨٥ و١٥٤ و١٨٣ و١٩٥ .

(٨٣) ديوان المتنبي ص ٢٧٤ .

خمساً[84]

وقوله :

والهجر اقتل لي ممّن آراقبه   انا الغريق فما خوفي من البلل[85]

ست مرار[86]

وقوله :

وما ينصر الفضل المبين على العدى   اذا لم يكن فضل السعيد الموفق[87]

ستاً ـ أيضاً[88]

وقوله :

لياليّ بعد الظاعنين شكول   طوال وليل العاشقين طويل[89]

ستاً كذلك[90]

وكذا قوله :

وان انت أكرمت اللئيم تمردا[91][92] .

وقوله :

ولكنك الدنيا اليّ حبيبة   فما عنك لي الاّ اليك ذهاب[93]

ثلاث عشرة مرة[94]

---

(٨٤) غزليات ص ٢١٨ و٣٣٢ و٣٤٠ ، ومواعظ ص ٥٣ و٢٠١ ٠

(٨٥) ديوان المتنبي ص ٣٢٨ ٠

(٨٦) بوستان ص ١١٦ ، وغزليات ص ١٠ و٩١ و١٨٠ و٢٥٠ و٢٨٤ ٠

(٨٧) ديوان المتنبي ص ٣٣٩ ٠

(٨٨) گلستان ص ١٠٤ ، وبوستان ص ١٥٦ ، وغزليات ص ١١ و٣٠٧ ، ومواعظ ص ١٣ و١١٦ ٠

(٨٩) ديوان المتنبي ص ٣٤٧ ٠

(٩٠) غزليات ص ٤٢ و٦٢ و٦٣ و١٠٣ و١٠٦ ، ومواعظ ص ٩٩ ٠

(٩١) ديوان المتنبي ص ٣٦١ ٠

(٩٢) گلستان ص ١٧٩ ، [وراجع ص ١٩٠] ، و١٨٣ و١٩٣ ، [وراجع بوستان ص ٦١] و١٩٩ ، وبوستان ص ٩٨ ، ومواعظ ص ٢١٨ ٠

(٩٣) ديوان المتنبي ص ٤٨٢ ٠

(٩٤) گلستان ص ١٢٣ و٢٠٣ ، وغزليات ص ٥٤ و٦٣ و١٦١ و١٦٢ و٢٢٤ و٢٧٠ و٢٩٥ و٣٠٧ و٣٨٣ ، ومواعظ ص ١٠٥ و١٨٤ ٠

وقوله :

ذريني انل ما لا ينال من العلا
فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولابدّ دون الشهد من ابن النحل[٩٥]

سبع عشرة مرّة[٩٦]

وقوله :

يموت راعي الضأن في جهله موتة جالينوس في طبّه[٩٧]

خمس مرار[٩٨][٩٩]

---

(٩٥) ديوان المتنبي ص ٥٢٠ .

(٩٦) گلستان ص ١١٢ « مرتان » ، وبوستان ص ٩٣ ، وغزليات ص ١١ و١٤ و٢٥ و٥٤ و٦٥ و١٠٨ و١٢٤ و١٦٤ و١٦٨ و٢٥٥ ، ومواعظ ص ٣٠ و٣٤ و١١٥ و١٤٨ .

(٩٧) ديوان المتنبي ص ٥٧٤ .

(٩٨) گلستان ص ١٤ ، وبوستان ص ٤٢ و١٥٧ و١٧٣ ، ومواعظ ص ٦٧ .

(٩٩) ومن المعاني التي أغرم سعدي بتكرارها : المثل المأثور « لا تجنى من الشوك العنب » فقد كرره سبع مرار ــ تراجع برستان ص ٣٨ و٤٤ و٤٥ ، ومواعظ ص ١٢٦ و٢٠٢ و٢٢٠ . و « زجاجه لا يقوى لصخرى » اذ كرره احدى عشرة مرة ــ تراجع بوستان ص ١٠٥ ، وغزليات ص ٤٠ و٤٤ و٥٠ و٥٢ و٥٤ و٧٨ و١١٣ و١٧٩ و٢٧٥ و٣٥٤ .

وبيت ابي تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فقد كرره احدى عشرة مرة ــ تراجع گلستان ص ٣٦ و١٠٤ ، وبوستان ص ١٤٠ ، وغزليات ص ١٠١ و١٣٥ و١٤٦ و١٦٥ و١٦٧ و٢٣٤ و٣٥٤ ، ومواعظ ص ٩٥ و١٢٨ .

و : « كل ما يفعل المحبوب محبوب » خمس عشرة مرة ــ تراجع بوستان ص ١٠٦ ، وغزليات ص ٢٤ و٢٦ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٩ ، ومواعظ ص ٩٨ و١١١ و١٥٥ .

وشعر الصوري :

ظبى اقام قيامتي من قبل أن تأتي القيامه

فقد كرره ثلاث عشرة مرة ــ تراجع غزليات ص ٥٣ و٦٠ و٧٧ و٩٠ و١٥٧ و١٦٦ و١٨٢ و١٩٨ و٣٢٦ و٣٣١ و٣٦٧ و٣٧٩ ، ومواعظ ص ٦٩ .

وراجع المتنبي وسعدي ص ١٧٠ و١٧٢ و١٧٣ ــ ١٧٤ و١٨٢ ــ ١٨٣ و١٨٥ ــ ١٨٧ و٢٠٠ ــ ٢٠١ و٢١٥ وغيرها .

آثار سعدي :

ترك سعدى آثاراً جميلة تسمى كليات[١٠٠] "Works" تحتوى على ٢٢ جزءاً فى ١٣٠٠ صفحة ؛ هى :

(١) تقرير الديباجة .

(٢) المجالس الخمسة .

(٣) نصيحة الملوك .

(٤) سؤال صاحب الديوان[١٠١] .

(٥) رسالة العقل والعشق .

(٦) التقريرات الثلاثة .

(٧) گلستان .

(٨) بوستان .

(٩) القصائد الفارسية والمراثى .

(١٠) القصائد العربية .

(١١) الملمعات والمثلثات .

(١٢) الترجيعات .

(١٣) الطيبات .

(١٤) البدائع .

(١٥) الخواتيم .

(١٦) الغزليات القديمة .

(١٧) الصاحبية[١٠٢] .

(١٨) المقطعات .

(١٩) الرباعيات[١٠٣] .

---

(١٠٠) وهي احد أركان الادب الفارسي الاربعة ؛ الشاهنامة للفردوسي ، والكليات للسعدي ، والمثنوي للمولوي ، وديوان الخواجه الحافظ الشيرازي – تراجع سعدي نامه ص ٣ .

(١٠١) هو شمس الدين محمد الجويني – لاحظ سعدي نامه ص ١٥٧ .

(١٠٢) في مدح الصاحب شمس الدين الجويني المذكور آنفا – تراجع سعدي نامه ص ١٥٧ .

(١٠٣) في العشق والاخلاق .

(٢٠) المفردات[١٠٤] .

(٢١) الهزليات[١٠٥] .

(٢٢) الخبيثات[١٠٦][١٠٧] .

وقد جمعها الاديب علي بن أحمد بن ابي بكر ، المدعو بيستون سنة ٧٢٦ هـ ، ورتب قوافي الديوان على حروف المعجم سنة ٧٣٤ هـ[١٠٨] . وصدر الـكليات بمقدمة وديباجة بليغتين[١٠٩] .

گلســـتان :

الروضة في ٢٠٧ صفحة . وقد بلغت من الانتشار والاشتهار ما لم يبلغه أيّ كتاب فارسي ؛ فانها تكاد توجد في كل بيب ، وربما قرأها كل من أظلته الخضراء في ايران .

وهم يعدونها انموذج الفصاحة الفارسية ، وعنوان الادب الايرانى البليغ ، وكتاب العجم الفاخر . وهو خير ما ورثـه الادب الفارسى من نثر أبداً[١١٠] . وقد سلك فيها سعدي طريقة الجاحظ ، ومذهب كُتّاب المقامات ، وجمع بين الاسلوبين[١١١] .

يحتوى كتاب گلستان على ثمانية أبواب :

الاول ـ في سير الملوك ، ٤١ حكاية .

الثاني ـ في أخلاق الصوفية والفقراء ، ٤٨ حكاية .

الثالث ـ في فضيلة القناعة ، ٢٨ حكاية .

الرابع ـ في فوائد الصمت ، ١٤ حكاية .

---

(١٠٤) في الاخلاق والغزل .

(١٠٥) وهي ٣ مجالس في الهزل والمجون ألحق بها حكايات تسمى المضاحك . ولاحظ سبك شناسي ج ٣ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(١٠٦) وهي حكايات ومقطعات مقذعة . وراجع سبك شناسي ج ٣ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(١٠٧) زد عليها المعمّيات والالغاز/لاحظ مقدمة گلستان صفحة ق .

(١٠٨) كليات سعدي/رسائل نثر ص ٨٠ .

(١٠٩) كليات سعدي/رسائل نثر ص ٧٨ ـ ٩٠ .

(١١٠) سبك شناسي ج ٣ ص ١٢٥ .

(١١١) المرجع المذكور ج ٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

الخامس ـ فى العشق ، ٢١ حكاية .

السادس ـ فى الضعف والشيخوخة ، ٩ حكايات .

السابع ـ في تأثير التربية ، ١٩ حكاية ألحق بها مناظرة بين الغنى والفقر .

الثامن ـ فى آداب الصحبة ، فيها ١٠٤ فصل .

بوستان :

البستان فى ٢٤٧ صفحة ، عدتها أربعة آلاف وبضع مائة بيت . وتشتمل على ١٥٩ حكاية ، فى عشرة أبواب :

الاول ـ فى العدل والتدبير والرأى ، ١٩ حكاية و ٤٧ فصلا .

الثاني ـ في الاحسان ، ٢٢ حكاية و١٠ فصول .

الثالث ـ فى العشق والسكر ، ١٨ حكاية و ٦ فصول .

الرابع ـ فى التواضع ، ٢٦ حكاية وفصلان .

الخامس ـ فى الرضا ، ١٢ حكاية و ٣ فصول .

السادس ـ في القناعة ، ١٣ حكاية وفصل واحد .

السابع ـ في عالم التربية ، ٢٠ حكاية و٩ فصول .

الثامن ـ في الشكر على العافية ، ٨ حكايات و ٧ فصول .

التاسع ـ فى التوبة وطريق الصواب ، ١٨ حكاية و ٤ فصول .

العاشر ـ فى المناجاة ، ٣ حكايات وفصل واحد .

الديوان :

قوامه ٣٩٩ صفحة . ويحتوى على :

(١) ديوان الغزل ، ويشتمل على ٦٣٧ غزلا ـ وهو خمسة أقسام :

القصائد

الطيبات

البدائع

الغزليات القديمة

الخواتيم

(٢) الترجيعات/ترجيع بند طويل واحد في ٢٥١ بيت .

(٣) المقطعات ـ ١٨ مقعطه

(٤) الملمعات

(٥) الرباعيات وعدّتها ١٤٧

ديوان المواعظ :

قوامه ٢٢١ صفحة ، ويشتمل على :

٥٥ قصيدة .

٧ مراث .

٥٩ غزلاً .

٢٢٧ قطعة .

٥٦ رباعية .

مثنوى (= مزدوجة) في ٤٦ بيتا .

٧٩ بيتا مفردا .

مثلثات ملمعة .

الديوان العربي :

وهو ديوان صغير فى ٢٢ صفحة ، قوامه ٢٥ قصيدة وغزلا ومقطعة ، عدّتها ٣٧٤ بيتا(١١٢) .

ومن طرائف قصائده العربية ، التى توضح جانبا من تاريخ العراق في زمن المغول ؛ معلقته الرائية ، في مرثية المستعصم ، وذكر واقعة بغداد ، في ٩٢ بيتاً ، أوّلها :

حبست بجفني المدامع لا تجـــري
فلما طغى الماء استطال على السكر(١١٣)

---

(١١٢) عدّ عما في ديوان شعره الفارسي من الشعر العربي في مطالع القصائد ، ومقطعات الغزل ، وأثنائها على سبيل التلميع . لاحظ گلستان ص ١٣ و٢٩ و٥٦ و٦٩ و٧١ و٧٦ و٨١ و٩٣ و٩٦ و٩٧ و٩٩ و١٠٣ و١٠٦ و١١١ و١١٥ و١٢٠ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٩ و١٥٠ و١٧٥ ، وبوستان ص ٤ و٥ و٦ و٨ و٤٧ و٩١ و١٠٧ و١٨٣ و٢٠٣ و٣٤٢ ، وغزليات ص ٥ و٢٩ و٤٧ و٩١ و١٥٧ و١٥٨ و١٨٩ و١٩١ و١٩٤ و١٩٥ و٢٥٢ و٢٦٣ و٢٨٨ و٢٨٩ و٢٩٠ و٣٢٧ و٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣١ و٣٣٢ و٣٣٣ و٣٦٠ و٣٦١ و٣٦٩ و٣٧٣ و٣٧٤ ، ومواعظ ص ١ و٢ و٣٨ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٥ و٥٢ و٦١ و٦٢ و٨١ و٩٢ ـ ١١٢ و١٥٠ و١٥٣ ـ ١٥١ ـ ١٥٤ و١٨٩ .

(١١٣) مواعظ ص ٩١ ـ ٩٥ .

والدالية ، في مدح نورالدين أحمد بن الصياد ، التاجر – صدر الاعمال الواسطية –[114]وكان حاكم فارس في شيراز[115] ايام سعدى . وليس فى المراجع الموجودة ما يشير الى حكومته فى فارس .

واولها :

ما دام منسرح الغزلان في الوادى
احذر يفوتك صيد يابن صياد[116]

ومن مراسلاته مع ادباء العراق بائيته التى كتبها الى ابن الفوطىّ سنة ٦٦٠ هـ ، التى أولها :

متى جمع شملى بالحبيب المغاضب
وكيف خلاص القلب من يد سالب[117][118]

ومن شعره العربى الرقيق المرقص المطرب :

يا نديمى قم تنبّه	واسقنى واسق الندامى
خلنى اسهر ليلى	ودع الناس نياما
اسقيانى وهدير الر	عد قد ابكى الغماما
وشفا الازهار تفتر	من الضحك ابتساما
في زمان سجع الطير	على الغصن رخاما
واوان كشف الور	د من الوجه اللثاما
ايها العاقل أف	لبصير يتعامى
فز بها من قبل أن يجـ	ـعلك الدهر حطاما
قل لمن عير اهل الـ	حب بالجهل ولاما
لا عرفت الحب هيها	ت ولا ذقت الغراما
من تعدى زمن الفر	صة بخلا واهتماما
ضيع العمر أيوماً	عاش أو خمسين عاما
لا تلمنى في غلام	أودع القلب السقاما

(١١٤) الحوادث الجامعة ص ٤٤٩ ، وسعدي نامه ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(١١٥) لاحظ أواخر القصيدة/مواعظ ص ٩٧ .

(١١٦) مواعظ ص ٩٥ – ٩٧ .

(١١٧) المتنبي وسعدي ص ٢٨٢ .

(١١٨) لاحظ القصيدة في مواعظ ص ١٠٤ .

فبـداء الحب كـم من ســيد أضحى غـلامـا
منتهــى منـية قـلـبى شـادن يسـقى المدامـا
وعلى الخضـرة منشـور و زنـد وخـزامى
ذى دلال سـلب القلـب اذا قـال كلامـا
وجمـال غلـب الغصـن اذا مـال قوامـا
يا عـذولى فنى انصبـر الى كم والى مـا
انـا لا أعبـأ بالزجـر ولا أخشـى الملامـا
ترك الحـب على مقـلتي النـوم حرامـا
وحـوالىّ حبـال الـشوق خلفـاً وأمامـا
ما على العـاقل من لغـوى اذا مرّوا كرامـا
لـكن الجاهل ان خـاطبني قلت سـلاما[119]

وقد عارضها الحكيم ابو الحسين بن ابراهيم الطبيب الشيرازى ؛ صديق السيد علي خان المدنى الشيرازي ـ صاحب سلافة العصر ـ قال :

كشف الصبح اللثامـا وجـلا عنـا الظـلاما
فاجل لى الـكاس ونبّه ايهـا السـاقي النيـاما
علّنا نقضى كمـا رمـنا من الانس المرامـا
ما ترى الورق على الايـك يجـاوبن الحمـاما
وزهـور الروض اصبحـن يفتقن الـكمامـا
والحيـا يبكى عليهـنّ فيضـحكن ابتساما
ووميض البرق قد سلّ على الافـق حسـاما
وحبيب النفس قـد لاح لنـا بـدرا تمـاما
أىّ عـذر لك ان لم تصـل الراح مـداما
فاغنـم الانس وبـاين من لحا فيـه ولاما[120]

(١١٩) مواعظ ص ١٠٨ ، وسلافة العصر ص ٤٩١ ـ ٤٩٢ .
(١٢٠) سلافة العصر ص ٤٩١ .

الرســـائل :

(١) نصيحة الملوك – في العدل والاحسان ، وتحتوى على ١٥١ كلمة وموعظة ، في ٢٥ صفحة .

(٢) رسالة في العشق والعقل – في ٤ صفحات .

(٣) رسالة أودعهـا آداب السياسـة ، وادارة المملـكة ، وحقوق الراعى والرعية – نصيحة الامير انـكيانو[١٢١] حـاكم فـارس[١٢٢] في ٤ صفحات .

المجالس الخمسة :

في ٣٣ صفحة شعراً ونثراً :

المجلس الاول – في شرح حديث « من جاوز أربعين سنة فلم يغلب خيره شرّه ، فليتجهز الى النار .

المجلس الثاني – في تفسير « اتقوا الله » .

المجلس الثالث – في شرح حديث « من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة ، ومن تشعبت به همومه ، لم يبال الله في أيّ وادٍ هلك » .

المجلس الرابع – في تفسير « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » .

المجلس الخامس – في الاخلاص وتفسير « مخلصين له الدين » .

الاجـــوبة :

وهي أجوبة اسئلة الخواجه شمس‌الدين محمد الجويني ؛ صاحب الديوان ، المقتول سنة ٦٨٣ هـ[١٢٣][١٢٤] في ٣ صفحات .

---

(١٢١) تراجع ســـبك شناسي ج ٣ ص ١٢٢ ، وســـعدي نامه ص ١٣٦ .

(١٢٢) سعدي نامه ص ١٣٤ – ١٣٦ .

(١٢٣) المرجع المذكور ص ١٥٥ .

(١٢٤) المرجع نفسه ص ١٥٥ – ١٥٧ .

الاول ـ الجنّ أفضل أم الانس .

الثاني ـ عدو لا يخاللني قط .

الثالث ـ الحاج خير أم غير الحاج .

الرابع ـ العلوى خير أم العامي .

الخامس ـ المنديل والذهب .

سعدي الشيرازي

رسول الثقافة البغدادية العربية الى الادب الفارسي

يُعَدّ ما خلفه سعدي من آثار مرآةً ترينا وجوه الثقافة البغدادية العربية في القرن السابع الهجريّ .

واذا عرفت ان كلّ الادباء والمتأدبين الايرانيين عيال على السعديّ[125] وان الناس ـ هنالك ـ كافة يروون شعره ، ويقرأون نثره ، ويتمثلون حكمه . واذا دريت ان سعدى هو « الشيخ » المطلق في تاريخ الادب الفارسي ؛ أسفر لك أثره الكبير في نقل الثقافة العربية ـ التي كانت مأثورة ـ حينئذ ـ في مدارس بغداد ومجامعها ، وعاينت منهاجها ، ورأيت كتبها .

واذا علمت ان (گلستان) ـ الحافل بمآخذ سعدى من الثقافة العربية التي تلقنها في بغداد ـ نشر بالالمانية سنة ١٦٥٤ ، وظل الورد الموورد قرنا كاملا من عمر الادب الالماني ؛ عرفت من أين جاء « گوته » بما جاء به في (الديوان الشرقي) ، وعلمت من أمدّ « روكروت » بما أتى به في « الزهرة الشرقية »[126] عدّ عن سائر البلاد التي اهلها كلهم بسعدى وأدبه[127] .

---

(١٢٥) المرجع نفسه ص ١٩٨ ـ ٢٠١ .

(١٢٦) مجلة دانشكدة ادبيات مج ٤ ج ٣ ص ١ ـ ١٠/مقالة المستشرق تيشنر .

(١٢٧) مقدمة قريب/صفحة قا ـ قب .

في الادب الفارسي المأثور نحو من (٢٢١٢٠)[١٢٨] مثل وحكمة عربية وفارسية مستعملة ، تصوّر الثقافة الادبية ، والاحوال الاجتماعية في ايران احد عشر قرنا منذ المائة الثالثة الهجرية .

ونصيب سعدي وحده منها (١٦٣٥) أي عشر الامثال الفارسية كلّها تقريباً[١٢٩] ، وانتج تسعة أعشرائها سائر الشعراء وهم زهاء خمسين شاعرا فحلاً عدّ عن الكتّاب والنظّامين .

وخلّد سعدي كلّ ما سمعه ، وما قرأه من القصص التي كان الناس يحدّثون بها في بغداد في القرن السابع ، واستودع في ديوانه ـ الذي عدّته ١٧٠٠٠ بيت تقريباً ـ ما رآه مما وقع في زمنه من حوادث ومحاورات ومحاضرات في مجالس النظامية ، وحلقات المستنصرية ، ومجامع الربط . وربما أوحى اليه البيت العربي من الشعر قصّة فصّلها وهي بنت خياله ، ونسبها وهي صنعة يده ، واسندها وهي نسيج فكره[١٣٠] .

---

(١٢٨) من كلمات الشعراء الفرس ؛ مثل : ابن يمين ، وأبو الفرج الروني ، وأبو حنيفة الاسكافي ، وأبو سعيد أبو الخير ، وأبو شكور البلخي ، وأديب البيشاوري ، وأديب صابر ، والازرقي ، والاسدي الطوسي ، والامير خسرو الدهلوي ، والانوري ، والاوحدي ، وايرج ميرزا ، وبابا طاهر ، والبهائي ، وبهار ، وپروين الاعتصامي ، والجامي ، وجمال الدين عبدالرزاق ، وحافظ الشيرازي ، والخاقاني ، وخواجو الكرماني ، والخيام ، والرودكي ، وسعدي الشيرازي ، وسلمان الساوجي ، والسنائي ، والسوزني ، وصائب ، وظهير الفاريابي ، والخواجه عبدالله الانصاري ، والعطار ، وعمادي الشهرياري ، والعنصري ، والفرّخي ، والفردوسي ، والقاآني ، والمختاري ، وكمال اسمعيل ، ومسعود سعد سلمان ، والمعزّي ، والمكتبي ، والمغربي ، والمنوچهري ، والمولوي ، وناصر خسرو ، والنظامي ؛ وغيرهم . ما عدا القرآن والحديث ومتون النثر الفارسي المعروفة .

(١٢٩) وهي عشر شعر سعدي نفسه ، فعدته (١٧٠٠٠ بيت) كما تقدم ايراد ذكره .

(١٣٠) المتنبي وسعدي ص ١٦٠ ـ ١٦٩ .

ملحــــق

(١) مرثية المستعصم بالله ، والبكاء على بغداد[١٣١] :

حبست بجفنيّ المدامع لا تجرى — فلما طغى المـاء استطال على السكر
نسيم صبا بغـداد بعـد خرابهـــا — تمنيت لـو كانت تمـر على قبرى
لان هـلاك النفس عند أولى النهى — احب له من عيش منقبض الصـدر
زجرت طبيبا جسّ نبضى مداويـا — اليك فما شكواى من مرض تبرى
لزمت اصطبارا حيث كنت مفارقـا — وهـــذا فـراق لا يعـالج بالصبر
تسائلنى عما جـرى يوم حصرهـم — وذلك مما ليس يدخـل فى الحصر
اديرت كؤوس الموت حتى كأنـه — رؤوس الاسارى ترجحن من السكر
لقـد ثـكلت أم القـرى ولـكعبـة — مدامع فى الميزاب تسكب في الحجر
بـكت جـدر المستنصرية ندبـة — على العلماء الراسخين ذوى الحجر
نـوائب دهـــر ليتنى مت قبلهـــا — ولـم أر عدوان السفيه على الحبر
محـابر تبـكى بعدهم بسـوادهـا — وبعض قلوب الناس أحلك من حبر
لحـا الله من يســـدى اليـه بنعمة — وعند هجـوم الناس يألف بالغـدر
مررت بصـم الراسـيات أجوبهـا — كخنساء من فرط البكاء على صخر
أيا ناصحي بالصبر دعني وزفرتي — أموضع صبر والـكبود على الجمر
تهـدم شخصى من مداومة البـكا — وينهدم الجـرف الدوارس بالمخر
وقفـــت بعبـادان أرقب دجـــلـة — كمثل دم قـان يســـيل الى البحر
وفائض دمعى فى مصيبة واســـط — يزيـد على مـد البحيرة والجـزر
فجرت مياه العين فازددت حرقـة — كما احترقت جوف الدماميل بالفجر
ولا تسـألنى كيف قلبـك والنوى — جراحة صدرى لا تبين بالسـبر
وهب ان دار الملك ترجع عامـرا — ويغســل وجـه العالمين من العـفر
فـأين بنو العباس مفتخـرو الورى — ذوو الخـلق المرضي والغرر الزهر
غـدا سـمراً بين الانام حديثهم — وذا سـمر يدمى المسـامع كالسمر
وفى الخبر المروى دين محمـــد — يعـــود غريبا مثـل مبتدأ الامر

---

(١٣١) وله في مرثية العباسيين نونية فارسية رقيقة حزينة ، عدتها ٢٨ بيتا ــ تراجع مواعظ ص ٨٩ ــ ٩٠ .

أأغرب من هـذا يعود كما بـدا ... وسبي ديـار السلم في بلد الكفر
فلا انحدرت بعد الخلائف دجلة ... وحافاتها لا اعشبت ورق الخضر
كأن دم الاخوين اصبح نابتا ... بمذبح قتلى في جوانبها الحمر
بكت سمرات البيد والشيح والغضا ... لكثرة ما ناحت اغاربة القفر
ايـذكر في أعلى المنابر خطبة ... ومستعصم بالله لم يك في الذكر
ضفادع حول الماء تلعب فرحة ... أصبر على هذا ويونس في القعر
تزاحمت الغربان حول رسومها ... فأصبحت العنقاء لازمة الوكر
ايا أحمد المعصوم لست بخاسر ... وروحك والفردوس عسر مع اليسر
وجنات عدن حففت بمكاره ... فلابد من شوك على فنن البسر
تهنأ بطيب العيش في مقعد الرضا ... ودع جيف الدنيا لطائفة النسر
ولا فرق ما بين القتيل وميت ... اذا قمت حيا بعد رمسك والنخر
تحية مشتاق وألف ترحم ... على الشهداء الطاهرين من الوزر
هنيئا لهم كاس المنية مترعا ... وما فيه عند الله من عظم الاجر
فلا تحسبن الله مخلف وعده ... بان لهم دار الكرامة والبشر
عليهم سلام الله في كل ليلة ... بمقتل زوراء الى مطلع الفجر
أأبلغ من امر الخلافة رتبة ... هلم انظروا ما كان عاقبة الامر
فليت صماخي صمّ قبل استماعه ... بهتك استاتير المحارم في الاسر
عدون حفايا سبسبا بعد سبسب ... رخام لا يسطعن مشيا على الحجر
لعمرك لو عاينت ليلة نفرهم ... كأن العذارى في الدجى شهب تسري
وان صباح الاسر يوم قيامة ... على امم شعث تساق الى الحشر
ومستصرخ يا للمروءة فانصروا ... ومن يصرخ العصفور بين يدى صقر
يساقون سوق المعز في كبد الفلا ... عزائز قوم لا تعودن بالزجر
جلبن سبايا سافرات وجوهها ... كواعب لا يبرزن من خلل الخدر
وعترة قنطوراء في كل منزل ... تصيح بأولاد البرامك من يشري
تقوم وتجثو في المحاجر واللوى ... وهل يختفى مشي النواعم في الوعر
لقد كان فكري قبل ذلك مائزاً ... فأحدث امر لا يحيط به فكري
وبين يدى صرف الزمان وحكمه ... مغللة ايدى الكياسة والخبر

وقـفت بعبادان بعــد ســراتهــا رأيت خضيباً كالمنى بـدم النحــر

محـاجر ثـكلى بالدموع كريمـة وان بخـلت عين الغمـائم بالقطـر

نعـوذ بعفو الله من نـار فتنـــة تأجـج من قطـر البـلاد الى قطر

كـأن شـياطين القـيود تفلتت فسال على بغـداد عين من القـطر

بدا وتعـالى من خراسـان قسطل فعـاد ركاما لا يـزول عن البـدر

الام تصاريف الزمـان وجـوره تكلفنـــا ما لا نطيق من الأصــر

رعـى الله انسانا تيقـظ بعــدهم لأن مصاب الزيد مزجرة العمـرو

اذا كان للانسـان عنـد خطوبـه يزول الغنى طوبى لممـلـكة الفقر

الا انمـا الايـام ترجـع بالعطـــا ولم تكس الا بعـد كسوتها تعري

وراءك يا مغـرور خنجـر فـاتك وانت مطـأط لا تفيق ولا تـدرى

كناقة أهـل البـدو ظلت حمولـة اذا لم تطق حملا تساق الى العقر

وســائـر ملـك يقتفيه زوالــه سوى ملـكوت القائم الصمـد الوتر

اذا شمت الواشي بموتى فقل لـه رويدك ما عاش امرؤ ابد الدهـــر

ومالك مفتـاح الـكنوز جميعهـا لدى الموت لم تخرج يداه سوى صفر

اذا كان عند المـوت لا فرق بيننـا فلاتنظـرن الناس بالنظر الشـــزر

وجـــارية الدنيـا نعـومة كفهـــا محبـبة لـكنهـا كـلـب الظفـــر

ولو كان ذو مال من الموت فالتـا لـكان جـديرا بالتعـاظم والـكبر

ربحت الهدى ان كنت عامل صالح وان لم تكن والعصر انك فى خسر

كمـا قال بعـض الطاعنين لقرنـه بسـمر القنا نيلت معـــانقة السمر

أمدخـر الدنيـــا وتاركها أســـى لدار غــد ان كان لابـد من ذخر

على المرء عار كثرة المـال بعــده وانك يا مغرور تجمـع للفخـــر

عفا الله عنا ما مضى من جريمـــة ومنّ علينا بالجميل من الصبر

وصان بـلاد المســلمين صيانـة بدولة ســلطان البـلاد ابى بـكر

مليك غـدا فى كل بلدة اســمه عزيزا ومحبوبا كيوسـف فى مصر

لقد سعد الدنيا بـه دام ســـعده وايـده المولى بألويـة النصـــر

كذلك تنشو لينة هـــو عرقهـــا وحسن نبات الارض من كرم البذر

ولو كان كسرى فى زمـان حياته لقـال الهى اشـدد بـدولته ازرى

بشكر الرعايا صين من كل فتنة ... وذلك ان اللب يحفظ بالقشر

يبالغ في الانفاق والعدل والتقى ... مبالغة السعدى في نكت الشعر

وما الشعر ايم الله لست بمدع ... ولو كان عندى ما ببابل من سحر

هنالك نقادون علما وخبرة ... ومنتخبو القول الجميل من الهجر

جرت عبراتى فوق خدى كآبة ... فأنشأت هذا في قضية ما يجرى

ولو سبقتنى سادة جل قدرهم ... وما حسنت منى مجاوزة القدر

ففي السمط ياقوت و لعل و جاجة ... وان كان لى ذنب يكفر بالعذر

وحرقة قلبى هيجتنى لنشرها ... كما فعلت نار المجامر بالعطر

سطرت و لولا غض عينى على البكا ... لرقرق دمعى حسرة فمحا سطرى

احدث اخبارا يضيق بها صدري ... واحمل آصاراً ينوء بها ظهرى

ولا سيما قلبى رقيق زجاجة ... وممتنع وصال الزجاج لدى الكسر

الا ان عصرى فيه عيش منكد ... فليت عشاء الموت بادر في عصرى

خليلى ما أحلى الحياة حقيقة ... واطيبها لولا الممات على الاثر

ورب الحجا لا يطمئن بعيشة ... فلا خير في وصل يردف بالهجر

سواء اذا ما مت وانقطع المنى ... امخزن تبن بعد موتك أم تبر[١٣٢]

(٢) ذكر العراق فى آثار سعدى :

أحب سعدى بلاد الرافدين ، وأغرم بمدينة السلام ؛ فردّد اسم بغداد[١٣٣] وذكر العراق[١٣٤] **٥٧** مرة فى گلستان ، وبوستان ، وغزليات ، ومواعظ[١٣٥] .

---

(١٣٢) مواعظ ص ٩١ ــ ٩٥ ، والمتنبي وسعدي ص ٧٣ ــ ٧٧ .

(١٣٣) گلستان ص ٢٦ و٨٢ و٨٤ و٩٥ و١٣١ و١٤٥ و٢٠٦ ، وبوستان ص ٣٨ و١٣٧ ، وغزليات ص ٨٤ و٢٠٤ ، ومواعظ ص ٢٢ و٨٦ .

(١٣٤) گلستان ص ٢٦ و٣٢ و٤٨ و٦٣ و٧٦ و٨٢ و٨٤ و٩٢ و٩٥ و٩٧ و٩٨ و١٠٢ و١٣١ و١٤٥ و١٥٧ و١٩٦ و٢٠٦ ، وبوستان ص ٢٣ و٣٨ و٩٨ و١١٣ و١٣٧ و١٥٤ و١٥٥ و١٨٦ و٢٠٠ و٢١٠ ، وغزليات ص ١٥ و٣١ و٣٦ و٤١ و٨٤ و١٢٨ و١٥٤ و١٦٤ و١٧٤ و١٩٠ و٢٠٤ و٢١٢ و٢٦٤ و٢٨٩ و٣٢٨ و٣٧١ و٣٩١ ، ومواعظ ص ٣ و١٣ و٢٢ و٤٧ و٥١ و٥٥ و٥٧ و٦١ و٨٦ و٨٩ ١٠٢ و١٠٩ و٢١٣ .

المراجع :

أحسن ما سمعت ـ الثعالبي ـ مصر
اخبار البلدان ـ ابن الفقيه/صورة نسخة دار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان
الانصاف في مسائل الخلاف ـ كمال الدين عبدالرحمن ابن الانباري ـ ليدن ١٩١٣
بوستان/كليات سعدي ـ طهران ١٣٢٠ش
تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب/كتاب اللام والميم ـ ابن الفوطي ـ لاهور ١٩٤٠
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي ـ مصر ١٣٢٦هـ
الحوادث الجامعة ـ ابن الفوطي (؟) ـ بغداد ١٣٥١هـ
ديوان انوري ـ لكهنو ١٢٩٧
ديوان الرضي ـ الهند ١٣٠٦
ديوان المتنبي ـ عبدالوهاب عزام ـ مصر ١٣٦٣
سبك شناسي ـ محمد تقي بهار ملك الشعرا ـ تهران ١٣٢٦ش
سعدي نامه (شمارة ١١ و١٢ هفتمين سال مجلة تعليم وترتيب) ـ طهران ١٣١٦ش
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ـ السيد علي خان المدني ـ مصر ١٣٣٤هـ
سلسلة النسب صفوية ـ شيخ حسين زاهدي ـ برلين ١٣٤٣هـ
شد الازار في حط الاوزار عن زوار المزار ـ معين الدين أبو القاسم جنيد شيرازي ـ طهران ١٣٢٨ش
طبقات الشافعية ـ أبو بكر بن هداية الله الحسيني المصنف ـ بغداد ١٣٥٦هـ
غزليات/كليات سعدي ـ طهران ١٣٢٠ش
الكنى والالقاب ـ الشيخ عباس القمي ـ صيدا ١٣٥٨هـ
كليات سعدي ـ محمدعلي فروغي ـ طهران ١٣٢٠ش
گلستان/كليات سعدي ـ طهران ١٣٢٠ش
گلستان ـ ميرزا عبدالعظيم خان گرگاني (قريب) ـ طهران ١٣١٠هـ
المتنبي وسعدي ـ الدكتور حسين علي محفوظ ـ طهران ١٣٧٧هـ
مجلة دانشكدة ادبيات ـ طهران
مجلة سومر ـ بغداد
مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق
مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ـ سبط ابن الجوزي ـ حيدر آباد ١٣٧٠هـ
معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ليبزيك ١٩٢٤
معيد النعم ومبيد النقم ـ السبكي ـ مصر ١٣٦٧
مقدمة قريب/گلستان ـ طهران ١٣١٠ش
مناقب بغداد ـ ابن الجوزي ـ بغداد ١٣٤٢هـ
منتخبات ادبيات فارسي ـ بديع الزمان خراساني ـ طهران ١٣١٤ش
مواعظ/كليات سعدي ـ طهران ١٣٢٠ش
نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ الكمال ابن الانباري ـ بغداد ١٩٥٩
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ـ ابن خلكان ـ مصر ١٣٦٧هـ

اقتصاديات صيانة الموارد النفطية

ECONOMICS OF CONSERVATION

الدكتور حميد القيسي
مدرس في قسم الاقتصاد

يشمل موضوع صيانة الموارد النفطية ناحيتين مهمتين أولاهما أهمية الصيانة في انتاج النفط وثانيهما الاهمية الاقتصادية للنفط ومشتقاته ، وسنقتصر بحث الناحية الثانية على موضوع الاهمية الاقتصادية للغاز الطبيعي وبصورة خاصة بالنسبة لتطوير صناعة الكيمياويات النفطية في العراق •

تعرف صيانة الموارد النفطية « بأنها تحاشي التبذير Waste قدر الامكان في الموارد النفطية خارج الارض وداخلها بواسطة اتباع الوسائل الكفوءة في الاستخراج والانتاج لزيادة كمية النفط المستخرج » أو بمعنى آخر يقصد بالصيانة « الوسائل الكفوءة في الانتاج والقليلة التبذير في تجهيز عرض موارد الهايدروكربون Hydrocarbons »[1] •

أهمية الصيانة في الانتاج

واتباع الوسائل الكفوءة في انتاج النفط يتضمن الاستعمال الصحيح للطاقة الموجودة في حوض النفط Oil Reservoir والحصول على أكبر كمية من موارد الهيدروكاربون ، وتتجلى هذه الناحية الفنية عندما نعرف بأننا قبل أن نفتح الحوض النفطي أو الغازي ، فما يحويه هذا الحوض من سوائل على شكل نفط خام أو غاز أو ماء تملك جميعا طاقة كامنة Potential Energy تبدو على شكل ضغط ، فعندما يفتح بئر للانتاج تصبح هذه الطاقة الكامنة طاقة فعالة نشيطة نتيجة للتنفيس

---

(١) M. J. Sladic, *An Outilne of Petroleum Conservation And Its Application in The Middle East,* Collection of papers submitted to First Arab Oil Congress, Leaque of Arab States, Vol I. Cairo, 1959.

عن بعض الضـــغط وبذا تتحول الطـــاقة الـكامنة الى طـــاقة حركيـــة Kinetc Energy ، ومما هو معروف ان هذه الطاقة الـكامنة وجدت اصلا نتيجة لضغط طبقات الارض عليها ، لذا فعنـــدما نستخرج جزءً من النفط ، تتحـــرك السوائل لتحل محـــل ما أخذناه من الحوض • لذا فالطاقة المخزونة في السوائل المختلفة تستعمل كوسيلة تحريك النفط والغاز من الحوض الى البئر ومن ثم الى سطح الارض • ويجب ان يذكر بهذا الصدد بأن مجموع الطاقة المتوفرة في أي حوض هو ما موجود فعلا في سوائل الحوض • ويقوم الفنيون عادة بتقدير مقدار الطاقة المتوفرة في كل سائل ، وهذه المهمة ضرورية اذ مقدار هذه الطاقة تحدد الى حدٍ كبير قابلية الحوض في الانتاج • وتختلف الاحواض بما تملك من طاقة كامنة ، فمنها ما يملك طاقة في غازها أكثر مما في ماءها والعكس في أخرى ، ولـكن على وجه العموم ان كلا من الغاز والماء يساهم في انتاج النفط •

في سبيل الاستغلال الصحيح للطاقة الموجودة في كل حوض يجب أن تؤخذ ثلاث نواحٍ بنظر الاعتبار[٢] :

١ ـ كمية الغاز والماء الموجودة في كل حوض وضرورة السيطرة على انتاجهما •

٢ ـ حجم ومواقع وسائل الانتاج داخل جوف الارض وخارجها •

٣ ـ تفهم العلاقة بين الناحيتين السابقتين وضرورة فهم ودراسة طبيعة الحوض الجيولوجية بمـــا في ذلك مساحته وشكله وخواص التربة والسوائل الموجودة •

وعلى ذلك فيقوم الانتاج الـكفوء اليوم على ضرورة اتباع الوسائل الفنية الحديثة لضمان الانتاج الوافر بظل المتطلبات الفنية ، وهذا يتطلب بالضرورة المحافظة قدر الامكان على ما موجود في أحواض النفط من طاقة

---

(٢) Sladic, *op. cit.* pp. 72-73.

لغرض استعمالها في الانتاج ووضع الحدود الصحيحة للمسافة بين الآبار Well Spacing والحصول على معلومات عن النسب الصحيحة بين النفط والغـــاز Gas - Oil Ratio ونسبة النفط للمـــــاء Watee - Oil Ratio في كل حوض وتعيين السرعة الـكفوءة لانتاج كل حوض •

وهدف هذه الوسائل جميعا المحافظة على أكبر كمية ممكنة من الغاز في الحوض • وعندما نتمكن من السيطرة على هذه الناحية ، تبقى ضرورة استعمال الغاز المرافق للنفط عند انتاجه في المجالات الصناعية الـكثيرة أو في الاستهلاك المباشر المحلي •

ولقد قاست البشرية كثيرا من التبذير في مواردها النفطية قبل وصول علم الجيولوجيا الى المرحلة التي تمكن فيها من السيطرة على هذا التبذير ، ومن ثم ان الملـكية الفردية المنتشرة في آبار متعددة في مناطق مختلفة اكدت وزادت من الاستعمال الغير كفوء للموارد النفطية ، اذ ان ملـكية النفط والغاز لا تؤيد وتستند الا بعد السيطرة على هذه المواد • وعلى ذلك فعندما يكتشف حوض للنفط ، تسارع المشاريع أو الجماعات المالـكة لهذا الحوض في استنزاف وتجفيف الحوض قبل ان يهاجر النفط الى ارض أخرى فيسيطر عليه الجيران • من الطبيعي يتمكن أي مشروع من السيطرة وتحـــديد الانتاج وبذا يحصل على أسعار عالية ، ولـكنه يتمكن من هذا العمل عندما يعمل الآخرون نفس الشيء •• ومن الممكن أيضا انتاج النفط وخزنه على سطح الارض ولـكن كما يقول البروفسور آرثر برنز « عندما يحفر البئر تصبح التكاليف الحدية للانتاج ، والتي تتكون عادة من عمل لغرض الحراسة ومصاريف الطاقة للسحب اذا كانت هناك حاجة اليها ، صغيرة جدا • لذا فسعر النفط على المقربة من البئر يتمكن من الهبوط الى مستوى واطيء جدا بدون ان يمنع أو يعيق الانتاج »[٣] •

---

(٣) Arthur R. Burns, *The Decline of Competition,* Mc Graw - Hill New York, 1936, p. 23.

وكما توضح تجارب كل من الولايات المتحـــدة الاميركية وفنزويلا والمكسيك ورومانيا في بداية سنين انتاجها للنفط بأنه كلما انتشرت ملكية الافراد للآبار النفطية في مناطق مختلفة ، كلما ازدادت المنافسة في الحصول على أكبر كمية ممكنة من النفط بغض النظر عن أي اعتبارات للصيانة . ومن النتائج الاقتصادية لمثل هذه المنافسة في الانتاج بين الافراد المالكين زيادة كمية العرض على الطلب مما يؤدي الى انخفاض الاسعار ، وهذا ربما يؤدي عادة الى غلق أو حتى ترك الآبار الحدية Marginal Wells ، ومثل هذا الاهمال في الآبار يؤدي عادة الى هجرة النفط والغاز الى أجواف أرضية لا يمكن الوصول اليها والاستخراج منها في وقت لاحق حتى ولو ارتفعت الاسعار .

ومن النتائج الوخيمة الاخرى الناجمة عن المنافسة في انتاج الحوض الواحد هو ما يحدث نتيجة لكون ان كلا من النفط والغاز ينتج بتكاليف مشتركة Ioint Cost ، وكما نعرف عن حالات الانتاج المشترك ان أرباح احد المنتجين يضحى بهـا عادة اذا كان الطلب عليه غير كاف . فلـذا من المألوف ان يترك الغاز يتسرب الى الهواء في سبيل الحصول على النفط المرافق في أقصر فترة ممكنة . وهذا لا يعني تبذيره مادة اقتصادية مهمة فحسب بل أنه يساهم في زيادة تكاليف انتاج النفط الخام من الحوض نفسه . اذ أن تسرب الغـــاز يؤدي بالضرورة عاجلا أو آجلا الى وجود استعمال طرق ميكانيكية في سحب النفط من جوف الارض ، وهذا معناه الحاجة الى مدة أطول للانتاج (تكاليف عمل أكثر) بالمقارنة مع قوة السحب الطبيعية (ضغط غاز) . وعلى هذا فيحتاج المنتج في هذه الظروف الى عمل ورأس مال أكثر وبذا ترتفع تكاليف انتاج كل برميل مستخرج من النفط[٤] .

وكما أشرنا ان كلا من المكسيك والولايات المتحدة الامريكية ورومانيا قاست الكثير من التبذير في مواردها النفطية نتيجـة للمنافسة في انتـاج

---

(٤) Burns, *op. cit.* p. 24.
U. S. National Resources Committee, *Energy Resources And National Policy*, Washington, Govenment Printing Office, 1939, pv. 194-196.

الحوض الواحد من قبل المالكين العديدين قبل ان تسن القوانين للسيطرة على هذا التبذير • ففي المكسيك مثلا كان المالك لسطح الارض حتى سنة ١٩١٧ يتمتع بحق استغلال ما في جوف الارض من موارد نفطية ، وعلى ذلك فأن منطقة « الطريق الذهبي » Gouden Lane المعروفة بنفطها الغزير كانت مملوكة من قبل آلاف المالكين للملكيات الصغيرة من الاراضي ، وقد نجم عن هذه الحقيقة تبذير كثير من موارد المكسيك النفطية • ولقد قدرت تكاليف انتاج البرميل من النفط في هذه المنطقة بـ ١٩٫٣ سنت بينما كانت تكاليف الانتاج في المناطق المجاورة القليلة المنافسة بـ ٥٫٩ سنت للبرميل ، وعلى الرغم من أن الدستور المكسيكي لسنة ١٩١٧ قد أمم ما موجود في جوف الارض من موارد نفطية ، الا أن الامتيازات التي اعطيت قبل ذلك التاريخ لم تتأثر ببنود الدستور • وحتى سنة ١٩٣٨ عندما أممت الحكومة المكسيكية صناعة النفط ، فقد قاست المكسيك الكثير من النتائج السيئة للمنافسة الشديدة في استغلال موارد الاحواض النفطية المملوكة من قبل مالكين عديدين •

والولايات المتحدة الامريكية خير مثال للتبذير في موارد النفط نتيجة لعدم اتباع الطرق العلمية للصيانة لكون أن أحواض النفط مملوكة من قبل العديد من المالكين • يقوم المالكون لسطح الارض في الولايات المتحدة عادة بتأجير أو استغلال الموارد النفطية الموجودة في جوف أراضيهم ، لذا تطور سوق لتأجير الموارد النفطية ، وهذا مما ساعد على زيادة عدد المشاريع العاملة في صناعة النفط وصغر مساحة الاستثمارات ، لذا ازدادت المنافسة في استغلال موارد الاحواض المملوكة بصورة مشتركة وتطورت وانتعشت قاعدة أو ما يسمى أحيانا بقانون السيطرة Law of Capture • ولقد ازدادت المنافسة في انتاج النفط عندما تطورت صناعة السيارات في الولايات المتحدة خلال العشرينات من هذا القرن الامر الذي سبب تشريع قوانين تمنع التبذير في كثير من الولايات ، وكانت تكساس اولى هذه الولايات تبعتها بعد ذلك كل من ولاية كاليفورنيا وأكلوهوما • ولكن لم تطبق قوانين الصيانة هذه

بصورة دقيقة في ذلك الوقت نظرا لزيادة الطلب على النفط من قبل صناعة السيارات • وما أن حل كساد الثلاثينات حتى أخذت الحكومة الفديرالية على عاتقها مهمة تشريع قانون يهدف الى صيانة الموارد النفطية ودراسة أوضاع السوق ومحاولة موازنة العرض مع الطلب • وكانت هذه الموازنة الهدف الاول لقانون سنة **١٩٣٥** ، ولكن هذا القانون لم يقلل من التبذير في موارد البلاد النفطية • فما يعرف بنظام الحصص في الانتاج Proration والذي جاء به القانون والذي يهدف الى « تحديد الانتاج حسب متطلبات السوق » لم يقلل من التبذير ، اذ ان قوى السوق لا تنسجم في كثير من الاحيان مع قوى الجيلوجيا • يميل انتاج النفط في وقت الانتعاش الاقتصادي نحو الزيادة الكثيرة « أكثر مما تسمح به القوى الجيلوجية للحوض » اما في وقت الكساد ، فيتميز الانتاج النفطي بفتور وقلة واغلاق الكثير من الآبار ، وكما عرفنا سابقا أن كلا من الزيادة الكثيرة في الانتاج والقلة فيه ــ غلق الآبار مثلا ــ وسائل غير مرغوب بها من الناحية الفنية • وما كانت تحتاج اليه صناعة النفط الاميركية ليس تحديدا في الانتاج كسب متطلبات السوق بل تحديدا في الانتاج حسبما يتطلبه علم الجيولوجيا(٥) • ولكن نظرا لتعدد المستغلين للاحواض النفطية وعدم قابلية القوانين الاميركية في ذلك الوقت من اجبار المستغلين للاحواض النفطية المشتركة الملكية في اتباع الطرق الصحيحة للصيانة ، بقي التبذير شائعا في انتاج النفط الاميركي • واضطرت الحكومة الاميركية أخيرا الى اتخاذ الاجراءات القانونية الكفيلة لاجبار المستغلين لاحواض النفط في اتباع « نظام الوحدة » في الانتاج Unitization ، ولقد تبعتها حكومات الولايات المختلفة في تشريع قوانين مماثلة • وهدف نظام الوحدة في الانتاج هو جمع المستغلين لحوض واحد على الاتفاق فيما بينهم في انتاج ذلك الحوض حسب المتطلبات الفنية الكفوءة

---

(٥) M. W. Watkins, *Stabilization or Conservation*, Harper and Brothers, Ney York 1937, p. 38.

لانتاج النفط متحاشين في ذلك أي تبذير في الموارد النفطية ومتحملين جميعا مصاريف الصيانة للحوض •

أهمية الغاز الطبيعي الاقتصادية

المفهوم الاقتصادي للتبذير :

تستعمل في اللغة الجارية عبارة « تبذير » للدلالة على الخسارة • اما في علم الاقتصاد فيقصد بهذه العبارة غير ما تعنيه الخسارة ، اذ يستعمل الاقتصاديون عبارة التبذير للدلالة على خسارة ممكن تلافيها ، ونتمكن من تلافي الخسارة اذا وجدت وسائل تحول دون الخسارة ، أي اذا كانت تكاليف تلافي الخسارة أقل من قيمتها السوقية ، فأنسياب نفط بئر في نهر مجاور يعتبر خسارة لمادة اقتصادية مهمة ، ولـكن هل يعتبر هذا الانسياب تبذير بالمعنى الاقتصادي ؟ يكون الجواب ايجـــابا اذا كانت تكاليف تلافي الخسارة سواءً بواسطة خزن هذا النفط أو ارساله الى السوق أقل من القيمة السوقية للنفط المنساب[٦] • ويعتبر حرق الغاز المنتج بصحبه النفط خسارة وليس تبذير اذا كانت تكاليف استغلاله أكثر من الدخل الصافي المتأتي من هذا الاستغلال • وحرق الغاز الحامض Sovr Gas يعتبر خســارة وليس تبذير اذا كانت تكاليف ازالة سلفات الهيدروجين وتسويقه على شكل غاز حلو Sweet Gas أكثر من الدخل الصافي الناجم عن بيع هذا الغاز • فمفهوم الخسارة اذن هو مفهوم اقتصادي يتضمن مقارنة مجموعتين من القيم : قيم مواد الخسارة السوقية وقيم ما نحتاج اليه من عمل ورأس مال وغيرها من تكاليف لتلافي هذه الخسارة • وتستخدم قيم السوق في البلدان الرأسمالية كمقياس وحيد للتميز بين التبذير والخسارة ، ويعبر عن هذه القيم بالاجور وسعر الفائدة والاسعار •

واذا أردنا مناقشة موضوع خسارة أو تبذير الغاز الطبيعي المنتج في العراق وجب علينا باديء ذي بدء ان نتذكر أهمية الغاز الطبيعي في زيادة

---

(٦) E. Zimmerman, *Conservation In The Production of Petroleum*, Yale University Press. 1957. pp. 25-27.

انتاجية أحواض النفط ، فالمحافظة على نسبة معينة من الغاز في الاحواض النفطية تعتبر اليوم بديهة من بديهيات علم الجيلوجي ، لذا فأن اعادة الغاز الى الارض أو ما يسمى بحقنه الى جوف الارض ثانية Gas Reinjection من الوسائل الفنية العلمية المتبعة اليوم في صيانة الموارد النفطية .

وعلى الرغم من أن الشركات النفطية العاملة في العراق غير ملزمة بأي التزام صياني Conservation Obligation وغير راغبة في استثمار موارد البلاد من الغاز الطبيعي ، فحرق الغاز بدون ضرورة يعتبر تبذيرا في موارد البلاد النفطية خاصة وأن هناك دراسات كثيرة اوضحت الامكانيات المربحة لاستغلال الغاز العراقي(٧) . وقبل الولوج في شرح بعض هذه الدراسات لابد لنا من استعراض الاهمية الاقتصادية للغاز الطبيعي .

ويعتبر الغاز الطبيعي من المصادر الرخيصة للطاقة الحرارية ، فكمية الطاقة الممكن الحصول عليها من كل ٦٠٠٠ قدم مكعب (6 MSC P) من الغاز الطبيعي تساوي تلك الحاصلة من حرق برميل واحد من النفط الخام ، كما قد قدر ان ٦٠٠٠ قدم مكعب من هذا الغاز تصاحب انتاج كل برميل من النفط الخام .

ويفضل الغاز الطبيعي عادة على كل من النفط والفحم كمصدر للطاقة الحرارية وذلك لتجانسه وسهولة السيطرة عليه ونظافته ، ومن ثم ان الادوات

---

(٧) بالمقارنة مع عدم وجود التزام صياني في الامتيازات النفطية في العراق ، نرى معظم الامتيازات النفطية الكبرى تلزم صاحب الامتياز بضرورة اتباع اسس الصيانة الحديثة في انتاج النفط . فالمادة ٥٩ من قانون الهايدرو كاربون الفنزويلي لسنة ١٩٤٣ تنص على الالتزام الصياني للعاملين في فنزويلا ، كما ان المادة الاولى من نفس القانون تلزم أصحاب الامتيازات استغلال الغاز الطبيعي — في تطور صناعة البلاد . كما ان المادة الثامنة من تعديل امتياز ارامكو لسنة ١٩٥٠ تلزم ارامكو بأتباع الصيانة الحديثة ، اما الامتياز الياباني الجديد في المياه الاقليمية من المنطقة الحيادية السعودية الكويتية فيلزم صاحب الامتياز بموجب المادتين التاسعة والثانية والثلاثين على وجوب اتباع الصيانة الحديثة . كما ان المادة الرابعة من امتياز الكونسورتيوم في ايران تحمل نفس الالتزام ، وكذلك هناك مواد مشابهة في الامتيازات الثلاثة الاخيرة في ايران (الايطالي والكندي هناك مواد مشابهة أصحاب الامتيازات بلزوم اتباع الصيانة الحديثة .

التي تستعمله للحصول على الطــاقة الحرارية أسهل صنعا من تلك التي تستعمل الفحم أو النفط • وأهم مزاياه سعره المنخفض بالمقارنة مع أسعار مصادر الطاقة الاخرى ، فالغاز الطبيعي يباع عادة في البلدان المتقدمة صناعيا ، ـ حيث يستهلك بصورة واسعة ـ بجزء من أسعار مصادر الطاقة الاخرى • والجدول الآتي يوضح العلاقة بين سعر الغاز الطبيعي وسعر الـكمية المعادلة من النفط الخام في الولايات المتحدة ، وكما هو واضح ان سعر الغاز يباع بأسعار واطئة جدا بالمقارنة مع سعر النفط الخام •

جدول رقم ١

أسعار الغاز الطبيعي والنفط الخام في الولايات المتحدة الاميركية بالدولار(★)

١٩٤٧ – ١٩٥٧

السنة	سعر كل ٦٠٠٠ ق³ من الغاز	سعر برميل النفط الخام
١٩٤٧	٠ر٠٦٠ دولار	١ر٩٤ دولار
١٩٤٨	٠ر٠٦٥ دولار	٢ر٦٠ دولار
١٩٤٩	٠ر٠٦٣ دولار	٢ر٥٤ دولار
١٩٥٠	٠ر٠٦٥ دولار	٢ر٥١ دولار
١٩٥١	٠ر٠٧٣ دولار	٢ر٥٣ دولار
١٩٥٢	٠ر٠٧٨ دولار	٢ر٥٣ دولار
١٩٥٣	٠ر٠٩٢ دولار	٢ر٦٨ دولار
١٩٥٤	٠ر١٠١ دولار	٢ر٧٨ دولار
١٩٥٥	٠ر١٠٤ دولار	٢ر٧٧ دولار
١٩٥٦	٠ر١٠٨ دولار	٢ر٧٧ دولار
١٩٥٧	٠ر١١٢ دولار	٣ر١٠ دولار

★ المصدر :

National Planning Association, *Natural Gas And Canada - United States Relations*, Washington D. C., 1959, p. 10 and p. 12.

كما يكون الغاز الطبيعي مصدرا مهما للمواد الاولية ، فأنه يحتوي على كثير من العناصر والمركبات التي تباع بأسـعار باهضة في أسواق الصناعة الحديثة • فيصنف الغاز الطبيعي الى عدة أصناف معتمدا بذلك على مكوناته أو صفات جزيئاته ، فهناك الغاز الطبيعي الجاف Dry Gas والغاز الرطب Wet Gas وكذلك الغاز الحلو والغاز الحامض • فالغاز الجاف مثلا يحتوي على مركبات الميثان CH_4 وأيثـان $C_2 H_2$ التي يمكن أن تفصل وتباع كمواد أولية مهمة في الصناعات الكيمياوية ، أما الغاز الرطب فيحتوي على مركبات البروبون $C_3 H_{10}$ التي يمكن تحويلها الى سائل وتباع على شكل غاز سائل Lequid Petraleum Gas المعروفة تجاريا باسم L P G أو تحويله الى بنزين سـائل يحتوي على مركبات عديدة من هايدروجين الكاربون امثال البانتين $C_5 H_{12}$ والاكتون $C_8 H_{18}$ •

اما الفرق بين الغـاز الحامض والحلو فيعتمد على مقدار الكبريت الموجود في الغاز ، فالغاز الحامض يحتوي على كميات من الكبريت أكثر من الغاز الحلو ، والغاز الحامض قليل الاستعمال ، وأهم استعمالاته في انتاج الكاربون الاسود Black Carbon الذي يستخدم في صنع الاطارات المطاطية والاصباغ ، وفي العادة يفصل الكبريت من هذا الغاز فيحول الى غاز حلو الذي هو أكثر استعمالا ، اذ يستعمل هذا الغاز عادة كمادة أساسية لانتاج مركبات الهليوم والمركبات الهيدروجينية الاخرى التي تستخدم في انتاج الاسمدة الكيمياوية كما هو متبع في الجمهورية العربية المتحدة[٨] •

وعلى الرغم من الفوائد الجمة لهذا المصدر الاقتصادي ، نرى معظم الغاز الطبيعي المنتج في العراق والاقطار العربية الاخرى يبذر بنطاق واسع كما هو مبين في الجدول رقم (٢) •

---

(٨) لايضاح أكثر عن الصفات الكيمياوية لمركبات الغاز الطبيعي انظر :

Maynard M. Stephens and Oscar F. Spancer, *Natural Gas Engineering*, The Pennsylvania State Unversity, Pennsylvania, 1954, pp. 152-177.

جدول رقم ٢

انتاج واستغلال الغاز الطبيعي في بعض الاقطار العربية وايران

بلايين الاقدام المكعبة(*)

القطر	الانتاج		الكمية المستغلة		نسبة المستغل		كمية المحروق المبذور		نسبة المحروق المبذور	
	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١
ايران	٢٦٤	٢٩٧	٣٣	٣٦	١٢ر٥	١١ر١	٢٣١	٢٦١	٨٧ر٥	٨٧ر٨
العراق	١٢٩	١٣٣	٢٢	٢٣	١٧ر١	١٧ر٣	١٠٧	١١٠	٨٢ر٩	٨٢ر٧
الكويت	٢٨١	٣٠٠	٤١	٥٥	١٤ر٦	١٨ر٣	٢٤٠	٢٤٥	٨٥ر٤	٨١ر٧
السعودية	٢٥٨	٣٣٣	١١١	١٥٠	٤٣ر٠	٤٥ر٠	١٤٧	١٨٣	٥٧ر٠	٥٥ر٠
قطر	٧٨	٧٨	١٧	١٧	٢١ر٨	٢١ر٨	٦١	٦١	٧٨ر٢	٧٨ر٢
المجموع	١٠١٠ر١	١٤١ر١	٢٢٤	٢٨١	٢٢٠٢	٢٤ر٦	٧٨٦	٨٦٠	٧٧ر٨	٧٥ر٤

* المصدر : Mr. G. Al-Ukaili, *Natural Gas in The OPEC Area*, *Al-Sinai*, December, 1962, p. 17.

وكما يبدو من الجدول ان معظم الغاز المنتج في الشرق الاوسط يبذر ، اما الجزء المستغل فيحقن الى باطن الارض لغرض الصيانة أو تحول الى غاز سائل للاستعمال المحلي أو يستخدم كمصدر طاقة للعمليات النفطية في المنطقة كما هو الحال في العراق وايران والسعودية والكويت • ونظرا لبدء تصدير الغاز السائل من الكويت ، لذا من المتوقع زيادة الكمية المستغلة في هذا القطـــر •

أن حقن الغاز في جوف الارض قد زاد في السنين الاخيرة في بعض البلدان المنتجة في الشرق الاوسط وهذا مما يبشر بمستقبل الصـــيانة في المنطقة • ففي المملكة العربية السعودية مثلا حق في سنة **١٩٦٠** **٢٣٣** مليون قدم مكعب (6 Mmmscfd) أي حوالي ثلث الكمية المنتجة من الغاز الطبيعي ، اما هذه النسبة فقد كانت **١١٪** من الغاز المنتج في سنة **١٩٥٤** • ونظرا لتفهم كل من ارامكو والحكومة السعودية لاهمية الغاز الطبيعي ، لذا نرى زيادة مطرودة في الاستفادة منه في العمليات النفطية • والجدول رقم **٣** يبين زيادة نسب استغلال الغاز الطبيعي في المملكة السعودية •

جدول رقم ٣

انتاج واستغلال الغاز الطبيعي في المملكة العربية السعودية
بملايين الاقدام المكعبة يوميا
١٩٥٤ – ١٩٦٠(*)

السنة	الانتاج	الكمية المحقونة	المحقون	مصدر الطاقة	مصدر الطاقة	المحروق المبذر	المحروق المبذر
١٩٥٤	٦٠٤ر٦	٦٧	١١ر١	٣٠	٥ر٠	٥٠٧ر٦	٨٣ر٩
١٩٥٥	٥٨٥ر٤	١١٥	١٩ر٦	٤١	٧ر٠	٤٨٩ر٤	٧٣ر٤
١٩٥٦	٦٣٠ر٩	١٤٧ر٧	٢٣ر٤	١١٩ر٥	١٨ر٩	٣٦٤ر٠	٥٧ر٧
١٩٥٧	٦٠٤ر١	١٤٩ر٤	٢٤ر٧	١٢٣ر٠	٢٠ر٤	٣٣١ر٧	٥٤ر٩
١٩٥٨	٦١٦ر١	١٢٢ر٤	١٩ر٩	١١٤ر٩	١٨ر٧	٣٧٨ر٨	٦١ر٤
١٩٥٩	٦٥٩ر٣	١٨٣ر٤	٢٧ر٨	٦٨ر١	١٠ر٤	٤٠٧ر٨	٦١ر٨
١٩٦٠	٧٠٤ر٧	٢٣٣ر٤	٣٣ر٢	٧١ر١	١٠ر١	٣٩٩ر٦	٥٦ر٧

* المصدر : تقارير ارامكو السنوية المرفوعة للحكومة السعودية •

كما ان أسلوب الحقن متبع في الكويت حيث ابتدأ العمل في سنة ١٩٦١ بحاقنة عصرية ذات قابلية حقن تقدر بـ ١٠٠ مليون قدم مكعب يوميا • ولا توجد في الوقت الحاضر حاقنة عصرية في العراق ، ولكن تحقن كميات قليلة منه الى رأس حقول كركوك من الغاز المنتج في حقل باي حسن • والجدول رقم (٤) يبين تطور استغلال الغاز الطبيعي في العراق بواسطة حقنه الى حقول كركوك أو استعماله كمصدر للطاقة • ومن الملاحظ ان النسبة الكبيرة من الغاز المنتج (٨٦٪ من الغاز المنتج خلال العشر سنوات الاخيرة) يحرق ويبذر •

جدول رقم ٤

انتاج واستغلال الغاز الطبيعي في العراق ببلايين الاقدام المكعبة

١٩٥١ ـ ١٩٦٠(*)

السنة	الانتاج	الكمية المستغلة	نسبة الاستغلال	الكمية المحروقة المبذورة	نسبة التبذير
١٩٥١	١٢ر٨	٢ر٠	١٥ر٦٪	١٠ر٨	٨٤ر٤٪
١٩٥٢	٣٨ر٩	٨ر٠	٢٠ر٦٪	٣٠ر٩	٧٩ر٤٪
١٩٥٣	٥٨ر٨	١١ر٣	١٩ر٢٪	٤٧ر٥	٨٠ر٨٪
١٩٥٤	٧٠ر٤	٢١ر٠	١٧ر٥٪	٥٨ر٤	٨٣ر٠٪
١٩٥٥	٥٨ر٧	١١ر٧	١٣ر٧٪	٧٤ر٠	٨٦ر٣٪
١٩٥٦	٨٧ر٣	١٢ر٧	١٤ر٦٪	٧٤ر٦	٨٥ر٤٪
١٩٥٧	٧٣ر٦	٩ر٥	١٢ر٩٪	٦٤ر١	٨٧ر١٪
١٩٥٨	٩٩ر٨	٧ر٨	٧ر٧٪	٩٢ر٢	٩٢ر٣٪
١٩٥٩	١١٧ر١	١١ر٨	١٠ر١٪	١٠٥ر٣	٨٩ر٢٪
١٩٦٠	١٢٨ر٥	٢١ر٣	١٦ر٦٪	١٠٧ر٢	٨٣ر٤٪
المجموع	٧٧٢ر٩	١٠٧ر٩	١٣ر٩٥٪	٦٦٥ر٥	٨٦ر٠٥٪

* المصدر : *Al-Ukaili, op. Cit.* p. 18.

ومن الدراسات التى يمكن الاعتماد عليها فى امكانية الربح من استغلال الغاز الطبيعى فى العراق هى الدراسة التى قامت بها مؤسسة أرثر د. لتل Arthur D. Little وتلك التي قامت بها شركة بجتل للانابيت ذائعة الصيت عالمياً Bechtel Pipelines Corporation . وكل من الدراستين برهنتْ على مقدار ما يمكن استثماره فى رؤوس أموال فى تلافى خسارة موارد العراق من الغاز الطبيعى أقل من الناتج النقدى الصافى المتأتى من الاستفادة من هذا المصدر الاقتصادى . ولتوضيح أن حرق الغاز الطبيعي في الوقت الحاضر يكون تبذيراً بالمفهوم الاقتصادي لابد لنا من تبيان النتائج التى توصلتْ اليها كل من الدراستين :

١ ــ دراسة ارثر د. لتل :

لقد برهن تقرير هذه المؤسسة بصورة واضحة عن امكانية الربح فى استغلال الغاز الطبيعى فى صناعة نفطية كيمياوية محلية . فعلاوة على الفوائد الفنية الكثيرة الناجمة عن مثل هذا الاستغلال ، فقد بينتْ هذه الدراسة ان العراق يتمكن من انتاج ٩٠ الف طن من الكريت برأسمال قدره ١٫٠٧٠٫٠٠٠ دينارا وبربح صاف سنوى يتراوح بين ١٤٪ و ٤٢٪ من الرأسمال المستثمر ، كما يتمكن العراق من انتاج ٢٥٨٫٠٠٠ طن سنوياً من مادة سلفات الامنيوم (للاسمدة الكيمياوية) برأسمال قدره ٦٫٧٨٠٫٠٠٠ دينار وبربح صاف يساوى ١٤٫٥٪ من الرأسمال المستثمر ، ومن انتاج ٣٥ مليون باون من مادة البولوثيلين (مادة البلاستيك) برأسمال قدره ٣٫٨٠٠٫٠٠٠ دينار وبربح صاف سنوياً يعادل ١٧٫٢٪ من الرأسمال المستثمر . وكما هو واضح من هذه الحقائق ان الرووس أموال المطلوبة لمثل هذه الاستثمارات ضمن امكانية القطاع الحكومى الذى يستلم فى الوقت الحاضر من عوائد النفط فقط حوالي (١٠٠) مليون دينار سنوياً . كما ان نسبة عوائد رأس المال عالية ومغرية بالنسبة للقطاعات الاخرى من الاقتصاد الوطنى . هذا علاوة على ما تساهم فيه هذه الصناعة فى تطوير

المعرفة الفنية والتكنلوجيا بصورة عامة فى بلدنا النامى اقتصادياً[٩] .

٢ ــ دراسة شركة بجتل للانابيب :

لقد درست هـذه الشركة فى سنة **١٩٥١** الامكانية الاقتصـادية من تسويق الغـاز الطبيعي المنتج في العراق والاقطار العربية المجاورة بواسطة مد خطوط تنقل الغاز الى اوربا الغربية . ويقوم مشـروع هـذه الشركة المقترح على مرحلتين ، يستعمل خط واحد فى المرحلة الاولى ويضـاف آخر فى المرحلة الثانية . يمتد خط المرحلة الاولى من كركوك أو الموصل وينتهى فى باريس بمسافة تقدر بـ **٢٥٠٠** ميل ، وتتصل المصادر العربية الاخرى للغاز بهذا الخط عن طريق خطوط فرعية . ويمكن تجهيز معظم دول أوربا بواسطة خطوط فرعية لا يتعدى طول كل منها **٣٠٠** ميل .

ولقد قدرت° تكاليف المرحلة الاولى لهذا المشروع بـ **٤٢٥** مليون دولار والمرحلة الثانية بـ **٣٥٠** مليون دولار . ولقد أقترح ان تقوم الدول المستهلـكة للغاز وهيئة الامم المتحـدة بتجهيز حصص مناسبة للرأسـمال المطلوب . ولقد أكدت° الدراسة بان الدول المستهلـكة للغاز فى المشروع ستكون على استعداد لتجهيز هذه الحصص المناسبة من الرأسمال اذ انهـا ستستفاد استفادة كبيرة من الاسعار الواطئة للغاز الواصل اليها . اذ قـدر سعر تسليم هذ الغاز بـ **٣٢** سنت لـكل مليون وحـدة حرارية بريطـانية (BTU) **مقابل ٧٠ سنت تدفعها هذه الدول لشراء طاقة من مصـادر** أخرى غير الغاز . كما ان سعر تسليم الغاز الطبيعى هذا سوف لا يتعدى نصف اسعار الغاز الاصطناعى المنتج فى بعض الدول الاوربية كفرنسـا

---

(٩) أنظر :

Arthur D. Little, *A Plan For Industial Development In Iraq*, by author, Cambridge, Mass., 1956, pp. 61-132.

الدراسة اعتمدت على أسعار وتكاليف سنة ١٩٥٥ .

مثلاً . ولقد أحتسبت هذه الاسعار على أساس ان الدول العربية المنتجة للغاز ستستلم ٣ سنتات (١٠٫٨ فلس) عن كل ٦٠٠٠ قدم مكعب من الغاز المباع ، وهذا السعر بدون شك أفضل بكثير من حرق الغاز بدون مقابل[١٠] .

استغلال الغاز الطبيعي في بلدان أخرى :ـ

كان الغاز الطبيعي عديم الاستعمال حتى اواخر الثلاثينات من هذا القرن وذلك لعدم توفر وسائل لنقله وتسويقه ، اما اليوم فيعتبر الغاز الطبيعي مصدراً مهماً للطاقة في اقطار عديدة علاوة على احتلاله مركزاً اساسياً في تطوير الكثير من صناعة الكمياويات النفطية .

ويمكن توضيح هذه الحقيقة بأستعراض أهمية الغاز الطبيعي في نمط الطاقة Pattern of Energy في الدول الصناعية . ففي الولايات المتحدة مثلاً أخذ الغاز يحتل مراكز تقليدياً محتلة من قبل مصادر الطاقة الصلبة وغير الصلبة . ففي الفترة ما بين ١٩٥٠ ــ ١٩٦٠ تضاعف انتاج الغاز الطبيعي بينما أزداد النفط الخام بحوالي ٣٠٪ . وقد احتل الغاز في سنة ١٩٦٠ ٢٨٪ من عرض الطاقة ، اما في سنة ١٩٦١ فقد تساوت اهمية الغاز والنفط كمصدر للطاقة (بعرف الطاقة المتضمنة المستهلكة) . ومن المتوقع ان الطلب على النفط سيزداد في الولايات المتحدة بمعدل ٢٫٥٪ سنوياً خلال العشرة سنوات القادمة بينما سيزداد استهلاك الغاز بمعدل ٥٪ أو ٦٪ سنوياً . اذ من المتوقع ان الاستهلاك الاميركي من الغاز سيتضاعف سنة ١٩٧٠ واصلاً الى حد ١٩٫٩ ترليون قدم مكعب ، اما الاستهلاك

---

(١٠) انظر :

"Kirkuk to Paris; A market For Mid - East Gas?", *The Oil Forum*, Vol. II, No. 1, (January, 1953), pp. 23-26.

الصناعي فمن المتوقع ان يصل ٢ر١٠ ترليون قدم مكعب ولتوليد الكهرباء الى ٣ ترليون قدم مكعب .

ونشاهد نفس النمط تقريباً في اوربا حيث أخذ الغاز الطبيعي والنفط يحتلان مراكز مصادر الطاقة الصلبة التقليدية ، وكما يبدو ان الغاز الطبيعي سينافس ويتغلب على مراكز مصادر الطاقة الاخرى اذا تمكنت الدول الاوربية من الحصول عليه . والجدول رقم (٥) يوضح أهمية الغاز الطبيعي كمصدر للطاقة وتطوره خلال العقد الاخير في بعض الدول الصناعية .

جدول رقم ٥

نسب مصادر الطاقة في مجموع المصادر المستهلكة في بعض الدول الصناعية* .

	السنة	النفط	الفحم	الغاز الطبيعي	الكهرباء	المجموع
العالم	١٩٥٠	٢٤ر١	٦١ر٠	٨ر٥	٦ر٤	١٠٠
	١٩٦٠	٣٠ر٣	٥١ر٠	١٢ر٠	٦ر٢	١٠٠
الولايات المتحدة	١٩٥٠	٣٤ر٧	٤٢ر٢	١٨ر٧	٤ر٤	١٠٠
الامركية	١٩٦٠	٤٢ر٤	٢٥ر٨	٢٧ر٨	٤ر٠	١٠٠
اوربا الغربية	١٩٥٠	١١ر٨	٧٨ر٤	٠ر٢	٩ر٦	١٠٠
	١٩٦٠	٢٨ر١	٥٩ر٦	١ر٧	١٠ر٦	١٠٠
الاتحاد السوفيتي	١٩٥٠	١٤ر٨	٨١ر١	٢ر٣	١ر٨	١٠٠
	١٩٦٠	٢١ر٥	٦٧ر٨	٧ر٩	٢ر٨	١٠٠

* المصدر : Al-Ukaili, *op. cit.* p. 5.

كما يستغل الغاز الطبيعي اليوم في كثير من البلدان كمادة اولية اساسية في صناعة الكمياويات النفطية ، ففي الولايات المتحدة يستثمر اليوم ما بين ستة وسبعة بلايين دولار في هذه الصناعة ، او حوالي ٦٠٪ من رؤوس الاموال المستثمرة في الصناعة الكيمياوية . ومن المتوقع ان يصل هذا المبلغ الى (١٢) بليون دولار في سنة ١٩٧٠ ومن الملاحظ ان مجموع الاستثمارات في هذه الصناعة لم تتعدى ٣١٥ مليون دولار في سنة ١٩٤٠ ، وكما يبدو ان صناعة الكيماويات النفطية جذبت منذ سنة ١٩٥٨ رؤوس أموال أكثر من صناعة التصفية(١١) .

ولنا في فنزويلا مثال ممتاز على الاتجاه المتوقع لاستغلال الغاز الطبيعي في الدول المنتجة للنفط . وتتمكن ان نجعل من هذه البلاد مثالاً يحتذى به للاستغلال الصحيح لموارد البلاد النفطية في كلٍ من الصيانة وتنويع صناعة النفط . فقد انتجت فنزويلا في سنة ١٩٦٠ ٣٠٤٥ مليون قدم مكعب من الغاز ، استغل منها ٤٩٪ في الحقن والاستهلاك بينما أحرق الباقي . والكمية المحروقة قدرت بحوالي ٩٪ من طاقة النفط المنتج . ومن الغاز المستغل ، ٣٦٪ ذهب للحقن او بما يعادل ١٠٨ مليون قدم مكعب يومياً لاجل صيانة الثمانية والثمانين حوض الموجود في البلاد . وتوجد في فنزويلا في الوقت الحاضر حوالي ٢٣ حاقنة غاز عصرية ذات كفاءة حقن تقدر بحوالي ١٨٠ مليون قدم مكعب يومياً ، كما يوجد في فنزويلا ١٤١١ كيلو متر من انابيب الغاز ذات قابلية قدرت بحوالي ٤١٧ مليون قدم مكعب يومياً(١٢) .

ومن الملاحظ ان الاستهلاك الفنزويلي المحلي من الغاز الطبيعي قد أزداد في سنة ١٩٦٠ حتى حل محل النفط كمصدر للوقود في كثير من

---

(١١) انظر : Al-Ukaili, *op. cit.* p. 5.

(١٢) انظر :

الاستعمالات ، وقد استهلكت طاقة مصدرها الغاز أكثر من طاقة مصدرها نفط بما يقارب ١٩ر٧٪ فى سنة ١٩٦٠ و ٢٢ر٢٪ فى سنة ١٩٦١ ومن المتوقع ان هذه النسبة تأخذ فى الزيادة خلال السنين القادمة نظراً لتعميم وسائل نقل الغاز وشيوع استعماله فى المجالات الصناعية والبيتية . ولقد قدرت رؤوس الاموال المستثمرة فى صناعة الغاز بحوالى ٣٦٥ مليون دولار .

جدول رقم ٦

انتاج واستغلال الغاز الطبيعى فى فنزويلا*

السنة	الانتاج مليون ق[3]	نسب٪ المحقون	المستهلك	المحروق المبذر
١٩٤٨	١٢٩٠	٢ر٧٥	٨ر٧٠	٨٨ر٥٥
١٩٥٤	٢٠٥٠	٩ر٥٨	١٢ر٠٠	٧٨ر٤٢
١٩٥٩	٣٠٥٠	٣٠ر٦٠	١٤ر٩١	٥٤ر٤٩
١٩٦٠	٣٠٤٥	٣٥ر٠٥	١٦ر١٤	٤٨ر٨١
١٩٦١	٣٢٠٥	٣٩ر٤١	١٦ر٢٠	٤٤ر٣٩

* المصدر : Al-Ukaili, *op. cit.* p. 15.

وكما يبدو فى الجدول رقم ٦ ان استغلال الغاز الطبيعى قد تحسن كثيراً فيما بين ١٩٤٨ و ١٩٦١ ، فبعد ان كان حوالى ٨٨ر٥٥٪ من الغاز المنتج يبذر ويحرق ، انخفضت هذه النسبة الى أقل من نصف الغاز المنتج

فى السنتين الاخيرة . وفى الواقع ان الصيانة العلمية الحديثة هى من أهم أهداف قانون الهايدروكاربون الفنزويلي لسنة ١٩٤٣ الذي ينظم استغلال الموارد النفطية في البلاد • والحكومة الفنزويلية من أكثر الحكومات في الدول المنتجة للنفط واعية بأهمية الغاز فى صيانة الموارد النفطية وتصنيع البلاد ، لذا نراه يقظة على وجوب اتباع الصيانة الحديثة من قبل كل من يحمل امتياز فـى البلاد ، كما انها تعتبر تنويع صناعة النفط باستغلال كلاً من النفط والغاز الطبيعى جزء لا يتجزء من سياستها الصيانية ، وما هذا الا تجديد يفخر به فى تعريف مفهوم الصيانة .



طريقة البحث العلمي عند الكندي

اسلوب حديث

رشيد عبدالرزاق الصالحي

مدرس في كلية الهندسة

ان الشيء اذا كان خبرا عن محسوس ، لم يكن نقضه الا بخبر عن محسوس ، ولا تصديقه الا بخبر عن محسوس

الكندي

كان العلم فيما مضى يهتم بالعلاقات السببية . فقد كان يبحث في رد النتائج الى اسبابها والمعلومات الى عللها . أما الان فان اهتمام الباحث العلمي ينصب في اغلب الاحيان على نواح متعددة غير السببية . اذ أصبح الهدف الرئيسي له الحصول على علاقات تربط الظواهر الطبيعية ببعضها وغالب الميل في الوقت الحاضر بصدد البحث العلمي ينصب على الحصول على المعادلات الرياضية التي تبين تلك العلاقات اضافة على ما اذا كانت الاسباب الرئيسية تتعاشق زوجا أو أكثر فتكون أسبابا رئيسية أخرى تدعى بتفاعل الاسباب .

ان نتيجة البحث تختلف قيمتها باختلاف الاسلوب الذي اتبع للوصول اليها . فكلما كان الاسلوب دقيقا كانت النتيجة أكثر دقة . وهذه النزعة نجدها صريحة عند الكندي عندما يدقق أو يفحص أقوال السلف ممن سبقه فلا يكتفي بان يستعمل الطريقة التلقائية التأملية في الامور فيفحصها فحصا تأمليا فلسفيا بل انك تجده يلجأ الى التجربة لمعرفة السبب فلا يقر شيئا أو ينقضه الا بعد اجراء التجربة فهو يقول (ان الشيء اذا كان خبراً عن محسوس ، لم يكن نقضه الا بخبر عن محسوس ، ولا تصديقه الا بخبر محسوس) .

ان خطوات البحث العلمي الحديث هي :ـ

١ ـ وضع الفروض :

وهو تصميم مبدئي يوضع موضع الاختيار أما مصدره الحدس أو الهام ومهما كان مصدره فهو يعتمد على الخبرة السابقة والمعلومات ذات العلاقة به . وهذا الفرض ينبغي ان يوضع في عبارة صريحة واضحة غير قابلة للظن أو الشك .

٢ ـ جمع البيانات :

ويتم ذلك عن طريق استخدام الحواس بصورة مباشرة أو بالواسطة باستعمال الالات مثلا وعلى ان تكون المعلومات البينية صحيحة قدر الامكان . ان النتائج تعتمد على مقدار الدقة في الملاحظة الاصلية . وهذه الخطوة توجب تعيين وحدات للعد والقياس .

٣ ـ تصنيف وترتيب البيانات :

حيث يهتم العلم بانتظام الحقائق وتتابعها . وهذا الانتظام والتتابع في الحقائق والفروق بين بعضها البعض لا تتكشف للباحث الا اذا قام بتصنيفها .

٤ ـ التعميم :

بعد ان تجمع البيانات وتصنف يضع الباحث عبارات تصف التتابع أو تصف العلاقات العامة الظاهرة بالمباشرة أو بالواسطة لتسمح لان تكون شاملة عامة لجميع الظواهر المماثلة والتي تدرس في ظروف محدودة معينة ، حيث يتكون من هذه العبارات القانون العلمي .

ان افضل القوانين هو القانون الرياضي وهذا لا يكون مضبوطا ولا

نهائيا بل يعتمد كثيرا على صحة المعلومات المجموعة واسلوب الجمع والقياس والتنبوء العلمى المبنى على هذه القوانين يكون محدودا لكن يمكن حساب مدى الخطأ المحتمل . ويجدر بنا هنا ان ننوه بان النتائج المستنبطة فى الوقت الحاضر أو الماضى أو المستقبل هى نتائج نسبية وليست مطلقة فى صحتها ذلك لعجز البشر على الاتيان بالقياس والملاحظة الدقيقة الامر الذى يجعل أية تجربة محدودة الصحة . وهذا يعنى ان ما لا يخضع الى التجربة من أمور لا يمكن نقضه بل ينبغى اتباع الاستقراء والاستنتاج والتأمل والقياس وغالبا ما يتبعه ذوو الالباب من العلماء والباحثين .

من مقارنة الخطوات الآنفة الذكر مع التجارب والبراهين التى قدمها الكندى يظهر بوضوح ان البحث عند الكندى أسلوب حديث يتسم بالدقة والصحة العلمية الحديثة اضف الى ذلك الاسباب الآتية :

١ ـ يقول الكندى (ان عماد معرفة الشيء هو معرفة علته والا استحالت المعرفة ضده نزعة فلسفية اساسية) .

٢ ـ ان اسلوب الكندى فى التعلم او البحث . استيفاء مقدمات المعرفة ثم التدرج فيها فيرتقي من الاصول والمقدمات الى النتائج أو من علم الى علم ، من صبر وجد وتحمل لمشاق الدأب وبحيث يكون الهجوم على قراءة الكتب الاساسية ، دون الدراسة على هدى ومنهج ، دليلا على عظم الجهالة (هذا النص فيه اضطراب) .

٣ ـ يعرف الكندى العلم (وجد ان الاشياء بحقائقها) فهذا يوجب استخراج الاشياء وهى متمثلة . أى بكافة صفاتها وكنهها .

٤ ـ يقوم باجراء تجارب تقرب بصفاتها من التجارب الحديثة حيث يفترض فرضا ثم يتحقق منه باجراء التجربة وغالبا ما يعزز ذلك بشتى البراهين الرياضية أو الطبيعية الاخرى .

٥ ـ ان اتجاه الكندى فى البحث ايجابى فلا يستوثق من صحة آراء

من سبقه من آراء القدماء ومن صدقهم فيما لا خطوة الا بعمل تجربة حيث يستهدف الكندى من اجراء التجارب اما اثبات النظرية أو التأكد من صحة رأى سابق .

٦ ـ يستعمل الكندى البراهين الرياضية حيث يقول (من لم يتخرج فى صناعة الرياضيات ولم يتفقه المقاييس المنطقية ولم يقف آثار الطبيعة عرضة للظنون الخاطئة) .

واوضح ما يتحلى منهج الكندى من هذا الوجه فى رسائله التى تكلم فيها عن وحدانية الله وتناهى جرم العالم وعن ماهية المتناهى واللامتناهى حيث نجده يحدد المفهومات ويذكر بديهيات رياضية مستعينا بالخطوط والحروف اثباتا هندسيا ، ويتخذ من ذلك اساسا لاثبات ما يريد اثباته .

٧ ـ يحدد الغرض من اجراء التجربة أو البحث وهذا هو الذى يحفظ تفكير الباحث من التشعب والاضطراب حيث يقول الكندى بهذا الصدد (من قصد بفكرته وحركته نحو غرض مطلوب على سمته لم يخطئه ، اذا دام حركته على ذلك السمت ، فأما من لم يعلم الغاية يقصد اليها لم يعلم اذا انتهى اليها ،فلم يتناول مطلوبه فيها) .

وبالجملة فان منهج الكندي منطقي رياضي يستند على التجربة كما يستند على الامور الاخرى واليك نموذجا من مذاهبه .

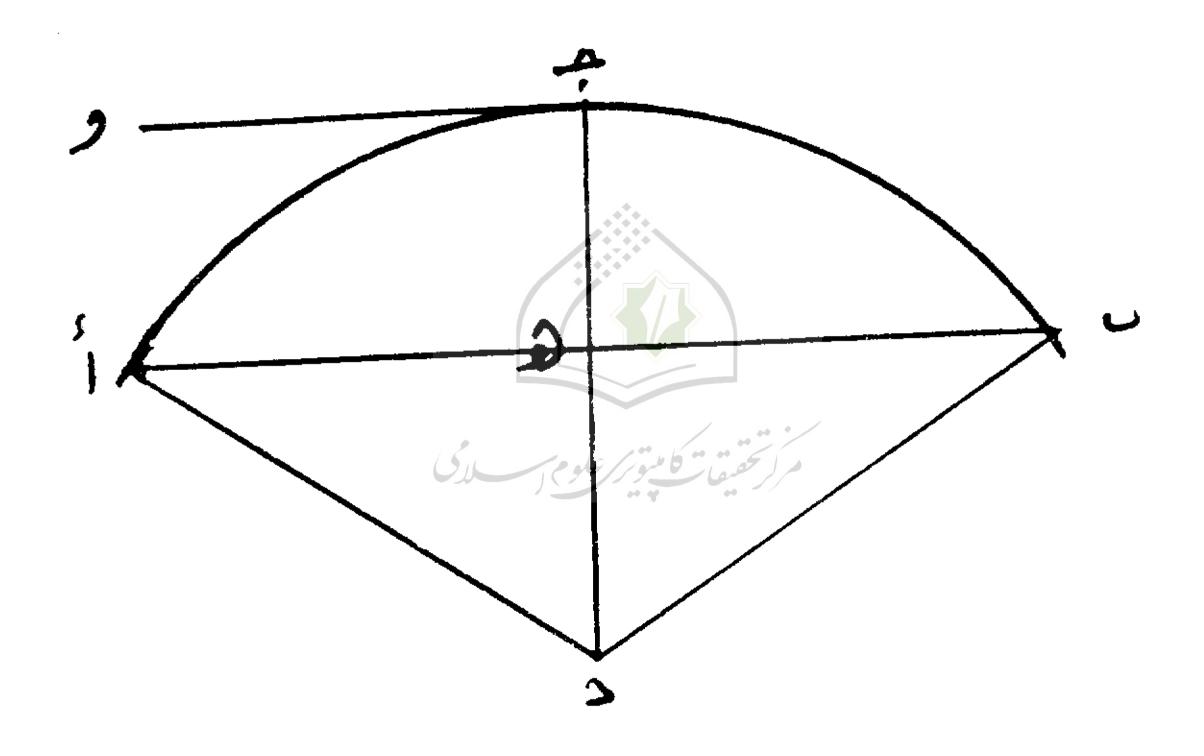
(برهان ان سطح الماء كرى وان كان على سطح من الارض وهو غير كرى) .

يقول الكندى (أن تفرض ان السطح المهيأ من الارض غير كرى خط أ ب ، ووسط الكل علامة د ، والعلامة التى تفصل علامة أ ب بنصفين عامة هـ ، ونخرج منها خطأ الى د ، وقوس أ ج ب مركزه الارض . ونصل أ ج ب بواو ؛ وليكن أ ب ج د في سطح ونتمم د هـ الى ج ، فخطوط أ د ، ب د ، ج د متساوية ، لانها من مركز د الى محيط أ ب ، و د هـ

بعض ج د ، و ج د مساو لكل واحد من خطى أ د ، د ب ، و هـ د
أصغر من كل واحد من خطى أ د ، ب د ، و هـ د عمود ، والماء بطبعه
يسيل الى المركز فأن حُجب عن المركز ، اعنى عن مركز الكل فالى
أقرب المواضع الى مركز الكل ، فاذن الماء ان سال من علامة أ على سطح
أ ب ، سال على علامة هـ ، لانها أقرب الى د من أ ومن ب ، وكذلك ان
سال من ب وقف عندها ، وكذلك ان سال دائما الى جهة هـ ، حتى
ينتهي علامة ج ، يصير بُعدُه من ج بعداً واحداً الى جهة من الجهات
لم يقف سطح ظاهره مع قوس أ ج ب لا يمكن غير ذلك ، فان سال الى
غير ذلك الموضع الأبعد من د ، التي هي وسط الكل فانه ان سال من
ج أو أ أو ب ، فانه يسيل الى موضع أبعد من ذلك الموضع الذى سال منه
من د ، فاذن انما يتباعد بحركته الطبيعية من وسط الكل . وقد قيل ان
الماء بطباعه يتحرك الى وسط الكل ، وفرض ذلك ، فهذا خلف لا يمكن ،
فأذن ليس يمكن أن يكون سطح الماء غير كرى ، وذلك ما اردنا ان نبيّن .
فقد تبين من جهة الطبيعة ان سطح الماء كرى ، وايضا ان جميع العناصر
والجرم الاقصى كرية (لم يذكر برهان القسم الثانى فى هذا المقال) .

ويمكن ان نبيّن ان جرم الكل كرى ، من الصناعة الرياضية ،
فلنكمل الان هذا الفن ، بتأييد ذى القدرة التامة وعزته .

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله محمد
وآلـه اجمعين .


جـ
و
ب
أ
هـ
د

التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية

في منطقة الخليج العربي والاقطار المجاورة

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر

الدكتور عبدالامير محمد أمين
مدرس في قسم التأريخ

مما يميز تاريخ انكلترا الاقتصادى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر قيام تجارتها الخارجية على أساس الاحتكار ، فقد منحت الحكومة الانكليزية حق المتاجرة الخارجية المطلقة في كل جزء من أجزاء العالم الى شركة معينة وبذلك لم تسمح لبقية الشركات والافراد منافسة تلك الشركة في مجالها التجاري • وفي حوالي سنة ١٦٠٠ ، لم تكن هناك سوى فرنسا واسبانية والبرتغال مفتوحة الابواب لجميع التجار الانكليز دونما تميز[1] .

وعلى الرغم من ان المجال التجارى لكل شركة منصوص عليه فى وثيقة الامتياز الممنوحة لها من قبل الحكومة الانكليزية فان تداخل المجالات فى بعض الاحيان وتنافر المصالح وتعارضها فى احيان أخرى كثيراً ما ادى الى ادعاء شركة بمجال شركة أخرى وتجاوز بعضها على مجال البعض الآخر ، الامر الذى سبب نزاعاً بين الشركات المختلفة وقد كانت منطقة الخليج العربى وايران والامبراطورية العثمانية من الاماكن المهمة للصراع بين ثلاث شركات انكليزية هى شركة روسيا "Russia Company" وشركة الشرق الادنى "Levant Company" وشركة الهند الشرقية "East India Company" وان موضوع التنافس بين هذه الشركات على اهميته لم يبحث بحثاً كافياً ليتسنى للقارىء العربى الاطلاع عليه وتفهم

---

(1) C. Day, A. History of Commerce, New York, 1924, pp. 202-204.

طبيعة مصالح هذه الشركات في بلادنا والبلدان المجاورة ونواحي تصادمها وتعارضها .

لقد كان الهدف الرئيسي من تأسيس كل من هـذه الشركات الثلاث استيراد الحاجات الشرقية كالتوابل على اختلاف أنواعها والعطور والجواهر والحرير والقطن ، من مواطن انتاجها الاصلية وخاصة من الهند بدلاً من الاعتماد على بقية الاوربيين كالبرتغاليين والهولنديين لتموين السوق الانكليزية بها وكانت الطرق التجارية الموصلة الى الشرق خلال معظم القرن السادس عشر محتكرة من قبل بقية الاوربيين ، فطريق رأس الرجاء الصالح الذي أصبح أهم الطرق التجارية الموصلة للشرق خلال القرن المذكور كان قد احتكره البرتغاليون ولم يكن الانكليز في وضع يستطيعون فيه تحدي البرتغاليين وقد دفعتهم هذه الظروف الى البحث عن طريق جيدة فتوجهوا في بحثهم أول الامر الى شمال شرقي اوربا علّهم يجدون هناك ممراً يوصلهم الى الشرق وان محاولاتهم في هذا الشأن التي قام بها بعض المغامرين الانكليز في بداية العقد السادس من القرن السادس عشر لم تتكلل بالنجاح اذ لم يكتشف الممر المنشود[٢] ، ولكنها أدت الى تعرفهم على بلاد روسيا . وعلى أثر هذا تأسيست شركة انكليزية خاصة عرفت باسم شركة روسيا وقد منحتها الحكومة الانكليزية سنة ١٥٥٥ الحق المطلق في المتاجرة مع روسيا[٣] . وما ان استقرت اعمال الشركة في روسيا حتى عاودت المسؤولين فيها فكرة ايجاد طريق للشرق . وفي هذه المرة لم يبحث الانكليز عن ممر شمالي للشرق بل حاولوا فتح باب المتاجرة مع الهند عبر روسيا وايران . وبين سنة ١٥٦١ وسنة ١٦٠٠ أرسل الانكليز ست حملات لهذا الغرض كانت الاولى منها بقيادة الرحالة الانكليزي انتوني

---

(2) R. Hakluyt(ed.), The Prinelple Navigations, Voyages, Traffiques and Discoveries of The English Nation. London; 1926, Vol. I, p. 254.

(3) Ibid., p. 318.

جنكنسون[٤] "Arthony Jenkinson" ولقد اخفقت جميع هذه الحملات بسبب المصاعب الكبيرة التى كانت تكتنف الطرق البرية فى ذلك الوقت ثم ان النجاح الذى حققه الانكليز فى نهاية القرن بفتح باب التجارة المباشر مع الشرق على يد شركتين انكليزيتين اخريين وهما شركة الشرق الادنى وشركة الهند الشرقية ، صرف نظر الانكليز لفترة طويلة عن مشروع فتح تجارة مع الشرق عبر روسيا .

ففي نهاية القرن السادس عشر نجحت شركة الشرق الادنى في فتح باب المتاجرة مع الامبراطورية العثمانية . وكانت هذه الشركة قد تأسست اثر النجاح الذى حققه بعض التجار لدى السلطان اذ قد حصلوا منه سنة **١٥٨٠** على براءة « امتياز » تكفل للتجار الانكليز الكثير من التسهيلات فى ارجاء الامبراطورية العثمانية[٥] . ان هذا النجاح دفع هؤلاء التجار الذين حصلوا على البراءة المذكورة الى تأسيس شركة تجارية باسم شركة الشرق الادنى ودفعهم كذلك الى مطالبة الحكومة الانكليزية بمنح الشركة امتياز المتاجرة مع بلاد السلطان فاستجابت الحكومة الانكليزية لهذا الطلب ومنحت الشركة سنة **١٥٨١** الحق المطلق فى التجارة مع ارجاء الامبراطورية العثمانية المختلفة[٦] . وفى سنة **١٥٩٢** جددت الحكومة الانكليزية امتياز الشركة ولم تكتف هذه المرة بمنحها الحق فى احتكار التجارة مع بلاد السلطان حسب بل منحتها احتكار التجارة البرية مع الهند عبر هذه البلاد واحتكار استيراد الزبيب وبعض أنواع الشراب الى انكلترا[٧] . ومنذ

---

(٤) وللاطلاع على تفاصيل هذه الحملات راجع

E. D. Morgan And C. H. Coates(ed.), Early voyages and travels to Russia and Persia, London, 1886; George N. Curzon, Persia and the Persian Question, London 1892, Vol. II.

(٥) للاطلاع على النص راجع : Hakluyt(ed.) Vol. III, pp. 57-62.

(6) Ibid, pp. 64-72.

(7) Ibid, pp. 370-387.

ومنذ التاريخ المذكور[8] استمرت الشركة في تجارتها مع الشرق[9] لمدة تزيد على قرنين . وكانت صادراتها من انكلترا تشتمل على الاقمشة الصوفية بالدرجة الاولى يلي ذلك بكميات قليلة النحاس والقصدير ، اما وارداتها الى انكلترا فتشتمل على الحرير الخام والقطن والصوف والتوابل والاعشاب الطبية والزبيب[10] . وقد كان الحرير الخام يؤلف المادة الاساسية لواردات الشركة[11] . وايران هي البلاد الرئيسة لانتاج هذه المادة ، اذ كانت تكثر في المناطق الشمالية خاصةً في منطقة غيلان وكان التجار الارمن يقومون بدور الوسيط بين الشركة والايرانيين ، فهم

---

(٨) لمعرفة المزيد عن تاريخ الشركة راجع :
M. Epstein, The Early History of The levant Company, London, 1908;
A. wood, A History of Tre levant Company, London, 1935.

والكتاب الاخير هو خير ما كتب حول الموضوع .

(٩) كان مقر ادارة الشركة في انكلترا ، وفي الخارج كان يشرف على شؤونها السفير الانكليزي في القسطنطينية وكان لهذا السفير مهمة مزدوجة فهو ممثل للشركة يرشح بوساطتها ويتسلم راتبه منها ، وهو في الوقت نفسه ممثل للحكومة الانكليزية في بلاط السلطان . والى جانب هذا السفير كان هناك قناصل ونواب قناصل يشرفون على شؤون الشركة في حلب والاسكندرية وغيرها من المدن العثمانية ، وقد اعطيت الشركة منذ سنة ١٦٠٥ صلاحية مطلقة في تعيين القناصل ونواب القناصل الانكليز في أقسام الامبراطورية العثمانية المختلفة راجع : Epstein, p. 124.

(١٠) للوقوف على المزيد من تجارة الشركة راجع :
Transactions of The Royal Historical Society. 4th Ser. Vol. 5, p. 17;
D. Macpherson, Annals of Commerce, Manufactures, Fishers and Navigation, London, 1805;

وللفترة التي تلت سنة ١٦٩٧ راجع :
State of Trade of Great Buitain by C. Whit Worth, London, 1776.

(11) Gerald B. Hertz "The English Silk Industry in the Eightcenth Century," "The English Historical Review, Vol. 24, 1909, pp. 710-727

لقد اوضح الكاتب انه في سنة ١٧١٥ كان بين كل ٤٦٥٠ رزمة من الحرير الخام اعتادت انكلترا استيرادها ٢٥٠٠ يأتي لها من الشرق الادنى و١٣٠٠ من ايطاليا والصين والهند .

يحملون الاقمشة الانكليزية الصوفيــة من حلب والقسطنطينة الى شــمال ايران ويقايضون بها الحرير الخــام الذى يحملونه الى الاماكن المذكورة اذ تبتاعه منهم الشركة وتصدره الى أوربا . ان اعتماد الشركة على الحرير الايرانى اكسب ايران أهمية خاصة بالنسبة الى شركة الشرق الادنى . ودفعتها رغبتها فى حماية تجارتها فى ايران الى الاشتباك ــ كما سنرى ــ بسلسلة من المنازعات مع كل من شركة الهند الشرقية وشركة روسيا . ولما كانت صادرات الشركة يتألف معظمها من الاقمشة الانــكليزية الصوفيــة ووارداتها تشتمل على الحرير والقطن والصوف وكل واحدة من هذه المواد تدخل فى احدى الصناعات الانكليزية المهمة ، فقد حظيت الشركة بتقدير كبير لدى الرأى العام الانكليزى اذ اعتبرت تجــارتها ذات نفــع للصناعة الانكليزية بعكس تجارة شركة الهند الشرقية .

أما شركة الهند الشرقية هذه فهى ولا ريب أهم الشركات الانكليزية التى قامت بالتجارة مع الشرق وقد قدر لها ان تلعب دوراً خطيراً جداً فى تاريخ السياسة والاقتصاد الانكليزى ــ ويكفى أن نقول هنا انه على يد هذه الشركة نفسها تم تأسيس الامبراطورية البريطانية فى الهند . حصلت شركة الهند الشرقية على امتيازها من الملــكة اليزابيث سنة ١٦٠٠ . وكان ضعف البرتغال فى هذا الوقت عاملاً مهماً شجّع الانكليز على الاتصــال المباشر مع الشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح ، أما مجــال الشركــة التجارى فكان يشمل الهند والاقطار المحيطة بها "The East Indies" وكانت صادرات الشركة تتكون من الاقمشة الصوفية الانكليزية بالدرجة الاولى يليها بالاهمية الحديد والنحاس والقصدير بكميات قليلة ، اما وارداتها من الشرق فكانت تشتمل على التوابل بمختلف انواعها والحرير والقطن والصوف والنيلة والاعشــاب الطبية[١٢] ، وتمتاز تجــارة شــركة الهند الشرقية بزيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات زيادة كبيرة الامر الذى

---

(12) Bal Krishna, Commercial Relations Betweend India and England, London, 1924.

اضطر الشركة الى ارسال كميات كبيرة من الفضة والذهب سنوياً الى الشرق لدفع قيمة مشترياتها من الاسواق الشرقية .

ان قلة الصادرات بالنسبة الى الواردات وتصدير الفضة والذهب سبب نقداً عنيفاً للشركة فى انكلترا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر • فقد كان المذهب التجاري "Marcantilism" سائدا في هذا الوقت ، وكان هذا المذهب يؤكد على ان تنمية الصناعة الوطنية يجب ان تكون من الاهداف الرئيسة للتجارة الخارجية ويؤكد كذلك على اهمية زيادة الصادرات وتقليل الواردات والاحتفاظ بالفضة والذهب وعدم تصديرها خارج البلاد(١٣) . حاولت الشركة اسكات اصوات المعارضة والمنتقدين لتجارتها ببذل المزيد من الجهد لزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية وخاصة الاقمشة الصوفية ، تلك السلعة التي كان يشتغل بمادتها الاولية وصناعتها وتجارتها نسبة كبيرة من الشعب الانكليزى والتى اعتبر تشجيعها لقرون عديدة من الواجبات الوطنية المهمة(١٤) ، ولسوء حظ شركة الهند الشرقية انه لم يكن هناك طلب كبير على هذه السلعة بالذات فى الاسواق الهندية نظراً لحرارة الطقس فى هذه البلاد ولفقر السكان(١٥) ، لهذا

---

(13) W. Conningham, The Growth of English Industry and Commerce in Modern times, Cambridge, 1907, Vol. II, pp. 463-471; E. Lipson, The Economic History of England, London, 1942. Vol. III, pp. 13-62; Paul Montoux, The Industdial Revolution in The Eighteenth Contury. London, 1961, pp. 99-105.

(١٤) للاطلاع على معلومات وافرة عن أهمية الصناعات الصوفية في التاريخ الانكليزي راجع :

James Bischoff, A Comprehensive History of The Woollen and Worsted Industries, 2 Vols. London: 1842; E. Lipson, The History of The Woollen and Worsted Industries, London, 1921; Lipson, The Economic History of England, Vol, II, pp. 10-93.

(15) F. Robinson, The Trade of The East India Company From 1709-1813, Cambridge, 1912, pp. 66-67.

نرى ان الشركة منذ بداية تأسيسها تتلفت الى الاقطار المجاورة للهند علها تجد مخرجاً لها من هذا المأزق .

وقد وجدت شركة الهند الشرقية في ايران مخرجا لها • فبرودة الطقس من جهة(١٦) والعادة الاجتماعية المحلية التى كانت تتطلب من الوجيه الايراني ، الالتحاف بملابس جيّدة وسميكة من جهة أخرى ، جعلت ايران خير سوق للاقمشة الانكليزية الصوفية(١٧) . وفى الوقت الذى بدأت فيه شركة الهند الشرقية محاولاتها لتصدير الاقمشة الانكليزية الى ايران كانت مثل هذه الاقمشة قد وجدت طريقها فعلاً الى الاقسام الشمالية من بلاد الشاه ، وقد سبق أن بيّنا ان الاقمشة الصوفية التي كانت تجلبها شركة الشرق الادنى الى اجزاء الامبراطورية العثمانية المختلفة كان ينقل قسم منها الى ايران لمقايضته بالحرير الخام وهذا يعنى ان أى نجاح تحققه شركة الهند الشرقية فى ايران سيكون على حساب شركة الشرق الادنى الى حد ما .

والواقع ان شركة الشرق الادنى كانت قد شعرت بوطأة منافسة شركة

---

(١٦) منذ البداية وجدت الشركة صعوبة كبيرة في تصريف الاقمشة الصوفية في الهند • وفي سنة ١٦١٤ تلقت سلطات الشركة في لندن تقريرا من مستخدميها في الشرق يوضح ان ايران هي القطر الذي يجب الالتفات اليه لتصريف مثل هذه الاقمشة ، فان فصل الشتاء ، في هذه البلاد ، يمتد الى ما يقارب من ستة أشهر • وخلاله يستهلك الرجال والنساء والاطفال الكثير من الاقمشة الصوفية • راجع :
J. A. Saldanha, Selections From State Papers, Bombay, Rekarding The East India Company's Connection With the Persian Gulf, With a Summary of Events, 1600-1800, 1908. p. ii.

(17) India office, Marine Records, Vol, 891, August 15, 1790. Report on The Commarce of Arabia and Persia By Samuel Monesty and Harford Johnes.

وفي هذا التقرير وصف شيق للملابس التي اعتاد الوجيه الايراني ارتداءها وقد بين كاتبا التقرير ان الاقمشة الانكليزية ، هي الوحيدة التي يمكن ان تلائم الذوق الايراني •

الهند الشرقية حتى قبل ان تبدأ الشركة الاخيرة تجارتها مع ايران . ففى سنة ١٦٠٥ لوحظ كساد في أعمال شركة الشرق الادنى وقد عللت الشركة هذا الكساد في أعمالها بأنه نتيجة لكثرة ما استوردته شركة الهند الشرقية من توابل وحرير الى الاسواق الانكليزية[١٨] . اما وقد قامت شركة الهند الشرقية بالمتاجرة فعلاً مع ايران سنة ١٦١٦ ، فقد زاد تململ شركة الشرق الادنى واحتجاجها خاصة بعد أن جعلت شركة الهند الشرقية من بندر عباس على الخليج العربى مركزاً رئيساً لاعمالها فى ايران ومنطقة الخليج سنة ١٦٢٢ وبدأت سفنها تاجر مع البصرة منذ سنة ١٦٣٥ ونجحت فى بيع كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية سنوياً فى ايران ومنافسة شـــركة الشرق الادنى فى شراء الحرير الايرانى وتصديره الى انكلترا وقد اتهمت شركة الشرق الادنى شركة الهند الشرقية بان تجـارة الاخيرة فى منطقة الخليج وايران ما هى الا تجاوز على مجالها التجارى ولم تكتف شركـة الشرق الادنى بهذا الاتهام بل انها ضمت صوتها الى اصوات المعارضين لتجارة شركة الهند الشرقية وبدأت تهاجمها على أساس ان تجارتها غير ذات نفع للاقتصاد الانكليزى ، وهنا انبرت شركة الهند الشرقية تدافـع عن تجارتها وتفند حجج المنتقدين والمعارضين فأكدت ان تجارتها ذات نفع عميم للبلاد ، فلها الفضل وحدها دون سواها فى انخفاض اسعار البضائع الشـرقية في الاسواق الانكليزية لـكثرة ما تستورده الشركة من هـذه البضـائع ، هـذا ويكفي الشركة فخـراً أن تقـول انهـا استطاعت ان تنافس بقية الاوربيين منافسة ناجحة فى ميدان التجارة مع الشرق[١٩] . بل ذهبت الشركة الى أبعد من هذا فأدعت ان وجودها واستمرار تجارتها مع الشرق لهو خير ضمان لبقاء شركة الشرق الادنى نفسها قبل غيرها اذ

(18) Epstein, p. 156.

(19) T. Mun, A Discoures of Trade From England Unto The East Indies, London, 1621.

ان المؤلف من الشخصيات البارزة في تاريخ الشركة . وكتابه المذكور هو خير ممثل لوجهة نظر الشركة ومن أحسن ما كتب دفاعا عن مصالحها .

ان انسحاب شركة الهند الشرقية من ميدان التجارة مع الهند ومنطقة الخليج العربي سيترك الهولنديين سادة لهذه التجارة ، وان هـــذا سيعطيهم من القوة والنفوذ ما يمكنهم من طرد التجارة الانكليزية فى أماكن كثيرة من العالم خاصة فى منطقة البحر الابيض المتوسط حيث تتاجر شركة الشرق الادنى[٢٠] . ولم ينته الجدل بين الشركتين الى نتيجة ما وبعد ان سادت العلاقات بينهما فترة من الهدوء فى منتصف القرن السابع عشر تجدد النزاع بشكل لم يسبق له نظير من قبل فى نهاية القرن المذكور .

جاء النزاع الاخير نتيجة لسياسة تجارية توسعية جديدة كانت قـد تبنتها شركة الهند الشرقية فى ايران خلال العقدين الاخيرين من القرن السابع عشر ، وكان سير جوسيه تشايلد Sir Josiah Childe. على رأس الشركة في هذا الوقت ، وتشايلد هذا من الشخصيات التى لعبت دوراً هاماً في تاريخ الشركة . وقد عقد العزم منذ ان انتهى اليه زمام الشركة ، على توسيع تجارتها وتملكته رغبة كبيرة فى توســيع تجارة الشركة خاصـــة مع ايران[٢١] . فقد اعتقد ان هناك امكانيات كبيرة لزيادة مبيعات الشركة من الاقمشة في ايران ، وخاصــة في المناطق الشمالي من هـــذه البلاد ، اذ كانت هذه المناطق لا تزال تستورد كميات كبيرة من الاقمشة الانكليزية التى تجلبها شركة الشرق الادنى الى الشرق .

وتمشيا مع سياسة شركة الهند الشرقية الجديدة ارسلت الشركة فى سنة ١٦٩١ كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية الى بندر عباس مع تعليمات مشددة الى وكيل الشركة "The Agent" هناك بضرورة بذل جميع الجهود الممكنة لبيع هــذه الاقمشة المرسلة ، وقد أمرت الوكيل بالذهـاب

---

(20) A Calender of the Court Mintes Etc. of the 7ast India Co. 1635-1639. p. 272. Oxford, 1907.

(٢١) قد اشتدت هذه الرغبة بعد سنة ١٦٨٨ أي بعد الثورة الجليلة في انكلترا ، وكان لموقف الحكومة غير الودي من الشركة ، لما عرف عنها من محاباة الحكومة قبل الثورة ، سبب مهم في تقوية هذه الرغبة فأرادت الشركة استرضاء الحكومة الجديدة واستدرار عطف الرأي العام بزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية .

بشخصه الى اصفهان ، عاصمة ايران في ذلك الوقت للاشراف بنفسه على بيع الاقمشة الصوفية في تلك المدينة ولكي يهيىء امر السكن لبعض الشبان الذين تعتزم الشركة ارسالهم من انكلترا الى ايران لتعلم اللغة الايرانية والارمنية ليكونوا مؤهلين لادارة اعمال الشركة[٢٢] .

هذا وقد اعتقدت الشركة ان كسب ثقة التجار الارمن وتضامنهم من العوامل المهمة لنجاح هذه السياسة الجديدة . والواقع ان نشاط الارمن ونجاحهم التجاري وسيطرتهم على التجارة بين حلب وايران والهند ومنطقة الخليج العربي كل هذه بهرت الشركة وجعلتها ترغب في محالفتهم فحاولت أول الامر اغراءهم بان سمحت لهم سنة **١٦٩٠** بحمل بضائعهم من بندر عباس الى اوربا على ظهر سفن الشركة[٢٣] ثم بذلت كل ما في وسعها لاقناعهم على حمل حرير غيلان الى اصفهان والمقايضة بأقمشة شركة الهند الشرقية في العاصمة الايرانية بدلاً من نقله الى حلب ومقايضته بأقمشة شركة الشرق الادنى[٢٤] . ان سياسة شركة الهند الشرقية الجديدة هذه . لا تترك مجالاً للشك في انها كانت ترمي الى القضاء على تجارة شركة الشرق الادنى في ايران قضاء تاماً .

لقد كانت شركة الهند الشرقية في وضع تستطيع فيه منافسة شركة الشرق الادنى بنجاح فمن جهة نرى أن تكاليف نقل الاقمشة التي تجلب بوساطة شركة الهند الشرقية عن الطريق البحري المباشر الى بندر عباس وتنقل من هناك الى شمال البلاد ، أقل من تكاليف نقل الاقمشة التي تأتي بها شركة الشرق الادنى الى حلب وغيرها من اجزاء الامبراطورية العثمانية

---

(22) J. Bruce, Annals of The Honourable East - India Company, London, 1810, Vol. III, p. 108.

(23) J. Lorimer, Gazeteer of The Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, India, 1908, Vol., Part, p. 74.

(24) Ibid.

وتنقل من هناك الى ايران[٢٥] ، كذلك تدخل أقمشة شركة الهند الشرقية ميناء بندر عباس معفاة من أية ضريبة ، بينما كانت شركة الشرق الادنى ملزمة بدفع ضريبة على الاقمشة التى تجلبها عند دخولها أى ميناء من موانىء الامبراطورية العثمانية[٢٦] . ان هذا جعل باستطاعة شركة الهند الشرقية بيع اقمشتها بأسعار أرخص من تلك الاسعار التى اعتادت شركة الشرق الادنى البيع بها ، أضف الى هذا ان الشركة الاخيرة كانت تمر فى ظروف هى فى غاية الحراجة ، فان الحرب التى كانت دائرة بين انكلترا وفرنسا فى ذلك الوقت كانت وبالاً على أسطول الشركة وتجارتها فى البحر الابيض المتوسط . فقد خسرت الشركة سنة ١٦٩٣ من السفن والحمولة على يد الفرنسيين ، ما قدرت قيمتها بأكثر من نصف مليون باون استرليني وقد ظن ان الشركة لن تستطيع تموين أسواقها فى الشرق بالاقمشة وغيرها من البضائع لسنين عديدة بعد هذه الكارثة[٢٧] .

وكانت الكارثة الاخيرة مشجعة لشركة الهند الشرقية على الاجهاز على عزيمتها وطردها من السوق الايرانية . لقد تلقى تشايلد انباء الكارثة بسرور تام وود لو كانت القاضية على تجارة شركة الشرق الادنى ليس فى ايران فقط بل فى ارجاء الامبراطورية العثمانية ايضا لكى تحل شركة الهند الشرقية محلها[٢٨] . هذا وفى سنة ١٦٩٣ حصلت شركة الهند

---

(25) Bruce, Vol. II, p. 618.

(٢٦) ان اعفاء شركة الهند الشرقية من دفع الضرائب على بضائعها الواردة الى بندر عباس يرجع بالاصل الى ذلك الاتفاق الذي تم سنة ١٦٢٢ بين الايرانيين والانكليز لمهاجمة هرمز وانتزاعها من يد البرتغاليين وقد تم بمقتضاه اعفاء الانكليز من الضرائب في هرمز في حالة نجاح العمليات العسكرية ضد البرتغاليين ، هذا وعندما هجرت هرمز وأخذت بندر عباس محلها كمركز رئيسي لتجارة الخليج العربي احتفظ الانكليز بهذا الاعفاء في الميناء الجديد .
راجع : Lorimer pp. 24-30, 35-36.

(27) Sir Shafaat Ahmad Khan, The East India Trade in The XVII Century, p. 248.

(28 Ibid.

الشرقية على تجديد لامتيازها من الحكومة الانكليزية • ولـكن هذا الامتياز جاء مشتملا على فقرة جديدة تلزم بتصدير ما يبلغ قيمته ١٠٠,٠٠٠ باون استرليني سنويا من المصنوعات الانكليزية الى الشرق[٢٩] ، مما حفز الشركة للمضي قدما في سياستها التجارية التوسعية في ايران تنفيذا للفقرة المذكورة • وفي السنة نفسها ارسلت كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية الى ايران مع هذه التعليمات الى مستخدميها في الشرق :

١ ـ جمع أكثر ما يمكن جمعه من الحرير الخام . ٢ ـ زيادة مستخدمي الشركة في ايـران بحيث يصبح الملاك يشتمل على عشـرة مستخدمين . ٣ ـ ان تحتفظ الشركة بمحل تجارى في اصفهان في صورة دائمة . ٤ ـ ان يترك للوكيل الخيار في أن يبقى مقر الشركة الرئيسى في ايران في بندر عباس أو نقله الى اصفهان . وقد عبرت الشركة مرة أخرى عن رغبتها في اعداد مستخدميها في ايران اعداداً يؤهلهم للقيام بواجباتهم التجارية فأوصت بان يقضي المبتدئون منهم فترة تدريب يعيشون خلالها في بيوت التجار الارمن في اصفهان[٣٠] . وفي رسالة لاحقة عبرت الشركة عن اعتقادها بانه اذا ما اديرت اعمال الشركة في ايران بحكمة فان هذا قد يؤدى الى تحويل ذلك الطريق العتيد لتجارة الحـرير بين حلب وايران نحو الجنوب ومن الممكن ان تصبح اصفهان مركزاً لهذه التجارة ومضت تقول :

« يجب ارسال كل الحرير الذي يحصل عليه في اصفهان الى بندر عباس حيث يشحن من هناك الى أوربا . ان هذا سيجعل شـركة الهند الشرقية وسيلة لزيادة الملاحة والدخل القوميين . لهذا فان جميع الاجراءات يجب ان تتخذ لبيع أكثر ما يمكن بيعه من الاقمشة الصوفية التى سـبق

(29) Lipson, The Economie History of Englund, Vol, II. pp. 285-286.

(30) Bruce, Vol. II. pp. 140-141.

ان أرسلتها الشركة الى ايران لتمكين سلطات الشركة من ارسال كميات كبيرة أخرى من هذه الاقمشة فى السنوات القادمة . وبهذا فقط تستطيع الشركة القيام بالتزاماتها الجديدة ، تلك الالتزامات التي نص عليها في وثيقة الامتياز التى حصلت عليها الشركة مؤخراً »(٣١) .

لقد كان تأثير سياسة شركة الهند الشرقية فى شركة الشرق الادنى بليغا • وفي سنة ١٦٩٦ كتب احد تجار الشركة الاخيرة في حلب الى لندن يقول : « لقد ارسلت شركة الهند الشرقية كميات كبيرة من الاقمشة الى ايران لدرجة انها ستدمر تجارة هذه المدينة [حلب] وانها سوف ترغمنا على ترك التجارة والاياب الى الاوطان » . واضاف يقول ان شركة الهند الشرقية « نجحت في اغراق السوق الايرانية باقمشتها وقد كانت هذه السوق تعتمد فى تموينها بهذه الاقمشة على ازمير وحلب »(٣٢) . وفى رسالة أخرى كتب التاجر نفسه يقول « ان التجارة الانكليزية في تركيا تكاد تكون فى حكم المنتهية »(٣٣) . وعلى كل حال ان شركة الشرق الادنى لم تقف مكتوفة الايدى . انها هاجمت شركة الهند الشرقية بعنف واستعرضت الرأي العام الانكليزي والحكومة الانكليزية ضد عزيمتها « لم تجد سوقا ملائمة لبضائعها فى الهند فاتجهت نحو ايران ذلك القطر الذى كان يمون سابقا بما نرسله نحن من اقمشة الى القسطنطينية والى ازمير خاصة مما كنا نرسله الى حلب »(٣٤) . ان صرخات شركة الشرق الادنى واحتجاجاتها لم تذهب سدى فقد استمعت الحكومة الانكليزية لشكواها واحيل موضوع النزاع بين الشركتين الى لجنة خاصة لدراسته وقد اوصت اللجنة سنة ١٧٠٠ بعدم السماح لشركة الهند الشرقية بارسال اقمشة صوفية الى ايران اكثر مما كانت ترسله سابقا(٣٥) . والواقع انه

(31) Ibid. p. 161.

(32) Lipson, Economic History of England, Vol, II, p. 348.

(33) Ibid, p. 349.

(34) Ibid, p. 286.

(35) Ibid.

ليس بين ايدينا من أدلة تثبت ان الشركة المذكورة كانت قد التزمت بهذه التوصية .

وعلى كل حال فبالرغم من الضجة التي سببتها شركة الهند الشرقية لسياستها التجارية التوسعية فى ايران ، وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها لضمان النجاح لهذه السياسة فان الشركة لم تحصل على الثمرة المرجوة . فمن ناحية ان الكارثة التي أحاقت بشركة الشرق الادنى سنة **١٦٩٣** لم تكن قاضية كما كان يمنى تشايلد نفسه اذ سرعان ما فاقت الشركة من صدمتها وسرعان ما أخذت بضائعها تتدفق على اسواق الشرق الادنى وبدأ سيل من الاقمشة يرد على ايران من حلب . فكانت النتيجة ان أغرقت السوق الايرانية بالاقمشة الانكليزية الامر الذى ادى الى قيام منافسة عنيفة بين الشركتين مع انخفاض اسعار هذه السلعة وقد عاد هذا بالضرر البليغ على الشركتين معاً[٣٦] .

اما جهود شركة الهند الشرقية فى التحالف مع التجار الارمن فلم تكلل بالنجاح . والواقع أن مصالح هؤلاء فى التجارة القائمة بين حلب وايران كانت أعمق بكثير من مما أدركته سلطات شركة الهند الشرقية . ومنذ سنة **١٦٩٣** بدأ عمال الشركة يظهرون ارتيابهم من ولاء الارمن وصدق نواياهم تجاه شركة الهند الشرقية . فى سنة **١٦٩٥** ادعى مستخدمو الشركة بان البعض من تجار الارمن اخذوا يضعون العراقيل فى وجه مقايضة اقمشة شركة الهند الشرقية بالحرير[٣٧] . وفى احدى المناسبات اظهر المسؤول عن اعمال الشركة فى اصفهان استياءه الشديد من تصرفات بعض هؤلاء التجار الامر الذى اضطر الوكيل فى بندر عباس الى الذهاب بنفسه الى اصفهان لتسوية الامر . وقد وصل الامر ببعض التجار الارمن الى محاولة اقناع الحكومة الايرانية لمنع تصدير الحرير من بندر

(36) Lorimer, p. 75.

(37) Ibid.

عباس(۳۸) . يتضح من هذا ان تشبث شركة الشرق الادنى بمصالحها في ايران ومقاومتها لتحدى شركة الهند الشرقية واخفاق الشركة الاخيرة في كسب التجار الارمن الى صفّها ، كان من العوامل الرئيسة لاخفاق السياسة التجارية التي تبناها تشايلد في ايران ، أضف الى هذين العاملين ، ان شركة الهند الشرقية نفسها فقدت حماسها للسوق الايرانية فاستمرار الاضطرابات في البلاد وتعسف الحكومة الايرانية تجاه الشركة كثيراً ما حد من تصريف الاقمشة الصوفية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم تعد الشركة بحاجة كبيرة الى الحرير الايرانى وذلك لانها استطاعت تطوير انتاج الحرير في البنغال في الهند وقد أخذ حرير البنغال يتدفق على الاسواق الانكليزية منذ بداية القرن الثامن عشر بوساطة الشركة باسعار أقل بكثير من اسعار الحرير الايرانى(۳۹) . ان قلة أكتراث شركة الهند الشرقية للسوق الايرانية وضع حدا للنزاع بينها وبين شركة الشرق الادنى لفترة من الزمن والواقع ان وضع الشركتين في ايران عاد تقريباً الى ما كان عليه قبيل سنة ١٦٩٠ واستمر بهذا الشكل الى منتصف القرن الثامن عشر وفي هذا الوقت بالذات ظهر منافس جديد لكلتا الشركتين وكان ذلك المنافس هو شركة روسيا .

ذكرنا فيما سبق ان شركة روسيا حاولت فتح باب المتاجرة بين اوربا وايران عبر روسيا منذ بداية تأسيسها في منتصف القرن السادس عشر ، وكيف ان جميع محاولاتها في هذا الشأن باءت بالفشل لقد جددت الشركة رغبتها في القيام بمثل هذه التجارة في نهاية القرن السابع عشر وتقدمت الى الحكومة الانكليزية بطلب امتياز يخولها القيام بهذا . وقد رفضت الحكومة الانكليزية هذا الطلب على أساس ان مثل هذه التجارة قد تؤدى الى تدمير تجارة شركة الشرق الادنى(٤٠) . ولكن قدر لمشروع

(38) Ibid, pp. 76-76.

(39) Bal Krishna, pp. 140-141.

(40) Lipson, The Tconomic History of Eugland, Vol, II, p. 349.

الشركة الانتعاش بعد فترة من الزمن ، فقد اظهر بطرس الاكبر وخلفاؤه رغبة كبيرة في تشجيع العلاقات التجارية بين روسيا وانكلترا . وفي سنة ١٧٣٤ عقدت معاهدة تجارية بين الحكومة الانكليزية وروسيا وجاء في احدى فقراتها ، ان الحكومة الروسية تسمح للتجار الانكليز بارسال بضائعهم من والى ايران عبر روسيا[٤١] . وقد حاول التجار الانكليز في روسيا الاستفادة من تلك المعاهدة فوفد بعضهم على ايران للتعرف على الاحوال التجارية هناك . وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين احد المغامرين الكابتن جون التن "Cap. John Elton" لقد جاء هذا الى ايران سنة ١٧٣٩ وحظى بمقابلة رضا قلي ميرزا ابن نادر شاه ، الفاتح الايراني الشهير وحاكم ايران في هذا الوقت ، وحصل منه على بعض الامتيازات للتجارة الانكليزية المزمع القيام بها عبر روسيا[٤٢]. عاد التن الى روسيا سنة ١٧٤٠ ووصف للتجار الانكليز في بطرسبرج الامكانيات الكبيرة لتطوير التجارة الانكليزية مع ايران ، وقدم بهذا الشأن مذكرة شيّقة[٤٣] الى ادوارد فنج "Edward Finch" السفير البريطاني في روسيا ، أوضح فيها أهمية القيام بمثل هذه التجارة والفوائد الكبيرة التي سيجنيها الانكليز منها خاصة فيما يتعلق ببيع الاقمشة الانكليزية الصوفية في المناطق الشمالية من البلاد وقد أكد « ان جميع الايرانيين من أعلى الطبقات الى أوطئها يحبون ويفضلون الاقمشة الصوفية الانكليزية الغالية على مصنوعات بلادهم الحريرية الرخيصة فهم مثلاً لا يلبسون مطلقاً الجواريب الا اذا كانت مصنوعة من الصوف » . وبيّن التن أهمية مدينة مشهد عاصمة نادر شاه ليس لكونها محلاً مهماً لاستهلاك الاقمشة الصوفية

J. Hanway, An Histarical Account of The British Trade over The Caspoin Sea: With a Journal of Travels Through Runsia into Persia, ete, London, 1753, Vol, I. pp. 47-48.

(42) L. Lackhart, Nadir Shah, Landon, 1938, p. 175, 287.

(43) Hanway. pp. 30-33.

فقط بل كمركز مهم ممكن ان توزع منها هذه الاقمشة الى بخارى وكابل وقندهار والهند والتبت ، كما ان تكاليف نقل الاقمشة عبر روسيا الى هذه المناطق ، أقل من تكاليف نقلها اليها بوساطة الطرق الاعتيادية التي تسلكها كل من شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى . يضاف الى كل هذه الفوائد المترتبة على بيع الاقمشة الصوفية أكد التن ان هناك حرير غيلان الذى يمكن الحصول عليه وتصديره الى اوربا عبر روسيا .

أرسل فنج هذه المذكرة الى لندن وما ان اطلعت عليها سلطات شركة روسيا حتى صممت على تبنى المشروع ووضعه موضع التنفيذ[٤٤] . وهنا هبت شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى للدفاع عن تجارتيهما في ايران في وجه هذا التهديد الجديد وكان رد فعل شركة الشرق الادنى خاصة عنيفاً جداً فحاولت شركة روسيا التفاوض معها من أجل حل مقبول لدى الشركتين وبدأت المفاوضات فعلاً بينهما حول هذا الشأن غير أنه لم يتم التوصل الى نتيجة ما واخيراً فى سنة ١٧٤١ سمح البرلمان الانكليزى لشركة روسيا بالقيام بالمتاجرة مع ايران عبر روسيا وتم ذلك فى وجه معارضة شديدة من شركة الشرق الادنى[٤٥] . وباشرت شركة روسيا اعمالها التجارية حالاً فأقامت مركزاً تجارياً فى مشهد وبدأت اقمشتها تصل الى نواع مختلفة من شمال ايران ووسطها .

اما شركة الهند الشرقية فكان رد الفعل عندها أقل من ذلك الذى بدا من شركة الشرق الادنى وذلك لان أعمالها التجارية كانت قد تقلصت كثيراً فى ايران خاصة فى الاقسام الشمالية من هذه البلاد ، فان الفوضى السياسية التى اعقبت الغزو الافغانى فى ايران سنة ١٧٢٢ حدّت الكثير من نشاط الشركة التجارى حتى أن الشركة أغلقت مقرها فى اصفهان سنة ١٧٣٥[٤٦] . اضف الى ذلك ان الشركة كانت قد اوقفت منذ زمن ليس

---

(44) Ibid.

(45) Wood, p. 146.

(46) Irdia Office, Factory Records, Persia and The Persian Gulf, Gombroon Diry, March 28, 1735.

بالقليل جميع مشترياتها من الحرير الايرانى واعتمدت على حرير البنغال في تموين أسواقهـا في اوربا اعتمـادا تاما[٤٧] ، والحقيقة ان « صـوف كرمان » كان قد حل محل الحـرير مـادة رئيسة لواردات الشركة من ايران[٤٨] . وكانت هذه المادة بعيدة عن منافسة شركة روسيا نظراً لان منطقة كرمان ، مركز تجارة هذا الصوف ، كانت قريبة نسبيا من الخليج وبعيدة من مراكز نشاط شركة روسيا ويصعب عملياً على الشركة الاخيرة تحويل تجارتها نحو الشمال .

ومهما يكن من امر فان شركة الهند الشرقية لم تقف مكتوفة الايدى تماماً تجاه تحدى شركة روسيا فما أن أخذت اقمشة الشـركة الاخـيرة تصل الى ايران حتى أعادت شركة الهند الشرقية فتح مقرها فى اصفهان وذلك فى صيف ١٧٤٢[٤٩] . وقد كتب وكيل الشـركة فى بندر عباس على اثر ذلك يقول بان اعادة المقر فى اصفهان وضع حداً لمبيعات شـركة روسيا من الاقمشة الصوفية فى هذه المدينة[٥٠] ، هذا وعندما اقترح الوكيل على رؤسائه فتح مقر تجارى آخر للشركة فى مدينة مشهد أجيب طلبه واعتبرت هذه الخطوة « وسيلة قـد يمـكن بها احبـاط مشروع شـركة روسيا »[٥١] .

---

(47) N. K. Sinha, Economic History of Bengal, Calcutta, 1956, pp. 109-111.

(٤٨) ان ما يعرف بصوف كرمان ، ما هو في الحقيقة الا شعر الماعز ٠ لقد اشتهرت هذه المادة في انكلترا بصلاحيتها لصناعة القبعات ٠ وللاطلاع على معلومات أكثر عن صوف كرمان وتجارته راجع :

W. Milburne, Oriental Cemmerce, London, 1813, Vol. I. p. 135; A. G. Raynal, A Philosophical and Political History of The Settlements and Trade of The Europeans in The East and west Indies, London, 1798, Vol. 1, p. 271.

(49) Gombroon Diary, augnst 6, 1742.

(50) Ibid. January, 29, 1744.

(15) Ibid. Letter From Bombay dated April 1744.

وعلى كل حال كان نجاح شركة روسيا محدوداً اذ تعثر مشروعها بصعوبات كثيرة منذ بدايته ، وكانت تصرفات التن الطائشة سببا رئيسا لذلك التعثر • فقد التحق التن بخدمة شركة روسيا ورجع الى ايران سنة ١٧٤٢ ولكنه بدلاً من ان يخدم مصالح الشركة شغل نفسه بمشاريع لا تمت بصلة لتلك المصالح • فقد بادر فور وصوله الى مسح الساحل الجنوبي الشرقي من بحر قزوين تلبية لرغبة نادر شاه . ولم يكتف بهذا حسب بل دخل في خدمة الشاه واخذ على عاتقه مهمة بناء اسطول ايراني في بحر قزوين ، المشروع الذي اعتبرت روسيا فيه تهديدا مباشرا لها واحتجت لدى الحكومة الانكليزية مطالبة ايقاف التن عند حده وقد انكرت شركة روسيا ان تكون لها اية علاقة بمشروع بناء اسطول ايراني في بحر قزوين وعبرت عن اعتقادها بان الانباء التي وصلت عن تصرفات التن لا تخلو من المبالغة والتهويل[٥٢] . ان أقوال الشركة هذه لم تقنع روسيا واستمرت في احتجاجها مما اضطر الشركة الى ايفاد جون هانوي "John Hanway" لمعرفة جلية الامر[٥٣] . ولسوء حظ الشركة ان هانوى أكد صحة الانباء المتعلقة بالتحاق التن بخدمة الشاه واقدامه على بناء اسطول له • وأخفقت جميع جهود هانوي لاقناع التن بترك خدمة الشاه[٥٤] • وزاد استياء روسيا واحتجاجها عندما انجز التن بناء أول سفينة لنادر شاه[٥٥] • وأخيرا نفد صبر الحكومة الروسية ففي سنة ١٧٤٦ اتخذت قراراً الغت بموجبه جميع الامتيازات الممنوحة للتجار الانكليز والمتعلقة بنقل بضائعهم من ايران واليها عبر روسيا والتي تضمنتها معاهدة سنة ١٧٣٤ وقد طلبت من جميع التجار الانكليز في روسيا تصفية اعمالهم في ايران حالاً ومن كان منهم في ايران فعليه الانسحاب فوراً من هناك اذ رغبوا في الابقاء على تجارتهم في

---

(52) Lockhart pp. 287-290.

(53) Ibid.

(54) Hanway. p. Vol, II, p. 34, 47.

(55) Lockhart. p. 287.

روسيا[٥٦] . وهكذا كانت نهاية المشروع .

ولعل آخر وجه من اوجه النزاع بين الشركات الانكليزية فى بلادنا والبلدان المجاورة هو ذلك الذى ظهر فى العقد السابع من القرن الثامن عشر بين شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى .

كان النزاع الاخير نتيجة لزيادة نفوذ شركة الهند الشرقية فى ولاية بغداد (العراق الحديث) وتهديدها لمصالح شركة الشرق الادنى • ان استمرار الاضطربات في بندر عباس وما حولها بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ اضطر سلطات شركة الهند الشرقية الى اتخاذ قرار يقضي بنقل المقر الرئيسي للشركة من الميناء الاخير الى البصرة • وتم هذا الانتقال سنة ١٧٦٣[٥٧] • وفي الوقت الذى اتخذت فيه هذه الخطوة كان قد طرأ تغير جوهرى على طبيعة الشركة فى الهند أثر تأثيراً عميقاً فى سياسة مستخدميها فى الشرق . فقد اصبحت الشركة على الرغم من احتفاظها بطابعها التجارى مؤسسة سياسية جبارة تمتلك بيدها مقدرات الجزء الاكبر من شبه القارة الهندية . ان هذا اكسب مستخدمى الشركة الكثير من الثقة بالنفس والطموح . وكانت سياستهم في البصرة مثلا لذلك • فما أن استقر المقام بوكيل الشركة فى البصرة حتى بادر الى محاولة الحصول على امتيازات جديدة من السلطان تكفل للشركة نفوذاً سياسياً وتجارياً فى الميناء[٥٨] . فقد طلب من السلطان الاعتراف بوكيل الشركة قنصلا انكليزيا في البصرة • ولم يكن لوكيل الشركة فى منطقة الخليج العربى حتى هذا الوقت اية صفة عدا كونه مستخدما لشركة الهند الشرقية . كما طلب من السلطان الاعتراف

---

(56) Ibid.

(٥٧) وللوقوف على معلومات أوفر حول تطور الاحداث في الخليج العربي بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ راجع :

Abdul Amir Amin British intrests in The Persian. Gulf 1747-1778, (Unpublished Ph. D. Dissetation, University of Maryland, 1962).

(58) Ibid. p. 136.

بالبصرة ميناءاً مشمولاً بالامتيازات الاجنبية "Capitulations"
وذلك انه على الرغم من وجود مقر دائم لشركة الهند الشرقية فى البصرة منذ سنة ١٧٢٣ ، فان الميناء لم يعترف به رسميا على انه مشمول بهذه الامتيازات.
وتقدم الوكيل بهذه الطلبات الى السلطان بوساطة هنرى كرنفل "H. Grenville" السفير الانكليزى فى القسطنطينية وبعد كثير من الصعوبات والمفاوضات الطويلة التى كلفت الشركة كثيراً من المال نجح السفير فى الحصول على براءة قنصلية "Consulary Berat" من السلطان فاعترف الاخير بموجبها بوكيل شركة الهند الشرقية قنصلا انكليزيا في البصرة وبالبصرة ميناء مشمولا بالامتيازات الاجنبية(٦٠) ، وقد أرسل السفير هذه البراءة الى وكيل الشركة مع كتاب وصف فيه للوكيل الجهود التى بذلها للحصول عليها وعبّر عن أمله بأن تحقق للشركة فوائد جلى(٦١) .
ومع أن هذه البراءة لم تكن تحتوى على امتيازات تجارية مهمة جديدة للشركة فانها كانت ذات أهمية سياسية خاصة . فلأول مرة يصبح وكيل الشركة فى منطقة الخليج العربى ممثلاً للحكومة الانكليزية بالاضافة الى وظيفته ممثلاً لشركة الهند الشرقية . ان هذا عزز مركز الوكيل وزاد من اعتباره فى اعين السلطات التركية في ولاية بغداد . وبالتالى كانت عاملاً من عوامل تقوية النفوذ الانكليزى فى هذه الولاية .

ولعل أكثر من هذه البراءة أهمية فى تقوية هذا النفوذ ضعف الاتراك فى البصرة وحاجتهم الماسة لمساعدة الانكليز ، وذلك لتزايد قوة قبيلة كعب

---

(٥٩) ذلك الصنف من الاتفاقيات التجارية التي عقدتها الدول الاوربية مع البلدان الآسيوية والافريقية والتي أصبح للاوربيين بموجبها امتيازات اقليمية خاصة في هذه البلدان .

J. C. Hwrewitz. Diplomacy in The Near and Middle East, New York, 1958. Vol, I, p. 1.

وقد سبق للانكليز وان حصلوا على مثل هذه الامتيازات من السلطات سنة ١٩٥٣ Hakluyt Vol, I. p. 36.

(60) Factory Records, Persia and The Persian Gulf, Vol, 16.

(61) Ibid, Letter From Grenville to the East India Company's aqent at Basrah, April, 5, 1764.

تحت قيادة شيخ سلمان وتهديدها المستمر للبصرة . والواقع ان الاتراك بين سنة ١٧٦٣ و سنة ١٧٧٣ كانوا معتمدين اعتماداً كلياً على اسطول شركة الهند الشرقية في الدفاع عن البصرة في وجه اسطول كعب القوي[٦٢] . ان هذا أدى الى ازدياد النفوذ الانكليزي بشكل لم يسبق له نظير من قبل . وهذا بدوره شجع مستخدمي شركة الهند الشرقية على التدخل في الشؤون الداخلية لولاية بغداد . وارادوا من وراء ذلك تعزيز مركز الشركة التجاري في الولاية ، وليس أحسن مثلاً على سياسة مستخدمي الشركة هذه من تدخلهم سنة ١٧٦٤ في أمر خطير كاختيار الوالي ومحاولتهم عرقلة التجارة القادمة الى بغداد عبر الصحراء ، تلك التجارة التي كان لشركة الشرق الادنى مصالح حيوية فيها • فبعد عزل علي باشا سنة ١٧٦٤ وبقاء كرسي الباشوية شاغراً توسط وكيل الشركة لدى السلطان لتعيين متسلم البصرة (والي البصرة) آنذاك محمد كهيه ، واليا لولاية بغداد أو فصل البصرة عن ولاية بغداد وجعلها ولاية مستقلة • وقد اعتقد الوكيل بأنه في الحالة الاولى سوف لا ينسى الوالي الجديد فضل الشركة عليه وفي الحالة الثانية سوف يستطيع الانكليز زيادة سيطرتهم على شؤون البصرة ، ولم ينجح الوكيل في مسعاه فقد عين السلطان عمر باشا والياً لولاية بغداد ومن ضمنها البصرة[٦٣] . ان فشل الوكيل دفعه الى محاولة اقامة علاقات مباشرة مع عمر باشا الوالي الجديد وتوطيد النفوذ الانكليزي عن طريقه • لذلك قرر تأسيس مقيمية "Resideny" للشركة في بغداد وعين روبرت كاردن "Resident" احد مستخدمي الشركة في البصرة مقيما هناك • وأعطى كاردن تعليمات مفصلة حول كيفية ادارة شؤون المقيمية[٦٤] • لقد اوصى بان يكوّن علاقات شخصية مع عمر باشا وان يراقب بدقة الاحداث الجارية في بلاطه وأهم من هذا ، ان يبذل كل ما في وسعه

(٦٢) للوقوف على الدور المهم الذي لعبته قبيلة كعب في تاريخ منطقة الخليج العربي في هذا الوقت بالذات راجع : Amin, Chapters, 4-5.

(63) Ibid.

(64) Ibid, pp. 137-140.

من جهـــد لحمل الباشا على وضع حد لتجـــارة شركة الشرق الادنى وتجارة بقيـــة الاوربيين عبـــر الصحراء • لقـــد جاء هـــذا التهديد لمصالح شركة الشـرق الادنى فى وقت كانت الشركة تمـر فيه بظـروف دقيقـــة ، هي أحوج ما تكون فيها الى تأمين تجارتها هـــذه ، فقد كانت تواجه منافسة شـديدة فى حلب والقسطنطينية وازمـير من بقية التجـــار الاوربيين خاصة الفرنسيين ، اذ أصبح باستطاعة هؤلاء حمل كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية الى الشرق وذلك لسلامة النقل فى البحر الابيـض المتوسط بعد انتهاء حرب السبع سنوات ١٧٥٦ - ١٧٦٣[٦٥] •

لقد وجدت الشركة ملاذاً من هذه المنافسة في بغداد • فقد قدر سنة ١٧٦٧ انه ما يقارب من ٦٠٠ رزمة من الاقمشة الصوفية تعود معظمها الى شركة الشرق الادنى ، قد حملت الى بغداد عبر الصحراء[٦٦] • من هذا يتضح خطورة سياسة مستخدمي شركة الهند الشرقية بالنسبة لمصـالح شـركة الشرق الادنى فى ولاية بغداد . ان موقف شركة الشرق الادنى من هذه السياسة كان حازماً . انها لم تناقش حق شركة الهند الشرقية فى الحصول على هذه الامتيازات الجديدة فى هذا الجزء من الامبراطوريـة العثمانيـة فحسب ولـكنها ناقشت أيضاً حـق تلك الشـركة فى المتاجرة فى منطقة الخليج العربي بصورة عامة وفي البصرة بصورة خاصة وقد اثارت لذلك ادعاءها القديم بان المنطقة برمتها تقع ضمن مجالها التجاري • لقد كان النزاع بين الشركتين عنيفاً • والفت لجنة خاصة تضم أعضاء من كلتا الشركتين لتسوية الخلاف ، ولكن اللجنة لم تتوصل الى نتيجة واضحة[٦٧] • هذا ومع ان شركة الهند الشرقية دافعت عن حقها في الحصول على امتيازات جديدة في ولاية بغداد

---

(65) Abdul-Karim Gharaybey, English traders in Syria, 1747-1791 (Unpublished ph. D. Dissertation, University of London 1950), p. 170.

(66) India office, Bombay Public Consultation. Vol, 28, Letter From Basra April 18, 1765.

(٦٧) للاطلاع على تفاصيل هذه المفاوضات راجع :
Factory Records, Pevsia and The Persian Gulf, Vol, 21.

وأعادت تأكيدها على حقها في المتاجرة في البصرة وفي منطقة الخليج العربي فانها ارادت ان تتجنب بقدر المستطاع المشاكل مع شركة الشرق الادنى اذ أن تطور الخلاف بين الشركتين قد يؤدى الى تدخل الحكومة الانكليزية وخلق مصاعب هما فى غنى عنها . لهذا أمرت مستخدميها فى الشرق بتجنب كل ما يثير النزاع مع شركة الشرق الادنى وأوصتهم بان لا يتقدموا الى السلطان بطلب اى امتيازات جديدة وأمرت الوكيل بعدم قبول البراءة القنصلية والاحتفاظ بوظيفته كمستخدم لشركة الهند الشرقية فقط ، وامرته كذلك بسحب المقيم الانكليزى من بغداد حالاً(٦٨) ، والظاهر ان شركة الشرق الادنى اقتنعت بهذه الاجراءات اذ لم يثر الخلاف مرة اخرى .

وكان ذلك خاتمة للنزاع بين شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى والواقع ان الربع الاخير من القرن الثامن عشر شهد تدهوراً خطيراً فى تجارة الشركتين فى منطقة الخليج العربى وايران والامبراطورية العثمانية ، فقدت منطقة الخليج العربى وايران الكثير من أهميتها التجارية بالنسبة لشركة الهند الشرقية حتى ان الشركة اتخذت قراراً سنة **١٧٧٧** بسحب جميع مستخدميها من البصرة وغلق مقرها التجارى هناك ولم تعدل عن قرارها هذا الا بعد نشوب الحرب بين انكلترا وفرنسا (حرب الاستقلال الامريكية) وامتداد نار الحرب بين الدولتين الى الهند ، الامر الذى أدى الى ابقائها على بعض مستخدميها فى البصرة وذلك للاشراف نقل الرسائل من والى الهند عبر الصحراء عن طريق بصرة ـ حلب ـ قسطنطينية(٦٩) . ولم تكن شركة الشرق الادنى بأسعد حالاً من غريمتها ، فان تجارتها هى الاخرى تقلصت فى جميع الارجاء التى اعتادت الشركة المتاجرة معها .

---

(68) India office, Despatches to Bombay, Letter to Bombay, dated March 22, 1760.

(69) Amin, pp. 180-190.

الاشتراكية والتفاوت الاقتصادي

الدكتور عبدالرسول سلمان
مدرس في قسم الاقتصاد

من الاهداف الرئيسة التي تسعى الى تحقيقها الحركات الاشتراكية في العالم ـ ومن جملتها الاشتراكية العربية ـ هو تقليص التفاوت الاقتصادي في توزيع الدخول والثروة بين ابناء المجتمع الواحد[1] . ولا يمكن لاي نظـام اقتصادي ان يسمى نظاماً اشتراكياً ما لـم يسع الى تحقيق هـذا الهدف[2] .

ان الاشتراكية لا تقضي كلياً على التفاوت الاقتصادي وتجعل افراد المجتمع كافة يستلمون دخولاً متساويـة[3] . بل انهـا تهدف الى تقليل

---

(١) يقصد بالتفاوت الاقتصادي التفاوت في كل من الدخول والثروة . ولـكن لما كان التفاوت في الدخول يتولد بصورة خاصة عن التفاوت في الثروة . لذا فحينما نتكلم عن التفاوت في الدخول نقصد بذلك ضمنيـا التفاوت في الثروة أيضا .

(٢) انظر كتاب Comparative Economic Systems لمؤلفـه RALPH H. BLODGETT مثـلا صـفحة ٦٢٤ وصفحة ٤٢ وكتـاب Economic Systems لمؤلفـه GEORGE N. HALM صفحة ٢٤٠ .

(٣) لا يمكن للاشتراكية ان تساوي بالدخول بين افراد المجتمع الواحد وذلك للاسباب التالية :

١ ـ ضرورة توزيع العمال والموظفين على مختلف الاعمال في القطر والتي تختلف عن بعضها البعض من حيث صعوبتها وسهولتها لذا فأن من الضروري وضع مكافأة (أجور ورواتب) مختلفة تتناسب مع طبيعة هذه الاعمال . فلو كانت هذه المـكافآت متساوية أو متقاربة لرأينا تهافتا كبيرا على الاعمال السهلة وغير المرهقة ولابتعد المستخدمون عن الاعمال الصعبة والمرهقة . فيجب ان يكون الاجر على قدر المشقة .

٢ ـ ثم هناك الاختلاف في القابليات بين الافراد ـ الطبيعية والمكتسبة منها ـ والتي تولد اختلافا في المهارة والـكفاءة في العمل لذا فلا يمكن المساوات بين كافة الافراد من حيث الاجور والرواتب بل وجب اعطاء اجور ورواتب مختلفة تتناسب مع كفاءة ومهارة كل منهمـا والا تقاعس ذوي الـكفاءة والمهارة العالية عن أداء أعمالهم على الوجه المؤمل . وربما لما سعى احد الى تطوير قابلياته ما دام الاجر في الاخير لا يتغير .

هذا التفاوت بينهم وتجعل الفرق او النسبة بين الحــدين الادنى والاعلى للدخول على اقله . ان مقدار هذا الفرق أو مقدار النسبة بين هذين الحدين للدخول فى قطر مـا يتوقف بصــورة خاصة على الفلسفة الاقتصاديــة أو النظام الاقتصادي القائم في ذلك القطر ومدى اندفاع ذلك القطر في فلسفة هذه . فاذا تمكن قطر ما من تقليل هذا التفاوت بين فترة واخرى فيمكننا ان نقول ان ذلك القطر كان قد اتجه نحو الاشتراكية او انه اتخذ بعض الاجراءات الاشتراكية التى ادت الى تقليص هذا التفاوت .

فمثلاً لو فرضنا انه فى عام **١٩٥٠** كان الفرق بين العشر الادنى من ذوى الدخول الواطئة والعشر الاعلى من ذوى الدخول العالية فــى قطر ما هو ١ الى ١٠٠ . ثم ان هذا الفرق أصبح فى عام **١٩٦٠** مثلاً ١ الى ٥٠ فحينئذ نقول ان التفاوت فى الدخول فى هذا القطر كان قــد تقلص وان هذا القطر كان قد اتخذ بعض الاجراءات الاشتراكية لتقليل ذلك التفاوت .

ولــكن يجب ان لايتبادر الى الذهن ان تقليص التفاوت الاقتصادى يؤدى دائماً الى زيادة الدخول الواطئة على حساب الدخول العالية . ان تقليل التفاوت بين الحد الاعلى والحــد الادنى للدخول قــد يتخذ احــد الاشكال التالية .

١ ــ زيادة الدخول الواطئة وتقليل الدخول العالية .
٢ ــ زيادة الدخول الواطئة مع بقاء الدخول العالية كما كانت سابقاً .
٣ ــ زيادة الدخول الواطئة مع زيادة الدخول العالية بنسبة اقل من زيادة الدخول الواطئة .

ثم ان تقليل التفاوت الاقتصادى يمكن ان يتخذ اشكالاً اخرى والتى لا يمكن لاى قطر اتباعها وهى :

١ ــ **تقليل الدخول العالية والواطئة** ولــكن تقليل الدخول الواطئة بنسبة أقل من الدخول العالية .

٢ ـ تقليل الدخول العالية وبقاء الدخول الواطئة كما كانت سابقاً .

ان الهدف الرئيس الآخر الذى تسعى الى تحقيقه كافة النظم الاقتصادية هو زيادة الانتاج القومى فى القطر أو زيادة البضائع والخدمات المتوفرة للاستهلاك بالنسبة الى افراد القطر . أو بعبارة أخرى زيادة معدل الدخل الفردى فاذا تمكن قطر ما من تقليل التفاوت الاقتصادى وبنفس الوقت رافق تلك زيادة فى الدخل الفردى فيكون ذلك القطر قد احرز هدفين رئيسين فى وقت واحد . ولكن هل يمكن ان يكون ذلك ؟ ان الاجابة على هذا السؤال سيأتى فيما بعد .

ثم ان السؤال المهم الآخر الذى دائماً يثار فى هذا الخصوص هو هل يمكن تحقيق التقليل فى التفاوت الاقتصادى دون التعرض للحريات الاقتصادية في التوفير والاستثمار والعمل والاستهلاك أو بعبارة أخرى هل يمكن تحقيق ذلك دون التعرض لحرية الحافز الفردي؟ فهنا يبدأ الخلاف بين الجانبين الاشتراكي والرأسمالي . وان كان كلاهما يعتقد انه لا يمكن الوصول الى هذا الهدف دون التعرض لهذه الحريات . الا ان الخلاف يتأتى من اعتقاد الجانب الاشتراكى ، من ان تحقيق هذا الهدف هو افضل من هذه الحريات اى انه مستعد للتضحية بهذه الحريات فى سبيل تحقيق هذا الهدف . اما الجانب الاخر فيعتقد ان هذه الحريات هى افضل من المنافع التي قد تجنى من تحقيق هذا الهدف أي انه غير مستعد الى التضحية بهذه الحريات فى سبيل تحقيق الهدف المنشود . الا ان الكثير من الاقطار الرأسمالية ومن جملتها أمريكا اخذت تتقبل اخيراً فكرة تحديد هذه الحريات لا التضحية بها فى سبيل تحقيق بعض التقليل فى التفاوت الاقتصادى وسلكت طريقاً يختلف عن الطريق الذى سلكته بعض الاقطار الاشتراكية مثل الاتحاد السوفيتي وفيما يلى سنقارن بين هذين القطرين من حيث التفاوت الاقتصادى فيهما والطريق الذى سلكه كل منهما فى سبيل التقليل من هذا التفاوت .

المقارنة بين التفاوت في توزيع الدخول في الاتحاد السوفيتي وفي امريكا وطرق معالجتــه :

ان الدخول فى امريكا وفى غيرها من الاقطار الرأسمالية عـادة تُستلم على شكل واحد أو أكثر من الاشكال التالية :

١ ـ اجور ورواتب تستلم من قبل العمال والموظفين .

٢ ـ ريع يستلم من قبل اصحاب المواد الاولية أو الطبيعة .

٣ ـ فائدة تستلم من قبل اصحاب رأس المال .

٤ ـ ربح يستلم من قبل أصحاب المشروع أو المنظمين .

اما فى الاتحاد السوفيتى فأن الدخول عادة تستلم على شكل واحد وهي أجور أو رواتب • ولـكن هناك من يستلم فائدة بنسبة قليلة ونطاق ضيق وذلك عن القروض الحـكومية . اما اشكال الدخول الفردية الاخرى من ريع وربح وفائدة فأنها معدومة تماماً فى الاتحاد السوفيتى(٤) . فيمكننا ان نقول بما ان كافة الافراد فى الاتحاد السوفيتى يستلمون دخولهم على شكل اجور ورواتب لذا فان كافة الافراد العاملين فى هذا القطر هم اما عمال أو موظفين .

ان الملـكة الخاصة فى وسائل الانتاج (مثل المكائن والمعدات والمناجم والمزارع والعمارات .. الخ) هى المصدر الاساسى للتفاوت الاقتصـــادى والذى يؤدى باصحابها الى استلام دخولاً على اشكال أخرى غير الاجور والرواتب وبما ان الاشتراكية تسعى الى تأميم الملـكيات الخاصة فى وسائل الانتاج لذا فأنها تقضى على الدخول التى تتأتى عنها بعـد ان يتم تأميمهـا وتحويلها الى ملـكيات عامة .

ان تاميم الملـكيات الخاصة وتحويلها الى ملـكيات عامة كان قد نُفّذ فى الاتحاد السوفيتى بعد الثورة الاشتراكية فى عـام **١٩١٧** . ان هـذه الطريقة أى طريقة التاميم هى الوسيلة التى اتبعتها الثورة فى تقليل التفاوت

---

(٤) انظر كتاب R. H. BLODGETT الذي سبق ذكره صفحة ٤٠٤ .

الاقتصادی فی الاتحاد السوفیتی وتمكنت بهـا من تقليـص التفاوت كثيراً بالنسبة لما كان عليه من قبل .

ان الحـكومة السوفيتية ارادت فی بادیء الامر ان لا يكون التفاوت بين الحد الادنى والحد الاعلى للدخول يزيد عن نسبة ١ الى ٣ . الا ان هذه النسبة بين الحدين الادنى والاعلى لم تتحقق بل ان هذه النسبة كانت اكثر من ذلك بكثير كما انها اخذت تتسع بمرور الزمن . فمثلاً فی عام **١٩٣٢** كانت النسبة بين الحدين الادنى والاعلى للدخول هى ١ الى ١٠ وفى عام **١٩٣٧** كانت النسبة ١ الى ١٢ وفى عام **١٩٣٨** كانت النسبة ١ الى ١٨ . ان بعض الاحصائيات تبين ان هذه النسبة قد وصلت فى خلال السنين الاخيرة الى حوالى ١ الى ٦٤[٥] .

ان هذا التباين فى الدخول فى الاتحـاد السوفيتی يعبر عـن التباين النقدی فی الدخول فقط ولا يشمل قيم الخدمات الاجتماعية التى تقدمهـا الدولة لمواطنيها . فاذا اضفنا قيم هذه الخدمات الى الدخول النقدية واذا افترضنا ان نصيب ذوى الدخول الواطئة من هذه الخدمات هی اكثر من نصيب ذوى الدخول العالية منها لتبين لنا ان هذا التباين فى الدخول هـو أقل مما ذكرنا . الا ان بعض النقاد يعتقد ان الخدمات الاجتماعية التى تقدم الى ذوى الدخول العالية هى اكثر من الخدمات التى تقدم لذوى الدخول الواطئة . فاذا صح ذلك واضفنا قيم هذه الخـدمات الى الدخول النقديـة لأصبحت نسبة التفاوت في الدخول أكثر مما ذكرنا .

أما فى امريكا فان التفاوت فى الدخول بين الحدين الادنى والاعلى هو أكثر بكثير عما هو فى الاتحاد السوفيتى . فمثلاً ان بعض الافراد فی أمريكا يستلمون دخلاً يزيد على المليون دولار فی السنة بينما هناك افرداً يستلمون دخلاً يقل عن ٥٠٠ دولار فی السنة . أی ان النسبة بين هذين الدخلين تزيد عن ١ الى ٢٠٠٠[٦] هذا مع العلم ان التفاوت فی الدخول

(٥) انظر نفس الـكتاب السابق صفحة ٤١٤ و٤١٥ .

(٦) انظر نفس الـكتاب السابق صفحة ٣٨٥ .

اخذ في التقلص في امريكا خلال السنين الاخيرة عما كان عليه سابقاً . وان هذا التقارب النسبي في الدخول كان قد حدث لا على حساب الدخول العالية بل حدث بسبب زيادة الدخل القومي والدخل الفردي واستيعاب هذه الزيادة من قبل أصحاب ذوي الدخول الواطئة .

فمنذ منتصف القرن التاسع عشر اخذ الدخل الفردي في أمريكا في الارتفاع وفي نفس الوقت اخذ اصحاب الدخول الوطئة يستلمون دخولاً حقيقية اعلى مما كانوا يستلمون من قبل اى قبل منتصف القرن المذكور . فمثلاً ان الدخل الفردي الحقيقي في امريكا كان قد ارتفع في عام ١٩٥٠ الى ضعف ما كان عليه في عام ١٩٠٠ ، وكان في عام ١٩٠٠ ضعف ما كان عليه في عام ١٨٥٠[٢] . ان هذه الزيادة في معدل الدخل الفردي الحقيقي كان مصحوباً بتقليل ساعات العمل ايضاً . فان ساعات العمل في الزرعة كانت قد انخفضت من معدل ٧٢ ساعة في الاسبوع في عام ١٨٥٠ الى معدل ٤٨ ساعة في الاسبوع في عام ١٩٥٠ . اما في الاعمال غير الزراعية فان ساعات العمل كانت قد انخفضت من معدل ٦٦ ساعة في الاسبوع في عام ١٨٥٠ الى معدل ٣٩ ساعة في عام ١٩٥٠ . لذا فان الفرد في امريكا كان قد ربح من جراء زيادة معدل دخله الحقيقي ومن تقليل ساعات العمل . هذا وان التفاوت في الدخول كان قد تقلص عما كان عليه سابقاً[٧] .

ان تقليص التفاوت في الدخول في امريكا (وان كان قليلاً) فقد حدث بطريقة تختلف كل الاختلاف عن الطريقة التي اتبعت في الاتحاد السوفيتي . فبينما اتبع الاتحاد السوفيتي طريقة التأميم لتقليل التفاوت الاقتصادي نرى أمريكا اتبعت طريقة الضرائب (التصاعدية والتركات) بصورة رئيسية لتقليل هذا التفاوت .

فان الدولة شرعت تأخذ نسبة أكبر من الدخل القومي بواسطة

---

(٧) انظر كتاب Compartive Economic Systems لمؤلفه W. Loucks صفحة ٥٠ .

الضرائب التصاعدية وتعيد توزيعه أو صرفه على ذوى الدخول الواطئة على شكل خدمات اجتماعية مختلفة . فمثلاً فى سنة ١٩٥٥ ان العائلة التى كانت تتألف من زوج وزوجة وطفلين وتستلم دخلاً مقداره (٥٠٠٠) دولار فقد كانت تدفع ضريبة تساوى ٤٠٠ دولار أو ٨ر٥ بالمائة من دخلها . بينما عائلة مماثلة تستلم دخلاً يساوى (١٠٠٠٠٠) دولار فى السنة فقد كانت تدفع ضريبة تساوى ٢ر٥١ بالمائة من دخلها . وعائلة مماثلة تستلم دخلاً مقداره (٥٠٠٠٠٠) دولاراً كانت تدفع ضريبة تساوى ٣ر٨٠ بالمائة من دخلها[٨] . ان هذه الضرائب التي تستلمها الدولة من ذوي الدخول العالية تعود هي بدورها فتوزعها على الخدمات الاجتماعية التي ينال القسط الاكبر منها ذوى الدخول الواطئة .

ثم هناك ضرائب الارث التى وضعتها الحكومة الامريكية فى السنين الاخيرة والتي بواسطتها أخذت الحكومة تستلم نسبة كبيرة من تركات الافراد ذوى الدخول العالية وتقوم بتوزيع ذلك ايضاً على ذوى الدخول الواطئة بشكل خدمات اجتماعية وهذا اجراء آخر قامت به الحكومة الاميركية لتقليل التفاوت الاقتصادى .

هذا بالاضافة الى الدور الكبير الذى لعبته النقابات العمالية التى اخذت تستعمل سلاح المساومة الجماعية فى تقليل ساعات العمل ورفع الاجور الحقيقية للعمال اذ تمكنت من الحصول على معظم المكاسب التي تتولد عن زيادة انتاجية العمل كما انها عقدت اتفاقيات مع أصحاب الاعمال لرفع الاجور بنفس النسبة التى ترتفع بها تكاليف المعيشة . ان رفع الاجور الحقيقية للعمال معناه رفع هذه الطبقة من ذوى الدخول الواطئة الى الاعلى وتقليص التفاوت بينها وبين ذوى الدخول العالية .

طريقة أخرى لمعالجة التفاوت الاقتصادي :

فمن هذا العرض السريع لتقليص التفاوت الاقتصادى فى الدخول

---

(٨) انظر نفس الكتاب السابق صفحة ٤٩ .

في الاتحاد السوفيتي وفي امريكا نلاحظ ان كلاً من هذين القطرين كان قد سلك أو اتبع طريقاً يختلف عن الآخر في تحقيق هذا الهدف .

فالاتحاد السوفيتي كان قد اتبع طريقة التأميم الكلي للملكية وسائل الانتاج . بينما نرى امريكا كانت قد اتبعت بصورة رئيسية طريقة الضرائب (التصاعدية والتركات) ولم تسلك طريق التأميم سواء كان الجزيء منه أو الكلي .

ثم هناك طريقة ثالثة تقع وسط بين هاتين الطريقتين وهي تأميم بعض ملكيات وسائل الانتاج أو الملكيات الكبيرة وجعلها ملكيات عامة وترك ملكيات وسائل الانتاج الصغيرة غير مؤممة أي ملكيات خاصة . وبنفس الوقت اتباع طريقة الضرائب التصاعدية والتركات . أي توليد قطاعين في الانتاج والتملك قطاع عام وقطاع خاص مع الضرائب التصاعدية والتركات في القطاع الاخير كما هو الحال الان في بعض الاقطار الاوربية مثل انكلترا والسويد ...

فاذا سُلك هذا الطريق الاخير لتقليل التفاوت فعلى الدولة في مثل هذه الحالة تشجيع القطاع الخاص وان تسعى الى افهام العاملين في هذا القطاع بأنه سيبقى قطاع خاص وسوف لا يناله التأميم في أي حال من الاحوال . وان تستمر الدولة في بث روح الثقة بين اصحابه وافهامهم ان قطاعهم هذا ضروري جداً الى القطاع العام كالزوج والزوجة لا يمكن لاحدهم ان يسعد دون الآخر على حد قول البروفسور دبيلو . بي . رايداوي[٩] .

اما اذا تسربت فكرة التأميم اليهم أو انتابتهم الريبة في نية الحكومة نحوهم فان ذلك سيؤدي حتماً الى اضعاف القوى الانتاجية في هذا القطاع بصورة خاصة وفي القطر بصورة عامة وربما ادى ذلك الى توقف الانتاج

---

(٩) وذلك في محاضرة نشرت له تحت عنوان « التقدم الاقتصادي في البلدان المتخلفة » من قبل اتحاد الصناعات العراقي في كانون الثاني سنة ١٩٦٣ .

كلياً في بعض المجالات . اذ ان المنتج الذى يشعر أو يعتقد ان ملكيته فى وسائل الانتاج سوف تؤمم عما قريب فان هذا المنتج سيتقاعس عن تحسين أو تجديد وسائل انتاجه هذه او انه قد يتقاعس حتى عن ادامتها أو صيانتها . ومن المتوقع ان كافة الاستثمارات في القطاع الخاص سوف تتوقف تلافيا لتأميمها .

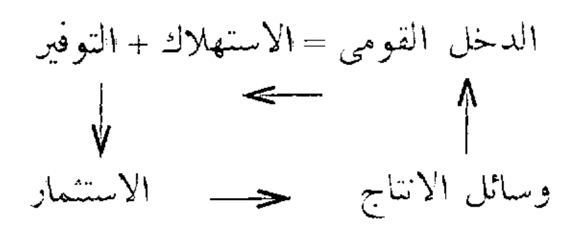
ثم ان اصحاب رؤوس الاموال سيحاولون تهريب أموالهم الى خارج القطر واستثمارها هناك فى مشاريع اجنبية . وحتى ان اصحاب وسائل الانتاج سيحاولون بيع ملكياتهم ان امكن بيعها حتى لو بسعر بخس يقل كثيراً عن سعرها الحقيقى وتهريب اثمانها الى الخارج وذلك خوفاً من التأميم . هذا وان مدى الارتباك الاقتصادى الذى سيتولد سوف يعتمد عما اذا أُعتقد ان التأميم اذا تسرب الى القطاع الخاص هل ان الحكومة سوف تصادر هذه الملكيات من غير تعويض عنها أم انها ستدفع تعويضاً عن ذلك . ثم اذا دفع تعويضا عن وسائل الانتاج المؤمم فهل ان هذا التعويض هو تعويض كامل يساوي القيم الحقيقية لوسائل الانتاج المؤممة أم ان هذا التعويض هو تعويضا جزئيا يساوي بعض قيم وسائل الانتاج المؤممة . ان هذا الارتباك بلاشك سوف يكون على اشده اذا اعتقد ان التأميم سوف يكون بلا تعويض او ان تعويضاً جزئياً سوف يدفع بدل وسائل الانتاج المؤممة . اما اذا كان التعويض كاملا أي انه مساويا الى القيم الحقيقية لوسائل الانتاج المؤممة فحينئذ يكون الارتباك على اقله .

تقليل التفاوت الاقتصادي وتأثيره على الدخل القومي :

لقد اثرنا سؤالاً سابقاً لم نجب عليه حتى الان وهو هل يمكن تقليل التفاوت الاقتصادى وفى نفس الوقت زيادة الدخل القومى أو معدل الدخل الفردى ؟ ونرى الان ان نجيب عليه كما يلى :

لكى يتمكن قطر ما من زيادة دخله القومى فعليه ان يزيد من كميات وسائل الانتاج التي في حوزته ولكن من الناحية الاخرى ان زيادة وسائل الانتاج تعتمد بدورها على زيادة الاستثمار الذى يتأتى عن زيادة التوفير

وان زيادة التوفير تتطلب زيادة في الدخل القومي هذا وان الدخل القومي كما نعلم عادة يوزع بين الاستهلاك والتوفير ولكي نزيد التوفير علينا ان نزيد الدخل القومي[١٠] . لذا فاننا نرى ان هناك **علاقة دائرية بين هذه العوامل** يعتمد كل منهما على الاخر . كما موضح فى ادناه .



ولاشك بانه فى البلدان المختلفة اقتصادياً مثل العراق ان القسم الاكبر من الدخل القومى عادة يذهب للاستهلاك ولا يوفر منه الا الجزء القليل . اذ ان اقتصادنا عادة يسمى : كما يقال في اللغة الانكليزية "From Hand to Mouth Econony" أى اقتصاد « من اليد الى الفم » .

ان هذا الجزء الصغير الذى يوفر ويستثمر من دخلنا القومى عادة يقوم به اصحاب الدخول العالية . اذ انهم هم وحدهم الذى يزيد دخلهم عما يستهلكون . عدا بالطبع استثمار الدولة الذى يكوّن جزءً كبيراً من الاستثمار الكلى ... اما ذوى الدخول الواطئة فلاشك من ان دخولهم لا تكاد تكفى لسد ما يستهلكون فلا نتوقع منهم ان يوفروا شيئاً من دخولهم . لذا فان مهمة التوفير يقوم بها ذوى الدخول العالية وحدهم . وانهم يقومون بالاستثمار وتكوين رأس المال (وسائل الانتاج) والذى بدوره يزيد فى الدخل القومى كما بينا آنفاً .

فاذا حاولنا تقليل التفاوت الاقتصادى بأخذنا قسماً من دخول ذوى الدخول العالية وتوزيعه على ذوى الدخول الواطئة فاننا بعملنا هذا سنقضى على قسم كبير من التوفير والاستثمار وتكوين رأس المال الذي كان يقوم به

---

(١٠) انظر كتاب "General Theory" الى J. M. Keynes فان الكتاب كله يدور حول هذا الموضوع .

سابقاً ذوى الدخول العالية . ثم ان ما سيستلمه ذوى الدخول الواطئة من زيادة في دخلهم هو شيء يسير ويستهلك مع بقية ما يستلمون . لذا فمن المتوقع ان ينخفض الدخل القومي عما كان عليه سابقا ويؤدي عملنا هذا في تقليل التفاوت الاقتصادى الى افقار البلد أكثر من ذى قبل . اذ أن اشتراكيتنا هذه وان كانت قد ادت الى تقليص التفاوت الاقتصادى وحققت هدفاً رئيساً من اهدافها الا انها قضت على تحقيق هدفٍ رئيسٍ آخر الا وهو زيادة الدخل القومى للقطر اذ انها ادت الى تقليله . فيكون مثلنا هنا مثل المستجير من الرمضاء بالنار • أردنا الهروب من الفقر فاذا بنا أشد فقرا من ذي قبل •

اما اذا قلنا ان الدولة نفسها قد تأخذ على عاتقها زيـادة الاسـتثمار عوضاً عن ذوى الدخول العالية وذلك من الضرئب التى تسلمتها منهم . فهنـا نتسائل أي استثمار أكثر كفاءة ، هـل هو الاستثمار الخـاص أم الاستثمار العام ؟ فلاشك فان الاستثمار الخاص هو أكثر كفاءة من الاستثمار العام . (وذلك لاسباب لا يسعنا شرحها هنا) . ثم ان زيادة الاستثمار العام على حساب القطاع الخاص معناه اضعافاً لهذا القطاع وزعزعة الثقة فـى نية الدولة نحو القطاع الخاص • هذا واننا نتقبل في الوقت الحاضر فكرة تقليل التفاوت بواسطة ضرائب معتدلة مع استثمار هذه الضرائب استثمارا صحيحاً مع بقية ما تستلمه الدولة من أموال من مصادر أخرى مثل واردات النفط والقروض الاجنبية • اذ انذلك أسلم وأفضل من تقليل التفاوت بواسطة التأميم أو بواسطة ضرائب عالية مع اعادة توزيعها على ذوي الدخول الواطئة لاستهلاكها من غير ان يأخذ بنظر الاعتبار تأثير ذلك على الدخل القومي والحريات الاقتصادية .

ان النتيجة المهمة التي تخرج منها في بحثنا هذا هو ضرورة المحافظة على القطاع الخاص وعدم شله وذلك للنشاطات الاقتصادية الواسعة التى يمكن ان يقوم بها هذا القطاع لصالح القطر وللقوى الانتاجية الـكبيرة التى يمكن ان تنطلق منه فيما لو بقى قوياً مصاناً .

أما فى الاقطار المتطورة اقتصادياً فالامر هناك يختلف عما هو عليه فى

البلدان المتخلفة . اذ ان معدل الدخل الفردي في هذه الاقطار هو أكبر بكثير عما هو عليه في البلدان المتخلفة اقتصاديا ويكون باستطاعة نسبة كبيرة من الافراد من التوفير . اذ ان دخولهم عادت لا تستهلك كلها كما هو الحال في البلدان المتخلفة بل انها تزيد عما يستهلكون . ولذلك يكون في الامكان استثمار هذا الجزء من الدخل الذي يفيض على الاستهلاك . فاذا حاولت الدولة في الاقطار المتطورة اقتصادياً من تقليل دخول ذوى الدخول العالية فان هذا العمل سوف لا يؤثر كثيرا على الاستثمار اذ ان الاموال التى تستثمر فى هذه البلدان ترد من كافة الطبقات الاقتصادية أى انها ترد من ذوى الدخول العالية والدخول المتوسطة وحتى من ذوى الدخول الواطئة . لذا فان تقليل التفاوت الاقتصادى فى هذه الاقطار لا يقلل من الاستثمار وتكوين رأس المال بل بالعكس ان ذلك قد يؤدى الى زيادة الاستثمار وزيادة رأس المال .

بعض نتائج التفاوت الاقتصادي :

ان الذين يدعون الى الاشتراكية وتقليل التفاوت الاقتصادى انما يريدون بذلك تحقيق مجتمع أفضل تسود فيه العدالة الاجتماعية لابناء الشعب جميعاً ولذلك فانهم يتوخون ملافاة النتائج التى تتولد عن التفاوت الاقتصادي والتى قد يكون بعضها كما يلى :

ان هؤلاء يعتقدون ان التفاوت فى الدخول سوف لا يمكن ذوى الدخول الواطئة (وهى نسبة كبيرة من سكان الاقطار المتخلفة اقتصادياً) من ان يحيوا حياة على مستوى لائق يتمكنوا بواسطتها من تطوير قابلياتهم الطبيعية وغير الطبيعية والقيام بواجباتهم بطريقة صحيحة . ان حرمان هذه النسبة الكبيرة من السكان من مقتضياة الحياة الاساسية وعدم افساح المجال لهم للتقدم وتطوير قواهم وقابلياتهم انما يعود ضرره ليس فقط على هؤلاء الافراد بل ان ذلك يؤثر فى المجتمع ككل والذى يكون هؤلاء نسبة كبيرة منه .

فلو فرضنا ان عائلة عراقية تتألف من خمسة افراد تحتاج الى حوالى

٥٠ دينار شهرياً أو ٦٠٠ دينار سنوياً كي تتمكن من ان تكون فى مستوى معاشى لائق يمكنها من تطوير قابليات افرادهـا والقيام بواجباتهم بصـورة صحيحة . فهنـا نتسـائل ما هي نسـبة العوائل التي يزيد دخلهـا عن هذا الحد وما هى نسبة العوائل التى يقل دخلها عن ذلك فى العراق ؟ طبعاً ليس لدينا الان احصائيات تمكننا من الاجابة على هذا السؤال ولـكن يمكننا ان نقول من ملاحظاتنا وتقديرنا ان نسبة العوائل التى يزيد دخلها عن هذا الحد هو قليل جداً بالنسبة الى عدد العوائل التى يقل دخلها عن هذا الحد . وقد لا نكون مغالين لو قلنا ان تقديرنا قد يؤدى بنا الى القول بان نسبة العوائل فى العراق التى يزيد دخلها عن ٦٠٠ دينار سنوياً لا يتجاوز عن العشرة بالمائة على أكثر تقدير وان نسبة العوائل التى يقل دخلها عن ٦٠٠ دينار فى السنة قد لا تقل عن تسعين بالمائة . ان ذلك معناه ان معظم السكان فى العراق لا يتمتعون بمستوى معاشى لائق يمـكنهم من تطويـر قابلياتهم والقيام بواجباتهم على الوجه الصحيح . ان كفائة وانتاجية هذه النسبة الـكبيرة من السكان سوف تكون بلاشك أقل مما يجب ان تكون لو انهم تمكنوا من ان يسدوا حاجاتهم ويطوروا قابلياتهم من غير ان يكونوا عُرضة الى العوز والجهل والمرض .

هذا وان هؤلاء يعتقدون ان التفاوت الاقتصادى يؤدى الى خلق طبقات وشعور طبقى بين افراد المجتمع الواحد . الامر الذى يولد التشاحن بينهم وعدم الاستقرار . ثم ان القوى الاقتصادية التى يحصل عليها ذوى الدخول العالية سوف تمكنهم من الحصول على امتيازات ومعاملات خاصة فى دوائر الدولة وامام القضاء . على الاقل انهم سيتمكنوا من الحصول على محامين أكفاء للدفاع عنهم وللحصول على مطاليبهم . كما انهم قد يتمكنوا من التأثير على المؤسسات السياسية والثقافية وغيرها وتسيرها بالطريقة التى تخـدم مصالحها .

كما ان هؤلاء يعتقدون ان بعـض الازمات الاقتصـادية التى لازمت النظام الرأسمالى حتى اصبحت من خصائصه يمكن ان تفسر بانها نتيجـة

لضعف القوة الشرائية عند اصحاب ذوى الدخول الواطئة . لذا فانهم ينادون بتقليص التفاوت الاقتصادى الذى يؤدى الى زيادة القوة الشرائية عند هذه النسبة الكبيرة من السكان وبذلك يمكن التخلص من هذه الازمات ومن الخسائر والمآسى التى تتولد عنها .

ان هذا العرض السريع للتفاوت الاقتصادى واسبابه ومعالجته ونتائجه يدعونا احياناً الى المضى والاقدام واحياناً الى التريث والحذر اذ أن الطرق التى يحتمل ان تسلك لتقليل التفاوت واحراز التقدم الاقتصادى هى عديدة ومتشعبة وان اختيار افضلها واكثرها نفعاً يتوقف على اجتهاد السالك وحنكته فى الاختيار وعلى طبيعة القطر الاقتصادى الذى يراد معالجته .

فمن النتائج التى تتولد عن التفاوت الاقتصادى والتى جئنا على ذكرها آنفاً نرى انفسنا وكأننا نريد ان نندفع الى عمل ما يجب عمله لتقليل هذا التفاوت ولكن من الناحية الاخرى عندما نرجع الى تحليلنا النظرى - فارضين انه مستكمل لكافة قواعد التحليل وانه يعكس الحقائق ويتوقعها - فعندئذ نرى ان عملنا هذا في تقليل التفاوت (على الاقل في الوقت الحاضر) قد يؤدى الى نتائج لا نرتضيها كتقليل الاستثمار ورأس المال والدخل القومى والتضيق على حريات الحافز الفردى ورد الفعل الذى يتولد عن عملنا هذا في داخل القطر وخارجه فعندئذ نرى من واجبنا التريث في الامر واعادة النظر فيه مجددا .

هذا ونود ان نؤكد أخيرا ان تحقيق هذا الهدف أي تقليل التفاوت الاقتصادي هو عمل انساني نبيل ولا نريد بأي حال من الاحوال المساس منه بشيء . ومهما يكن موقفنا من المبادىء والاهداف الاشتراكية الاخرى فأن هذا الهدف يستحق منا كل تقدير واهتمام . الا ان اختيار طريق المعالجة هو ما نحذر منه ونخشاه . أي اننا نخشى الا نوفق في الاختيار والا نسلك الطريق السوي فنزيد في الطين بلة ويكون عملنا وبالاً علينا لا سمح الله .

طبقـــة

من اعلام بغداد في القرن السابع للهجرة

تحقيـــق

كوركيس عواد و الدكتور حسين علي محفوظ
مدير مكتبة المتحف العراقي ببغداد — استاذ مساعد في قسم اللغة العربية

تصـــدير

من طرائف ما عثرنا عليه من نفائس المخطوطات العربية ـ ابان رحلتنا العلميّة صيف ١٩٦٠ ـ نسخة قيمة جدّاً من كتاب (المقامات الزينية)(*) لابن الصيقل الجزرى البغدادى ، محفوظة بخزانة المخطوطات فى المكتبة العامة بلنينغراد وهو كتاب ادبىّ لغوى سلك فيه مصنفه منهاج صاحبى المقامات متبعا طريقتهما فى العدّة والاسلوب والاسناد . وقد أودعها من الالفاظ والكلمات ذخيرة عظيمة تُعَدّ من خيار المجموعات ضبطا وتصنيفا واختيارا .

وفي آخر هذه النسخة اجازة المنصف قراءة تلك المقامات عليه لطبقة من أعلام العلم وشيوخ الفضل وأئمة الادب فى عصره ، عدد فيها اسامى المشهورين الذين أنبأهم بالكتاب وسمعوه عليه .

وهذه الاجازة النادرة هى فهرس قيم لرجالات العلم والثقافة الفقهية والادبية والحديثة والصوفية في القرن السابع تدل على مكانة بغداد في

(*) ولابد من الاشارة الى انها ربما سميت بـ (المقامات الزينبية) كما دعاها كاتب نسخة لنينغراد في خاتمته ٠ وكذلك تاريخ علماء المستنصرية ص ٢٥٣ « ترجمة ابن الصيقل » ٠ وفي ص ١٦٨ ما يشير الى تسميتها بـ (المقامات الجزرية) ٠ هذا وقد نسب صاحب ايضاح المكنون ج ١ ص ٥٣٥ المقامات الجزرية الى شمس الدين محمد بن علي بن غالب الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٨٩هـ ٠

تخريج العلماء وفضل مدارسها كافة ـ ولاسيما المدرسة المستنصرية ـ على الثقافة الاسلامية ـ حينئذ ـ .

وانما رأينا نشر أقسام من هذه الاجازة تعريفاً بأسماء تلك الطبقة الجلية المجهول كثير من معارفها ، واشارةً الى مقام العلم في بغداد في أواخر عصورها الزاهية .

ابن الصيقل(*)

هو شرف المعالى ، شمس الدين ، ابو الندى ، معدّ بن الشيخ ملك الوزراء زين الدين ابى الفتح نصر الله بن رجب(1) بن ابى الفتح بن حسن بن اسماعيل(2) المعروف بابن الصيقل الجزرى(3) البغدادى ؛ الوزير العالم اللغوى(4) المتوفى سنة ٧٠١ هـ(5)/ ١٣٠١ - ١٣٠٢ م .

كان يسكن في دار بجوار رباط القصر(6) . وكان نحويا لغويا أديبا شاعرا(7) . وهو مصنف المقامات [الزينية] المشهورة(8) التى ألفها سنة

(*) لابن الصيقل ترجمة مختصرة في : الاعلام ج ٨ ص ١٨١ ، وبغية الوعاة ص ٣٩٥ ، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة للفيروزابادي (تراجع البغية ص ٣٩٥) ، وتاريخ الادب العربي لبروكلمن ج ٢ ص ١٥٩ والذيل ج ٢ ص ١٩٩ ، وتاريخ علماء المستنصرية ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ (وتراجع الفهرس ص ٣٧٦) ، وكشف الظنون ج ٢ ص ١٧٨٥ ، ومعجم المؤلفين ج ١٢ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ومنتخب المختار ص ٢٢٨ .

(1) المقامات الزينية/صفحة العنوان .

(2) منتخب المختار ص ٢٢٨ .

(3) المقامات ورقة ١٦٦ب ، ومنتخب المختار ص ٢٢٨ ، وكشف الظنون ج ٦ ص ٥٤ رقم ١٢٧٠٩ . طبعة أوربة .

(4) منتخب المختار ص ٢٢٨ .

(5) كشف الظنون ج ٦ ص ٥٤ رقم ١٢٧٠٩ ، والاعلام ج ٨ ص ١٨١ ، ومعجم المؤلفين ج ١٢ ص ٣٠٤ ، وبروكلمن/الذيل ج ٢ ص ١٩٩ .

(6) المقامات ١٧٣ ب .

(7) بغية الوعاة ص ٣٩٥ نقلا من البلغة [في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزابادي (ظ) . تراجع كشف الظنون ج ٢ ص ٦٥ رقم ١٩١٥] .

(8) منتخب المختار ص ٢٢٨ ، والزيادة من المقامات صفحة العنوان ، والورقة ١٦٦ ب .

٦٧٢ هـ[٩]/١٢٧٣ وقدّمها الى علاء الدين عطا ملك الجويني[١٠] فوصله بألف دينار[١١] .

وقد سمعها منه طبقة من أعلام بغداد في مجالس عشرة بمدة شهرين ويومين آخرها يوم الثلاثاء ١٧ جمادي الآخرة سنة ٦٧٦هـ[١٢][١٣]/١٢٧٧ « وكانت القراءة برواق المدرسة الشريفة المستنصرية ... ومن تخلف له شيء ... أعيد له ما فاته ، وكمل سماعه امّا برباط القصر ، أو بدار المصنف المجاورة للرباط المذكور »[١٤] . وقد أيّد ابن الصيقل السماع هذا ، لست خلون من شهر ذي الحجة سنة ٦٧٧ هـ[١٥]/١٢٨٨ م وتبلغ عدّة تلك الطبقة ١٦٠ رجلا من « الائمة الكبار العلماء ، والسادة الفضلاء العظماء »[١٦] من الجزيرة ، والبصرة ، والموصل ، وحلب ، وسنجار ، والمشهد ، وارمية ، وسهرورد ، والمدائن ، والكرج ، والكوفة ، وحرّان ، والحصن ، وواسط ، والدور ، وطبر ستان ، وهراة ، وتكريت ، وخوي ، وظفار ، وشهرزور ، وكازرون ، واربل ، وصرصر ، واليمن ، ونصيبين ، والحلة ، وآمد ، وشهرابان ، وسمرقند ، وجاجرم ، والازج ، والكرخ ، والمغرب ، واوانا ، ودمشق ، وغيرها .

منهم :

١٥ من اساتذة المدرسة المستنصرية

و٤ من اساتذة المدرسة البشيرية

و٢ من اساتذة المدرسة النظامية

و١ من كل من مدرسة دار الذهب ، ومدرسة سعادة ، والمدرسة

---

(٩) كشف الظنون ج ٦ ص ٥٤ .
(١٠) تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٢٩٠ و٣١٦ .
(١١) تاريخ جهانگشاي ج ١ تصدير براون ص ٥٢ .
(١٢) المقامات ورقة ١٧٣ أ .
(١٣) منتخب المختار ص ٢٢٩ .
(١٤) المقامات ورقة ١٧٣ ب .
(١٥) المقامات ورقة ١٧٣ أ .
(١٦) المقامات ــ الورقة ١٧٣ أ .

الشرابية ، والمدرسة العصمتية .

وقد وصلت المقامات الزينية الى القاهرة ، اذ حدّث بها عنه نجم الدين عبدالعزيز بن عبدالقادر البغدادي[١٧] .

نسخ المقامات الزينية

توجـــد من المقامات بضع نسخ منها :

(١) نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، رقمها ١٨٣٢ . كانت في خزانة الاب انستاس الكرملي[١٨] .

(٢) نسخة خزانة كوبرلي في استانبول ، رقمها ٤٢٧٣[١٩] .

(٣) نسخة خزانة فاتح في استانبول ، رقمها ٤١١١[٢٠] .

(٤) نسخة سوهاج ـ تاريخها سنة ٧٠٢ رقم ٤٦ أدب ، وقد صورها معهد المخطوطات العربية[٢١] .

(٥) نسخة المتحف البريطاني رقم ٦٦٩ و ١٤٠٣[٢٢] .

(٦) نسخة مكتبة لنينغراد العامة ـ رقمها ٤١ . وهي نسخة نفيسة قيمة في ١٧٣ ورقة كتبها يوسف بن حسين بن ابي القاسم الفراهاني ببغداد ، في غرة جمادي الآخرة سنة ٧٣٦ هـ من نسخة كتبت من نسخة بخط المصنف . وهي برسم الخزانة العمادية ، وقد ذهبها محمد بن السيف[٢٣] .

---

(١٧) منتخب المختار ص ٢٢٨ ترجمة ابن الصيقل .

(١٨) سومر مج ١٤ ص ١٧٣ ـ ١٧٤/المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ القسم الثاني .

(١٩) بروكلمن ج ٢ ص ١٥٩ ، والذيل ج ٢ ص ١٩٩ ولاحظ تاريخ الادب العربي في العراق ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢٠) المرجع المذكور .

(٢١) فهرس المخطوطات المصورة ج ١ ص ٥٣٠ رقم ٧٩٣ .

(٢٢) بروكلمن ج ٢ ص ١٥٩ ، والذيل ج ٢ ص ١٩٩ ، وتراجع هامش ٢ تصدير براون لتاريخ جهانگشاي ج ١ ص ٥٢ .

(٢٣) فهرس المخطوطات العربية في لنينغراد لكاتبي المقالة .

المراجع :

الاعلام ـ خيرالدين الزركلي ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩
بغية الوعاة ـ الجلال السيوطي ـ القاهرة ١٣٢٦هـ
تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمن
تاريخ الادب العربي في العراق ـ عباس العزاوي ـ بغداد ١٣٨١/١٩٦١
تاريخ علماء المستنصرية ـ ناجي معروف ـ بغداد ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م
تلخيص مجمع الالقاب ـ مخطوط
التوفيقات الالهامية ـ محمد مختار باشا ـ بولاق ١٣١١
سومر المجلد ١٤ ـ بغداد ١٩٥٨
فهرس المخطوطات المصورة ـ فؤاد سيد/مج ١ ـ القاهرة ١٩٥٤
كشف الظنون ـ حاجي خليفة ـ ليبزيك ١٨٣٧
المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ كوركيس عواد ـ بغداد ١٩٥٨
معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحاله ـ دمشق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١
المقامات الزينية/نسخة لنينغراد ـ مخطوط
منتخب المختار في تاريخ علماء بغداد ـ محمد بن رافع السلامي ـ بغداد ١٩٣٨/١٣٥٧

المقامات الزينية

انشاء شرف المعالى ، شمس الدين ، ابى الندى ، معدّ بن الشيخ ملك الوزراء زين الدين ابى الفتح نصر الله بن رجب ؛ المعروف بابن الصيقل الجزرى . وقد نسبها الى ابى نصر المصرى ، وعزا روايتها الى القسم بن جريال الدمشقى . وأودعها الجدّ ، والهزل ، والمرصّع من النثر ، والمصرّع من الشعر ، والحمض ، والآيات المحكمات ، والاخبار المسندات، وعرائس المذاكرات، وغرائس المناظرات، والعظات، والمضحكات، والملهيات ، والمفاكهات ، والمناقشات ، والرسائل ، والمسائل ، والبدائع ، والغرائب ، والخطب ، والنخب ، والامثال ، والعبارات الحسنة ، والحكايات المستحسنة ، والقوانين الطبية ، والقواعد الفرضية ، الافانين الادبية ، والنكت الفقهية ، والاصول النحوية . وقد أخلاها من المعمّى(٢٤) وقال : « لم أرصع بها شعرا من غير نظم بديهتى ، ولا نثرا من غير رقم قريحتى ؛ سوى مصراع لامرىء القيس وابيات للصمّة »(٢٥) .

وجعلها فى خمسين مقامة ؛ هى :

البغدادية

الطوسية

اللاذقية

السينيَة

المهموزة التوأمية

الحجازية

القهقرية السنجارية

الحلوانية

(٢٤) المقامات الورقة ٥ ب ـ ٦ ب .

(٢٥) المقامات الورقة ٩ ب .

العمادية الاربلية

الشاخية

الرسعنية

البحرانية

النيسابورية

الزرندية

الماردينية

الصادية الظفارية

المصرية

الدجلية

القدسية

العانية

الاعرابية

الشهرزورية

الفارقية المجدية

الحلبية

الملطية

الجيمية الشيرازية

الكوفية

النصيبية

الاسكندرية الخيفاء

الآمدية

البصرية

الحمصية

الواسطية

الحموية

السروجية

الطبيّة السمنانية

البزاعية

الموصلية

الرهاوية

الاهوازية

الحنيفية الكيشية

الصوفية الارزنكانية

الدمشقية

القزوينية التجنيسية

المدينية الفرضية

الحصكفية الرقطاء

الضبطاء

الجمالية الجوينية

الجزيرية

اليمنية

وقد قرظها جماعة من الادباء الافاضل ، هم :

مهذب الدين مهذب بن ابى الفتح بن مهذب البغدادى .
شمس الدين جمال الاسلام عبدالمؤمن بن الصفار السنجارى .
بهاء الدين ابراهيم بن اسحق المطلبى .
عماد الدين أبو العباس محمد بن علي بن جعفر البغدادى .
العارف ظهير الدين أبو حامد أحمد بن محمد الفرغانى .

نسخة الطبقة التى كانت على الاصل المنقول منه هذا الكتاب

[١٦٦ب] بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد حمدالله كما ينبغى لكرم وجهه ... فقد سمع جميع هذه المقامات الزينية الخمسين ، وما فى أولها من المقدمة والخطبة والديباجة ، وما فى آخرها من الاعتذار ، وآخره قوله – تعالى وتقدس : « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا » .
وهى التى بلغت فى الفصاحة الى اقصى الغايات ... من لفظ مصنفها ... أبى الفتح نصرالله بن رجب بن ابى الفتح ؛ المعروف بابن الصيقل الجزرى ...
[١٦٧أ] القاضى عز الدين أبو نصر أحمد بن أبى المعالى عبدالملك ابن ابى محمد عبدالله بن ابى الحسن بن أحمد ، ابن الكواز البصرى .
مجد الدين علي بن محمد بن احمد بن جعفر ، مدرّس مدرسة دار الذهب .
ولده ؛ شرف الدين محمد .
فخر الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن هبة الله ، ابن البوقيّ .
جمال الدين حسين بن اياز ، النحوى بالمدرسة الشريفة المستنصرية .
عز الدين حسن بن عبدالله بن أحمد بن علي بن احمد ؛ المعروف بابن الزومي ، المقري الجزري النحوي .
ولده ؛ تاج الدين عبدالرحيم .
زين الدين أبو الفتح نصر الله ، ابن المصنف .
أخوه ؛ محيي الدين أبو المعانى عين الزمان(٢٦) .
[١٦٧ ب]تقى الدين ابو بكر بن خطّاب بن عبدالله بن عبدالرحمن الموصلى ، المقرى .
شرف الدين أبو حامد محمد بن عبدالرحمن بن ميّاس بن صُبح ،

(٢٦) اشار الى قراءته ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب يراجع تاريخ علماء المستنصرية ص ٢٥٣ لناجي معروف .

المقرى الحلبى ؛ المعروف بين اهل بلده بابن المعرّى .

شمس الدين محمد بن ابى بكر ، المقرى الحلبى .

تاج الدين الحسين بن حسن بن عبدالله ، المقرى الفقيه الموصلى .

السيد الكبير ، نجم الدين عبدالله بن عمر بن عبدالله بن احمد ، الفيه المالكي .

الصدر الكبير ، شرفالدين بن بكّار السنجاري .

ولد اخته ؛ أمينالدين .

شمس الدين محمد بن احمد بن الربيع ، الحاسب المهندس .

شهاب الدين محمد بن علي بن حسين ، المشهدى المنجم .

ابو بكر بن عمر بن المشيّع ، السكاكينى المقرى النحوى الجزرى .

المحدّث ، صدر الدين ابو عبدالله احمد بن محمد بن الانجب ؛ المعروف بابن الكسار المقري(*) .

ولداه :

قوام الدين ابو الفضل صالح ؛ الملقب بالقاضى .

و ، شرف الدين ابو عبدالرحمن عبدالله ؛ الملقب بالحاكم .

محيي الدين ابو عنان علي بن عثمان بن عنان الطيبى ، المقرى .

ولده : جمال الدين ابو الفضائل عثمان .

السيد ، شهاب الدين عمر بن عبدالملك بن الزكى الأرموى .

شمس الدين محمد بن رمضان بن حسين السهروردى .

شرف الدين عبدالكريم بن محمد بن ابراهيم ، الطبيب الجزرى .

[١٦٨ أ] شرف الدين أشرف بن محمد بن جعفر بن ابى القاسم المدائنى ، العلوى الحسينى .

عفيف الدين ابراهيم بن محمد بن سالم الزركشى ، القارىء بدار الحديث بالمستنصرية .

(*) قاري الحديث بالمستنصرية . راجع تاريخ علماء المستنصرية لناجي معروف ص : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

شمس الدين محمد بن محمود بن ابى حاتم الـكَرَجى .
السيد ، سراج الدين عمر بن محمد بن علي ، التاجر الجزرى .
السيد ، موفق الدين بكتمر بن الياس بن محمد بن يوسف الذهبى .
السيد ، جمال محمد بن ابراهيم بن عبدالله ، الـكواز .
السيد ، كمال الدين ابراهيم بن ابي القاسم بن حصان الموصلي .
السيد ، عفيف الدين احمد بن محمد بن الحسن السلامى .
شرف الدين احمد بن عبدالله ؛ سبط محمد بن ابى الدلف ، الواعظ.
شمس الدين المبارك بن محمد بن سعيد ، المقرىء .
شرف الدين ابو بكر بن عبدالـكريم بن عمر ، الصيقل الجزرى .
السيد ، نجم الدين علي بن عمر بن احمد بن سهل الفاروثى .
موفق الدين عبدالرحمن بن ابى القاسم بن يحيى الشافعى الموصلى .
محيي الدين عبدالقادر بن ابى الـكرم بن ابى الذر بن ابى منصور الربعى ، المعيد بالنظامية .

ولده ؛ المشتغل المحصّل ، نجم الدين عبدالعزيز(٢٧) .
السيد ، أصيل الدين عبدالسلم بن محمد بن علي الانصاري ، المقرىء .
السيد ، بهـاء الدين [١٦٨ ب] عبدالوهـاب بن ابى القاسـم بن عبدالعزيز ؛ المعروف بابن ثقّاب الحب .
جمال الدين ابراهيم بن احمد بن اسماعيل الجزرى .
سيف الدين الياس بن احمد بن محمد الطرّازى ، احد فقهاء الحنفية بالمستنصرية .
السيد ، شمس الدين محمد بن احمد بن أبى علي القرشي الحنفى الـكوفى العثمانى .
تقى الدين غنائم بن مسلم بن سليمان الحنفى الـكوفى .
عز الدين عمر بن عثمان بن محمود الحرّانى .

---

(٢٧) اشار الى قراءته السلامي في منتخب المختار ص ٢٢٨ . ويراجع تاريخ علماء المستنصرية لناجي معروف ص ٢٥٣ و٢٥٨ .

الورع التقي ، حسن بن عبدالله ، الفقير .

المحصّل ، مجدالدين اسماعيل بن اسحق بن أحمد الحِصْني .

جمال الدين ابو الفضل سليمان بن احمد بن نعمة الله العمرى ، المحدّث .

السيد ، جمال الدين احمد بن يوسف بن احمد الكَرَجى ، المقرى .

حسن بن يوسف بن حسن العُجمى .

أمين الدين ابو الحسن علي بن عبدالقاهر بن محمد ، ابن الفوطى .

نجم الدين عبدالله بن عبدالرحمن بن ابى فارس بن عبدالله ، ابن الحبّى .

جمال الدين يوسف بن علي بن يوسف الادرهنى .

علي بن ابى بكر بن عمر التركمانى .

السيد ، نجم الدين محمد بن قيصر بن عبدالله ، عتيق فخر الدين اقش الموصلى .

السيد ، كمالالين مدني بن صيق بن محمود المَرْجى ، المرتّب للشافعية بالمستنصرية .

الزاهد ، علي بن حسن بن احمد الواسطى ، المقرىء .

الزاهد علي بن أبي بكر بن علي ، المقرىء ؛ امام الطائفة المالكية بالمستنصرية .

السيد ، جمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن علي الدّورى .

[١٦٩ أ] السيد ، عز الدين محمد بن عبدالله ، ابن المنصورى .

السيد ، بهاء الدين عبدالرحيم بن محمد ، ابن المنصورى .

قوام الدين محمد بن عبدالله ؛ المعروف بالمفضّل .

زين الدين علي بن الياس ؛ المعروف بالكسائي .

السيد ، تاج الدين علي بن أحمد بن عبدالرحمن البروجردى ، الفقيه الشافعي .

شرف الدين أحمد بن حسن بن بزبه ، الخطيب المقرىء .

شمس الدين محمد بن مكى بن احمد السنجارى ، المقرىء النحوى .

تاج الدين محمد بن علي بن محمد الطبرى ، الفقيه الحنبلى .

ناصر الدين عبدالمطلب بن باذ شاه العلوى الجزرى ، الفقيه الشافعى .

كاتب الاسماء ؛ أبو عبدالله محمد بن أبى المؤيد محمد بن ابى الثناء محمود بن محمد بن الحسن بن محمد بن عربى ، الفقيه الحنفى .

أخوه لأبويه ؛ الفضل أحمد .

السيد ، جلال الدين ابو محمد حسن .

وسمع والده :

السيد ، تقى الدين ابو الحسن علي بن ابى جعفر بن القاسم بن علي بن حيدر ابن الامير محمد بن الحسن العلوى الحسينى ـ المجلس الاول من المقامات الزينية ؛ وهو المقدمة والخطبة والمقامة الاولى والثانية .

وسمع المجلس الاول ـ أيضاً ـ فقط :

رئيس الاصحاب ، ركن الشريعة ، علم الهدى ، ابو ذى الفقار محمد بن الاشرف ذى الفقار بن ابى جعفر محمد بن ابى الصمصام ذى الفقار العلوى الحسنى ؛ مدرس الطائفة الشافعية بالمستنصرية [١٦٩ ب] عمرها الله بأهل العلم .

ولده ؛ شرف الدين ذو الفقار .

مفتى الفِرَق ، رئيس الاصحاب ، شيخ الاسلام ، نظام الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن عمر الهروى ؛ مدرس الشافعية بالبشيرية ، وقاضى الجانب الغربى من دار السلام ـ عمرها الله تعالى ـ والنائب للقضاء والحكم بمجلس الحكم المحروس بالجانب الغربى .

كمال الدين عبدالهادى بن هبة الله بن رحب التكريتى .

نور الدين علي بن أحمد بن عمر ، ابن الاطلسي ؛ مدرس الحنفية بالبشيرية .

بدر الدين محمد بن علي بن محمد الرقّي ؛ القاضي ، المدرّس بمدرسة سعادة .

تقي الدين مظفر بن علي ؛ المعروف بالحاجي الجوسقي ، معيد الحنابلة بالمستنصرية .

السيد ، العدل ، شمس الدين محمد بن صاعد الخويي .

نظام الدين ابو راشد سالم بن عمر بن سالم الظفاري .

العدل ، نور الدين احمد بن محمد بن عبدالرحمن ، الفقيه الشافعي الواسطي ؛ امام الطائفة الشافعية بالمستنصرية .

ابو عبدالله الحسن بن علي بن عبدالله الشهرزوري ؛ المعيد بالطائفة الشافعية بالمستنصرية .

السيّد ، صفي الدين محمد بن عبدالله بن ابراهيم ، البزّاز .

سبطه ؛ شرف الدين علي بن احمد بن عباس بن علي ، البزّاز .

السيّد ، العدل ، ظهير الدين علي بن محمد بن محمود ، ابن الكازروني .

السيد ، تقي الدين [١٧٠ أ] ابو الحسن علي بن عبدالعزيز بن محمد بن ابي الحسن الاربلي الشافعي ، المقرىء الفقيه الفرضي .

نصير الدين ابو بكر بن عمر بن ابي الضيا الفاروقي ؛ مدرس المدرسة النظامية .

السيد ، فخر الدين احمد بن علي بن احمد بن الحسن ، ابن الحداد .

وسمع من أول الكتاب الى آخر المقامة السابعة السنجارية القهقرية ـ وهو آخر المجلس الثاني :

رئيس الاصحاب ، مفتي الفرق ، نور الدين ابو طالب عبدالرحمن ابن عمر بن أبي القاسم بن علي بن عثمان بن ابي القاسم البصري ؛ مدرس البشيرية للحنابلة .

السيد ، زين الدين علي بن محمد بن محمد الصرصرى الحنبلى ، احد فقهاء الحنابلة بالمستنصرية .

السيد ، أمين الدين عبدالغنى بن محمود الباسقى ، التاجر .

السيد ، عز الدين حسن بن حامد بن حمدان ، المقرىء .

السيد ، فخر الدين احمد بن محمد بن علي بن عبدالحق اليمنى .

وسمع الخطبة والمقامة الثامنة والاربعين الجوينية الجمالية ، برباط القصر :

الشيخ ، رئيس الاصحاب ، مفتى الفرق ، جلال الدين ابو محمد عبدالجبار بن عبدالخالق بن محمد بن ابي نصر بن عبدالباقي بن عكبر ؛ مدرس الحنابلة بالمدرسة الشريفة المستنصرية .

رئيس الاصحاب ، عزالدين حسن بن ابى القاسم بن هيّنة النبلى[1] ؛ مدرس المالكية بالمستنصرية .

القاضى ، نجم الدين عبدالله بن كامل بن محمود القوسانى ؛ مدرس المدرسة الشرابية .

الصاحب ، الصدر الكبير ، شمس الدين علي بن محمد بن عبيدالله ؛ المعروف بابن [١٧٠ ب] شرف[2] ، الحاجب .

السيد ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن الخضر ، التاجر الجزرى .

شمس الدين منصور ، ابن الصبّاغ ؛ الطبيب[3] .

السيد ، بهاء الدين عمر بن ابراهيم بن سهر الدنبلى ، التاجر .

وسمع من أوّل الكتاب الى آخر المقامة العشرين العانيّة ، وهو

---

(١) يظهر انه وقع تحريف في كلمته : الاولى « هينة » والثانية « النبلى » ونرى انهما « هبةالله النيلي » نسبة الى نيل العراق راجع « تاريخ علماء المستنصرية » لناجي معروف ص ١١٢ .

(٢) ورد ذكره في مجمع الآداب ج ٤ الورقة ٢٥٤ باسم مشرف الفرضي .

(٣) كان طبيب المستنصرية راجع تاريخ علماء المستنصرية ص ٢٤٥ .

آخر المجلس الرابع :

شرف الدين احمد بن عثمان بن شريف النصيبي ؛ مدرس المالكية بالبشيرية .

شرف الدين محمد بن ابي بكر ، ابن المحرّر الكرماني القبيصي ؛ معيد الحنفية بالمستنصرية .

جمال الدين يحيى بن ابى بكر بن عمر الاربلى ، الصيقل .

وسمع المجلس الاول والثانى والتاسع والعاشر – وهو من أول المقامة الحادية والاربعين الكيشية الى آخر الكتاب ، والاعتذار في آخره :

شهاب الدين عبدالكريم بن عبدالرحمن بن محمود بن مودود بن محمود بن بلدجى ، المحتسب ؛ معيد الحنفية بالمستنصرية .

وسمع من أول الكتاب الى آخر المقامة العشرين العانية ، ومن أول المقامة الحادية والثلاثين البصرية الى آخر الخامسة والثلاثين السروجية – وهو المجلس السابع والعاشر – ايضاً :

السيد ، أمين الدين عبدالله بن الخضر ، التاجر الجزرى .

وسمع من أول الكتاب الى آخر المقامة الخامسة والعشرين الملطية ، وهو آخر المجلس الخامس :

الشيخ ، الامام ، علي بن احمد بن موسى بن محمد الجزرى ، المقرىء النحوى .

و :

السيد ، شمس الدين محمد بن سعيد ، ابن ابى النجم الحدادى الشافعي .

شمس الدين محمد بن [١٧١ أ] احمد بن عبدالعزيز بن احمد بن عمر بن محمد بن سالم بن باقا الكاغدى .

السيد ، زين الدين جعفر بن ابى المجد الحلّي .

وسمع :

الشيخ ، نور الدين عثمان بن يعقوب بن ابراهيم الآمدى ؛ مدرس المالكية بالعصمتية ـ بعبيدالله[1] (رضوان الله عليه) ـ من أول الكتاب الى آخر المقامة الثانية الطوسية • ومن أول الثامنة الى آخر الخامسة والاربعين .

وسمع من أول المقامات الى آخر المقامة الثالثة عشرة النيسابورية :

زكي الدين محمد بن عيسى بن مسعود ، الحكيم الطبيب .

الشريف ابو جعفر محمد بن ابى الفضل بن ابى السعادات الجعفرى ، الكتبى .

وسمع من أول المقامات الى آخر المقامة الخامسة والثلاثين السروجية :

فخر الدين ابو بكر بن عبدالله التفتازانى ؛ معيد الشافعية بالمستنصرية .

السيد ، عز الدين احمد بن يوسف بن منصور ، ابن الصبّاغ .

وسمع من أول المجلس الخامس ـ وأوله المقامة الحادية والعشرون الاعرابية ـ الى آخر المجلس السابع ـ وآخره المقامة الخامسة والثلاثون السروجية :

الصاحب ، الصدر الكبير ، بهاء الدين علي بن الصاحب فخر الدين عيسى بن على الاربلى ؛ الكاتب المنشى .

قوام الدين هبة الله بن عبدالله بن أبى عيسى الشهرابانى الذهلى .

وسمع المجلس الاول والتاسع والعاشر :

جلال الدين محمد بن محمد بن محمود السمرقندي •

تقى الدين ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبرى .

وسمع من اول [١٧١ ب] الكتاب الى آخر المقامة الثانية عشرة

---

(١) مشهد عبيدالله العلوي في الاعظمية قرب ام رابعة العباسية حفيدة المستعصم حيث كانت المدرسة العصمتية وكان يعرف بمشهد النذور •

البحرانية ـ وهو آخر المجلس الثالث :

السيد ، نجمالدين حسين بن ابي معشر ، ابن الهمذاني .

ابو علي حسن بن ابى العشائر بن محمود بن ابى العشائر ، المقرىء البياتى .

السيد ، علي بن ابى بكر بن يوسف بن عبدالله ، النقاش .

وسمع :

الامير الكبير ، نجم الدين عبدالمؤمن بن الامير الكبير نجم الدين عبدالحميد بن محمد الجاجرمى ـ المجلس العاشر فقط .

وسمع من أول المقامة الثامنة الحلوانية الى آخر المقامة العشرين العانية :

السيد ، عفيف الدين جيش بن حسين بن جيش الحلّى .

شرف الدين عباس بن حسين بن عباس الحلّى .

وسمع من أول المقامة الرابعة عشرة الزرندية ـ وهو أول المجلس الرابع ـ الى آخر الخامسة والعشرين الملطية ـ وهو آخر المجلس الخامس:

السيد ، شرف الدين علي بن محمد بن هبة الله ؛ المعروف بابن الوكيل .

المولى الجليل ، شرف الدين عبدالله بن مسعود بن عياش الحلى .

بدر الدين لؤلؤ بن عبدالله الرومى .

السيد ، جمال الدين يوسف بن سلمان بن يوسف الرومى .

السيد ، زين الدين علي بن داود بن يوسف الرومى .

وسمع من أول المقامة الثامنة الحلوانية ـ وهو أول المجلس الثالث ـ الى آخر المقامة الخامسة والثلاثين السروجية ـ وهو آخر المجلس السابع ـ ومن أول المقامة السادسة والاربعين الرقطاء الحصكفية ـ وهو أول المجلس العاشر ـ الى آخر المقامات :

[١٧٢ أ] مظفر الدين ابو العباس احمد بن السيد الاجل نور الدين علي بن تغلب بن ابي الضيا ، الساعاتي .

أخوه لابويه ؛ السيد ، ناصرالدين محمد .

وسمع من أول المقامة الثالثة اللاذقية الى آخر المقامة العشرين العانية :

السيد الاجل الاوحد ، الصاحب الصدر الكبير ، جلال الدين محمد ابن الصدر الكبير ، العالم الفاضل ، العلامة صفى الدين عبدالمؤمن بن فاخر .

السيد ، شرف الدين عثمان بن عبدالواحد بن المشرف الدونى .

وسمع المقدمة والخطبة والديباجة والمقامة الاولى والثانية ، والمجلس العاشر :

شمس الدين محمد بن محمود بن قاسم البرزبى .

وسمع من أول المقامة الثالثة اللاذقية ـ وهو أول المجلس الثانى ـ الى آخر المقامة الثالثة عشرة النيسابورية ـ وهو آخر المجلس الثالث :

السيد ، نجم‌الدين طلحة بن مودود بن محمد السنجاري .

المولى الاوحد ، احمد بن محمد بن احمد الواسطى .

محمد بن علي بن سهمان ، الخياط ، المؤذن .

يحيى بن ابراهيم بن احمد الازجى .

حسن بن علي بن عنان بن مسعود الكرخى .

السيد ، شمس الدين محمد بن احمد بن حسين الموصلي ، الطراح.

السيد ، نجم الدين عبدالله بن احمد بن محمد ، ابن الدورى .

ولداه :

تاج الدين عبدالرحمن .

وأخوه لابويه ؛ عز الدين حسن .

وسمع :

السيد ، تقى الدين ابو الحسن علي بن عبدالعزيز بن علي [١٧٢ ب] بن جابر المغربى ؛ من اول المجلس الخامس ـ وهو المقامة الحادية والعشرون الاعرابية ـ الى آخر المقامات .

وسمع :

فخر الدين محمد بن علي بن لؤلؤ الاوانى .

وولده ؛ المحصّل ، مجد الدين اسماعيل .

من أول المقامة الثالثة اللاذقية الى آخر المقامة العشرين العانية .

وسمع :

الشيخ الصالح العابد ، ظهيرالدين عبدالرحمن بن حسن بن عبدالرحمن الزهرى ؛ المعروف بالابرى .

من اول المقامات الى آخر المقامة الخامسة والاربعين الفرضية ــ وهو آخر المجلس التاسع .

وسمع :

الشيخ ، فخر الدين سليمان بن احمد بن عبدالرحمن بن نفاذة السَلْمى ، الكاتب من أول المقامة الرابعة عشرة الزرندية ــ وهو أول المجلس الرابع ــ الى آخر المقامة الخامسة والعشرين الملطية ــ وهو آخر المجلس الخامس ــ .

وسمع :

الشيخ ، عز الدين عبدالرحمن بن عبدالله بن سليمان الدمشقى ، الحاسب الكاتب من أول المقامة الحادية والعشرين الاعرابية ــ وهو أول المجلس الخامس ــ الى آخر المقامة الخامسة والثلاثين ــ وهو آخر المجلس السابع ــ .

وسمع :

السيد ، الزاهد ، مفتى الفرق ، الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن القش ؛ زعيم الفقراء ــ برباط الشيخ العارف علي بن ادريس الروحانى ، ببعقوبا ــ .

و :

الزاهد ، شمس الدين محمد بن حجّاج

من أول المقامة الحادية والعشرين الى آخر الكتاب .

وسمع :

نور الدين عبدالغنى بن عبدالرحمن بن داود الحلبى ؛ المعروف بابن العجمي [١٧٣أ] من أول المقامة الحادية والاربعين الى آخر الكتاب .

وسمع :

السيد ، شهاب الدين حسين بن قتادة المدنى .

من أول الكتاب الى آخر المقامة الاربعين – وهو آخر المجلس الثامن –(٢٨)

وصحّ ذلك ، وثبت ، وتحقق بمدة شهرين ويومين ؛ فى مجالس عشرة ، آخرها يوم الثلاثاء ، سابع عشر جمادي الآخرة ، الواقع في شهور سنة ست وسبعين وستمائة الهلالية ، للهجرة النبوية » ...

« وكانت القراءة برواق المدرسة الشريفة المستنصرية – قدّس الله روح منشئها ، الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين (رضى الله عنه) – بمحضر هؤلاء الائمة الكبار ، العلماء ، والسادة الفضلاء العظماء – شيدالله (تعالى) قواعد الاسلام ببقائهم – وكان ذلك [١٧٣ ب] بقراءة المصنف – ادام الله فضائله – من اصله ، الذى بخط يده الكريمة – ضاعف الله جلاله ، وأسبغ ظلاله ، وأدام عزه واقباله ، وحرس كماله – ومن تخلف له شيء من اهل الكمال المذكورين فى هذه الطبقة المباركة ، أُعيد له ما فاته ، وكمل سماعه ؛ امّا برباط القصر ، أو بدار المصنف – المعمورة

---

(٢٨) تشتمل المجالس العشرة على المقامات الآتية – كما فصّل في الورقة ١٧٣ أ من الاصل :

المجلس الاول – المقدمة والخطبة والديباجة والمقامتان ١ و٢
المجلس الثاني – المقامات ٣ و٤ و٥ و٦ و٧
المجلس الثالث – المقامات ٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣
المجلس الرابع – المقامات ١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠
المجلس الخامس – المقامات ٢١ الى ٢٥
المجلس السادس – المقامات ٢٦ الى آخر ٣٠
المجلس السابع – المقامات ٣١ الى آخر ٣٥
المجلس الثامن – المقامات ٣٦ الى آخر ٤٠
المجلس التاسع – المقامات ٤١ الى آخر ٤٥
المجلس العاشر – المقامة ٤٦ الى آخر المقامات

بطول بقائه ـ المجاورة للرباط ، من لفظ المصنف ـ ضاعف الله جلالـه ـ

وكتب أفقر الخلق الى الحق ، محمد بن محمد بن محمود بن محمد ابن حسن بن محمد بن عربي ، الفقيه الحنفي ••• » •

« ذكر السماع المذكور فى هذا المسطور صحيح ، واستخرت الله ـ تعالى ـ وأجزت لهم ـ انمى الله ظلهم ، وأسمى محلهم ، وأجلّهم ـ ولسائر أهل العصر ، روايتها عني ؛ على الشروط المعتبرة عند اهل العلم ـ ايّدهم الله ، وأبّدهم ، وأرشدهم ، ولا شرّدهم ـ وأنا برىء من غلط وتصحيف ، وغلت وتحريف .

وكتب الفقير الى رحمة ربه ورضوانه ـ معدّ بن نصر الله الجزرى ، لستّ خلون من شهر ذى الحجة من شهور سنة سبع وسبعين وستمائة هجرية ؛ حامداً لله على نعمه ، ومصلياً على خير خلقه محمد ، وآله وصحبه وعترته ، ومسلما » .



صاعد البغدادي

وأثره في الحياة الادبية الاندلسية

(٤١٧هـ ــ ١٠٢٦م)

الدكتور محسن جمال الدين

مدرس في قسم اللغة العربية

في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) استقبلت الاندلس شخصية عراقية . وفدت عليها من بغداد[1] تحمل بين جنبيها ذكاءً متوثباً ، ونفساً مرحة ، تزودت بروح البداهة ، وتسلحت بسلاح الادب . خزنت الطرائف الادبية فوعتها وهضمت المعرفة اللغوية وتصرفت بها .

وكان العصر الذي دخلت فيه تلك الشخصية العـــربية العراقيــة الاندلس . وهو بداية نهاية عصر الدولة الاموية . في الجزيرة الاندلسية . وضعف سلطة الخلافة فيها ، وبدء ظهور نجم (المنصور بن ابي عامر) في قرطبة وتوسع سلطته وسلطانه .

---

(١) راجع بغية الملتمس ــ للضبي نشره المستشرق الاسباني قديره F. Codera في المكتبة الاندلسية .B. A. H ص ٣٠٦ ــ ٣١١ رقم ٨٥٢ .

و (الضبّي) أبو جعفر أحمد بن عميره (٥٩٩هـ ــ ١٢٠٢م) اشتهر بكتابة (بغية الملتمس) في تاريخ رجـــال الاندلس ــ وهو ذيل (لجذوة المقتبس) للحميدي . ويشير عن وصول (صاعد البغدادي) للاندلس انه وفد اليها في حدود سنة ٣٨٠هـ ــ ٩٩٠م غير ان الدكتور محمود علي مكي في تحقيقه لديوان ابن دراج القسطلي في هامش ص/١٧٣ يشير الى انه ورد الاندلس في (٣٨٢هـ اعتمـادا على (الفكـر الاندلسي) لانخيل بلانسيا A. G. Palancia ص/٦٦ ، وعلى بحث الاستاذ (بلاشير) R. Balacher في مجلـــة (اسبريس) Hesperis المجلـــد العاشر ص/١٥ ــ ٣٦ /١٩٣٠ . ورواية الضبّي أثبت وأشهر .

وقـد أشادت المصادر الاندلسية المتعـددة بمقدم (صاعد) فقـال (الحُميدي)[٢] في جذوة المقتبس :

« ورد من المشرق صاعد ، في أيام هشام بن الحـكم المؤيد[٣] وولاية المنصور بن أبي عامر[٤] في حدود الثمانين والثلاث مئة (سنة ٣٨٠هـ) .

اما صاحب (الذخيرة) ابن بسّام[٥] الذي جاء متأخرا عمن سبقه فلم يحدد سنة دخوله للاندلس بل قال في ذخيرته عنه . « وكان قد طلع على آفاق لجزيرة (أي الاندلس) في أيام المنصور محمد ابن عامر نجماً من المشرق غرّب ، ولساناً عن العرب أغرب » .

---

(٢) راجع : جذوة المقتبس (للحميدي) ص ٢٢٣ .
و (الحميدي) - أبو عبدالله محمـد بن فتوح الازدي الحميـدي (٤٨٧هـ - ١٠٩٠م) كان تلميذا لابن حزم . وضع كتابه (جذوة المقتبس) وهو في بغداد . قليل القيمة في تراجم الرجال يشوبه غلط كثير أحيانا في تحديد التاريخ . وراجع الفكر الاندلسي عنه ترجمة الدكتور مؤنس - ص ٢١٠ - وجذوة المقتبس ٢٢٣ - ٢٢٧ .

(٣) هشام بن الحكم - بن عبدالرحمن الاموي . ولقبه (المؤيد) ولي الخلافة بعد أبيه . وكانت سنة تسع سنين . فاستولى على تدبير المملـكة (المنصور بن ابي عامر) وأولاده من بعده . توفى هشام سنة ٣٩٩هـ . (راجع النجوم الزاهرة) ج ٤/ص ٢٢١ .

(٤) المنصور محمد بن ابي عامر . درس في قرطبة ، وتأدب بها ، واتصل بالحكم المستنصر الاموي . وتقرب من (صبح) زوجته ، وأصبح وصيا ، ومشرفا على هشام الصبي . ثم وثب على كرسي الخلافة ، وتقلب في الحكم . وتلقب (بالحاجب) غزا الاسبان (٤٠) غزوة وكان منتصرا فيها عليهم . توفي في مدينة (سالم) عام ٣٩٢هـ . بعد ان استمر حكمه ٢٦ عاما .
راجع عنه (نفح الطيب ١٩٠/ ٣٧٥ - وانباه الرواة للقفطي ج ٢/ ٨٥ والاعلام للزركلي ج ٧/ص/٩٩ والبيان المغرب ج ٢/ص ٤٥١ وما بعدها .

(٥) ابن بسام - الشنتريني (٥٤٢هـ - ١١٤٨م) أبو الحسن علي بن بسام من أهل (شنترين) في البرتغال - عالم - أديب - جليل . صنف كتابه المشهور (الذخيرة - في محاسن أهل الجزيرة) . على غرار يتيمة الدهر للثعالبي . وله كتاب مفقود اسمه الاعتماد - على ما صح من اشعار المعتمد بن عباد . راجع : الفكر الاندلسي ص/٢٨٨ ترجمة الدكتور مؤنس .

عصر المنصور بن ابي عامر :

كان المنصور من الشخصيات النادرة في تاريخ الاندلس • شجاعة ، وعلما ، وادبا[٦] • فهو الذي استطاع ان يقيم دعائم الدولة العربية الاسلامية هناك ، بعد ان كادت تعصف بها الفتن ، وتذهب بقوتها الثورات الداخلية والخارجية • تسلم زمام الحكم بينما كانت الخلافة الاسمية للخليفة هشام المؤيد • وقد وصفه بعض الـكتّاب المتأخرين فقال عنه :

« كان المنصور رمزا لمجد الاسلام في تلك البلاد ، وذلك المجد لم يقدر للمسلمين ان يستعيدوه مرة أخرى طول تاريخهم في اسبانيا بعد انتثار سلك الدولة العامرية ، وبعد ان أضاع ورثة هذه الدولة ، ما كان المنصور قد حرص على جمع شمله طوال عشرين سنة من الجهاد المتواصل والعمل الجبار والعزيمة التي لم تعرف نصبا ولا اعياء »[٧] فتح عاصمة بلاده ، وأبواب قصره ، بوجه الوافدين اليه من الشعراء ، يسامرهم ، ويجالسهم ، ويضمّهم الى ندوته ، وقد يصحبهم في غزواته[٨] ، فذكر عنه (المراكشي) في كتابه (المعجب) قوله :[٩]

---

(٦) يستحسن مراجعة كتاب (منصور الاندلس) للاستاذ علي أدهم ط/دار احياء الـكتب العربية ـ ففيه المزيد عن هـــذه الشخصية العربية الجبارة التي قال فيها شاعر اندلسي :

« آثاره تنبيـــك عن أخبـــاره حتـــى كانك بالعيـــان تراه »
« تالله لا يأتي الزمـــان بمثـــله أبداً ولا يحمي الثغـــور سواه »

راجع (منصور الاندلس) ص ١٣٣/علي أدهم •

(٧) راجع مقدمة (ديوان ابن دارج) تحقيق الدكتور مكي ط ١/ ١٩٦١ دمشق ص/٤٩ •

(٨) راجع/اخبار مجالسه ـ نفح الطيب ج ٤/ص ٧٥ • والبيان المغرب ج ٢ ص ٣٧٧ وما بعدها • وجذوة المقتبس في ترجمة (صاعد) ـ والذخير لابن بسام في القسم الرابع ج ١/ص ٧ وما بعدها •

(٩) راجع ـ المعجب ـ للمراكشي ص ٣٧ وما بعدها • ط١/١٩٤٩ وعبدالواحد المراكشي ٥٨١هـ ـ ٦١٨هـ (١١٨٥ ـ ١٢٢٢م) من الشخصيات التاريخية ، في العصر الموحدي • ولد في مراكش ، ودخل الاندلس ودرس باشبيلية ـ واشتهر بكتابه (المعجب) انظر (الفكر الاندلسي) ص ٢٤٨ •

« كان محبا للعلوم مؤثرا للادب ، مفرطا في اكرام من ينسب الى شيء من ذلك ، ويفد عليه متوسلا به ، بحسب حظه منه ، وطلبه له ، ومشاركه فيه • »

ويشير (الحميدي) في جذوته • ان للمنصور بن ابي عامر[١٠] مجلسا اسبوعيا ، يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته ••

وضم بلاطه طبقة من الشعراء امثال : (صاعد البغدادي) و (ابن دراج القسطلي) و (ابن العريف) • ومن الافاضل (الزبيدي) و (العاصمي)[١١] • وفي احدى غزواته الى برشلونة عام ٣٧٤هـ ٩٨٤م • رافقه أربعون شاعرا من شعراء دولته[١٢] • وهذا الفيض منهم يدلنا على ما بلغته الحالة الادبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، في عصره • ليكون كل واحد من هؤلاء داعية له ، ومصورا لحياته ، وراسما لانتصاراته • ولكي يقلد عصر الامويين كالناصر ، والحكم الاول[١٣] •

ولا يلحق بديوان الاعطيات من الشعراء ، الا من كان ذا موهبة وقوة شاعرية • يستطيع ان يثبت اقدامه في ميدان الادب والنقد اللذين لا يخرج منهما سالما ، الا من كان من المبدعين ، والمجددين • وفي المصادر الاندلسية أخبار طريفة عن اختبار المنصور وأهل دولته للعلماء والشعراء • كما حدث لصاعد ، وابن دراج ، والرمادي ، وابن العريف وغيرهم[١٤] •

---

(١٠) راجع – جذوة المقتبس ط ١٩٥٢/١ ص ٧٣ في ترجمة (محمد ابن ابي عامر) •

(١١) راجع – مقدمة ديوان ابن دراج القسطلي – للدكتور محمود مكي ص ٣٨ القسم الخامس منها •

(١٢) راجع – المصدر السابق • وكتاب (منصور الاندلس) لعلي أدهم في الباب الذي عقده ص ١٣٨ عن (الادب والفن في عصر المنصور) •

(١٣) راجع جذوة المقتبس ص ٧٣ – و (منصور الاندلس) ص ١٣٨ •

(١٤) راجع نفح الطيب ج ٣٣٦/٤ ، وابن بسام الذخيرة القسم الرابع ج ١١/١ •

وللشعراء الذين تسجل أسماؤهم رسميا ، في الديوان ، رواتب شهرية ، تختلف باختلاف منزلتهم ، وجودتهم وقوة عارضتهم ، وبديهتهم • وكان (لصاعد البغدادي) راتب شهري قدره ثلاثون دينارا[١٥] •

ولهذا الديوان الخاص بالشعراء ادارة موكولة الى الكاتب الاديب الناقد (عبدالله بن مسلمه)[١٦] « وعلى يديه كانت تخرج صلاتهم ورسومهم ، وعلى ترتيبه ، كانت تجري أمورهم • »[١٧]

العلاقات العلمية بين المشرق والاندلس • في هذا العصر •

لم تكن الاندلس في عصر من عصورها التاريخية المجيدة ، بعيدة في عواطفها وصلاتها عن المشرق العربي وخاصة (بغداد) عاصمة العالم الاسلامي الكبيرة يومذاك • فما كان يحدث فيها من علوم وفنون ، واختراع سرعان ما يقلد ، وينقل الى (قرطبة) عاصمة الخلافة الاموية ، في الغرب الاسلامي الغربي •

ولقد كانت (اسبانيا المسلمة)[١٨] قبل دخول (صاعد) اليها • قد شرعت بفتح أبوابها للوافدين عليها من المشرق • ونراها أخذت ترحب بهم ، وخاصة في عهد (عبدالرحمن الاوسط)[١٩] • ويشير

---

(١٥) راجع الذخيرة – لابن بسام – القسم الرابع ج ١/ص ١١ وكذلك جذوة المقتبس ص ١٠٣ – ومقدمة ديوان ابن دراج – تحقيق مكي ص ٤٢ وما بعدها •

(١٦) راجع/جذوة المقتبس ص/٢٣٩ – وديوان ابن دراج ص/٤٣ •

(١٧) راجع/جذوة المقتبس ص ٢٣٩ رقم ٥٣٩ في ترجمة (عبدالله ابن مسلمة) •

(١٨) اطلق بعض المستشرقين ومنهم (دوزي) R. Dozy و (بروفنسال) L. Provencal على الاندلس العربية الاسلامية اسم (اسبانيا المسلمة) تمييزا لها عن مناطق اسبانيا التي لم يحتلها العرب ولغرض سياسي في نفوسهم •

(١٩) الامير عبدالرحمن الاوسط – بن الحكم بن هشام ٢٠٦ – ٢٣٨هـ من الامراء الامويين الذين ضم بلاطهم في قرطبة شخصيات علمية ، وفنية امثال (زرياب البغدادي) • راجع/ادب الاندلس وتاريخها لبروفنسال – ترجمة شعيره – ص ٦ وما بعدها ودراستنا عن (زرياب) في (ادباء بغداديون في الاندلس) ص/٤١ •

(بروفنسال) في محاضرته الى هذا الظرف بقوله :[٢٠]

« دخلت التقاليد البغدادية ، واهملت التقاليد الشامية بعض الشيء » .

وكان للشعراء من ذلك كسب جديد . ومن المقربين اليه (ابراهيم ابن سليمان الشامي) . الذي نشـــأ في المشرق وعرف ابا نواس ، وابا العتاهية عن قرب . ثم قدم الاندلس حيث اشتهر بشعره الديني الصوفي . وينسب اليه البيت المشهور الذي قارن فيه الحياة الدنيا بنسيج العنكبوت[٢١] كما تمثلت الحضارة الاندلسية بحضارة الف ليلة وليلة البغدادية »[٢٢] .

كما لا ننسى الرحلات العلمية التي قام بهـــا طبقة من العلمـــاء الاندلسيين للمشرق تأدية لفريضة الحج ، ورغبة في طلب العلم ، ومحبة لمجاورة قبر الرسول (ص) .

وفي طيات (المكتبة الاندلسية)[٢٣] التي نشرها (قديرة) آلاف

---

(٢٠) راجع/الشـــرق الاسلامي والحضارة العـــربية الاندلسية _ بروفنسال ص/٢١ وما بعدها .

وأدب الاندلس وتاريخها _ بروفنسال ص/٧ /النص العربي .

(٢١) ونص البيت :

انما الدنيا كبيتٍ نسجته العنكبوت ينسب البيت السابق للامام علي بن أبي طالب (رض) من أبيات مطلعها :

انمـــا الدنيـــا فنـــاء ليس للدنيـــا ثبـــوت

راجع ديوانه ص/١٤ .

ولم نعثر على ترجمة (ابراهيم بن سليمان الشامي) في المصـــادر الاندلسية والمشرقية ، التي بين أيدينا .

(٢٢) راجع/ادب الاندلس وتاريخها _ ص/٨ _ النص العربي .

(٢٣) (المكتبة الاندلسية) ومختصرها B. A. H. مجموعة من الكتب النادرة التي نشـــرها وحققها وفهرســـها المستشرق الاسباني المعـــروف (فرنسيسكو قديره) F. Codera مع زميل وتلميذ له آخر اسمه (خوليان ربيرا) J. Ribera _ ومن هذه المجموعة (الصلة لابن بشكوال _ وتكملة الصلة لابن الابار _ وفهرسة ابن خير الاشبيلي وغيرها .

راجع دراستنا في (العرفان) اللبنانية عام/١٩٥٦ _ ١٩٥٧ _ في (ميادين الاستشراق الاسباني _ العربي) . وفيها اشرت عن ابحـــاث وجهود المستشرقين الاسبان في احيـــاء المخطوطات العربية الاندلسية التي تزخر بها مكاتبهم .

من أسماء الذين شدوا الرحال لطلب العلم من (قرطبة) وما جاورها حتى وصلوا الشرق الاقصى ـ ونجد في آثار بعض علماء المشرق لمحات خاطفة عن وصولهم للبلاد النائية أثبتها الجغرافي الكبير (ياقوت الحموي) في (معجم بلدانه)[٢٤] .

كما اننا نجد ان عصر (الناصر) الخليفة عبدالرحمن الاموي . احتضن العالم العراقي اللغوي (أبا علي القالي) وذلك للمنافسة التي كانت قائمة يومذاك بين بغداد ـ العباسية ومصر الفاطمية ، وقرطبة الاموية[٢٥] .

ونلاحظ أيضا انتشار الادب المشرقي ، ووضع المؤلفات عنه . (كالعقد الفريد) الذي صنفه (ابن عبد ربه) في هذه الفترة ، في مطلع القرن الرابع الهجري . والذي « اوحاه اليه كتاب عيون الاخبار » لابن قتيبة . وكتاب (الحدائق) الذي صنفه الاخوة ابناء (فرج الجياني) ـ أحمد ـ وسعيد ـ وعبدالله . وقد عارضو فيه كتاب (الزهرة) لابي داود الاصفهاني وجمعوا فيه اشعار الاندلسيين[٢٦] .

ان الجو الملائم والحياة الناعمة قد توفرا لـ (صاعد) وكثير من الادباء الذين نزحوا من المشرق الى الاندلس فاستقروا بها ونعموا بخيراتها ونالوا

---

(٢٤) راجع/معجم البلدان ط/صادر بيروت ج/١ ص ٢٠٢ و ص/ ٤٩٠ .

(٢٥) عبدالرحمن الناصر ـ (الخليفة الاموي) ابو المطرف . (٢٧٧ ـ ٣٥٠هـ) كان أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الاموية . وقضى على الثورات والفتن في عصره . وضم مجلسه الكبار من جلة العلماء الاندلسيين والمشارقة .

راجع/تاريخ اسبانيا المسلمة ـ لابن الخطيب ص/٢٨/ والبيان المغرب ج ٢/ص ٢٣٤ .

ومقدمة (ديوان ابن دراج) . تحقيق الدكتور مكي ص/٣٥ والاعلام للزركلي ج ٤/٢ ط ص ٩٩ وما بعدها .

(٢٦) الفكر الاندلس ص/٦١ والاعلام ج ٢٠١/١ ومقدمة (ابن دراج القسطلي) للدكتور مكي ص ٣٥ والشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية ـ بروفنسال ص/٢٩ .

حظوة لدى خلفائها وامرائها في حين أن بعض الادباء قد خاب أمله فرجع لضعف قدرته على البقاء في المحيط الجديد والبيئة الحديثة .

صاعد وشخصيته :

ترجم لـ (صاعد) عدة مؤرخين ، منهم اندلسيون ، ومنهم مشارقة . ولقد كانت شخصية هذا الرجل موضع رأيين متنافرين . هما :

أ ـ فئة من هؤلاء . كانت تنظره بعين الارتياح والتقدير . وهؤلاء أنصاره ومقدوره .

ب ـ فئة تنظره بنظر النقد والتجريح . وهؤلاء هم خصومه ومنافسوه

وسوف نشير الى بعض ، من أصحاب هذين الرأيين .

ولكن من هو صاعد ؟

وما هي نشأته وحياته ؟

ومن هم أساتذته وطلابه ؟

وهل ترك لنا أثرا يذكر في عالم الادب المشرقي أو الاندلسي ، وما هي الدوافع التي دفعته المهجرة الى بلد لا يعرف عنه شيئا الا اسمه وصيته . وهل وفت الاندلس لصاعد ، واعطته حقه وذكراه ؟ وما هي الآثار التي تركها ، واين أثرها ؟؟!

كل هذه النواحي تستوجب دراسة الموضوع ، دراسة تكشف لنا عن جوانبه الغامضة ، وحياته المليئة بالجرأة ، والثبات ، والروح الصابرة العاملة .

لقد سار المتأخرون في ترجمته على طريقة خصومه الذين عاصروه ، أو سمعوا عنه . أو نقلوا عمن سبقهم بشأنه . وجهلوا الاحوال التاريخية . والظروف السياسية ، والتنافس الذي كان يشمل جو الاندلس . ويحيط بادبائها وعلمائها . لكل من يرد اليهم من بلاد المشرق . وخاصة (بغداد) التي كانت يومذاك منارة الدنيا ، وعاصمة الاسلام ، وموطن

اللغة العربية • وفي حياة (القالي) أبي علي[٢٧] وما جرى له مع علماء الاندلس ورجالهـا واقع وحقيقة • اظهر لنا ان العـراقيين الذين احتلوا منزلة عالية ، وصعدوا على مدارج الآداب ، والسياسة ، والرئاسة • قد وصل بعضهم الى القمة بحيث جعل خصومهم يحاولون الحط من فضلهم ، والتجاهل لقدرهم ، والجحود لعلمهم وأدبهم •

و (صاعد) هو الآخر اصابته عين المنافسة • ونفخ عليه من شرور الحسد ، وحاطته الدسائس والتهم والاقاويل • ومع كل هذا ظل صامدا بارزا متحديا • يسخر من خصومه ، ويثأر لكرامته ، وينال حقه كاملا •

من هو صاعد ؟

صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي ، الموصلي الاصل البغدادي ،[٢٨]

---

(٢٧) راجع/دراستنا عن (أبي علي القالي البغدادي) • في كتابنا (ادباء بغداديون في الاندلس) • بغداد ص/١١ وما بعدها •

(٢٨) راجع/عن ترجمته • لسان الميزان ج ٣/ص ١٦٠ ـ ١٦٣ لابن حجر العسقلاني • وميزان الاعتدال ـ في نقد الرجال ـ للذهبي الدمشقي ج ٤٥٣/١ رقم ٣٧٠٨ •
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ لابن كثير •
البيان المغرب ـ لابن عذاري ج ٢/و ج ٣ في فصل (آل عامر) •
بغية الوعاة ـ للسيوطي رقم ٢٦٧ •
روضات الجنات ص ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ •
شذرات الذهب ج ٣/ص ٢٠٦ •
راجع/معجم الادباء لياقوت ج ٢٨١/١١
نفح الطيب ج ٧٥/٤ ـ ٧٣
بغية الملتمس ـ للضبّي ص/٣٠٦
المعجب ـ للمراكشي ص ١٩ ـ ٢٤
الذخيرة ـ ابن بسام المجلد الاول ـ القسم الرابع ص ٢ ـ ٣٩
جذوة المقتبس ـ الحميدي • ص ٢٢٣ ـ ٢٢٧
بروكلمن ط/العربية ـ ترجمة الدكتور نجار ج ١٤٩/٣
الصلة ـ لابن بشكوال ٢٣٥ ـ ٢٣٦
وفيات الاعيان ج ٢٨٧/١

(أبو العلاء) • والربعي – نسبة الى (ربيعة الفرس) التي كانت تسكن قرب الموصل[٢٩] •

اســـاتذته :

تلقى العلوم اللغوية ، عن الاعلام الـكبار الذين عاصروه ومنهم :

السـيرافي[٣٠] وأبو علي الفارسي[٣١] والخطابي[٣٢] والقطيعي[٣٣]

كشف الظنون – لحاجي خليفة ١٢٦١
رقم ٧٩
معجم المؤلفين – كحالة ج ٤ ص ١٨ ٣
الاعلام – للزركلي ج ٣/ص ٢٧١
الفلاكه والمفلوكين – لشهاب الدين الدلجي ص/٧٦ القاهرة
الحلل السندسية – للامير شكيب ارسلان ج ٣/ص ٢٠٦
الفكر الاندلسي – ترجمة الدكتور مؤنس فصل ١٤ ص/٦٦ وغيرها من مصادر أخرى ترجمته ، موجزا ، ومطولا •

(٢٩) ربيعة بن نزار (او ربيعة الفرس) مســـاكنها في الجزيرة والعراق • شعب عظيم ، فيه قبائل عظام ، وبطون وافخاذ ، ينتسب الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ويعرف (بربيعة الفرس) وصاعد منهم ينتهي نسبه • (راجع عن هذه القبائل (معجم قبائل العرب) قديمـــا وحديثا • تأليف عمر رضا كحاله ج ٢/٤٢٤ هذا وقع الدكتور مكي في خطأ بنسب صاعد – فدعاه (صاعد بن أحمد) في مقدمته لابن دارج ص/١٧٣ • وصاعد هذا هو غير البغدادي • اذ ذلك عالم أندلسي توفى في طليطله سنة ٤٦٢ وهو صاحب (طبقات الامم) • كما ان بعض المؤرخين ذكروا والده باسم (الحسين) والاصح الاعم هو (الحسن) •

(٣٠) الحسن بن علي بن عبدالله بن المرزبان (٢٨٤ – ٣٦٨هـ) (٨٩٧ – ٩٧٩م) – الملقب (بالسيرافي) أبو سعيد – نحوي ، عالم بالادب • أصله من سيراف – تفقه في عمان وسكن بغداد • من مؤلفاته (الاقناع في النحو) و (أخبار النحويين) و (البلاغة) و (شرح المقصور) و (شرح كتاب سيبويه) •

راجع عنه/الوفيات ج ١/٣٦١
انباه الرواة ج ١/٣١٣
نزهة الالباء ص/٢١١

(٣١) أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي) الاصل (٢٨٨ – ٣٧٧هـ) (٨٤٣ – ٩٨٧م) • دخل بغداد • ووصل حلب •

وعثمان بن جني[٣٤] .

اما نشأته الاولى ـ فقد كانت في ديار ربيعة في الموصل فلهذا نسب لها أيضا فدعى (بالربعي) ثم انحدر الى بغداد واتصل بعلمائها الافاضل بعد ان تتلمذ على (ابن جني) الموصلي وتعلم على يديه .

وعلم ان للغة مقاما ، ولاصحابها منزلة في الاندلس . وكان مطلع القرن الرابع الهجري الذي هو بدء انفتاح أبواب الاتصالات العلمية ، والمراسلات الادبية . بين الاندلس وبغداد . وكان خلفاء الاندلس ، قد شجعوا الناس على الرحلة الى العراق . وجلب ما في خزائنه من نفائس

عاصر سيف الدولة الحمداني . له المقصور والممدود ـ وكتاب (التذكرة) و (الايضاح) .

راجع عنه/انباه الرواة ج ١/٢٧٣
نزهة الالباء ص/٢١٧
الوفيات ج ١/٣٦١

(٣٢) أحمد بن محمد (الخطابي) المسمى (أبو سليمان) فقيه محدث (٣١٩ ـ ٣٨٨هـ) (٩٣١ ـ ٩٩٨م) من اهل بست من (كابل) . له معالم السنن ، وبيان اعجاز القرآن ، واصلاح غلط المحدثين . وغريب الحديث . وشرح البخاري .

راجع عنه/انباه الرواة ج ١/١٢٥ يتيمة الدهر ج ٤/٢٣١ الوفيات ج ١/٤٥٤ .

(٣٣) أحمد بن جعفر بن مالك (أبو بكر القطيعي) عالم بالحديث كان مسند العراق في عصره (٢٧٣هـ ـ ٣٦٨هـ) (٨٧٧ ـ ٩٧٩م) . نسبته الى (قطيعه الدقيق) له « القطيعيات » في خمسة أجزاء في الحديث . راجع عنه/لسان الميزان ج ١/١٤٥ . واللباب ج ٢/٢٧٣ .

(٣٤) عثمان بن جني . الموصلي (أبو الفتح) (٣٨٢هـ ـ ١٠٠٢م) . من أئمة الادب والنحو ، وله شعر . ولد بالموصل ، وتوفى ببغداد ـ له مصنفات نفيسة منها (شرح ديوان المتنبي) و (الخصائص) في اللغة ، و (اللمع) في النحو . وله (شرح ديوان الحماسة) و (المقتضب من كلام العرب) وكان المتنبي يقول : « ابن جني اعرف بشعري مني » .

راجع عنه/ارشاد الاريب ج ٥/١٥ ـ ٣٢ . مفتاح السعادة ج ٣/١٤٠ الوفيات ج ١/٤١٠ ونزهة الالباء ص/٢٢٨ .

المخطوطات ، والتحف والذخائر • وترغيب من فيه من كبار العلماء[٣٥] الذين استهوتهم الهبات ، وجذبت نفوسهم الصلات • وما يحيط العالم هناك من الاحترام والتقدير • وخاصة اذا كان مشرقيا •

وكان (صاعد البغدادي) قد سمع بالاعطيات الجزيلة وعرف من القادمين الى بغداد – ما يلاقيه أصحاب الفضل والادب والشعر واللغة من تقدير فشد راحلة السفر ، وتوجه الى (قرطبة) الدرة اللامعة في عالم الغرب الاسلامي • ويشير الى ذلك صاحب (انباه الرواة) و (ابن خلكان)[٣٦] • « بلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة ، والآداب هناك مرغوب فيها ، من ملوكها ورعيتها ، فارتحل الى الاندلس ودخلها في حدود سنة ثمانين وثلثمائة • »

و (صاعد) وهو الاديب – الشاعر – اللغوي الذي تتلمذ على نخبة ممتازة من أمثال (ابن جني) و (السيرافي) و (الفارسي) لابد ان يلاقي الاحترام والتقدير – ولكن يجب ان يمر على مجالس الامتحان القرطبية ، ليعرف فيها قدره ، وتوزن فيها منزلته ، ولا نعرف بالتحقيق • البلدان التي نزلها ، واتصل بعلمائها ، قبل ان يدخل الاندلس ، اذ لم تشر المصادر التي بين أيدينا الى شيء عن ذلك ، كما لم تحدثنا عن الزمن الذي قطعه في تلك المسافة ، وهل كان بمفرده أم مع اسرته ، كما فعل (زرياب) مثلا ؟؟؟

كل هذا – مع الاسف – لم توضحه المصادر الشرقية أو الاندلسية – المغربية • لانها قل ان تتحدث عن هذه النواحي ، وتعيرها جانبا من الاهمية •

ويجدر بنا الآن – وقد واكبنا – سفرة (صاعد) ووصوله الاندلس

---

(٣٥) راجع ما أشار عنه (بروفنسال) في محاضراته ، المصدر السابق ص/٧ وما بعدها • ودراسة عن (الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية) ص/١٧ وما بعدها •

(٣٦) راجع/انباه الرواة للقفطي ط دار الكتب المصرية ج ٢/ ٨٥ – ٩٠

وفيات الاعيان ج ١/١٨١

معجم الادباء ج ١١/٢٨١

في عـام سنة ٣٨٠هـ • المصادف (٩٩٠م) • أن نقف على مجلس عقـد لامتحانه ، واختبار ذكائه ، بعد ان استقبله (المنصور بن ابي عامر) استقبالا طيبا • ونترك الحديث لصاحب (الذخيرة) ابن بسام لوصف هذا المجلس قال :[٣٧]

اجتمع عند المنصور بن أبي عامر أعيان الاوان (كالزبيدي)[٣٨] و (العاصمي)[٣٩] و (ابن العريف)[٤٠] ومن سواهم ؟ فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا ـ صاعد ـ يزعم أنه متقدم في هذه الاداب التي أنتم سرجها الضاحية ، واهلتها السارية • واحب ان يمتحن ما عنده • فوجه اليه ، ودخل المجلس وقد احتفل فخجل ، فرفع المنصور مجلسـه وآنسه ، وسأله عن ابي سعيد السيرافي • فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه •

فبادره (العاصمي) ـ بالسؤال عن مسألة من الـكتاب • فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر ان النحو ليس جل بضاعته ، ولا رأس صناعته •

---

(٣٧) الذخيرة ـ لابن بسام القسم الرابع ج ١/ص ٦ وما بعـــدها ـ ومعجم الادباء ـ ج ١٠/١٨٤ • والمعجب ـ للمراكشي ص/٣٥ والاخير يروي الحكاية التي أثبتناها بأسلوب آخر •

(٣٨) محمد بن الحسن (أبو بكر) الزبيدي ـ اديب ـ عروضي ـ شاعر ـ نحوي • سكن قرطبة • له كتاب (طبقات النحويين) و (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولد سنة ٣١٦ ـ توفى سنة ٣٧٩هـ • وهناك عدة أسماء وبلقب (الزبيدي) في الاندلس • وهنا اختلاف بسيط بين دخول صاعد سنة ٣٨٠هـ ـ ووفاة (الزبيدي) سنة ٣٧٩هـ راجع/معجم المؤلفين ج ٩/١٩٨ •

(٣٩) عبدالله العاصمي النحوي ـ من رجال (المنصور) العامـري المعافري •

(٤٠) الحسين بن الوليد بن نصر المعـــروف (بابن العريف) أبو القاسم ، أديب ، نحوي • شاعر • أخذ العربية عن (ابن القوطية) وله رحلة للمشرق • وعاد للاندلس ـ وادب أولاد المنصور ثم توفى بطليطلة • من تصانيفه (شرح الجمل) للزجاج • راجع/معجم المؤلفين ج ٤/٦٧ وبغية الوعاة/٢٣٧ وجذوة المقتبس/١٨٢ •

فقال له الزبيدي : فما تحسن أيها الشيخ ؟

قال : حفظ الغريب .

قال : فما وزن اولق ؟[٤١]

فضحك صاعد وقال : أمثلي يسأل عن هذا ؟ انما يسأل عنه صبيان المكتب . قال الزبيدي : فقد سألناك ، ولا نشك أنك تجهله . فتغير لونه وقال : « أفعل » .

قال الزبيدي : صاحبكم ممخرق[٤٢] .

قال له صاعد : اخال الشيخ صناعته الابنية ؟

قال له : أجل !

قال صاعد : وبضاعتي أنا حفظ الاشعار ، ورواية الاخبار ، وفك المعمى ، وعلم الموسيقى .

قال فناظره (ابن العريف) فظهر عليه صاعد . وجعل لا يجري في المجلس كلمة . الا أنشد عليها شعرا شاهدا ، أو أتى بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجبا . »[٤٣]

ولكن صاعد وهو ـ الأديب اللبق ـ والشاعر الفطن . لم ينس هذا الامتحان . فأراد ان يرد عليهم بما يثبت وجوده في محضر المنصور ، فسألهم عن معنى قول (أمرىء القيس) في معلقته[٤٤] :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

فقالوا « هذا واضح وانما وصف فرسا أشهب عقدت عليه الوحش فتطاير دمها على صدره فجاء هكذا » .

فقال صاعد : سبحان الله أنسيتم قوله قبل هذا :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

---

(٤١) الاولق . ووزنه (فوعل) وأصوله (أل ق) شبه الجنون .

(٤٢) مخرق ـ بوزن (دحرج) أي موه وكذب ـ (مولدة) .

(٤٣) راجع نفح الطيب ج ٤ ص/٧٦ وما بعدها .

(٤٤) راجع شرح المعلقات السبع ـ شرح الزوزني ـ مطبعة حجازي ص/٣٧ وص/٣٢ .

قال : فبهتنا والله • وكأننا لم نقرأ هـــذا البيت قط ، واضطرنا الى سؤاله عنه •

فقال : انما اعني أحد وجهين اما انه تغشى صدره بالعرق ، وعرق الخيل أبيض فجاء مع الدم كالشيب ، واما شيئا كانت العرب تصفه ، وهو انها كانت تسم باللبن الحار في صدور الخيل ، فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض فأياً ما عنى من احد الوجهين فالوصف مستقيم »(٤٥) •

أثره الادبي وتلامذته :

الاديب النابه ، والشاعر الفطن ، والعالم العامل هو الذي يترك لنا أثرا في المجتمع الذي يعايشه ، والحياة الاجتماعية التي يحياها • و (صاعد البغدادي) لم يكن مجهول القدر ، والمنزلة • في مجتمعه الشرقي • فقد ذكر صاحب (لسان الميزان) ابن حجر العسقلاني(٤٦) وهو من كبار العلماء عن مقام أبي العلاء صاعد فقال عنه :

« •• وهو من رواة الحديث النبوي ، طالعت كتاب الفصوص له • »

ثم يشير عن دراسته على يدي ابي سعيد السيرافي ، وابي علي الفارسي ، وعن اتصالاته بالامراء • ويذكر انه اتصل بعبدالعزيز بن يوسف ، وولاه خزانة كتبه ، وأصاب فيها خطوط العلماء ، واصولهم التي استأثروا بهـا لانفسهم ، دون الناس • اذ لابد لكل عالم من اثيره ومجموعته الخاصة

---

(٤٥) راجع/جذوة المقتبس (للحميدي) ص ٢٢٥ في ترجمة صاعد رقم ٥٠٩
والذخيرة ـ لابن بسام القسم الرابع ـ الجزء الاول ص/٧
المعجب ـ للمراكشي ص ٣٥ ونفح الطيب للمقري • ج ٤/٧٧
و (منصور الاندلس) لعلي أدهم ص/١٣١
وتشير المصادر الاندلسية ـ كالنفح ـ وجذوة المقتبس وغيرهما على أسئلة (صاعد) لجماعة الادباء في مجلس المنصور واحراجه لهم • راجع (ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦) جذوة المقتبس •

(٤٦) لسان الميزان/لابن حجر العسقلاني ج ٣/ـ ص/١٦٠ ـ ١٦٣ •

غير ما يدعيه للطلبة عنده »[٤٧] .

لهذا فنحن نرجح أن صاعدا لم يكن قليل الزاد من المعرفة الادبية ولم يكن من الذين يدعون المعرفة جزافا ، دون ان تكون لديه حصيلة وخميرة من العلم ـ والاطلاع ، والذكاء ، والشخصية .

اما هجوم ادباء الاندلس وشعرائها عليه ، وخاصة الطبقة التي كانت تواكب مجالس المنصور ، فمرده الغيرة ، والانانية الفردية ـ والطمع ، والمنافسة . لكي تنال حظها من الاعطيات ، وتحتل منزلها من الصدارة !!

والا لو كان (صاعد) من الذين هم دون ذلك المستوى والشخصية لتجافاه المنصور ، ولاهمله ، ولم يقربه ـ في غدوه ، ورواحه ، وفي سفراته وغزواته ، وفي مجالسه الخاصة ، وفي مقاصير حرمه ورياضه .

ولقد أثبت الدليل القاطع ، ذكاءه ، وخفة روحه وطيب معشره ، واذا ضاقت (بالحاجب المنصور) ساعات السأم ، والضجر ، والالم النفسي ـ كان صاعد نديمه الخاص وسامره المحبب المقرب[٤٨] .

ان اهم ما ادخله (صاعد اللغوي البغدادي) لبلاد الاندلس من بضاعته الادبية ، وطرقه الثقافية ، المنهج العلمي لدراسة (الشعر الجاهلي) اذ انه كان يلقي محاضراته في (الزاهرة)[٤٩] على الطريقة التالية :

« يقرأ الطالب القصيدة ، ثم يسأله الاستاذ عن معاني الالفاظ ، ويقوم بالشرح معتمدا على قائمة من المعاني ـ يكون قد استخرجها من المعاجم العربية . » . هذا بالاضافة لاعتماد كثير من علماء الاندلس على مرويات صاعد اللغوية ـ والجغرافية ، ودراسة الاماكن الخاصة بالجزيرة

---

(٤٧) المصدر السابق ص/١٦٠ .

(٤٨) راجع/عن لطائف صاعد والمنصور ومجالسه ـ الذخيرة ـ القسم الرابع ج/١ ص ٩ وما بعدها ونفح الطيب ج ٤/ص ٨١ وما بعدها .

(٤٩) الزاهرة ـ من قصور ابن ابي عامر ـ التي بناها تشبيها بقصر (الزهراء) المشاد في زمن (عبدالرحمن الناصر) . وقد وضع اسسها عام سنة ٣٦٨هـ ودخلها سنة ٣٧٠هـ .

العربية[٥٠] • كما بعث في نفوس شعراء ذلك العصر النشاط ، والحركة العلميين ـ وبزهم في روح الارتجال ، وقوته • وسنأتي على طرف من ارتجاله وطرائفه • و « حسن نيته وسريرته ، وصفاء باطنه » واخلاصه لاصحابه •

تلامذته ومريدوه :

تتلمذ على يد (صاعد البغدادي) جلة من العلماء الاندلسيين ، ذكرتهم المراجع التي ترجمته أمثال (البغية) و (الجذوة) و (الذخيرة) و (النفح) • ونحن نشير الى بعض المشهورين منهم :ـ

١ ـ (ابن حيان) مروان بن خلف بن حسين بن حيان ـ وقد اعتمد ابن حيان في مؤلفه (المقتبس) على صاعد البغدادي[٥١] •
٢ ـ (ابن سيده) أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده[٥٢] •
٣ ـ (ابن المغلس) أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد القيسي[٥٣] •
٤ ـ (القطيني) أبو تمام غالب بن عبدالله القطيني[٥٤] •

---

(٥٠) راجع/الفكر الاندلسي ترجمة الدكتور مؤنس ص/٦٦ •

(٥١) (ابن حيان) مؤرخ اندلسي كبير ، من كتّاب المنصور بن ابي عامر • ومن معاصريه • له كتب عدة منها (المآثر العامرية) و (تأريخ فقهاء قرطبة) و (المتين) ، و (المقتبس) الذي نشر قسما منه في باريس الاب ملشور انطونيا عام سنة ١٩٢٨ • وحياته تمتد من (٣٧٧ ـ ٤٦٩هـ) (٩٨٧ ـ ١٠٧٠م) •

(٥٢) (ابن سيده) من أهل مرسيه • كان عالما بفقه اللغة ـ شاعرا ، لغـويا • وهو أعمى ووالده أعمى • له مؤلفـات أشهرها • (المحكّم) و (المخصص) سار فيه على الطريقة الشرقية ، في وضع المعاجم (كما ذكر ذلك بروفنسال في محاضراته) • حياته تمتد من (٣٩٨هـ ـ ٤٥٨هـ) (١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م) •

(٥٣) (ابن المغلّس) روى عن صاعد وقرأ الادب عليه بقرطبة ، رحل الى المشرق ودخل بغداد • وكان شاعرا وتوفى سنة ٤٢٧هـ •

(٥٤) (القطيني) أبو تمام غالب ـ من (قطين) بجزيرة ميورقه • رحل الى قرطبة عام سنة ٤١٤هـ • وتوفى سنة ٤٦٥هـ •

٥ ـ (ابن حزم) أبو محمد بن حزم علي بن سعيد القرطبي[٥٥] .

ومن العلماء الذين استفادوا من مؤلفات (صاعد) عمليا (الوزير الفقيه) ، أبو عبيد ـ عبدالله بن عبدالعزيز (البكري) الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧هـ استفاد من علومه اللغوية ، ودراسته لاسماء الامكنة والبقاع . ونجد ذلك في طيات كتابه (الشهير معجم ما استعجم) في الفصـــول التي عقدها حول (البرق) و (الدارات) و (الفصائح)[٥٦] .

منصفوه وناقدوه :

الانسان الفاضل ، والعالم اللبيب ، والاديب النابه ، لا يخلو من أنصار يؤيدونه في أقواله ، ويحتـــرمونه في آرائه . ويجعلون اسمه في المنزلة اللائقة به . أو خصوم يتهمونه بأفظع التهم ، ويحاربونه أشد المحاربة . و (صاعد البغدادي) في مصادره الاندلسية والمشرقية التي تتبعنا خطاها . نراها تتهمه وتنجده ، وتقدره وتتحامل عليه . وتختلق حوله مختلف القصص والاقاويل . ولـكنها في الغالب الاعم تجمع على ادبه ، وفضله ـ وطيبة قلبه ـ وسرعة بديهته . وحسن فطنته ، ولباقته ، وخفة روحه . و (المعري) الشاعر يقول :

« تعد ذنوبي عنـــد قوم كثيـــيرة ولا ذنب لي الا العلى والفضائل »

اما منصفوه فمنهم :

(الحميدي) ـ في جذوة المقتبس و (ابن بسام) في الذخيرة .
و (المراكشي) في (المعجب) و (ابن الخطيب) في الاعلام .

---

(٥٥) (ابن حزم) أبو محمد بن حزم علي بن أحمد بن سعيد . صاحب المؤلفات الـكبيرة الهامة من (قرطبة) فقيه ـ أديب ـ محدث ـ حافظ . من مؤلفاته الشهيرة . (الملل في الاهواء والنحل) وكتاب (المحلى) في الحديث والسنة .

(٥٦) راجع/لسان الميزان ج ٣/١٦٣
ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ص/٢٤٢ ـ ٢٤٥ وراجع ص/٥٣٣ ـ ٥٣٨ .

والمقري في (النفح) • وياقوت في (ارشاد الاريب) • وغيرهم كثيرون •

أما ناقدوه • فمنهم : ابن عميرة الضبي (في بغية الملتمس) •
وابن بشكوال في (الصلة) و (السيوطي) في (بغية الوعاة) •

ومن المتأخرين الذين قلدوا الاوائل • نذكر (حاجي خليفة) في (كشف الظنون) • وتنصب هجماتهم عليه ، بانه منتحل للشعر ، متهم بالسرقة الادبية ، وبالالحاف والسؤال •

ويبدو أن كثرة منافسيه ، ووفرة خصومه ، وسوء حظه – صب عليه الهجوم والتحامل • حتى عده (الدلجى) بطبقة (الفلاكه والمفلوكين)[٥٧] •

شاعريته وبداهته :

لصاعد اللغوي البغدادي ، شـاعرية تفيض رقة ، وتتدفق عذوبة وجمالا • ولكن هذه الشاعرية ، يعتريها احيانا الضعف ، نتيجة كد الذهن ، وحراجة الموقف ، التي يكون بها الشاعر •

وكان من أشد منافسيه وخصومه في المجالس الشعرية – ابن العريف – وابن سعيد المرواني – وعبدالله بن مسعود الغساني – والجزيري • وابن دراج •

ومن طرائف أشعاره • انه كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه (وردة) في غير وقتها لم يتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا :

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر ... فغطت باكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان (ابن العريف) حاضرا فحسده ، وجرى الى مناقضته وقال لابن عامر : هذا البيتان لغيره ، وقد انشدتيهما بعض البغدادين

---

(٥٧) راجع كتاب (الفلاكه والمفلوكين) – ومعناه قلة الحظ – وسوء الطالب • والمفلوكون – هم الذين – تعداهم الاقبال ، وبعدت عنهم السعادة • انظر/الكتاب المذكور ص/٧٦ •

لنفسه بمصر . وهما عندي على ظهر كتاب بخطه . فقال المنصور أرنيه ، فخرج (ابن العريف) وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ما جرى . فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي (صاعد)[٥٨] .

عشـوت الى قصـر عباسة — وقـد جدل النوم جراسـها
فالفيتهـا وهي في خدرهـا — وقـد صرع السكر اناسـها
فقالت : أسـار على هجعـة ؟ — فقلت : بلى فرمت كاسـها
ومـدت يديهـا الى وردة — يحـاكي لك الطيب انفاسـها
كعـذراء ابصـرها مبصـر — فغطـت باكمامهـا رأسـها
وقالت : خف الله لا تفضحنّ (م) في ابنـة عمـك عباسـها
فوليـت عنهـا على عفـة — ومـا خنت ناسي ولا ناسـها

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ووری وتحيل بمداد اشقر . ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظا على صاعد وقال : غدا امتحنه ، فان فضحه الامتحان ، لم يبق في موضع لي فيه سلطان . فلما أصبح وجه عنه بمجلس حفل ، وقد أعد طبقا فيه سقائف من خروب النواوير ووضع على السقائف جواري ياسـمين ، وتحت السقائف بركة ماء حصاها لؤلؤ ، وكان في البركة حية تسبح . فلما دخل صاعد مُثل الطبق بين يديه ؟ فقال له المنصور : ان هذا يوم اما ان تسعد فيه معنا ، واما بالضد عندنا . لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى ، وقد وقعت من ذلك على حقيقة . وهذا طبق ما توهمت أنه مُثل بين يدي ملك قبلي في شكله ، فصفه بجمع ما فيه . فقال (صاعد) بديهة (قصيدة) :

ابا عامر هل غير جدواك واكف — وهل غير من عاداك في الارض خائف؟
يسوق اليك الدهـر كل عجيبة — واعجب ما يلقـاه عندك واصف

---

(٥٨) راجع/عن أخبار صاعد وطرائفه وشاعريته ـ الذخـيرة لابن بسام ج/١ القسم الرابع ص/٤ وما بعدها ـ والبيان المغرب ج ٢/و ج/٣ وجذوة المقتبس في ترجمة (صاعد) والمعجب كذلك ونفح الطيب ج ٤/٧٩ .

وشائع نور صاغها هامرا الحيا ... عليهـا فمنهـا عبقـر ورفارف
ولما تناهي الحسن فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظبـاء المستكينة كنسا ... تظللها بالياسـمين الشـعائف
واعجب منهـا أنهن نواظـر ... الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي ، سابح في عبابهـا ... من الوحش حتى بينهن السلاحف
ترى ما تشاء العـين في جنباتها ... من ابوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه • وكان الى ناحيه سقيفة فيها جارية ، تجذف بمجاذف ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية ، فقال :

واعجب منهـا غادة في سـفينة ... مكللة تصـبو اليها المهـايف
اذا راعها موج من الماء تتقي ... بسـكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب ... تصرف في يمنى يديها المجاذف ؟!
فلم تر عين في البـلاد حديقة ... تنقلهـا في الراحتين المناصف
ولا غرو ان شاقت معاليك روضه ... زهتهـا ازاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقـل متالع ... ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهـة ... فكلني لهـا اني لمجـدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومئـة ثوب ، ما بين غلائل وطيقـان وعمائم ، واجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين دينارا ، وألحق في ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطبني وابن العريف وابن التياني وغيرهم • »(٥٩)

ويعقب ابن بسام على هذه الحكاية بقوله :

« والحسد موروث ، وقديم لا حديث ، وليس في الحيوان ، أخبث في ذاته من الانسان • » ومعنى هذا ان كثرة حساد (صاعد) ، وقرب منزلته ، من حكم الاندلس يومذاك ابن أبي عامر • جعله محاطا بالمضايقات ،

---

(٥٩) راجع/الذخيرة ــ ص ١٠ و١١ في القسم الرابع ج ١/وفي نفح الطيب ج ٤/٨٠ مع اختلاف بسيط •

والمفتريات ، تراقبه أعين الحساد ، وتشد عليه أنفاس المزاحمين . وفي مختلف النصوص الادبية الشعرية ـ دلائل بينة ، وبراهين واضحة على رقة شاعريته ، ولطافة روحه ، وسرعة بديهته .

هذا بالاضافة الى طلبات المنصور منه في معارضة كبار شعراء المشارقة ، كأبي نواس[٦٠] في قصيدته « أجارة بيننا ابوك غيور » في مدح (الخصيب) فأبى صاعد ذلك اجلالا لابي نؤاس . فعزم عليه المنصور فأنشده متمثلا :

اني لمستحي عـلا ـك من ارتجال القول فيه
من ليس يـدرك بالرو يـة كيف يدرك بالبديه

فلم ينفعه ذلك عنده ، ومكث فيه بقية يومه وليلته وجاءه من الغد فأنشده قصيدته التي أولها :

« جذال الشـرى اني بكن بصير طوتكـن عني خلسة وقتـير »

ومن لطيف شعره :[٦١]

قلت لـه والرقيب يعجـله مودعـا للفـراق : أين أنا
فمـد كفـاً الى ترائبـه وقال : سر وادعا فانت هنـا

كما أن له كذلك قصيدة عامرة طويلة نظمها عام سنة ٣٩٠هـ في انصار (ابن ابي عامر) باحدى غزواته ، المظفرة على ملوك الاسبان .

ويقول عنها ابن الخيب بانها « من أفخر شعره » منها :

جددت شكري للهوى المتجدد وعهدت عندك منه ما لم يعهد
اليوم عاش الدين وابتدأ الهدى غضا وعـاد الملك عذب الورد
... ورأوك فارتدوا على اعقابهم مثـل ارتداد تنفس المتنهـد
... ما ناجزوك ومن الخوانح موضع لتبصـر ومكـانة لتجلـد[٦٢]

واستمر الشاعر في خدمة (الدولة العامرية) واتصل بأولاد (المنصور) ومنهم عبدالملك (المظفر) الذي تولى الحكم سنة ٣٩٢هـ الا ان اندفاعه ،

---

(٦٠) راجع/الذخيرة ص ١٣ وما بعدها .
(٦١) راجع النفح ج/٤ ص ٩٥ .
(٦٢) تاريخ سبانيا المسلمة ـ لابن الخطيب ـ نشر بروفنسال /ص ٧٢ .

وحبه ، وشاعريته ، أصابها بعض الفتور • وأصبحت رهينة المناسبات العابرة • وقد أثبت له ابن عذاري في (بيانه) والمقري في (نفحه) بعض النفحات الشعرية • التي أنشدها بين يدي أولاد (المنصور) وخاصة (عبدالملك المظفر العامري) وكان هذا من هواة جمع الرياحين والورود • في قصره يقترح على الشعراء أن ينظموا في هذا الحقل ويعطيه لقيانه ينشدنه ويغنيه في مجالس الخاصة • ومن جميل شعر (صاعد) بهذا الباب قوله من أبيات في وصف (البنفسج) :

... « يزري اذا احتست المعاطس ريحه
بنسيم غالية وفوح عبير
يحكى قميص الفجر لون أديمه والقرص في خد الملاح الحور[٦٣]

ومن جيد شعره في وصف (الورد) قوله من أبيات :

... شبهته وسقيط الطل تحدره عنه الرياح وقد مدت اليه يدا
بخد ذي خجل أنكته خجلته حتى تفرق فيه دمعه بددا[٦٤]

أما نثره —

فلا يقل روعة عن شعره الا ان الباقي في المصادر منه قليل • فمن رسالة له يستنجد بأحد الفرسان بالاندلس المسمى (علي بن وداعة) حينما ضاقت به الاحوال وطولب بما أخذه من مال — بعد انقضاء حكم العامريين قال :[٦٥] وفيها يشير الى نسبه من (ربيعة) وقرابته من علي بن وداعة • « اني على وهني ، وما أخذه الدهر مني ، ونحته من قدحي لأربأ بالفضل ان ينحط الا في مضانه ، ويحل في غير معانه ، فلم أحوم على أحد طير رجائي ، ولا رمقت بأملي الا من نوه الله باسمه • وناسب بين أحواله ، وشابه بين خلاله ، فسبحان من جعل سنانك عدل لسانك ، وبيانك كفء

(٦٣) راجع/البيان المغرب ج ٣/ص ١٩ — ٢٠ •
(٦٤) المصدر السابق •
(٦٥) الذخيرة ج/١ قسم/٤ ص/٣٧ وما بعدها •

طعانك ـ فالالسن تتنادم على وصفك ، والقلوب تعاقر خمرة حبك ، خبيئة أذاعها الله منك ، وذخيرة أبرزها الدهر بك » • ثم يشير الى قرابته : « وأنا ابن عمك من ربيعة ، اذ هي وسليم أحلاف ، فالعدنانية تلفنا ، والنسب يضم شعبنا • »

آثاره ومؤلفاته :

شغلت (صاعد) المجالس الادبية ، والحياة اللاهية الناعمة ، في مجتمع الاندلس الجديد عليه • فلم ينصرف الى التأليف الذي يتصف بالعمق والروية • وهذه احدى المآخذ التي أخذها عليه خصومه وأعداؤه • وقد أراد (المنصور) ان يجعله بمثابة (أبي علي القالي) في عصر (الناصر) عبدالرحمن • فطلب منه أن يملي محاضراته في جامع (الزاهرة) ويؤلف كتابا تجمع مواده ، وتناقش آراؤه في محضر العلماء والادباء الاندلسيين • فقام بهذه المهمة ، وألف كتابه (الفصوص) على غرار كتاب (النوادر)[٦٦] • ولكن ادباء العصر ـ تتبعوه « فلم تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم • »

واستمر النقد اللاذع على كتاب (صاعد) وعلى مؤلفه • حتى كثرت الاخبار عن مصير هذا الكتاب • وذكروا ان المنصور أمر باخراج هذا

---

(٦٦) يشير صاحب (الذخيرة) بانه طلب منه أن يضع كتابا على غرار (النوادر) لابي علي القالي • راجع ص/٧ • ويذكر ابن بشكوال ص/٢٣٥ عن كتاب (الفصوص) بأنه الفه عام سنة ٣٨٥هـ في ربيع الاول ، وأكمله في رمضان من العام نفسه • وأثابه عليه بـ (٥٠٠٠) دينارا وقد قرأه عليه (ابن حيان) عام سنة ٣٩٩هـ • وقد ذكر (بروكلمن) في الطبعة العربية ص/١٤٩ ج/٣ بأنه نحا فيه نحو (الامالي) للقالي • وهذا اختلاف عن الرواية الاندلسية •

ومن كتاب (الفصوص) مخطوطة فريدة (بمكتبة القرويين بفاس) كما ذكر ذلك (بروكلمن) ج ٣/ص ١٤٩ و (الندوي) في (تذكرة النوادر) عن المخطوطات العربية ص/١٢٩ • وقد شرح علاءالدين علي بن النفيس ٦٨٧/١٢٨٨هـ هذا الكتاب •

الـكتاب من محضره وان يلقى في نهر قرطبة (الوادي الـكبير) • فقال أحد خصومه ولعله (ابن العريف) متشفيا

قد غاص في البحر كتاب الفصوص   وهكـــذا كل ثقيـــل يغـــوص

فأجابه صاعد مرتجلا :

عـــاد الى معـــدنه انمـــا   توجد في قعر البحار الفصوص[٦٧]

و (للبغدادي) صاعد كتابان آخران هما أشبه بالقصص والروايات المجلسية ، خصّصها ووضعهمـا لسمر ليالي ابن ابي عامر هما : كتـاب « الجواس » بن معطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء » وكتاب « الهجفجف » بن غيدقان مع الخنوث بنت محرقه »[٦٨] •

هجرته من الاندلس ووفاته :

بعد ان أصاب (الدولة العامرية) ما أصابها من نكبات وشدائد ، وقضى على اسرتهـا ، في ثورة (البربر) عـام ٤٠٠هـ المسـمى (بعـام الفتنة) • حيث دخلوا (قرطبة) واحتلوها وقتلوا نخبة من علمائها أمثال (ابن الفرضي) وغيره • تشتت الاتباع والانصار • وحل بهم ما حل بأســيادهم • صـاعدا ذلـك ففـر مسـتخفيا مـن العاصـمة وقصـد مســتجيرا (بأبي زيـــد البكـــري) ومنـــه قصـــد (صـقلية) • فتحسن حاله عند صاحبها ، وذهب عنه خوفه ، وبؤسه ، ثم رجع لحمل أهله في قرطبة والبربر فيها ، والخليفة (سليمان الاموي) يحكمها • تعرض صاعد لمدحه ، ولم تنجح محاولاته في استمالته • فأستعجل الرجوع الى (صقلية) • وظل فيها ــ بعد « ان تناحرت خلال المـكروه فيما بعد على صاعد بارتجاج الفتنة ، غلاء سعر ، ورخص شعر • حتى اختل وعجز

---

(٦٧) يذكر خبر الـكتاب وسقوطه في النهر ــ من يدى غلام (صاعد) صاحب المعجب ــ ويشير الى الرواية المذكورة صاحب (النفح) و (جذوة المقتبس) •

(٦٨) راجع ــ بروكلمن الطبعة العربية ج ص ومعجم المؤلفين لـكحالة ج ٤ ص/٣١٨ دمشق •

عن ستر ولده واهله . »[69]

وهكذا انطوت بذلك صفحة أديب عراقي عربي . كان يحب بلاده ، ويذكرها في كل مجال ومقال ـ بمدينة كقرطبة هي « ميدان جياد ، وبلد جدال وجلاد »[70] . وأثبت هذا الحب ، والمدح . ابن بسام في ذخيرته فقال :

« وكان صاعد كثيرا ما يمدح بلاد المشرق بمجلس المنصور ويباهي بأخبارها . ووصف اشربتها وديارها .

ان في الذخائر العربية الاندلسية صورا رائعة تستحق البحث والدراسة . سوف يكشف عن سر عظمتها ، وسيبدو جمال جوهرها . ولا غرابة في ذلك فهي من كنوز العرب الخالدة هناك . ومن مواطن مجدهم التالد ، وعملهم الخالد . ولا تزال حتى هذه الساعة ترفرف عليها محبتهم . وتتناجى في جوانب آثارها ذكرياتهم .

ولا اخال ان الزمن يظن عليهم في مخفيات مستقبلة ، أن يعيد لهم تلك الفراديس الزاهرة ، والديار العامرة ، والمجالس العلمية الغراء باصالتها وعروبتها . اذا تظافرت الهمم ، وتساندت القلوب ، وتشابكت الايدي ، وتلاحمت السواعد ؟

---

(٦٩) راجع أخباره . في الذخيرة/ص ٣٨ . ونوادره عند (مجاهد العامري) في (دانية) ـ وزيارته (لابي زيد البكري) في (شلطيش) .
(٧٠) راجع/الذخيرة/ص ٨ القسم الرابع ج/١ و ص/١٦ .

مصادر البحث ومراجعه

أ ـ المصادر القديمة :

١ ـ انباه الرواة ـ للقفطي ـ ط ١/دار الكتب المصرية/١٩٥٢
٢ ـ الذخيرة ـ لابن بسام ط ١/لجنة التأليف والترجمة والنشر/١٩٤٥
٣ ـ المعجب ـ للمراكشي ط ١/١٩٤٩ · مصر
٤ ـ أعمال الاعلام ـ لابن الخطيب ـ نشر بروفنسال ط ٢/١٩٥٦ بيروت
٥ ـ بغية الوعاة ـ للسيوطي ـ ط ١/١٣٢٦ مصر
٦ ـ بغية الملتمس ـ للضبّي ط/مجريط/١٨٨٤
٧ ـ روضات الجنات ـ ط ٢/ايران ـ للخوانساري ١٣٤٧هـ
٨ ـ نفح الطيب ـ للمقري ـ ط ١/القاهرة ـ ١٩٤٩ تحقيق محمد عبدالحميد
٩ ـ معجم الادباء ـ لياقوت الحموي ط/دار المأمون نشر الدكتور رفاعي /١٩٣٦
١٠ ـ جذوة المقتبس ـ للحميدي القاهرة/ط ١/١٩٥٢ تحقيق محمد الطنجي ·
١١ ـ لسان الميزان ـ لابن حجر العسقلاني ـ ط/حيدر آباد الدكن ١٣٣١
١٢ ـ الصلة ـ لابن بشكوال ط ١/مجريط/١٨٨٢
١٣ ـ جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم القرطبي ـ نشر بروفنسال ـ ١٩٤٨ القاهرة
١٤ ـ البيان المغرب ـ لابن عذاري المراكشي ج ٢ ط بيروت/١٩٥٠ و ج ٣ باريس/١٩٣٠
١٥ ـ نزهة الالباء ـ للانباري ط/بغداد/١٩٥٩ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
١٦ ـ معجم ما استعجم ـ لابي عبيد البكري ـ نشر لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة تحقيق مصطفى السقا
١٧ ـ وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ـ نشر محمد محي‌الدين عبدالحميد القاهرة/١٩٤٨
١٨ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد الحنبلي ـ مصر ١٩٥٠ ·
١٩ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لابي بكر الزبيدي ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم/١٩٥٤ القاهرة
٢٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار صادر وبيروت/١٩٥٥
٢١ ـ الروض العطار · نشر ليفى بروفنسال/للحميري ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة/١٩٣٧
٢٢ ـ المغرب في حلى المغرب ـ لابن سعيد المغربي · تحقيق الدكتور شوقي ضيف/١٩٥٣
٢٣ ـ ديوان ابن دراج القسطلي ـ تحقيق الدكتور محمود علي مكي ـ دمشق ط ١/١٩٦١

ب ـ المصادر الحديثة :

٢٤ ـ الفكـر الاندلسي ـ لبلانثيا ـ ترجمـة الدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة/١٩٥٥

٢٥ ـ الحلل السندسية ـ للامير شكيب ارسلان ـ ط ١/١٩٣٩ مصر

٢٦ ـ كشف الظنون ـ لحاجي خليفة

٢٧ ـ الفلاكه والمفلوكين ـ لاحمد الدلجي سنة ١٩٠٤ القاهرة

٢٨ ـ منصور الاندلس ـ لعلي أدهم ـ سلسلة اعلام الاسلام

٢٩ ـ النظم الاسلامية ـ للدكتورين حسن ابراهيم واخيه ط/١٩٣٩

٣٠ ـ ابن حزم ـ صور اندلسية ـ دار الفكر العربي ـ للدكتور طه الحاجري مصر

٣١ ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ـ لـكامل كيلاني/١٩٢٤ مصر

٣٢ ـ أدباء العرب ـ لبطرس البستاني سنة ١٩٣٧ بيروت

٣٣ ـ في الادب الاندلسي · للدكتور جودة الركابي/١٩٦٠ مصر

٣٤ ـ تاريخ الادب الاندلسي ـ للدكتور احسان عباس ١٩٦١ بيروت

٣٥ ـ دولة الاسلام في الاندلس ـ الـكتاب الثالث ـ محمد عبدالله عنان /١٩٥٥ مصر

٣٦ ـ تاريخ الادب العربي ـ لـكارل بروكلمن ـ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ج/٣/١٩٦٢ مصر

٣٧ ـ محاضرات في الادب الاندلسي وتاريخها ـ بروفنسال ـ القاهرة سنة ١٩٥٢ ترجمة ابو شعيرة

٣٨ ـ الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية ـ تطوان ـ لبروفنسال ترجمة البستاني/١٩٥١

٣٩ ـ معجم قبائل العرب ـ لعمر كحالة ١ ط/دمشق ١٩٤٩

٤٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية الطبعة العربية ـ ترجمة عبدالحميد يونس وجماعته ط ١/١٩٣٧ · مصر

(ج) المصادر الاجنبية

41— Brockelmann S. I. 254

42— Francisco Pons No. 79 - Madrid 1898

الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد

أثناء الحكم الالخاني

١٢٥٨ ـ ١٣٣٦

الدكتور محمد رشيد الفيل
مدرس في قسم الجغرافية

المقــــدمة :

ليس من السهل معالجة مثل هذا الموضوع لقلة ما كتب عنه خــلال هذه الفترة • يطلق على هذه الفترة من تاريخ العراق اسم (الفترة المظلمة) Dark Period وهي في الحقيقة مظلمة لان القليل يعرف عنها ، ولم تجر الا محــاولات قليلة لدراسة العراق خلال هذه الفترة . ويمتاز هــذا العصر بقلة الـكتاب المعاصرون اذ هاجر معظمهم الى سوريا أو مصر تخلصاً من القتل أو خوفاً مما قد يصيبهم على ايدى الفاتحين الجُدد (المغول) .

ولقد حاولنا قراءة جميع ما كتب عن هــذا الموضوع في هذه الفترة ولــكن لم نزل نعتقد انه يعوزه الـكثير لـكي يصــل الى المستوى الـذى نرجوه .

فتح العراق :

قــرر مانجوخــان Mangu Khan بعــد تتويجــه سنة ١٢٥١ م ارسال حملتين عسكريتين ، تتجه الاولى لفتح الصين بقيادة اخاه قبلاى Kublai والثانية تتجــه غرباً بقيــادة هولاكو لفتح المنطقة بين آموداريا وحــدود مصر[١] . ولم تــكن هذه أول مرة يصل فيهــا المغول الى العراق بل يذكر

---

(١) الصدفي « تاريخ دول الاسلام » • ج ٢ ص ٢٦٧ •
Howorth, "History of the Mongols. etc". part III p. 56.

المقريزي « السلوك » الجزء ١ القسم الثاني ص ٣٨٣ •

ابن كثير ان أول غارة على العراق كانت سنة ١٢٢٠ م . حيث وصل المغول حتى اربيل[٢] . وفى عام ١٢٢١ م وصلوا ضواحى بغداد وفى هذه الفترة اعترف بدر الدين لؤلؤ سلطان الموصل بسلطانهم بل وساعدهم فى حصار اربيل وبغداد[٣] . وسار هولاكو بجيوشه الجرارة مكتسحاً امامه كل من يعترض طريقه وقضى على حصون الاسماعيلين والتفت لاكمال ما بدأه واعتنى فتح العراق .

ولهولاكو أسبابه ودواعيه الخاصة التي دفعته الى فتح بغداد عاصمة الخلافة العباسية . فهى مشهورة بعلومها وفنونها وصناعاتها وثرائها انتشرت اخباره كما ان ضعف المدينة وقد وصل اسماعه ، ويروى ان ابن العلقمى وزير المستعصم العباسى شجع هولاكو كثيراً على فتح بغداد[٤] . وكقائد عسكرى اتخذ هولاكو كافة الاحتياطات اللازمة لفتح بغداد ووضع الخطة اللازمة لتنفيذ غايته .

كان الجناح الايمن من الجيش المغولى مؤلفاً من قوات بايجو Baiju [٥] . وتحركت هذه القوات من بلاد الروم وعبرت دجلة عند مدينة الموصل ووصلت الى غرب بغداد حيث التقت بقوات بلغاى Bulghai وسوجاق Sujak وبوقاتيمور Buka Timur الذين قدموا من شهرزور الى داقوق وعبروا نهر دجلة عند تكريت .

اما الجناح الايسر من الجيش فكان تحت قيادة قتبوقا نويان Kitu buka Noyan وقدسو Kodsua ونرهلكا Nerhilka الذى وصل بغداد عن طريق لورستان ـ بيات ـ تكريت .

---

(٢) « البداية والنهاية » ج ١٣ ص ٨٦ ، ٩٤ .
(٣) « ابن الفوطي » الحوادث الجامعة ص ٩٩ ، المقريزي ج ١ قسم ٢ ص ٤١٠ ، ابن كثير ص ١٣ ص ٢٠٠ .
(٤) السيوطي « تاريخ الخلفاء » ص ٤٦٥ ، المستوفى « تاريخ جزيدا » ص ١٤٢ ، الذهبي « دول الاسلام » ج ٢ ص ١٢٢ .
الصفدي « الوافى بالوفيات » ج ١ ص ١٨٤ .
(٥) انظر الخريطة ـ رقم (١) .

اما هولاكو نفسه فكان لقيادة قلب الجيش ولقد اتى مع قواته عن طريق حلوان ـ خانقين ـ بغداد (طريق خراسان المشهور)[٦] . وكان هذا الطريق يخترق مناطق جبلية وعرة يصعب اجتيازها ويشرف عليها حصن درتنك Dertenk الذي يعتبر مفتاح العراق العربي[٧] .

كان حصن درتنك تابعا لحسام الدين عكا Hisam al-Din Aka [٨] ، الذي استدعاه هولاكو محاولا الاتفاق معه كما أعطاه بعض الحصون ليأمن جانبه ولكن حسام‌الدين رفض الاتفاق مع هولاكو واتصل بالخليفة العباسي وأخبره بخطة العدو وطلب من الخليفة ان يمده بجيش مدرب بالاضافة الى قواته يتمكن من ان يوقف زحف هولاكو ولكن الخليفة صمّ اذنيه ولم يقبل هذا العرض بل ضربه عرض الحائط ، فلما سمع هولاكو بما فعله حسام الدين عكا قبض عليه ودمر حصنه[٩] . وهكذا امن هولاكو طريقه وتحركت جيوشه لتنقض على بغداد . وما ان وصلت أنباء تقدم قوات‌المغول‌للاستيلاء على بغداد حتى‌نفر سكان منطقة الدجيل والاسحاقي ونهر عيسى ونهر الملك والتجاوا بمدينة بغداد ويروى ان الفارين دفعوا اسورة ذهبية او بضعة دنانير لعبور نهر دجلة الى بغداد حيث سكنوا في المدارس والرباطات والجوامع والشوارع[١٠] . ولاشك بان هذا الازدحام الفجائي كان له أثره على الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد .

---

(٦) ابن الفوطي ص ٣١٩ ـ ٣٢٣ .
ابن الطقطقي « كتاب الفخري » ص ٩٧ ،
D'ohsson, "Histoire des Mongols Depuis Tchinguiz-Khan.. etc". vol. 4 pp. 226-7.
Curtin, "The Mongols." p. 250
Howorth, "op. cit". part III pp. 119-121.

(٧) كان حصن درتنك تابعا للعراق خلال الحكم العباسي وهو الآن تابعا لايران .

(٨) العزاوي « تاريخ العراق بين احتلالين » ج ١ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
D'ohsson, "op. cit". vol. 4 p. 222.

(٩)

(١٠) ابن الطقطقي ص ٢٤٦ ـ ٧ ، ٣٠٠ ، ابن الفوطي ص ٣٢٢ .

اما الحالة في بغداد فكانت سيئة للغاية . ففى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) حدث فيضان عظيم ادى الى هدم كثير من البيوت كما فاض القُبين والدجيل ونهر الملك ونهر عيسى وأدى الى غرق كثير من الاراضي الزراعية[١١] . وفى عام ١٢٥٧ م حدثت معركة فى بغداد بين السنة والشيعة وقد رافقها أعمال النهب والسلب والشغب[١٢] . وكان الخليفة نفسه ضعيفاً يقضى معظم اوقاته متفرجاً على الرقاصين والطبالين[١٣] . ولقد تمكن ابن العلقمى (وزير الخليفة المستعصم) من اقناع الخليفة بتخفيض عدد قوات الجيش وباستطاعة الخليفة ان يشترى الهدايا ويرسلها الى هولاكو بالاموال التى يوفرها .

وهكذا خفض الخليفة قواته من ٠٠٠ ١٠٠ الى ٠٠٠ ٢٠ جندى وأضاف ابن الفوطي بان الخليفة أهمل عطاء جنده فاضطرهم الى الاستعطاء فى الاسواق والجوامع[١٤] . ولاشك بان كل هذا سهل مهمة هولاكو للاستيلاء على مدينة بغداد .

معركة بغداد سنة ١٢٥٨م[١] :

كان الدوادار (قائد جيوش الخليفة العباسى) قد خيم بين بعقوبة وباجسرا على طريق خراسان[٢] . ولكنه عندما بلغه ان قوات المغول قد وصلت شمال بغداد عبر دجلة هو وجيوشه لمقابلة العدو .

وبناء على ذلك أصدر الخليفة أوامره بان يأخذ مرشد الخصى بقية

---

(١١) ابن الفوطي ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

(١٢) Nicholson, "A Literary History of the Arabs". pp. 455-6.

(١٣) ان دل هذا على شيء فانما يدل على ضعف الخليفة وتماهله في واجباته وتخاذله فيروى ان الخليفة عندما سمع بمجيء هولاكو قال : ماذا يريد مني ؟ كل ما اطلب هو ان يبقي لي بغداد وليأخذ هو كل شيء .

(١٤) ابن الفوطي ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

ابن كثير ج ١٣ ص ٢٠١ . Howorth. "op. cit". vol III p. 115.

(١) انظر الخريطة رقم ـ ٢ ـ .

(٢) اسم الحقيقي مجاهدالدين الدين ايبك .

اجند وان يسير بهم على طريق خراسان لمقابلة هولاكو عند خانقين • ويذكر ابن الفوطى[٣] بان الامراء لم يقبلوا ان يخرجوا الى الحرب بقيادة خصى فخالفو اوامر الخليفة .

التقى الدوادار وجيوشه بجيوش المغول على بعد فرسخ الى الشمال من قنطرة باب البصرة فى ٩ محرم سنة ٦٥٦ هـ (١٤ كانون الثانى سنة ١٢٥٨ م)[٤] . ويذكر ابن الطقطقى ان عدد قوات الدوادار كانوا ٣٠٠٠٠ جندى بينما ابن كثير قدر عدد الجنود بـ ١٠,٠٠٠ جندى فقط[٦] . وكانت جيوش المغول التي بقيادة بايجو أكثر من هذا العدد •

ولقد اندحر المغول أول الامر او مارسوا حيلهم وذلك بتظاهرهم بالانكسار فتراجعوا تتبعتهم قوات الخليفة حتى ادركهم الظلام[٧] . ولقد عبروا نهر بشير (احد فروع الدجيل) ومكثوا هناك حتى الصباح[٨] . وأثناء الليل طغت مياه نهر بشير على منطقة المعركة[٩] • وفي الصباح الباكر هاجم المغول قوات الخليفة بقسوة وشراسة فاضطرت الى الانسحاب ، واثناء انسحابهم واجهتهم مياه نهر بشير فلم تتمكن خيولهم من الحركة بسبب الاوحال فالقى بعض الجنود انفسهم في المياه وعاموا ولكن القوات المغولية تبعتهم وأخذت تستأصلهم وعاش القليل ليقص أنباء الفشل أنباء المعركة

---

(٣) « الحوادث الجامعة » ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ •

(٤) اطلق ابن عبدالحق على هذه القنطرة اسم « القنطرة الجديدة » الواقعة على قناة الصراة ولقد جددت عدة مرات •
« مراصد الاطلاع » ج ١ ص ٤٦٣ ــ ٤ •

(٥) « نفس المصدر » ص ٣٠٠ •

(٦) « نفس المصدر » ج ١٣ ص ٢٠١ •

(٧) ابن الطقطقي ص ٣٠٠ •

(٨) Howorth, "op. cit". part III p. 122.
D'ohsson, "op. cit". vol. 4 p. 231.

(٩) ابن الفوطي ص ٣٢٤ •
يذكر Howorth purt III p. 122 وغيره بأن ابن العلقمي ارسل قسما من اتباعه لتحويل مياه القناة ولكني ارجح بأن المياه فاضت بصورة طبيعية لان هذا الموسم هو موسم سقوط الامطار في العراق •

الخاسرة[10] . وبعد اندحار جنود الخليفة وانسحابهم ، اخذت قوات هولاكو اماكنها لحصار مدينة بغداد . فاستقر قسم من الجيش بالقرب من البيمارستان العضدي[11] ، عند الجسر الخشبي الاعلى واستقر قسم آخر الى الجنوب عند الجسر الاسفل مقابل قصر التاج[12] ، اما هولاكو فقد ترك متاعه في خانقين وفي ١٢ محرم سنة ٦٥٦ هـ (١٩ كانون الثاني سنة ١٢٥٨) تحرك هولاكو نحو بغداد على طريق خراسان بقوات يبلغ تعدادها ٢٠٠,٠٠٠ جندي مع قوات الكرخ والموصل[13] . واستقر به وبقواته المقام في شرق بغداد مقابل برع العجمي وباب الحلبة حيث تركز الهجوم[14] . اما الجناح الايمن من الجيش بقيادة بلغاي Bulglai وكولي Couli فاستقروا خارج السور شمال المدينة امام باب سوق السلطان[15] في حين ان الجناح الايسر تحت قيادة الكانويان Ilka Noyan

---

(١٠) ابن الفوطي ص ٣٢٤ .

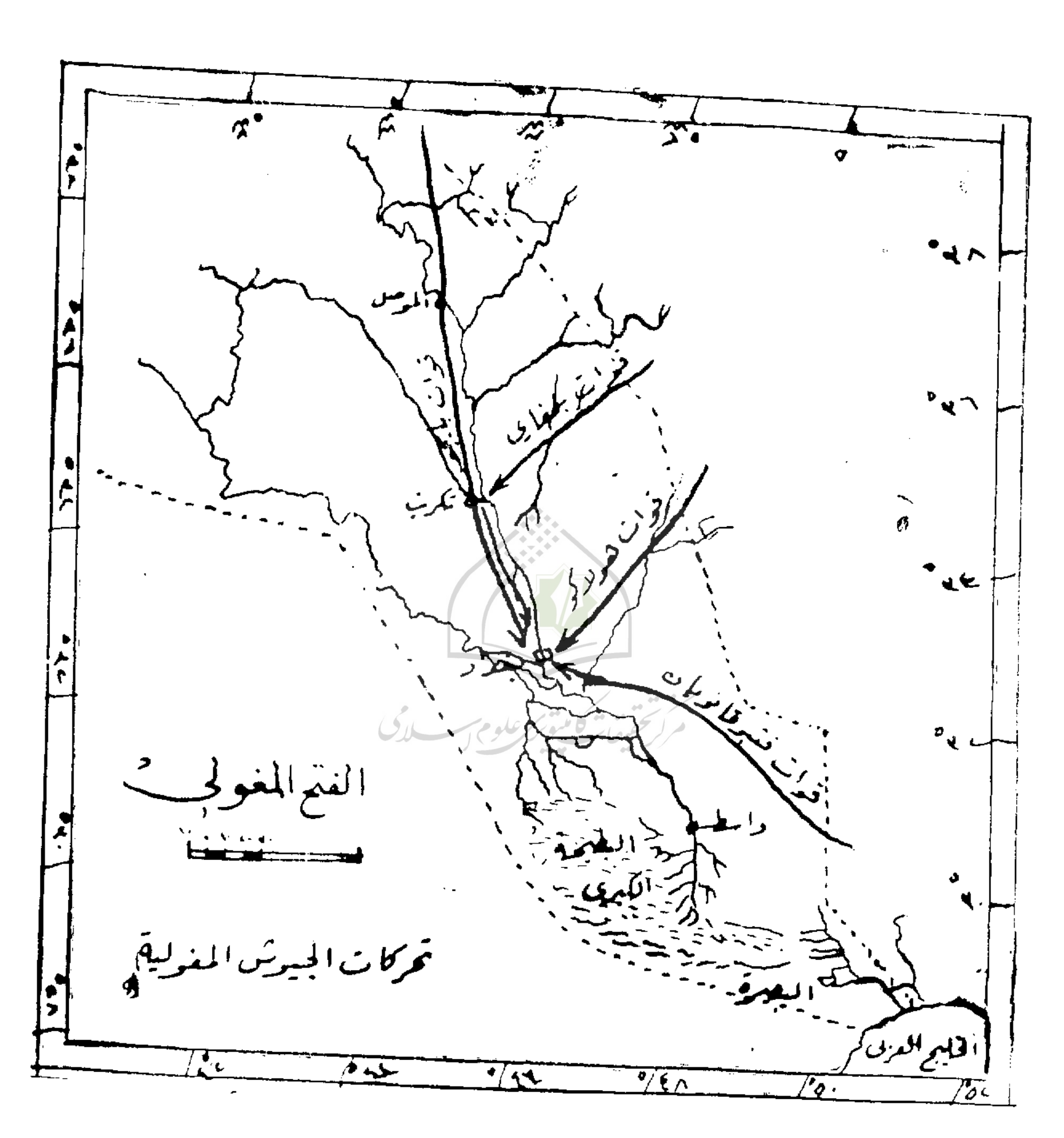
(١١) ابن العبري « تاريخ مختصر الدول » ص ٤٧١ بنيت هذه المستشفى على انقاض قصر الخلد وانتهى من بنائها سنة ٩٨١م .
Le strange, "Baghdad during the Abbasid Caliphate". pp. 103 ' 104 ' 105 ' 319.

(١٢) ابن الطقطقي ص ٣٠٠ . كان قصر التاج احد قصور دار الخلافة في بغداد الشرقية . وضع اسس القصر المعتضد واكمله المكتفي وعرف أخيرا باسمدار الشاطئية . وبعد خرابه بناه المضيء ثم جدده المستنصر . ابن عبدالحق ج ٢ ص ١٩٤ .
Le strange, "op. cit". pp. 25 ' 260 ' 261.

(١٣) ابن الفوطي ص ٣٢٥ ، كل من Howorth part III p. 322, العزاوي ج ١ ص ١٧٣ اعطوا ١١ محرم ٦٥٦هـ (١٨ كانون الثاني سنة ١٢٥٨) كتاريخ لقدوم هولاكو .
ابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٠ Nicholson "op. cit". p. 445.

(١٤) كان باب الحلبة يلي باب الظفرر وهو باب الطلسم في القرن العشرين . بدر طه « محنة الاسلام الكبرى » ص ٩٦ .
Le strange, "op. cit". pp. 291 ' 292 ' 293.

(١٥) يقع باب سوق السلطان عند باب المعظم .
D'ohsson, "op. cit". vol. 4 p. 233.
Howorth, "op. cit". part III p. 122.
Le strange, "op cit". p. 282. العزاوي ج ١ ص ١٧٤ .


الموصل
تكريت
واسط
البطيحة
الكبرى
البصرة
الخليج العربي
الفتح المغولى
تحركات الجيوش المغولية

خريطة رقم (١)

فقد استقر عند باب كلواذى فى النهاية الجنوبية لشرقى بغداد[١٦] .

ولقد جمع المغول الطابوق الموجود خارج السور وبنوا حائطين احدها في الجزء الشرقي من بغداد والآخر في الجزء الغربي كما بنوا قواعد للمنجنيقات التي ترمي الحجارة أو الخرق المبللة بالنفط . وبما انه لم يكن هنالك صخور بالقرب من مدينة بغداد لكى تستعمل فى المنجنيقات فقد جمع المغول الطابوق وجذوع النخل وارسلوا بعض القوات لجلب الصخور من جبل حمرين وجلولاء[١٧] . كما امر الخليفة المستعصم باصلاح سور بغداد[١٨] .

ولقد بدأت الحرب فى ٢٢ محرم سنة ٦٥٦ هـ (٢٩ كانون الثانى) سنة ١٢٥٨)[١٩] . وكان الهجوم مركزا على برج العجمى واستمرت المنجنيقات تدك السور لمدة ستة أيام . وخلال الحصار ارسل هولاكو الرسائل الى القضاة والتجار والعلماء الذين ليسوا فى حالة حرب[٢٠] .

---

(١٦) كان باب كلواذى يسمى باب البصليه والذي اطلق عليه المستوفي باب الخلج Khuluj وكان الى الجنوب من بغداد وفي بداية القرن العشرين كان الباب الشرقي يقع مكان باب كلواذي .

ابن عبدالحق ج ١ ص ٥٠٩ .

(١٧) ابن الطقطقي ص ٣٠٠ ، الصفدي ج ٢ ص ٢٨١ ، العزاوي ج ١ ص ١٧٤ Howorth. "op cit". purt III p. 126.

ربما جلبوا الصخور من جبل حمرين عن طريق دجلة ومن جلولاء عن طريق ديالى .

(١٨) Howorth. "op cit". purt III p. 128.

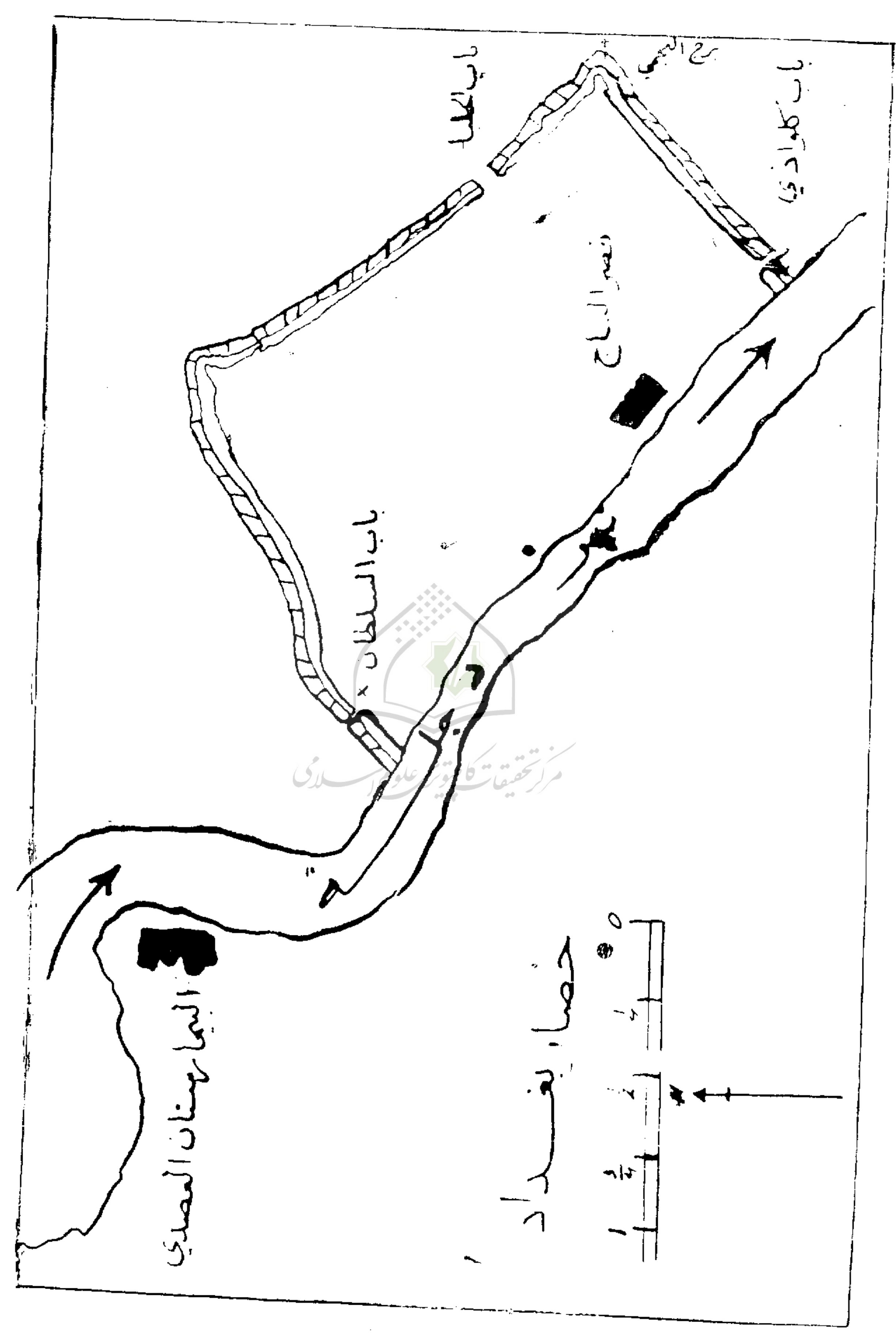
(١٩) ابن العبري « تاريخ مختصر الدول » ص ٤٧٤ .

لم يتفق الكتاب على بداية المعركة فأشار ابن الطقطقي (ص ٣٠٠) الى ان ٤ محرم (١١ شباط) هو يوم بداية المعركة بينما المقريزي (الجزء الاول القسم الثاني ص ٤٠٩) فقد سجل يوم ٣٠ كانون الثاني . بينما الصفدي (ج ٢ ص ٢٨١) والعزاوي (ج ١ ص ١٧٣) و Howorth (part III p. 123) اتفقوا مع ابن العبري على ان يوم بداية المعركة كان يوم ٢٢ محرم .

(٢٠) العزاوي ج ، ص ١٧٤ .

D'ohsson, "op. cit". vol. 4 p. 234.

احتوت هذه الرسائل على امان اعطي من قبل هولاكو للذين لم يشتركوا بالحرب ولاشك بأن هذه خطة فريدة لكسر معنويات أهل بغداد وصرفهم عن الدفاع عن مدينتهم .


البيمارستان العضدي
باب السلطان
قصر التاج
باب كلواذى
حصار بغداد

خريطة رقم (٢)

وفي ٢٨ محرم ٦٥٦ هـ (٤ شباط ١٢٥٨) تهدم برج العجمي فدخلت قوات المغول ولقد ذعر البغداديون عندما رأوا أعلام المغول تخفق على هذا البرج[٢١] .

ولقد استعد الغزاة لمنع هروب احد عن طريق دجلة وذلك ببناء جسر خشبي الى الجنوب من بغداد . ويروى ابن الفوطي ان كثيراً من سكان بغداد قبض عليهم واعدموا عند هذا الجسر عند محاولتهم الهرب[٢٢] . ولقد خرج المستعصم يحف به الامراء من الاسرة العباسية ورؤساء البلاط العباسي فقطعت رؤوس الجميع ما عدا المستعصم الذي قتل رفساً حسب تعاليم الياسا التي وضعها جنكيز خان[٢٣] .

هجم المغول على المدينة واعملوا السيف بالسكان بضعة أيام[٢٤] . حتى قدر البعض ان عدد القتلى بلغوا حوالى ١٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة[٢٥] .

---

(٢١) Howorth, "op. cit". part III p. 123.
أشار ابن الطقطقي (ص ٣٠٠) بأن يوم ١٩ محرم (٢٩ كانون الثاني) هو يوم سقوط برج العجمي بينما ابن العبري (ص ٤٧٤) والصدفي (ج ٢ ص ٢٨١) أشار الى ان ٢٦ محرم هو التاريخ الصحيح بينما اكتفى ابن كثير (ج ١٣ ص ٢٠٣) بذكر آخر محرم هو يوم سقوط برج العجمي .

(٢٢) ص ٣٢٦ .

(٢٣) العمري « غاية المرام » ص ١٨٣ مخطـــوط اليافعي « مرآة الجنان » ج ٤ ص ١٣٩ . السيوطي « تاريخ الخلفاء » ص ٤٧٢ وتشير احدى بنود الياسا الى تحريم سفك الدماء الملكية .

(٢٤) السيوطي ص ٤٩٧ ، المقريزي ج ١ قسم ٢ ص ٤١٠ ، ابن الفوطي ص ٣٥٩ . استنادا الى الذهبي « دول الاسلام » ص ١٢٣ Nicholson ص ٤٤٦ ان المذبحة استمرت ٣٤ يوما . بينما ابن العبري (ص ٤٧٥) و D'ohsson ج ٤ ص ٢٤٠ اشارا الى ان مذبحة بغداد استمرت اسبوعا واني اتفق معه في الرأي لان مذبحة من غير مقاومة تدوم أربعين يوما لابد ان تؤدي الى قتل ملايين الناس بل واني اميل الى ان المذبحة لم تدم أكثر من يوم أو يومين وخاصة اذا ما علمنا ان هولاكو حاول المحافظة على بغداد .

(٢٥) الذهبي ص ١٢٣ ، اليافعي ج ٤ ص ١٣٧ ، العمري ص ١٨٣ مخطوط ، Nicholson ص ٤٤٦ .
اختلف الكتاب في عدد القتلى فالسيوطي (ص ٤٧٢) وجد الكفاية

ولم يسلم الا من اختفى في الآبار والمجاري المائية القذرة[٢٦] . واما التجار الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المغول فقد اعطوا صكوك امان (يارليغات) واصطحبوا حرساً مغولياً لحمايتهم[٢٧] . الى جانب المذبحة فان المغول دمروا جامع الخليفة ومرقد موسى الكاظم وقبور الخلفاء في الرصافة ومما زاد الخراب فظاعة هو تدمير معظم الشوارع والبيوت[٢٨] . ولعل اعظم خسارة لحقت ببغداد بل والعالم اجمع هو تخريبهم للمكتبات وفقدان آلاف الكتب[٢٩] . ويروى ابن خلدون[٣٠] بان الكتب القيت في نهر دجلة . ولما غادر هولاكو بغداد اصدر اوامره باصلاح مسجد الخلفاء وقبر موسى الكاظم[٣١] . ويبدوا ان هولاكو حاول المحافظة على بغداد دون أن يصيبها تخريب ولهذا أصدر أوامره بتعمير أسواقها والمناطق الخربة فيها[٣٢] .

في القول بأن عدد القتلى يزيدون على ١٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة بينما ابن كثير ج ١٣ ص ٢٢ لم يكن متأكدا من عدد القتلى فقال اما ٨٠٠٫٠٠٠ أو ١٫٨٠٠٫٠٠٠ اما ابن خلدون « كتاب العبر » ج ٥ ص ٥٤٣ فقد اشار الى ان عدد القتلى كانوا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ اما D'ohsson (ج ٤ ص ٢٤٠) فقد أشار الى ان عدد القتلى كانوا ٨٠٠٫٠٠٠ . والعزاوي (ج ١ ص ٤) أشار الى ان عدد القتلى كانوا ٨٠٠٫٠٠٠ ولكن بعد ذلك يتفق مع رقم آخر هو ٨٠٫٠٠٠ نقله عن تاريخ مصلح الدين اللاري . ولكن الذي يظهر ان الكتاب كانوا يخشون من اعطاء رقم كبير عن عدد القتلى لان بغداد سنة ١٢٥٨ ليست بغداد هرون الرشيد التي بلغ عدد سكانها أكثر من مليوني نسمة . ولكن مع ذلك فأن سكان المقاطعات الواقعة حول بغداد لجأوا اليها هذا من غير شك ادى الى زيادة للسكان ولكن مع ذلك فأن ١٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة من القتلى عدد مبالغ فيه والواقع ان الكثير من التخريب نسب الى المغول وهم منه براء .

(٢٦) السيوطي ص ٤٧٢ .

(٢٧) ابن الفوطي ص ٣٢٩ .

(٢٨) ابن الفوطي ص ٣٢٠ . Le strange, "op. cit". p. 343.

(٢٩) القلقشندي « صبح الاعشى » ج ١ ص ٤٦٦ .

(٣٠) ج ٥ ص ٥٤٣ .

(٣١) Le strange, "op. cit". p. 343.

(٣٢) يقول المقريزي ج ١ قسم ٢ ص ٤١٠ بأنه على الرغم من فظاعة ما حدث ببغداد الا انه لم يصل الحد الذي وصله في المدن الاخرى لان هولاكو أراد الاحتفاظ بمدينة بغداد سليمة .

الدولة الالخانية : (١٢٥٨م ـ ١٣٣٦)

ازال هولاكو الخلافة العباسية من العراق وتأسست دولة أحرى هى الدولة الالخانية التى حكمت العراق من السلطانية ومن ثم من تبريز . ولقد عين هولاكو ابن العلقمى وزيراً وفخر الدين مديراً للادارة وعلي بهادر لمراقبة التجار والصناع . كما ارسل الكانويان Ilka Noyan وقره بوقا Kara Buka مع ٣٠٠٠ جندى لاعادة نظام الاسواق وتجديدها واقامة ابيوت المهدمة[١] ولقد حاول الالخانيون جهدهم لاعادة ثروة العراق الى سالفها ونجحوا الى حد كبير . ولقد عين هولاكو مدراءً للولايات وامرهم بتعميرها وعاقب بصرامة كل من اهمل واجباته[٢] . ولعل احسن فترة شهدتها العراق خلال الحكم الالخانى هى فترة حكم غازان خان الذى شجع الزراعة والصناعة والتجارة وامّن المواصلات وقضى على قطاع الطرق وعاقب بصرامة كل من خالف اوامره وقبض على السلطة بيد من حديد ولهذا ازدهر العراق نوعما في وقته ولكن عوامل الهدم كانت اقوى من عامل البناء فتردى اقتصاد العراق بالتدريج وقل السكان واهملت الزراعة ولم يلتفت الحكام الى مشاريع الرى كما كثرت الثورات بعد الدولة الالخانية وتعددت القوات التى سيطرت عليه .

الحالة الاقتصادية لبغداد أثناء حكم الدولة الالخانية ١٢٥٨ ـ ١٣٣٦ :

١ ـ الري :

اشتهر العراق بصورة عامة والسواد[٣] بصورة خاصة بخصبه ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تنظيم استعمال مياه دجلة والفرات ووجود نظام

(١) ابن العبري ص ٤٧٥ .
العزاوي « تاريخ العراق بين احتلالين » ج ١ ص ٢٠٢
Howorth, "op. cit". part III pp. 131-2.

(٢) ابن الفوطي « نفس المصدر » ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٣) السواد اسم اطلقه العرب على السهل الرسوبى .

دقيق للرى وحصوبة التربة وتجدد هذه الخصوبة كل عام بما يجلبه نهر دجلة والفرات من رواسب .

ولقد وصل السواد اوجه فى اوقات الهدوء والامن والسلام ووجود حكومة قوية تسيطر بيد من حديد على انحاء العراق كافة . ولقد ورث العباسيون نظام رى شامل فحافظوا عليه بل وزادوا فى بعض الاحيان اذ حفروا عدة قنوات وأقاموا السدود . وكان تنظيف القنوات ضرورة ملحة – كما هو الحال فى الوقت الحاضر – اذ ان نهرى دجلة والفرات يحملان مواد معلقة تقدر به ٧٥٠ وحدة فى كل ــر١٠٠ وهى خمسة امثال ما يحمله نهر النيل . هذا يعطى دليلاً واضحاً وملموساً على ان تدمير نظام الرى مرجعه الى حد كبير الى الارسابات التى يحملها دجلة والفرات اثناء الفيضان .

وكان لدى العباسيون ديوانا سموه ديوان الأقرحة للاشراف على الري والقنوات . يقول ابو يوسف قاضى قضاة الرشيد ان واجبات الحكومة حفر القنوات وتنظيفها باستمرار ولكن بعد القرن التاسع الميلادى ابتدأت تلك الثروة بالزوال ، اذ ضعفت الحكومة فأهملت مشاريع الرى مما ادى الى كثرة الترسبات في مجاريها تلك الترسبات التى تراكمت سنة بعد اخرى حتى سدتها وتهدمت السداد وغيرت الانهار مجاريها . ولكن مع ذلك فقد بقيت بعض القنوات خلال الحكم الالخانى كنهر عيسى والدجيل ولكنها لاقت نفس مصير القنوات الاخرى .

يتكون نظام الرى فى منطقة بغداد من مجموعة من القنوات هى :

أ – القورج :

يأخذ القورج من دجلة بالقرب من علث وكان طوله حوالى ٨٠كم . ومنذ زمن الرشيد أصبح القورج يهدد مدينة بغداد بالغرق لذلك أمر الرشيد بسد مدخل القناة . وفى خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر كان القورج من أسباب الاضرار التى لحقت ببغداد من الفيضانات المتكررة .

ويروى ابن عبدالحق[٤] والقزوينى[٥] ان الحكام عملوا ما بوسعهم لسد مدخل القناة ولكن مع ذلك كان دوما يسبب الاضرار لمدينة بغداد فى كل سنة ولم يأت ذكر القورج بعد القرن الرابع عشر مما يدل على انه امتلأ بالرواسب .

ب ـ الدجيل :

يبلغ طول الدجيل ١٠٠ كم . يأخذ الدجيل من دجلة مقابل القادسية الى الجنوب من سامراء ثم يسير موازيا لنهر دجلة حتى تصل ذنائبه فى ضواحى بغداد لتروى قسمها الغربى ويروى ابن عبدالحق[٦] ان هذه القناة كانت تصب فى خندق طاهر وعندما مر ابن بطوطه بالعراق وصف الدجيل حيث قال :

« الدجيل قناة تأخذ من دجلة وتروى عدد كبير من القرى »[٧] . ولقد ادركت هذه القناة الفترة العثمانية فى العراق .

حـ ـ نهر عيسى :

عبارة عن قناة يستفاد منها فى الملاحة والرى . وهى احـدى اربـع قنوات تصل بين نهر الفرات ونهر دجلة . وهى تبدأ عند خط طول سح ت ٥٠ ٦٨° وعرض لب ك ٢٠ ٢ ٣٢°[٨] الى الجنوب من الانبار[٩] . وعندما تصل القناة مدينة المحول يتفرع منهـا القنوات التى كانت تأخـذ للمدينـة

---

(٤) « مراصد الاطلاع » ج ١ ص ٤٥٨ .

(٥) « كتاب اثار البلاد واخبار العباد : ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٦) « نفس المصدر » ج ٢ ص ٦٢ .

(٧) « رحلات في آسيا وافريقيا ١٣٢٥ ـ ١٣٥٤ » ص ١٠٢ .

(٨)

Ibn Serapion, "Description of Mesopotamia and Baghdad. Written about the yeen 900 A.D." pp. 14-15.

(٩) أبو الفداء « تقويم البلدان » ص ٥٢ .

المدورة (التي بناها المنصور)[١٠] ، وكانت تمر بتسعة أسواق وعند كل سوق جسر لم يبق منها في القرن الثالث عشر سوى جسرين هما قنطرة الزياتين وقنطرة البستان واخيرا تصب فى دجلة اسفل قصر عيسى بن موسى فى مدينة بغداد[١١] . ولقد استمرت كقناة صالحة للملاحة وللري خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر[١٢] .

ولقد اشار ابو الفداء فى كتاب تقويم البلدان الى نهر عيسى حيث أشار الى انه يأخذ من الفرات عند خط طول ٦٨ وعرض ٣٢ الى الجنوب من الانبار عند مدينة الفلوجة[١٣] ، ويضيف ابو الفداء قائلاً انه خلال الصيف تنقطع المياه عن نهر عيسى وتسـقى المزارع والبساتين على الجـانبين بالواسطة . هذا يعني ان الارسابات قد تراكمت في مدخل القناة مما أدى الى عدم وصول مياه فصل الصيف الى القناة لانخفاض مستوى مياه النهر من ناحية وتراكم الارسابات فى مدخل نهر عيسى . ونستخلص مما كتبه ابن الوردى والقلقشندى عن نهر عيسى ان الارسابات قد تراكمت فى مدخل نهر عيسى حتى اصبحت القناة جافة فى القرن السادس عشر[١٤] .

ذكرنا القنوات التى تروى ضواحي بغداد اما التى تروى بغداد نفسها فقد اندثر معظمها ولم يبق سوى القنوات التالية :

أ ـ نهر الصراة : ويأخذ من نهر عيسى قبل مدينة المحول ويسير موازيا لنهر عيسى ، وبعد ان يروى المزارع والبساتين الموجودة على جانبيه يصب فى دجلة عند باب البصرة[١٥] . ويتفرع الصراة نفسه بعد فرسخ من

---

(١٠) الاصطخري « كتاب الاقاليم » ص ٨٤ .

(١١) ابن سرابيون ص ١٤ ـ ١٥ .

(١٢) ياقوت « معجم البلدان » ج ٤ ب ص ٨٤٢ .
القزويني ص ١٨٢ ـ ١٨٣
ولقد اورد القزويني قنطرة الزياتين تحت اسم قنطرة الرمانين .

(١٣) ص ٥٢ .

(١٤) ابن الوردي « خريدة العجائب » ص ٣٨ .
القلقشندي « صبح لاعشى » ج ٤ ص ٣٩٩ .

(١٥) القزويني « نفس المصدر » ص ١٨٢ .
ابن عبدالحق « نفس المصدر » ج ١ ص ٣٣٩ .

مأخذه ، الفرع الايسر يسمى خندق طاهر الذي يسير الى شمال غرب بغداد ويصب في دجلة عند الفرضة[١٦] .

ب ـ أشار سائح ألماني مجهول أتى بغداد سنة ١٣٥٠م الى خندق يحيط ببغداد كان مملوءاً بالمياه القذرة[١٧] . والذي يبدو ان هذا الخندق هو خندق طاهر .

وهكذا يظهر لنا من عرض مشاريع الري الموجودة في بغداد ان معظم الترع التي تروى بغداد ومنطقتها قد امتلأت بالرواسب • ولاشك بان هذا اثر على الزراعة وبدوره اثر على الرخاء الذى شهدته بغداد فى اوائل العصر العباسى .

٢ ـ الزراعة :

كانت الزراعة ولم تزل العمود الفقري للاقتصاد الوطني • وكان خصب العراق مطمع انظار الفاتحين جميعاً . ولكن العراق فقد ثروته بعد العصر اعباسي الاول • وفي خلال الحكم الالخاني حاول المغول جهدهم لاستعادة ثروة العراق ورخاه ولهذا شجعوا الزراعة وعالجوا الضرائب ومشكلة الملكية العقارية وتوزيع الحبوب • ولقد شاع اقطاع القرى الى القواد والموظفين ••• الخ •

أ ـ الملكية العقارية :

فى نهاية الحكم العباسى نجد الملكية العقارية كما يلى :

١ً ـ المقاطعات الخاصة بالخلفاء والامراء وأعضاء الاسرة المالكة •

٢ً ـ اراضى منحت تحت شروط خاصة .

(١) اراضى غير مصلّحة مُنحت من قبل الخلفاء على شرط

---

(١٦) ابن سعيد المغربي « جغرافية ابن سعيد » ص ٧٤ مخطوط •
ابن الجوزي « مناقب بغداد » ص ٨ •

(١٧)
Röhricht and Meisner, "Ein Niederrheinscher Bericht über Den Orient," Zeitschrift für deutche philologie vol. 19. p. 59.

اصلاحها ومن ثم زراعتها .

(٢) اراضي ممنوحة للموظفين المدنيين والعسكريين لقاء رواتبهم .

٣ - الملكية الخاصة .

٤ - اراضي الوقف .

٥ - الاراضي المشاعة (الاميرية) .

وعندما استولى المغول على بغداد استمر وضع الملكية العقارية على حاله اذ استمروا على اقطاع القرى الى القواد ، اما الاراضي الوقف فقد وضعت تحت اشراف صدر الوقوف للاشراف عليها وصرف المال اللازم لاستصلاحها[١٨] . واهم مشكلة جابهت الالخانيون فيما يخص الملكية العقارية هي زيادة الاراضي البور كنتيجة لتخريب نظام الري واهمال الزراعة نتيجة لزيادة الضريبة العقارية .

ولقد نظم المغول الاقطاعات اذ استحدثوا ديواناً خاصاً سموه ديوان المقاطعات[١٩] . كما استحدثوا ديواناً خاصاً لتصفية الاراضي الاميرية اما الاراضي المملوكة للافراد فقد تركت بيد اصحابها الا تلك التي أهملت لمدة طويلة فمن حق أي فرد ان يقوم بزراعتها[٢٠] . وفي عام ١٣٠٣ اصدر غازان خان قانون اوجد بموجبه الاقطاعات العسكرية حيث قرر بأن الاراضي الخاصة بالعائلة المالكة أو اراضي الحكومة أو الاراضي المخصصة للخدمات العامة المزروعة أو غير المزروعة يجب ان توزع على الجنود عوضاً عن رواتبهم[٢١] . بالاضافة الى ذلك اعطى الجنود الحبوب والثيران .

---

(١٨) ابن الفوطي « نفس المصدر » ص ٤٧٨ .

يروي القلقشندي (ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢) ان المغول تركوا أراضي الوقف تحت اشراف المتولين السابقين وان التخريب الذي أصاب الاراضي انما مرجعه المتولين أنفسهم .

(١٩) ابن الفوطي في ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢٠) رشيدالدين « جامع التواريخ » ص ٥١٣ - ٥١٦ .
Howorth, "op. cit". part III p. 510.

(٢١) رشيدالدين « تاريخ مبارك غازاني » ص ٣٠٧ .

ويشترط عدم بيع هذه الاقطاعات أو ان تعطى او تحول الى صديق أو اقارب أو لتسوية مشاكل الزيجات ويعاقب بالموت كل من يخالف ذلك[٢٢]. فاذا هاجر أو مات صاحب الارض تعطى المقاطعة الى احد اولاده وان لم يكن عنده اولاد تعطى لغلامه (خادمه) واذا لم يكن عنده غلام فتعطى الى شخص كفوء[٢٣] . وتعطى ملكية الاراضى لمدة (٣) سنوات فاذا وجد انه لم يتمكن من القيام بالتزاماته تؤخذ منه وان وجدت مزدهرة مزروعة فان ملكية هذه الاقطاعية تجدد لثلاث سنوات أخرى[٢٤] . ولقد استمر هذا النظام للملكية العقارية خلال الفترات التالية .

٣ ـ ضرائب الاراضي والمحاصيل الزراعية :

لقد حافظ الالخانيون على النظام الاسلامى فى نظام الضرائب فالاراضي العشرية استمرت على اعطاء العشر والاراضي الخراجية تدفع الخراج الذى كانن يتراوح بين ١/١٠ الى ١/٢ المحصول[٢٥] .

وكان الخراج يقوم على أساس النسبة للمحصول . اما طريقة جمع هذه الضرائب فكان يتبع نظام الالتزام (الضمان) الذى كان متبعاً خلال الفترة العباسية[٢٦] . وكانت الضريبة العقارية تدفع اما نقداً أو عيناً . وفى عام **١٢٩٧** اشتكى الزراع عند السلطان غازان لان جمال الدين الدستجروانى اجبرهم على دفع الضريبة العقارية بالذهب فاصدر غازان خان اوامره بان الضريبة تدفع نقداً أو عيناً كما كانت قبل الفتح .

ولقد كان حامدالله المستوفي عام **١٣٣٥** مسؤولا عن دائرة الضرائب ويروى ان بعض التقديرات بقيت كما كانت ايام عمر بن الخطاب (رض)

---

(٢٢) Belin, "op. cit". p. 219.

(٢٣) رشيدالدين « نفس المصدر » ص ٢٠٨ .

(٢٤) Belin, "op. cit". p. 221.

(٢٥) ابن الطقطقي « نفس المصدر » ص ١٦٤ ـ ١٩٨ .

(٢٦) ابن الطقطقي ص ١٦٤ ، ١٩٨ .
العزاوي ج ٣ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

وكانت تعرف باسم الخراج الرتيب كما اجريت بعض التقديرات الجديدة وسميت باسم الخراج الحديث . كما يشير الى ان ثلث المحصول الصيفى والشتوى يدفع الى الخزينة وفى تلك السنة كان مجموع الخراج حوالى ٠٠٠ ٠٠٠ ٣ دينار دفعت بغداد من المبلغ ٠٠٠ ٨٠٠ دينار[٢٧] .

اما أهم المحاصيل الزراعية المزروعة فى منطقة بغداد كانت : القمح وكان يشغل الاراضى المخصصة للمحاصيل الشتوية والشعير ، اما من المحاصيل الصيفية فيزرع القطن والذرة اما من الفواكه فيزرع الحمضيات والرمان وكانت بغداد مشهورة بالرمان الدراجى الذى ذكره المستوفى[٢٨] . كذلك اشتهرت بزراعة الكروم اذ يروى المستوفى بان عنب بغداد مشهور وبصورة خاصة العنب المراقى الذي لا يوجد مثله[٢٩] . كذلك ذكر ابن سعيد بان بغداد اشتهرت بالعنب الرازقى[٣٠] . كما اشتهرت بغداد ببساتين النخيل اذ اثنى المستوفى على تمور بغداد وبصورة خاصة على نوعين من أنواع التمور هما المكتوم والخستاوى[٣١] . ولكن الذى يبدو ان معظم بساتين النخيل قد ماتت نتيجة لعدم وصول المياه اليها لانسداد القنوات وكذلك لكثرة الحروب والثورات الداخلية فى المنطقة .

اما من المخضرات فقد ذكرت انواع كثيرة موجودة فى منطقة بغداد كالفاصوليا والباقلاء ، الفجل ، البصل ، الثوم ، الباذنجان والبطيخ ... الخ . الى جانب ذلك فان بغداد اشتهرت بمراعيها فقد اثنى المستوفى على المراعى الموجودة حوالى بغداد[٣٢] .

٤ ـ الصناعة :

كما ذكرنا آنفاً ان العراق بلد زراعى قبل كل شيء وتأتى الصناعة

---

(٢٧) « نفس المصدر » ص ٤١ ، ٤٨ .
(٢٩) ص ٤١ .
(٣٠) ص ٧٤ مخطوط .
(٣١) ص ٤١ .
(٣٢) ص ٤١ .

بالدرجة الثانية كما وتعتمد بعض الصناعات على المنتجات الزراعية .

لقد اهتم المغول بالصناعة والفنون فلقد كان هولاكو مولعاً بالتعمير ومشجعاً للصناعة ولقد عين علي بهادر لضبط الصناع والفنانين[٣٣] . واستناداً الى رشيد الدين ان المغول شجعوا جميع الصناعات كالنجارة والصبغ والنقش على المعادن وصناعة المجوهرات والنحاس كما شجعوا الصناعات الدقيقة كعمل الزجاج[٣٤] . ولقد عمل غازان خان جهده لتنظيم الصناعة والانتاج[٣٥] . ولقد سن قانوناً بأن كل صناعة يجب ان تكون ضمن نقابة مستقلة في كل مدينة ولا يستلم العمال رواتبا مقننة بل تعطى لهم الرواتب تبعاً لانتاجهم كما عين رئيساً لكل من هذه النقابات .

المصنع الملكي في بغداد :

لقد انشأ المغول مصنعاً في بغداد ونظموه وتم عليه الاشراف بكل عناية . وكما عين شخصاً حكومياً مسؤولاً عن المصنع[٣٦] . ولتشجيع الصناعة اعفى المغول بعض الصناعات من الضرائب كالقطن المغزول[٣٧] . ولقد انتج هذا المصنع مختلف أنواع الصناعات كالاقمشة . وكان الالخانيون مهتمون بصورة خاصة بصناعة الاسلحة . وكان في كل مدينة كثيراً من

(٣٣) رشيدالدين . ص ٧٢ .

وجاء في كتاب « العراق بين احتلالين » عين على نهادر للشحنة وارتاقان واوزان (الارتاقية والاوزانية تعنى النظر من الشحنة وارباب الصناعات) .

(٣٤) ص ١٧٢ (النسخة الفارسية) .

Howorth, "op. cit". part III p. 493.

(٣٥) كان غازان خان نفسه فنانا ولقد اجاد في جميع أبواب الفن والصناعة . وكان هو يرشد الصناع .

(٣٦) Howorth, "op. cit". part III p. 561.

عندما زار الالمان غازان المصنع الملكي في بغداد قدم له على شاه (مدير المصنع) قبعة مطرزة ومحلاة بالحجارة الكريمة .

(٣٧) الغى أبو سعيد سنة ١٣٣٣ (٧٣٤هـ) الضريبة المرسومة على غزل القطن والصوف . العزاوي ج ١ ص ٥١٣ .

الصناع كرسوا اوقاتهم فى صناعة الاسلحة كالاقواس والنبال والسيوف ويتقاضى هؤلاء الصناع الرواتب وكان عليهم ان ينهوا عدداً معيناً من الاسلحة .

ولقد حمل المغول معهم المؤثرات الصينية الفنية والصناعية لانهم كانوا معجبين بالصناعة والفن الصينى(٣٨) واستناداً الى Arnold ان هولاكو جلب معه فنانون صينيون(٣٩) .

اما أهم الصناعات فهى :

أ ـ صناعة النسيج .

لقد اشتهر العراق بنسج الاقمشة من الحرير والقطن والصوف والكتان وكذلك نسج الحصران المصنوعة من سعف النخيل ولقد عمل المغول كل ما بوسعهم لتشجيع نسج الاقمشة بأعفائها من الضرائب وتنظيم النقابات وانشاء المصنع الملكي في بغداد . وأهم ما اشتهرت به بغداد من المنسوجات ثياب الواشى وكانت تصنع من الحرير وعندما استولى هولاكو على بغداد اخذ قسطاً من الجزية ثياباً الواشى(٤٠) .

وعندما اتى Morco polo الى بغداد ذكر انوعاً من الانسجة الحريرية الموشاة بالذهب كما ذكر النخ والمخمل وكثيراً من المنسوجات الاخرى الجميلة والملأه بنقوش الحيوانات والطيور(٤١) ويقول Howorth بان كمية الذهب قد انخفضت كثيراً خلال الحكم الالخانى لاستعمالها فى الانسجة الهندية(٤٢) . اما غازان خان فقد شجع ونظم صناعة النسيج ولقد انتج المصنع الملكى فى بغداد مختلف أنواع المنسوجات ولقد اتى ابن

(٣٨) Dimand, "A hand book of Muhammadan art". p. 28.

(٣٩) Arnold, "The Islamic book from the VII - XVIII ceuturies". p. 69.

(٤٠) Marce Polo. "op. cit". Vol. I p. 65.

(٤١) Marco Polo, "op. cit". vol. I p. 65.

(٤٢) Howorth, "op. cit". Vol. III p. 525.

بطوطة على المنسوجات المصنوعة في بغداد كالكمخا وهي ثياب حريرية[٤٣] كما ذكر النويرى ثياب السقلاطون المصنوعة فى بغداد[٤٤] .

اما نسج السجاد فقد استمرت شهرة بغداد ذائعة بنسجها خلال الحكم الالخانى فلقد اشار Marco Polo الى صناعة المحمل المصنوع فى بغداد[٤٥] . كذلك اشتهرت بغداد بالنقش على المعادن وترصيعها وتوجد في الحاضر في المتحف البريطاني محبره للكتابة مصنوعة من البرنز ومرصعة بالذهب والفضة تحمل اسم الصانع محمد بن سنكر البغدادى وتاريخ صنعها سنة ١٢٨١ م[٤٦] .

كذلك اشتهرت بغداد بصناعة الورق حيث أشار ابن سعيد المغربي الى الورق المصنوع فى بغداد[٤٧] . كما اشار ابن عبدالحق الى دار القز حيث كان الورق يصنع فى الدكاكين[٤٨] . كما اشار المقريزى[٤٩] والقلقشندى[٥٠] الى الورق البغدادى الذى كان من اجود الانواع ويستخدم لكتابة القرآن ورسائل السلطان . ويضيف القلقشندى الى ان الورق البغدادى كان سميكا ولكنه ناعماً ومن حجوم مختلفة .

كما اشتهرت بغداد بصناعة الزجاج حيث يشير رشيد الدين الى ان الالخانيون شجعوا صناعة الزجاج[٥١] . اما مواد البناء فكانت متوفرة فى بغداد فيشير المستوفى الى ان بيوت بغداد كانت تبنى بالطابوق المحروق[٥٢].

---

(٤٣) ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٤٤) ج ١ ص ٣٦٩ .

(٤٥) ص ٣٠ .

(٤٦) Christie, "op cit". p. 119.
See Arnold Legacy of Islam.

(٤٧) ص ٧٤ مخطوط

(٤٨) ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٤٩) ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٧ .

(٥٠) ج ٢ ص ٤٧٦ ، ج ٦ ص ١٩٠ .

(٥١) ص ١٧٢ .

(٥٢) ص ٤١ .

وكانوا يزينون بناياتهم بالطابون ويرسمون بها على الجدران صور الحيوانات وكذلك يكتبون الخط النسخي(٥٣) .

ضرب النقود :

كانت النقود المتداولة تصنع اما من الذهب أو الفضة أو النحاس . وكانت النقود المغولية تشبه النقود العباسية ، الا ان اسماء السلطان والملك كانت تكتب على النقود . وكان يكتب على النقود بخط نسخي أو كوفي ، كما رُسم على النقود المغولية صور حيوانات أو انسان . وفي نهاية القرن ١٣ حاول صدرالدين اصدار نقود ورقية اطلق عليها چاو (Chao) ولقد منع التداول بالنقود المعدنية . وكان في بغداد مركزاً لضرب النقود(٥٤) .

واما عمل الخمور فيظهر ان الالخانيون شجعوا صناعته اذ نفهم مما كتبه ابن الفوطي انه كان موجوداً في بغداد معمل للخمرة تعود الى الحكومة(٥٥) . وكان التشجيع على صنع الخمرة أو عدمها يتوقف على الحاكم . فاذا كان الحاكم تقياً ورعاً منع صناعة الخمرة واذا كان العكس فانه يشجعه . ويروى انه في عام ١٣٢١ سُكبت جميع الخمرة المصنوعة ومُنع صُنعه في المستقبل من قبل السلطان ابو سعيد(٥٦) كما شجع الالخانيون نسخ الكتب وتجليدها ولقد كُتبت عدة مصاحف في بغداد واشهرها النسخة الموجودة في ليبزج كُتبت في بغداد سنة ١٣٠٦ – ١٣٠٧(٥٧) . واشتهر عبدالرحيم الساعاتي باستنساخ القرآن وقد توفي

---

(٥٣) القلقشندي « نفس المصدر » ج ٤ ص ٣٣٠ .

(٥٤) Howorth, "op. cit". part III p. 370.
العزاوي ج ١ ص ٣٨٩ .

(٥٥) ابن الفوطي . ص ٤٠١ . Howorth.

(٥٦) العزاوي ج ١ ص ٤٧٤ .

(٥٧) Dim and, "op. cit". p. 71.

سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩)[٥٨] .

كذلك شجع المغول النجارة[٥٩] للحصول على الادوات الخشبية التى يحتاجونها كالمنجنيقات ولقد ورد ما يفيد بتصليح اسطول فى بغداد مما يدل على وجود معمل لبناء السفن أو على الاقل لاصلاحها[٦٠] . كما اشتهر صناع بغداد بالنقش على الخشب[٦١] .

٥ - طرق المواصلات :

يتمتع العراق بموقع جغرافى ستراتيجى عظيم فى منطقة التقاء طرق المواصلات المختلفة بين آسيا من ناحية واوربا وافريقيا من ناحية أخرى . والتقدم والتطور الاقتصادى لاى قطر يتحتم وجود طرق المواصلات الصالحة . وكانت طرق المواصلات المهمة تمر ببغداد عاصمة الخلافة العباسية . واهم طرق المواصلات التى استعملت فى العصور الوسطى هى الطرق المائية . فنهر دجلة صالح للملاحة[٦٢] ، وفى اثناء الفيضانات كانت السفرة النهرية بين الموصل وبغداد تتم خلال ٣ أو ٤ أيام اما فى الاوقات الاخرى فتتم السفرة خلال ١٥ يوماً . كما ان التجارة بين بغداد والبصرة منتعشة كنتيجة لبطيء التيار وقلة الانحدار واتساع الوادى ويروى ابن سعيد[٦٣] وسائح المانى مجهول الاسم ان البواخر القادمة من الهند

---

(٥٨) العزاوي ج ٣ ص ٣٢١ .

(٥٩) رشيدالدين ص ١٧٢ .

(٦٠)

Browne, "A history of Persian Literature under Tartar Dominion". p. 30.

(٦١)

Al-Feel, "The historical geog. of Iraq between Monglian and ottoman Conquests," p. 218.

(٦٢)

Ionides, The Regine of the Rivers Euphrates & Tigris". pp. 144 ‘ 150

(٦٣) ص ٧٤ مخطوط .

كانت تصعد الى بغداد في الشتاء والربيع[٦٤] .

ولم يكن مجرى نهر دجلة في القرون الوسطى كما هو عليه في الوقت الحاضر ، اذ كان النهر ينحرف بعد الكوت الحالية ليمر بواسط وبعد بمسافة قليلة يصب في البطائح التي كانت تمتد حتى شمال البصرة . ويروى المستوفى بان نهر دجلة جنوب واسط كان ضحلاً ، لوجود خمسة فروع تأخذ منه حتى يبقى عموده قليل المياه يصعب على القوارب اجتيازه[٦٥] .

ويروى ابو الفداء ان بعض اجزاء البطائح كانت ضحلة لدرجة ان البواخر كانت تسحب بالمرادى[٦٦] . ويظهر ان طريق البطائح لم يكن مأموناً لان كثيراً من الخارجين على القانون التجأوا اليها . ولهذا جهز سلطان كيغاتو حملة سنة ١٢٩٣ وقتل وقبض على كثير من الخارجين على القانون والملتجئين بمنطقة البطائح ليؤمن طرق النقل كما قام خلفه غازان خان بتجهيز حملة قادها عبر جوفى والبطائح وقضى على كل من يحاول عرقلة طرق النقل من منطقة البطائح[٦٧] . وكانت هناك رحلات منتظمة بين بغداد والبصرة . ويبدوا ان الرحلات من البصرة الى بغداد صعبة لانها ضد التيار وضد الرياح السائدة (رياح الشمال) وكانت الرحلة تتم بين ٣٥ ـ ٥٠ يوماً .

الى جانب الملاحة النهرية في نهر دجلة كانت تتم رحلات منتظمة في نهر الفرات ، كانت الاكلاك ووسائل النقل النهرية الاخرى تأتي من بير Bir (بين جك) أو الرقة الى الفلوجة حيث تتم السفرة بين ١٥ ـ ١٨ يوماً فيما اذا كانت مياه النهر مرتفعة اما اذا كانت واطئة فكانت السفرة تتم بين ٤٠ ـ ٥٠ يوماً . ومن الفلوجة الى بغداد عن طريق نهر عيسى ثم

---

(٦٤) "op. cit". vol. 19 p. 59.

(٦٥) ص ٢٠٧ .

(٦٦) ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٦٧) ابن الفوطي ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٩٧ .

الى دجلة عند الفرضة السفلى (الميناء الاسفل) فى الـكرخ . ولقد استمر نهر عيسى صالح للملاحة خلال الفترة الالخـانية ولـكن فى سنة ١٣٣١ يروى ابو الفداء بان هذا النهر لم يعد صالحاً للملاحة على الاقل فى فصل الصيف مما يدل على على ان مدخل القناة قد تراكمت فيه الترسبات[٦٨] . اما وسائط النقل المائى فكانت الاكلاك ، القفف ، الشخاتير ، المشاحيف ، المهيلات السفن ... الخ .

النقل البري(٦٩) :

تقع بغداد عند ملتقى الطرق التى تربط اجزاء العالم القديم فـكانت القوافل التجارية والخدمات البريدية تخرج من بغداد شـرقاً أو غربـاً . ولـكن يبدو ان غزوات المغول بل وقبل ذلك الحروب الصليبية اثرت كثيرا على النقل البري وطرق المواصلات فاضطرت بعض القوافل الى ان تسلك طريقاً آخر ـ عبر الاناضول ـ .

ولقد عمل الالخانيون جهدهم للمحافظة على طرق المواصلات وضمان سلامتها وتنظيم البريد . فلقد اوجد غازان خان خـدمات بريدية خاصـة للسعاة الحكومية ووضعت محطات على طول الطرق وعلى كل مسافة (٣) فراسخ كما وضعت خيولاً فى هذه المحطات ليستفيد منها سعاة الحـكومة فيبرزون ختما ذهبيا يبين انهم سعاة حكوميين فيعطون ما يحتاجون ، كما عين ضباطاً لمراقبة الطرق . ولقد سمح السلطان ابو سعيد للتجار الفنيقيين بالبقاء (٣) أيام فى مراكز البريد[٧٠] . ولقد عمل المغول جهدهم للمحافظة على سلامة هذه الطرق بفرض عقوبات صارمة وتمكنوا الى حد بعيد من تحقيق ما يصبون اليه . كما عقدوا معاهدات مع بعض القبائل لتأمين طرق النقل . اذ يروى انه عندما سمع خدابنده بأن القبائل العربية قد هاجمت الحجاج

---

(٦٨) ص ٥٢ .

(٦٩) أنظر الخريطة رقم ـ ٣ ـ .

(٧٠) Howorth, "op cit". part III p. 632.

الى مكة والقوافل التجارية الى سوريا عقد معهم معاهدة تضمنت المواد التالية :

١ ـ حماية الطرق .

٢ ـ معاقبة قطاع الطرق .

٣ ـ تجهيز الفرسان عند الحاجة ومساعدة السلطان في غزواته[٧١].

اما وسائط النقل البرى فكانت الجمال ، الخيول ، البغال ، الحمير والتى كانت تستورد من اليمن أو مصر . وكانت الموارد التجارية تنقل بقوافل كبيرة تضم بعض الاحيان ٤٠٠٠ جمل[٧٢] .

طرق المواصلات : كانت بغداد النقطة المركزية التى تتفرع منها طرق المواصلات المختلفة ، الى المناطق المختلفة . وكانت هنالك خمسة خطوط رئيسية تخرج من بغداد متجهة نحو البصرة ، كوفة ، انبار ، تكريت ، حلوان . وكنتيجة للغزوات المتكررة وعدم الاستقرار فى الداخل واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح واكتشاف امريكا واخيراً افتتاح قناة السويس أثر على انتقال طرق المواصلات الى الاناضول . ولقد حلت السلطانية عاصمة الالخانية ومن ثم تبريز محل بغداد كقاعدة لحكم الالخانيين . وكانت الطرق البرية كما يلى :

أ ـ بغداد ـ حلوان

بغداد ـ بعقوبة (أو الى بهرز حيث العبور بواسطة عبارة) ـ هارونية ـ جلولاء ـ خانقين ـ قصر شيرين ـ حلوان ثم يستمر هذا الطريق متتبعاً طريق خراسان المشهور حتى الصين[٧٣] .

ب ـ بغداد ـ كوفه

يبدأ الطريق من الكرخ ـ فراشة ـ قناة النيل ـ الحلة ـ الكوفة[٧٤].

ومن الكوفة يوجد طريق يسلك الحافة الجنوبية للبطائح حتى

(٧١) الفيل . ص ٢٥٢ .

(٧٢) الفيل ص ٢٥٤ .

(٧٣) المستوفي . ص ١٦٢ .

(٧٤) المستوفي ص ١٦٢ .

طرق المواصلات

مخطط رقم (٣)

البصرة وطريق آخر الى مكة .

٣ ـ بغـــداد ـ بصرة :

بغداد ـ مدائن ـ فم الصلح ـ واسط ـ الحُديب ـ وادى القراع ـ المشيرب ثم الى البصرة[٧٥]

٤ ـ بغـــداد ـ انبار :

بغداد ـ عقرقوف ـ انبار[٧٦] . ثم حلت بعد ذلك الفلوجة محل الانبار . ومن الانبار الى دمشق او الى الرقة .

٥ ـ بغـــداد ـ موصل :

بغداد ـ معظم ـ خالص ثم تعبر جبل حمرين ـ زانكاباد ـ كُفري ـ طوز خورماتو ـ داقوق ـ كركوك ـ التون كبرى ـ الزاب الاسفل ـ الزاب الاعلى ـ الموصل . أو بغداد ـ قادسية ـ حديثة ـ موصل حيث يتبع الحافة اليسرى لنهر دجلة[٧٧] .

٦ ـ التجارة :

يقع العراق عند ملتقى الطرق بين آسيا من ناحية واوربا وافريقيا من ناحية أخرى وكنتيجة لهذا الموقع الممتاز فان العراق قد ربح الكثير من تجارة الترانسيت . ولقد كان اهتمام العباسيين عظيماً بالتجارة ، ولهذا حفروا القنوات واصلحوا الطرق حتى ان الرشيد فكر بحفر قناة السويس قبل فردناند دلسبس باكثر من الف سنة . فامتدت تجارتهم الى الصين شرقاً والاطلسى غرباً كما وصلوا شمالاً الى روسيا والقبجاق[١] وجنوباً حتى الناتال فى افريقيا . ومما لا شك فيه بان الغزوات الاولى التى شنها المغول على العراق اثرت كثيراً على التجارة لانعدام الامن ، ولكن ما ان

---

(٧٥) ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٦ .
(٧٦) أبو الفداء ص ٥٢ ، المستوفي ص ١٠٠ .
(٧٧) الفيل ص ٦٤ ، ٦٦ ، ٢٦٥ .
(١) المقريزي ج ١ قسم ٣ ص ٦٦٣ .

استقر المقام بالمغول حتى عملوا جهدهم لتشجيع التجارة وتنميتها . وقدموا كل التسهيلات للتجارة وقدموا كل التسهيلات للتجار وكانت علاقاتهم التجارية طيبة مع مختلف الدول .

كان التجار بالنسبة للمغول هم العوامل البناءة والذين يحملون النوادر والاشياء الثمينة للملوك[٢] . وكانوا يكونون مجتمعاً مالياً قوياً حتى ان الحكومة الالخانية اضطرت في بعض الاحيان الى الاقتراض من التجار[٣] . وعملوا كسفراء بين العراق والاقطار الاخرى فمثلاً مجدالدين السلامى كان سفيراً للالخانيين عند مماليك مصر[٤] . ولهذا ضربت على التجار ضرائب استثنائية لعلمها بغناهم[٥] .

اما الضرائب التى كانت تفرض على المصنوعات المستوردة فقد بقيت كما كانت أيام الحكم العباسى دون اى تغيير . وان حصل أى تغيير فكان ذلك اجراء محلى من قبل الحكام المحليين انفسهم . كما عمل المغول على جعل الضرائب واطئة ففي سنة ٦٧٦هـ (٦٧٦م) أصدر السلطان اباقا خان امراً بتخفيض الضرائب[٦] . وكل من حاول زيادتها عوقب بقسوة وصرامة . ففى عام ١٢٩٧م اعدم السلطان غازان خان صدر الدين لانه رفع الضرائب[٧] .

ويقوم جمع الضرائب على أساس الالتزام والضمان . وفى عام ١٣٠٢ الغى غازان خان نظام الالتزام وعين موظفين حكوميين للقيام بهذا الواجب[٨] وتشجيعاً للتجارة الغى ابو سعيد الضرائب على جميع المواد

---

(٢) ابن كثير « نفس المصدر » ج ١٣ ص ١١٩ .
(٣) ابن الفوطي . ص ٤٣٠ .
(٤) المقريزي ج ٢ ص ٤٤٦ ، ابن الفوطي ص ٢٥٩ .
(٥) العزاوي ج ١ ص ٣١٧ ، ابن الفوطي ص ٤٣٠ .
(٦) ابن الفوطي ص ٣٧٥ .
(٧) العزاوي ج ١ ص ٣٧٧ .
(٨) ابن الفوطي ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

المستوردة[٩] . وكان في بغداد داراً لجمع الضرائب . وكانت التجارة نشيطة في الداخل والخارج .

أ ـ التجارة الخارجية :

امتدت تجارة العراق من كوريا (سيلا) واليابان (واق واق) شرقاً حتى المحيط الاطلسي غربا . ومن موزمبيق (سوفالا) والناتال جنوبا حتى أواسط أوربا شمالاً ولدينا ادلة كثيرة على انهم وصلوا حتى شمال اوربا[١٠] .

وقد نشطت التجارة كثيراً مع الصين اثناء الحكم الالخاني . ولقد شجع غازان خان التجارة مع الصين ونظمها فكانت السفن العراقية تصل الى الصين والسفن الصينية تصل الى العراق[١١] .

وكانت المستوردات الرئيسية من الصين هى الخزف ، القصع الخزفية ، المسك ، الثياب الحريرية ، اللاذ (قماش حريرى احمر) ، الديباج (قماش حريرى) العود ، الدارسين ، الورق ، الطواويس ، البراذين ، الاقفال ، الراوند ، ادوات فضية وذهبية وعقاقير طبية[١٢] . ويصدر الى الصين من المنتجات العراقية التمور والزبيب ومواد أخرى مستوردة من مناطق أخرى[١٣] .

اما التجارة مع الهند فكانت نشيطة خلال القرن/١٣ وما بعد على الرغم من التطورات المختلفة التي حدثت في الهند . فلقد استورد العراق من الهند مختلف البضائع حتى النباتات[١٤] . وكانت كثيراً

---

(٩) المقريزي ج ٢ قسم ١ ص ٢١١ .

(١٠) الفيل « نفس المصدر » ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

(١١) Beazley, "op. cit". vol. II p. 444 (footnote).

(١٢) القلقشندي ج ٢ ص ١١٥ .
Howorth, "op. cit". vol. III pp. 126 ' 488.

(١٣) الفيل . ص ٣٠٩ .

(١٤) Howorth, "op. cit". vol. III pp. 493.

من البضائع الهندية تشاهد في اسواق بغداد[١٥] . واستناداً الى سائح المانى مجهول الاسم قدم الى بغداد في القرن/١٤ انه شاهد البواخر الهندية قد قدمت الى بغداد عن طريق نهر دجلة عندما كانت مياه النهر مرتفعة[١٦] . وكان يحمل الى الهند التمور والخمور ، والخيول والمجوهرات[١٧] .

اما التجارة مع وسط آسيا فكانت نشيطة وتسلك طريق خراسان المشهور الذى يبدأ من بغداد حتى سمرقند ومن هناك يتفرع الى فرعين احدهما يذهب الى خوارزم والاخر الى الصين وكان يحمل من دول آسيا الوسطى الفواكه ، الابسطة ، والورق ، أقمشة متنوعة ، الاسلحة والمواد الخام .

اما التجارة مع افريقيا فقد استمرت منتعشة خلال الحكم الالخانى فيروى ان منتجات زنجبار كانت تشاهد في أسواق بغداد[١٨] . ولكن يظهر ان النشاط التجارى مع افريقيا قد انقطع لاسباب كثيرة منها العداء ما بين الالخانيين ومماليك مصر ثم تلى ذلك دخول قوى تجارية جديدة الى المحيط الهندى واعنى بها البرتغال والهولنديون ومن ثم الانكليز وكذلك نشاط القراصنة في المحيط الهندى ذلك النشاط الذى بدأ منذ القرن/١٢ .

ب ـ التجارة الداخلية(١٩) :

الانهار الصالحة للملاحة وشبكة طرق المواصلات البرية التى تربط بغداد بباقي اجزاء العراق والجزيرة[٢٠] ساعد على النشاط الداخلى

---

(١٥) Beuzely, "op. cit". vol. II p. 444 footnote.

(١٦) "op. cit". vol. 19 p. 59.

(١٧) الفيل . ص ٣١٥ .

(١٨) Beazley, "op. cit". vol. II p. 444 (footnote).

(١٩) راجع خريطة رقم (٣) .

(٢٠) يطلق اسم الجزيرة على القسم الشمالي من العراق .

للتجارة . وكانت بغداد تعتمد على ما يردها من شمال العراق كالقمح أو من الجنوب كالرز والتمور والذرة .

وكان لموقع بغداد الممتاز أثره الاكبر على نجاحها فى التجارة . اذ بنيت على نهر دجلة وربطت مع نهر الفرات بنهر عيسى الصالح للملاحة وهكذا تحكمت بملاحة النهرين كما كانت نقطة التقاء الطرق البرية الآتية من مختلف الاقطار . ولم يؤثر الفتح المغولى على مركزها التجارى ، فكان هناك سوق القزازين وسوق المرسلين وسوق القمح وكان أكبرها قاطبة السوق الواقع فى الشمال الغربى عند باب الموصل(٢١) .

ولقد زار بغداد الرحالة ماركوبولو بعد الفتح المغولي بسنوات قليلة فوجد كثيراً من التجار فى اسواقها(٢٢) . وفى مطلع القرن/١٤م زار بغداد الرحالة العربى الكبير ابن بطوطة حيث وجد اسواق كثيرة فى بغداد الشرقية وكان أكبرها سوق الثلاثاء(٢٣) . وكان في بغداد جسرين للمارة .

واخيراً فان بغداد كانت خلال الحكم الالخانى تمثل عاصمة العراق العربى(٢٤) ومقر الوزير .

(٢١) Fraser, "op. cit". pp. 273-274.

(٢٢) "op. cit". vol. I p. 63.

(٢٣) « نفس المصدر » ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٤) تمييزا له عن العراق العجمي في ايران .

المصادر العربية

المخطوطات :

١ — العمري ، ياسين بن خيرالله العمري الخطيب الموصلي . « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » .
مكتبة المتحف العراقي رقم ٢٢٤

٢ — ابن سعيد المغربي . « جغرافية ابن سعيد » .
Bibliotheque National
Department Des Manuscript. No. 2234
نشر كاتب المقال الجزء الخاص بالعراق والجزيرة في مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٦٢

٣ — النويري ، أحمد عبدالوهاب ابن محمـــد ابن عبدالدايم البكري التميمي . « نهاية الارب في فنون الادب » . ١٠ أجزاء
B. M. Oriental 6816.

الكتب المطبوعة :

٤ — ابن الفوطي ، كمال الدين ابي الفضل عبدالرزاق . « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » .
نشر الدكتور مصطفى جواد . بغداد ١٣٥١هـ .

٥ — ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر . « خريدة العجايب وفريدة الغرائب » . القاهرة ١٣٢٤هـ .

٦ — ابن الجوزي ، جمال الدين ابى الفرج عبدالرحمن بن علي . « مناقب بغداد » .
نشره محمد بهجت الاثري بغداد ١٣٤٢هـ .

٧ — ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا : كتاب الفخري في الآداب السلطانية » .
القاهرة ١٣١٧هـ .

٨ — ابن العبري ، ابى الفرج ابن هارون الطبيب المالطي . « تاريخ مختصر الدول » .
بيروت ١٨٩٠

٩ _ ابن بطوطة ، محمد ٠« تحفة النظار في غرايب الامصار وعجايب الاسفار » ٠
جزئين ، القاهرة ١٩٣٨ ٠
١٠ _ ابن خلدون ٠ « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر » ٠
(٦) أجزء ، بولاق ١٨٦٧ ٠
١١ _ ابن سرابيون ٠ « وصف ما بين النهرين وبغداد كتب حوالي سنة ٩٠٠م » ٠
نشرة G. Le Strange
من مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ٠ كانون الثاني ونيسان وتشرين الاول سنة ١٨٩٥ ٠
١٢ _ ابن عبدالحق ، صفي‌الدين ٠ « مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » ٠
Lugduni Batavorum. MDCCCI III.
١٣ _ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ٠ « البداية والنهاية » ٠
(١٤) جزء ، القاهرة ١٩٣٢
١٤ _ ابو الفداء ، عمادالدين اسماعيل ملك حماة ٠ « كتاب تقويم البلدان » ٠
باريس ١٨٤٠ ٠
١٥ _ الذهبي ، محمد بن أحمد ٠ « دول الاسلام » ٠
جزئين ٠ حيدر اباد ١٣٣٧هـ ٠
١٦ _ الصدفي ، رزق‌الله منقريوس ٠ « تاريخ دول الاسلام » ٠
جزئين ، القاهرة ١٩٠٧
١٧ _ الصفدي ، صلاح‌الدين ايبك ٠ « الوافي بالوفيات » ٠
استانبول ١٩٣١
١٨ _ الاصطخري ، الشيخ ابى اسحق الفارسي ٠ « كتاب الاقاليم » ٠
In officina Becheriana. MDCCC XXX IX
١٩ _ السيوطي ، جلال‌الدين ٠ « تاريخ الخلفاء » ٠ كلكتا ١٨٥٧ ٠
٢٠ _ العزاوي ، المحامي عباس ٠ « تاريخ العراق بين احتلالين » ٠ (٤) أجزاء ، بغداد ١٩٣٦ _ ١٩٤٩ ٠
٢١ _ القزويني ، زكريا بن محمد ٠ « كتاب اثار البلاد واخبار العباد » ٠
Gottingen 1848.
٢٢ _ القلشندي ٠ أحمد بن عبدالله ٠ « صبح الاعشى » ٠
(١٤) جزء ، القاهرة ١٩١٣ ٠
٢٣ _ المقريزي ، تقي‌الدين أحمد ٠ « كتاب السلوك في معرفة دول الملوك » ٠
القاهرة ١٩٣٤ ٠
٢٤ _ اليافعي ، عبدالله بن سعد ٠ « مرآة الجنان » ٠ (٤) أجزاء ١٣٣٨هـ ٠

٢٥ ـ بدر طه . « محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية » .
القاهرة .
٢٦ ـ رشيدالدين ، فضل‌الله . « تاريخ مبارك غازاني » . بالفارسية
لندن ١٩٤٠
رشدالدين ، فضل‌الله . « جامع التواريخ » . باكو ١٩٥٧
٢٧ ـ ياقوت الحموي . « معجم البلدان » .
ليبزج ١٨٦٦ .



المصادر الافرنجية

28— Al-Feel, M. R., "The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and ottoman Conquests".
Unpublished.

29— Al-Mustawfi, Hamd Allah. "Tarikh-i- Guzida".
London 1913.

Al-Mustawfi, Hamd Allah. "The Geographical part of Nuzhat al-Kulub".
London 1919.

Al-Mustawfi, Hamd Allah. "Mesopotamia and Persia under the Mongols in the 14th Century A. D."
London 1903.

30— Arnold, prof. Sir Thomas W., "The Islamic book from the VII-XVIIIcenturies". Bysir Thomas W. Arnold and Prof. Adolf Grohmann.

Arnold, Prof. Sir Thomas W., "The Legacy of Islam".
Oxford. 1931.

31— Beazley, C. Raymond, "The Dawn of Modern Geography".
3 vols.
London 1897.

32— Belin, M., "Du Régime desfiefs Militaires dans L'Islamisme".
Jour. As. Sixieme serie Tome $\frac{1}{8}$V.
Paris MDVVVLXX.

33— Browne, Edward G., "A History of Persian Literature under Tartar Dominion A. D. 1265-1502."
Cambridge. 1920.

34— Cutin, Jerremiah, "The Mongols".
Boston 1908.

35— Dimand, M. S., "A handbook of Muhammadan art."
New York. 1947.

36— D'ohsson, M. Le Baron C., "Histoire des Mongols depuis Tchinguiz khan jusqua Timour Beyou Tamerlan".
4 vols.
Amsterdam 1934.

37— Fraser, J. Baillie' "Mesopotamia and Assyria from the Earliest Ages to the present Time".
Edin burgh. 1842.
38— Howorth, H. Henry, "History of the Mongols from the 9th to the 19th Centuries".
3 Vols. London 1888.
39— Ibn Batuta, "Travels in Asia and Africa" 1325-1354.
Translated and selected by A. R. Gibb. London 1929.
40— Ionides, M. G., "The Régine of the Rivers Euphrates and Tigris".
London 1934.
41— Le strange, G., "Baghdad during the Abbasid Coliphate".
London 1924.
Le strange, G., "The Land of the Eastern Caliphate".
London 1924.
42— Marco Polo, "The book of ser Marco Polo."
Translated and Edited with notes by Colonel Sir Henry Yule.
London 1925.
43— Nicholson, Reynold A.' "A Literary history of the Arabs".
Cambridge 1953.
44— Röhricht and Meisner' "Ein Niederrheinscher Bericht über Den Orient".
Zeitschrift für deutsche philologie vol. 19, Halle 1887.

الانسان ومصادر البيئة الاقتصادية

الدكتور نوري خليل البرازي
مدرس في قسم الجغرافية

ان سكان العالم يقدر بحوالي ٣٠٠٠ر٣ ثلاثة آلاف مليون نسمة تبلغ الزيادة الطبيعية لهذه الاعداد أكثر من ٣٣ مليونا سنويا وعليه يعتبر الانسان الذي يمثل هذا العدد طرفا مساهما وفعالا في الجغرافية الاقتصادية لانه يقوم بدور الوسيط بين عناصر البيئة الطبيعية من جهــة والتغلب على كثير من مصاعبها والاستفادة من مميزاتها في استغلال المصادر الاقتصادية التي تكمن فيها وذلك عن طريق استثمار امكانيات البيئة الاقتصادية التي تطبع المنطقة بطابع معين من النشاط الاقتصادي الذي يقرر المستوى الحضاري للاقليم الذي يعيش فيه ذلك الانسان .

سندرس في هذا البحث علاقة الانسان في بيئته من ناحيتين : الاولى تتناول درجة كثافة السكان في مناطق مختلفة من العالم وما يترتب على هذه الظاهرة من نتائج اقتصــادية سلبية كانت أم ايجابية ، بينمـا الناحية الثانية تتعلق بالقابليات العلمية والفنية التي يتمتع بها الانسان في بيئته وما ينشأ عن استخدامها من حركة تطـورية تظهر في درجـة استغلال امكانيات الاقليم الاقتصادية وأخيرا في مستوى حياته المعاشية .

ففي الحالة الاولى نجد أمثلة متعددة عن توزيع السكان في بيئات مختلفة من العالم تتفاوت في درجة تكتل السكان ، فمنها ما هو مكتض بالسكان ومنها ما هو معتدل الـكثافة أو متخلخل ولـكل حالة من هذه الحالات أسباب كما أن لـكل نوع من أنواع هذه الـكثافات نتائج يظهر أثرها في النشاط الاقتصادي للاقليم ذلك النشاط الذي يعطى صورة واضحة عن درجة تلك الـكثافة . ففي الاقاليم المزدحمة بالسكان نجد أن هناك توافقا ايجابيا بين هذه الـكثافة وتطور الاقليم الاقتصادي الناتج عن توفر اليد العاملة التي يعتمد

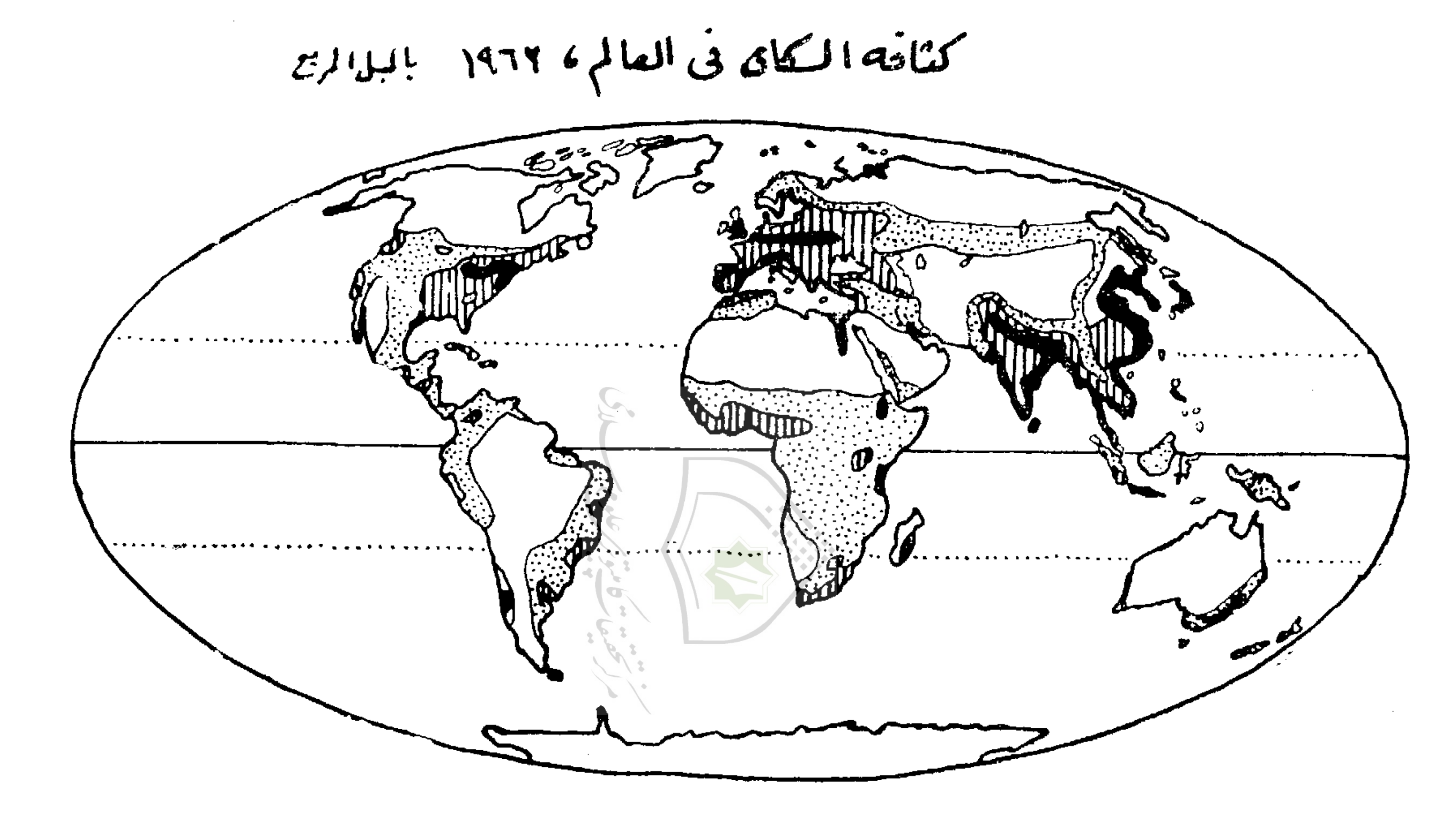
عليها هذا التطوير في الاستثمار ، وتشاهد مثل هذه الحالات بوضوح في أقطار أوربا الغربية وفي الاقسام الشرقية من أقاليم آسيا ولكن يجب ان نذكر بهذا الصدد أن لهذه الكثافات نتيجة يختلف أثرها من اقليم لآخر وذلك بالنسبة لظروف الاقليم ودرجة تطوره ، ففي أقطار غربي اوربا يحافظ السكان على مستوى معاشي مرتفع رغم اكتظاضها بالسكان بينما في شرقي آسيا ينخفض هذا المستوى وهذا يعلل بأن أقطار اوربا الغربية بلاد متطورة صناعيا بينما أقطار شرقي آسيا لا يزال الطابع الزراعي هو الغالب فيها هذا باستثناء اليابان .

اما تخلخل السكان في أقاليم أخرى من العالم فهي ظاهرة تعكس صورة الظروف الاقتصادية لتلك الاقطار والتي يمكن وصفها بأنها في أغلب الحالات غير ملائمة أو مشجعة على اجتذاب السكان اليها وبكلام آخر أنها أقاليم تمتاز بأنها متخلفة وأن أهم سبب لهذا التخلف هو الحاجة الى اليد العاملة التي تعتبر الآلة المحركة لتطوير الاقليم وتوجيه الانتاج فيه لان الانتاج هو القاعدة الاساسية التي يرتكز عليها تقدم الاقليم الاقتصادي ومن خير الامثلة على ذلك البرازيل وبرما والعراق .

الكثافة :

ان نظرة سريعة الى خريطة العالم رقم (١) تبين توزيع السكان في العالم وكثافة كل اقليم منها واذا ما تمعنّا في الخريطة فانا نجد ان هناك تفاوتا في درجة الكثافة فمنها مناطق كثيفة ومنها ما هو أقل كثافة واخرى خالية من السكان وان ما يلفت النظر من دراسة الخريطة هو تركيز السكان على طرفي العالم القديم الشرقي والغربي فالجناح الشرقي يشتمل على شرقي قارة آسيا بينما الجناح الغربي يتضمن أقطار غربي اوربا ، اما في العالم الامريكي فالتركز ينحصر في الجناح الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة . ففي أقاليم آسيا الشرقية يسكن حوالي نصف مجموع سكان

كثافة السكان في العالم ، ١٩٦٢ بالميل المربع



المصدر: تقرير عن سكان العالم ومصادره

٠ — ٣	
٣ — ٤٥	
٤٥ — ٢٠٠	
٢٠٠ — ١٨٥٠	


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعمورة معظمهم يتجمع في السهول النهرية ذات التربات الزراعية الخصبة والمناخ الملائم والتي تتمتع بسهول شاسعة ومنبسطة اشتهر معظمها بوجود نظام الري الذي يعتبر العمود الفقري في قيام الزراعة فيها اما المناطق الاخرى التي يتكتل فيها السكان هي السهول الساحلية التي تتوفر فيها عوامل الزراعة وازدهارها • ان معظم هذه المناطق تقع في الهند والصين واليابان وجاوه والباكستان • من المعلومات الاحصائية التي امكن الحصول عليها وجد أن معدل كثافة السكان في المناطق الزراعية في الهند والصين تقدر بحوالي (١٫٠٠٠) الف نسمة في الميل المربع الواحد وفي اليابان ٧٠٠ شخصا وفي جاوة يرتفع هذا العدد الى ١٠٧٠ نسمة • هذا في البلاد الزراعية اما في الاقطار الصناعية لاوربا الغربية فيبلغ معدل الكثافة حوالي ٥٦٢ نسمة في الميل المربع الواحد ، يسكن حوالي ٨٤٠ شخصا بالميل المربع الواحد في الاراضي المنخفضة و ٧٥٠ نسمة في بلجيكا و ٥٤٠ في المملكة المتحدة و ٥٢٠ في المانيا الغربية اما في الاقطار الاخرى الاوربية فأن الكثافة تقل بصورة عامة ولكنها تتفاوت ففي ايطاليا تقدر بحوالي ٥٢٠ وفي سويسرة ٤١٣ و٣٠٧ في الدانمرك •

اما في أقطار شرقي اوربا مثل بولنده وجيكوسلوفاكيا والنمسة وهنجاريا فالكثافة فيها تتراوح ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ نسمة ، اما في الولايات المتحدة فتقدر الكثافة في النطاق الصناعي الواقع ما بين شيكاغو ونيويورك وبوسطن بحوالي ٦٠٠ شخص بالميل المربع الواحد بينما يرتفع هذا الرقم الى ١٨٥٠[١] نسمة في منطقة وادي النيل الزراعية وعليه فأن وادي النيل يمثل الرقم القياسي في الكثافة بين مناطق العالم المزدحمة بالسكان • هذا في حالة البلاد الكثيفة اما الاقطار المتخلخلة فأن معدل الكثافة فيها لا يتجاوز النسمتين في الميل المربع ومن هذه المناطق العروض المتطرفة في شمال المعمورة وجنوبها ففي آيسلند يبلغ معدل الكثافة ٢٫٥ شخصا بالميل المربع الواحد وفي كندا أربع نسمات ونصف وفي الاسكا شخصا واحدا لكل

---

(١) ان هذه الاحصائيات مأخوذة من :
"World Population and Resources". 1956.

عشرة أميال وفي جرينلندة شخصا واحدا لكل (٥٠) ميلا مربعا اما في قارة أنتاركتا في الطرف الجنوبي من الكرة الارضية فهي خالية من البشر اما في صحراء استراليا فمعدل الكثافة فيها ٢ر٥ واما في المناطق الاخرى من العالم مثل منغوليا فتصل الكثافة الى ١ر٥ وفي ليبيا ٢ر٥ وفي الجنوب الغربي لافريقيا في صحراء كلهاري شخصا واحدا وفي صحراء نيفادا فتقدر بحوالي ١ر٢ وفي حوض الامزون نسمتين وفي صحراء العراق تبلغ حوالي شخصين بالميل المربع •

على ضوء هذا الاستعراض في توزيع السكان في أنحاء المعمورة يمكن أن نعزو الاختلاف في كثافة السكان على سطح الارض الى تباين في العوامل الاساسية في البيئات التي من أهمها ما يأتي :ـ

(١) العوامل الجغرافية •

(٢) العوامل التاريخية والتقاليد الاجتماعية والدينية •

(٣) التقدم العلمي والفني •

(٤) النشاط الاقتصادي •

(٥) الوضع الطبي •

(٢) العوامل الجغرافية :

ان العوامل الجغرافية المكونة من الموقع الجغرافي وطبيعة السطح والتربة والمناخ والموارد المائية والتركيب الجيولوجي تلعب دورا هاما في كثافة السكان في الاقليم ففي كثير من المناطق الكثيفة نجد أن سبب ذلك يرجع الى ملائمة هذه الظروف جميعها أو بعضها ففي أقطار شرقي آسيا يمكن ان نعزو ظاهرة تكتل السكان فيها الى طبيعة موقعها الجغرافي على ساحل المحيط الهادي الذي يمثل طريقا بحريا سهل عليها الاتصال بالعالم الخارجي وكذلك وجود السهول المنبسطة الواسعة التي تتميز بتربات خصبة والى مناخ ملائم لزراعة كثير من الغلات هذا الى جانب توفر الموارد المائية من الامطار أو الانهار ويضاف الى ذلك وجود بعض الرواسب المعدنية في طبقات كثير من جيولوجية هذه الاقطار • لقد خلقت هذه الظروف الجغرافية

المواتية أقاليم زراعية غنية اجتذبت اليها أعدادا كبيرة من السكان ومن خير الامثلة على ذلك جزيرتي جاوة وسومطرة وسهول الهند والسند والصين ، اما عند عدم ملائمة هذه العوامل نلاحظ ان كثافة السكان تتخلخل ومن الامثلة البارزة في هذه المنطقة بالذات جزيرة بورنيو التي تتصف بفقر التربة الزراعية فيها وبذلك أصبحت منطقة طرد في معظم أجزائها الامر الذي أدى الى عدم رغبة الناس في سكناها .

اما بالنسبة الى أقطار شمال غربي اوربا فهي الاخرى تتمتع بموقع جغرافي أكثر ملائمة مما لاحظناه في شرقي آسيا . تقع هذه الاقطار على ساحل بحر الشمال الذي يمثل امتدادا للمحيط الاطلسي الذي يربطها بكافة أنحاء العالم ، وكذلك تمتاز هـذه السواحل بكونها متعرجة ذات رؤوس وخلجان متداخلة في اليابس تارة وفي الماء تارة أخرى وقد خلقت هذه الصفة من هذا الساحل منطقة ملاحية قامت فيها موانيء طبيعية عالمية متناثرة على امتداد هذا الساحل كما ساعدت الانهار التي تصب فيها بأن تقوم بمهمة الحركة الملاحية داخل الاقطار التي تجري فيها ، ويضاف الى ذلك وجود التربة الخصبة لانها تقع في السهل الاوربي الاعظم ، اما المناخ الاعصاري الذي يأتي بكمية كافية من الامطار فهو كفيل بقيام الزراعة . اما العامل الجيولوجي المتمثل بالرواسب المعدنية ومن أهمها الحديد والفحم التي كانت من أهم العوامل التي طورت الاقليم وزادت من امكانياته الاقتصادية بعد تحويلها من حالتها كمواد خام الى صناعات ويضاف الى كل هذا وجود شبكة كثيفة من الطرق البرية والمائية والجوية التي سهلت حركة الانسان وجذبه نحو هذه الاقطار .

(٢) العوامل التاريخية والتقاليد الاجتماعية والدينية :

ان للعوامل التاريخية والتقاليد الاجتماعية والدينية أثرا محلوظا في زيادة السكان وبالتالي على درجة كثافته في الاقليم . لقد لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما في زيادة حجم العائلة وخاصة في المجتمعات التي تحاول

الاحتفاظ بحجم كبير للعائلة ونموها وهذه الظاهرة تنعكس في زيادة سكان الاقليم وتزايدهم • نشاهد هذه الظاهرة الديموغرافية التقليدية في كثير من الاقطار الشرقية وان مرد ذلك يرجع الى عوامل اقتصادية تبين أن البلاد التي لا تزال تتمسك بهذه التقاليد تعتقد أن النمو والزيادة في عدد أفراد العائلة سيؤدي بدوره الى دخل أعلى لان دخل العائلة يتناسب تناسبا طرديا مع زيادة اليد العاملة فيهـا وعليـه لم تكن ظاهرة تعدد الزوجات في المناطق الريفية في البلاد المتخلفة الا رد فعل لان الهدف الاول منها الحصول على يد عاملة تساهم في أعمال العائلة الـكثيرة الشاقة هذا بالاضافة الى نظـام الزواج المبكر في مثل هذه المجتمعات ، وربما يرجع الى أسباب أخرى منها النظام القبلي السائد في المجتمعات البدوية أو الريفية التي لا تزال تتحكم فيها هذه التقاليد الاجتماعية لان السيادة والنفوذ في مثل هذه المجتمعات يكون بيد العائلة والقبيلة التي تتفوق على غيرها في عدد أفرادها وهذا ما يلاحظ في المجتمعات الريفية العربية وما يماثلها من المجتمعات المتخلفة الاخرى في كافة أنحاء الشرق ويمكن أن نضيف الى ذلك عدم السماح بتحديد النسل كمـا هي الحال في مجتمعات الشرق الاقصى والاوسط والادنى وخاصـة الريفية منها •

(٣) التقدم العلمي والفني :

يلعب التقـدم العلمي والفني المتمثل في استخدام الطرق والاساليب الفنية التي أحرزها العالم حديثا دورا فعالا في زيادة كثافة السكان في بعض أقطار العالم فلو استعرضنا بعض الامثلة لوجدنا ان لهذا العامل أثر بليغ في نمو السكان في الولايات المتحدة تلك الزيادة التي ما كانت تعرفها من قبل في عهد الهنود الحمر الذين كانوا يجهلون استخدام الاساليب الفنية المستعملة في الوقت الحاضر في الانتاج ، كذلك تنطبق هذه الظاهرة على نمو سكان اوربا بصورة عامة واوربا الغربية بصورة أخص حيث يقدر عدد نفوسها في القرن الماضي بنصف العدد الحالي وكل ذلك بفضل تقدم الوسائل العلمية

الحديثة واستعمالها في نواحي الانتاج الاقتصادي المختلف وما يتصل بها من تحسين المواصلات ووسائل النقل التي أدت الى سهولة استغلال مصادر الثروة الزراعية والحيوانية والمعدنية وتحويل ما يمكن تحويله منها الى صناعات وكل هذا يتم على مقياس واسع من الانتاج الذي يمكن بواسطته تجهيز الاعداد الكبيرة من السكان في تلك المناطق • واصدق مثال على ذلك ما طرأ على روسيا من تطوير علمي وفني في الفترة التي جاءت بعد ثورة ١٩١٧ ونتيجة هذا التقدم في أساليبها العلمية أصبحت منطقة انتاجية كبيرة تمد سكانها بما تحتاجه الامر الذي انعكس في زيادة سكانها ولكن ما أصابها من زيادة عدد السكان في هذه الفترة القصيرة لا يمكن مقارنته بدول اوربا الغربية أو الاجزاء الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة •

يقــدر الخبراء بأنه يمكن توســيع الاراضي المزروعة الى حوالي ¼ الاراضي المزروعة الآن فعليا على سطح الارض وذلك باستخدام الطرق الفنية المختلفة التي من أهم مظاهرها نظام الزراعة الكثيفة أو الواسعة •

فالنظام الاول يمتاز بالزراعة المعتمدة على الدورة الزراعية الحديثة واستخدام المخصابات الكيماوية ومكافحة الآفات الزراعية واتباع التخصص في زراعة كل تربة بما يلائمها من نباتات أو محاصيل وهذا من شأنه رفع المستوى الزراعي وزيادة الانتاج وفي مقدمته المواد الغذائية ، اما النظام الثاني فهو يعتمد على زراعة المساحات الواسعة التي تستخدم فيها الآلات الزراعية الميكانيكية المختلفة • اما المصادر المعدنية وتحويلها الى صناعات مختلفة فقد عرفت في أقطار معينة من العالم وعلى رأسها أوربا الغربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومن ابرز المعادن التي استغلت فيها وقامت عليها الصناعة الثقيلة هي الحديد والفحم والى جانبها اكتشـاف القوى المحركة وتطور استخدامها كالغاز الطبيعي والقوة الكهربائية الهايدرولوجية والبترول والطاقة الذرية التي ساهمت مساهمة فعلية في الصناعة في مناطق الصناعات العظمى التي تتمتع بالخبرة الفنية والتقدم العلمي اللذين لهما اليد الطولى في تحويل المواد الاولية الى منتجات صناعية على مقياس انتاجي كبير يقوم بسـد

حاجة الانسان الاستهلاكية كما تستخدم في أغراضه الانتاجية • هـذا من الناحية الايجابية أما الاقطار المتخلفة فهي في الحقيقة بلاد متأخرة في هـذا الحقل العلمي والفني اذا ما قورنت بالبلاد التي تمثل مناطق الصناعة العظمى غير أن درجة التخلف هذه تتباين من اقليم لآخر وعليه كان لهذا التخلف أثره الواضح في تخلخل السكان في مثل هذه المناطق • لقد سبق وأن ضربنا بعض الأمثلة على مثل هذه الاقاليم التي تتفق كثافة السكان فيها مع ما تتمتع به من امكانيات علمية وفنية فمثلا البرازيل وبرما وغانه في افريقية والعراق يمكن أن نوردها كأمثلة للتدليل على صدق هذه الظاهرة • ان هذه الاقطار لا تزال في مطلع المرحلة العلمية والفنية التي بواسطتها يمكن تطوير امكانياتها الاقتصادية وبالتالي نمـو مصادرها البشرية على أسـاس التقـدم العلمي واستمراره فيها •

(٤) النشاط الاقتصادي :

ان العامل الاقتصادي وطيد الصلة بالوضع الفني لان تقدم الناحيـة الفنية من شأنه زيادة القوة الانتاجية التي ينعكس أثرها في زيادة الارباح وأخيرا في رفع المستوى المعاشي • ان الزيادة في الارباح تستخدم في العادة في تحسين أحوال المجتمع المعاشية من مسكن ومأكل ومشرب ووقاية صحية التي من نتائجهـا حدوث الزيادة الطبيعيـة في السكان وذلك سبب زيادة الولادات وقلة في الوفيات الامر الذي ينشأ عنه بمرور الزمن ارتفاع كثافة السكان في الاقليم كما هو موجود في المناطق المـكتظة بالسكان من العالم •

ان العلاقة بين زيادة السكان والتطوير الاقتصادي في الاقليم تظهـر واضحة من زيادة الارباح أو الدخول للافراد أو هبوطها ، فعندما يزداد عدد السكان في اقليم ما خلال فترة معينة من الزمن تكون النتيجة الحتمية لذلك هو ازدياد قوة اليد العاملة لان الاخيرة ظاهرة ايجابية للاولى ، ومعنى هذا ارتفاع في عدد المتخصصين في الحقول الانتاجية وفي الاساليب الفنية المستخدمة في أشكال متنوعة وهذا بدوره يرفع من مجموع قيمة الارباح

التي من شأنها زيادة في الاقتصاد القومي وبالتالي رفع المستوى المعاشي للفرد وخير مثال على هذه الظاهرة هو التقدم الاقتصادي الذي حققته أقطار اوربا الغربية في القرن التاسع عشر ذلك التقدم المصحوب بنمو السكان • هذا من الناحية الايجابية اما الناحية السلبية فخير دليل عليهــا هو كندا وروديسيا الشمالية والجنوبية في افريقيا تلك الاقطار التي كان نمو السكان فيها محدودا مما أدى الى تأخر في المظاهر الاقتصادية الا بقدر محدود يتفق الى حد بعيد مع نمو السكان وزيادته فيها •

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد أن القاعدة التي يشترك فيها ازدياد عدد السكان واستثمار امكانيات الاقليم وتطوير موارده الاقتصادية حتى تصل الى مرحلة التوازن التي يعقبها حدوث الخلل بين تلك القوتين المتفاعلتين عند عدم التوازن • ان عدم التوازن يؤدي الى نتائج تتمثل في هبوط الارباح وانخفاض المستوى المعاشي في المجتمع وكثيرا ما تنتج هذه الظاهرة عن زيادة عدد السكان وثبات الارباح أو الدخول التي تقرر نوع المستوى المعاشي في الاقليم والتي يمكن تقديرها على أساس مقدار مساحة الارض المستثمرة ورأس المـال المستخدم والمستوى الفني الذي يتمتع به الافراد ، وكثيرا ما يشتد التباين في عـدم التوازن بين السكان والامكانيات الاقتصادية في المجتمعات الزراعية ويقل أثره في البيئات الصناعية •

(٥) الوضع الطبي :

لقد لعب الطب دورا كبيرا في نمو السكان وزيادتهم في كل أقطـار العالم ولـكن أثره يختلف من اقليم لآخر فمثلا في البلاد المتقدمة طبيا يكون السكان أقل عرضة لخطر الامراض وعليه فهم يتمتعون بالنصيب الاوفر من مميزاته وعلى العكس من ذلك البلاد المتخلفة في هذا الحقل العلمي وكذلك نلاحظ ان هـذه البلاد المتخلفة تكون على درجات متفاوتة في مستوياتها

الطبية وعلى أي حال فأن أهم النتائج الطبية الحديثة هو رفع مستوى الولادات وقلة الوفيات وخاصة بين الاطفال هذا الى جانب ما حققه هذا العلم في علاج الناس وانقاذهم من الامراض الكثيرة والعاهات التي كانوا قبل تقدم الطب يذهبون ضحيتها وخاصة الاوبئة الفتاكة التي كانت تتفشى بين الناس وتجتاح الاقليم الواحد وتقضي على حياة الاعداد الكبيرة منهم . ولتأييد صحة هذه الظاهرة نورد بعض الارقام التي جاءت في تقرير السكان والمصادر الاقتصادية في العالم[1] . لقد جاء في التقرير أن موت الاحداث في القرنين الماضيين (قبل ٢٠٠ سنة) كان يقدر بحوالي ٢٠٠ نسمة بالالف بينما نجد تحت ظل العلاجات الطبية الحديثة قد هبط هذا الرقم الى ٣٠ بالالف ، اما نسبة الموت لكافة الاعمار فقد هبطت من حوالي ٤٠ بالالف الى ١٢ بالالف وان نسبة معدل العمر للفرد فقد ارتفع من ٢٥ و٣٠ الى ٦٠ و٧٠ سنة ، ففي انكلترا نلاحظ أن معدل الحياة المتوقع أن يعيشها الشخص كانت في عام (١٧٥٠) تقدر ما بين ٢٥ الى ٣٠ سنة اما ما بين عام ١٨٧١ – ١٨٨٠ فقد ارتفعت الى ٤١٫٥ سنة للذكور و ٤٤٫٥ للاناث بينما في الهند كانت ١٩ سنة للذكور و ٢١ للاناث ، اما بين ١٩٥٠ – ١٩٥٢ فقد ازداد معدل الاعمار الى ٦٦٫٥ سنة للذكور و ٧١٫٥ للاناث في انكلترا ولكنه في الهند كانت نسبة الزيادة أقل من هذا وقد قدرت بحوالي ٣٢٫٥ سنة للذكور و ٣٢ للاناث .

يستخلص من هذه الارقام أن الانسان أخذ يعمر أكثر مما كان سابقا في البلاد المتقدمة والمتأخرة بالرغم من اختلاف نسبة الاعمار فيها وذلك بدليل ان الانسان الذي عاش في انكلترا قبل ٢٠٠ سنة كان يعمر نفس المدة التي يعيشها الانسان حاليا في الهند .

"World population and resources" Areport by PEP (Political and Economic Planning). 1956. pps. 5-6.

مميزات الكثافة ومساؤها :

تمتاز المناطق المزدحمة بالسكان بقدرتها على تجهيز العمـل باليد العاملة في المنطقة لتنمية الانتاج وانعاشه على الوجه الاقتصادي الصحيح هذا الى جانب تكوين سوق استلاكية يتناسب حجمها وحركة التجارة فيها وهذا يتوقف على عدد السكان من ناحية وعلى كمية الانتاج من ناحية أخرى ، وبهـذا كان توفر اليد العاملة ضرورة ماسة لتوسيع مجال العمل وزيادة القابلية الانتاجية وتطوير الاقليم اقتصاديا وخاصة النشاط الصناعي فقد كان لكل مصنع يؤسس لابد وأن يتسع نطاق العمل فيه وهذا بالطبع لا يتم الا بزيادة اليد العاملة التي يمكن توفيرها بسهولة في المناطق المكتضة بالسكان اما المناطق المتخلخلة أو القليلة السكان فهي على النقيض من ذلك لانها لا تستطيع ان توفر اليد العاملة الكافية التي يعتمد عليها العمل المنتج • فلو استعرضنا ظاهرة ازدحام السكان في مصر لوجدنا ان ارتفاع الكثافة يمثل عاملا بارزا بين عوامل الانتاج وخاصة في الزراعة وعلى الاخص في الغلات التي تحتاج الى اليد العاملة الكبيرة كما هي الحال في زراعة القطن •

وما يصدق على القطن في مصر يصدق على زراعة التبغ في مناطق أخرى من العالم مثل الولايات المتحدة وزراعة قصب السكر في جاوه وكلها غلات تتطلب يد عاملة كبيرة ، ويجب الا يغيب عن البال ان الغلات الزراعية لا تتحمل نفقات انتاج عالية كما هي الحال في الانتاج الصناعي • على هذا الاساس يكون تكتل السكان وكثافتهم في منطقة من العالم ميزة رئيسية لتلك المنطقة وذلك لسهولة الحصول على اليد العاملة ورخصها الامر الذي ينعكس أثره في قلة تكاليف الانتاج وهذه ظاهرة تلعب دورا مهما في تطوير النشاط الاقتصادي وبالتالي زيادة الحركة الانتاجية التي تساعد القطر المنتج على التصدير والمساهمة في التجارة الخارجية كما هي الحال في تصدير القطن المصري أو التبغ الامريكي أو السكر والمطاط من جاوه •

هذا ما يتعلق بالجانب الايجابي اما الجانب السلبي فهو يتمثل بعدم وجود توازن بين سكان هذه المناطق المزدحمة بسكانها ومواردها الاقتصادية

وبمعنى آخر أن مثل هذه المناطق لا تستطيع أن تتحمل ضغط السكان المتزايد فيها وذلك لعدم كفاية مواردها الاقتصادية وخاصة الغذائية التي تكفل لهم مستوى معاشيا معقولا ولاسيما في المناطق التي تكون فيها مهنة الزراعة هي السائدة • وتطبيقا لظاهرة التوازن نجد أن عددا من البلاد التي تشكو ضغطا كبيرا من سكانها هي التي تملك موارد محدودة من الارض التي تسكن عليها هذه الاعداد ، ومعنى ذلك ان التوازن بين المصدرين ينعدم ومن خير الامثلة على هذه الظاهرة هي مصر والهند والصين والباكستان وجاوه • ان هذه البلاد تشكو عدم التوازن بين مساحة أراضيها الزراعية وكثافة سكانها حتى باتت تنذر بالخطر الذي من مظاهره البارزة صغر وحدة الارض الاستثمارية (الملكية الصغيرة) الامر الذي كان من شأنه انخفاظ مستوى المعيشة وانحطاط دخل الفرد وتعويضا لهذا النقص في المساحة المزروعة فقد اتبع سكان تلك الاقطار نظام الزراعة الكثيفة التي من شأنها رفع القوة الانتاجية في الوحدة الزراعية الصغيرة لان أساليب الزراعة الكثيفة تؤدي الى انتاج أكبر من المحاصيل التي يكون الهدف الاول منها مواجهة حاجة هذه الملايين من السكان وتزويدهم بالمواد الغذائية الضرورية لحياتهم المعاشية ، ولكن يظهر من نظام الغلة المتناقصة انه بالرغم من هذه الجهود المبذولة والطرق الانتاجية الحديثة المتبعة ان المشكلة ستبقى مستعصية الحل في المدى الطويل طالما وأن نمو السكان مستمرا في مثل هذه الاقطار ذات المصدر الارضي المحدود والامكانيات الاقتصادية الثابتة •

اما بخصوص الحلول التي يمكن ان توضع موضع التنفيذ لتقوم بحل هذه المشكلة حلا جذريا فيمكن ان نناقشها تحت النقاط الآتية :ـ

(١) تطبيق نظام تحديد النسل وايقاف نمو السكان المتزايد الا بالقدر الذي تسمح به امكانيات الاقليم الاقتصادية • وان وجهة نظري في تطبيق هذه السياسة لانها ستكون الحل الوحيد الفعال لمواجهة هذه المشكلة الهامة التي أصبحت من اعضل الازمات التي تواجهها كثير من أقطار العالم وسوف تتعدى ذلك في المستقبل الى جميع أقطار العالم ومما يدل على أهمية هذه

الظاهرة هو انعقاد مؤتمر جنيف لهذا العام ١٩٦٣ للدول النامية والمؤلفة من (٩٠) دولة وذلك لغرض دراسة نمو السكان في العالم ومواجهة هذا النمو باستخدام الطرق العلمية والفنية في رفع الانتاج وخاصة في البلاد التي تسمح امكانياتها بذلك • ان سياسة تحديد النسل سبق لاقطار كثيرة من تطبيقها وكان النجاح حليفها كما هي الحال في أقطار اوربا وفي الولايات المتحدة وفي كثير من المدن أو البيئات الحضارية التي يشعر أهلها بصعوبة العيش وضيق مجالات الكسب لاعالة الاسر ذات الاعداد الكبيرة من الاولاد •

(٢) أن الهجرة الى مناطق أخرى تتوفر فيها سبل العيش ومكاسبه هي الوسيلة الاخرى للتخفيف من ضغط السكان وقد حدثت هذه الظاهرة فعلا في تعمير العالم الجديد عن طريق الهجرات التي بدأت حركتها من أقطار اوربا في القرن الماضي • لقد وجد أن ٣٤٫٥[1] مليون نسمة من سكان الولايات المتحدة كانت ولادتهم خارج القطر وكانت تحتوي هذه الهجرة على جنسيات مختلفة منها العناصر الالمانية التي قدر عددهم بحوالي ٥٫٢ مليون والطليانية بحوالي ٤٫٦ والانكليزية ٣٫٢ والبولونيدية ٢٫٩ والروسية ٢٫٦ والايرلندية ٢٫٤ والسويدية ١٫٣ هذا في امريكا الشمالية اما الجنوبية فكانت هجرة الاسبان والطليان الى الارجنتين وتعميرها حدث بارز بين الهجرات في العالم • لم يقتصر الامر على القارة الاوربية وحسب انما نجد الهجرة تنتشر في مناطق من العالم فهؤلاء الصينيون قد هاجرو الى منشوريا والروس الى سايبريا والانكليز والفرنسيون الى كندا والانكليز الى استراليا . من المعروف ان ظاهرة الهجرة تخفف من حدة ضغط السكان موقتاً وعليه لا تعتبر حلاً جذرياً كما هي الحال في العامل الأول المتعلق بتحديد النسل لان البلاد المهاجر اليها تستطيع ان تستوعب الموجات المهاجرة في الادوار الاولى من هجراتها ولكنها بالتالي لا تتمكن ان تستوعب اعداداً اضافية أخرى وذلك بسبب نمو سكانها الاول الامر الذي

(١) « جغرافية المدن » الدكتور جمال حمدان ـ القاهرة ، ١٩٦١ •

يؤدي الى منع الهجرة اليها وقد حدث هذا فى الولايات المتحدة واستراليا اللتان فتحتا ابوابهما على مصراعيهـا للعناصر الاجنبية المختلفة أن تدخـل ولـكن لمـا شعرت بالزيادة المستمرة فى سـكانها والمشـاكل الناجمة عنهـا أخذت تحدد هذه الهجرات وتضع لهـا الشروط كمـا يجـرى الان فى الولايات المتحدة اما استراليا فقد حرّمت الهجرة على العناصر الآسيوية تحريماً باتاً واقتصرتها على العناصـر البيضاء كما هـو معروف من سياسـة استراليا البيضاء.

(٣) ان اســتثمار الامكانيات الاقتصـادية وزيادة الانتاج الـزراعى والحيواني البري والبحري وتأسيس الصناعة قد أمكن تطبيقها وكل هذا يتم بالطـرق العلميـة والفنيـة ، ففي الزراعـة تسـتعمل الآلات الميكانيكيـة والمخصبات الـكمياوية ونظام الدورة الزراعية وزراعة المحاصيل الملائمة لـكل تربة من التربات وهذه الطرق ممكن تطبيقها ايضاً فى تربية الحيوان اما معالجة الامراض ومكافحة الآفات الزراعية فهى ايضاً وسيلة أخـرى للمحافظة على النـاتج وازدهاره . لقـد طبقت الولايات المتحـدة في الحقل الزراعى معظم هـذه الاسـاليب الزراعية ووجـدت بالنتيجة ان المحاصيل قد ارتفعت في الوحدة الانتاجية وقد ظهر واضحاً فى غلة الذرة التى زادت كمية الناتج فيها بنسبة ٢٠٪ ما بين عام ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ ، اما ما يتعلق بالصناعة فيمكن تأسيسها وتطويرها فى البـلاد التى تشـكو خطر ضغط السكان لان الصناعة تمتاز بقابليتها وقدرتها على امتصاص يد عاملة كبيرة أكثر من الزراعة علاوة عن انها تعطى أجراً أعلى بالاضافة الى انها تعطى انتاجاً أكبر يتناسب وطاقة المصنع الميكانيكية والبشرية . لقد شعرت بعض الدول حديثاً بضرورة تطبيق هذه السـياسة التى كـان لهـا الاثـر الواضح على مجابهة هذا الضغط السكانى ومن هذه الدول التى تبنّت هذه السياسة الاقتصادية واتخذتها سبيلاً هى الجمهورية العربية المتحدة والصين الشعبية وفى كثير من الدول النامية اقتصادياً وقـد طبقت هذه السـياسـة اليابان قبل غيرها .

اما اذا ما استعرضنا ظاهرة توازن الارض والسكان في البرازيل وبرما وغانه والعراق فاننا نجد أن الوضع يناقض ما هو عليه في تلك البلاد الموما اليها سابقاً لان مساحة الارض القابلة للزراعة كبيرة وللفدان القدرة بأن يلعب دوره في استغلالها . ففي العراق مثلاً تقدر مساحة الارض القابلة للزراعة بحوالي (١٢١ر٠٠٠) كيلومترا مربعا أو ما يعادل (٥٠) مليـــون دونماً أو ٢٧٪ من مجموع مساحة العراق الكلية . ان هذه الارض تزيد عن حاجة سكانه أو بكلمة أخرى ان عدد السكان البالغ حوالى (٧) ملايين نسمة لا يستطيع من استغلال هذه المساحة الشاسعة التى تقدر ما يصيب الفرد الواحد فيها ٧ دونمـات ، وان هـذه الظـاهرة تنطبق على كل من البرازيل وبرما وغانه ؛ التى تملك مثل هذا المصدر الكبير مما جعلها غير قادرة على استثمارها بكفاءة لنقص فى اليد العاملة ذات الاثر الايجابى الاول بين عوامل الانتاج الاخرى ولاجل ان يأخـذ الاستغلال طريقـه الصحيح المنتج يجب تعادل الكفة بين هذين العاملين السكان والارض كما سبق وان حدث فى بلاد زراعية أخرى متقدمة من العالم .

على ضوء هذا العرض يجدر بنا ان ندرس بعض اقاليم العالم بشيء من التفصيل لتبين مدى العلاقة بين مصادرها الاقتصادية وكثافة السكان فيها ولسهولة البحث فى هذا المجـال يمـكن ان نصنّف اقطار العالم الى وحدات متماثلة أو متقاربة بامكانياتهـا الاقتصاديـة والبشرية ونضعهـا فى مجموعة واحدة لاجل ان تسهّل دراسة هذه العلاقة والنتائج المترتبة عليها أو بكلام آخر ليتسنى لنا أن ندرك هذه العلاقة وخـاصةً المواد الغـذائية الموجودة في الاقاليم وقابليتها على اعالة سكانها واليك هذه المجاميع :ـ

الصنف الاول « بلاد كثيفة السكان ونامية اقتصاديا » :

ان هذه المجموعة من اقطار العالم تحتوى على بلاد زراعية تزدحم بسكانها ولديها فى نفس الوقت امكانيات اقتصادية غير ان التوازن بين هذين المصدرين مفقود . يشتمل هذا الصنف على مصر ومعظم الاقاليم الشرقية

والجنوبية الشرقية من آسيا التى تأتى فى مقدمتها الصين واليابان والهند واندنوسيا والباكستان .

مصر : يقدر سكان مصر في الوقت الحاضر بـ **٢٧** مليوناً يسكنون في منطقة وادي النيل ودلتاه الذى لا تزيد مساحته عن **١٤٫٦٠٠** ميلاً مربعاً وتقدر كثافة السكان فى هذه المنطقة حوالى **١٨٥٠** نسمة بالميل المربع الواحد ونتيجة لهذه الكثافة نجد ان معدل ما يصب الفرد من الارض الزراعية لا تزيد عن ¼ فدان . تعتبر الاراضى التى تسقى رياً أو تعتمد على نظام الرى فى هذا الوادى ودلتاه من اخصب الاقاليم الزراعية فى العالم ، وقد ارتفع مجموع انتاجها الزراعى بعد أن انجزت فيها مشاريع الرى الحديثة ولكن بالرغم من هذا الازدهار الزراعى نلاحظ ان الناتج فيها لا يجارى الزيادة المستمرة فى سكانها حيث تدل الاحصاءآت على ان عدد السكان فيها فى الوقت الحاضر قد تضاعف فى خلال الفترة الواقعة فى نصف القرن الماضى حتى باتت الكثافة بأكثر من ضعف ما هى عليه فى المملكة المتحدة (المملكة المتحدة **٥٤٠** نسمة بالميل) . تشير التقديرات الى ان مقدار الزيادة فى الانتاج الزراعى فى الفترة الواقعة ما بين **١٩١٥ – ١٩٥٠** قد بلغت حوالى **٣٠٪** بينما ازداد عدد السكان الى حوالى **٦٤٪** من مجموع العدد الكلى لنفس الفترة ، ونتيجة لعدم التكافأ بين هذين المصدرين نجد أن مصر تستورد سنوياً مواد غذائية وخاصة الحبوب وعلى رأسها القمح بنسبة تبلغ ½ ما تستهلكه سنوياً . فى الواقع توجد امكانيات زراعية كبيرة فى مصر يمكن تطويرها وهذا ما يقوم به شعبها فعلاً ولكن هذه السياسة الاقتصادية المعتمدة على هذا المصدر لم تكن الوسيلة الكافية لحل مشكلة تزايد السكان حلا جذريا وذلك بسبب عدم التوازن بين امكانيات الارض والمصدر البشري وعليه فقد لجأت الجمهورية العربية المتحدة الى سياسة التصنيع التى بدأت بالتفكير بها منذ اوائل القرن التاسع عشر وكانت صناعة النسيج والسكر اول صناعة رست قواعدها فى هذا الاقليم واصبح انتاجها على نطاق اقتصادى واسع ومنذ ذلك التاريخ اخذت هذه السياسة الجديدة

تنتشر حتى تمخضت ثورة ١٩٥٢ ومن هنا بدأت عهداً جديداً فى الحقل الاقتصادي بكلا مظهريه الزراعي والصناعي ، ففي الاول توسعت في مشاريع الرى وفى ادخال الاساليب الزراعية الحديثة فى الانتاج وخاصة المخصبات الزراعية والآلات الميكانيكية ، وما السد العالى الا دليل واضح على الجهود المبذولة فى تطوير الحقل الزراعى والاستزادة من الانتاج الزراعى هذا بالاضافة الى تطبيق نظام الاصلاح الزراعى الذى من أهم مظاهره توزيع الملكيات الكبيرة والاراضى الاميرية الى واحدات استثمارية صغيرة للذين لا يملكون أراضي زراعية . اما الثاني فهو الجانب الصناعى الذى من أهم مظاهر تطويره صناعة الحديد والفولاذ وتوسيع نطاق القوى المحركة وخاصة في منطقة اسوان والى جانبها صناعة الفوسفات والصناعات الكمياوية والميكانيكية التي أخذت طريقها نحو التوسع في الايام الاخيرة هذا الى جانب توسيع مصانع النسيج فى الاسكندرية والقاهرة وكفر الدوار وفي مناطق أخرى .

جاوة :

تعتبر جاوة اكثف جزيرة فى العالم بالسكان حيث يسكن فى الميل المربع الواحد ١٠٧٠ نسمة اما عدد سكانها فيبلغ ٥٤ مليون نسمة ينتشرون فى مساحة قدرها ٥٠٫٧٠٠ ميلاً حتى قدر ما يصيب الفرد الواحد من الاراضي الزراعية بحوالي ٠٫٤٣ من الفدان وبمقارنتها مع المملكة المتحدة نجد ان كثافتها تزيد بمقدار الضعف وعلى استراليا بستت اضعاف . لقد اخذ اتجاه السكان فى هذه الجزيرة يزداد حتى تضاعف فى الفترة الممتدة ما بين ١٨٨٠ ـ ١٩٠٥ واستمرت حتى بلغ في احصاء ١٩٣٠ حوالي ٤١ مليونا حتى قدر معدل الزيادة السنوية بحوالى ١٫٥٪ بالرغم من ارتفاع نسبة الوفيات . تتكون العوامل الحركية لهذا النمو وتلك الزيادة من امكانيات التربة البركانية الخصبة الملائمة لنمو جميع الحاصلات الزراعية والى وجود البترول والقصدير التى تشكل أهم صادراتها المعدنية . لقد ساند استغلال

هذه الموارد رأس المال الاجنبي الاوربي الذي ادى الى تطوير كان له أثر مهم في تقدم الجزيرة الاقتصادي وخاصة ما يتعلق بالتنظيم والادارة والاساليب الاستغلالية المختلفة التي وضعها الهولنديون وطبقها بعدهم الوطنيون الجاويون حتى تفوقت الجزيرة على بقية الاقطار الآسيوية الواقعة في الشرق الاقصى في نوعية المنتوجات الزراعية وكميتها . بالرغم من كل هذا التقدم نجد ان جاوه تواجه ضغطا سكانيا تظهر آثاره في هبوط مستوى المعيشة وفي نظام الملكية ألقزمية التي لا يزيد معدل مساحتها عن الفدان الواحد . ان وارد هذه الملكية الصغيرة يعجز عن تغطية نفقات حتى العائلة الصغيرة بمستوى معاشي ضروري مهما بذل من جهود في وسائل الانتاج المختلفة • على هذا الاساس نجد ان الجزيرة تواجه مشكلة زيادة السكان التي لا تقابلها زيادة في انتاج المواد الغذائية وعليه شرعت هولندة يوم ان كانت صاحبة الحكم بتشجيع الهجرة من الجزيرة الى بقية الجزر الاندونوسية الاخرى ولكن هذه السياسة لم يكتب لها النجاح لعدم توفر الامكانيات التي من شأنها ترغيب السكان على الهجرة • ان انجع طريقة لحل مشكلة السكان في جاوه هو تحديد النسل الذي يكفل لها التوازن مابين امكانياتها الاقتصادية والزيادة الطبيعية للسكان وبالتالي يحفظ لسكانها العيش في مستوى انساني معقول .

الهنـــد :

يبلغ عدد سكان الهند حوالي ٤٠٠ مليون نسمة يعيشون في مساحة قدرها ١٫٢٧ مليون ميلاً مربعاً وهو عدد ضخم تقدر نسبة زيادته السنوية بحوالي خمسة ملايين شخصاً وهذا واضح من شدة الكثافة في الاراضي الزراعية التي تقدر بحوالي ١٫٠٠٠ نسمة بالميل المربع الواحد ، ومما يدل على سرعة الزيادة هو ارتفاع عدد السكان من (٢٥١) مليون في عام ١٩٢١ الى (٣٦١) في احصاء ١٩٥١ اما الآن فيقدر عددهم بحوالي ٤٠٠ مليوناً ويتوقع ان يرتفع هذا الرقم الى ٥٢٥ مليوناً في عام ١٩٨١ . لقد

جاء في تقرير (World Population and Resources) [1] أن نمو السكان في الهند مستمر نحو الزيادة وذلك بدليل الاحصاءآت المذكورة أعلاه والتي تشير الى أن نسبة هذه الزيادة تقدر بحوالي ٤٤٫٥٪ من مجموع العدد الكلي للسكان في خلال الفترة ما بين ١٩٢٥ – ١٩٨١ ، بينما الزيادة في المواد الغذائية لم تكن بمثل هذه النسبة لذلك لم يكن في قدرة هذا البلد مواجهة ضغط السكان مما نشأ عنه تدهور في كمية ونوعية المواد الغذائية التي يستهلكها الفرد او بمعنى آخر انخفاضاً في مستواه المعاشي . لقد نجم عن عدم هذا التوازن بين تلك المصدرين الامكانيات الاقتصادية من جهة والمصدر البشرى من جهة أخرى نتائج سلبية منها صغر حجم الملكية الزراعية المستغلة التي ليس في طاقتها توفير حتى عيشة الكفاف لهذه الملايين التي يعمل غالبيتها في الزراعة بالرغم من استغلال معظم الاراضي القابلة للزراعة التي من شأنها زيادة الناتج الكلي في الهند . ان استعمال الدورة الزراعية يؤدي الى انتاج محاصيل متعددة وكمية أكثر في الموسم الواحد وكذلك استخدام المخصبات الكمياوية التي بدورها ترفع من مستوى الانتاج الزراعي وبالرغم من توسيع رقعة المساحات المزروعة بانشاء مشاريع الري الحديثة فهي جميعاً لم تكن وسائل كافية لحل المشكلة .

اما الصناعة فقد ظهرت بوادرها بعد ان عجزت عن حلّ هذه المشكلة في الايام الاخيرة وخاصة بعد قيام الحكم الوطني واستقلال الهند في عام ١٩٤٧ . لقد وضعت في سياستها الاقتصادية خطة تهدف الى التنمية الصناعية التي من بوادرها قيام مصانع ضخمة من الحديد والصلب التي شاركت فيها رؤوس أموال وخبرة أجنبية من الدول الشرقية مثل روسيا ومن الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وانكلترا . في الواقع توجد امكانيات تساعد الهند على تطوير الصناعة وازدهارها وفي مقدمة هذه العوامل وجود المواد الاولية كالحديد والفحم والقطن وكذلك اليد العاملة الكبيرة الرخيصة التي تعتبر من أهم عوامل الانتاج في الصناعة . تمتاز هذه اليد بسهولة

[1] "World Population and Resources" by. p. EP., pp. 136, 1956.

الحصول عليها كلما دعت الحاجة الى توسيع طاقات العمل وبرخصها وهذا يجعل الانتاج اكثر اقتصادية هذا الى جانب ان هذه الاعداد الكبيرة من السكان تشكل سوقا استهلاكية كبيرة لهذه المنتوجات الصناعية • على أساس هذه التنمية الاقتصادية الزراعية والصناعية يمكن ان تخفف من ضغط السكان في هذا الاقليم ولكنه لم يكن حلاً جذرياً ما لم تسنده فكرة تطبيق نظام تحديد النسل التي من شأنها ايقاف هذه الزيادة عند حد يتناسب فيها هذا العدد من البشر مع مصادره الاقتصادية وامكانياته الانتاجية وبذلك يمكن الحفاظ على مستوى معاشٍ يتناسب وحياة الانسان الطبيعية .

الصين :

بلغ سكانها في احصاء **١٩٥٣** حوالي **٥٠٠** مليون نسمة أي حوالي ربع سكان المعمورة وان حوالي **٨٧٪** من مجموع السكان يقطنون في الريف ولكن هذه النسبة أخذت تتغير منذ عام **١٩٥٠** حتى نمت المدن وأصبحت تزيد الآن عن **٤٠٪** من مجموع السكان • ان سكان الصين آخذ في الزيادة المستمرة وقد قدرت هذه الزيادة بحوالي **١٢** مليون سنوياً أي بمعدل **١٫٣٣٪** سنوياً وبناءاً على ذلك فان عدد سكان الحالي يقدر بحوالي **٥٧٨٫٨٦٠٫٠٠٠** نسمة . تسكن هذه الاعداد في مساحة تقدر بحوالي **٣٫٧٦** مليون ميلاً مربعاً وعليه قدرت الكثافة المطلقة فيها بحوالي **١٥٦** نسمة بالميل المربع الواحد اما في المناطق الزراعية مثل أحواض الانهار فتقدر الكثافة بحوالي **١٫٠٠٠** نسمة بالميل المربع الواحد حتى أصبح ما يصيب الفرد من الارض الزراعية حوالي **٠٫٥٨** من الفدان ان ازدحام السكان بهذه الأودية الزراعية كبير الشبه بالاودية النهرية في وادي النيل والكنج • وحلا لهذه الظاهرة نجد ان الصين الشعبية أخذت توجه

---

(١) ان هذه الارقام الاحصائية مأخوذة من تقرير
"World Population and Resources".

الطبعة الثانية ١٩٥٦ ص : ٤/١٣٩ •

سياستها الى التصنيع وخاصة الصناعة الثقيلة لتقضى على البطالة وهذا ما يميزها عن الهند التى لا تزال تشكو هذا الضغط السكانى . ان هذا الاتجاه في سياستها الاقتصادية الجديدة لا تستطيع أن تحلّ مشكلة السكان الا اذا اتجهت الى تحديد النسل لان الزيادة الطبيعية فيها عالية جداً حيث تقدر بحوالى $\frac{1}{4}$ زيادة عدد السكان فى العالم او ما يعادل ١٢ مليوناً وهذا عدد ضخم لا تستطيع امكانياتها الاقتصادية من مواجهة هذا الضغط الديموغرافي وبذلك بات من الضرورى تحديد النسل حتى يصبح تعادل بين السكان من ناحية ومصادرها الاقتصادية من ناحية أخرى وبذلك يمكن ان يرتفع المستوى المعاشى فيهـــا .

الصنف الثاني « بلاد نامية اقتصاديا وقليلة السكان » :

يشتمل هذا الصنف على الاقاليم المتخلخلة السكان والمتخلفة اقتصادياً ومن خير الامثلة علي هذا النوع من البلاد البرازيل وبرما وغانا والعراق .

ففى حالة البرازيل التى يسكن على تربتها البالغة مساحتها ٣ر٣ مليون ميلاً مربعاً حوالى ٥٧ مليون نسمة تبلغ معدل كثافة السكان هنا ١٧ نسمة بالميل المربع الواحد ، وتعتبر القطر الرابع فى المساحـة بين اقطـــار العالم والثامن فى عدد سكانه . ان امكانياتها الاقتصادية الكبيرة تتمثل فى مساحة الارض القابلة للاستغلال الزراعى على نطاق واسع وكذلك توجـد فيهـا طوبغرافية متنوعة وتربة ملائمة الى جانب تنوع المناخ فيها من استوائي الى مدارى الى معتدل اما الموارد المائية فهى متوفرة . تعتبر قلة عدد السكان فيها بالنسبة الى مصادرها التي في مقدمتها المساحة من مشاكلها الرئيسية حيث نجد ان المنطقة المأهولة بالسكان تقد ربحوالي ٧٠٪ من مجموع مساحة الاقليم وفيها تمتد عمليات التوسع والعمران الرئيسة وتتضمن هذه المناطق الواقعة في الجنوب والشمال الشرقى والساحل الشرقى اما الاقسام الشمالية والوسطى والغربية التي معظمها لا يزال بكرا لم تسكن الا بعدد قليل لا يتجاوز أكثر من $\frac{1}{14}$ من مجموع السكان . وعلاوةً على هذه المصادر فهى غنية بالمعادن التى من

أهمها الحديد الخام الذى يقدر باكثر من ⅕ ما يملكه العالم من احتياط هذه المادة وكذلك يوجد الالمنيوم والمنجنيز ورواسب الذهب والماس التى تتوقع البرازيل فى المستقبل أن تحتل مكانة مهمة فى عالم الصناعة . تقوم فيها صناعة ناشئة كالصناعات الخفيفة وصناعة الاغذية . يستنتج من ظروف هذا الاقليم البشرية وامكانياته الاقتصادية الواسعة وجود عدد من العقبات منها عدم التكافأ والتوازن بين هذين المصدرين اولاً وعدم وجود رأس المال الكافى والحاجة الى المساعدة الفنية أكان ذلك فى الميدان الزراعى أو الصناعي • ان هذه العوائق وخاصة النقص في اليد العاملة تمثل عقبة أساسية فى تأخر استغلال المصادر الطبيعية وبالتالى تخلفه اقتصادياً .

برما :

يسكن برما حوالى ٢٠٫٨ مليون نسمة وهو عدد قليل بالقياس الى مساحتها البالغة ٢٦٢٫٠٠٠ ميلاً مربعاً أو كثافة قدرها ٨٠ نسمة للميل المربع الواحد اما بالنسبة للاراضى الزراعية فان معدل ما يصيب الفرد الواحد فيقدر بحوالى ١٫١١ فداناً . يستخلص من هذه الارقام الاحصائية ان برما لم تكن مزدحمة بالسكان كما هى الحال فى الهند وجاوه كما انها لا تشبه البرازيل بتخلخلها ولكنها تماثلها بوفرة مصادرها الطبيعية من أرض واسعة وخصبة ملائمة للعمليات الزراعية ولم تمتد اليها اليد البشرية كما وانها تملك موارد غنية من الغابات والرواسب المعدنية كالرصاص والزنك والقصدير . ان هذه الامكانيات الطبيعية الكامنة تحتاج الى يد عاملة كبيرة وماهرة لتفجير هذه الطاقات وتسخيرها لصالح الانسان للافادة منها .

غانه :

تبلغ مساحة غانه (٩١٫٨٠٠) ميلاً يسكن فيها أكثر من خمسة ملايين نسمة أو ما يعادل ٥٦ نسمة بالميل المربع الواحد اما معدل ما يصيب الفرد من الارض الزراعية فيقدر بحوالى ٢٫٩ فداناً . ان امكانيات هذه الاقاليم تتمثل بما تملكه من ارض زراعية واسعة لا تزال بكر تحتاج الى

الى استثمار وتعمير ولكن هذا يتطلب عددا أكبر من سكانها الحاليين ليتسنى لهم استغلال هذه الموارد الطبيعية التى فى مقدمتها مصادر الارض وتربتها الخصبة والموارد المائية والمناخ المناسب لكثير من الغلات التى تزدهر زراعتها فى مثل هذه المناطق الحارة الرطبة كالكاو الذى يحتل الصدارة لا فى غانه وحسب انما فى انحاء العالم اجمع .

اما العراق فهو احد هذه البلاد التى تشكو قلة فى سكانها بالنسبة الى ما تملكه من موارد الارض القابلة للاستغلال الزراعى . ان عدد سكانها لا يتجاوز سبعة ملايين نسمة بينما مساحة الارض القابلة للزراعة بحوالى (٥٠) مليون دونماً لا يستغل من هذه الارض سنوياً أكثر من (١٢) مليون دونماً هذا بالاضافة الى ان هذه الارض ذات تربة خصبة صالحة لجميع الغلات الزراعية التى تنمو فى العروض المعتدلة من العالم . لم تقف امكانيات العراق عند هذا المصدر انما هناك الموارد المائية المتمثلة بنهرى دجلة والفرات وروافدهما المتعددة وبالامطار وخاصة فى المناطق الشمالية منه التى تكفى حاجة الزراعة ويضاف اليها المياه الجوفية . اما نوع السطح فهو أصلح مايكون للعمليات الزراعية لانها مكونة من سهول رسوبية في الاجزاء الجنوبية والوسطى واحواض واودية وسهول فى الاقسام الشمالية . علاوةً على هذه الامكانيات الطبيعية الجغرافية هناك الامكانيات الجيولوجية المتمثلة بالرواسب المعدنية التى لم يكشف منها الا البترول الذى يعتبر العمود الفقرى الاقتصادى لهذا الاقليم لانه يمثل الممون الاقتصادى لجميع المشاريع الصناعية والعمرانية والثقافية وهذا أمر له اهميته الكبرى لانه من الممكن استخدام هذا المورد في تطوير المشاريع الاخرى وخاصة المشاريع الانتاجية التى يأتى فى مقدمتها النشاط الزراعي الذى يجب ان توجه اليه العناية قبل غيره من المشاريع . فاذا ما أخذت الحكومة الوطنية الحالية بسياسة تخطيط المشاريع الزراعية على أساس سياسة زراعية بناءة ثابتة لا تتغير بتغير الافراد فان ذلك سيؤدي حتما الى رفع المستوى الاقتصادى القومى وبالتالى رفع المستوى المعاشى للافراد واخيراً يزداد عدد السكان وبذلك يمكن الحصول على اليد العاملة الزراعية المنتجة . التى

يمكن استخدامها فى استغلال أكبر .

الصنف الثالث « أقطار متطورة ومزدحمة بالسكان » :

تشتمل هذه المجموعة على اقطار متعددة من العالم ومن خير الأمثلة على ذلك اليابان وايطاليا وسويسرا .

اليـــابان :

ففى حالة اليابان نجد ان عـدد سـكانها يبلغ حالياً **٩٦** مليون نسمة يسكنون فى مساحة قدرها **١٩٢٫٠٠٠** ميلاً مربعاً أو ما يعادل (**٧٠٠**) شخصاً بالميل المربع الواحد ونتيجة لهذه الـكثافة الشديدة نلاحظ ان ما يصيب الشخص الواحد من الاراضى الزراعية هو أقل من (**١٥ر٠**) من الفدان . يتبين من هذه الارقام ان اليابان تعتبر من الاقطار المـكتضة في السكان بين اقطار الشرقى الاقصى وبما انها اكثف الجزر الآسيوية فهى تشبه في كثير من الوجوه الجزر البريطانية خاصة وان كلا الاقليمين صناعيين ، فهما يصدران أنواعا مختلفة من البضائع الصناعية التي تصدر الى البـلاد التى تستورد منها المواد الغذائية والمواد الخام الاخـرى لمصانعهمـا . لقد نهضت اليابان صناعياً منذ **١٨٦٨** عندما بدأ فيها هذا النشاط الاقتصـــادى واخذت بتطوير الحركة الصناعية والزراعية على غرار الاســاليب العلمية والفنية المتبعة فى اقطار اوربا الغربية ، واليابان بالرغم من تقدمها هذا فان امكانياتها أقل من التى تملـكها بريطانيا فالاخـيرة لهـا السبق فى الميدان الصناعى بحوالى القرن هذا الى جانب ان ما تملـكه من حديد وفحم هو أقل بكثير مما هو فى الجزر البريطانية .

لقد ازداد عدد سكان اليابان ما بين **١٨٦٨** و **١٩٦٣** من **٣٥** الى **٩٦** مليون نسمة اى أكثر من مرتين ونصف وتقدر نسبة الزيادة السنوية حسب الاحصاءآت بحوالى المليون . ويقابل هذا العدد الـكبير من السكان مساحة محدودة من الاراضى الزراعية التى لا تزيد عن (**١٢ر٥**) مليون فداناً وثلاثة ملايين فداناً من المراعى الدائمـة لتربية الماشية . يزرع من هـذه الاراضي الزراعية حوالي **٧ر٥** مليـون فدانا بغلة الرز التي تستغل على

احدث الطرق العلمية والفنية الامر الذى ينتج عنه ان غلة الفدان الواحد فى اليابان تزيد على جميع الاقطار الآسيوية وعليه نجد ان غلة الفدان تكفى لاعالة ستة اشخاص .

ان التوازن بين مساحة الاراضى المزروعة الواقعة ضمن حدودها الجغرافية وهذا العدد الكبير من السكان قد ادى الى اتباع الزراعة الكثيفة لانتاج أكبر كمية من المواد الغذائية ولكن رغم كل هذا نجد ان اليابان ستورد كميات اضافية من المواد الغذائية تقدر كميتها بحوالى ⅕ ما تستهلكه سنوياً . فى الواقع ان عدم التوازن بين امكانياتها الاقتصادية وعدد السكان المتزايد يقلق المسؤولين فيها كثيراً وعليه تعتبر هذه الظاهرة من امهات المشاكل التى تواجها اليابان فى الوقت الحاضر . ان الحل الوحيد لتخفيف الضغط السكانى فيها هو توسيع امكانياتها الصناعية حتى تتمكن من تصدير البضائع المصنوعة التى تمكنها من تغطية قيمة ما تستورده من المواد الغذائية المتزايدة . ان هذا هو الوضع الذى يفكر فيه اليابانيون ولكن الظروف المحيطة بها حالياً لم تساعدها على تطبيق هذه السياسة الاقتصادية فمثلاً يلاحظ ان اتحاد العمال فيها ازداد نظاماً مما اعطاه قوةً هذا الى جانب أن الصين التى كانت سوقها الرئيسى اصبحت سوقاً ثانوياً لها بعد قيام النظام الشيوعي فيها ، وأخيرا نقول ان الحل الوحيد لليابان هو اتباع سياسة توسيع الصناعة فيها الى أبعد مجال ممكن وكذلك تطبيق قانون تحديد النسل فاذا ما تم تطبيق ذلك فان النتيجة ستكون مرضية وسيحصل حتماً توازن بين هذين المصدرين الاقتصادي والبشري .

اما فى حالة ايطاليا فهى تعانى نفس ما تعانيه اليابان . يقدر سكانها بحوالى (٥٠) مليوناًيسكنون فى مساحة تبلغ ١١٦ر٠٠٠ ميلاً مربعاً ، ولما كانت الاراضى الزراعية فيها محدودة فقد قدر ما يصيب الفرد منها بحوالى ٨١ر٠ من الفدان وهذه ملكية صغيرة بالرغم من انها أكبر مما رأيناه فى اليابان التى تقدر بحوالى ١٥ر٠ واما الزيادة السريعة فى نمو السكان فهو ينذر بعدم ثبات مستواها الاقتصادى ويزيد من القلق الاجتماعى والسياسى . ومما يجدر ذكره أن هناك اختلافاً كبيراً فى المستوى الاقتصادى ما بين

جنوب ايطاليا وشمالها فالاولى منطقة زراعية لم تتطور فيها الصناعة بينما الثانية صناعية زاد فيها هذا النشاط الاقتصادى بعد الحرب العالمية الاولى ومما ازاد فى تقدم هذا المظهر حركة التسلح تحت حكم مايسولونى بينما القسم الجنوبى ظل يعانى ضعفاً فى تحسن احواله الزراعية مما عرضه الى ضغط ديموغرافياً حتى انتشرت البطالة التى قدرت بحوالى مليونين شخصاً . بعد ذلك اتجهت سياسة ايطاليا الى التخفيف من هذا الضغط وحل هـذه الازمة عن طريق الهجرة خارج ايطاليا الى ليبيا والارجنتين والبرازيل وفنزويلا واستراليا وكندا وقد بدأ تيار العناصر المهاجرة منذ نهاية الحرب العالمية الاولى اما الحل الثانى الذى وضع لحـل هذه القضية هو مشروع مارشل (مشروع الاثنى عشر سنة A twelve - year plan) الذى يتضمن تطوير المواصلات ووسائل النقل والاصلاح الزراعى بما فيه مشاريع الرى وتوسيع الصناعات الضرورية حتى يمكن امتصاص هـذه الاعداد الكبيرة المفتقرة الى العمل والكسب الذى يضمن لها العيش . ان نجاح ايطاليا فى حلّ مشكلة عدم التوازن بين مصادرها الاقتصادية والبشرية يتوقف على مدى ما يتحقق من تطبيق مشروع مارشل من ناحية وعلى تلك الهجرة من ناحية أخرى .

اما فى حالة سويسرا فالوضع يكاد يكون متشابهاً من حيث الامكانيات الاقتصادية مع اختلاف ظاهر فى كثافة السكان . تملك سويسرا اراضى زراعية محدودة لا يزيد معدل ما يصيب الفرد ¼ فدان هذا الى جانب ان المصادر الطبيعية الاخرى محدودة ايضاً ما عدا المناظر الجميلة التى تجتذب المصطافين ووجود القوة المحركة الهيدولوجية . لقد مكنها هذا المصدر من اقامة الصناعات المختلفة التى من اهمها صناعة الهندسة الثقيلة . وتختلف سويسرا عن ايطاليا واليابان بان مستوى المعيشة فيها عالى بالرغم من انها تستورد حوالى ⅓ المواد الغذائية من الخارج وهذا بالطبع ناتج عن تشجيع ما لديها من صناعات اولاً والسيطرة على زيادة السكان الا بنسبة محدودة لذلك لم تكن فيها مشكلة ديموغرافية بالمعنى المعروف في ايطاليا واليابان فسكانها لا يتجاوزون ٥ر٦ مليوناً وهذا كما قلت ناتج عن تطبيق نظام تحديد النسل

بدليل ان عدد السكان كان ٤٫٩ فى عام **١٩٥٢** بينما الان ٥٫٦ مليوناً واخيراً نستخلص من ظروفها المعاشية والاجتماعية والسياسية أن هناك توازنا بين مصادرها الاقتصادية والبشرية الامر الذى لا يعرضها الى ضغط سكانى كما هى الحال فى ايطاليا أو اليابان .

الصنف الرابع « أقطار متطورة ومتخلخلة السكان » :

يتضمن هذا الصنف الولايات المتحدة الامريكية وكندا والاتحاد السوفيتى .

الولايات المتحدة :

تشغل الولايات المتحدة مساحة كبيرة من الارض تبلغ **(٣)** ملايين ميلاً مربعاً ويسكن على هذه التربة حسب تعداد **١٩٦٢** حوالى **١٨٧** مليون نسمة وعليه تقدر الكثافة بحوالى **(٦٢)** نسمة فى الميل المربع الواحد . اما فى حالة الاراضى الزراعية فان معدل ما يصيب الفرد فيها يقدر بحوالى **(٢٫٩)** فداناً . من هذه الاحصائيات يمكن ان ندرك انه لا يوجد ضغط ديموغرافي وذلك لسعة الاراضى الزراعية التى تمثل اعظم مورد طبيعى ، اما بالنسبة للحالة فى المستقبل فالمعروف ان النسبة السنوية لزيادة السكان سوف لا تزيد عن ٢٫٦ مليوناً واذا ما اضيفت الهجرة كانت ٢٫٨ مليوناً وبناءاً عليه لا يتوقع أي ضغط من جانب السكان في ظل مستواها المعاشي الحالى فى خلال الجيل القادم وذلك لوجود الامكانيات الاقتصادية الكافية التى فى مقدمتها المصادر الزراعية من ارض وموارد مائية وتربة خصبة هذا الى جانب مصادرها المعدنية التى من أهم مظاهرها الصناعة . لقد ورد فى تقرير (السكان والمصادر فى العالم)[1] . ان الولايات المتحدة تستهلك حوالي ٥٠٪ مما يستهلكه العالم من المعادن التي تدخل في الصناعات بينما دول أوربا الغربية تستهلك ٤٥٪ وان بقية اقطار العالم الاخرى تستهلك ٥٪ . ان هذه الكمية التى تستهلكها الولايات المتحدة تقدر بحوالى مائة نوع من انواع المعادن ثلثها يستخرج من مناجمها بينما الثلث الآخر من

"World Population and Resources", pp. 58, 1956. by: p. E. P.

مناجمها ومن الاقطار الخارجية اما الثلث الباقى فهو يستورد من خـــارج القطر . ومن التقرير المذكور نجد ان حاجة الولايات المتحدة ستصل الى ضعف ما كانت تستهلكه سابقاً نتيجة نمو سكانها المضطرد ولكن رغم هـذا الاستهلاك سيرتفع الانتاج كما جاء فى التقرير المذكور حتى يصل فى عام ١٩٧٥ الى المستوى الذي يتوازن أو يزيد عن الاستهلاك الداخلي وذلك بسبب وجود هذه الامكانيات الزراعية والمعدنية ومصادر الطاقة الحركية التى على رأسهـا الفحـم والبترول والغـاز الطبيعى والقوة الهيدرولوجية والطاقة الذرية .

كنـــدا :

تدخل كندا فى هذه المجموعة وتقدر نفوسها بحوالى ١٨ر٦ مليوناً ويسكنون على مساحة تبلغ ٣ر٨ مليون ميل مربع وعليه يكون معدل الكثافة بالميل المربع الواحد (٥) نسمات ، اما معدل الملكية الزراعية للفرد الواحد فتصل الى (٦ر٥) فداناً . اذا ما قورنت هذه الـكثافة وتلك الملكية الفردية للاراضى الزراعية بالولايات المتحدة والبرازيل وانكلترا[1] فاننا نلاحظ ان كندا متأخرة فى استغلال هذه المصادر استغلالاً كاملاً وهذا يفسر لنا نقص اليد العاملة عندها كما يوضح لنا ايضاً ان كندا بعيدة كل البعد عن الضغط الديموغرافى الذى تتعرض له كثير من اقطار العالم والدليل على ذلك انها لم تتعرض فى خلال الحرب العالمية الماضية الى اى صعوبة اقتصادية أو غذائية لزيادة السكان التى بلغت نسبتها السنوية ٢ر٥٪ هذا بالاضافة الى الزيادة الناجمة عن الهجرة التى قدرت بحوالى ٠ر٥٪ . ونتيجـة لهـذه الزيادة المستمرة فان عدد السكان يقدر بحوالى ٢٥ مليوناً فى عام ١٩٨٠ وان هذا العدد سيساعد على استغلال الموارد الطبيعية الامر الذى لا يعرضها الى أى نوع من أنواع الضغط السكانى والدليل على ذلك ان كندا متجهة فى الايام الاخيرة الى تقليل كمية المستوردات ولاسيما المواد الغذائية ، ويضاف الى ذلك أن لديها من المواد المعدنية الخام ما يجعلهـا الاولى فى انتاجـه

---

(١) ان كثافة الولايات المتحدة والبرازيل وانكلترا على التوالي كما يأتي : ٦٢ ، ١٧ ، ٥٤٠ .

وتصديره ولاسيما الانواع التى تقوم عليها صناعة النيكل والبلاتين والذهب والزنك والرصاص والنحاس هذا بالاضافة الى الموارد الخشبية من غاباتها الواسعة ، اما القوى المحركة فاهمها البترول والقوى الهيدرولوجية امـا الحديد الخام فهو مصدر اقتصادى كبير . اما الصناعات الحالية فيقدر عددها أكثر من ١٫٥٠٠ مصنع كبير ومتوسط ، اما الامكانيات الزراعية فهو أبرز مظهر اقتصادى حيث تملك اراضى زراعية لم يستغل منها الا قسماً صغيراً اما المستغل فان مستوى غلة الفدان فيها عالية واخيراً ندرك من كل هـذه الدراسة ان المصادر الطبيعية الـكبيرة والسياسة الزراعية والتطوير الصناعى ونظام الحكم المستقر الساهر على مصـلحة الشعب سـوف تـكون الاسس القويمة الراسخة التي تحول دون وقوع كندا تحت خطر ضغط سكاني مهما ارتفعت نسبة الزيادة الطبيعية للسكان لان المصدر البشرى هنا سيكون عاملاً انتاجيا يؤدي الى تفجير الطاقات الطبيعية واستغلالها .

الاتحاد السوفيتي :

ان الاتحاد السوفيتى هـو الاقليم الثالث فى هذه المجموعة التى تشكو نقصاً فى المصدر البشرى بالنسبة لمصادر الثروة الطبيعية . يبلغ عدد السكان (٢٤٠) مليون نسمة يسكنون فى مساحـة لا تزيـد عن ٨٫٦ مليون ميلاً مربعاً أو ما يعادل (٢٨) نسمة بالميل المربع الواحد اما معدل ما يصيب الفرد الواحد من الاراضى الزراعية فيقدر بحـوالى ٣٫٧ فـداناً . من هـذه الاحصائيات نلاحظ ان امكانيات هذا القطر الزراعية كبيرة ، فلديها من الاراضى الزراعية حوالى (٥٠٠) مليون فداناً بحيث يصيب الفرد الواحد أكثر مما هى الحال فى الولايات المتحدة . نظراً لهذه الامكانيات فقد أصبح من الممكن توسيع نطاقها الى ضعف ما هى عليه الان . اما المصادر المعدنية والقوى المحركة فهى مورد حديث الاستغلال وخاصة فى سبريا وعليه نجد السياسة الاقتصادية فى روسيا تتضمن توسيع نطـاق الصناعة الثقيلة التى بدأت فى تنفيذها ولـكن يجب الا يغيب عن البال ان نقص اليد العاملة التي تشكو منها روسيا لها أثر في تحديد الانتاج لذلك بات على روسيا تشجيع زيادة عدد السكان لان التطوير الاقتصادي مقرون بما يتوفر من هذا المصدر

البشرى . ان تعمير المناطق الجديدة النائية فى سبريا سوف يبقى محدوداً حتى تتوفر اليد العاملة التى ينوى قادة السوفيت استغلالها وتعميرها وفق سياستهم الاقتصادية التوسعية ، وبناءاً على هذا نجد ان روسيا لا تتخوف من الضغط الديموغرافى لان المصدر البشرى والمصادر الطبيعية فى مستوى غير متكافىء وبمعنى آخر انها تحتاج الى المزيد من الاول لاجل استغلال الثانى .

الصنف الخامس « أقطار متطورة وسكانها في تدهور » :

يتضمن هذا الصنف آيرلنده وفرنسا ، ففي آيرلنده نجد عدد سكانها لا يتجاوز (٣ر٣) ميلون نسمة يتوزعون فى جزيرة لا تزيد مساحتها عن ٢٦ر٦٠٠ ميلاً مربعاً وبمعنى آخر ان معدل الكثافة فيها يبلغ (١٣٠) نسمة بالميل المربع الواحد ، واما معدل ما يصيب الفرد من الاراضي الزراعية لا يتجاوز الفدان الواحد • ان آيرلنده خير نموذج لاظهار العلاقة بين المصادر الطبيعية فى الاقاليم وتدهور المصدر البشرى فيها . لقد تدهور عدد سكانها فى غضون القرن الماضى حتى هبط عدد السكان من ٥ر٦ مليون فى عام ١٨٤٥ الى (٥) ملايين فى عام ١٨٥٥ وضل هذا النقص مستمراً حتى وصل عددهم الى ٥ر٢ فى بداية القرن العشرين . وبمقارنة آيرلنده باقطار أوربا فى نفس الفترة (١٨٤١ - ١٩٥١) التى تعرضت فيها الى التدهور كانت نفوس أوربا قد تضاعفت ولنا خير مثال على ذلك روسيا . ان هذا الهبوط يعزى الى الزواج المتأخر وان قسماً منهم كان يعرض عن الزواج وكذلك حب الفلاحين ان تبقى العائلة لديهم صغيرة لا تزيد عن طفل واحد لاجل الا تتفتت ملكيتها اذا انجب عدة اولاد ، هذا بالاضافة الى الهجرة التي تعرضت اليها الجزيرة وخاصة الفترات التي تعرض فيها الاقليم الى ازمات اقتصادية حيث هاجر معظمهم الى الولايات المتحدة وانكلترا حتى قدرت الاعداد الموجودة خارج الجزيرة بحوالي (١٥) مليونا • ان هذه الظاهرة توضح لنا مدى العلاقة بين المصدر البشرى والموارد الاقتصادية وعدم التوازن بينهما الامر الذي أدى الى ظاهرة الهجرة الى حيث الكسب والحصول على مقومات الحياة المعيشية الضرورية .

اما في فرنسا فقد لوحظ ان عدد السكان أخذ طريقه نحو الانكماش وقد بدأت هذه الظاهرة منذ عام ١٨٠٠ وقد استمر هذا المصدر البشري في التدهور رغم ما اتخذته فرنسا من تدابير لتشجيع الناس على الاكثار من الاطفال وفعلاً وضعت القوانين للعمل على ذلك منذ عام ١٩٢٣ وكانت تطبق بطرق مختلفة كالمنح المالية التى تمنح للعوائل التى تنجب اطفالاً أكثر ولكن بالرغم مما بذلته الحكومة نجد ان الشعب الفرنسى لم يلتفت الى ما تنادى به الحكومة والسبب لم يكن اقتصادياً كما هى الحال فى آيرلنده لان فرنسا تملك مصادر طبيعية غنية أكانت فى اراضيها الزراعية الواسعة أم فى تربتها أو مواردها المائية أو طبيعة مناخ الاقليم أم بما لديها من المواد المعدنية أو الصناعات أو القوى المحركة التى تحول دون تعرضها الى ضغطاً ديموغرافياً ، ولكن السبب الحقيقى كما يبدو هو تحديد النسل من جهة والتفسخ الاخلاقى من جهة أخرى الامر الذى ادى الى الاحجام عن الزواج وعدم الرغبة فيه .

نستخلص من هذه الامثلة جميعاً أن للبيئة الطبيعية وما يكمن فيها من امكانيات اقتصادية أثر واضح على درجة كثافة السكان وتوزيعهم لانها تقرر درجة جذب السكان الى الاقليم كما انها تحدد مقدار نمو المصدر البشرى ونشاطه . على هذا الاساس نجد ان تفاعل الانسان مع بيئته قد اوجد نشاطاً اقتصادياً من أهم مظاهره فى العصر الحديث الحركة التجارية المتمثلة فى السوق لان السوق ليست الا صورة لهذه النشاطات الاقتصادية ، ومن هنا نجد ان المناطق الصناعية والزراعية والفنية هي البيئات التي يزدحم السكان فيها وتتسع مجالات الاسواق فوق ربوعها كما هى الحال فى مواطن الزراعات الكثيفة فى آسيا الموسمية وشبه الموسمية وفى مناطق الصناعات العظمى فى اقطار شمال غربى اوربا وفى النطاق الشرقى من الولايات المتحدة ، وعلى النقيض من ذلك البلاد المتخلخلة الكثافة التى تضعف فيها قوة الجذب وبالتالى تظهر درجة امكانياتها فى حركة السوق المحدودة كما هى الحال فى كثير من اجزاء العالم التى سبق وان اوردنا منها بعض الامثلة في سياق هذا البحث .

مصادر البحث

(1) World Population and Resources. a report by P E P. London, 1956.

(2) Soils and Soil conditions in Iraq. Dr p. Buringh, 1960.

(3) Endustrial and commercial Geogrophy, J. Russeel Smith and M. Ogden phillips., 1947.

(4) Ecological crop geography: K. H. W. Klages 1958.

٥ ـ جغرافية المدن ـ الدكتور جمال حمدان ـ جامعة القاهرة ١٩٦١ ٠



مخطوطة شعر الاخرس

تحقيق : الدكتور يوسف عزالدين

هذه (مخطوطة شعر الاخرس) التى ذكرتها فى كتابى (الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر) كنت استعرتها من المرحوم يعقوب سركيس وقد فوضني بنقلها هي وما اشاء من مكتبته الخاصة ولما نقلتها سميتها بهذا الاسم ـ لافرقها من غيرها من كراريس البحث والدراسة ـ وقد ظن من نقلها عنى ان هذا هو اسمها الحقيقى وسماها كما سميتها .

وكان لابد من تحقيق ما ورد فيها من شعر اذ يجوز انها ليست من شعر الاخرس رغم وجود النص على انها من شعره في أول هذه المخطوطة وقد علق المرحوم يعقوب سركيس عليها التعليق التالى (اظن هذه القصائد الواردة هنا لم تنشر فى ديوانه المطبوع فى استانبول سنة ١٣٠٤هـ) ولما تبينت الامر وجدتها لم تدرج في الديوان المطبوع . ثم علق بعد ذلك تعليقا مضمونه ان الدكتور صفاء خلوصي سيتحدث عن الشاعر من محطة لندن .

وبمقارنة هذه المخطوطة ، مع غيرها من المخطوطات التي تيسرت لدى ، تبين لي انها من شعره ، اذ وردت أكثر صفحات هذه المخطوطة في أكثر من مكان ، اشرت اليه في الحاشية .

ولم تؤرخ المخطوطة ولم يذكر اسم ناسخها لذلك فقد كتب مفهرس مكتبة جامعة الحكمة ـ التى انتقلت اليها كتب صاحب المخطوطة ـ انها (نسخة بخط معتاد مكتوبة فى اوائل القرن الرابع عشر للهجرة)[1] .

لان المخطوطة ناقصة من الاخير فقد من القصيدة التي جاوزت الثلاثين بيتاً في الاصل احد عشر بيتاً منها .

---

(١) هو الاستاذ كوركيس عواد .

وما كنت اريد نشرها منفردة بعد ان حصلت على عدد كبير من قصائد الاخرس وكنت اريد ضمها الى كتابى الذى اعده (الاخرس ـ حياته ـ ادبه ـ ما لم ينشر من شعره) لو لا ان بعض طفيلى الادب حسبوا ان لا وجود لشعر الاخرس الا في احقاقهم الضنينة فاضطررت لنشرها لسد افواه الافتراء .

لم يكن الاخرس يعنى كثيرا بشعره فى ابان حياته وهو من الشعراء المكثرين ، شأن شعراء المدح الذين يعتمدون على شعرهم على ما تجود به أكف الممدوحين من نوال ، ولم يكن الاخرس من اولئك الذين يكترثون بجمع شعرهم وانما كان ينظم القصيدة ويتركها دون ان يلم شتات شعره فقد قال عنه احمد عزة الفاروقى الشاعر الذى جمع ديوانه (كان من عادته واخلاقه لا يثبت شعره فى ديوان ولا يقيد شوارده بمكان عند رواية أو انسان بل انما يرتجل القصيد من دون روية ولا تسويد ويقدمه بلا استنساخ لمن يريد) وشاعر هذا شأنه لا بد ان يضيع الكثير من شعره . لو لا ان قيض له معجب لما طبع ديوانه شأن كثير من شعراء هذه الفترة وقد كان هذا المعجب هو الشاعر أحمد عزة الفاروقي الذي كان يحضر مجالس عمه عبدالباقي العمري أحد أقطاب الشعر والسياسة في عصره ، حيث كان الشعراء يتناشدون الشعر ويتقارضونه في هذه المجالس ، وكان كلما أنشد الاخرس قصيدة أو تلا مقطوعة يسارع الفاروقي الى ضمها الى ما جمع من شعر الاخرس فقد قال (وكلما وجدت مقطوعة من مقاطعه ، وقصيدة من تصريعه وترصيعه اثبتها عندي بمكان حريز واحفظها في سقط عزيز[٢]) ولكن مشاغل الحياة كانت تحول دون استمراره في العمل فقد تركه لما سافر الى الاستانة ولم يقم بعده من يقوم بعمله ولما عاد الى بغداد حاول جمع ما فاته من شعره لكنه لم يقدر على جمع كل شعره وما عثرت عليه من شعره فى هذه المجموعة وما عندى من المجموعات الاخرى مصداق على هذا الرأى .

وما زال عندى حوالى العشرين قصيدة ومقطوعة ونماذج من نثره

---

(٢) نسخة الديوان الخطية وعندي نسخة منها .

مما لم ينشر حتى الآن تكشف للباحث جوانب أخرى من حياة الاخرس المجهولة .

وهذه المخطوطة تحوي على ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة وقد سقط جزء منها فالقصيدة الثامنة ناقصة وقد اكملتها من مخطوطات أخرى ثم ان أول القصيدة التاسعة لم أقدر ان احصل عليه حتى الآن ، ولم أجد للقصيدة نسخة أخرى بين ما عندي من المخطوطات وقد قابلت المخطوطة على مجموعتين مختلفتين الاولى وجدتها فى بغداد والثانية في دمشق ووجدت بعض القصائد فى البصرة والموصل وقد رمزت الى نسخة بغداد بحرف (ب) والى نسخة دمشق بحرف (ش) .

وقد وجدت بعض قصائد لدى الاستاذ علي الخاقانى اعطانى اياها عن طيبة خاطر قابلت عليها وأسميتها نسخة الخاقاني ورمزت لها بحرف (خ) فشكرا له والف شكر .

والملاحظ ان الاخرس مدح في هذه المخطوطة ابراهيم البصري وبندر السعدون وفهد السعدون ومنيب باشا متصرف البصرة وعبدالرحمن نقيب البصرة وعبدالقادر رئيس كتابها وعبدالله الزهير وسليمان الزهير وعبدالرحمن شريف وأحمد نور وهجا عبدالله الفداغ ومفتي البصرة . وقد ورد ذكر أكثر هذه الاسماء في ديوانه المطبوع .

وفي هـذه المجموعة مقطوعة يؤرخ فيهـا صدارة مدحة باشا الوالي المصلح ولابد ان الاخرس قد مدحه بأكثر من قصيدة ويبدو ان القصائد قد اتلفت وحذف اسمه من القصائد التي وردت في الديوان لان زمن طبع الديوان كان زمن الغضب على المصلح الـكبير .

ولست اريد ان اتحدث عن أدب الاخرس وحياته لانى مشغول باعداد كتاب عن هذا الشاعر العربي الذي شغل أبناء عصـره من الادباء واعتبر شاعر العراق على الاطلاق[1] .

---

(١) قال عنه نعمان خيرالدين الآلوسي في حور عيون انه شاعر العراق ومخرس البلغاء وفصيح الشعراء لاحظ : (الشعر العراقي في القرن التاسع) ص ٨٢ .

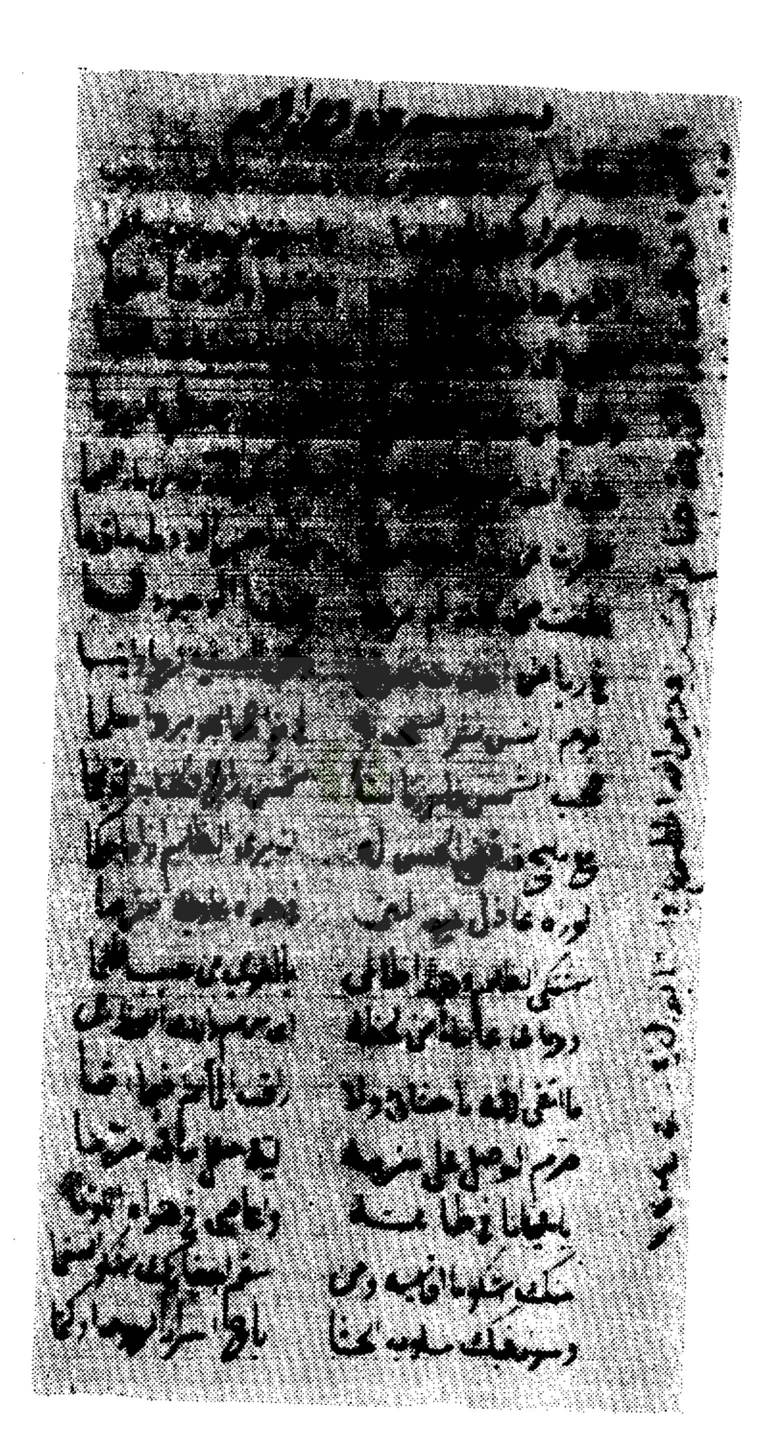
وازف هـذه المخطوطة لعشاق أدب الاخرس وطلاب الادب الذين يعرفون معنى الادب والبحث العلمى الدقيق وارجو ان اساعد فى جمع شعر الاخرس لطبعه مرة فى ضمن كتاب واحد .

جنبنا الله التبجح بالضلال وابعد عنا الادعاء الكاذب وسدد خطانا نحو حب الخير وابعد عن قلوبنا الغل والحقد وارشـدنا الى طريق الاخـلاق الفاضلة وجنبنا الزلل ، انه سميع مجيب .

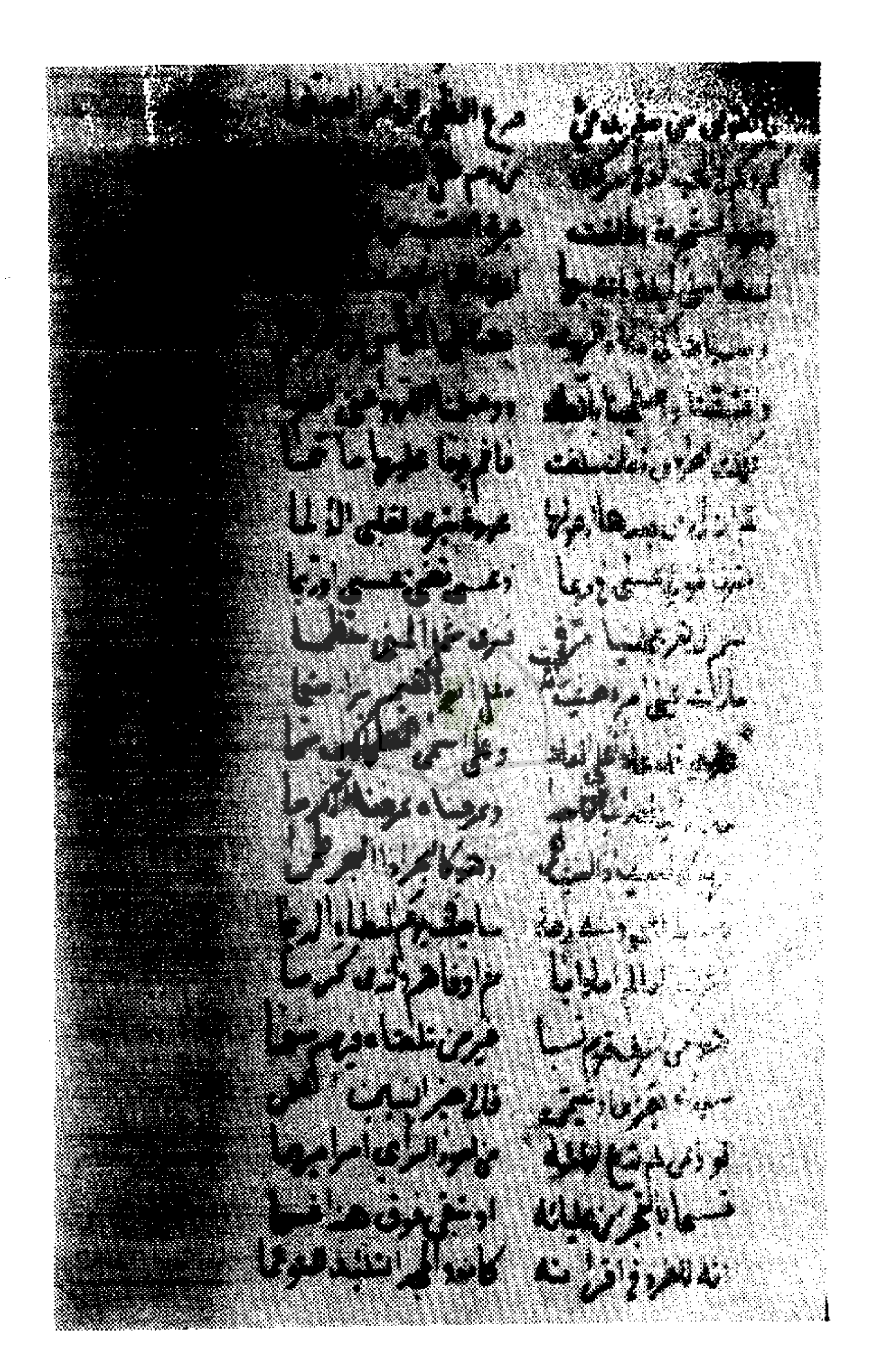
ومن الله ارجو السداد والتوفيق فهو خير معين وخير ناصر .

يوسف عزالدين





أول صفحة من مخطوطة يعقوب سركيس



الصفحة الثانية من مخطوطة يعقوب سركيس

نهاية قصيدة لم تتم من مخطوطة سركيس وقد رقمت بالرقم ٢١

ارجوزة ضاع أولها ورقمت بالرقم ٢٢

آخر صفحة من مخطوطة يعقوب سركيس

صفحة من مخطوطة دمشق وقد وردت هذه القصيدة ناقصة في مخطوطة يعقوب سركيس

تتمة قصيدة مخطوطة دمشق



بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

لعبد الغفار الشهير بالاخرس في مدح السيد ابراهيم افندي الرفاعي البصري :

هاتها حمراء تحكي العندما ... واسقينها من يدىّ عذب اللمى
وانتهزها فرصة قد امكنت ... فاغتنمها واتخذها مغنما
وانتهبها لذة ان تنقضي ... يا نديمي اعقبتك الندما
وأعدْ لي من شبابي ما مضى ... بعجوز لم تلاق الهرما
حبذا اخذ عروس زوجت ... وهي بكر الدّنِ من ماء السما
اخبرت عن نار كسرى وروت ... من اعاصير الألَى ما قدما
لطفت حتى كأن لم نرها ... فتخيلنا الوجودَ العدما
في رياض اخذت زخرفها ... وبكى الغيث لها وابتسما
يوم أُنسٍ نشر السحْب به ... في نواحي الجو بردا معلما
حجب الشمس فابرزنا[1] لنا ... شمسَ راح والحباب الانجما
مع مليح قد قضى الحسن له ... ان يرى الظلم اذا ما حكما
لو رآه عاذل يعذلني ... في هواه عاد فيه مغرما
اشتكى الظلم وهذا ظالمي ... يا لقومي من حبيب ظلما
ورماني عامدا من لحظه ... أي سهم ذلك اللحظ رمى
ما اتقى الله باحشائي ولا ... راقب المأثم فيما أثما
حرّم الوصل على مغرمه ... ليته حلل ما قد حرّما
يا مليحاً انا في طاعته ... واعاصي في هواه اللوّما
منك اشكو ما اقاسيه ومن ... سقم اجفانك اشكو السقما

(١) في نسخة ش (فأبرزت) .

وسواء فيك مسلوب الحشا … باح اسرار الهوى أو كتما
يا لقومي من مشير بدمى … صرع الظبي الاغن الضيغما
كم وكم في الحب لا في معرك … من دم طل بالحاظ الدمى[٢]
وفنون لشجون اطلقت … عبرة الصب من الوجد دما
لست انسى[٣] ليلة باتت بها … اعين الواشين عنا نوّما
وسهرناها كما شاء الهوى … نتعاطى الكأس من خمر اللمى
واغتبقنا واصطبحنا[٤] بالطلا … ووصلنا اللهو حتى انصرما
تلك اعراس زمان سلفت … فأقم يوما عليها مأتما
لم ازل من بعدها ارجو لها … عودة تبرى بقلبي الالما
مقرنا قولي (عسى) في (ربما) … وعسى تغني (عسى) أو (ربما)
ينعم الدهر علينا مرة … فنرى شمل المنى منتظما
ما رأت عيني امرءً حيث رأت … مثل (ابراهيم) برّا منعما
علوّي قد علا اعلى العلا … وعلى اسمى السماكين سما
مذ رأيناه رأينا ماجدا … وعرفناه عرفنا الكرما
فهو كالغيث اذا الغيث همى … وهو كالبحر اذا البحر طمى
باسط للجود منه راحة … ساجلت يوم العطاء الديما
اشرف العالم اما وابا … ثم اوفاهم واندى كرما
هو من اشرف قوم نسبا … خير من تلقاه فيهم منعما
سيد ان يعتزى أو ينتمي … فالى خير النبيين انتمى
لوذعي لم تدع آراؤه[٥] … من أمور الرأى أمرا مبهما
قسما بالفخر[٦] في عليائه … او تبغي فوق هذا قسما
انه لَلْفرد في اقرانه … كان والمجد تليد التوئما[٧]

---

(٢) في الاصل (الدما) .
(٣) في الاصل (اسنى) .
(٤) في الاصل (اصطحبنا) .
(٥) في الاصل (آرائه) .
(٦) في الاصل (بالفجر من) وفي ش (بالفخر من) .
(٧) في الاصل (انه لا الفرد في اقرانه ... التومئا) .

سالك ما سلكت اباؤه[٨] بمعاليه السبيل الأقوما
نشرت ايمانه ما ملكت لنظام الحمد حتى نظما
انا في مدحي له خادمه انما يخدم علاه خدما[٩]
وقليل ولو اني ناظم لعلاه في القريض الانجما
شيم ممدوحة[١٠] في ذاته فتأمل فيه تلك الشيما
فتراه للندى حينئذ مسبغا في كل يوم نعما
هو ترياق من الدهر الذى كان في اللاواء صلا صيلما
فاذا ما حاربت ايامه جادت الايام القى السلما[١١]
نتقي ما نتقي من بأسه واذا قدم خطب احجما
لا بلغت اربا ان لم أكن ناقلا الا اليه قدما
انما (البصرة) في ايامه ابصرت اعينها بعد العمى
جعل الله لها في ظله خير ظل منه بل خير حمى
مكرما من امة مسترفدا راحما من جاءه مسترحما
فجزاء الله عنها خير ما جوزى المنعم عما انعما

---

(٨) في الاصل (آبائه) ٠
(٩) كذا في الاصل وفي نسخة ش (ان من يخدم علاه خدما) ٠
(١٠) في الاصل (ممدحة) ٠
(١١) في الاصل (انفى السلما) ٠

- ٢ -

وقال يرثي بندر السعدون شيخ المنتفك :

بكت بدم من بعد عيسى وبندر عيون ذوى الحاجات من كل معشر
واهرقت الدمع[١٣] الغزير[١٤] عليهما لواعج حزن في الجوانح مضمر
فلم تبق منا[١٥] زفرة ما تأججت ولا عبرة من مقلة لم تحدر
أقول لركب راح يرتاد منزلا لربع على نهر المجرة مقفر
سرى ضاربا في الارض ما بين منجد يخد اخاديد الفلاة ومغور[١٦]
اقيموا على قبر ثوى فيه بندر صدور المطايا ما ثوى قبر بندر
ولاتسأموا من واكف الدمع وامزجوا من الحزن مبيض الدموع باحمر
ولا تندبوا غير المكارم والعلا لعال كما صدر القناة مشهر
بكيت فاكثرت البكاء وحق لي بكائي على وفد من العز مكثر
واني لمعذور اذا ما بكيته بأكثر من قطر الغمام واغزر
ولي عبرة لم ترق عند ادكاره كما لي فيه عبرة المتفكر
وهيهات[١٧] ان اسلوه يوما وانني خلا منه يوما خاطرى وتذكرى[١٨]
حسام صقيل المتن أُغمد في الثرى ووارى تراب الارض طلعة نير
وقد كان لم يحجب سناه بحاجب ولم تستتر اضواؤه بمستتر
فوا أسفى ان كان يغني تأسفي وما حذرى ان كان يجدى تحذرى
وكنت اراني في النوايب صابرا فاعدمني صبرى فاني تصبرى
واني لمقبول المعاذير في الاسى ومن يعتذر مثلى الى الصبر يعذر

---

(١٣) في الاصل (الدم) وفي ب (الدمع) .
(١٤) في نسخة ش (العزيز) والتصويب من نسخة ب .
(١٥) في الاصل (منها) والتصويب من نسخة ب .
(١٦) في الاصل (معفر) والتصويب من نسخة ب .
(١٧) في نسخة ب (وهيهات لا اسلوه) وقد علق الناسخ (كذا الاصل وهو كما تراه سقيم المعنى) .
(١٨) في نسخة ش كانت (تفكري) ثم شطبت وكتبت (تذكري) .

لقد ضقت ذرعا بعد فقدان باسل ... من الصيد مفتول الذراع غضنفر

وما سر نفسي بعده ما يسرها ... ولا راق ما قد راق شيء لمنظري

فيا عبراتي كل آن تحدري ... ويا نار احشائي عليه تسعري

فقد غاض بحر كلما مدّ راحة ... الى الوفد فاضت منه خمسة ابحر

فتسخر من وبل الحساب أكفه ... بامرع من وبل السحاب المسخر

الى الله خطب كل يوم يعاد لي ... برزءٍ[19] من الازراء يقطع ابهري

مصاب اصيبت فيه (آل محمد) ... برغم العوالي من مشيح وسمهري[20]

اصيبت بقوم ما اصيبت ولم تصب ... به مضرا الحمرا ولا آل حمير

أرتنا المنايا كيف تصمي سهامها ... وكيف تصول النائبات وتجتري

ولو انه يفدى فدته اماجد ... ترى الموت الا فيه اربح متجر

ولو انه يدعو الكماة لنصره ... عليها اجابته بنصر مؤزر

ولكنه اغتالته اذ ذاك غيلةً ... ولم تمتنع عنه بجند وعسكر

خذي[21] من تشائي بعد اخذك بندرا ... من الناس من قد شئته وتخيّري

فما كل مفقود تشق جيوبها ... عليه المعالي يوم مجد ومفخر

سقاك الحيا المنهل يا قبر(بندر)[22] ... وحياك مهراق الغمام الممطر

سألتك[23] والاجفان يرقّض ماؤها ... عن الضيغم العادي فهل انت مخبري؟

تدلى عقيرا فيك والحتف صارم ... لعمري متى يُعقَرْ به الليث يُعقَر

محاسن ذاك الوجه كيف تغيرت ... وكان على الايام لم يتغير

وكان يلاقي ضيفه متهللا ... بوجه صباح بالمحاسن مسفر

وقد نكرت من بعد علمي بانها ... معارف للمعروف لم تتنكر

مضى لا مضى الا الى عفو ربه ... ومسرح جنات ومورد كوثر

فهل ودعته[24] المشرفيةُ والقنا ... وناحت عليه البيض في كل محضر

---

(١٩) في الاصل (برزو) .

(٢٠) في نسخة ش و ب (من نشيج وسمهري) .

(٢١) في الاصل (خذ) .

(٢٢) في الاصل (باقر بندر) .

(٢٣) في الاصل (سلتك والاجفان ينفض مائها) وفي ب (ينفض ماؤها) .

(٢٤) في الاصل (اروعته) .

لمن ترك الخيل الجياد كأنها ... عرايس ما زُفّت لغير مظفر

صواهل يعشقن الطراد بموقف ... تبيع الردى فيه الكماة وتشترى

دعوناه للجدوى مراراً فلم يُجب ... دعاء لنا عن عزة وتكبر

وكان من الداعي بمرأى ومسمع ... وفي منظر مما يروق[٢٥] ومخبر

قريب من الحسنى مجيب لمن دعا ... زعيم باخذ الفارس المتجبر

تراه سلانا بعد هذا بغيرنا[٢٦] ... بأرغد عيش أم باكرم معشر

الم يدر ان الملك اهمل بعده ... وليس سوى (فهد) له من مدبر

وان بني العلياء ضاقت صدورها ... لفقدان ذاك السيد المتصدر

ومن نظر الايام معتبرا بها ... رآها بعين الذاهل المتحير

تحذرنا صرف المنون نزولها ... وتنذرنا في كل يوم بمنذر

وتغتر بالآمال[٢٧] لا في سرابها ... شراب ولا منها ورود لمصدر

ونبكي على الدنيا على غير طائل ... وما احد من أهلها بمعمّر

نؤمل فيها ان يدوم لنا بها ... حياة وما دامت لكسرى وقيصر

ونطمع منها بالمحال ولم تكن ... امانينا الا احاديث مفتري

وهذي هي الآجال قد قُدّرت لنا ... ولم ينل الانسان ما لم يُقَدّر

ولا بد ان يمشى بنا فوق اربع ... الى حفرة لا مشية المتبختر

ولو اننا كنا بقصر مشيّد ... وحصن حصين بالحديد مسور

وان المنايا كائنات لوقتها ... اذا قدمت للمرء لم تتأخر

ولاوزر مما قضى الله عاصم ... ولا يتقى منه بدرع ومغفر

على انها الدنيا اذا ما صفا لنا ... بها العيش شابت صفوه بمكدر

ومن ترك الدنيا رآها بعينه ... قصاصة[٢٨] ثوب أو قلامة اضفر

---

(٢٥) في نسخة ش (مما يفوق) ٠

(٢٦) في الاصل (بعزنا) ٠

(٢٧) في نسخة ش (في الآمال) ٠

(٢٨) في الاصل (فصاحة) ٠ وقد وردت القصيدة في ب قليلة التحريف والتصحيف ٠

- ٣ -

في مدح فهد المحمد السعدون أحد مشاريخ المنتفك[١] :

قدمت قدوم الغاديات[٢] السواجم فبوركت من دان الينا وقادم
طلعت طلوع البدر فى غسق الدجى على حالك من غيهب الليل فاحم
واقبلت اقبال السعادة كلها بأبلج وضّاح الأسارير باسم
تحف بك الاملاك من كل جانب ويحجبك الفرسان فى كل صارم
فلم تُبقِ ريفاً ماحلاً ما سقيته فاخصب فى خفض من العيش ناعم
متى شئت غادرت البلاد كانما سقتها[٣] الغوادى ساجماً بعد ساجم
وان قلت لم تترك مقالا لقائل ولا تختشي فى الله لومة لائم
اتيت أتي الغيث والغيث دونه اذ انهل فى اعلامها والمعالم
وجئت بابطال الرجال تقودها اماثل سيل العارض المتراكم
اذ ائتمرت يوما بامرك بادرت الى امرك العالى بدار الضراغم
تشك صدور الدارعين رماحها فهل كانت الخطي سلكا لناظم
اعاريب ما دانت لسكنى مدينة ولا دنست اخلاقها بالاعاجم
مطاعين فى الهيجا مغاوير فى الوغى وقايعهم معلومة فى الملاحم
ولم يغنموا غير الفخار غنيمة وما الفخر الا من أجلّ المقاسم
لقد زرت من لوشّك ان لا تزوره رأى عزة الموجود اضغاث حالم
تشرف قوم اكرموك برغمهم وميزت فيما بينهم بالعلايم
لئن عددوا توفيقك القوم نعمة فانت بحمد الله فوق النعايم

---

(١) كتب يعقوب سركيس التعليق التالي (هو فهد المحمد الثامر السعدون ، ولفهد ابن اسمه ثامر ولثامر ابن اسمه ضاري ، كان معاصرا لنا وقد توفي ونعته جريدة المنتفك بتاريخ) ووقع الحاشية في ٦ أيلول ١٩٥٠ ويبدو انه أراد ان يضع تاريخ وفاته فلم تواته الظروف ٠

(٢) في الاصل (الغايات) ٠

(٣) في الاصل (سقيتها) ٠

لهم بك فخر ما بقيت لهم بــه ولا فخـرَ الا منك يومـا بـدايم

وقمت بامـر لا يقـــوم بمثـله سـواك ومـا كـل عليه بقـائـم

وقد نبت فينا بعد (عيسى) و (بندر) منـاب الغوادى والليوث الضـياغم

وما هــدم الله البناء الـذى بهـم وانت لهــم بيت رفيع الدعـايم

ومـا اخلفت تلـك النجوم بصيب من المــزن مرجـو بتلك المواسـم

مقد صلت حتى خافك الحتف نفسه وما استعصم المفراق منـك بعـاصم

وبارزت حتى لم تجـد من مبارز وصادمَت حتى لم تجـد من مصادم

وارغمت اناف الخطوب فـادبرت بذلـــة مرغـوم لعـزة راغــم

فـلم نر من صـرف الزمان محاربا تنـازلـه الارزاء غـير مســالـم

اذا كنت للمظلوم في الدهر ناصرا فما صال هذا الدهر صولة ظـالـم

بسطتم يدا في بطنها نيـــل نائل وفي ظهرها طول المدى لثم لاثم

نشرتم بها أخبار (كعب) و (حاتم) وقد طويت أخبار كعب وحاتم

نزلتم على الشم الرعـاف منـــازلا غوارب أعـــلام العـلا والمناســم

رقيتم باطراف العوالى معاليـــــا من المجـد الا ترتقى بالســــلالم

مغـــانيـكم للوافــدين مغــــانم فأكرم بهاتيك المغاني المغـــانم

أرى الناس افواجا الى ضـوء ناركم حثاث المطـايا عاليـــات العزائـم

فمن معتفٍ يرجو سماحةَ سـيّد ومن ضارع يرجو تعطف راحــم

نعم هـــذه للطـــارقين بيوتـكم بيوت المعـالى والندى والمــكارم

غيـــاث للملهوف وامن لخـائف ومـأوى لمأمــون وورد لحـــائم

منازل لـم ينزل بهـا غير ماجـــد كريم السجايا من قروم أكـــارم

وقـد سدتم السادات بأسـاً ونائلاً بفضلٍ واحسانٍ ورمحٍ وصارمٍ

فلم تحفلوا[٤] من بعد هذا بقاعد كمـا لـم تبـالوا ان قعدتم بقـائم

فلا يحسبن من لم ترعـه سيوفكم اطـاعتكم عن ريبـــة حـكم حاكم

فـلـم تـك الاطـــاعـة وتفضـلا على من لـكم من مثله الف خـادم

فكان رضـاه ما رضيتم لحـــزمه وليس الذى يأبى رضـــاكم بحازم

فلـو قارعتـكم منه يومـا قـوارع لاصبح منـكم قارعـا ســـن نادم

---

(٤) في الاصل (تحلفوا) .

رأت عينه من بأسكم بعض رؤية ... فكانت لـه اذ ذاك ايقـاظ نائـم

اذا استعظمت[5] ما قد رأت واراعها ... جـلال عظيم فى الامور العظـائم

وما قد رأى الراؤون آل محمـد ... نظير لـكم فى عصرهـا المتقادم[6]

وجـوه كـما لاح الصـباح مضيئة ... وايد ولـكن فوق ايدى الغمـايم

وبيـض حـداد جردت باكفـكم ... فاغمدتموها فى الحشـا والجماجم

تنوح على القتلى غـداة صليلهـا ... نـواح حمـام لا نـواح حـمايـم

اذا ابتسمت والقـرن تدمى كلومه ... بكت بدم قان بتلك المباسـم

حميتم بهـا أرض العراق واهلـه ... وسـورتموهـا بالقنـا والصـوارم

فدتك ملـوك لا يرجى نوالها ... ولا لاح منها برق جود لشـايم

قد اجتنبت هذى الملوك التى ترى ... مطامع راجيها اجتناب المحـارم

امـا والـذى اعطـاك مـا انت اهله ... وولاك فى الدنيـا رقـاب العوالم

لو انى بك استغنيت عن سائر الورى ... فوردى اذن من بحـرى المتلاطم

فما قلت بيتاً فى سواك ولا جرى ... قلـمي يومـا بمـدح ابـن آدم[7]

فعش سـالمـا واسـلم لنا ولغيرنـا ... فما المجـد الا ما سلمت بسـالم

---

(٥) في الاصل (اذا استظمت) .

(٦) كذا بالاصل .

(٧) كذا بالاصل .

قال يمدح منيب باشا متصرف البصرة :

طرقت اسماء في جنح الظلام ... مرحباً بالغصن والبدر التمام

وتحرت فرصة تمكنها ... حذر الواشي فزارت في المقام

بت منها والهوى يجمعنا ... باعتناق والتثام والتزام

مستفيدا رشفات من فم ... لم تكن توجد الا في المنام

حبذا طيف حبيب زارني ... والضيا يعثر[1] في ذيل الظلام

بات حتى كشف الفجر الدجى ... وبدا الصبح لنا بادى اللثام

ونظرنا فرأينا كرة ... لبني سام على ابناء حام

يصرع الزق ويدمي نحوه ... ويرويني بجام بعد جام

بات يهدى بارد الريق الى ... كبدٍ حرى وقلبٍ مستهام

بابلي اللحظ معسول اللمى ... لين الاعطاف ممشوق القوام

وترشفتُ شذى من مرشف ... عنبرى الطيب مسكي الختام

انا في السفح وما ادراك ما ... كان بالسفح وفي تلك الخيام

زمنا مر لنا في ظله ... يرقص البان لتغريد الحمام

والندامى مثل أزهار الربى ... يجتني من لفظها زهر الكلام

والظباء العفر من آرامها ... ما بعينيها بجسمي من سقام

سنحت اسرابها قانصة ... ورماني من ضياء الغيد رامي

طاعنات بقدود من قنا ... راميات من لحاظ بسهام

حدث الركب وهل يخفي الهوى ... عن ولوعي[2] بالتصابي وغرامي

حين الفاني والفى مهجتي[3] ... في ضرام ودموعي باسجام

---

(١) في الاصل (بعثر) .

(٢) في الاصل (لوعي) .

(٣) في الاصل (حين القاني والقى مهجتي) .

يا خليلي اكففا لومكما ... واذهبا عني ومرا بسلام
فلقد اعطيت من دونكما ... طاعة الحب وعصيان الملام
اين حي بالغضا نعهده ... صدعوا بعد التئام والتيام[4]
لا جزى الله بخير أينقاً ... قذفتها بالنوى ايدى المرامي
كلما اسمعها الحادى الحدا ... اجفلت بالسير اجفال النعام
ذهبت يا سعد ايام الصبا ... ومضت بعد وصال بانصرام
وصحا من سكرة ذو نشوة ... لا يسوغ الماء الا بالمدام
لا اذم الشيب ينهاني به ... ورعى حين بدا عن كل ذام
وبمدحي والي (البصرة) قد ... زان[5] بالصدق نثارى ونظامي
وثناء طيبا ننشره ... (بالمنيب) العادل القرم الهمام
البس الناس وقارا حكمه ... فهى فى ابهى وقار واحتشام
ما رأى البصرة من انصافه ... اذ أتاها غير اطلال رمام
فسعى بالجهد فى تعميرها ... سعي من يبلغ غايات المرام
لا تشيم البرق منه خُلّباً ... لا ولا نسأل[6] وبلاً من جهام
فعسى ان ينجز الله به ... عدة اللطف لخاص ولعام
فرع سادات المعالي فى العلا ... علوى الاصل علوى المقام
رفع الله تعالى قدره ... فهو فى افق سماء العز سامي
كرمت اعراقه فى ذاتها ... وكرام الناس ابناء الكرام
من اناس خلقوا مذ خلقوا ... سادة الدنيا واشراف الانام
تنقضي ايامه موصولة ... بصِلات[7] وصَلاة وصيام
واذا ما اضطرمت نار وغى ... يصطلى منها اشد الاضطرام
واذا استل ظبا اغمدها ... ثم فى قمة مقدام وهام

---

(٤) في الاصل (بعد التمام التيام) .

(٥) في الاصل (رات) .

(٦) في الاصل (تسئل) وفي المخطوطة كثير من الاغلاط الاملائية في حرف الضاد والالف المقصورة وكتابة الهمزة اكتفي بذكر هذه النماذج منها .

(٧) في الاصل بصلاة وهنا الصواب لانها جمع صلة .

وعلى منبرها مات العدا خطبت بالحتف والموت الزؤام
بطل يفتك في ارائه غير ما يفتك في حد الحسام
كم وكم ادمت بقوم مهجة هذه اقلامه السمر الدوامي
ما جرت الا بمجرى قدر بحياة لاناس وحمام
كم له من كلمات في النهي نبهت للرشد ابصار النيام
قرت (البصرة) عيناً بالذي حل بالبصرة بالشهر الحرام
كل دار حل فيها ابتهجت وحلَّت حينئذ دارُ السلام
فسقاها من نداه[8] عارض مستطير البرق منهل الركام
وحماها بمواضيه ولا خير بالملك يرى من غير حامي
اصبحت اثار ايديه بها مثلما تصبح اثار الغمام
حسنت أحوالها وانتظمت لو تراها بعد هذا الانتظام
رد بالسيف بغاة جمحت ردك المهر جموحا باللجام
وقضى بالعدل فيما بينها فمضت في غيها لُدّ الخصام
واليد الطولى له من قبلها اخذت من كل آب[9] بزمام
عم صباحا ايها المولى ودم وابق واسلم واليا في كل عام

(٨) في الاصل (من نداها) .
(٩) كذا في الاصل .

- ٥ -

في مدح نقيب البصرة السيد عبدالرحمن افندى الرفاعي[١] :

اينكر معروفنا المنكر ويكفره وهو لا يكفر
ونحن بنو هاشم فى الانام كما اتضح الواضح النير
تطيب عناصرنا والذوات وقد طابت الذات والعنصر[٢]
اذا ما ذكرنا فغير الجميل وغير المحامد لا تذكر
بنا تفخر الامم السابقون ونحن بأنفسنا نفتخر
ومنا النبيُّ ومنا الوصي ومنا المبشر والمنذر
رميت عدوا بنا ساءه وقوسي لا مثاله يوتر
وذللته بعد عَز[٣] بها وحقرته وهو يستكبر
ورب قواف لشعرى تغير على عرضه وهو لا يشعر
لها طعنات كوخزِ السنان ولا مثلها الذابل الاسمر
فواعجباً لالد الخصام وقد حاق بالخصم ما يَمكر
أيعجبه ان يرى ساعة يرى دمه عندما يقطر
بسهم اذا انا فوقته أُصيبَ به الجيدُ والمنحر
أرى العفو عن لمم الارذلين لداع الى ما هو الاكبر
فلا عثرة النذل مما تقال ولا ذنب مذنبها يغفر
واني لاعرف كنه الرجال ويكشف مَخبرَها المنظر
صبرت على بعض مكروهه وقلت اذا عوره تُستر
واني صبور على النائبات واني على الضيم لا اصبر
فاقبلت يوما على حتفه فولى به حظه المدبر

---

(١) وقد وردت القصيدة في مخطوطة ش .
(٢) في الاصل (القصر) .
(٣) في الاصل (غربها) .

ليعلم اني فتى امره   مطاع وسطوته تقهر

يدين العلاء الى طوعه   ويمتثل المجد ما يأمر

يزين كلامي وجوه الكلام   ومن كلم المرء ما يبهر

كما زينت بالنقيب الشريف   وحسن مناقبه الاعصر

اذا جاد سال الندى للعفاة   وايسر(٤) من سيبه الانهر

ترى الوافدين الى بابه   لها مورد ولها مصدر

فتى يقتفي اثر ابائه   واثار ابائه تؤثر

من القوم لا نارهم فى الظلا   م تَوارى ولا ما لهم يذخر

وما نزلوا غير شم الرعاق(٥)   يهدى لها المنجد والمغور

اذا وعدوا بالندى انجزوا   وان اوعدوا بالردى اذعروا

وان طويت صفحة(٦) الاكرمين   فاني اراها بهم تنشر

أَبيتَ النبوة ما زلتم   نجوماً بنور الهدى تُزهر

مكارمكم لم تزل ترتجى   وسطوتكم ابدا تحذر

وبارق عارضكم وامض   وعارض احسانكم ممطر

وابواعكم فى منال(٧) العلا   تطول اليها ولا تقصر

وكيف يطاولكم فى بناء   معاليكم الاشعث الاغبر

لئن أصبحت امكم (فاطم)   وان اباكم اذن (حيدر)

فما بعد عليائكم من علا   ولا بعد مفخركم مفخر

ومنكم تبلج صبح(٨) الهدى   واسفر وهو بكم مسفر

واجدادكم شفعاء العصاة   بيوم به ناره تَسعر

ويخضر من بيض ايديهم   وجداوهم الزمن الاغبر

سَراة نداهم كفيض البحار   نعم هكذا فيضها الابحر

(٤) في الاصل (السير) .
(٥) هكذا في (ش) اما في الاصل : الرعاف .
(٦) كذا في الاصل وفي (خ) صحف .
(٧) في الاصل (مثال) .
(٨) في خ (صدر الهدى) .

فكونوا غمائم مبراقها ... يُشام سناه ويستمطر

تحروا بني عمنا فى الامور ... وراعوا عواقبها وانظروا

وكونوا بني رجل واحد ... اذا انكروا منكرا غيروا

فحينئذ بأسكم يُتقى ... ويخشاكم العدد الاكثر

واني لمن بعض انصاركم ... وناصركم فى الورى ينصر

واني بايديكم صارم ... يُقد به الدرع والمغفر

أُدافع عنكم اذا غبتم ... وأُثني عليكم ولم تحضروا

واني لاشكركم والجميل ... على كل احواله يشكر

فخذها اليك تغيظ الحسود ... يراها المحب فيستبشر

تسر لديك الولي الحميم ... ويُبتر شانئك الابتر



في مدح عبدالقادر أفندي باشكاتب البصرة[1] :

تذكر عهدا بالحمى قد تقدما ... فاجرى عليه الدمع فردا[2] وتوئما
ولا سيما الاا شاهد الربع لم يدع ... لـه اهله الا طلالا وارسما
وأثار ما ابقى الخليط بعهده ... ونؤيا كمعوج السوار مهدما
منازل كانت للبدور[3] منازلا ... وان شئت قل كانت محاريب للدمى
لهونا بها والعيش اذا ذاك ناعم ... فلله عيش ما الذَّ وانعما
زمان مضى في طاعة الحب وانقضى ... وصلنا به اللذات حتى تصرما
خليلي عوجا بي على الدار انني ... اشد بلاء بالمنازل منكما
خليلي هذا الحب ما تعرفانه ... خليلي لو شاهدتما لعرفتما
خليلي رفقا بى فقد ضرنى الهوى ... الم تريانى موجع القلب مؤلما
ونمت على وجدى دموع ارقتها ... ولم يبق هذا الدمع سراً مكتما
فلا تمنعاني وقفة انا سائل ... بها الدار عن حي نأى أينَّ يمما
وقفنا عليها والنياق كأنها ... قسي اذا سارت تساكن اسهما
وقفنا عليها يا هذيم وكلنا ... حريص على الأطلال ان تتكلما
نعالج فيها لوعة بحشاشة ... على الرسم منّا نمزج الدمع بالدما
فلم نرتحل يوما لنسقي معاهدا ... من الدار في(سلع)وفي الدار من ظما
بعبرة مشتاق اذا لم تجد لها ... من الدمع ما يروى الديار بكت دما
احباءنا شطت بهمٔ شطط النوى ... وان كان نوم العاشقين محرما
الا رب طيف زار ممن احبه ... وما زار الامن (سليمي) وسلما
سرى من (زرود) منعما بوصاله ... وما كان الا في الحقيقة منعما

---

(١) الباشكاتب من الالقاب الادارية في العهد التركي التي ما زال العراقيون يعرفونه ومعناه رئيس الكتاب ٠

(٢) في الاصل (فنداً) ٠

(٣) في الاصل (في البدو) ٠

فارقني والليل يسحب ذيله / وفارق صبا لا يزال متيما

وبرق كنار الشوق توقد بالحشا / وتلهب في جنح الدجى وتضرما

بليل كحظي منه قطب وجهه / فما زلت ابكي فيه حتى تبسما

اساهر فيه كل نجم يمر بي / الى اعين باتت عن الصب نوما

سقى الله اياماً خلون حواليا / على الجزع بالجرعاء في أيمن الحمى

غمائم تسقى الظامئين بدّرها / رواءً اذا ما ساقها الرعد ارزما

كراحة (عبدالقادر) القرم لم تزل / تهامى على العافين فضلا وانعما

يصب الحيا في صوبه مثل سيبه / كأن علمّ الغيث الندى فتعلما

اذا جئته مسترفدا رفد فضله / غدوت اذن في ماله متحكما

وردت نداه ظامئا غير انني / وردت لديه البحر والبحر قد طمى

ولولا جميل الصنع منه لما رأت / عيوني وجه العيش الا مذمما

من القوم يولون الجميل تفضلا / ولم يحسنوا الاحسان الا تكرما

اطرت لديه طائر اليمن اسعدا / وكنا اطرنا طائر النحس اشأما

ومدخر الذكر الحميد بفضله / ولم يدخر يوما من المال درهما

رأيت يساري كلما كان موسرا / ولم يرض اعدامي اذا كان معدما

فما يجمع الاموال الا لبذلها / ولا يطلب النعماء الا لينعما

برغم الاعادي نال همة(٤) نائل / فاجدع آناف العُداة وارغما

ولو رام ان يرقى الي النجم لارتقى / ويوشك رب الفضل ان يبلغ السما

فلا غرو ان يعلو وها هو قد علا / ولا بِدع ان يسمو وها هو قد سما

عزائمه كالمشرفية والظبا / وآراؤه ما زلن بالخطب انجما

يصيب بها الاغراض مما يرومه / ولا يخطيء المرمى البعيد اذا رمى

وكم من خميس قد رماه عرمرم / ففرق بالرأى الخميس العرمرما

فلو ابرزت آراؤه غسق الدجى / لحث الدجى عن اشقر الصبح ادهما

واثقل بالايدى لساني وعاتقي / الم ترني لا استطيع التكلما

واني وان لم اقض للشكر واجبا / بمستغرم اصبحت في المجد مغرما

---

(٤) في الاصل (هو) .

سكت وانطقت اليراع لشكره فاعرب عما في ضميري وترجما
جري وكذا لا زال يجري بمدحه فغرد في مدحي له وترنما
واولى الورى بالشكر من كان محسنا وأولى الورى بالحمد من كان منعما
لك الله مطبوع على الجود والندى فلو رام اقداما على البخل احجما
شكرتك شكر الروض باكره الحيا سحابا عليه انهل بالجود اوهمى
لك القلم العالي على البيض والقنا جرى فجرى رزق العفاة مقسما
ففي القلم الحادي وصاحبه النهى علوت به حتى ظنناه سلما
وسيرت ذكر الحمد في كل منزل فانجد في شرق البلاد واتهما
اضاء بك الايام لي وتبلجت واشرق فجر بعد ما كان مظلما[٥]
رفعت مقامي مرغما انف حاسدي فاصبحت اذ ذاك العزيز المكرما
صفا لي منك الجود عذب غديره فجرعت من الغيظ علقما[٦]
أطلت يدي في كل امر طلبته وغادرت شأني عبد نعماك اجذما
وبلغتني اقصى الرجاء فلم اقل عسى ابلغ القصد القصي وربما
وعظمتني في نفس كل معاند فلا زلت في نفس المعالي معظما

---

(٥) في الاصل (فج) .
(٦) كذا في الاصل ويستقيم البيت اذا قلنا (فجرعته صابا من الغيظ علقما) .

في مدح عبدالله الزهير[1] :

ادار على الندمان كـأس عقـاره ... وحيّا بورد الخد من جلناره
وفي طرفه للسكر ما في يمينه ... فكلتاهما من خمره وخُماره
وماس فمال البان اذ ذاك غيرة ... عليه وازرى فيه عند ازوراره
على انه من روضة الحسن جنة ... ولـكنه مـا حفهـا بالمـكاره
وقد نسجت ايدى الربيع ملابسا ... مفوفة[2] في ورده وبهـاره
وسال لجين المـاء فوق زمرد ... يحليـه من نَّواره بنضـاره
واصبح مخضرا من النبت شارب ... يروق ويزهو بهجة باصفراره[3]
وقد رقصت تلك الغصون تطربا ... لبلبله الشادى وصوت هزاره
تألف ذاك الشكل بين اختلافـه ... وابـدع فى احسانه وابتكاره
فهذا يسـر الناظرين اصفراره ... وهذا زهـا مخضره باحمراره
وكم راح يُغنينى عن الزهر اغيد ... بنرجس عينيه وآس عـذاره
عصيت عذولي فى هواه ولائمي ... وما زلت فى طوع الهوى واختياره
اطال بطول القد فى الحب حسرتي ... وحيرنى فى خصـره واختصـاره
ولله مخضر العذار عشـقته ... وحمر المنايا السود عند اخضراره
اجادل عذالي على السخط والرضا ... واني لراض بالهوى غير كـاره
يقول الهوى العذرى[4] في مثل حبه ... اذا لم تطق هجر الحبيب فـداره
وليل كيوم النقع اسود فاحم ... تخوض بكاسات الطلا فى غماره
اغرنا على اللذات ما ذكرت لنـا ... وابعد كل عندها فى مغـاره

---

(١) وجدت لها نسخة في ب وش ٠
(٢) كذا في نسخة (ش) اما في الاصل فقد كانت (معنوفه) ٠
(٣) كذا في الاصل اما في (ش) و (ب) باخضراره ٠
(٤) في (ب) هوى العذري ٠

وقد زار من اهوى على غير موعد … فيا قرب منآه وبعد مزاره

فآنسني في وصله بعد هجره … وقد آلف المشتاق بعد نفاره

وما زال حتى صوّب النجم وانطوى … رداء ظلام الليل بعد انتشاره

ولاحت اسارير الصباح وبشرت … بأن الدجى قد حان حين بواره

ولم يبق من ابناء حام بقية … فما شق عن حام ولا عن غباره

يدير علينا كأس راح رويّة … تجرّد من يورى بها من وقاره

تخبّرنا عن نار كسرى لعهده … وقد برزت في طوقه وسواره

فما نزلت والهم يوما بمنزل … وما اقبلت الا لاجل فراره

وقلنا له هات[5] الصبوح فكلنا … يريد شفاء بالطلا من خماره

ونحن بروض رقّ فيه نسيمه … وجرّ على الانفاس فضل ازاره

واهدت الى الارواح ارواحها الصبا … أريج خزاماه وطيب عراره

وانعم عيش ما حظيت برغده … وكنت (لعبدالله) ضيفا بداره

أمنتُ طروق الهم من كل وجهة … اذا كنتُ يوما نازلا في جواره

أقرّبه عينا واشرح خاطرا[6] … واشكر شكر الروض وبل قطاره

فمن فضله اني أبوء بفضله … وافخر ما بين الورى بافتخاره

ولا خير فيمن لا يؤمل نفعه … ولا يتقي[7] من بأسه وضراره

ومنذ رأيت اليمن طوع يمينه … وجدت يساري حاصلا في يساره

وقيدني منه رقيق جميله … فلست تراني مطلقا من اساره

أبرّت به في الانجبين ذخيرة … وحسبك من كان الغنى بادخاره

انزه طرفي في محاسن وجهه … وان غاب عني لم أزل بانتظاره

واني لاهواه على القرب والنوى … واطرب في اخباره وادّكاره

واني لمن يسعى لاشراق نوره … واني لمن يعشو الى ضوء ناره

جنيت به غرس المودة يانعا … وكل جميل يجتنى من ثماره

---

(٥) في (ش) بات الصبوح ·

(٦) في نسخة (ش) كانت (ناظرا) وكتبت على الهامش خاطرا ·

(٧) في الاصل (تبقى) وفي نسخة (ب) ولا يرتقى ·

سريع الى الفعل الجميل مبادر ... الى الخير فى اقباله وبداره

رعى الله من يرعى من الخل عهده ... وادى له ما ينبغي لذماره

اذا دار فى زهر العلى فلك العلا ... فآل (زهير) الصيد قطب مداره

صناديد يشتارون من ضرب العلى ... وشوك القنا الخطي دون اشتياره

لقد عرف المعروف من قبلها بهم ... وشيد بفضل الله عالى مناره

وهل تجحد الحساد اية مجدهم ... وقد طلعت فى الكون شمس نهاره

بهم كل مقدام على الروع فاتك ... بسطوته فى ضده واقتداره

ويفتّر فى وجه المطالب ضاحكا ... ولا الاقحوان الغض عند افتراره

اذا استنصر الصمصام أيد ضربه[8] ... وقام اليماني قائما بانتصاره

اذا قيل رمح كان حد سنانه ... وان قيل عضب كان حد غراره

وان عد كبار الانام فانما ... اصاغرهم معدودة من كباره

همو خير من لا يبرح الخير فيهمو ... وما كل من الفيته من خياره

تضوع مسكي الشذا من ردائه ... بعنصره الزاكي وطيب نجاره

فهمابحر الجدوى تفيض ولم تغض[9] ... فكم وارد عذب الندى من بحاره

يهون لديه المال ان عزّ أو غلا ... وينظر اسناه بعين احتقاره

صفا مثل صفو الراح لذة شارب ... ودارت كما شاء الهوى فى دياره

فلا زالت الافراح[10] حشو ردائه ... ولا برحت عن برده وشعاره

---

(٨) في الاصل وفي نسخة (ب) (حزبه) ٠

(٩) هكذا في نسخة (ش) ، وفي نسخة (ب) تفيض ولم تفض ، وفي الاصل (تنقضي ولم تنعض) ٠

(١٠) في ش (اللذات) ٠

- ٨ -

في مدح سليمان الزهير[١] :

بوخز القنا والمرهفات البواتر ... بلوغ المعالى واقتناء المفاخر
وان الفتى من لا يزال بنفسه ... يخوض غمار الموت غير محاذر
يشيد له ما عاش مجداً مؤثلا ... ويبقي له في الفخر ذِكراً لذاكر
اذا كنت ممن عظّم الله شأنه ... فشمّر الى الامر العظيم وبادر
واني امرؤ يأبى الهوان فلم يدن ... الى حكم دهر يا أُميمة جائر
مضت مثل ماضي المشرفي عزيمتي ... وحلّق في جو الابوة طائري
لئن انكر الغمر الحسود فضائلي ... واصبح بالمعروف أول كافر
فتلك برغم الحاسدين شواردي ... يسير بها السارى وتلك نوادري
فما[٢] عرفت مني مدى الدهر ريبة ... ولا مر ما راب الرجال بخاطري
وماز لتُ مذ شدت يدي عقد مئزري ... بعيد مناط الهم عف المآزر[٣]
صفوت فلم اكدر على من يودني ... ولا يتقي من قد صحبت بوادري
وكم مشمخر انفه بغروره ... يرى نفسه في الجهل جم المآثر
جدعت بحول الله مارن انفه ... وأوطأت نعلي منه هامة صاغر
الا ثكلت أم الجبان وليدها ... وفازت بما حازته أم المخاطر
احن الى يوم عبوس عصبصب ... تتوق له نفسي حنين الاباعر
الى موقف بين الاسنة والظبى ... ومنزلة بين القنا المتشاجر[٤]
يكشر فيه الموت عن حد نابه ... وتغدو المنايا داميات الاظافر

(١) وردت في النسخة البغدادية كاملة .
(٢) في نسخة (ب) فلا عرفت .
(٣) كذا في نسخة الشام وفي الاصل (عن المآزر) وفي نسخة ب بياض محل كلمة واحدة .
(٤) كذا في نسخة الشام والاصل (الغناء المشاجر) وفي نسخة ب (الفناء المشاجر) .

ترفعت عن قوم اذا ما اختبرتهم ... وجدت كبارا في صفات الاصاغر

اخو الحزم من لم يملك الحرص رقه ... ولا ينتج[5] الامال من رحم عاقر

شديد على حرب الزمان وسلمه ... جريء على الاخطار[6] غير محاذر

خلقت صبورا في الامور ولم اكن ... على الضيم في دار الهوان بصابر

اذا ما رأيت الحي بالذل عيشه[7] ... فاولى بذاك الحي أهل المقابر

الا ان عمر المرء ما عاش طوله ... كطيف خيال أو كزورة زائر

تمر الليالى يا (سعاد) وتنقضي ... وتمضي بباقٍ حيث كان وبائر

فكيف يعاني الحُر ما لا يسره ... ويأمن من ريب الزمان بغادر[8]

ومن يأمن الدنيا يكن مثل واقف ... على غـرة بالموسيات الصواهر[9]

ازيد على رزء الحوادث قسوة ... وان معاناني[10] بها غير ضائر

كما فاح بالطيب الأريج وضوعت ... شذا المندلي الرطب نار المجامر

ارانا (سليمان الزهير) وقومه ... رجال المنايا فتك اروع ظافر

يريك بيوم الجود نعمة منعم ... ويوم الوغى والبأس قدرة قادر

يسر مواليه[11] بعزٍ وسؤدد ... ويرجع شانيه بصفقة خاسر

لقد ظفرت (آل الزهير) بشيخها ... باشجع من ليث بخفان خادر

يشق الى نيل المعالى غبارها ... ومن دونها اذ ذاك شق[12] المرائر

فـذا سيفه الماضي فهل من مبارز ... وذا فخره العالى فهل من مفاخر

رحى الحرب ان دارت رحاها وأصبحت ... تدور على فرسانها بالدوائر

تحف به من آل (نجد) عصابة ... شبيهة ما تأتي به بالقساور[13]

---

(٥) في الاصل (مستنتج) وفي نسخة ب و ش استنتج ٠

(٦) كذا في (ش) و (ب) والاصل (الاضفار) ٠

(٧) في (ب) عيشهم ٠

(٨) في (ب) لغادر ٠

(٩) في (ب) و ش (بالمومسات العواهر) ٠

(١٠) في نسخة (ب) و (ش) معاناتي لها ٠

(١١) كذا في الاصل و (ش) وفي نسخة (ب) يسير مواليه ٠

(١٢) في نسخة (ب) شوك المرائر ٠

(١٣) هذه الزيادة منقولة من نسخة (ب) لان الاصل ناقص ٠

وكم برز الاعداء في حومة الوغى ... وثغر الردى يفتر عن ثغر كاسر[١٤]

فاوردهـــا بالمشـــرفية والقـــنا ... موارد حتف ما لها من مصادر

وكم انهل الوراد منهل جوده ... فمن وارد تلك الاكف وصادر

الا ان (ابناء الزهير) باسرهم ... اوائلهـــم متلـــوة للاواخـــر

سل الحرب عنهم والصوارم والقنا ... ومالي[١٥] منهم في العصور الغوابر

فهم شيدوها في صوارمهم علا ... وهم اورثوها كابرا بعد كابر

أكابر يعطون الرياسة حقهـــا ... ومعروفهم يُسدى لبر وفاجـــر

وما برحت في كل مكرمة لهم ... مناقب تروى بين بادٍ وحاضـــر

قد استودعت اخبار ما فتكت لهـــم ... صدور العوالي في بطـــون الدفاتر

يميناً برب البيت والركن والصفا ... ومن فاز في تعظيم تلك المشاعر

بان (سليمان الزهير) محـــله ... محل سما فوق النجوم الزواهر

يقر لعيني ان ترى منه طلعة ... ترى العين فيها قرّة للنواظـــر

فاسمع منه ما يشنف مسمعي ... وانظر فيه[١٦] ما يروق لناظر

كـــريم أكاســـير الغنى بالتفاتـــه ... فهل كان الا وارثا علم (جابر)[١٥]

يصح مزاج المجد في رأي حاذق ... طبيب بـــادواء الرياســـة قاهـــر

يمـــر بنادي الاكـــرمين ثنـــاؤه ... كما مر نجدي النسيم بعاطر

وقد نطقت في مدحه السن الورى ... فمـــن ناظم فيـــه الثـــناء وناثـــر

احامي الحمى بالبأس مما ينوبه ... وصنديدها المعروف بين العشائر

اليك من الداعي لك الله مدحةً ... مقدمة من حامدٍ لك شـــاكر

فلا زلت في زرق الاسفة تحتمي ... وتَحمي بحد البيض سوَد الغدائر

---

(١٤) في نسخة ب عن نار كاشر ·

(١٥) وفي نسخة ب و ش وما كان منهم في العصور الغوابر ·

(١٦) في نسخة (ش) و (ب) (منه) ولا توجد في مخطوطة ب ·

جواب رسالة[١] :

سلمه الرب من الاسواء ميسرا للحمد والثناء

وأسال التيسير فى رؤيته بالمصطفى الهادى وال بيته

وبعد فالشوق الكثير الزائد مني اليك طارف وتالد

اشتاقكم شوق المشيب للصبّا والصب يشتاق لارواح الصبّا[٢]

والمغرم العاشق من يهواه اذا دعاه للمنى هواه

لا سيما لما اتى كتابكم ولذ لى فى طيه خطابكم

كأنه ترجم عن أشواقي وعن صباباتي وعن اعلاقى

خبرّ عن قلب عميد وامق بصاحب بل بصديق صادق

ان نَظَمَ الكلام يوما أو نثر فانه يقذف من فيه الدرر

بفكرةٍ ثاقبة وقاده وفطنة عارفة نقاده

اقواله فى المجد أو افعاله يقصر عن أمثالها امثاله

لله در ناظم وناقد جوهرا فى بحر فضل زائد

جاء بها مبتكر نظاما قد ابهر الافكار والافهاما

وزينت اقلامُه الطروسا فانعش الارواح والنفوسا

وهز سامع من طرب فكان عندى من اجل الكتب

كانه من حسنه حيّاه[٣] يهزنا الشوق الى القياه

يجرى النسيم فى حواشي لفظه ويصدع الصخر بفاسي وعظه

فيا جزاك الله خير ما جزا مادح اصحاب العبا مرتجزا

فكان ما قال على فؤادى كالماء اذ بلّ غليل الصادى

---

(١) لم اجد اول هذه القصيدة في النسخة المخطوطة كما لم ترد في المخطوطات التي بين يدي ٠

(٢) في الاصل (والصب استنشاق ارواح الصبا) ٠

(٣) في الاصل محياه ٠

جاءت به تحمله الرسائل ... وترتضيه العرب الافاضل
يُتلى فتهتز له المحافل ... من طرب منه فكل قائل
احسنت احسنت وانت المحسن ... وكل شيء هو منكم حسن
بلغك الله الكريم الاربا ... بالخمسة الذين هم أهل العبا
العترة اللائي من البتول ... طيبة الفروع والاصول
والسادة الغر الميامين الأُول ... ومن بهم نص الكتاب قد نزل
هذا واني غير خالي البال ... مشوش الافكار والاحوال
حررت ما حررت من سطور ... معتذرا اليك من قصور
وأُعذر اخاك انه معذور ... اذا جرى فى رده تاخير
ودمت بالامن وبالايمان ... موفقا فى سائر الازمان

- ١٠ -

في ذم ابن الفداغ[1] :

مدحت ابن الفداع … فخاب في مدحه النظام

وجئته والنهار ولى … وكاد ان يهجم الظلام

فساءه عندها مجيء … كانما جاءه الحِمام

اقمت في داره طويلا … فلا كلام ولا سلام

وصار عمدا يصدعني … أَهكذا تفعل الكرام

لما رأيناه وهو مغضٍ … وما بدا منه لي ابتسام

مزقت اذ قمت صحف شعرى … وسرني منهم القيام

ومن يكن وجهه عبوسا … عليّ اكرامه حرام

ولا ارجي ندى بخيل … لو ان في كفه الغمام

فكان كالبحر وهو مِلح … لم يرق من مائه أوام

رآى لساني اذن كلبلاً … وما درى انه حسام

ولا أداري ولا امارى … وليس في دفتر الانام[2]

فلا تلمني على فعالي … عليك في ذلك الملام

---

(١) في الاصل (الضداغ والبيت الاول يوضح الصواب) .
(٢) كذا في الاصل ولعله (وليس في دفتري الانام) .

- ١١ -

في هجو مفتى البصرة عبدالودود افندى :

لا عيب بالبصـــرة مســتهجن   الا وجــود الشيخ مفتيهــا
تظنه النجـــــدى بافعــالـه   لانــه احيـــــل من فيهــا



في مدح الحاج عبدالواحد البصرى[١] من اعيان البصرة :

تبارك من براك ابن المبارك[٢] وزادك من مواهبه وبارك
مكانه رفعة وعلو قدر يزيد به علاءك واقتدارك[٣]
وابقاك الاله غمام جود لمن يظمى فيستسقى[٤] قطارك
رايتك مورد الامال طرا فها انا لم ارد الا بحارك
تهين نفائس الاموال بذلا ولم تعبأ بها وتعز جارك
حماك هو الحمي مما يحاشى وتجبر في[٤] الخطوب من استجارك
وانك صفوة النجباء فينا وانك جيرة لمن استجارك[٥]
نشأت بطاعة المولى منيبا وتقوى الله ما برحت شعارك
تجنبك التى تابى تقاةً عقدت على الصفاف بها ازارك
تعير البدر[٦] من محياك حسنا كأن البدر طلعته استعارك
اخذت بصالح الاعمال تقضي بامر الله ليلك مع نهارك
مجيبا من دعاك ولا اناة اثارك للمكارم من أثارك
ولا لحقتك يوم سبقت نجب بمكرمة ولا شقت غبارك
اغرب على الثناء من البريا وقد ابعدت يومئذ مغارك
لقد طابت بفضلك واستقرت بك الارض التى كانت قرارك
وحق لها اذا فخرت وباهت ديار رحت توليها افتخارك

---

(١) وردت في مخطوطة (خ) ومخطوطة (ش) .
(٢) كذا في مخطوطة (ش) والاصل (تبارك من براك يا ابن المبارك) .
(٣) هذا البيت غير موجود في (ش) في هذا المكان .
(٤) كذا في (ش) وفي (خ) والاصل جاء بيت (مكانة رفعه وعلاء قدر) قبل هذا البيت .
(٥) وفي نسخة (ش) وانك خيرة لمن استخارك .
(٦) في خ (يقر البدر) .

سماحك لا يزال لمستميح ... من العافين جاهك واعتبارك
وانك دوحة بسقت وطالت ... جنى الجانون يانعة ثمارك
يشارك كل ذي مجد بمجد ... ومجدك في الحقيقة لا يشارك
ودهر قد جنى دنيا عظيما ... فلما قيل هل تلقى اعتذارك
توالى ذنبه بعلاك حتى ... غفرنا ذنبه فيما تدارك
وان (أبا الخصيب) يروق عندي ... لانك فيه قد شيدت دارك
ازورك سيدى في كل عام ... فلا انأى عن الداعي مزارك
واني ان ترقبت الغوادى ... وابلها ترقبت ازديارك
شهدت مشاهد النعماء فيها ... فلا شاهدت في الدنيا بوارك



وله فيه أيضاً :

يرى ضيف (عبد الواحد) الخير كله ... وتبصر عيناه جميع الذى يهوى
كريم متى تأوى الى ضوء ناره ... أرتك اذاً نيرانه جنة المأوى
فاكرم به مثوى ولو شاء ضيفه ... لا نزل فى اكرامه المنّ والسلوى
يـكلف ما لا تستطيع جفـانه ... ولم‌يرض حتى حملت‌للقرى رضوى



في مدح متصرف البصرة[١] :

سعيت لهذا الملك بالهمة الكبرى فادركت في افنائها الدولة الغرا
وسرت على نبل الاسنة للعلى ومن رام ادراك العلى ركب الوعرا
لنيل المنى جزت المسير وانما (يخوض عباب البحر من يطلب الدرا)
اذا عارضت دون المرام بحيرة من الحتف صيرت الحديد له جسرا
وان رقمت فوق الانام حنادس جليت من الرأى السديد لها فجرا
قدمت قدوم الليث غابة شبله ونزهت هذا الملك بالنية الخضرا
درى الملك يا مولاى انت فؤاده فضمك منه حين اسكنك الصدرا
رقيت على كرسيه فازنته فاصبحت كالتوريد فى وجنة العذرا
فما هذه الفيحاء الا قلادة ونحرك فى كل النحور بها احرى
وما هي الا كاعب قد تسترت قد اتخذت خيس الاسود لها خدرا
فجوزاء افق بالدراى تمنطقت مخدمة تستخدم البيض والسمرا
لقد مطلت بالوعد عصرا وعاودت فجاءت بوصل بعد ما مطلت دهرا
تزوجتها أيماً عجوزاً مسنة فاضحت لديك الان كاعبةً بكرا
فحكت لها ثوب المفاخر بالندى والبستها من بأسك الحلة الخضرا
وهيأت من نقد العوالي صداقها[٢] وانقدت من بيض الحديد لها مهرا
قدمت لها من بعد كشف حجابها فكنت لعورات الزمان لها سترا
فعدت اليها بالتقرب بعد ما علاها قنوط ان تعود لها اخرى[٣]
تدانيت منها كالهلال ولم تزل تنقل حتى عدت فى افقها بدرا
وودعتها مكروبة اللب والحشا وأُبتَ وابدت من مسرتها البشرى

---

(١) في نسخة (ب) (وقال من قصيدة يمدح بها احد متصرفي البصرة) وقد وردت هذه القصيدة في مخطوطة (ش) .
(٢) في ش (صدورها) .
(٣) في الاصل (اجرى) .

فان طاوعتك اليوم جهرا وصالها ... فقد كان هذا الامر فى نفسها سرا

فكم مر آن" وهى تكتم شوقها ... اليك وتحيي ليلها كله سهرا

لامر القضا كادت تعز اذا رأت ... لوصلك وقتا لم تجد دونه عذرا

لقد احدقت[٤] بعد العمى بك عينها ... واحدثت فى اجفانها الفتك والسحرا

وحليت في سلك العزائم جيدها ... ووشحت منها في صنائعك الخصرا

وزينتها حتى حكى التبر تربها ... ولو لم تكن فى ارضها اصبحت صفرا

فصرت بها لما حللت بصدرها ... كيوسف اذ ولاه خالقه مصرا

فلم تجز اهل المكر يوما بمكرهم ... ولم تصطنع غدرا لمن صنع الغدرا[٥]

صفحت عن الجانين الا أقلهم ... فاوسعتهم عفوا واثقلتهم شكرا[٦]

(٤) في ش (لقد ابصرت) .

(٥) كذا في الاصل وفي نسخة (ش) ، اما في نسخة (ب) عذرا .

(٦) كذا في الاصل وفي نسخة (ش) و (ب) (فاوسعتهم عذرا واثقلتهم شكر) .

وقال في مدح الحاج عبدالواحد من أعيان البصرة[١] :

هلم بنا نزور (أبا الخصيب) ونرعى جانب العيش الخصيب
نعاشر اهلـه ونقيم فيـــه بخفض العيش من حسن وطيب
كرام قد نزلت بهم غريبـــا فكانوا سلوة الرجل الغريب
وعبدالواحـد الموصـوف فيهم بطول الباع والصدر الرحيب
هو الشهم الذى لا عيب فيه سوى العرض النقي من العيوب
لقد تقنا الى ذاك المحـــيا[٢] ولا توق المحب الى الحبيب
فحيّ ابن المبـارك من كريـم[٣] احب الى القلوب من القلوب
يرى فعل الجميل عليه فرضـا وصنع المكرمات من الوجوب
نصيب بفضله الاغـــراض منه ونرجع عنه فى اوفى نصيب
حكى احسانه صوب الغوادى فقلنـــا ديمة القطـــر الصبيب
اذا المستصرخون دعـوه يومـا وقد أمنت بـكشاف الـكروب[٤]
وان ابصرت منه البشر يبدو فأبشر منـــه بالفــرج القريب
يلذّ لـه سؤال ندى يديـه فيثني عطـف مرتـاح طروب
ومبتسم بوجـه الضيف زاه ووجـه الدهر مشـتد القطوب

(١) في نسخة (ش) ومما قاله مادحا به جناب ذي الباع الرحيب نزيل ابي الخصيب الحاج عبدالواحد جلبي من اعيان بلدة البصرة ٠

(٢) كذا في الاصل ونسخة (ش) وفي نسخة (خ) لقد تَقنا لذياك المحيـــا ٠

(٣) في نسخة ش (من قديم) وفي نسخة (خ) فحسن ابن المبارك ٠

(٤) في الاصل
(اذا المستصرخون دعتـــه يوما وقـد اقتصب بكشاف الـكروب)
وفي نسخة خ
(اذا المستعرضون دعتـــه يومـا فقـــد منعت بكشاف الـكروب)
وفي نسخة ش
(اذا المستصرخون دعتـــه يوما وقـد هتفت بكشاف الـكروب)

اجل عصابة كرمت وجادت | على العافين فى اليوم العصيب

كريم قد تفرع من كريم | نجيب ينتمي لاب نجيب

رأيت الاكرمين على ضروب | وهذا خير هاتيك الضروب

وقدر ما استخفته الرزايا | ولا راعته قارعة الخطوب

ولا استهوته نفس فى هوانٍ | ولم يدن[٥] الى أدنى معيب

منار[٦] يستمد الرأى منه | وعنه رمية السهم المصيب

فاشهد انه فرد المعالي | وما انا منه فى شك مريب

عليه ذو[٧] العقول اذن عيال | وها هو إربة[٨] الفطن الاريب

فتعرض رايها ابدا عليه | كما عُرِض المريض على الطبيب

فدتك[٩] الباخلون وهم كثير | فداء النحر من بذل وسيب[٩]

بيوم عنده الانفاق فيه | اشد على الجبان من الحروب

ولا افلت كواكبك الزواهي | ولا اذنت شموسك للمغيب



---

(٥) كذا في الاصل وفي (ش) .

(٦) في ش (مثار) .

(٧) في ش (ذوو) .

(٨) في ش (رتبة) .

(٨) في ش (فداك) وفي خ (فداك الباخلون وهم كثيرون) .

(٩) في ش (فداك النحر من بدن ونيب) .

جمعت بعضها من وريقات ممزقة اظنها في مدح المرحوم عبدالرحمن بك بن شريف بك :

يا ايها الركب قفوا ساعة ... اقضي لربعٍ في الحمى ديونا
ولم اشم وامض برق لامعا ... الا ذكرت الثغر والجبينا
وحين لاح الشيب في مفرقي ... وكان ما لم أرضَ ان يكونا
وما خلعت للغرام طاعة ... وما نكثت حبلها المتينا
أئِن مما اضمرت اضالعي ... وكنت من أعلن الانينا
وما وجدت في الهوى على الهوى ... غير بكائي للاسى معينا
يا صاحبي والخليل مسعدا ... ان لم تعينا كلفا فبِينا[1]
(بياض في الاصل) ... ومارس الايام والسنينا
وارقتني الورق في أفنانها ... تردد التغريد واللحونا
كم اججت من الفؤاد لوعة ... واهرقت من عبرة شؤونا
كم ارغمت انف الحسود سطوة ... وغمرت بالبر معتفينا
يا شد ما كابد من صبابة ... في صبوة عذابها المهينا
وفارق (الموصل) في قدومه ... ليث هزبر فارق العرينا
من اشرف الناس وأعلى حسباً ... وكان من اندى الورى يمينا
وكلما املت[2] بنا ريح الجوى ... تفننت[3] بنوحها فنونا
وعودة على الجميل شيمة ... واورثته شدة ولينا
وحل في (الزوراء) شهم ماجد ... تقر في طلعته العيونا
اولئك القوم الذين انجبت ... اصلابها الاباء والبنينا[4]

---

(١) في الاصل : الا تعينا كلفا .
(٢) كذا في الاصل واراها (مالت بنا) .
(٣) في الاصل تفتت .
(٤) كانت الابيات الثمانية على الحاشية وادخلتها في المتن .

وطوقته في العلا اطواقها وقلدته درها الثمينا
واظهروا ما اضمروا من كيدهم وكان في صدورهم كمينا
يحفظك الحافظ من كيد العدى وكان حصنا حفظه حصينا
وخيب الله به ظنونهم وطالما ظنوا به الظنونا
وعذت بالرحمن وهي عوذة اخزت به شيطانها اللعينا
لو كان للايام وجه حسن كان لها الوجنة والعيونا
قد طبعوا على الجميل كله وان اساء الدهر محسنينا



- ١٧ -

ولە مؤرخاً صدارة مدحة باشا[1] :

ان الممالك فى صدارة احمـد أضحت بطيب مســرة وهنـاء
ضحكت به دار السعادة بعدما ابـكت عليه اعيـن الـزوراء
للدولة العلياء فى سـلطانهـا ارخ تصدر مدحت العليـاء
١٢٨٩



(١) في نسخة (ب) وله مؤرخا صداره مدحة باشا الوزير الشهير وقال عنها (لم يعثر عليها جامع ديوانه) وفي نسخة أخرى (من نسخة جناب عبدالله باش اعيان) .

تتمة قصيدة اظنها في مدح الشيخ احمد نور[١] :

دعوت فؤادى للسلو فما اهتدى[٢] وظل يخال الغي فى وجده رشدا
وان انا من(سلمى)و(سعدى)بمأرب فلاسلمت(سلمى)ولاسعدت(سعدى)
اقمت بارض غير ارضي وموطني وما لي في افنائها أينُق تحـــدى
وانفقت ايامي على غير طـائل فلا منهلا عذبا ولا عيشة رغدا
واما اخترطت غير القتاد يدى بهـا وغيرى جنت من شوكها يده الوردا
تـؤخـــرني الايـام عمـــا اريــــده
فلم تكتسب شـكرا ولم تكتسب حمدا[٣]
وقد قذفتني فى البلاد يدى النوى فلم ابق غورا ما وطئت ولا نجـدا
نوى جمعتني بعد حين بأحمد سأوسعها شكراً واحمدها حمدا
من المـكرمين الوفد طبعا وقلما رايت بهذا العصر من يكرم الوفدا
قريب من الحسنى سريع الى الندى وما برحت اذ ذاك ايدٍ له تندى[٤]
ومستجمع للجـــود اذ ما دعـوته دعوت مجيبا قد تهيأ واعتدا[٥]
اذا مُدّت الايدى اليه امدهـا بجدوى يمين تورث الابحر المدا
كما ان جـدوى كفه يورث الغنى فقد يورث العلياء والعز والمجدا
يلين لعافيه وان كان قد قسا زمان على عافيه بالعسر واشتدا

---

(١) كذا في الاصل اما نسخة ش (وقال مادحا صاحب العلم والعلم المبرور الشيخ أحمد نور) • وجاء في نسخة ب (وفي حرف الدال قوله في مدح الشيخ أحمد نور — ص ١٠٧ بعد قوله أرى النفس البيت في تتمـة القصيدة) • والواقع ان البيت :

أرى النفس لا تهوى سوى من توده ولم تتكلف مهجـــة الوامـق الودا

يقع في الصفحة ١٠٨ من الديوان المطبوع وليس كما ذكر في المخطوطة •

(٢) كذا في الاصل في نسخة ش (فما اهدى ــ وراح يخال) •

(٣) كان في الاصل بياض وفي نســـخة (ش) : (فتوسعي جزرا واوسعها حدا) وقد اكملت البيض من نسخة (ب) •

(٤) في الاصل (ايديه تندى) وفي نسخة ش : (راحته تندى) •

(٥) بهذا البيت تنتهي المخطوطة وقد اكملت القصيدة من مخطوطة ش ومخطوطة ب •

لـه همم في المعضلات تخالها

كسُمر القنا طعنا وبيض الضبا حدا[٦]

يجردها في كل أمر حلاحل يقد بهن الخطب يومئذ قدا

يحل بها عقد الشدائد كلها فهل مثله من وُليّ الحل والعقدا

يرى غاية الغايات وهي خفية

كما قد يرى خيط الصباح اذا اهتدى[٧]

يضيء لنا منه شهاب اذا دجى

دجى من خطوب في الحوادث واسوّدا

(فنحن اناس لا يشق غبارهم وأحمرة لا تلحق الضمر الجردا)

وهيهات ما بين الثريا الى الثرى الا ان فيما بين جمعهما بعدا

ترى نفثات السحر في كلماته[٨] وتجني بايدى السمع من لفظه شهدا

لسان كحد السيف أو كجنانه به مفحم للخصم السنة لدا

وما هو[٩] في جد الكلام وهزله يصوغ من الالفاظ ما يشبه العقدا

أمان من الايام أمس ولاؤه يلاحظ وفد الكل من يده الرفدا[١٠]

وها انا منه حيث طاشت سهامها لبست به عن كل نائبة سردا[١١]

واشكر منه ايدياً تخجل الحيا ويترك حر القوم احسانه عبدا

علي لـه فضل قديم وانعم اذا عُددت لا استطيع لها عدا

واسدى من المعروف ما هو اهله اليّ وكم من نعمة منه قد اسدى

ساقضي ولن أقضي[١٢] له حق شكره وان اعجز العبد القضاء فما ادى[١٣]

اوهدى ثنائي ما استطعت لمجده وما غيره عندى لعلياه ما يهدى

---

(٦) كذا في الاصل وفي (ش) قدا .

(٧) كذا في الاصل وفي ش (اذا امتدا) .

(٨) كذا في الاصل وفي ش (من كلماته) .

(٩) كذا في الاصل وفي ش و ب (وها هو) .

(١٠) الشطر من نسخة (ش) وفي ب ورد البيت مختلا .

(١١) البيت مقدم في النسختين ش و ب .

(١٢) من نسخة ش . وفي نسخة ب (وان اعجزا بعد القضاء فما ادى)
ثم كتبت في الحاشية (كذا في الاصل) .

(١٣) انظر من نسخة ش .

نظرية التعريف والدراسة العلمية

الدكتور ياسين خليل
مدرس في قسم الفلسفة

تمهيـــد :

تمهيـــد :

١ ـ تعتمد الدراسات العلمية على تحديد معاني العبارات والالفاظ أو الحدود Terms التى نستعماها ومدلولاتها ، لان عدم تحديد المعانى يقودنا فى الحقيقة الى فوضى فكرية وغموض وابهام علمي . فلا يمكن للعالم أو الباحث ان يلم بجوانب البحث متعرفاً أو باحثاً أو ناقداً لما فيه من افكار ومبادىء الا اذا عرف سلفاً بعض الافكار التى حددت واعتبر تحديدها تعريفاً أو اذا بدأ هو يعرف الاشياء باعطائها معانى معينة تبقى ملازمة للبحث طوال الدراسة . والعلم لا يستقيم فى الحقيقة بدون التعريف ، والعالم أو الباحث لا يقدر على مزاولة علمه وابحاثه الا بالاستعانة ببعض الافكار ، ولابد للافكار من تحديد وتعريف .

وتشترط البحوث العلمية ان يكون التعريف فى بداية البحث كما هو الحال بالنسبة للانظمة الرياضية والمنطقية ، وتشذ بعض الدراسات عن هذه القاعدة فى بعض الاحيان كما هو الحال بالنسبة لتعريف العدد عند جوتلوب فريجه[1] ، حيث يناقش اولاً الاراء المختلفة فى تعريف العدد ويبين اخطاءها ومن ثم يقدم بعض الافكار الضرورية فى التعريف ليستطيع

(1) Frege G., Grundlagen der Arithmetik.

بعدئذٍ ان يعطي الصيغة المنطقية الثابتة لتعريف العدد . وسواء كان التعريف في بداية البحث أم في نهايته فان هناك حقيقة ثابتة هي ان التعريف خطوة ضرورية في جميع البحوث العلمية ولا يمكن الاستغناء عنه .

٢ ــ وهناك ظاهرة علمية واضحة المعالم في الدراسات الرياضيـــة والطبيعية هي ان تعريف الافكار يبقى ثابتاً نسبياً بالاضافة الى ان له تطبيق عملي في البحث ، وله فائدة مباشرة بالنسبة للدراســة . فاذا تــكلم عــالم الرياضيات عن القاسم مثــلاً فان مفهوم هذا الحد معروف لجميع علمــاء الرياضة ، وكذلك الامر بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فهناك تعريف للـكتلة وللطاقة وللجذب ... الخ يتفق عليه علماء الطبيعة .

اما في الدراسات الانسانية والاجتماعية ، فان التعاريف للافكار تختلف اختلافاً كبيراً بالنسبة للباحث وواضع النظرية عنه لباحثين آخرين . فتعريف المجتمع أو الاشتراكية او الديموقراطية مثلاً غــير متفق عليه عند علمــاء الاجتماع حتى الان ، بل على العكس ان بعض الـكتاب يستعملون هــذه الافكار بمعنى مناقض تماماً لما يستعمله علماء آخرون كما هو الحال بالنسبة لتعريف الديموقراطية . واعتقد ان سبب تأخر هذه العلوم وعدم مقدرتهــا ان تصبح علوماً بالمعنى الدقيق يرجــع الى عوامل كثيرة منها جهــل علمــاء الاجتماع لطبيعة المادة المدروسة وكيفية معالجتها وكيفية تعريف افكار هذا العلم . وهذا لا ينطبق على علم الاجتماع فحسب ، بل على جميع العلوم الانسانية والاجتماعية .

فالتعريف في الحقيقة شرط أساسي وخطوة ايجابية نحو اقامة نظرية علمية رصينة أو نحو بناء الهيكل الفكرى العام للعلوم .

٣ ــ وفي دراستنا الحاضرة لنظرية التعريف سنحــاول ان نضــع مخططاً عاماً علمياً وجديداً في التعريف عسى ان يكون مفيداً للدارسين في في الحقول العلمية والفلسفية معاً . وسنناقش بعض النظريات المعروفة في التعريف بغية معرفة خصائصها المنطقية والعلمية ونقاط ضعفها . وتعتمد هذه

الدراسة على البحث الذى نشرته[1] والذى يناقش طبيعة اللغة محاولاً وضع المعايير والمبادىء الاساسية . وعلى هذا الاساس ستكون نظرية التعريف خطوة ثانية فى البحث نحو اقامة نظرية عامة فى العلم[2] ، لان العلم في اعتقادنا نظام مرتب مؤلف من أفكار محدودة ومعرفة ومبادىء قائمة على الافكار . وهذه المبادىء لا تخرج عن كونها اما منطقية أو طبيعية أو اجتماعية[3] .

واذا كان منطق اللغة يهتم بالتراكيب اللفظية أو المنطقية Logical structures والدلالة والمعنى والفرد المتكلم ، فان العلوم في الحقيقة تبعاً لهذا التصنيف هى :ـ

١ ـ اما شكلية كالرياضيات البحتة والمنطق الشكلي ، لانها تهتم بالتراكيب فقط دون الاخذ بنظر الاعتبار بما تدل عليه هذه التراكيب من معنى أو دلالة .

٢ ـ أو وصفية كالفيزياء والكيمياء ، لانها تهتم بالتراكيب وما تدل عليه من اشياء أو حوادث .

٣ ـ أو اجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس ، حيث يدخل العنصر الذاتى أو النفسى فى الدراسة . وتهتم الدراسات الاجتماعية ببحث التراكيب وما تدل عليه والوضعية النفسية أو الاجتماعية للفرد أو للافراد .

ولقد درسنا فى « منطق اللغة » هذه الخصائص الثلاثة ، ونحاول الآن كخطوة ثانية فى نظرية العلم ان نعطى نظرية عامة فى التعريف ، لان التعريف كما سبق وان ذكرنا ضرورة منطقية لجميع الدراسات العلمية

---

(١) منطق اللغة تأليف الدكتور ياسين خليل (مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الخامس) .

(٢) القصد من هذه السلسلة العلمية يتمثل في اقامة نظرية علمية موحدة تبين طبيعة العلوم وطرائقها والاساس العلمي الذي ترتكز عليه .

(٣) استعملت هذه العبارة بمعنى واسع بحيث يضم الدراسات الاجتماعية بما فيها الاجتماع والسياسة والاقتصاد وعلم النفس .

بدون استثناء ، لان كل علم انما يبدأ بافكار ، ومن هذه الافكار تتألف المبادىء الضرورية . فمن الواجب اذن ان تحدد هـذه الافكار بالتعريف ليكون العلم أو تكون النظرية معتمدة على أصول منهجية وعلمية . واذا تخلينا عن التعريف ، فاننا فى الحقيقة نكون قد ابتعدنا عن منطوق العلم ، وليس بمقدورنا أو بمقدور احد ان يضع نظرية أو يبتدع علماً دون ان يستعين بافكار يجب تحديدها وتعريفها .

١ ـ التعريف ، تعريفه ، اهميته وطبيعته

(أ) تعريف « التعريف » :

٤ ـ من الممكن ان يظهر لبعض الناس او الدارسين ان التحديد أو التعريف فى غاية البساطة وانه من الوضوح بمكان بحيث نستطيع ان نعرف الشىء اما بصفاته الاساسية أو بما يرادف العبارة التى تشير اليه . واذا كانت مهمتنا في هـذه المقالة هي التعريف ، فمن الضروري اذن ان نعرف كذلك ماذا نقصد بالتعريف أولاً وقبل ان ندرس خصائصه واصوله وقواعده .

واذا اعتقد بعض الباحثين ببســاطة التعريف ، فـانهم فى الحقيقة يجهلون مشكلاته ولا يعرفون منه الا ما يظهر للعقل مقبولاً وواضحاً . ولـكن الامر يظهر أكثر تعقيداً عندما يجد الفرد نفسه أمام عدد كبير من التعريفات لمفهوم التعريف . ويكون الامر محيراً كذلك عندما يستعرض المرء هذه التعريفات أو بعضها ليختار من بينها ما هو مناسب وعـام .

٥ ـ يعتبر ارسطو أول الباحثين فى اصول نظرية التعريف ، حيث عرف الحد بقوله « هو القول الدال على ماهية الشىء »[1] . ولـكن هذا التعريف سرعان ما يخيب املنا حينما نسأل عن ماهية الشىء وهـل هى مدركة أو ميتافيزيقية . ان التعريف بالماهية أو الجوهر لا يعرفنا فى الحقيقة على الشيء ، خاصة اذا أردنا معرفة مدى صحة التعريف أو فساده ، فاذا

---

(١) منطق ارسطو (كتاب الطوبيقا) ص ٤٧٤ . Top. A 5, 102a

قلنا مثلاً « الانسان حيوان عاقل » فاننا فى هذه الحالة نعرف الانسان بماهيته والتى هى الحيوانية والعقلانية معاً . والحيوانية والعقلانية معانى كلية غير موجودة فى العالم الخارجى كوجود الاشياء الفردية . واذا اردنا ان نخرج من هذا المأزق نبحث في اللغة عن التعريف وذلك باستعمال العبارات اللغوية لتحديد معنى العبارة التى نريد استعمالها أو تعريفها ، لان التعريف بالماهية يقودنا الى مناقشات ميتافيزيقية نحن فى غنى عنها .

٦ ـ ولا يختلف تعريف الجرجانى من حيث الطريقة عن تعريف ارسطو للتعريف . فيذكر الجرجانى ان « التعريف : عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته شيء آخر »[١] ، ولكن هذا التعريف يستبعد الفقرات الميتافيزيقية ويعرف بشيء آخر معروف . ورغم الاختلاف بين ارسطو والجرجانى الا انهما يتفقان من حيث المبدأ وهو ان تعريف الشيء يتم بشيء آخر سبق لنا معرفته .

ويتفق تعريف سبينوزا للتعريف مع تعريف ارسطو حيث يقول « ان التعريف الصادق لاى شيء لا يحتوى على ولا يعبر عن شيء سوى طبيعة الشيء المعرَف »[٢] .

٧ ـ ولكن الجرجانى يدرج بعد ذلك نوعين من التعريفات :ـ

١ ـ التعريف الحقيقى « وهو ان يكون حقيقة ما وضع اللفظ بازائه من حيث هي فيعرف بغيرها »[٣] .

٢ ـ التعريف اللفظى « وهو ان يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى فيفسر بلفظ اوضح دلالة على ذلك المعنى كقولك : الغضنفر الاسد ، وليس هذا تعريفاً حقيقياً يراد به افادة تصور

---

(١) التعريفات . الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين ابي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي ص ٥٤ .

(2) Spinoza., Ethik Lehrsatz 8, p. 9.

(٣) التعريفات ص ٥٤ .

غير حاصل ، انما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر المعاني[١] .

واذا اخذنا الآن بتعريفات الجرجاني الثلاثة فاننا نستطيع بواسطتها ان نتوصل الى النتيجة وهي ان التعريفات تكون على ثلاثة أنواع هي :ـ

١ ـ ان يعرف الشيء بشيء آخر سبق لنا معرفته وهو ما يسمى بالانكليزية Thing - thing definition .

٢ ـ ان يكون التعريف باللفظ والشيء معاً كما هو الامر في تعريف الجرجاني للتعريف الحقيقي وهو ما يسمى اصطلاحاً **Word-thing definition** .

٣ ـ ان يكون التعريف باللفظ فقط وهذا ما يسميه الجرجاني التعريف اللفظي وهو مايسمى بالانكليزية Word-Word definition

ولقد ذكر روبنسن هذا التصنيف الثلاثي لانواع التعريفات[٢] .

٨ ـ والى جانب هذه التعريفات المختلفة نجد بعض المناطقة المحدثين يذكرون التعريف مستخدمين عبارات جديدة تمت بصلة لمادة البحث التى التي هم بصدد بحثها . فمن خلال دراسة رسل للرياضيات والمنطق نجده يذكر ان التعريف عبارة عن بيان بان رمزاً جديداً معيناً أو سلسلة من رموز لها نفس المعنى لسلسلة من رموز أخرى معينة ، حيث يكون معناها معروفاً مقدماً :

A definition is a declaration that a certain newly-introduced symbol or combination of symbols is to mean the same as a certain other combination of symbols of which the meaning is already hnown.[3]

يظهر من مضمون التعريف ان رسل تحاشى ذكر الاشياء واقتصر تعريفه للرمز برموز أخرى سبق لنا معرفة معانيها مقدماً . ولكنا اذا حدقنا النظر في هذا التعريف فاننا نقف على هوجره ونوعه والغاية التى يرمي اليها.

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ .

(2) Robinson, R., Definition p. 18.

(3) Russell, B., and Whitehead, A. N., Principia Mathematica p. 11.

أ ـ انه تعريف لفظي أو رمزی .

ب ـ استعان رسل بالرموز بدل الـكلمات أو الالفاظ .

حـ ـ ان طبيعة مادة البحث اضطرت رسل الى ان يستعمل الرموز في التعريف وذلك لـكي يستطيع استعمالها فی الاشـتقاق المنطقي القائم على الرموز والعلاقات التي تربط بينها .

٩ ـ اما جورج مور فيظهر انـه لا يتذوق المنطـق والرياضيات ، ولـكنه يدرس الاشياء كمـا تظهر لنا في الحياة اليومية دونمـا حاجة الى فرض اشياء خارجة عن العالم المدى . وهذا يعنى بطبيعة الحال ان موقفه الابستمولوجی أو المعرفی يحتم عليه ان ينظر الى التعريف باعتباره تحديداً وصفياً للاشياء . وهذا هو سر تعريفه للتعريف بانه « تعداد للصفات المختلفة وعلاقاتها المعروفة فيما بينها[١] . فاذا أراد مور ان يعرف الانسان مثلاً ، فانه لا يعرفه بانه حيوان عاقل كما فعل القدماء من المناطقة ، بل انه يقوم بتعداد جميع الصفات التی تتعلق بالانسان وعلاقة هذه الصـفات وترتيبهـا بعضها مع البعض الآخر . فالصفات أو الخصائص الموضوعية عند مور هی التی تحدد الشيء . ورغم اختلاف هذا التعريف عن التعريف عند ارسطو الا انهما يتفقان من ناحية واحـدة هی كونهما يهتمان بالاشياء وان تعريف الشيء يكون بشي آخر .

١٠ ـ ويعرف ارثر پاپ التعـريف بانه « توضـيح معنى تعبير لغوی ككلمة أو كعبارة (سلسلة من كلمات لها معنى ولـكن ليس قضية ـ مثال ذلك العبارات الوصفية) ، أو كقضية :

Definition: Explantion of the meaning of Liguistic expression, i.e word, phrase (series of words that has meaning but is no sentence - e.g. descripstions), or sentence.(2)

لا يختلف هذا التعريف من حيث الجوهر عن تعريف رسل الا فی

---

(1) Charlesworth M. J., Philosophy and linguistic Analysis p. 24.

(2) Pap, A., Elements of analytic Philosophy p: 485.

نقطة واحدة ليست جوهرية هي ان تعريف پاپ يهتم بالعبارات اللغوية ، لان التعريف هو تحديد أو توضيح معنى العبارة اللغوية ، بينما يركز تعريف رسل على الرموز والعبارات الرمزية المستعملة في الرياضيات والمنطق .

١١ ـ اما فتجنشتاين فانه يعرف التعريفات بقوله « انها قواعد للترجمة من لغة الى لغة أخرى :

Definitionen sind Regeln der übersetzung von einer Sprache in eine andere.(1)

يعتمد التعريف عند فتجنشتاين على الترجمة واعتقد ان هذا التعريف موفق أكثر من غيره من التعريفات فيما اذا اعتبرنا اللغة تعني اى نظام مؤلف من أوليات ومبادىء ، وبذلك تكون للرياضيات وللفيزياء وللعلوم المختلفة لغات . والترجمة في الحقيقة تعتمد على التعبير والمعنى في آن واحد سواء كان هذا التعبير رمزياً أو لغوياً . فاذا اردنا ان نترجم قطعة ادبية أو عبارة رياضية أو لغوية من لغة الى أخرى فيجب ان نراعي المعنى بحيث تكون القطعة في اللغة الثانية تدل على نفس المعنى في القطعة التي ترجمناها . ولكن هذا التعريف ضيق من ناحية واحدة اذا اخذناه على أساس ان التعريف محصور في دائرة الترجمة من لغة الى لغة ثانية . هذا وسوف نأخذ تعريف فتجنشتاين نقطة انطلاق لوضع تعريف اوسع يضم الكثير من التعريفات المعروفة .

ونكتفي الان بهذا القدر من التعريفات المشهورة ولنا عودة الى تصنيفها ودراستها ليتسنى لنا وضع تعريفنا العام للتعريف الذى سيضم تعريفات كثيرة مهمة .

(ب) طبيعة التعريف :

١٢ ـ يجرنا السوآل عن طبيعة التعريف الى ما يجب ان يكون عليه

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosoplicus 3-343.

من حيث الطريقة والمادة والغاية ، لان هذه العوامل الثلاثة تحدد نوعية وطبيعة التعريف ، كما يجب ان يتحدد التعريف ويقتصر عمله في دائرة معينة من المعرفة ، بحيث لا يكون شاملاً وساذجاً أو تافهاً ، لاننا بالتعريف لا نقصد الا الى تحديد معنى العبارة التي نريد تعريفها . وعلى هذا الاساس يجب ان يستوفي التعريف الشرطين الآتيين :ـ

١ ـ يجب ان يكون التعريف مناسباً بحيث يكون له فائدة عملية وعلمية • وهذا يعني انه من الضروري ان لا يكون ميتافيزيقيا ، فتكون عباراته فارغة ليس لها معنى • لان مثل هذا التعريف لا يجد تطبيقاً في العلوم الرياضية او التجريبية .

٢ ـ يجب ان يكون التعريف لغوياً أو رمزياً لا يهتم الا بما تدل عليه الرموز ولكي يتحقق الشرطان نجد انه من الضروري أن نأخذ بنظر الاعتبار العوامل الثلاثة الآتية :ـ

أ ـ الطريقة التي يستخدمها التعريف .

ب ـ المادة أو الافكار التي نريد تعريفها .

حـ ـ الغاية من تعريف الافكار .

١٣ ـ وقبل ان نناقش هذه العوامل بالتفصيل ارى من الضروري ان نحدد اولاً الدائرة التي يكون فيها التعريف ممكناً ومستوفياً للشروط العلمية . ينحصر التعريف في دائرة اللغة فقط باعتبارها مكونة من عبارات تضبط ترتيبها وعلاقاتها قواعد او قوانين تركيبية أو شكلية ، ويكون لهذه العبارات وظيفة في النقل والاتصال الفكري . يظهر من هذا التحديد للغة اننا لا نقصد لغة التداول وحدها ، بل واللغات العلمية ، لان اللغة في مفهومنا تتألف من اوليات أو افكار ، ومن هذه الاوليات والافكار تتألف التعبيرات أو المبادىء الضرورية ؛ فالمنطق والرياضيات مثلاً يبدءآن من الاوليات ومن هذه الاوليات تتكون القضايا من بديهيات ومبرهنات وقوانين استنتاجية .

وعلى هذا الاساس يصح ان نقول ان للمنطق لغة وللرياضيات لغة وللفيزياء لغة وهكذا ... نستنج مما تقدم ان لـكل علم لغة معينة ، وان التعريف لا يكون الا فى حدود هذه اللغات سواء كانت هذه اللغات رمزية أو لغوية . واذا اخذنا بهذا المفهوم للغة يـكون تعريف فتجنشـتاين للتعريف أكثر وضوحاً ، لاننا نستطيع كذلك ان نترجم من الرياضيات الى اللغة المتداولة ، كما يمكننا ان نترجم بعض العبارات من لغة الى أخرى شرط ان نحافظ على المعنى المقترن بالعبارات المترجمة •

١٤ ــ نستنتج مما تقدم كذلك ان التعريف الذي يعرف الشيء بماهيته أو بشيء آخـر سبق لنا معرفته لا يمكن ان يدخل في اطـار أو حدود التعريف ، لان التعريف ينحصر كما قلنا فى دائرة اللغة وبقي لدينا الآن من تعريفات الجرجانى :ــ

التعريف اللفظى الذى يكون اللفظ فيه واضـح الدلالـة على معنى فيفسر بلفظ اوضح دلالة على ذلك المعنى .

التعريف الذى يكون باللفظ والدلالة معاً .

ولكننا لو حللنا هذين الصنفين فاننا سنجد ان الاختلاف بسيط ينحصر في طريقة التعريف • فمن المفروض ان يكون للعبارة التي نريد تعريفها معنى أو ثمة شيء تشير اليه خارج عن اللغة . فاذا حللنا اللغة بمفهومهـــا العام كما فعلنا فى « منطق اللغة » فاننا سنحصل على العوامل الاساسية الآتية :ــ

١ ــ التركيب اللفظى أو المنطقى .
٢ ــ المعنى أو الدلالة .
٣ ــ الفرد .

١٥ ــ ولو دققنا النظر اولاً فى لغة التداول ، فاننا سنجد حقيقة هامة هي ان التركيب اللفظي للغة يقترن بالمعنى • فاذا نطق احد الافراد بعبارة لغوية ، فاننا نفهم ما يقصد اليه الفرد دون ان نعرف فيمـا اذا كان لهـذه

العبارة اللغوية واقع حقيقى خارج عن اللفظ مطابق للمعنى . ويجب هنا ان نميز بين نوعين من المعانى التى تقترن بالعبارات اللغوية :ـ

أ ـ **المعنى الشكلى** Formal meaning

ب ـ المعنى الذهنى mental meaning

فاذا اردنا ان نحلل العبارات اللغوية حسب القواعد الصرفية والنحوية لتلك اللغة فاننا بذلك نستعين بالمقولات التي تصف لنا المعنى الشكلي أو الوظيفة النحوية والصرفية[1] للعبارات اللغوية مثل ، فاعل ، مفعول بـه وهكذا . وهذا المعنى الشكلى جـزء لا يتجـزء من التركيب اللفـظى[2] . ويصدق التحليل نفسه بالنسبة للعبارات المنطقية والرياضية ، لان الرموز ترتبط فيما بينها بعلاقات مكونة بذلك تراكيب منطقية لها معنى شكلى ، بحيث نستطيع ان نفهم هذه التراكيب دونما حاجة الى الاشياء . اما بالنسبة للمعنى الذهنى ، فان الاقوال تثير معنى فى الذهن وهى ترتبط بتراكيب لغة التداول كما ان بين التركيب والمعنى الذهنى علاقة متبادلة[3] .

١٦ ـ وتكون الرموز أو العلامات اللغوية اشـارات لاشـياء خارجة موجودة فى العالم المادى فاذا قلنا « كرسى » مثلاً فاننا نقصد كذلك شيئا يطلق عليه ومن اجله وضع هذا الاسم . فالدلالة اذن هى الشىء أو الاشياء التى يشير اليه اللفظ . وليس من الضرورى ان يكون لـكل رمز دلالة أو شىء يشير اليه ، لان بعض العبارات ماله معنى ولـكنه خالىٍ من الدلالة مثال ذلك قولنا « ڤينوس » .

والعامل الثالث فى اللغة والذى له أهمية خاصة فى دراسة معانى اللغة أو العبارات من الوجهة البراجماطيقية هو الفرد • وعلى هذا الاساس اذا اردنا ان نعرف عبارة فى دائرة البراجماطيقة فمن الضرورى ان نأخذ الفرد

---

(1) Jespersen' O., The Philosophy of Grammar p: 55.

(2) Khalil, Y., Prinzipien Zur strukturellen sprachanalyse p: 38.

(3) Ullmann, S., The Principles of semantics p: 70.

أو الوضعية النفسية والاجتماعية بنظر الاعتبار[1] .

١٧ ـ والآن لنعود الى تعريف التعريف لدراسة خطوطه الاساسية تبعاً للطريقة والمادة والغاية مع الاخذ بنظر الاعتبار بما سلف من تحليل للغة .

نقصد بالطريقة في هذا المجال المنهج الذي يستخدمه التعريف في تعريف الافكار ، وترتبط الطريقة بمادة البحث كذلك ، فاذا كنا فى بحث موضوع فى المنطق ، فمن الضرورى ان يتبع التعريف الطريقة الرمزية . اما اذا كنا بصدد بحث موضوع من الاجتماع أو الفلسفة ، فمن الضرورى ان نتبع الطريقة الوصفية أو التحليلية أو النقدية . ولكننا لو دققنا النظر في هذه الطرق المختلفة فاننا نحصل على نتيجة هامة هى ان التعريف فى الطريقة الرمزية يهتم بارتباطات الرموز فيما بينها بحيث يحدد هذا الارتباط معنى الرمز الذى نريد تعريفه . اما اذا استخدم التعريف الطريقة التجريبية ، فمن الضرورى ان يهتم بالرموز وما تشير اليه من معان أو اشياء . وقد نلجأ بعض الاحيان الى وضع نظام فكرى مؤلف من تعاريف وغايتنا فى ذلك اما التحليل أو النقد . ومن هذا العرض يظهر لنا ان للطريقة والمادة والغاية أهمية فى تحديد طبيعة التعريف . فالتعريف الذى نستخدمه فى الرياضيات والمنطق مثلاً يختلف عنه فى السياسة والاجتماع والفلسفة ، كما يختلف كذلك عن كليهما فى حالة وضع التعريفات فى الفيزياء والكيمياء .

وثمة ملاحظة هامة فى هذا الصدد لها علاقة بطبيعة التعريف هى ان التعريف يمكن ان يكون قضية تدخل في بناء الهيكل العام للعلم الذي نحن بصدده

---

(١) سنحاول في هذه المقالة ان نستعين بالسنتاكس والسيمانطيقة والبراجماطيقة لدراسة التعريف تبعا لها ، وسنحاول جهد الامكان ان نحدد دور التعريف وشكله تبعا لهذه الفروع من المعرفة ، لان التعريف في السنتاكس يختلف عنه في السيمانطيقة أو في البراجماطيقة ورغم ذلك فاننا سنقدم تعريفا عاما للتعريف عند بحثنا للمعرفة والتعريف .

أو ان يكون التعريف مجرد توضيح لمعنى الرمز دونما حاجة ان يكون جزءً من النظام أو الهيكل العلمي للنظرية . ومن الامثلة على مثل هذه التعريفات تلك التي يذكرها اقليدس بصدد النقطة والسطح والمستقيم مثلاً .

(ح) أهمية التعريف :

١٨ ـ لا يمكن الاستغناء عن التعريف سواء فى الحياة اليومية او فى العلم ، لانه يمثل جانباً هاماً من فعاليات الانسان الفكرية فى تحديد معانى العبارات التى تبدو مبهمة غير واضحة بالنسبة لافراد آخرين . فالمدرس فى الابتدائية يعرف العبارات بطرق مختلفة لكي يستطيع الاطفال فهمها وادراك معانيها ، فنراه يستعمل مرة الاشارة الى الاشياء ويقول « هذا كرسى » فى حالة سوآل الطالب عن معنى « كرسى » ، ويعمل على تجسيد معنى الكلمة بالرسوم التوضيحية مرة أخرى . وقد يلجأ الى اعطاء معنى العبارة أو الكلمة بمعنى عبارة أخرى سبق للطفل ان تعلم معناها . ويلجأ الناس فى الحياة اليومية الى تحديد معانى ما يقولون فى حالة عدم معرفة الآخرين لمعنى العبارة ، فنقوم باعطاء امثلة أو نصف الشىء الذى تشير اليه العبارة ، وغايتنا من كل ذلك هو ان نحدد المعنى للعبارة لكى تصبح مفهومة . وسنجد فى بحثنا فى المعرفة والتعريف ان العبارات اللغوية لا تكن مفهومة الا بالاستعانة بالتعريف ، لان فهم معنى الكلمة معناه اننا حددناها وعرفناها .

١٩ ـ واذا كنا بصدد قطعة ادبية شعرية او نثرية وصادفتنا عبارة لا نعرف معناها ، فاننا نستعين فى هذه الحالة بالقاموس مثلاً لنستطيع فهم معناها . ولا نجد فى القاموس الا مترادفات أو عبارات تتألف من أكثر من كلمة واحدة لتحديد معنى العبارة التى نريد ان نفهمها . ويشترط فى العبارة المرادفة أو العبارات ان تكون معروفة المعنى أولا والا فمن الضروري ان نبحث عن معنى العبارات التى استخدمناها فى التعريف . فالقواميس تقدم لنا معونة علمية فى تحديد معانى العبارات ، ويتميز التعريف القاموسى عن غيره من التعريفات بانه يعطى المعنى الذي يتداوله أو تعارف عليه الناس

وهو بهذا الاسلوب يكون بين طريقتين :ـ

أ ـ فهو اما ان يتبع الطريقة التأريخية فيعطي تطور معنى الـكلمة في عصور تاريخية متطورة .

ب ـ او ان يقتصر على ذكر معنى الـكلمة فى عصر تاريخى معين أو الاستعمال الشائع بين الناس فى الحاضر .

وسواء كانت الطريقة تاريخية أم ما يتفق عليه الناس فالامر سواء لان جوهر التعريف القاموسي يكمن في انه يدرس معنى الـكلمة في وضعية او وضعيات اجتماعية مختلفة ، كما ان مرادف الـكلمة يكون فى وضعية او وضعيات اجتماعية مختلفة . وسنجد فيما بعد ان هذا النوع من التعريف براجماطيقى ويختلف فى جوهره عن التعريف الشكلى أو السيمانطيقى .

٢٠ ـ وللتعريف أهمية كبيرة فى العلوم سواء فى الرياضية أم التجريبية أم الانسانية ، لان كل علم يحتاج الى افكار هى من صلب مادة بحثه ، ولا يمكن ان نفهم أفكار العلم الا اذا تحددت معانيها بالتعريف • وفي الفلسفة التى تفتقر فى ابحاثها الى التعريف العلمى لافكارها نجد كنتيجة لهذا الافتقار انها تتخبط في فوضى فكرية ، فكل فيلسوف يتكلم عن أفكار ويستعمل نفس العبارات التى يستخدمها فيلسوف آخر ، بالرغم من انهما لا يتفقان على المعنى الذى ترمز له العبارات الفلسفية .

ولـكن الفلسفة فى رأينا تختلف عن طبيعة العلوم ، لذا فيجب ان يكون لها طريقة خاصة لانجاز بعض الاعمال العلمية التى تفيد العلم والفلسفة على حد سواء . كما ان هدف الفلسفة هو التوضيح المنطقى للافكار وان العمل الفلسفى يحتوى جوهرياً على توضيحات[1] . وتوضيح الافكار لا يتم فى الحقيقة الا بالتعريفات وتحديد المعانى . فمهمة الفلسفة وغايتها اذن التعريف والتوضيح . ونحن نتناول فى الفلسفة القضايا التى نعملها فى العلم والحياة اليومية ونحاول ان نعرضها فى نظام منطقى بحدود

---

(1) Wittgenstein' L., Tractatus Logico - philosophicus. 4.112.

أولية وتعريفات وهكذا • والفلسفة جوهرياً هي نظام تعريفات[١] • يتضح الان ان الفلسفة بحد ذاتها فعالية او طريقة منطقية فى التعريف ، وان العمل الفلسفى عبارة عن تعريف وتوضيح الحدود الغامضة فى العلوم المختلفة والحياة اليومية .

٢١ ـ وللتعريف أهمية كبيرة كذلك فى العلوم الرياضية والتجريبية . فمن وجهة نظر مناهج البحث نجد من الضرورى ان نعرف الافكار الداخلة في النظام المنطقي أو الرياضي • والطريقة الاستدلالية بحد ذاتها تعتمد على التعريفات للافكار ومقدار اهميتها بالنسبة للبرهان ، لان التعريفات تعمل على توضيح معنى جميع الحدود التي يراد تعريفها[٢] •

ويجب ان نبين هنا ان الانظمة الاستدلالية يمكن ان تكون :ـ

١ ـ مؤلفة من بديهيات مع تعريفات خاصة ببعض الحدود .

٢ ـ مؤلفة جميعاً من معرفات[٣] •

والفرق بين هذه الانظمة ليس كبيراً لان هذه الانظمة استدلالية فى طبيعتها ، كما ان التعريفات تقوم مقام البديهيات ، كما نجد بعض المناطقة ومنهم كارناب من يتخذ بعض التعريفات بديهيات ، فلقد عمل كارناب على بناء لغتين منطقتين ، فذكر بعض الحدود في اللغة الاولى ، ولكنه اتخذ هذه التعريفات بديهيات في اللغة الثانية[٤] • وهذا التصرف يدلنا على حقيقة منطقية هامة هى ان التعريفات عبارة عن قوانين تساعدنا فى البرهان وفى تحويل القضايا الى قضايا اخرى .

وتستعين العلوم التجريبية كالفيزياء بتعريف الحدود التى تخص مادة بحثها كالكتلة والطاقة والتسارع أو الحركة . وان اختلف جوهر التعريف فى الفيزياء عنه فى الرياضيات والمنطق فلأن الفيزياء تعتمد على حقائق تجريبية يجب ان تأخذها بنظر الاعتبار عند التعريف .

---

(1) Ramsey, F. P., The Foundations of mathematics 263.

(2) Tarski, A., Introduction to logic p. 132.

(3) Khalil, Y., Prinzipien Zur structurellen Sprachanalyse p: 18.

(4) Carnap, R., The Logical Syntax of Language p: 32,91.

٢ ـ المعـــرفة والتعـــريف

تمهيـــد :

٢٢ ـ لا نستطيع فصل التعريف عن المادة أو الافـكار التى نريـد تعريفها ، واذا كانت المادة بهـذه الاهمية فمـن الضروري ان نبين أولاً نظرتنا الى المعرفة البشرية بصورة عامة لـكى نستطيع بعد ذلك ان نحدد موقفنا من التعريف ونحدد مفهومه تبعاً للنظرية التى سوف نتبناها فـى المعرفة . ولـكننا سوف لا نبين من نظرية المعرفة الا الخطوط الرئيسية التى تساعدنا فى وضع تعريف التعريف بصيغته النهائية . ونظريتنا فى المعرفـة تتبع نفس البرنامج العلمي الذي بدأت بـه وقدمت منـه بالعربية « منطق اللغة » والذى يصنف المعرفة الى ثلاثة صنوف رئيسة هى :

١ ـ المعرفة الشكلية أو الصورية .

٢ ـ المعرفة السيمانطيقية .

٣ ـ المعرفة البراجماطيقية .

والعلم فى الحقيقة لا يخرج عن ان يكون واحدة من هذه المعرفة أو أكثر . فالمعرفة الرياضية مثلاً شكلية والمعرفة الفيزياوية شكلية وسيمانطيقية وعلم اللغة في دراسته للمعاني براجماطيقي المعرفة • وفي هذه المقالة سندرس خصائص هذه المعرفة وعلاقتها بالتعريف .

(أ) المعرفة الحسية والتعريف :

٢٣ ـ لا اريد ان اتخذ هنا موقفاً فلسفياً معيناً ازاء المشكلات التـى تعترض الفلاسفة وتفسيراتهم لطبيعة العالم الخارجى والمعرفة البشرية ، لانني اعتقد ان العلم وحده كفيل بان يعطينا صورة علمية واضحة للعالم الخارجي وصلته بالفكر البشري • لذا أجـد نفسي مضطراً ان اجـانب العلم دون الفلسفة فى نظرته للعالم المادى . اما اذا اردنا ان نتخذ موقفـاً فلسفياً معيناً فمن الضرورى ان نبدأ بدراسة العالم الخارجى كمـا يبدأ

العلم ، حيث يستقي معرفته الاولى الاوى من مشاهدة الأشياء وتصنيفها فى معرفة علمية منظمة ، بعد ان يكشف العلاقات التى تربط الاشياء . وهـذا يعنى احد أمرين :ـ

أ ـ اما ان تصبح الفلسفة علماً ، باعتبارها تسير مع العلم جنباً الى جنب فى كشف حقائق العالم المادى .

ب ـ او ان تجد الفلسفة لنفسها طريقاً جديداً وحقلاً حديثاً لـكى تثبت جدارتها بانها لا تزال تخدم العلم ، ويمكن ان تصبح علماً كغيرها من العلوم دونما حاجة الى ان تختفى بين جوانب العلم ولا يعـــد لها كيان ثابت

اما انا فاعتقد ان امام الفلسفة حقولا جديدة وطريقة تبدأ بها لكشف الحقائق المهمة فى هذه الحقول . ولقد استطاعت الفلسفة فعلاً فى القرن العشرين ان تجد لنفسها طريقاً وحقولاً كثيرة . اما الطريقة فهى التحلبل المنطقي واما الحقول فهي لغات العلوم المختلفة ، واما الغاية فهي توحيـد هذه العلوم فى معرفة علمية متجانسة .

والتعريف بحد ذاته عبارة عن طريقة فى التحليل المنطقي للعلوم ، لذا فمن الضروري ان نبين صلة التعريف بالمعرفة البشرية ، باعتبار هذه المعرفة تمثل القاعدة الاساسية في الفهم الانساني .

٢٤ ـ ولا يمكننا التعبير عن الفـكر الانسانى الا بوسيلة التعبير الرمزى او اللغة التى تساعدنا على نقل الافكار الى الاشخاص الآخرين ، لان بين الفكر واللغة تلازم . فاللغة اذن تعبير رمزي وفكري في آن واحد . واذا أردنا ان نعرف طبيعـة التعبير الرمزي والفكري للغة يجدر بنـا ان نبدأ بدراسة طبيعة الافكار وعلاقتها بالرموز ، لان ذلك سيكون لنا بمثابة طريق تحليلي للـكشف عن صلة اللغة بالافكار أو بالاشياء ، كما يكشف لنا بعض المغالطات الفلسفية المعروفة فى اللغة .

٢٥ ـ واول المشكلات او المسائل التي يجب ان نبحثها في المعرفة هي كيفية تكوين الافكار وعلاقتها بالرموز .

نحصل على المعرفة عن طريقة الحواس اولاً ، فنبدأ بالاتصال بالاشياء مباشرة . فاذا نظرنا الى منضدة موضوعة في غرفة ، فاننا نشاهد هذه المنضدة ، وتتحكم في هذه المشاهدة عوامل خارجية وداخلية هي :ـ

١) العوامل الخارجية .

أ ـ موضع المنضدة من الغرفة

ب ـ موضع المنضدة من النور الساقط

حـ ـ موضع المشاهد من المنضدة

د ـ وقت المشاهدة أو زمنها .

٢) العوامل الداخلية :ـ

أ ـ قوة الادراك الحسي للمشاهد

ب ـ معرفة المشاهد أو عدم معرفته للمنضدة

حـ ـ الانطباعات الآنية التي تتركها المشاهدة .

ولما كانت نظرية المعرفة موضوعاً مستقلاً ولا يمكن مناقشة مبادئها في هذه المقالة ، فاننا نترك هذه العوامل دون تفصيل ونكتفي بذكرها فقط . ولكننا من هذه العوامل نستنتج ما يأتي :ـ

ان الاشياء تختلف تبعاً لموضعها من الاشياء الاخرى والمشاهد كما يتحكم الزمن فيها كذلك . كما انها تبدو مختلفة كذلك بالنسبة للعوامل الداخلية للمشاهد . وهذا يعني ان الشيء لا يمكن ان يظهر نفسه في زمانين مختلفين واوضاع مختلفة ، لان الشيء يبقى نفسه أو هو نفس شيء آخر في حالة واحدة اذا كانت جميع الصفات التي تنتمي للاول تنتمي كذلك

للثاني ، وهذا هو ما يعبر عنه قانون الذاتية المطلقة .

وبعبارة أخرى : ان بين أ و ب علاقة ذاتية اذا كانت جميع الصفات المتوفرة فى أ متوفرة كذلك فى ب . ولما كان ذلك مستحيلاً فـى عالم المشاهدة ، فاننا نخرج بنتيجة أخرى هى ان العالم الخارجي مؤلف من مفردات أو فرديات Particulars فقط بينها علاقات .

٢٦ ـ ولـكن الاشياء تتشابه فى بعض الخصائص ، فاذا شـاهدت كرسياً فى مقهى وآخر فى سينما فانك تدرك ان بين الشيئين علاقة ، لذا فانك تطلق عليهما لفظة واحدة هى « كرسى » . فالاشياء تختلف ويكون هذا الاختلاف مطلقاً اذا لم توجد هناك صفة واحدة تشترك بين الاشياء .

وبعبارة أخرى : تختلف أ عن ب مطلقاً اذا كانت كل الصفات التي تتوفر في أ لا تتوفر في ب .

٢٧ ـ ولـكننا فى دراستنا للاشياء فى العالم الخارجي لا نستطيع ان نأخذ بالذاتية المطلقة والاختلاف المطلق . لذا فمن الضروري ان نأخـذ بالذاتية النسبية وبالاختلاف النسبي ، لان مثل هذه المعايير تجد نطرائقها تطبيقاً فى العالم الخارجي .

ويمكننا وضع تعريف الذاتية النسبية كما يأتى : ان بين أ و ب علاقة ذاتية نسبية اذا كانت بعض الصفات المتوفرة فى أ متوفرة كذلك فى ب .

اما الاختلاف النسبي فيمكن تعريفه كما يأتي :ـ

ان بين أ و ب اختلاف نسبي اذا كانت بعض الصفات المتوفرة في أ غير متوفرة في ب .

ان هذا التحليل المنطقى يعزز رأينا بان الاشياء فى العالم الخارجى تختلف عن بعضها البعض وتتشابه فى بعض الاحيان .

وينطبق هـذا التحليل نفسه على الاشياء الذاتية عنـد الافراد ، فاذا احس احد الافراد بالم فى ضرسه فان هذا الالم يختلف تبعاً لعوامل عديدة

عن الم الضرس عند شخص آخر . فالاشياء سواء كانت موضوعية أو ذاتية عبارة عن مفردات فقط .

٢٨ ـ والمسألة الفلسفية التي نحن بصددها الآن هي ان الرموز اللغوية (الـكلمات مثلاً) تشير الى هذه الاشياء أو تدل عليها . ورب شخص يعترض فيقول ان الـكلمات لا تشير الى شيء واحد فقط ، بل انها تدل على اشياء كثيرة لها صفات متشابهة ، فكلمة « منضدة » مثلاً تدل على كثير من الاشياء لها صفات متشابهة نطلق عليها هذا اللفظ . واللغة وان اختلفت الاشياء وهي مفردات لا تستطيع ان تضع لـكل شيء كلمة خاصة به ، كما ان التربية تلعب دوراً كبيراً في استخدام العبارات لتدل على أكثر من شيء واحد . فالطفل الذى يبدأ بتعلم اللغة يسأل والديه واقربائه عن معنى العبارات التى يتفوه بها الناس ، فيلجأ من حوله الى تعريفه بالمعنى وذلك بالاشارة الى الشيء مع القول « هذا كرسى مثلاً أو هذه منضدة » .

وهذا هو التعـريف بالاشـــارة . ولـكننا اذا اعتبرنا التعريف على المستوى اللغوى مثلا ، فاننا لا نستطيع بطبيعة الحال ان نعد هذه الطريقـة المباشرة بالاشارة تعريفاً وذلك لسبب بسيط ، لان اشارة اليد أو اية اشارة يستعملها الفرد الى الشيء لا يمكن التعبير عنها بلغة . ورغم ذلك فان هذه الطريقة ضرورية لتعلم معاني او دلالات العبارات ، وهي تسعى كغيرهـــا من طرق التعريف الى تحديد معنى العبارة .

٢٩ ـ ولـكننا لانتعلم معانى جميع العبارات اللغوية بطريقة المعرفـة المباشرة بل نلجأ في كثير من الاحيان الى طريقة المعرفة بالوصف[١] . فالحوادث التأريخية التى لم نشهدها فى ايامنا لا نعرفها مباشرة بل عن طريق الحكاية او القراءة فى الـكتب التى تحدد الحادثة ببعض خصائصهـــا المميزة من اشخاص وزمن ومكان . بهذه الطريقة نسعى الى معرفة كثير من الاشياء

---

(١) يميز برتراند رسل في كتابه The Problems of philosophy بين نوعين من المعرفة : المعرفة المباشرة والمعرفة بالوصف ص ٤٦ ـ ٥٩ .

أو الشخصيات التاريخية . وسواء كانت طريقة التعريف بالاشــــارة أم بالوصف فان هناك نتيجة منطقية هامة هى اننا نتعلم معانى العبارات ودلالاتها بالتعريف ، وذلك بتحديد المعنى اما مباشرة أو وصفاً . والمعرفة الوصفية تخضع الى المعرفة المباشرة ، لان المعرفة الوصفية اصبحت كذلك بعد ان كانت معرفة مباشرة .

(ب) المعرفة المنطقية والتعريف :

٣٠ ـ نحن الآن بصدد معرفة تختلف من ناحية طبيعتها عن المعرفة التجريبية والعقلية ، هذه المعرفة هى المعرفة المنطقية التى تتميز بان لها افكاراً خاصة ، واعتقد ان ليس من الممكن تصنيف المعرفة المنطقية تحت المعرفة التجريبية أو المعرفة العقلية . ولـكى نبين هذه الحقيقة يجدر بنا ان نأخذ مثلاً بسيطاً هو الفئة Class ، فاننا ندرك حسياً اشياء مختلفة ومتشابهة ولـكننا لا نستطيع ادراك الفئات حسياً ، لان الفئة تتميز بكونها مجموعة اشياء نهائية أو لا نهائية لها صفة أو صفات عامة مشتركة ولا يوجد فـى الطبيعة تصنيف من هذا القبيل ، كما لا يمـكن اعتبار الفئة عقلية لسبب بسيط هو ان الاشياء والصفات التى تعين الفئة موضوعية . فالفئة اذن ليست فكرة عقلية أو تجريبية ولـكنها منطقية ، لاننا نقوم بتركيب الفئة منطقياً، وهذا يعنى ان الفئة تركيب منطقى Logical Construction **لا غير .**

٣١ ـ والسوأل عن طبيعة الاشياء التى يستعملها المنطق يقودنا كذلك الى السوأل عن طبيعة الرياضيات ، لان الرياضيات البحتة تعتمد على المنطق سواء فى الاستدلال أو فى اصولها . وفى هذا المجال وبصدد المعرفة المنطقية نجد امامنا عدة مدارس منطقية مختلفة تبحث عن طبيعة المنطق والرياضيات ، ومن أهم هذه المدارس هى :ـ

١ ـ المدرسة المنطقية بقيادة برتراندرسل B. Russell

٢ ـ المدرسة الحدسية بقيادة برور J. Brouwer

٣ ـ المدرسة الشكلية بقيادة هلبرت **D. Hilbert**

٤ ـ المدرسة الافلاطونية بقيادة شولتز H. Scholz

تحاول المدرسة المنطقية اخضاع الرياضيات البحتة الى المنطق ، وهذا يعني ان طبيعة الرياضيات مشتقة من طبيعة المنطق ، ويتخذ رسل في برنامجه المنطقي وجهة نظر الفلسفة الواقعية التي تبحث عن طبيعة الاشياء فيما اذا كانت موجودة ومستقلة عن معرفتنا لها . ولقد قادت وجهة النظر هذه الى مشكلة منطقية الخاصة باللانهاية ، وذلك هل اللامتناهي موجود أم لا ، كما ان رسل قدم بعض البديهيات التي تعتمد على الوجود مثال ذلك بديهية التعدد[١] . ولكن برنامج برور يختلف عن برنامج رسل المنطقي ، حيث يعتبر هذا المنطقي الافكار الرياضية مجرد تراكيب عقلية رياضية ، دون ان يبحث عن وجود الاشياء المركبة[٢] .

اما المدرسة الشكلية فانها تعتبر الرياضيات مجرد انظمة مؤلفة من رموز ليس لهـا معنى ، ولكن هذه الرموز تترابط بعلاقات فتكون بذلك قضايا الانظمة المنطقية أو الرياضية ، وبهذه الطريقة فقط تحصل الرموز على معاني شكلية في التركيب الموجودة فيه[٣] .

اما المدرسة الافلاطونية فانها تفترض وجود الاشياء الرياضية وكذلك جميع محاولات الرياضة كالافكار الافلاطونية ، وهذا يعني ان ممثلي هذه المدرسة يتكلمون عن الاشياء الرياضية كما يتكلم فلاسفة المثالية عن اشياء لها وجود افلاطوني[٤] .

٣٢ ـ ولا اريد ان اناقش افكار هذه المدرسة فلسفياً أو منطقياً لان مثل هذا العمل خارج عن نطاق بحث هذه المقالة ، ولـكنني اود ان اذكر هنا ان الافكار الرياضية ما هي الا تراكيب منطقية يستحدثها عالم الرياضيات ولا حاجة ان تكون موجودة وجود الاشـياء في العـالم الخـارجي ، لان

---

(1) Weinb ery J. R., An examination of Logical Positivism p. 21.

(2) Heyting, A., Intuitionism p. 1.

(3) Black, M., The nature of mathematics p. 147.

(4) Scholz, H., & Hasenjaeger., Grundzüge der mathematischen Logik. p: 1.

الرياضيات مستقلة عن وجودنا وعن العالم اجمع[1] ، كما انه ليس من الضروري ان نسأل عن معنى الانظمة الشكلية ، لان الرياضيات تعتبر بعض الصفات اساسية للاشياء التي تستخدمها ، بينما تعتبر صفات أخرى غير ضرورية . ومن هذه الاسئلة غير الضرورية تلك التي تبحث في وجودية النظام الشكلي[2] .

٣٣ ـ ومن الجدير بالذكر هنا ان التعريفات كغيرها من العمليات المنطقية أو الرياضية تختلف من حيث الطبيعة تبعاً للفلسفة المقترنة بالمدرسة . ولكننا تبعاً للتفسير الذي قدمناه مضافاً اليه ما نستنتجه من مواقف المدارس المنطقية تجاه التعريف . نستطيع ان نجمل بعض الخصائص المهمة في التعريف :ـ

١ ـ ان التعريف في الانظمة المنطقية أو الرياضية صيغة شكلية تعبر عن معنى الحد الذي نريد تعريفه .

٢ ـ يدخل التعريف في الاستدلال ، بحيث يمكن اعتباره قانوناً منطقياً .

٣ ـ يتحدد تعريف الحد بالارتباطات الشكلية القائمة بين الرموز ، وهذا يعني ان شكل الارتباطات ومواضع الحدود يعين معنى الحد الذي نحن بصدد تعريفه .

(حـ) المعرفة الفلسفية والتعريف :

٣٤ ـ ليست هناك في رأيي معرفة فلسفية معينة يمكن للمنطقي ان يتحدث عنها بشكل مضبوط واعتبارها معرفة على نحو المعرفة الرياضية أو الطبيعية . واقصد بالمعرفة الفلسفية الآن النظريات الفلسفية والمواقف التي يتخذها الفلاسفة تجاه العالم المادي وعالم النفس ، ولهذا السبب نجد

(1) Russell, B., Mysticism and Logic p: 70.

(2) Curry, H. B., Outlines of a formalist Philosophy of ma thematics, p: 31.

مدارس فلسفية مختلفة ولكل منها معرفة معينة ومحددة بالنسبة للاشياء . ومن المعروف فى الفلسفة بعض المدارس المختلفة المهمة التى يمكن تصنيفها تبعاً للغة وتبعاً للواقع سواء كان هذا الواقع مادى أو مثالى :ـ

١ ـ المدارس التى تهتم بالحقيقة والواقع والتى تفضل هذه الطريقة فى المعرفة .

٢ ـ المدارس التى تهتم باللغة والتى تفضل هذه الطريقة ، باعتبارها المنهج المفضل لمعرفة العالم الخارجى ، فهى تنظر من اللغة الى العالم .

تهتم المذاهب الميتافيزيقية بالعالم الطبيعي ، ولكنها لا تقره كحقيقة ثابتة ، بل انها تسعى الى تأليف عالم حدسي خارج عن نطاق العالم الطبيعى ، وتقر الميتافيزيقا مثل هذا العالم على أساس انه يمثل الحقيقة والواقع الكلى . تتميز هذه المذاهب انها تبحث عن الاشياء وتصور هذه الاشياء سواء كانت موجودة أم وهمية بلغة .

اما المذاهب التجريبية فانها تهتم بالعالم الخارجى وتدرس خواصها وتنكر وجود عالم غير العالم المادى . والعلوم الفيزياوية أو الطبيعية تتفق مع وجهة النظر الفلسفية التجريبية ، وهذا يعنى ان الفلسفة التجريبية جزء من العلم الطبيعي وتعتمد عليه . وتتفق الميتافيزيقا مع المذاهب التجريبية في كونها تدرس العالم الخارجى او الواقع [سواء كان مادياً أم مثالياً] وتنقل هذه النظرة الى اللغة لتعبر عنها . والمعرفة الميتافيزيقية لا تعبر عن شيء يمكن التحقق منه بالتجربة أو بالبرهان الرياضي ، لذا فان تعريفات الافكار[1] التى تقدمها ليست مقيدة بمعيار ، كما لا يمكن ان نناقش صدقها أو كذبها . وهذا ما قاد فلاسفة الوضعية للاعتقاد بان أقوال فلاسفة الميتافيزيقا خالية من

---

(١) من الانظمة الفلسفية التي تستخدم التعريف للاشياء الميتافيزيقية وتتخذ المنهج الهندسي أو الرياضي في البرهنة على القضايا الميتافيزيقية نظام سبينوزا في بحثه Ethica .

المعنى [هراء][1] .

٣٥ ـ ومن جراء هذا الموقف الفلسفي من العبارات الميتافيزيقية اتجه فلاسفة الوضعية الى اللغة لدراسة المعاني التي ترتبط بعباراتها ، وأصبحت الفلسفة تبعاً لهذا الاتجاه مجرد تحليل منطقى للغة . وهذا الموقف الذى يتخذ اللغة موضوع البحث ثم يتجه لمعرفة الاشياء هو السائد فى فلسفة القرن العشرين . والمدارس الاسمية (Nominalism) تهتم بالذات باللغة وما تنطوي عليه الاسماء من معان . واذا استخدمنا بعض العبارات اللغوية التى تدل على معانى كلية ، فهذا لا يعنى اننا نأخذ بالمذهب الافلاطونى ، وذلك لاننا لا زلنا تتكلم عن الاشياء باسماء . كما ان المدارس الاسمية لا تقبل المعانى الكلية على أساس انها موجودة كالاشياء الفردية . ولكن من المعروف فى التحليل المنطقى ان نفي الافكار أو العبارات الميتافيزيقية هو بحد ذاته ميتافيزيقا كذلك[2] . لذلك من الضروري ان تبدأ الدراسة المنطقية من مبادىء هي اما تجريبية أو منطقية ، كما انه ليس من الضرورى ان يتخذ الفيلسوف موقفاً واحداً مثل الاسمية أو الواقعية ، ويصدق هذا الشيء كذلك في الدراسات الفزياوية حيث لا نجد ضرورة من اتخاذ موقف الاسمية في التعريف[3] .

وترتبط هذه الاعتبارات الفلسفية بالاتجاهات العلمية فى المنطق والرياضيات ، فيحاول بعض المناطقة امثال كواين ان يبنى منطقة تبعاً للبرنامج الاسمى . اما موقفنا من هذا الاتجاه الفلسفى أو غيره فهو ان لكل فيلسوف أو منطقى فلسفته ومنهجه ، ولكننا نفضل ان تكون الفلسفة والمنهج علمية بعيدة عن الميتافيزيقا .

٣٦ ـ ويتصل التعريف بصورة مباشرة بالاتجاهات الفلسفية المختلفة ، فيكون التعريف فى الانظمة الميتافيزيقية يهتم بالاشياء أو بالصفات الجوهرية للاشياء ، لان تعريف الشيء لا يتم الا بصفاته الجوهرية . ولكن التعريف

---

(1) Ayer, A. J., Language, Truth and Logic p: 41.

(2) Pap, A., Elements of analytic Philosophy p: 87.

(3) Ramsey, F. P., Foundations of mathematics p: 264.

يظهر مختلفاً عند فلاسفة الاسمية حيث تتحدد العبارة أو الحد الذى نريد تعريفه بعبارة لغوية ، بحيث يكون لهذه العبارات القدرة على تحديد معنى الحد اثناء الاستعمال . والى جانب هذا التمييز نرى بعض فلاسفة الوضعية امثال اير Ayer انهم يميزون بين نوعين من التعريفات هما[1] :ـ

١) التعريف الايضاحى explicit definition

٢) التعريف فى الاستعمال definition in use

يعتمد التعريف الايضاحى على المرادفة والتعويض ، ويرى اير ان تعريف ارسطو للشيء بجنسه وخاصته مثال على هذا النوع من التعريف ، وفى اعتقاده ان الفلاسفة لا يهتمون بالتعريف الايضاحى ، ولـكنهم يأخذون بالتعريف فى الاستعمال الذى يختلف عن الاول باعتباره يعتمد على الترجمة .

ولـكننى لا اتفق مع اير فى هذا التصنيف ، خاصة اذا اقترن الاول بالمرادفة والثانى بالترجمة ، لان الترجمة فى الحقيقة فى مستواها اللغوى تعتمد على المرادفة فى المعنى ، كما لا اتفق فى اعتبار التعريف الارسوطاليسي من النوع الاول ، لان التعريف عند ارسطو شيء ، بينما يكون التعريف الايضاحى معتمداً على اللغة والمرادفة فى المعنى ، وذلك عند تعريف رمز برمز آخر يرادفه فى المعنى . اما النظرية التى اعتنقها فى هذه المقالة فسوف اطور خطوطها الاساسية من جميع نواحيها فى المناقشات القادمة .

٣ ـ قواعد لغوية ومنطقية في التعريف

تمهيـــد :

٣٧ ـ اعتادت كتب المنطق والفلسفة ان تذكر الشروط العامة فى التعريف دون ان تحدد موقفها بمبادىء لغوية أو منطقية عامة تكون قاعدة لهذه الشروط ، واقصد بالمبادىء اللغوية أو المنطقية العامة تلك القواعد

(1) Ayer, A. J., Language, Truth and Logic p: 59.

التي يجب ان تتوفر في كل لغة مهما اختلف تركيبها وسواء كانت هذه اللغة علمية أم طبيعية . وهذا يعني اننا نميز بين نظريتين متكاملتين في التعريف هما :ـ

١) نظرية التعريف العامة

٢) نظرية التعريف الخاصة

تتميز النظرية الاولى بانها ذات شروط يجب ان تتوفر في نظريات التعريف الخاصة بينما ليس من الضروري ان تتوفر شروط التعريف الخاصة في شروط التعريف العامة . وبعبارة أخرى ان شروط التعريف الخاصة تتصل بوجهة نظر وتختلف من ناحية موضوع التعريف وطريقته وهدفه . وغايتنا في هذا الفصل هو ان نعطي الشروط العامة في التعريف ، ونأخذ كمثال للمناقشة نظرية ارسطو ثم نحاول تخطيط نظريتنا العامة .

(أ) نظرية ارسطو في التعريف :

٣٨ ـ يتضمن كتاب المواضيع (Topica) لارسطو نظريته في التعريف والمحمولات أو الكليات التي لها صلة وثيقة بالتعريف . وعليه اذا اردنا الآن ان نستعرض نظرية التعريف هذه فالاجدر بنا ان نبدأ بالمحمولات Predicables .

المحمولات اربعة هي : الحد أو التعريف Definition ، والخاصة Property والجنس Genus والعرض Accident ويحدد ارسطو مفاهيم هذه المحمولات كما يلي :ـ

١) الحد : قول يدل على ماهية الشيء[١] .

٢) الخاصة: ما لم يدل على ماهية الشيء وكان موجوداً للامر وحده وراجعاً عليه في الحمل[٢] .

---

(١) منطق ارسطو (الطوبيقا) ص ٤٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٥ .

٣) الجنس : هـو المحمول على كثيرين مختلفين بالنوع من طريق ما هو[1] •

٤) العرض : هو ما لم يوجد واحداً من هذه : لا حداً ، ولا خاصة ولا جنساً ، وهو موجود فى الشىء أو هـو الـذى يمـكن ان يوجـد لواحـد بعينه كائناً ما كـان والا يوجد[2] •

٣٩ ـ واذا اردنا الان ان نشرح هذه التعاريف ، فاننا لابد ان ننظر اليها كما حددها ارسطو دون ان نتبع شرح الشراح الذين جاءوا بعده • فتعريف ارسطو للحد يبين لنا ان تحديد الشىء لا يكون الا بذكر ماهيته أو جوهره ، وعندما نقول بان هناك اشياء متساوية أو متشابهة فاننا بذلك نستخدم التعريف الذى لا يذكر غير ماهية اشىء الملازمة له . اما الخاصة فهى ليست صفة جوهرية ولا تدل على ماهية الشىء ، ولـكنها تنتمى لذلك الشىء وحده ، فذا قلنا بان خاصة الانسان هى قدرته على تعلم القواعد بحيث اذا كان احـد الافراد انسـاناً ، فانه قادر على تعلم القواعـد واذا كان قادراً على تعلم القواعد فهذه خاصة يتصف بها الانسان وحـــده . ولـكى نحلل الآن هذا المثل على الخاصة تبعاً للتعريف فاننا سنجد بالفعل بان هذه الصفة لا تدل على كون الانسان انساناً ، ولكن هذه الصفة موجودة فى الشىء وحده . كما ان قولنا « ان الانسان قادر على تعلم القواعد ، وتعلم القواعد من صفات الانسان يبين لنا القسم الثانى من تعريف الخاصة بان الصفة راجعة على الشىء فى الحمل » اى يمكن قلبها فى الحمل كما يظهر ذلك في المثل المتقدم •

اما الجنس فهو فى الحقيقة محمول او معنى كلي يحمل على عدد من الاشياء تختلف عن بعضها البعض تبعاً للنوع الذى تنتمى اليه . والجنس فى حقيقة امره صفة جوهره تختص بالاشياء وهو يختلف عن الخـاصـة

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧٦ •

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٧ •

والعرض من حيث ان هـذه المحمولات ليست جوهرية ولا تدخـل في التعريف باعتباره يحدد الشيء الذى نريد تعريفه .

اما العرض فهو محمول أو صفة ليست جوهرية ، ولكنها يمكن ان توجد فى الشيء كما ان اختفاءها عن الشيء لا يؤثر على جوهر الشيء أو ماهيته ، لان هذه الصفة ليس لها علاقة ضرورية بماهية الاشياء .

٤٠ ـ نعود الآن الى تعريف التعريف عند ارسطو باعتباره تحديداً لماهية الشيء الذى نريد تعريفه . والمحمولات أو الصفات الضرورية التى تحدد الشيء هي الجنس والفصل . ونقصد بالفصل المعنى الـكلي أو المحمول الذى يميز النوع عن الانواع الاخرى من الاشياء . وهذا يعنى ان التعريف عند ارســـطو يأخذ بالجنس باعتباره محمولاً أو معنى كليا يحمل عـلى اشياء كثيرة ، فهو بذلك فئة كبيرة تضم انواعاً مختلفة من الاشياء . فـاذا اردنا ان نعرف الانسان مثلاً ، فيجب علينا اولاً ان نذكر جنس الانسان فنقول انه حيوان ، أى ان الانسان ينتمى الى فئة حيوان ويحمل الصفات الجوهرية للحيوان ، ولـكى نميز الانسان عن بقية الانواع من الحيوانات ، يجب ان نضيف صفة تخص نوع الانسان دون غيره من الانواع ، وبذلك نستطيع ان نحدد طبيعة الانسان ولا نشرك معه انواعاً أخرى فنقول الانسان حيوان عاقل ، لان صفة العقلانية هى المحمول الواضح الذى يميز الانسان عن بقية الحيوانات .

يتضح من هذا التحليل ان تحديد ماهية الشيء يكون بالجنس والفصل أو الصفة التى تميز الشيء عن الاشياء الاخرى .

٤١ ـ فاذا كان الواجب المنطقى يقتضي ان يتوفر فى التعريف جنس الشيء وفصله ، فمن الضرورى بعد ذلك ان نحدد بعض الاخطـــاء التى يمكن ان تظهر فى التعريف ، لان من البساطة أو السهولة ان نعطى لشيء ما مفهوماً معيناً ، ولـكن يجب فى الوقت نفسه ان نتفـــادى فى التعريف الاشياء التى يمكن ان تدخل فيه والتى هى من الناحية المنطقية ليســـت

الا مفاهيم يحتمل ان تكون خاطئة او غامضة أو عامة بحيث لا يمكن ان تحدد التعريف او تعطى له صورة واضحة . ويمكننا تقسيم مصادر الخطأ الى فئتين :ـ

الفئة الاولى وتضم المصادر التى تخص الاشياء أو المحمولات .

الفئة الثانية وتضم المصادر التى تخص اللغة التى نستخدمها فى التعريف .

يقول ارسطو في الاول : « اما صناعة الحدود فاجزاؤها خمسة : وذلك انه اما الا يصدق القول اصلاً على ما يقال عليه الاسم ، فانه ينبغى ان يكون حد الانسان يصدق على كل انسان ؛ واما ان يكون للشيء جنس موجود فلم يضعه في الجنس ، أو لم يضعه فى الجنس الذى يخصه ، فانه يجب على من يحد ان يجعل الشيء فى جنسه ويضيف اليه الفصول ؛ وذلك انه اولى بالدلالة على جوهر المحدود من كل ما فى الحد . واما الا يكون القول خاصاً بالشيء (فانه ينبغى ان يكون حد الشيء خاصاً به ، كما قلنا أيضاً) واما ان يكون اذا عمل جميع ما وصفنا لم يحد ولم يقل اليه المحدود ما هى والباقى خارج مما وصفنا ان كان قد وجد ولم يصب فى التحديد »[1] .

٤٢ ـ وقد يستخدم الفرد لغة غامضة في التعريف ، بحيث لا نستطيع فهم او تحديد جوهر الشيء وخواصه الاساسية بصورة واضحة . وهنا يكمن مصدر من مصادر المشكلات فى الحد ، لان من شروط التعريف ان يكون واضحاً جداً ، بحيث لا يتطرق اليه الغموض ، كما يجب ان تكون العبارات المستعملة متفق عليها في الدلالة . وقد نقع في الاشكال اذا اضفنا للتعريف صفاتاً عرضية أو زائدة ، فنعرض قيمته المنطقية للفساد ، لان من شروط التعريف ان يكون دقيقاً ، جامعاً ومانعاً . وبعبارة اخرى : ان يكون جامعاً للصفات الجوهرية دون اضافة اشياء عرضية ، ومانعاً اى انه بالتحديد

(١) منطق ارسطو (الطوبيقا) ص ٦٢٤ .

يمنع اشتراك اشياء اخرى فيه . ويمكننا الان اجمال مصادر الخطأ أو الاشكال في التعريف بالنقاط الاتية :ـ

أ) غموض التعريف أو الحد[1] : فاذا كان من شروط التعريف ان يكون واضحاً ، فان علينا ان نراعي ان لا يكون غامض اللغة ، بحيث يحتوى على عبارات تؤدى معانى مختلفة على جهة الاستعارة أو المجاز . وقد نستخدم عبارات غير متفق عليها ، وذلك بان نعرف الشيء باسم بدلالة غير متفق عليها عادة .

ب) اسهاب التعريف أو الحد : وفي ذلك يقول ارسطو « وان كان ذكر في التحديد أكثر مما يجب فينبغي ان ننظر أولا ان كان استعمل شيئاً يوجد لكلها أو بالجملة للموجودات أو الاشياء التى هى والمحدود تحت نوع خاص ، فانه واجب ضرورة ان يكون هذا يقال على أكثر مما قال ذلك . وذلك انه واجب ان يكون الجنس يفصل من الاشياء الآخر ، والفصل يفصل من شيء من الاشياء التى تحت جنس واحد . فان الموجود لجميعها على الاطلاق لا يفصل من شيء فيها ، فاما الموجود لجميع التى هى تحت جنس واحد لا يفصل من التى تحت جنس واحد بعينه . فزيادة ما يجرى هذا المجرى اذن باطلة »[2] . وهذا يعني ان من شروط التعريف ان لا تذكر اشياء زيادة أكثر مما يجب . فالتعريف لا يكون الا بالجنس والفصول ، اما اذا اضفنا اشياء اخرى زيادة ، فان العبارات الاضافية قد تؤدي الى ابطال التعريف .

حـ) نقص التعريف : ان من شروط التعريف منطقياً هو ان لا يكون التعريف لا يحدد ماهية الشيء أو مفهومه الاساسى . لان ذلك

(١) المصدر السابق ص ٦٢٥ .
(٢) منطق ارسطو (الطوبيقا) ص ٦٢٨ .

من شأنه ان يشترك في تعريف الشيء اشياء اخرى تختلف في النوع . وبعبارة أخرى : يجب ان يكون التعريف كاملا لا يحتاج الى تعبيرات أو مفاهيم اخرى .

د) دائرية التعريف : من الاخطاء المنطقية المعروفة هو ان نعرف الشيء بنفسه ، فلا يؤدي غرضه في الايضاح والتفهم . وبعبارة أخرى : ان من شروط التعريف المنطقية ان لا يكون دائرياً بحيث نعرف الشيء بنفسه . فلو عرفنا الانسان بانه انسان ناطق نكون ارتكبنا خطأً منطقياً في التعريف ، لان هذا القول نفسه لا يفهمنا ما هو الانسان لاننا لا زلنا نجهل الشيء الذي نريد تعريفه .

هـ) النفي في التعريف : من الناس من يستخدم عبارة أو اداة النفي لكي يحدد مفهوم احد الاشياء ، ولكن مثل هذا العمل يؤدي الى عدم تحديد مفهوم الشيء . فاذا عرفنا الانسان بانه شيء ليس من الجمادات او ليس بجماد فاننا بذلك لم نعمل شيئاً الا نفي احدى الصفات التي لا يمكن ان تحمل على الانسان . ولا يمكن ان نعتبر التحديد بالنفي تعريفاً منطقياً .

(ب) اللغة والتعريف :

٤٣ ـ يظهر لنا بوضوح في عرضنا لنظرية ارسطو المنطقية الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة ، وبالرغم من ان التعريف الارسطوطاليسي يأخذ بالاشياء ويركز أهميته عليها . فاذا عرفنا الاشياء بماهياتها ، فاننا بطبيعة الحال نحتاج الى التعبير عن الماهيات بلغة مفهومة وواضحة ، بحيث يستطيع السامع ان يفهم ماهية الشيء . وهذا يعني ان التمييز ضروري بين مستويين :ـ

١) المسوى الشيىء الذي يهتم بالاشياء وماهيتها

٢) المستوى اللغوى وهو الذى يهتم بتحديد هذه الماهية لغوياً وهذا

يعنى ان ارسطو ادرك اهمية اللغة فى التعريف ، ولكنه لفرضيات ميتافيزيقية التى تأخذ بنظر الاعتبار الماهية والجوهر ، ركز اهتمامه على ماهية الاشياء فى التعريف دون معانى الاسماء أو الكلمات .

٤٤ ـ وسواء كان التعريف يأخذ بالماهية أو بالاسماء ، فان الثابت فيه هو ان اللغة هى الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الماهية او معانى الاشياء ، لذا فاننا نفضل ان ندرس التعريف ضمن اللغة دون الخروج عنها الا فى حالات التعريف الضرورية . وعلى هذا الاساس نصوغ الان اول المبادىء فى منهج البحث الذى نطرحه فى هذه المقالة وهو :ـ

المبدأ الاول :

من الضرورى ان نستخدم اللغة فى التعريف ، سواء كان المعرف شيئاً له وجود فيزياوى أم سيكولوجى أم لغوى ... الخ .

فاللغة ضرورية فى التعريف فى جميع الحقول العلمية ، ولا نقصد باللغة لغة التداول المستعملة بين أفراد المجتمع ، بل وكذلك اللغات العلمية ، لان لكل لغة خاصة مفاهيم خاصة ، فمن الضرورى ان نعرف هذه المفاهيم أو الرموز ضمن اطار اللغة العلمية لذلك الفرع من المعرفة .

٤٥ ـ فاذا كانت اللغة بهذه الاهمية فى التعريف فمن الضرورى ان نفهم طبيعة اللغة كنظام وتركيب ، وهذا يعنى : انه من الضرورى ان نعرف القواعد الاساسية التى تجعل من اللغة بمفهومها العام لغة وتمنحها هذه الميزة . ولنأخذ على سبيل المثال لغة التداول ولغة الرياضيات ونقارنها لنتعرف على المميزات الاساسية لكل منهما :ـ

لغة التداول	لغة الرياضيات
١) تتألف لغة التداول من اوليات هى الحروف أو الاصوات التى لا يمكن تجزئتها الى حروف اصغر منها . وتكون هذه الحروف الفباء لغة التداول .	١) تتألف لغة الرياضيات والمنطق من رموز اولية ، وتكون هذه الرموز الفباء اللغة ، ولما كانت هذه الرموز اولية ، فهى بسيطة وغير قابلة للتجزئة .
٢) تتكون المقاطع والكلمات من الفباء اللغة أو حروفها أو اصواتها وذلك تبعاً لقواعد صوتية وتركيبية ونحوية معينة ، بحيث لا يسمح بتركيب عبارات أو كلمات لا تمت لتلك اللغة بصلة أو ليس لها معنى بتاتاً .	٢) تتكون الرموز المركبة أو الحدود الجديدة من الرموز **الاولية وذلك تبعاً لقواعد بنائية** rules of Formation **معينة .** وهذه القواعد تسمح لنا بتركيب الحدود المركبة التى تدخل فى بناء التركيب العام للنظام الرياضى أو المنطقى . وتمنع تركيب حدوداً ليست صحيحة .
٣) تتكون الجمل والعبارات اللغوية من المقاطع والكلمات ، وذلك تبعاً للقواعد النحوية فى تكوين الجمل فى تلك اللغة . ويمكننا تمييز الاسس النحوية التى تكون التركيب العام للغة ، والتى يمكن اعتبارها بديهيات لغوية[١] .	٣) تتكون القضايا من الحدود والرموز تبعاً لقواعد بنائية معينة فى تركيب القضايا ، بحيث نحصل على قضايا لها معنى مفيد هى اما بديهيات أو مبرهنات او قوانين استنتاجية نحتاج اليها فى العملية الاستدلالية .

(١) Khalil, y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse p: 236.

٤٦ – يظهر لنا بوضوح التشابه الكبير بين نظام اللغة والرياضيات وتركيبهما من الوجهة الشكلية أو الصورية التى تكون القاعدة الاساسية . ويظهر لنا كذلك ان المعنى لم نأخذه بنظر الاعتبار ، فعليه من الضروري ان نحلل المعنى في اللغة والعلوم ، لان التعريف يتصل بالتركيب اللغوي والمعنى على حد سواء . ونميز هنا بين ثلاثة مستويات لغوية في المعنى هي :–

١) المعنى الشكلى — Formal or syntactical meaning

٢) المعنى السيمانطيقى — semantical meaning

٣) المعنى البراجماطيقى — Pragmatical meaning

وعلى هذا الاساس يكون معنى الاشارة أو الرمز مساوياً لمجموع المعنى الشكلي والسيمانطيقى والبراجماطيقى ، ومعادلة موريس تبين لنا هذا المبدأ الذي نضعه الآن .

المبدأ الثاني :

اذا كانت اللغة تتألف من رموز تربطها روابط معينة ، فان لكل رمز معنى هو مجموع المعنى الشكلي والمعنى السيمانطيقى والمعنى البراجماطيقى .

$$M = M_E + M_P + M_F$$

حيث يرمز M الى معنى الرمز ، بينما يشير M_E الى المعنى الوجودى existential meaning او السيمانطيقى ، ويشير M_P الى المعنى البراجماطيقى ، ويشير M_F الى المعنى الشكلي[١] .

٤٧ – يتضح لنا الان ضرورة الاخذ بهذا التصنيف فى المعنى اذا اردنا ان نحصل على نظرية علمية فى التعريف . وهذا يعنى اننا نميز بين النظرية العامة فى التعريف والنظرية الخاصة ، حيث تأخذ الاولى بالمعنى العام للرمز دون الاشارة الى المستويات الاخرى فى المعنى . اما النظرية الخاصة فانها

(1) Morris, ch. W., Logical Positivism and Scientific Empiricism. p. 65.

تأخذ باحد المعانى الثلاثة ، لذا فاننا نميز بين نظرية التعريف الشكلية ونظرية التعريف السيمانطيقية ونظرية التعريف البراجماطيقية . وبهذه الطريقة سنحاول ان نعطى المخطط العام لجميع انواع التعريفات المعروفة فى العلوم المختلفة سواء كانت رياضية أو طبيعية أو اجتماعية .

٤٨ ـ اما الآن فنبدأ ببحث نظرية التعريف العامة ، ونعرف التعريف تبعاً للتعريفات والمبادىء التى نضعها والتى تمت بصلة تامة للغة باعتبارها نظاماً مؤلفاً من رموز مترابطة بعلاقات . وعلى هذا الاساس نعرف اولاً الرمز :

تعريف (١) :

الرمز (sign) هو وحدة لغوية لها معنى ولا يمكن تجزئتها الى وحدات لغوية ابسط منها ولها معنى .

تعريف (٢) :

الصيغة هى متوالية محدودة مؤلفة من رموز تربطها علاقات معينة ونقصد بالوحدة اللغوية اصغر اشارة يرتبط بها المعنى ، وقد تكون هذه الوحدة رمزاً رياضياً أو طبيعياً أو نفسياً ... الخ . وذلك لاننا عممنا مفهوم اللغة حتى شمل جميع الانظمة العلمية . وبالطبع تتركب من هذه الرموز او الوحدات صيغ بعد ان تترابط بعلاقات ثابتة معينة .

٤٩ ـ واذا ارتبطت الرموز مع بعضها تبعاً لقواعد اللغة كان للصيغ الناتجة معنىً مفيداً ، اما اذا لم يجر الارتباط حسب قاعدة اللغة ، فلا يمكن ان تكون الصيغ الناتجة ذات معنى مفيد . ومن هذا التحليل نتوصل الى مبدأ المعنى الآتى :ـ

المبدأ الثالث :

تكون الصيغة ذات معنى مفيد اذا كان تتابع الرموز وترابطها يسير تبعاً لقواعد اللغة ، وفى حالة تعذر هذا الشرط ، فان الصيغة الناتجة عن الترابط ستكون بدون معنى .

٥٠ ـ وقد يتعين معنى الرمز ضمن الصيغة كما هو الحال فى الدراسات اللغوية الخاصة بالمعانى ، وقد يتعين المعنى بطريقة اخرى . ولكننا نستطيع اجمال الطرق المعروفة كما يأتى :ـ

١) يتعين معنى الرمز تبعاً لظهوره فى الصيغة أو الصيغ .

٢) يتعين معنى الرمز مقدماً بالتعريف .

٣) يفترض معنى الرمز فى حالة عدم تعريفه .

ومن الامثلة على تعيين المعنى للرمز نأخذ دراسة الدلالة أو المعنى لكلمة في لغة ما ؛ ففى هذه الحالة يشترط ان ننظر الى معنى الكلمة بالنسبة للعبارة اللغوية الموجود فيها ، ثم نلاحظ معناها فى عبارات لغوية متعددة ، لان مجموع معانى الكلمة فى جميع العبارات التى وجد فيها يكون المعنى الكلى لتلك الكلمة . اما فى الدراسات الطبيعية ، فان علماء الطبيعة يختارون بعض الرموز او الاسماء مثل « الكتلة او الطاقة » ويعطون لكم من هذه الاسماء معانى جديدة باستخدام التعريف ، فهم ينقلون معنى الكلمة من مستواها فى الحياة اليومية الى مستوى علمي جديد . وفى المنطق والرياضيات نميز بين الرموز ، فمنها ما هو اولي لا نستطيع تعريفه ولكننا نفترض معناه ، ومنها ما هو معرف نستطيع تحديد معناه بالتعريف . وسواء كان تعيين المعنى بهذه الطريقة أم تلك ، فان الثابت فى جميع الطرق هو ان لكل رمز معنى كما جاء فى المبدأ الثانى . ولكن المهم هنا هو معرفة الشروط التى يجب ان تتوفر فى مرادفة المعنى .

٥١ ـ تكون الرموز أو الصيغ مترادفة اذا كان لها المعنى نفسه ، ولكننا نميز فى هذا الباب مفهومين من مفاهيم المرادفة :ـ

١) المرادفة النسبية .

٢) المرادفة المطلقة .

ونقصد بالمرادفة النسبية تشابه معنى الرمز أو الصيغة فى عدد محدود من الصيغ او العبارات ، بينما يمكن ان يختلف الرمزان أو الصيغتان فى عبارة واحدة على الاقل .

ونقصد بالمرادفة المطلقة تشابه معنى الرمز او الصيغة فى جميع الاحوال دون استثناء . وبعد هذا التصنيف نستطيع الان ان نعطى معيار المرادفـــة النسبية والمطلقة صيغته الاتية :ــ

معيار المرادفة :

اذا كان لرمزين [أو صيغتين أو أكثر] أو أكثر معنى متشابه في حالة لغوية واحدة ، فان هذين الرمزان مترادفان نسبياً ، اما اذا كان تشابه المعنى ثابتاً في جميع الاحوال ، فان الترادف مطلق ويشترط في المرادفة :

أ) ان يكون للرمز أو الصيغة معنى .

ب) ان يكون للصيغة التى يظهر فيها الرمز معنى مفيداً .

٥٢ ــ واذا كانت الرموز أو الصيغ مترادفة امكننا الاستعاضة ببعضهـا عن البعض الاخر ؛ وفى حالة المرادفة النسبية تكون الاستعاضة فى تلك الحالة أو الحالات اللغوية التى تظهر فيها الرموز أو الصيغ متشابهة فـى المعنى . اما فى حالة المرادفة المطلقة فان الاستعاضة تكون فى جميع الاحوال دون استثناء • فالاستعاضة كمعيار تتحقق اذن في الحالتين ، لذا فليس من الضروري ان نذكر في هذا المعيار أنواع المرادفة ، ونكتفي بذكر المرادفة فقـــط .

معيار الاستعاضة أو التبادل المشترك :

اذا كانت الرموز أو الصيغ مترادفة ، فان من الممكن ان نستعيض عن رمز برمز آخر مرادف له أو عن صيغة بصيغة أخرى مرادفة لها ، شرط ان تكون الصيغة الناتجة بعد الاستعاضة لها نفس المعنى الذى كان لهـــا قبل الاستعاضة .

ولتوضيح أهمية هذا المعيار نفترض ان لدينا الصيغة الرمزية الاتية A (x w z) حيث يرمز A الى ان لهذه الصيغة معنى معين • وكان الرمز Y مرادفاً للرمز W ، فاننا تبعاً لمعيار الاستعاضة يجب ان نحصل على الصيغة

التي لها نفس المعنى وهو A (x y z) • اما اذا حصلنا على صيغة أخرى لها معنى مفيد ولـكن ليس المعنى الذي كان للصيغة قبل الاستعاضة مثال ذلك ان نحصل على B (x n z) حيث يظهر B ان لهذه الصيغة الناتجة باستعاضة N معنى مغاير ، فاننا لا نعتبر الرموز التى من هذا النوع مترادفة أو لا تكون الاستعاضة منطقية اذا اعتبرنـا المرادفـة شـرطاً ضـرورياً فى الاستعاضة .

٥٣ ـ والاستعاضة لا تكون الا فى لغة واحدة معينة ، اذ لا يمكن ان نستعيض عن رمز او عن صيغة برمز آخر أو بصيغة اخرى من لغة مختلفة ، لان الصيغة الناتجة بعد الاستعاضة سوف لا تكون من صلب تلك اللغة ولا تخضع لقواعدها النحوية والدلالية ، فمن الضروري اذن ان تكون الاستعاضة في نفس اللغة . واذا نظرنا الان الى معيار الاستعاضة لوجدنا فيه شرطـاً ضرورياً من شروط التعريف ، لان الاستعاضة تأخذ كذلك بالترادف أو مشابهة المعنى . ولـكي يكون الشرط مستوفياً قواعده المنطقية يجدر بنا ان نذكر معيـاراً آخر في غاية الاهمية هو معيـار التحويل Transformation الذي يكون القاعدة المنطقية في التعريف •

معيار التحويل :

اذا استطعنا ان نستعيض عن رمز أو صيغة برمز أو بصيغة أخـــرى، بحيث تكون الصيغة الناتجة مختلفة عن الصيغة الاولى بالرموز ومتفقة معها فى المعنى ، فاننا نسمى هذه العملية تحويلاً .

ولتوضيح هذا المعيار نستخدم الان بعض الامثلة الرمزية :ـ

الصيغة الرمزية الاولى A (x z y)

الصيغة الرمزية الثانية A (n m w)

فالتحويل اذن هو A (n m w) = A (x z y)

يظهر لنا اختلاف الصيغة الاولى عن الثانية رمزياً واتفاقهما في المعنى A .

٥٤ ـ والتعريف في الحقيقة واستنادا الى المعايير التي طورناها الآن

ما هو الا تحويل متبادل فيه اختلاف الرموز واتفاق المعنى من الشروط الضرورية . وهذا يعنى ان التعريف فى هذه الحالة يكون فى لغة واحدة تبعاً لمعيار التحويل القائم على معيار الاستعاضة . وعلى هذا الاساس يكون تعريف التعريف كما يأتى :ـ

التعريف : قانون للتحويل المتبادل للرموز أو للصيغ في اللغة نفسها .

ويتفق هذا التعريف من حيث الجوهر مع تعريف كارناب للتعريف بانه « قانون للتحويل المتبادل للكلمات فى اللغة نفسها »[1] .

٥٥ ـ اما تعريف فتجنشتاين للتعريف (فقرة ١١) ، فانه يعتبر الترجمة من لغة الى اخرى اساساً للتعريف . ولنا هنا عند هذا التعريف وقفة .

ان الترجمة فى حقيقة أمرها عبارة عن تحويل رموز العبارات اللغوية من لغة الى عبارات لغوية من لغة ثانية شرط ان يبقى ثابتاً ومتساوياً فى العبارتين . ولكننا فى تعريفنا قصرنا التعريف على لغة واحدة يتم فيها التحويل المتبادل . ويظهر التشابه فى تعريف فتجنشتاين مع تعريفنا اذا اعتبرنا مفهومه « من لغة الى لغة أخرى » محصوراً في لغة واحدة كما هو معروف في كتابات فتجنشتاين الاخيرة[2] . وكيفما يكون الامر فاننا نجد ان تعريف متجنشتاين بمفهومه الواسع العام والخاص لا يختلف كثيراً عن تعريفنا للتعريف .

٥٦ ـ واذا أخذنا بالتعريف الذي وضعناه ، فاننا لا ننفك كذلك عن الاخذ بالمعايير التي سبقته والتي كانت قاعدته المنطقية . ويمكننا تفسير هذه المعايير بشكل معين مع اضافة بعض الشروط لنجعل من هذه جميعها الشروط الضرورية التى يجب ان تتوفر فى التعريف . وبناءً على ذلك نفضل ان نقسم هذه الشروط الى صنفين :ـ

١) الشروط الخاصة بتركيب التعريف وهى :ـ

---

(1) Robinson, R., Definition p: 3.

(2) Wittgenstein, L., Philosophische Untersuchungen.

أ) يجب ان يكون فى التعريف حدان هما :ـ

الحد المعرَف (بفتح الراء) Definiendum

والحد المعرِف (بكسر الراء) Definiens

ب) ان يكون بين الحد المعرَف والمعرِف اشارة مساواة دلالة على كون الاول مساوى للحد الثانى . وقد يكون الحد المعرَف رمزاً واحداً أو صيغة كما يمكن ان يكون الحد المعرِف رمزاً واحداً او صيغة واحدة .

ولتوضيح هذه الشروط يجب علينا الآن ان نستعين ببعض الامثلة الرمزية :ـ

الحد المعرَف = الحد المعرِف

فاذا أردنا ان نعرف أ مثلاً فيمكننا تعريفه برمز واحد اذا وجد أو بعدة رموز

أ = ب

أ = (•••ب•••حـ•••)[1]

كما يمكن ان يكون الحد المعرَف صيغة أو صفة حملية تتألف من أكثر من رمز واحد

أ ب = (•••حـ•••د•••هـ•••)

حـ) لايجوز ان يكون الحد المعرَف ظاهراً في الحد المعرِف وهذا ما يسمي بدائرية التعريف [أو التعريف الدائرى] ، لان وجود الحد الاول فى الثانى يفقد قيمة التعريف المنطقية .

٢) الشروط الخاصة بمعانى حدود التعريف وهى :ـ

د) يجب ان تكون قيمة (معنى) الحد المعرَف مساوية لقيمة (لمعنى) الحد المعرِف ويسمى هذا الشرط بشرط تعادل القيمة .

هـ) اذا كان حدا التعريف متساويين فى القيمة ، فيمكن

(1) Khalil, Y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse P: 118.

الاستعاضة بأحدهما عن الآخر تحت ظروف منطقية معينة تسمح بذلك . ويسمى هذا بشرط الاستعاضة .

و) يجب ان يكون معنى الحد المعرف دقيقاً وتاماً وغير مبهم ، بحيث لا نحتاج الى شيء آخر يوضحه ، اللهم الا اذا كان احد الرموز الموجود فيه سبق وان عرف ، فنحتاج معناه في التعريف مرة اخرى . ويسمى هذا بشرط التحديد .

٤ ـ أنواع التعريف

تمهيد :

٥٧ ـ يقسم الفلاسفة والمناطقة التعريف الى ثلاثة أنواع رئيسية هي :ـ

١ ـ التعريف الحقيقي	real definition
٢ ـ التعريف الاسمي	Nominal definition
٣ ـ التعريف القاموسي	Lexical definition

ولقد استعرضنا بايجاز التعريف الحقيقي والاسمي ، اما التعريف القاموسي وهو الشائع عند علماء اللغة فيمكن وصفه بايجاز بانه نوع من التعريف الذي يأخذ بتوضيح معنى الكلمات أو الاسماء التي يتداولها الافراد ضمن وضعية اجتماعية او مجتمع معين . ويتميز هذا التعريف بانه يعتمد في تعيين المعنى على كيفية استعمال الافراد له عند التداول .

٥٨ ـ ولكننا سوف نصنف انواع التعريف بطريقة أخرى مختلفة ، بحيث نستطيع ان نضم هذه الانواع من التعريف الى تقسيمنا المقترح . ويعتمد تقسيمنا للتعريفات على دراستنا للغة من نواح مختلفة ، حيث يكون لكل ناحية منها نوعاً خاصة من التعريف . والتعريفات هي :ـ

أ ـ التعريف الشكلي Formal definition الذي يقع ضمن اطار البحوث الشكلية أو الصورية .

ب ـ التعريف السيمانطيقي Semantical definition الذى يختص بحوث السيمانطيقة .

حـ ـ التعريف البراجماطيقى Pragmatical definition الذى يهتم بدراسة معانى الاسماء أو الكلمات عند استعمالها في وضعية اجتماعية وبالنسبة للافراد الذين يستعملوها .

واذا كانت اللغة بمعناها العلمى ممكنة الدرس من ناحيتها التركيبية أو السيمانطيقية او البراجماطيقية ، فان التعريف باعتباره مؤلفاً من رموز لغوية لا يتعدى ان يكون تعريفاً شكلياً أو سيمانطيقياً أو براجماطيقياً . وبناء على هذا التقسيم سندرس هذه التعريفات وعلاقتها بالعلوم التي ترتبط بها .

(أ) التعريف الشكلي :

٥٩ ـ عندما نتحدث عن اللغة وعن خصائصها وتعريفها ، فمن الضرورى ان نعرف ونتفهم المستوى الذى نتحدث فيه أو عنه ، كما يجدر بنا ان نعرف طبيعة تلك اللغة . ولكى نبين اهمية هذا المبدأ فى البحث نأخذ بعض الامثلة الرمزية الآتية :ـ

أ) اذا كانت لدينا لغة نرمز لها بالحرف M

ب) وكانت لدينا لغة أخرى تتكلم عن اللغة M ونرمز لها بالحرف N

حـ) ولو فرضنا ان لدينا لغة ثالثة تتحدث عن اللغة N ونرمز لها بالحرف O .

كما يمكننا ان نتسلسل بهذا الترتيب الى ما لا نهاية ، ولكن الملاحظ هنا ان هذه اللغات تختلف الواحدة عن الاخرى ، فاذا كانت الاشياء التى تتحدث عنها اللغة M هي الاجسام المادية أو النفسية ، فان اللغة N تتحدث عن عبارات اللغة M التي تتكلم عن الاشياء وان اللغة O تتكلم بدورها عن عبارات اللغة N التي تصف لنا أو تحدد العبارات اللغوية للغة [٤٤] .

٦٠ ـ يظهر من هذا التحليل ان طبيعة اللغة تختلف باختلاف المستوى الذى نتكلم عنه ، لذا من الضرورى ان نحدد اللغة قبل البدء بالبحث .

ولتسهيل مهمة البحث نميز بين اللغة التى نتكلم عنها بلغة أخرى واللغة التى تتكلم عن تلك اللغة ، فنسمي الاولى لغة الموضوع Object Language بينما نسمى اللغة التى تتحدث عن لغة الموضوع باللغة الفوقية Meta-Language .

وتبعاً لهذا التصنيف يجب ان نميز بين التعريفات فنقسمها الى نوعين :ـ

١ ـ التعريف الموضوعى Object - definition

٢ ـ التعريف الفوقي Meta - definition

يتصل التعريف الموضوعي بالاشياء التى تتألف منها لغة الموضوع ، فهو يكون جزءً هاماً من تلك اللغة . اما التعريف الفوقي فيتميز بانه يعرف عبارات لغة الموضوع لتحديد دورها . وهذا يعنى انه ينتمي الى لغة تختلف عن لغة الموضوع . اما أهمية هذا التعريف فتوضيحية ، لانه يبين لنا معنى الرموز والعبارات التى نستخدمها في اللغة .

٦١ ـ وتظهر أهمية التعريف الشكلى فى الانظمة الشكلية المنطقية والرياضية واللغوية وفى العلوم التى تستخدم الطريقة المنطقية فى التحليل . وعلى هذا الاساس سنركز اهتمامنا أولاً على هذه الانظمة الشكلية المنطقية والرياضية واللغوية .

لتكوين لغة منطقية يحاول المناطقة فى الغالب ان يدرسوا اولاً لغة التداول ثم يرتقون الى بناء لغة رمزية دقيقة هى اللغة المنطقية . ومن الاسباب المهمة فى تفضيل اللغة الرمزية على لغة التداول هو انها مضبوطة وخالية من الغموض والابهام وسهلة التحويل فى الحساب المنطقى .

ويشترط فى اللغة المنطقية بعض الشروط التى تهمنا فى هذا البحث وهى :ـ

١) ان يكون لكل رمز فكرة واحدة فقط ولكل فكرة رمز واحد . وليس من الضرورى ان يكون للفكرة ما يوازيها فى العالم المادى ، لانها قد تكون مجرد ابداع او تركيب عقلى أوجدها الرياضى أو المنطقى .

٢) ترتبط الرموز مع غيرها بعلاقات محدودة ، بحيث تتكون متواليات محدودة تتجزء بدورها الى رموز يكون لـكل رمز منها فكرة واحدة فقط .

٣) تتحول الرموز المركبة أو القضايا الى قضايا أخـرى بمساعدة قوانين استنتاجية معينة .

٦٢ ـ ولـكى نعين معنى الرمز من الضرورى ان نحدده ونعرفه ، ومن الجدير بالذكر هنا ان معنى الرمز يجب ان يكون ذا علاقة بالرموز الاخرى . فاذا اخذنا ابسط الامثلة وهو مبادىء اقليدس الهندسية ، فاننا سـنجد أولا بعض التعريفـات التي تخص الرمـوز المستعملة في النظـام الهندسى وهى النقطة والخط والسطح ... الخ . ولـكن يظهر ان هـذه التعريفات لا تدخل ولا تكون من صلب النظام الهندسى ، لانها تكون فى الحقيقة نظاماً فوقياً Meta - system ويصدق نفس الشىء فى الانظمة المنطقية ، فنحن نعرف فى البداية الرموز التى نستعملها فى النظرية المنطقية فنقول مثلاً ان الرمز ← يدل على الالزام وان الرمز ٨ يـدل على العطف وهكذا . وجميع هذه التحديدات هى تعريفات فوقية . وفى بعض الدراسات اللغوية الحديثة نجد مثلاً بعض التعريفات التى تحدد دور الرموز أو الافكار المستخدمة في علم اللغة . فنعرف مثلاً الفونيم أو المورفيم ، وقد نستعين بنظام شكلى مؤلف من تعريفات فقط لتحليل قواعد اللغات المختلفة(١) .

٦٣ ـ ولـكننا فى الوقت نفسه نحتاج الى تعريفات فى غاية الاهمية ، كما نستعملها فى الاستدلال والاشتقاق المنطقى . وهذا النوع من التعريفات هو ما يتصل بالنظام الداخلى للنظرية المنطقية او الرياضية ، فنحن نميز فى الانظمة الرياضية والمنطقية بين نوعين من الرموز او الحدود :ـ

١) الحدود غير المعرفة Undefined Terms

٢) الحدود المعرفة defined Terms

تتميز الحدود غير المعرفة بانها واضحة المعنى ، ولـكنها لا تحتاج الى

---

(١) Khalil, y., Germanistic p: 314-15.

تعريف كالحدود المعرفة ، التى نعرفها بواسطة الحدود غير المعرفة ، ويشترط فى الحدود غير المعرفة ان تكون قليلة عددياً وان تخضع الى أقل عدد ممكن . ويستعمل المناطقة هنا طريقة الرد Reduction كما هو الحال فى رد القضايا الى أقل عدد ممكن من البديهيات . وبهذا نتوصل الان الى المبدأ المنطقى الاتى :ـ

مبدأ الرد :

يكون رد الحدود الى بعضها او الى أقل عدد ممكن بالتعريف ، وذلك بان نعرف بعض الحدود بحدود أخرى لها معنى واضح وافترضت ان تكون غير معرفة .

واذا راعينا هذا المبدأ فى رد الحدود الى أقل عدد ممكن ، فمن الضرورى ان نأخذ بنظر الاعتبار ان الحدود غير المعرفة يجب ان تكون تامة وهذا يقودنا الى المبدأ الثانى :

مبدأ التمام :

اذا ما ردّت الحدود الى أقل عدد ممكن من الحدود غير المعرفة ، فيجب ان تكون الحدود غير المعرفة تامة ، بحيث نستطيع بواسطتها ان نعرف أى حد آخر .

٦٤ ـ ومن الأمثلة على دور هذه المبادىء فى الانظمة الشكلية ما هو معروف فى رد بعض الروابط والثوابت المنطقية الى ثوابت أخرى . فنستطيع مثلاً ان نعرف الالزام بالبدل والنفي كما يأتي :ـ

ل ←م = ــ ل ٧ م

كما يمكننا ان نعرف العطف والمساواة بواسطة النفى والبدل كما هو معروف فى نظرية رسل المنطقية[1] ، ولكننا نكتفى الان بدراسة خصائص

(1) Russell, B., Logic and Knowledge p: 84.

تعريف رابطة الالزام .

ان هذا التعريف مستوفى الشروط المنطقية التى ذكرناها فى الفقرة ٥٦ ، ولكن ثمة سوأل نثيره الى الاذهان وهو معنى هذه العبارات .

يظهر التعريف المتقدم بانه يحتوى على متغيرات لا تدل على معنى معين وهى ل ، م ، كما يحتوى على الالزام فى جهة والنفى والبدل فى جهة أخرى وهى روابط منطقية لها معنى ثابت ، ولكن معنى الطرف المعرَف مساوي لمعنى الطرف شكلياً ، بمعنى انه معنى آت من التركيب المنطقى للمكونات فهو معنى شكلياً . ومن الجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان المنطقى لا يهمه معنى الالفاظ الدارجة ، لان التعريف الرياضى يخلق المعنى الشكلى ويحدده .

٦٥ ـ وبناء على ما تقدم يكون معنى العبارات او القضايا الرياضية والمنطقية شكلياً ، وهو يختلف تماماً عن المعنى السيمانطيقي والبراجماطيقي .

معيار المعنى الشكلي :

ليس من الضرورى ان يكون لمعنى الحدود وجود مادى ، لان هذا المعنى هو من ابداع الرياضى ، كما ان ترتيب هذه الحدود فى اشكال رمزية يحدد المعنى الشكلى للصيغة الناتجة عن الترتيب .

وعلى هذا الاساس نتوصل الى المعيار الشكلى الثانى فى المساواة بين الحدود والصيغ .

معيار المساواة :

تكون الرموز والصيغ متساوية ، اذا كان للرموز أو للصيع نفس المعنى الشكلى .

ويعتبر هذا المعيار مهماً في الاستعاضة عند التحويل في الانظمة الشكلية .

معيار الاستعاضة :

يمكن الاستعاضة عن رمز برمز آخر او عن صيغة بصيغة أخرى اذا كانت الرموز أو الصيغ متساوية ، بحيث ان الصيغة الناتجة بعد الاستعاضة تبقى ثابتة المعنى الشكلى .

واذا استطعنا ان نستعيض عن رمز برمز آخر أو عن صيغة بصيغة أخرى وكانت الرموز أو الصيغ متساوية المعنى ، فان هذه المعايير تكون في الحقيقة جوهر التعريف ، لان التعريف الشكلى يفترض المساواة والاستعاضة الشكلية :ـ

التعريف الشكلى هو صيغة رمزية أو لغوية يظهر فيها الحد المعرَف (كرمز أو كصيغة جديدة) والحد المعرِف مرتبطا بعلاقة المساواة ، بحيث يكون الحد الثانى مؤلفاً من حدود معرفة سابقاً أو مفهومة ، كما يمكن الاستعاضة عن الحد المعرِف بالحد المعرف اثناء الاستدلال المنطقى .

واذا تفحصنا هذا التعريف لوجدناه مستوفي لشروط التعريف العام .

(ب) التعريف السيمانطيقي :

٦٦ ـ لما كانت اللغة تتألف من رموز تربطها علاقات مكونة بذلك عبارات لغوية أو رمزية تبعاً لقواعد لغوية معينة ، فان هذه القواعد فى الحقيقة هى :ـ

١ ـ القواعد الصرفية والنحوية أو التركيبية بوجه عام .

٢ ـ القواعد السيمانطيقية التى تحدد علاقة الرموز مع بعضها من ناحية المعنى والدلالة لكى تكون العبارات اللغوية الناتجة ذات معنى مفيد .

٣ ـ القواعد البراجماطيقية التى تبين كيفية نطق اللغة وكيفية التعبير عن الأفكار ونقلها الى الناس الاخرين ضمن وضعيات اجتماعية[1] ونفسية مختلفة .

(١) استعرضنا جميع هذه القواعد التركيبية والسيمانطيقية والبراجماطيقية في كتاب « منطق اللغة » .

ولقد درسنا قبل قليل بعض القواعد التركيبية التي تهمنا في نظرية التعريف ، ونحاول الآن ان نستعرض بعض القواعد السيمانطيقية لمعرفة طبيعة التعريف السيمانطيقي .

٦٧ ـ ومن الضروري اولاً ان نميز في الرموز اللغوية بين المعنى meaning والدلالة reference ، لان الرمز اللغوى المستعمل فى لغة التداول أو فى لغة العلوم التجريبية له دلالة ومعنى ذهنى . ونقصد بالمعنى الذهنى الفكرة أو الافكار التى ترافق الرمز او الصيغة ، اما الدلالة فنقصد بها الشيء أو الاشياء التى يشير اليها الرمز او تشير اليها الصيغة . ولكى يكون التحليل للمعنى السيمانطيقى تاماً يجدر بنا اولاً ان نقسم البحث الى ثلاث مراحل :ـ

١ ـ الموضوع والمحمول

٢ ـ العبارات الوصفية

٣ ـ القضايا والجمل .

الموضوع هو لفظ نتكلم عنه ، وهذا يعنى ان الموضوع هو الشيء الذى تحمل عليه الصفات ، اما المحمول فهو لفظ نتكلم به عن الموضوع ، وهذا يعني بطبيعة الحال ان المحمول هو الصفة التي تحمل على الموضوع . وهذا التقسيم المنطقى للعبارات اللغوية له اهمية فى دراستنا لنظرية التعريف ، لاننا نستطيع ان ننظر الى الاسماء من ناحية انها مواضيع ومحمولات ، فاذا قلنا « انسان » مثلاً وأردنا به الشيء الذي نحمل عليه صفات معينة ، فان هذا اللفظ لا يخرج عن كونه موضوعاً ، اما اذا اردنا به صفة تحمل على بنى الانسان ، فانه سيكون محمولاً . وبناء على هذا الاعتبار المنطقى يمكننا تقسيم الاسماء الى :ـ

أ ـ اسماء فردية وهى :ـ

١ ـ اسماء العلم

٢ ـ اسماء الاشارة

تتميز الاسماء الفردية انها تشير أو تدل على شيء واحد ، فاذا قلنا « بغداد » ، « القاهرة » ، « طه حسين » ... وهكذا ، فاننا نعنى بذلك مكاناً

أو مدينة معينة او شخصاً معيناً . وقد نستعمل طريقة أخرى فى تعيين مدلولات الاسماء ، وذلك باستعمال اسماء الاشارة مثل « هذا ... » ، و « ذاك ... » . فاذا اشرنا الى الكرسى وقلنا « هذا ... » فاننا بذلك نريد شيئاً واحداً لا غير . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار اسماء العلم والاشارة بمثابة طريقة لتعيين الاشياء .

٦٨ – ب – أسماء كلية وهي عبارات تطلق على عدد من الافراد . واذا حللناها منطقياً فاننا نتوصل الى انها محمولات تطلق على افراد مثال ذلك قولنا « انسان » الذى يمكن تحليله الى :–

١ – المفهوم Connotation

٢ – الماصدق Denotation

ان مفهوم الاسم « انسان » هو الصفة التى تحمل على افراد بنى الانسان ، اما ما صدق الاسم « انسان » فهو مجموعة الافراد أو الفئة التى تحمل عليها صفة الانسانية . ومن هذا التحليل نضع الآن بعض المبادىء الضرورية :

تعريف المفهوم :

اذا كان الاسم كلياً ، فان الصفة أو الصفات التى تحمل على افراد الاسم هى مفهوم اللفظ .

تعريف الما صدق :

اذا كان الاسم كلياً ، فان الافراد التى يحمل عليها مفهوم الاسم الكلى هى ماصدق اللفظ .

وبناء على هذا التحليل نستطيع الان ان نتكلم عن الترادف السيمانطيقى للالفاظ فى حالة المفهوم والماصدق .

معيار التشابه السيمانطيقي :

تكون الاسماء متشابهة سيمانطيقياً اذا استوفت احد الشروط الاتية :–

١ ـ اذا كان لها نفس المفهوم .

١ ـ اذا كان لها نفس الماصدق .

واذا اخذنا الان بنظر الاعتبار معيار التشابه بناحيتيه ، فمن الضروري ان نحصل على معيار ترادف سيمانطيقي يأخذ بناحية المفهوم والماصدق معاً :ـ

معيار الترادف السيمانطيقي :

تكون الاسماء مترادفة اذا استوفت الشروط الاتية :ـ

١ ـ اذا ظهرت ضمن عبارات لغوية لها معنى

٢ ـ اذا امكن استبدال بعضها بالبعض الاخر

٣ ـ يجب ان يبقى معنى العبارات اللغوية ثابتاً بعد عملية الاستبدال[١] .

٧٠ ـ ومن هذه المعايير السيمانطيقية نتوصل الآن الى بعض المبادىء الاساسية التي تمت بصلة للتعريف السيمانطيقي :

مبدأ الاستعاضة :

يمكن ان نستعيض عن اسم باسم آخر ، اذا كان الاسمان مترادفين أو متشابهين ، واذا كانت نتيجة الاستعاضة عبارة مقبولة سيمانطيقياً[٢] .

مبدأ الترجمة :

اذا امكن الاستعاضة عن اسم باسم آخر ، بحيث تبقى العبارة التي تمت الاستعاضة فيها حاصلة على القيمة (أو المعنى) نفسها ، فاننا سندعو هذه العملية « ترجمة أو تفسير في اللغة نفسها »[٣] . واعتماداً على هذه المعايير والمبادىء نتوصل الآن الى صياغة التعريف السيمانطيقي كما يأتي :ـ

التعريف السيمانطيقي :

هو عملية ترجمة في لغة معينة مشروطة بما يأتي :ـ

---

(١) منطق اللغة ص ٥١ .

(٢) منطق اللغة ص ٥٧ .

(٣) منطق اللغة ص ٥٧ .

١) ان القضايا التى يظهر فيها الاسم أو العبارة يمكن ترجمتها الى قضايا فيها ما يعادل الاسم أو العبارة فى المعنى .

٢) يجب ان تكون القضايا الناتجة عن الترجمة مساوية أو مشابهة للاولى من حيث المعنى .

٧١ - وينطبق التعريف السيمانطيقي هذا على العبارات الوصفية والقضايا ، وذلك اذا افترضنا ان الاسم يستبدل بالعبارات الوصفية والقضايا . ولبيان ذلك نأخذ مثلاً من العبارات الوصفية :-

ان العبارة الوصفية : « أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة » لها مفهوم وماصدق لاننا نفهم ما تعنى هذه العبارة من دون ان نعرف الشخص الذى تدل عليه . فالمفهوم فى هذه الحالة هو الفكرة التى تعبر عنها هذه العبارة . اما الماصدق فهو الشخص الذى تنطبق عليه العبارة وهو « جمال عبدالناصر » . واذا قلنا الان « جمال عبدالناصر هو أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة » نجد ان الحد الاول يشير الى انسان هو جمال وان الحد الثانى يشير كذلك الى ذلك الانسان وهو جمال ، وهذا يعنى ان الحد الاول والثانى متشابهان من حيث الماصدق . وتبعاً لمبدأ الاستعاضة يمكننا الان ان نستعيض عن الاسم « جمال عبدالناصر » بالعبارة الوصفية « أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة » فى القضايا أو التعبيرات التى يظهر فيها الاسم دون ن يحدث تغيير في ما صدق العبارة وتبعاً لمبدأ الترجمة والتعريف السيمانطيقى تكون ترجمة القضايا التى يظهر فيها الحد الاول الى قضايا متساوية أو متشابهة التى يظهر فيها الحد الثانى ممكناً .

٧٢ - وينطبق التحليل على القضايا اذا اعتبرنا الحكم Judjment مفهوم القضية والصدق أو الكذب هو ماصدقها . فاننا نستطيع ان نستعيض بقضية عن قضية أخرى اذا كان لهما نفس الماصدق كما هو معروف فى المنطق الرياضى ، وهذا يعنى بطبيعة الحال ان القضية تترجم الى أخرى مساوية لها فى ماصدقها واذا كانت الترجمة ممكنة ، امكن كذلك اعتبارها تعريفاً للقضية المفروضة .

وبناءً على هذا التحليل يظهر لنا بوضوح ان التعريف السيمانطيقي

هو تعريف يأخذ بنظر الاعتبار المعنى أو الدلالة ، فهو « تعريف عبارة مقرونة بالاشياء التي هي هنا المعنى أو الدلالة » ، ونعتبرها أشياء لانها ليست لغوية .

(ح) التعريف البراجماطيقي :

٧٣ ـ عندما نريد الكلام عن البراجماطيقة يجدر بنا ان نتذكر ان طبيعة الرموز فيها تختلف عن تلك فى السنتاكس أو السيمانطيقة ، لاننا نأخذ بنظر الاعتبار التركيب اللغوى أو اللفظى للرمز + المعنى أو الدلالة + الشخص أو الاشخاص الذين يستعملون الرمز في وضعيات اجتماعية مختلفة . من هذه يظهر لنا ان المعنى البراجماطيقى معقد جداً ، لانه يعتمد على سيكولوجية الفرد والافراد الاخرين ، كما يتحدد دوره تبعاً للحضارة التى انبثق عنها . وهذا يعنى فى الحقيقة ان المعنى البراجماطيقى يتحدد أو يتعين تبعاً للعوامل الاساسية الاتية :ـ

١ ـ العامل اللغوى

٢ ـ العامل النفسى

٣ ـ العامل الاجتماعى والحضارى

٤ ـ العامل التأريخى .

وتتشابك هذه العوامل مع بعضها فى تحديد المعنى . فلا يمكن مثلاً ان ننقل الخبرة الى الافراد الآخرين الا باستعمال رموز معينة متفق عليها ، وهنا يظهر لنا دور العامل اللغوى فى حمل المعانى . كما ان اختيار العبارات فى الكلام يتبع الحالة النفسية التى يوجد فيها المتكلم والارجاع التى يظهرها المستمع أو المستمعون . اما العامل الاجتماعى والحضارى فله أهمية كبيرة لان اللغة فى الحقيقة نتاج حضارى ، وان معانى العبارات مشتق من تلك الحضارة التى وجدت فيها اللغة ، لذا نجد الاختلاف الواسع فى معانى العبارات من لغة الى أخرى ، وهذا ما يجعل عمل المترجم صعباً فى اختيار العبارات الملائمة . وللمعنى تاريخ تطورى ، وان الكلمات تكتسب بعض المعانى وتفقد البعض الاخر تبعاًلتقدمها أو تطورها فى الزمان ، وكثيراً

ما تحمل الـكلمة معاني من الاجيال السالفة والحاضرة ، كما ان كلمات تخلق بفعل التطور التاريخي . فاللغة على هذا الاســــاس سفر اجتماعي وتاريخي ، ومن الممكن ان ندرس حضارة مجتمع معين من اللغـة التي تركها ، لاننا بفضل اللغة تنقل التراث الاجتماعي والحضاري والانفعالات النفسية الى آخرين .

٧٤ ـ ويعتمد عالم الاجتماع والانتروپولوجي فيدراسته للقبائل البدائية على اللغة كذلك[1] ولـكننا لا نريد هنا ان ندرس نظرية المعنى في هذه المقالة تفصيلاً ، بل نحاول جهـد الامكان ان نعطي بعض المبـادىء الاساسية في البراجماطيقة التي تساعدنا بـدون شـــك على فهـــم طبيعة التعـــريف البراجماطيقي . ولا بد ان نشير هنا الى ان هذا التعريف لا يختلف عن التعريف القاموسي المعروف ، لان القاموسي يحاول ان يتفهم معنى الكلمات أو العبارات كفعاليات لغوية يقوم بها أفراد المجتمع في التفاهم . وهذا يعني اننا نبين في التعريف القاموسي العبارات المستعملة من قبل الافراد في حياتهم اليومية . ولكي نوضح ما نقول نفترض ان شخص ما اراد دراسة لغة مجتمع ما وليكن M فمن الضروري اولاً ان يعيش ضمن هذا المجتمع مدة كافية من الوقت لملاحظة فعاليات الافراد ، لان الفعاليات تنعكس في اللغة التي يستعملونها . وبعد تسجيل للاصوات واستفسارات نفترض ان هذا الشخص استطاع بعد مدة من الزمن ان يدون لغة ذلك المجتمع . وكخطوة ثانية أراد هذا الشخص ان يضع قاموساً لتلك اللغة . فمن الضروري اذن ان يتبع الخطوات الاتية :ـ

١) تصنيف الجمل التي تظهر فيها الـكلمة التي نريد تفســـيرها أو تعريفها .

٢) ولكي نعرف معنى هذه الـكلمة من الضروري ان نعرف اولاً

---

(١) درس هذه الظاهرة الاستاذ مالينوفسكي في القبائل البدائية ، ونشرت هذه الدراسة كملحق تحت عنوان « مشكلة المعنى في اللغات البدائية » في كتاب

Ogden, C. K., and Richards, I. A, The meaning of meaning p. 226-336.

معانى كلمات أخرى نستعملها فى التعريف .

٣) الاستعاضة بالكلمات عن الكلمة التى نريد تفسيرها ونعرض الجمل الناتجة الى افراد المجتمع ، فاذا لم يكن لديهم رجع ضدها اخذناها على أساس انها مساوية للجملة الاولى .

٤) تكون هذه الكلمات مرادفة فى المعنى للكلمة التى اردنا معرفة معناها .

٧٥ ـ وتبعاً لهذه الخطوات نبدأ الآن بصياغة بعض المعايير والمبادىء الضرورية .

يشترط فى الوضعية اللغوية ـ الاجتماعية ان يكون :ـ

أ ـ متكلم واحد على الاقل

ب ـ مستمع واحد على الاقل

حـ ـ وسيلة النقل الفكرى والاشياء التى يتحدث عنها .

معيار الحالة البراجماطيقي :

يجب ان يتوفر فى استعمال اللغة متكلم واحد على الاقل ، ومستمع يستلم هذا الكلام فى حالة وجود محادثة بينهما ، بالاضافة الى ان هذه المحادثة توجد فى زمان ومكان معينين ، وان المعنى المقترن بالكلام يكون موضوع المحادثة بين المشتركين فى الكلام[1] .

وهذا يعنى ان الوضعية الاجتماعية هى التى تحدد معنى الكلمات أو الجمل المستعملة ، وان المعنى البراجماطيقى يختلف باختلاف الوضعيات الاجتماعية .

٧٦ ـ ولقد درسنا الخصائص اللغوية للوضعية الاجتماعية ووضعنا المبادىء الضرورية للبراجماطيقة فى كتاب « منطق اللغة ص ٦٣ » ، ولا نريد اعادة هذه المبادىء مرة مرة أخرى فى هذه المقالة ، لذا نجد من الضروري الاستعانة بمعيار الترجمة البراجماطيقي[2] ونتخذه عوضاً عن المبادىء .

---

(١) منطق اللغة ص ٦٠ .

(٢) منطق اللغة ص ٦٢ .

معيار الترجمة البراجماطيقي :

يمكن ترجمة كلمة بكلمة أو قول بقول آخر ، اذا توفرت الشروط الآتيـة :ـ

أ ـ اذا امكن استعاضة هذه الـكلمة بكلمة أخرى أو قول بقـول آخـر .

ب ـ اذا بقي المعنى العـام ثابتاً بعـد الاستعاضة ، بحيث لا يرفض المستمع مثل هذه الاسـتعاضة ، لاعتباره ان ذلـك لا يغير من المعنى العام .

ومرة أخرى ندرك أهمية الترجمة في الترادف البراجماطيقي ، بحيث نستطيع الآن ان نعرف التعريف البراجماطيقى استناداً اليه والى المبادىء البراجماطيقية المذكورة في كتاب منطق اللغة .

التعريف البراجماطيقي :

عملية ترجمة فى وضعية أو وضعيات اجتماعية [فى لغة واحدة] ، شرط ان تكون الجمل التى تحتوى العبارة المترجمة مساوية أو مرادفـة في المعنى للجمل التى تمت فيها الترجمة .

٧٧ ـ واخيراً وخلاصة ما تقدم فى مناقشة أنواع التعريف نجـد ملاحظة مهمة ان نظرية التعريف الخاصة تتفق في اطارها ومفهومها العام مع نظرية التعريف العامة ، كما يجب على التعريف الشكلي والسيمانطيقي والبراجماطيقى ان يستوفى الشروط الخاصة بالتعريف . ولـكن لابـد من ملاحظـة هنا هى ان التعريف البراجماطيقى لا يـكون دقيقاً كـما هو الحال فى التعريف الشكلى ، كما انه تعريف نسبى ، وذلك لانه مرتبط بوضعيات اجتماعية . وهذا يعنى اننا يمكن ان نحصل على عـدد كبير من التعريفات للـكلمة أو لعبارة واحدة تبعاً للوضعيات الاجتماعية وللجمل التى تظهر فيهـا .

المدائني

خالد العسلي
معيد في قسم التأريخ

حيـــاته :

المدائني : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن ابى سيف مولى شمس بن عبدمناف . ولد سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م[١] في البصرة ، ثم انتقل الى المدائن فنسب اليها ثم انتقل الى بغداد[٢] واتصل باسحق بن ابراهيم الموصلي اتصالاً وثيقاً[٣] . اما وفاته فتذكر أغلب المصادر انها كانت سنة **٢٢٥هـ/٨٣٩م**[٤] غير ان ابن الاثير[٥] يذكر انه توفى سنة **٢٢٤هـ/٨٣٨م** . ويذكر الطبرى[٦] انه توفى سنة **٢٢٨هـ/٨٤٢م** .

منزلته العلمية :

يتمتع المدائني بمنزلة كبيرة بين مؤرخي التاريخ الاسلامي ، فالخطيب البغدادي يروى عن يحيى النحوي انه من أراد اخبار الجاهلية فعليه بكتب

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٧ طبعة مصر وسنشير له ابن النديم .

(٢) ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ج ٣ ص ١١٢ طبعة مصر وسنشير له اللباب . ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٦٨ طبعة ليدن وسنشير له : الكامل .

(٣) ياقوت : معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٥ طبعة أحمد فريد الرفاعي . ويقول ابن النديم : « وكان منقطعا اليه » ص ١٤٧ .

(٤) ابن النديم ص ١٤٧ ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ج ١٠ ص ٢٩١ طبعة مصر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٠ الكامل ج ٧ ص ٣٦٨ .

(٥) اللباب ج ٣ ص ١١٢ .

(٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٣١٨ طبعة الاستقامة وسنشير له « الطبري » .

ابي عبيدة ، ومن أراد اخبار الاسلام فعليه بكتب المدائني[٧] . وقد أوصى يحيى بن معين بالكتابة عن المدائني[٨] نظراً لانه في رأيه « ثقة ، ثقة ، ثقة »[٩] . وحدث ابو قلابة قال : حدثت ابا عاصم النبيل بحديث فقال عمن ؟ فانه حسن فقلت ليس له اسناد حدثنيه ابو الحسن المدائني ، فقال سبحان الله ابو الحسن اسناد[١٠] . ويعتبره ابن الاثير عالماً بأيام الناس صدوقا[١١] اما الخطيب البغدادي فيقول انه « كان عالماً بأيام الناس واخبار العرب وانسابهم عالماً بالفتوح والمغازي ورواية الشعر صدوقاً في ذلك[١٢] . وكان احد ائمة عصره في الاخبار[١٣] ويذكر الطوسي « علي بن محمد المدائني عامي المذهب وله كتب كثيرة حسنة السيرة »[١٤] . اما ابن قتيبة فيصفه بان الاغلب عليه رواية الاخبار[١٥] .

اما الجاحظ فبعد ان يسرد احاديث عن البخلاء يقول فاما احاديث الاصمعي وابي عبيدة وابى الحسن فانى لم أجد ما يصلح لهذا الموضوع الا ما قد كتبته فى هذا الكتاب وهي بضعة عشر حديثاً[١٦] . ويظهر ان الجاحظ لم يعتمد كثيراً على اخبار المدائنى فى هذا الموضوع ولم ينقل لنا عن كتاب الخيل الذي الفه المدائني ، ويتهم الجاحظ المدائني بالتشيع[١٧] وعدم التمييز بين الاخبار المختلفة[١٨] ومع ذلك فهو ينقل عن المدائني اخباراً

---

(٧) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٥ .
(٨) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٥ .
(٩) معجم الادباء ج ١٢ ص ١٢٦ القفطي : انباء الرواة ج ١ ص ٢١٧ .
(١٠) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٥ .
(١١) اللباب ج ٣ ص ١١٢ .
(١٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٥ .
(١٣) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ج ١٠ ص ٢٩١ « على بن محمد المدائني الاخباري احد ائمة هذا الشأن في زمانه » .
(١٤) الطوس : الفهرست ص ٩٥ طبعة النجف ١٩٣٧م .
(١٥) ابن قتيبة المعارف ص ٢٣ .
(١٦) الجاحظ البخلاء ص ١٣٥ .
(١٧) الجاحظ : القول في البغال ص ٢٥ .
(١٨) الجاحظ : البيان والتبين ج ٣ ص ٣٦٦ .

عديدة فى معظم كتبه .

اهتم المدائنى بصورة خاصة فى تاريخ خُراسان والهند وفارس[١٩] .
وهو من أكبر الاخباريين البصريين ، ويتميز ، شأن كثير من الاخباريين العراقيين ببعض الاهتمام بالسند ، غ يران هذا الاهتمام لا يصل حد التزمت الذى نجده عند المحدثين كما ان اسلوبه سلس واضح دفين وكلامه مبسط .

وقد درس الاستاذ جب بتعمق ونقد اخبار المدائني ، وغيره عن فتوح خُراسان وتركستان واتضح له من كل ذلك اعتدال المدائنى ودقته وان التحقيقات الحديثة ايدت دقة هذا المرجع بوجه عام[٢٠] .

نظرته التاريخية :

عند القاء نظرة عامة على كتب المدائنى التى وصلتنا نلاحظ ان المدائنى اعطى أهمية لاخبار الرسول (ص) منذ ولادته واعماله وغزواته ، وقد كتب عن السيرة النبوية عدة كتب كل منها يبحث ناحية من حياة الرسول[٢١] واعماله كما كتب فى تاريخ قريش المهمة للاسلام وللنبى (ص) وللطبقة الحاكمة ـ الخلافة العباسية ـ فكتب كتاب « نسب قريش » « وكتاب فضائل قريش » و « كتاب هجاء حسان لقريش » وكتب عديدة فى اخبارهم واهم الشخصيات القرشية[٢٢] واعطانا ابن النديم قائمة بكتب المدائنى فى مناكح الاشراف واخبار النساء وبنظرة فى هذه القائمة نلاحظ ان المدائنى لم يهتم بالتاريخ السياسى العام وتاريخ الرسل والملوك كما فعل الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م) بل تطرق الى تاريخ الاشخاص والعلاقات الشخصية وعلاقة الرجل بزوجته . ونلاحظ انه اعطى صورة

---

(١٩) ابن النديم ص ٩٣ ليدن .
(٢٠) دائرة المعارف الاسلامية مادة « علم التاريخ » .
(٢١) ابن النديم : الفهرست ص ١٠١ ليدن .
(٢٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٠١ ، ١٠٢ ياقوت : معجم الادباء ج ١٤ ص ١٣١ .

للمجتمع وللعادات والمشاكل الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة آنذاك[٢٣] .

اما اخبار الخلفاء فقد وصلتنا قائمة باسماء كتب فى اخبارهم[٢٤] وقد وصلتنا من هذه الكتب اخبار متفرقة كثيرة فى أخبار الخلفاء[٢٥] وخاصة فى الطبرى والبلاذرى الا ان هذه الاخبار قليلة بالنسبة لما وصلنا من معلومات عن الخلفاء .

ووصلتنا قائمة كبيرة فى أهم الاحداث التى حدثت فى التاريخ الاسلامى مثل « كتاب الجمل » و « كتاب الردة » و « كتاب الخوارج » و « كتاب مرج راهط »[٢٦] .

اما كتبه فى الفتوح فهى كثيرة وتشمل الفتوحات الاسلامية منذ خلافة ابى بكر الصديق (رضى الله عنه) وفتوحات الشام والعراق وخراسان ومصر[٢٧] . ولم يصلنا من هذه الكتب الا مقتطفات عن فتوح بلاد ايران وخراسان وما وراء النهر وفارس .

وقد اعتبره المؤرخون المسلمون الحجة الاولى فى تاريخ خراسان والهند[٢٨] فنقلوا أخبارها منه وخاصة الطبري .

وكتب المدائنى فى اخبار العرب عدة كتب « ككتاب خبر خزاعة » و « كتاب اشراف عبدالقيس » و « كتاب البيوتات »[٢٩] وكتب فى اخبار الشعراء ويظهر من هذه الكتب ومن المقتطفات التى يرويها « كتاب الاغانى » انها تبحث فى أخبار عدد من الشعراء وعلاقتهم بالخلفاء وما قالوا من شعر فى المناسبات المختلفة مثل « كتاب من تمثل بشعر فى مرضه »

---

(٢٣) ابن النديم ص ١٠٢ ليدن .
(٢٤) ابن النديم ص ١٠٢ ليدن .
(٢٥) هناك معلومات طيبة في الطبري والبلاذري .
(٢٦) ابن النديم ص ١٠٢ ليدن .
(٢٧) ابن النديم ص ١٠٣ ليدن .
(٢٨) ابن النديم ص ٩٣ ليدن .
(٢٩) ابن النديم ص ١٠٣ ليدن .

و « كتـاب من وقف على قبر فتمثل بشعر » و « كتاب من قال شـعرا فسمي به »[٣٠] وقد وصلنا من كتبه مقتطفات عن حياة بعض الشعراء وخاصة في « كتاب الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني .

وقد كتب كتباً عديدة في مواضيع متفرقة اجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية[٣١] كما كتب في الجغرافية ككتاب « القـلاع والاكراد » الذي نقـل منه المسعودي[٣٢] « وكتاب حمـا المدينة وجبالهـا واوديتهـا[٣٣] « وكتاب مكـة » و « كتاب المـراعي والجـراد » ويحتـوي على الـكور والطساسيج وجباياتها .

وبهذا نلاحظ ان المدائني اعتنى بالاحداث الاسلامية فقط وشـملت عنايته سنين طويلة واحداث متعددة واشخاص كثيرين . ويتبين مما وصلتنا من المقتطفات الموجودة في الـكتب المتفرقة ان عنايته تبدأ بأخبار الرسول والخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم الدعوة العباسية . غير ان الاخبار التي وصلتنا عن الدولة العباسية قليلة بالرغـم من انـه كتب كتاباً عن السـفاح والدولة العباسية[٣٤] . ويظهر ان كتاب الدولة العباسية يشتمل على أخبار الدعوة العباسية ، وذلك لان كتاب اخبار الخلفاء الـكبير يحتوي على أخبار خلفاء بني العباس . والمعلومات التي وصلتنا عن الخلافة العباسية هي اخبار الدعوة في خراسان وتفاصيل عن مقتل ابي مسلم الخراساني والصراع بين الامين والمأمون . هذا وقد اهتم المدائني بالشخصـيات العباسية المهمة فافرد لهم كتب مستقلة مثل « كتاب عبدالله بن عباس » و « وكتاب علي بن عبدالله بن عبـاس » و « كتاب محمد بن علي بن عبـدالله بن العبـاس و « كتاب أخبار السفاح » .

اما أخباره عن البصرة فهي تتعلق بأخبار زياد بن ابيه وابنه عبدالله ،

---

(٣٠) ابن النديم ص ١٠٤ .

(٣١) ابن النديم ص ١٠٤ معجم الادباء ج ١٤ ص ١٣٨ .

(٣٢) المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٧ باريس .

(٣٣) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٣٦ .

(٣٤) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٣٤ .

ودعوة ابن الزبير ، ومصعب وأعماله ، وثورة المختار ، ثم أخبار الفتوحات وكلها تتعلق بفتوح خراسان واعمال الولاة فيها .

وتمتاز المعلومات التى وصلتنا عن الخلافة الراشدة والاموية بانها معلومات مفصلة عن صفات معظم الخلفاء وكنيتهم وسيرهم واخبار عن نسائهم واولادهم وهذه الاخبار يقدمها لنا الطبرى معظمها عن عمر بن شبه احد تلامذة المدائنى المشهورين ويظهر ان عمر بن شبه نقل أخباره عن « كتاب تسمية الخلفاء وكناهم واعمارهم » وكتاب اخبار الخلفاء الكبير »(٣٥) .

والمعلومات التى وصلتنا عن الفتوحات فى خراسان هى معلومات مفصلة واسعة ويكاد الطبرى يعتمد على المدائنى اعتماداً كلياً فى اخبار خراسان ويأتي بعد الطبرى البلاذرى الذى استفاد من كتب المدائنى فى أخبار خراسان وسيرة الرسول .

والمدائنى دقيق فى تحريه للاخبار ولهذا فقد اثنى عليه المؤرخون(٣٦) واصبح مصدراً موثوقاً فى الاخبار وهو دقيق فى اعطاء الروايات حتى انه يعطى تفاصيل كل حادثة ويهتم بتاريخ الحادث حيث يعطى تاريخ اليوم والشهر والسنة للحادثة الواحدة ، وقد يعطى روايات عديدة عن الحادثة الواحدة ويعطى بعض الاحيان رأيه فى الرواية الاكثر دقة . وبهذا كان للمدائنى شيء من النقد بالنسبة للحوادث التاريخية . هذا وقد اهتم المدائنى بالشعر فاورد الشعر فى اخباره كما ان المدائنى قبل بعض الروايات التى هى اشبه بالاساطير والخرافات(٣٧) .

والمدائني يعنى بالسند كما يتجلى ذلك من المقتطفات التي وصلتنا بطريق الطبرى ، ويختلف سلسلة السنة حسب الروايات . اما الروايات التى وصلتنا

---

(٣٥) ابن النديم ص ١٠٢ ليدن .
(٣٦) انظر الصفحة الثانية من هذا المقال .
(٣٧) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٧ البيان ج ٢ ص ٢٣١ انساب الاشراف ج ٥ ص ١ .

من كتب البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فمعظمها لا يذكر فيها المدائني رجال السند ويمكن عزو ذلك الى البلاذري حيث قام باختصار السند فى كافة شيوخه تقريباً . اما الرويات التى وصلتنا عن طريق الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م) فى كتبه « البيان والتبين » و « الحيوان » و « البخلاء » فان الجاحظ لا يذكر رجال السند الا فى روايات قليلة اما الكتب المتأخرة التى اعطتنا روايات عن المدائنى فلسنا نتوقع منها ان تذكر رجال السند بعد ان هجر المؤرخون طريقة السند .

ميوله السياسية :

لا تدلنا كتابات المدائنى على انه كان ميالاً الى الفئة الحاكمة آنذاك ـ الخلافة العباسية ـ فليست لدينا الا خبر واحد يذكر بانه حضر مجلس المأمون وذكر خبر ذم أهل الشام لعلي بن أبي طالب[٣٨] .

اما كتاباته عن الخلفاء الراشدين فبالرغم من قلة ما وصل الينا يظهر منها انه غير متعصب لاحد ويتجلى هذا بصورة خاصة في رواياته عن الخليفة عثمان حيث يذكر محاسن عثمان ومنزلته عند الرسول (ص)[٣٩] ولا يذكر شيئاً عن نقائصه أو عيوبه . وهو معتدل ايضاً فى الكلام عن موقف علي من الفتنة ، فبجانب ذكره خبر دفاع الحسن عن عثمان[٤٠] وبكاء علي وبناته على عثمان[٤١] وخبر مرور علي (رض) بدار آل ابى سفيان فسمع بعض بناته تقول :

ظلامة عثمان عند الزبير وأوتر منه طلحة
هما سعّراها باجذالها وكانا حقيقين بالفضحة

فقال علي :ـ قاتلها الله ما اعلمها بموضع ثارها[٤٢] . ثم رواية تشير

---

(٣٨) معجم البلدان ج ١٤ ص ١٣٤ .
(٣٩) انساب ج ٥ ص ١ ـ ١٠ .
(٤٠) انساب ج ٥ ص ٨٠ .
(٤١) انساب ج ٥ ص ١٠٣ .
(٤٢) انساب ج ٥ ص ١٠٥ .

الى قول علي (رض) « لو ان بنى امية يذهب ما في انفسها ان احلف لها خمسين يمين مرددة بين الركن والمقام انى لم اقتل عثمان ولـم امالى على قتله »[٤٣] . ومع ذلك هناك رواية أن الحسن قال لعلي (رض) « لقد قتلت رجلاً كان يسبغ الوضوء لـكل صلاة فقال علي لقد طـال حزنـك على عثمان »[٤٤] ورواية تشير الى قول أهل الشام « ان عليا قتله ـ عثمان ـ وآوى قتلته »[٤٥] . وبهذا يعطينا المدائني وجهات النظر التي كانت سائدة فقط ، وهذا ما جعل الطوسى المؤرخ الشيعى يقول فى المدائنى « عامى المذهب »[٤٦] .

وتشير الروايات الى موقف علي من طلحة والزبير فقد وصلنا أخبار تشير بان طلحة والزبير بايعا علي (رض)[٤٧] ومن ثم نقضا البيعة[٤٨] وان علياً كان يرغب فى الشورى[٤٩] وهنا يعطينا المدائنى الروايات التى تؤيد وجهة نظر علي فقط وتظهر طلحة والزبير خارجين ضده بعـد ان بايعـاه وتهمة علي بأنهما لم يدافعا عن عثمان[٥٠] وان دم عثمان فى عنقهما[٥١] بالرغم من اعطائه رواية تشير الى دفاع طلحة والزبير عن عثمان[٥٢] ومن ثم يطينا رواية تشير الى عدم رغبة علي فى القتال بل كان يرغب بالتحكيم بما جاء فى القرآن[٥٣] .

اما عن موقف عائشة (رض) فهناك رواية تشير بصراحة الى موقف

---

(٤٣) انساب ج ٥ ص ٨١ .
(٤٤) انساب ج ٥ ص ٨١ .
(٤٥) الطبري ج ٣ ص ٥٦١ طبعة الاستقامة .
(٤٦) الطوسي : الفهرست ص ٩٥ .
(٤٧) الطبري : ج ٣ ص ٤٥٥ طبعة الاستقامة .
(٤٨) الطبري : ج ٣ ص ٤٩٥ طبعة الاستقامة .
(٤٩) الطبري ج ٣ ص ٥٤١ طبعة الاستقامة .
(٥٠) الطبري : ج ٣ ص ٤٢٢ ، ٤٩٣ طبعة الاستقامة .
(٥١) انساب ج ٥ ص ١٠٥ .
(٥٢) انساب ج ٥ ص ٨٠ .
(٥٣) الطبري ج ٣ ص ٥٢١ طبعة الاستقامة .

عائشة المبهم وخروجها الى مكة(٥٤) ومن ثم يعطينا روايات عديدة عن موقفها ضد علي (رض) في يوم الجمل ـ حرب الجمل ـ ودفاع بني ضبة والازد عنها(٥٥) لانها زوجة الرسول وأم المؤمنين وتشير روايات عن ضعف عقلية بني ضبة في دفاعهم عن عائشة(٥٦) ، ومع كل هذا لا نجد المدائني يتحامل على عائشة بقدر تحامله على طلحة والزبير .

اما موقف المدائني من الخلافة الاموية ، فليس كما يذكر ولها وزن « بانه يأخذ بوجهة نظر العباسيين »(٥٧) اذ نجد روايات لا تتحامل على معاوية بن ابى سفيان ، بل روايات تشير الى سيرة معاوية الحسنة(٥٨) وحتى يزيد بن معاوية الذى كثيراً ما يهتم بفساد السيرة لا يتحامل عليه بل يذكر اخلاقه الحسنة بجانب ذكر خبر واحد يشير الى شرب يزيد « وكان يقاوم يزيد على الشراب سرجون مولى معاوية »(٥٩) وانه اول من سن الخمر فى الاسلام(٦٠) .

اما مقتل الحسين فلم يصلنا من روايات المدائنى الا خبر يوم مقتل الحسين(٦١).

واما الروايات المتعلقة بباقي الخلفاء الامويين فانها تتعلق بسيرة كل خليفة وكنيته وأخلاقه وأولاده ونسائه ، وسنة وفاته(٦٢) . ثم ان المدائني ينقل لنا عن عمرو بن مروان الكلبى تفاصيل الفتنة فى الشام ومقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م(٦٣) وكذلك ثورة اهل فلسطين

---

(٥٤) الطبري ج ٣ ص ٤٦٨ طبعة الاستقامة .
(٥٥) الطبري ج ٣ ص ٥٢٧ ، ٥٢٩ طبعة الاستقامة .
(٥٦) الطبري ج ٣ ص ٥٣٠ طبعة الاستقامة .
(٥٧) ولها وزن الدولة العربية وسقوطها ص ٦ .
(٥٨) الطبري ج ٤ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤ .
(٥٩) انساب ج ٤ ص ٢ .
(٦٠) الاغاني ج ١١ ص ١٠٧ .
(٦١) الطبري قسم ٢ ص ٢٨٨ طبعة ليدن .
(٦٢) انساب ج ٤ ص ٧٧ .
(٦٣) الطبرج ج ٥ ص ٥٦٥ ، ٥٦٨ (طبعة الاستقامة) .

والاردن على عاملهم[٦٤] .

ويطينا معلومات مفصلة عن التصادم والصراع القبلي في خراسان قبيل سقوط الدولة الاموية ، ولا يمكن الجزم بان المدائني كان مغرضاً بنقل هذه الاخبار رغبة لارضاء الدولة العباسية وذلك لان جميع الاخبار سرد للحوادث التي وقعت فعلاً ولا يمكن السكوت عنها بالنسبة لمؤرخ يكتب تاريخ ولاة خراسان وعمالهم[٦٥] .

اما الصراع بين الامويين والزبيريين فلا يظن مما نقل ان المدائنى يميل الى احد الجانبين[٦٦] على الرغم من ان المدائني اعتبر ابن الزبير خليفة المسلمين بعد معاوية بن يزيد[٦٧] ويتبين من هذا ان المدائني لم يكن متحاملا على الامويين .

اساتذته :

تذكر بعض الكتب معلومات قليلة عن شيوخه ، فيقول ابن النديم « كان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الاشعث ، قال وحفص الفرد وأبو سمرة وابو الحسن المدائنى وابو بكر الاصم وابو عامر عبدالكريم بن روح ستة كانوا من غلمان معمر بن الاشعث »[٦٨]

ويذكر ابن الاثير انه روى عن ربعى بن حراش[٦٩] ، ويذكر ابن ابن النديم ايضاً ان المدائنى حدثعن ابى اليقظان (سيحم بن حفضه لقبه ، واسمه عامر بن حفص) (توفى سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م)[٧٠] .

---

(٦٤) الطبري ج ٥ ص ٥٦٨ ــ ٥٧١ (طبعة الاستقامة) .
(٦٥) ابن النديم ص ١٠٣ ليدن .
(٦٦) انظر انساب ج ٥ ص ١٨٦ ــ ٢٧٨ .
(٦٧) ابن النديم ص ١٠٢ ليدن .
(٦٨) ابن النديم ص ١٤٧ طبعة مصر . معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٨ وانظر المرتضى طبقات المعتزلة ص ٥٤ .
(٦٩) اللباب ج ٣ ص ١١٢ .
(٧٠) ابن النديم ص ١٣٨ (طبعة مصر) .

ومن دراسة رجال السند في روايات المدائني التي وصلتنا ، نجد ان المدائني نقل اخباراً من اشخاص كثيرين يتردد اسم ابى اليقضان وسلمة ابن محارب وعلي بن مجاهد وابو الذيال زهير وعمرو بن مروان الكلبي والمفضل الضبي اكثر من باقي الرواة غير ان هناك عشرات من الرواة الذين نقل عنهم المدائني روايات مفردة .

اما السؤال الذي يجب الاجابة عنه هو هل اعتمد المدائني على كتب ونقل منها أم اعتمد على الروايات الشفهية فقط ؟

للاجابة عن هذا السؤال يجب دراسة رجال السند بدقة . ان رجال السند في اخباره كثيرون وحتى انه يقول حدثني رجل من ثقيف[٧١] أو عن شيخ من تميم • وهذا يدل على انه اعتمد على الروايات الشفهية • ولكن ابى عائشة يتهم المدائني بان علم المدائني من الصحف[٧٢]. ونستطيع ان نؤيد قول ابن عائشة اذا لاحظنا ان المدائني يروى عن عوانه بن الحكم المتوفى سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م[٧٣] ووهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠هـ/٧٢٨م . وبهذا يكون المدائني قد اعتمد على ما كتبه غيره بالاضافة لما قام به من جمع معلومات واسعة عن طريق الرواية الشفهية لاكمال معلوماته .

هذا ونلاحظ ان المدائني اعتمد في اخباره عن خراسان على شخصيتين بالدرجة الاولى هما المفضل الضبي وابو الذيال ، واعتمد في اخبار ثورة أهل الشام وقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م على عمرو بن مروان الكلبي .

تلامذته ومن نقل عنه :

روى عن المدائني أحمد بن الحارث الخزاز[٧٤] وروى عنه الزبير بن

---

(٧١) الطبري ج ٤ ص ١٢٩ ، ١٦٢ طبعة الاستقامة .

(٧٢) ياقوت معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٧٣) فتوح ص ٣٧٥ الطبري ج ١ ص ٢٨٠ ، ٥٦١ ج ٤ ص ١٢٠ .

(٧٤) ابن النديم ص ١٥٢ معجم الادباء ص ١٤ ص ١٢٥ وقد روى عنه كتاب المردفات من قريش انظر نوادر المخطوطات المجموعة الاولى ص ٦٠ .

بكار[٧٥] وأحمد خيثمة والحارث بن ابى اسامة[٧٦] وعمرو بن هرم[٧٧] والحسن بن علي بن المتوكل[٧٨] ولعل من أعظم رواته عمرو بن شبه اذ عن طريقه وصلتنا الكثير من أخبار المدائني من طريق الطبري حيث يذكر الطبري بانه نقل من كتاب أهل البصرة[٧٩] الذي الفه عمر بن شبه والذي ذكره ابن النديم وياقوت[٨٠] والذي يعتمد فيه عمر على المدائني ، والذي يظهر انه نقل معلوماته من كتاب البصرة للمدائني . ونلاحظ ان عمر بن شبه قدم لنا أيضاً معلومات عن الكوفة والخلفاء الراشدين والخلفاء الامويين والجمل وحركة ابن الزبير التى رواها عن المدائنى .

اما تلميذه الاخر والذى قدم لنا معلومات رواها عن المدائنى والتى وصلتنا من الطبرى هو احمد بن زهير ، ولكن دور احمد أقل من دور عمر بن شبه حيث لم ينقل منه الطبرى الا اخبار زياد فى خراسان قبل ان يبايع لمعاوية[٨١] ثم اخبار عن حياة معاوية وذكر نسائه ووفاته واسماء عماله واخلاقه[٨٢] ثم اخبار الوليد بن يزيد والثورة ضده[٨٣] وخبر وفاة هشام ومرضه وسيرته[٨٥] .

اما باقى الاخبار التى وصلتنا من الطبرى فيظهر ان الطبرى نقلها من كتب المدائنى حيث يرد « وحدثنى المدائنى عن اشياخه .. » أو « قال على » ولا يذكر اسم الكتاب الذى نقل منه ولكن يمكن معرفة الكتاب

---

(٧٥) اللباب ج ٣ ص ١١٢ .
(٧٦) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٥ .
(٧٧) اللباب ج ٣ ص ١١٢ .
(٧٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٤ . وقد روى عنه كتاب التعازي مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ٢٨ رقم ١ .
(٧٩) الطبري قسم ١٢٨ و١٢٩ ليدن .
(٨٠) ابن النديم ص ١٦٩ (مصر) معجم الادباء ج ١٦ ص ٦٠ ــ ٦٢ .
(٨١) الطبري ج ٣ ص ١٢٨ ، ١٢٩ (الاستقامة) .
(٨٢) الطبري قسم ٣ ص ٢٠١ ، ٢١٠ ليدن .
(٨٣) الطبري قسم ٢ ص ١٧٧٧ ، ١٧٩٥ ــ ١٨٠٢ ، ١٨٠٩ (ليدن) .
(٨٤) الطبري قسم ٢ ص ١٣٧٩ (ليدن) .
(٨٥) الطبري قسم ٢ ص ١٧٣١ ــ ١٧٣٤ (ليدن) .

الذى نقل منه الطبرى عن المدائنى فيما اذا رجعنا الى قائمة كتبه وقارناها بالخبر الذى بين ايدينا .

اما البلاذرى (المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م) والذى نقل اخبار كثيرة عنه فانه يظهر انه اخذ معلوماته من كتب المدائنى مباشرة ، مع بعض روايات سمعها عن المدائنى نفسه اذ يذكر ياقوت ان البلاذرى سمع ابو الحسن المدائنى[٨٦] .

والجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م) فانه يظهر انه نقل من كتب المدائني مباشرة مع روايات شفوية اخرى حيث يذكر عادة أبو بكر الحسن المدائني ، وقليلاً ما يذكر رجال السند الذين اعتمد عليهم المدائني .

اما ابو الفرج الاصفهانى فان معظم رواياته التى اخذها عن المدائنى في أخبار الشعراء جاءت عن طريق أحمد بن الحارث الخزاز .

وقد نقل عن المدائنى كثيرون لا ندرى انهم نقلوا معلوماتهم من كتب المدائنى أم انهم استقوها من مصادر معتمدة على كتب المدائنى .

اما ما وصلنا عنه اخبار تفيد بانه نقل مباشرة اخباره من كتب المدائنى فهو التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م صاحب « كتاب الفرج بعد الشدة »[٨٧] فقد نقل من كتاب « الفرج بعد الشدة والضيق ، وهو يشتمل على ست ورقات فقط ، ومن « كتاب السمير »[٨٨] وعبدالقادر البغدادي نقل في كتابه « خزانة الادباء ولب لسان العرب » من « كتاب المغربين »[٨٩]

(٨٦) ياقوت : معجم الادباء ج ٥ ص ٩١ .

(٨٧) التنوخي : الفرج بن الشدة ج ١ ص ٥ (القاهرة ١٩٠٤) .
ويصفه التنوخي « وكنت قد وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني وسماها « كتاب الفرج بعد الشدة والضيق » وذكر فيها اخبارا تدخل جميعا في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير ، ولم يأت بها مؤتلفة ، ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة ، ولا الابواب الواسعة المؤلفة مع اقتداره على ذلك ، ولا اعلم غرضه في التقصير ، ولعله أراد ان ينهج طريق هذا الفن في الاخبار ، ويسبق الى فتح الباب فيه بذلك المقدار ، وينقل جميع ما عنده من الاثار » .

(٨٨) التنوخي : الفرح بعد الشدة ج ٢ ص ١٧٤ (القاهرة ١٩٠٤) .

(٨٩) البغدادي خزانة الادب ج ٢ ص ١٠٩ .

« وكتاب النساء الناشزات »[٩٠] . هذا ولم يذكر ابن النديم وياقوت أسماء هذه الكتب الاربعة . اما المسعودي فقد نقل من كتاب القلاع[٩١] الذي جاء ذكره في قائمة ابن النديم[٩٢] وأبو الفرج الاصفهاني نقل من « كتاب الجوابات »[٩٣] والميداني في كتابه مجمع الامثال نقل من كتاب « زكن اياس »[٩٤] والذي لم يرد له ذكر عند ابن النديم وياقوت .

يورد ابن النديم فى الفهرست اوسع قائمة عن اسماء الكتب التى الفها المدائنى ويعيد ياقوت القائمة نفسها مع اضافات قليلة ، مما يجعلنا نعتقد ان ياقوت قد نقل عن نسخة من ابن النديم اوسع مما بين ايدينا . وتشير بعض المصادر الاخرى الى كتب لم ترد فى القائمتين المذكورتين اعلاه ، ولعل هذه الكتب هى جزء من كتاب اورده ابن النديم مثل مقتل « الحسين عليه السلام » الذى اورده الطوسى[٩٥] فى الفهرست يمكن اعتباره جزءاً من كتاب من قتل من الطالبين ، ومثل ذلك كتاب الخونة لامير المؤمنين عليه السلام . « اما كتاب النساء الفوارك » الذى يورده عبدالقادر البغدادى في خزانة الادب[٩٦] يمكن ان يشبه فى تسميته كتاب من هجاها زوجها الذى اورده ابن النديم .

وقد وصلنا من كتبه المدائنى « كتاب التعازى »[٩٧] ويتألف هذا الكتاب من جزئين ، وهو مما رواه ابو طالب عبدالله بن مُحمَّد العكبرّى عن ابى محمد الحسن بن علي بن المتوكل عنه .

كما نشر الاستاذ عبدالسلام هارون « كتاب المردفات من قريش » رواية ابى الحسن علي بن محمد بن عبيد الكوفى ، عن ابى القاسم عبدالله

---

(٩٠) البغدادي خزانة الادب ج ١ ص ٤٨٠ .
(٩١) المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٧ (باريس) .
(٩٢) ابن النديم ص ١٠٣ (ليدن) .
(٩٣) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج ١٠ ص ٨٦ (بولاق) .
(٩٤) مجمع الامثال ج ١ ص ٢٢٠ .
(٩٥) الطوسي : الفهرست ص ٩٥ .
(٩٦) خزانة الادب ج ١ ص ٤٠٨ .
(٩٧) المكتبة الظاهرية بدمشق ٢٨ رقم ١ .

ابن محمد ، عن أبى جعفر أحمد بن الحارث عن المدائنى[98] .

اما باقى كتبه فمفقودة ، غير ان المؤلفين العرب نقلوا كثيراً عنها وبذلك حفظوا لنا مقتطفات لا نعلم نسبتها الى الاصل . ولا نعلم بالضبط ما حذفوا . وجدير بنا ان نلاحظ ان هؤلاء المؤرخين الذين ينقلون عن المدائنى اغلبهم لا يشير الى الكتاب الذى نقل عنه .

وقد اوردت ادناه القائمة التى ذكرها ابن النديم وياقوت واشرت الى الكتب الاخرى التي لم يذكرها مراعياً في ذلك انسجام الموضوعات . وجعلت قائمة ابن النديم الاصل اما الكتاب الذي يذكره ياقوت ولا يذكره ابن النديم أو يختلفا في عنوانه فقد وضعته بين قوسين [ ] .

كتبه في أخبار النبي :

١ ـ كتاب أُمَّهاتِ النبي (صلعم) .
٢ ـ كتاب صفة النبى (صلعم) .
٣ ـ كتاب اخبار المنافقين .
٤ ـ كتاب عهود النبى (صلعم) .
٥ ـ كتاب تسمية المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم .
٦ ـ كتاب تسمية الذين يؤذون النبى (صلعم) وتسمية المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين .
٧ ـ كتاب رسائل النبى (صلعم) .
٨ ـ كتاب كتب النبي (صلعم) الى الملوك .
٩ ـ كتاب آيات النبى (صلعم) .
١٠ ـ كتاب اقطاع النبى (صلعم) .
١١ ـ كتاب صلح النبى (صلعم) .
١٢ ـ كتاب خطب النبى (صلعم) .
١٣ـ [كتاب أخْبارِ النّبيّ (صلعم)] .
١٤ ـ كتاب المغازى (وزعم أبو الحسن ابن الكوفى انها عنده ثمانية أجزاء

---

(٩٨) عبدالسلام هارون « نوادر المخطوطات » المجموعة الاولى ص ٦٠ ـ ٨٠ .

جلود بخط عباس الناسي [اليابس] وزعم تحت هذا الفصل واخرى في جزئين تأليف أحمد بن الحارث الخزاز) .

١٥ ـ كتاب سرايا النبى (صلعم) .

١٦ـ كتاب الوُفُود « يحتوي على وفود اليمن ووفُوُدِ مُضَرَ ووفود ربيعة » .

١٧ ـ كتاب دعاء النبى (صلعم) .

١٨ ـ كتاب خبر الافك .

١٩ ـ كتاب أزواج النبى (صلعم) .

٢٠ ـ كتاب عمال النبى (صلعم) على الصدقات .

٢١ ـ كتاب ما نهى عنه النبى (صلعم) .

٢٢ ـ كتاب الخاتم والرسائل .

٢٣ ـ كتاب من كتب له النبى (صلعم) كتاباً وأماناً .

٢٤ـ كتاب أموال النبي وكُتَّابِهِ (صلعم) ومن كان يَرُدُّ عليه بالصدقة من العرب .

٢٥ـ كتاب اختلاف المصاحف وجميع القراءات [ابن النديم ص ٣٦ ليدن].

٢٦ـ كتاب فتوح النبي (صلعم) .

كتبه في أخبار قريش :

١ ـ كتاب نسب قريش واخبارها .

٢ ـ كتاب العباس بن عبدالمُطَّلِب .

٣ ـ كتاب اخبار أبى طالب وولده .

٤ ـ كتاب عبدالله بن العباس .

٥ ـ كتاب علي بن عبدالله بن العباس .

٦ ـ كتاب آل ابى العيص .

٧ ـ كتاب خبر الحكم بن ابى العاص .

٨ ـ كتاب آل أبى العاص .

٩ ـ كتاب عبدالرحمن بن سمرة .

١٠ ـ كتاب بن أبى عتيق .

١١ ــ كتاب عمرو بن الزبير .

١٢ ــ كتاب فضائل محمد بن الحنفية .

١٣ ــ كتاب فضائل جعفر بن ابى طالب .

١٤ ــ كتاب فضائل الحارث بن عبدالمطلب .

١٥ ــ كتاب فضائل عبدالله بن جعفر .

١٦ ــ كتاب معاوية بن عبدالله [بْنِ جعْفَرٍ] .

١٧ ــ كتاب عبدالله بن معاوية [ابن عَبْدِ اللهِ بن جَعْفَر] .

١٨ ــ كتاب محمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

١٩ ــ كتاب العاص بن أمية .

٢٠ ــ كتاب عبدالله بن عامر بن كريز .

٢١ ــ كتاب بشر بن مروان بن الحكم .

٢٢ ــ كتاب عمر بن عبدالله [عبيدالله] بن معمر [التيمي] .

٢٣ ــ كتاب هجاء حسان لقريش .

٢٤ ــ كتاب فضائل قريش .

٢٥ ــ كتاب عمرو بن سعيد بن العاص .

٢٦ ــ كتاب يحى بن عبدالله بن الحارث [الحرث] .

٢٧ ــ كتاب اسماء من قتل من الطالبيين.

٢٨ ــ كتاب أخبارِ زياد بن أبيه .

٢٩ ــ كتاب مناكح زياد وولده ودعوته .

٣٠ ــ كتاب الجوابات ، ويحتوى على جوابات قريش ، جوابات مضر ، جوابات ربيعة ، جوابات الموالى ، جوابات اليمن .

كتبه في أخبار مناكح الاشراف واخبار النساء :

١ ــ كتاب الصَّدَاقِ .

٢ ــ كتاب الولائم .

٣ ــ كتاب المناكح .

٤ ــ كتاب النواكح والنواشز .

٥ ــ كتاب المعبرات .

٦ ــ كتاب المغنيات .

٧ ــ كتاب المُردفاتِ من قريش .

٨ ــ كتاب من جمع بين اختين ومن تزوج ابْنَهُ امْرأَتَهُ ومن جمع أكثر من أربع ومن تزوج مجوسية .

٩ ــ كتاب من كره مناكحته .

١٠ ــ كتاب من ميل عنها زوجها .

١١ ــ كتاب من نهيت عن تزويج رجل فزوجته .

١٢ ــ كتاب من زوج من الاشراف من كلب كلب [في كلف] .

١٣ ــ كتاب من هجاها زوجها .

١٤ ــ كتاب من شكت زوجها أو شكاها .

١٥ ــ كتاب مناقضات الشعراء واخبار النساء .

١٦ ــ كتاب من تزوج في ثقيف من قريش .

١٧ ــ كتاب الفاطميات .

١٨ ــ كتاب من وصف امرأة فاحسن .

١٩ ــ كتاب الكلبيات .

٢٠ ــ كتاب العوائل .

٢١ ــ كتاب مناكح الفرزدق .

٢٢ ــ كتاب البكر .

٢٤ ــ [كتاب المُغتَربَات] .

٢٣ ــ كتاب من تزوج من نساء الخلفاء .

٢٥ ــ كتاب من قتل عنها زوجها .

٢٦ ــ [كتاب القَيْنَاتِ] .

٢٧ ــ [كتاب العواتك] .

كتبه في أخبار الخلفاء :

١ ــ كتاب تسمية الخلفاء وكناهم واعمارهم .

٢ ــ كتاب تاريخ أعمار الخلفاء [اعمار الخلفاء] .

٣ ـ كتاب تاريخ الخلفاء « لعله مختصر لكتاب اخبار الخلفاء الكبير » .
٤ ـ كتاب حلى الخلفاء .
٥ ـ كتاب اخبار الخلفاء الكبير « ويحتوي على اخبار أبي بكر ، عمر ، عثمان ، علي عليهم السلام ، معاوية ، يزيد بن معاوية ، معاوية ، ابن الزبير ، مروان بن الحكم ، عبدالملك ، الوليد ، سليمان ، عمر ، يزيد بن عبدالملك ، هشام بن عبدالملك ، الوليد بن يزيد ، يزيد بن الوليد ، مروان ، السفاح ، المنصور ، المهدى ، الهادى ، الرشيد ، الامين ، المأمون ، المعتصم » .
٦ ـ كتاب أخبار السفاح .
٧ ـ كتاب حجة ابى بكر الصديق (رضى الله عنه) .
٨ ـ كتاب آداب السلطان .
٩ ـ [كتاب الدولة العباسية « وهو كتاب يشمل على عدة كتب لم يذكره ابن النديم ووقع الى خط السكري بعضه وقد قرأه الحارث بن اسامة »] .
١٠ـ كتاب الدولة .

كتبه في الاحداث :

١ ـ كتاب مقتل عثمان بن عفان (رض) .
٢ ـ كتاب الجمل .
٣ ـ كتاب الردة .
٤ ـ كتاب الغارات .
٥ ـ كتاب الخوارج .
٦ ـ كتاب النهروان .
٧ ـ كتاب توبة بن المضرس .
٨ ـ كتاب خبر ضابى بن الحارث البرجمى .
٩ ـ كتاب بنى ناجية والحر بن راشد ومصقلة بن هبيرة .
١٠ ـ كتاب خطب علي عليه السلام وكتبه الى عماله .
١١ ـ كتاب عبدالله بن عامر الحضرمى .

۱۲ ـ كتاب اسماعيل بن هبّار .

۱۳ ـ كتاب عمرو بن الزبير .

١٤ ـ كتاب مرج راهط .

١٥ ـ كتاب الربذة ومقتل حُبَيْشٍ .

١٦ ـ كتاب اخبار الحجاج ووفاته .

١٧ ـ كتاب عباد بن الحصين .

١٨ ـ كتاب حمرة واقم .

١٩ ـ كتاب الجارود بن روستقباد [كتاب ابن الجارود بر ُستقبَاذَ] .

٢٠ ـ كتاب مقتل عمرو بن سعيد [ابن العَاصِ] .

٢١ ـ كتاب زياد بن عمرو بن الاشرف العبلي [العتكي] .

۲۲ ـ كتاب خلافة عبدالجبار الازدى ومقتله المسور .

۲۳ ـ كتاب مسلم بن قتيبة وروح بن حاتم .

٢٤ ـ كتاب مقتل يزيد بن عمرو بن هبيرة .

٢٥ ـ كتاب ابن عمر بن عباد الحبطي وعمرو بن سهل .

٢٦ ـ كتاب يوم سنبل [سنبيل] .

۲۷ ـ كتاب خبر سارية بن زنيم .

۲۸ ـ كتاب عمرو بن سعيد الانصارى .

٢٩ ـ كتاب نوادر قتيبة بن مسلم .

۳۰ ـ كتاب ولاية اسعد بن عبدالله القسرى .

۳۱ ـ كتاب ولاية بن سيار .

۳۲ ـ كتاب اخبار الحسن بن زيد وما مدح به في الشعر وعماله .

۳۳ ـ كتاب الاشارة .

٣٤ ـ [كتاب مختصر الخوارج] .

كتبه في الفتوح :

١ ـ كتاب فتوح الشام أيام ابى بكر ، « أول خبر الشام ، مرج الصفر ، أيام ابى بكر ، خبر بصرى ، خبر الواقوصة ، خبر دمشق ، أيام عمر ،

خبر فحل ، حمص ، اليرموك ، ايلياء ، قيسارية ، عسقلان ، غزة ، قبرس » .

٢ ـ كتاب فتوح العراق « وفاة ابى بكر ، خبر الجسر ، خبر مهران ومقتله ، يوم النخيلة ، خبر القادسية ، المدائن ، جلولاء ، نهاوند » .

٣ ـ كتاب خبر البصرة وفتوحها ويحتوى على « دستميسان ، ولاية المغيرة بن شعبة ، ولاية أبى موسى ، خبر الاهواز ، خبر مناذر ، خبر نهر تيرى ، خبر السوس ، خبر دستوا ، خبر القلعة ، خبر الهرمزان ، خبر ضبة بن محسن ، خبر جند سابور ، خبر صهرباج قرية العبدى ، خبر سرق ، خبر رام هرمز ، خبر البستان .

٤ ـ كتاب فتوح خراسان [واخبار امرائها] ويحتوي على « ولاية الجنيد ابن عبدالرحمن ، رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، اختلاف الرواية في خبر قتيبة بخراسان » .

٥ ـ كتاب ثغر الهند .

٦ ـ كتاب عُمال الهند [اعمال الهند] .

٧ ـ كتاب فتوح سِجِسْتَانَ .

٨ ـ كتاب فارس .

٩ ـ كتاب فتح الأُبلَةِ .

١٠ ـ كتاب أخبار أرمينية .

١١ ـ كتاب كرمان .

١٢ ـ كتاب فتح بابل [كابل] ورامامسال ـ [وَزَابُلْستَانَ] .

١٣ ـ كتاب القلاع والاكراد .

١٤ ـ كتاب عمان .

١٥ ـ كتاب فتوح جبال طبرستان .

١٦ ـ كتاب طبرستان أيام الرشيد .

١٧ ـ كتاب فتوح مصر .

١٨ ـ كتاب الرى وامر العلوى .

١٩ ـ كتاب فتوح الجزيرة .

٢٠ ـ كتاب فتوح الاهواز .

٢١ ـ كتاب فتوح الشام .

٢٢ ـ كتاب فتح سهرل [شهرك] .

٢٣ ـ كتاب امر البحرين .

٢٤ ـ كتاب فتح برقة .

٢٥ ـ كتاب فتح مكْرَانَ .

٢٦ ـ كتاب فتوح الحيرة .

٢٧ ـ كتاب موادعة النوبة .

٢٨ ـ كتاب فتوح الرى .

٢٩ ـ كتاب فتوح جرجان وطبرستان .

٣٠ ـ [كتاب فتوح البامي] .

كتبه في أخبار العرب :

١ ـ كتاب البيوتات .

٢ ـ كتاب الحران .

٣ ـ كتاب اشراف عبدالقيس .

٤ ـ كتاب أخبار نهيف [ثقيف] .

٥ ـ كتاب من نسب الى امه .

٦ ـ كتاب من سمى باسم ابيه من العرب .

٧ ـ كتاب الخيل والرهان .

٨ ـ كتاب بناء الكعبة .

٩ ـ كتاب خبر خزاعة .

١٠ ـ كتاب حما المدينة وجبالها واوديتها .

١١ ـ [كتاب الجيران] .

كتبه في أخبار الشعراء :

١ ـ كتاب اخبار الشعراء .
٢ ـ كتاب من نسب الى أمه من الشعراء ـ [كتاب من سمّى باسم أُمّه] .
٣ ـ كتاب العمائر .
٤ ـ كتاب الشيوخ .
٥ ـ كتاب الغرماء .
٦ ـ كتاب من هادن أو غزا .
٧ ـ كتاب من [اقترض] من الاعراب في الديوان فندم وقال شعرا .
٨ ـ كتاب المتمثلين .
٩ ـ كتاب من تمثل بشعر فى مرضه .
١٠ ـ كتاب الابيات التى جوابها كلام .
١١ ـ كتاب النجاشى .
١٢ ـ كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر .
١٣ ـ كتاب من بلغه موت رجل فتمثل بشعر أو كلام .
١٤ ـ كتاب من تشبه بالرجال من النساء . [كتاب من تشبه من النساء بالرجال] .
١٥ ـ كتاب من فضل العربيات على الحضريات [فضل الاعرابيات على الحضريات] .
١٦ ـ كتاب من قال شعرا على البديهة .
١٧ ـ كتاب من قال شعرا فى الاوابد .
١٨ ـ كتاب الاستعداء على الشعراء .
١٩ ـ كتاب من قال شعرا فسمى به .
٢٠ ـ كتاب من قال فى الحكومة من الشعراء .
٢١ ـ كتاب تفضيل الشعراء بعضهم على بعض .
٢٢ ـ كتاب من ندم على المديح وندم على الهجاء .
٢٣ ـ كتاب من قال شعرا فأجيب بكلام [لعله هو نفس الكتاب المرقم ١٠ أعلاه] .

٢٤ ـ كتاب ابى الاسود الدؤلى .
٢٥ ـ كتاب خالد بن صفوان .
٢٦ ـ كتاب مهاجاة عبدالرحمن بن حسان لِلنَّجَاشِيّ .
٢٧ ـ كتاب قصيدة خالد بن يزيد فى الاحداث والملوك .
٢٨ ـ كتاب اخبار الفرزدق .
٢٩ ـ كتاب قصيدة عبدالله بن اسحق بن الفضل بن عبدالرحمن .
٣٠ ـ كتاب خبر عمران بن حطان الخارجى .
٣١ ـ كتاب النكد .
٣٢ ـ كتاب الاكلة .

ومن كتبه المؤلفة :

١ ـ كتاب الاوائل .
٢ ـ كتاب المتيمين .
٣ ـ كتاب التعازى .
٤ ـ كتاب المُنافِرات .
٥ ـ كتاب من جور [جوّد] من الاشراف .
٦ ـ كتاب العقبة والبردة .
٧ ـ كتاب المسيرين .
٨ ـ كتاب القيافة والفأل والزجر .
٩ ـ كتاب الحمقاء [الحَمْقَى] .
١٠ ـ كتاب الضراطين .
١١ ـ كتاب خصومات الاشراف .
١٢ ـ كتاب الخيل .
١٣ ـ كتاب التمنى .
١٤ ـ كتاب الجواهر .
١٥ ـ كتاب المقتبس .

١٦ ـ كتاب المسومين .

١٧ ـ كتاب كان يقال .

١٨ ـ كتاب ذم الجنيد .

١٩ ـ كتاب من وقف على قبر [لعله كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر].

٢٠ ـ كتاب الحيل .

٢١ ـ كتاب من استجيبت دعوته .

٢٢ ـ كتاب قضاة اهل المدينة .

٢٣ ـ كتاب قضاة أهل البصرة .

٢٤ ـ كتاب رقبة بن مصقلة .

٢٥ ـ كتاب مفاخر العرب والعجم .

٢٦ ـ كتاب مفاخر اهل البصرة واهل الكوفة .

٢٧ ـ كتاب ضرب الدراهم والصرف .

٢٨ ـ كتاب أخبار اياس بن معاوية .

٢٩ ـ كتاب اخبار اصحاب الكهف .

٣٠ ـ كتاب صلاح [اصلاح] المال .

٣١ ـ كتاب خطبة واصل .

٣٢ ـ كتاب أدب [آداب] الاخوان .

٣٣ ـ كتاب البخل .

٣٤ ـ كتاب المنقطعات المتجردات ـ [المقطعات المتخيرات] .

٣٥ ـ كتاب اخبار ابن سيرين .

٣٦ ـ كتاب الرسالة الى ابن ابى دواد .

٣٧ ـ كتاب النوادر .

٣٨ ـ كتاب اخبار المختار .

٣٩ ـ كتاب المدينة .

٤٠ ـ كتاب مكة .

٤١ ـ كتاب المحتضرين ومعناه من مات فى شبابه .

٤٢ ـ كتاب معرفة المراقب والرسوم .

٤٣ ـ كتاب المراعى والجراد ويحتوي على « الكور والطساسيج وجباياتها » .

٤٤ ـ كتاب الجوابات .

٤٥ ـ [كتاب ذم الحسد] .

٤٦ ـ [كتاب اللواطين] .

أسماء الكتب التي لم ترد في قائمة ابن النديم وياقوت :

١ ـ مقتل الحسين عليه السلام [الطوسي ص ٩٥] .

٢ ـ كتاب الخونة لامير المؤمنين عليه السلام [الطوسي ص ٩٥] .

٣ ـ كتاب النساء الفوارك [خزانة الادب حـ ١ ص ٤٠٨] .

٤ ـ كتاب المغربين [خزانة الادب حـ٢ ص ١٠٩] .

٥ ـ كتاب النساء الناشزات [خزانة الادب حـ١ ص ٤٧٩ ولعله جزء من كتاب النواكح والنواشز] .

٦ ـ كاب السمير [الفرج بعد الشدة حـ ٢ ص ١٧٤] .

٧ ـ كتاب الفرج بعد الشدة والضيق [الفرج بعد الشدة حـ ١ ص ٥] .

٨ ـ كتاب زكن اياس [مجمع الامثال للميداني حـ ١ ص ٢٢٠] .

تاريخ الآداب العربية في داغستان

بقلم محمد سيد بن جمال‌الدين
الاواري الداغستاني السيدي

لم تحفظ الحوادث التاريخية الماضية من آثار الآداب الداغستانية باللغة العربية الا قليلاً . ولا ريب ان لتلك الآثار من المزية ما يزيد قيمتها العلمية .

لقد ذكر المؤلفون العرب ، كياقوت الحموى ، وابن بطوطة ، وغيرهما ، في معجماتهم وأسفارهم طائفة من أهل العلم الذين ينتسبون الى مدينة الباب « دربند » في القرن الثالث عشر الميلادى . ولكنّا لم نعثر في سجّلات أولئك الافاضل – حتى القرن الثالث عشر – بأسامى احد من علماء العربية في نواحي داغستان ؛ اذ انتشر الاسلام وعلومه في القرن الثاني عشر هناك .

وأوّل من ظهر من العلماء المستعربين في داغستان الشمالية ؛ الشيخ علي بن محمد الغموقى (المتوفى سنة ١٨١٢م) وآخرون من علماء داغستان . وللشيخ الغموقى هذا كتاب قيّم في الحديث سمّاه (درر الأذكار) فرغ من تأليفه سنة ١٤٣٠م .

وقد كان للشيخ المذكور – على كل حال – اساتذة وشيوخ تخرّج بهم في هذا البلد الاّ ان الزمان بخل علينا بتآليفهم . وانما توجد كتب عربية خطّها الداغستانيون بأيديهم في أوائل القرن الرابع عشر . وكان للشيخ أسِلْدار المدفون بـ (هاركاس) – المتوفى سنة ١٤٠٤ – اتباع وتلاميذ .

هذا – وفي هذه المقالة المقتضية طرف من الاشارات الى العلماء الداغستانيين الذين الّفوا باللغة العربية في :

(١) التصوف .

(٢) الفقه .

(٣) العلوم العقلية ـ كالمنطق ، والفلسفة ، والمناظرة ، والالهيات ، والـكلام ، والحساب والهندســة ، والمثلثات ، والهيئة ، والرصـــد ، والاسطرلاب .

(٤) الطب .

(٥) التاريخ .

(٦) اللغة .

(٧) النحو والتصريف .

(٨) الادب والشعر .

١
التصـــوف

كان التصوف من اوائل ما لمح من فنون المعرفة قديماً في داغستان . فقد ألّف الشيخ ابو بكر محمد بن موسى بن الفـرج الـدربندي كتاب (ريحان الحقائق وبستان الدقائق) في التصوف ؛ في القرن الحادي عشر .

وظهرت الطريقة النقشبندية بداغستان فيأوائل القرن التاسع عشر ، فانثال عليها الناس وكثر أتباعهـا ، وصنّف جماعة من رجالهـا كتبـاً في التعريف بها ، ومنهم :

(١) الشيخ جمال الدين الغموقي ، صاحب كتاب (الآداب المرضية) الذى طبع في تميرخان شوره سنة ١٩٠٨م .

(٢) الشـــيخ عبدالرحمن الثُغوري مصنّف كتاب (المشـــرب النقشبندي) المطبوع في تميرخان شوره سنة ١٩٠٦م .

(٣) الشيخ محمد العُبُود ي ، مؤلف كتاب (كنز الدرر) .

(٤) الشـيخ حسن القَحِي ، ولـه كتاب (البروج المشـيّدة) و (تنبيه السالـكين الى غرور المتشيّخين) وقد طبعا في تميرخان شوره سنة ١٩٠٦ و ١٩١٠م .

(٥) الشيخ شعيب الباكني ، صاحب كتاب (طبقات الخواجكان النقشبندية) و (سراج السعادات في سير السادات) .

(٦) الشيخ محمد بن عثمان الككني ـ المتوفى سنة ١٩١٦م ـ مؤلف كتاب (نجم الأنام) المطبوع في تميرخان شوره سنة ١٩٠٢م .

(٧) الشيخ محمد اليَراغي ، وله كتاب (آثار) طبع في تميرخان شوره سنة ١٩١٠م .

وغيرهم ..

٢
الفقـــــه

أما الفقه فلم يكتف الداغستانيون بسرد القواعد الفقهية المأثورة ، بل بذلوا وسعهم في استنباط ما يناسب بلادهم وحالاتهم وظروفهم من الاحكام . كما لم يقتصروا على تحشية المتون ، والتعليق عليها ، فقد قرع وحدان منهم باب الاجتهاد ، وتتبعوا القواعد والاحكام ، وفق الكتاب والسنة ، وقد ألف جماعات من علمائهم كتبا طبعت طائفة منها في مطبعة (تميرخان شوره) المشهورة ، وأخرى في مكة والقاهرة واستانبول .

ولعلّ أفضل أشياخ داغستان في الفقه ، العالم محمد بن موسى القدقي ـ المتوفى في حلب سنة ١٧١٦م . فقد امتاز ببراعة التدقيق ، وبُعد النظر ، ودقة النقد ، ونزاهة الضمير ، والاستقلال في تحقيق المسائل الفقهية . ولكنّه لم يدّع الاجتهاد كما ادّعاه استاذه الشيخ صالح اليمني ـ المتوفى سنة ١٧٩٨م ـ صاحب كتاب (العلم الشامخ) على انّ له عدة مسائل خالف في حلّها فقهاء الشافعية في عصره ، وأثبت آراءه بالحجج والبراهين من الكتاب والسنة .

كان محمد بن موسى القدقي ـ هذا ـ محيطا بكثير من العلوم الفقهية والرياضية والفلسفية وقد نال شهرة واسعة في وطنه ؛ فتهالك عليه المتفقهون الذين تجمعوا من كلّ نواحي داغستان وجاؤه تترى من اقاليم

التتر الشمالي ، وبلاد الجركس ، وشمالي القفقاس ، وغيرها . ومن مشاهير الفقهاء الداغستانيين في القرنين السابع عشر ، والثامن عشر الميلادى :

(١) ابو بكر بن معاوية العايماكى ـ المتوفى سنة ١٧٩٠م .

(٢) علي بن الحاج بن محمد ـ المتوفى سنة ١٧٥٠م .

(٣) داود الاوسيشى ـ المتوفى سنة ١٧٥٧م .

(٤) علي محمد البغدادى التَّرِغُويّ ـ المتوفى سنة ١٧١٨م .

(٥) الشيخ احمد اليمنى الغُموقى ـ المتوفى سنة ١٤١٥ ـ صاحب كتاب (وفق المراد) .

(٦) شعبان العُبُودي ـ المتوفى سنة ١٧٣٨م .

(٧) سلمان الطوخى ـ القرن ١٨م .

وغيرهم ..

وفي القرن التاسع عشر :

(١) العالم محمد طاهر القَرَاخي ـ صاحب كتاب (شرح المفروض) المطبوع في تميرخان شوره ، وباغجا سراى سنة ١٩٠٤م .

(٢) العالم النحوي محمدعلي الجوخي ـ مؤلّف كتاب (الفتاوى) المطبوع في تميرخان شوره سنة ١٩٠٢م .

(٣) العالم مرتضى علي العورادي .

(٤) العالم حسن الاَلْقَداري ـ مصنّف كتاب (جراب الممنون) الذى طبع في تميرخان شوره سنة ١٩١٢م .

(٥) العالم مُسلم العُورادي ـ المتوفى في اوائل القرن ٢٠م .

وغيرهم ..

٣
العلــوم العقليــة

بقيت شروان وآذربيجان محافظتين على تقدمهما في العلوم العقلية

حتى القرن السابع عشر . وقد أثرتا في الداغستانيين تأثيراً كبيراً . وكان لشيوخ العلم في مرصد مراغة ـ الاعلام الكبار ، الذين كان رأسهم الخواجة نصير الدين الطوسي ؛ ومنهم ابو الفرج العِيْرى (المتوفى سنة ١٢٨٦م) ، وفريد الدين علي الشرواني وأمثالهما ـ آثار واضحة .

عني الافاضل الداغستانيون بالعلوم العقلية منذ اوائل القرن السابع عشر . ومن العلماء المجدّدين فيها ؛ ملاّ محمد الغولودى (القرن١٧م) فقد أسّس مدرسة ضخمة ، سنّ فيها تعليم المنطق ، والفلسفة ، والمناظرة ، والالهيات ، وحقق مسائل الكلام ، وساعد في ترويج رسالة (جهة الوحدة) في المنطق تأليف محمد أمين الشرواني .

وقد درس على الملاّ الغولودي ؛ العالم علي القِلّي ؛ فقد خرّجه في الفلسفة والالهيّات . وللقلّي فضل عظيم على نشر العلوم والآداب في داغستان . وله تآليف وتعاليق جمّة في المنطق والمناظرة والكلام ، ودوّن حواشي كثيرة ، ورسالات عدة في العلوم العقلية والنقلية .

وخرّيج علي القِلي صدر العلماء الداغستانيين محمد بن موسى القودوقي ، الذي أسس مدرسة جليلة خرّجت نفراً من الاعلام ؛ منهم :

(١) محمد بن علي الأوبْري .
(٢) الشيخ محمد العليجي .
(٣) الرياضي الشهير ماحاد الجوخي .
(٤) المعمار ماحاد الكوري .
(٥) داود الاوسيشي .
(٦) اسماعيل الشينازي .

وغيرهم ..

ومن الكبار المشهورين ؛ العالم الرياضي عيسى الشامغادي (القرن ١٧) الذى درس في وطنه ، ثم رحل الى شروان ، ولاقى هنالك الشيخ فيض الله الآغداشي . ويقال انه اتّصل بالعلامة الجامع الرياضي الكبير المشهور بهاء الدين العاملى صاحب كتاب (خلاصة الحساب) المعروف ،

ونال لديه قبولا وحفاوة . وعيسى هو الذى جاء بمصنّف العاملى الى داغستان واتخذوه كتابا للدراسة هناك .

ولعيسى الشامغادى كتب قيّمة في الرياضيات والفلسفة والمنطق .

ومن تلاميذ عيسى الشامغادى ، وملا محمد الغولودى المقرّبين ؛ الاستاذ اسمعيل الشينازي ويُعَدّ من أوائل المشتغلين بالاسطرلاب في داغستان ، وقد طبّقه عملياً في معرفة ارتفاع الجبال والاجرام . واخترع هو - أيضاً - اسطرلاباً صنّف رسالة في شكله وأصول تطبيقه . وتعلم منه هذه الصناعة كثير من الفضلاء . وللشينازى تقارير مهمة في الرياضيات والهندسة والهيئة والفلسفة .

ومن تلاميذه ملاّ محمد الغولودى ؛ العالم قربان علي العاكالْجى (القرن ١٧) ؛ وهو من المنطقيّين البارزين ، وله تقارير في الفلسفة والكلام ، ونقد رسالة (جهة الوحدة) للعالم الشرواني محمد أمين . وقد قسمت تقاريره المنطقيين الداغستانيين فرقتين : ففريق مالأوا محمد أمين ونظريته وفئة عارضته ، ووالت وجهة نظر قربان علي المذكور .

وترك العالم الألمعي مهدى محمد السوغوري ميراثاً ضخماً في المنطق والفلسفة وعلم الكلام .

وأوّل من أسّس تدوين الرياضيات والهيئة والطب والعقاقير ؛ العالم دَمَدان بن يعقوب الموحيّ (المتوفى سنة ١٨١٨م) . وهو الذى عرّب شرح مقدمة زيج الغ بيك تأليف العالم عبدالعلي بن محمد حسين البير جندى (٩٢٨هـ/١٥٢٣م) من الفاسية . وترجمته هذه ؛ صحيحة العبارات جزلة الالفاظ ، سليمة التراكيب ، متينة رشيقة .

وقد برع دمدان في الرياضيات والطبيعيات ، وابان في تآليفه القيّمة القواعد الاساسية ، بتوضيح تامّ ؛ معتمداً - في الغالب - على المقدّمة لاقليدس ، وربما أشار الى تآليف الحكماء الشرقيين ؛ كالخواجة نصيرالدين الطوسى ، وغيره .

وكان ذا يد باسطة ، ومعرفة واسعة بفن المثلثات . فقد شرح قواعده

الاساسية ، وزاد عليها نتائجه الخاصّة . وكان متضلّعا في تطبيق قواعد النسبة ، علم نسبة الاعداد ، كما حقق نظرية ذات أهمية كبرى في حل المسائل بطريقة التخرص والتخمين . وله مقالات مهمة ، وتقارير رائعة ، ونقوذ لاذعة لبضعة تآليف في هذا الباب .

وقد أفنى العالم ماحاد بن أيوب الجوخي (المتوفى سنة ١٧٧٠م) عمره في التدريس والافادة . وكان درس اوّلاً علي ابى بكر العايماكى . ثم (حل في طلب العلم الى مصر ، وحضر في الازهر ، وتخرّج إماماً يشار اليه بالأكفّ في العلوم الرياضية والفلسفية والهيئة والارصاد . وقد أشاد بذكره أحد أساتيذه المصريين ؛ وهو الشيخ محمد بن عثمان الدريجنى في ديباجة كتابه (الاشراق) في الفلسفة الالهية ، وأشار الى أنه بارع في هذا الفن .

ولما رجع الى وطنه ، واستقر في مسقط رأسه (جوخ) عكف على التدريس والتأليف ، وتتابع اليه نجباء الطلاّب لتحصيل العلوم الرياضية والفلسفية ، والمنطق والهيئة . ومن مشاهير خريّجيه :

(١) العالم « شيطان » عبدالله السوغورى .

(٢) العالم مهدى السوغورى .

(٣) العالم دِبِير قادى الأوادى .

(٤) العالم نور محمد الأوادى .

(٥) العالم عمر الكودالي .

(٦) العالم حسن الكودالى .

(٧) العالم عبدالحليم الزويشى .

وغيرهم ..

وبرّز في علم الهيئة ـ في القرن التاسع عشر :

(١) العالم زيد إسنبولات الكوركلى .

(٢) العالم ميرزا علي الأَخْتي .

(٣) الفلكى داود الغارابداغي .

(٤) محمد بن أُسَيْد الطيندي .

(٥) صادق الاوْبرى .

(٦) العالم اسمعيل الغوموقى .

(٧) العالم ماما الغوموقى .

(٨) العالم آتِتى حاجى الغوموقى .

(٩) العالم شمس الدين الغوموقى .

وكثير غيرهم ..

٤

الطـــــب

وتعاطى الداغستانيون علم الطب أيضاً ـ فكانوا يعانون التطبيب ، وجبر العظام ، واسعاف المرضى ، ومداواة الجروح . وكان لجميع الكتب الطبية المتداولة في العالم الاسلاميّ رواج واسع هناك . وقد عرّب الفاضل رَحمان قُلى الأخْتى (القرن ١٨) الكتاب الطبيّ الفارسى المعروف (تحفة المؤمنين) تأليف الديلمي . وترجمه العالم نور محمد الاواري (المتوفى سنة ١٨٤٣م) الى اللغة الغموقية . وظهرت ترجمات كراريس وكتيّبات في اللغة غوموقية اللغة والاوارية .

ولقد أثنى الطبيب الروسي الشهير (بيروكوف) ـ الذى شارك في الحروب القفقاسية كطبيب عسكرى على المتطبين والجرّاحين الداغستانيين . وقيّد بمذكراته المقدرة الطبية الفائقة المستفادة من الطب العربى .

والف المتطبب سيف‌الله باشلاروف الغازى غوموقى كتاباً في تعريفات مصطلحات الطب العربي مع مقابلاتها الروسية والالمانية .

وكتب الطبيب العالم رافع بن اسمعيل الشامغادى أثرا قيما جيدا في الطب ، جمع فيه تجاربه . ويُعَدّ سِجلّ آرائه . وحسبك من علوّ شأنه أن فهرست كتابه في نيّف واربعمائة صفحة .

ومن الاطباء الذين اشتهر الناس فضيلتهم ، واحرزوا التوفيق والتسديد في أعمالهم الطبية والاسعافية :

(١) الجراح الاونصوكولي جبرائيل .

(٢) أولاد حاجي محمد القوروديون .

(٣) بنو يوسف الياخساويّون .

(٤) الجراح بُوتاي السوغوري .

وكثير غيرهم ..

٥

التـــاريخ

تكاد تكون آثار العلماء الداغستانيين في التاريخ مقصورة غالباً على الحوادث في (عصر شامل) .

ومن التآليف المعروفة في التاريخ الداغستاني :

(١) بارقة السيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشاملية طبع في مطبعة اكادمية العلوم للاتحاد السوفيتي/موسكو - لينـنگراد سنة ١٩٤٠ - ١٩٤٩ مع ترجمة روسية في مجلدين تحت اشراف العلامة المستشرق اغناطيوس كراچكوفسكي .

(٢) كتاب « المغازي » للعالم الحاج حيدر بك بن عمر الكينيشوقي .

(٣) كتاب « خلاصة التفصيل في أحوال الامام شمويل » .

(٤) مذكرات للاديب السيد عبدالرحمن بن السيد جمال الدين الغوموقي .

(٥) عصر شامل لاسحاق الأُورْماري .

(٦) كتاب « خبر الآنغيدي » لخليل القاضي .

(٧) آثار داغستان بالاذربية للعالم حسن الآلقاداري ، وقد عرّب مرتين طبع في باكوسنة ١٩١٢ .

(٨) نصيحة الاخوان للعالم علي السالطي .

(١٠) المنخل للعالم حسن الكودالي .

(١١) كتاب « جداول التاريخ » للعالم ملاّ احمد بن نور محمد الطبراني .

(١٢) نزهة الاذهان في تراجم علماء داغستان لنذير بن محمد الدوركلي .

(١٣) طبقات التراجم للعالم علي بن عبدالحميد الغوموقي .

٦
اللغة

أما اللغويون فكانوا قليلين في داغستان ، ومن أهم ما صنفوا في اللغة :

(١) جامع اللغتين لتعليم الاخوين ؛ وهو قاموس فارسى تركى عربىّ المتن ؛ صنّفه العالم دِبير قادى الأَوارى (القرن ١٩) .

(٢) تبيان اللسان لتعليم الصبيان بالعربية لتعليم الصبيان اللغة الفارسية ، له أيضا .

(٣) كتاب « خمسة ألسنة » تأليف العالم أبو سفيان الغازانيشي ، وقد طبع عدة مرات .

(٤) كتاب « الخدمة المشكورة في اللغات المشهورة » له أيضا . وقد طبع ببلدة بويناقسك سنة ١٩٢٥ .

٧
النحو والصرف

كانت مجموعة الكتب المدرسية فى النحو العربى في القرن الثامن عشر ممّا ألفّه علماء قواعد اللغة في ايران (كالتصريف) لعز الدين الزنجاني ، و (العوامل المائة) للجرجاني ، و (الانموذج) للزمخشري ، و (الفوائد الضيائية) للجامى ، وغيرها . ولكن الامر تغير فى القرن التاسع عسر فقد جاؤا بالكتب المدرسية من البلاد العربية ؛ ولاسيما مصر والشام .

ومن تلكم الكتب : (ألفية ابن مالك) وشروحها ، و (مغنى اللبيب) لابن هشام ، و (والآجرومية) ، وغيرها ..

كما بدأ النحاة الداغستانيون يؤلفون كتباً في النحو والصرف وينشرونها في بلادهم ، ومنهم :

(١) محمد بن مَانيلاو ــ المتوفى سنة ١٧٧٠م .
(٢) محمد بن موَسى القودوقى .
(٣) محمد علي الجوخى ــ المتوفى سنة ١٩٠٢م .
(٤) حسن الكودالى ــ المتوفى سنة ١٧٠٠م .
(٥) داود بن علي الاوسيش ــ المتوفى سنة ١٧٦٧م .
(٦) ابن دبير يلاو الهاراكاني .
(٧) يونس بن عمر الاينخُووى .
(٨) غازى محمد القاراخى .
(٩) قربان علي الآرغانى .
(١٠) عبداللطيف بن محمد الحوزى .

وكثير غيرهم ..

٨
الشعر والادب

ظهر الادب العربى فى داغستان في فترة التأخر العام الذى أصاب التمدن العربي في القرون المظلمة . وقد بدأ نشوء الآداب العربية هناك في أواخر القرن السادس عشر ، واوائل القرن الذى يليه . وكان هذا الادب يصوّر الحياة الداغستانية حقاً ، ويعبّر عن تطورها التاريخي اذ سقته تلك البيئة ماءها ، وأمدّه ذلك المحيط بخصائصه . ولكن الادب لم يستطع أن يدرك ما بلغته النماذج الادبية العربية التى عدت في الصف الاول من القلائد الادبية العالمية . ولكنه ــ على كل حال ــ غزير في مادته ؛ فهو كمنظر يُستطاب أن يُراقب بها الحوادث التاريخية ، والصفات الخاصة بالاقوام الجبلية .

ويمتاز الادب العربى الداغستانى ـ من حيث التعبير ـ بجزالة الالفاظ ، وتناسبها وتناسقها عدّ عن سلاسة التركيب ، ووضوح البيان ، ومتانة المعاني . وهو يكاد يشابه الادب العربي في عصر الازدهار الذهبي الغابر .

ولابد من الاشارة الى أنّا نلاحظ في الآداب الداغستانية العربيةفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اتجاهين رئيسين لازما تقدّمها وتطورها ؛ هما :

(أ) المدائح الربانية والنبوية ـ المتفجرة من تأثير الاشعار والمنظومات العربية في الالهيات والمديح النبوى ـ التى جادت بها قرائح المتشاعرين الداغستانيين . ومن صفات هذه الاتجاه السذاجة ، وتكرير الالفاظ والتعابير الجوف ، واستعمال الكلمات في غير مواضعها احياناً . وقد جرّ هذا الى رداءة النظم وخروجه من طبقته فى بعض الظروف . .

ومن اعلام هذا القسم :

(١) على بن محمد البغدادى التارغووى ـ المتوفى سنة ١٦١٣م .

(٢) الشيخ علي الغموقى ـ الذى تقدّم ايراد ذكره .

(٣) العالم ملا محمد الكاطروخى .

(٤) شعبان بن اسمعيل العوبودى ـ القرن ١٨م .

(٥) آقاميرزا القاعانى .

(٦) دبيرقادى الأوارى .

وغيرهم ..

(ب) ومشى ـ مع ذلك الاتجاه ـ اتجاه آخر ظهر في آثار عدّة من أعلام الشعر الداغستانى الذين ملأت مسامعهم اغانى الوقائع التاريخية في عصرهم فمثلت أشعارهم الحياة الواقعية في زمانهم . وقد شاركوا هم بانفسهم في الحوادث والوقائع بأقلامهم وعبقريتهم . فأدبهم مطبوع بقالب خاصّ واضح . وقد تعاطى فريق منهم أنواع الادب ؛ كالحماسة ، والنسيب ، والمديح ، والزمانيات ، والهجاء .

ومن حملة ألوية هذا التوجيه الادبى في داغستان فى القرن التاسع عشر :

(١) العالم الشهير سعيد الهاراكانى .

(٢) العالم حاجى محمد السوغورى .

(٣) العالم عبداللطيف بن محمد الحوزى ـ نزيل جونكوت .

(٤) العالم يوسف بن موسى الياخساوى .

(٥) العالم ميرزا علي الآختى .

(٦) العالم شيخ أمير الغوموقى .

(٧) العالم حسن بن عبدالله الألقادارى .

(٨) العالم امام محمد الهيهالى .

وغيرهم ..

أما الدور الجديد في الادب الداغستانى العربى فيبدأ في اوائل القرن العشرين . فقد استطاع فحولة هذا الضرب الاطلاع على الحوادث السياسية ، والاحداث الاقتصادية ، وشاهدوا التطورات الكبيرة في مختلف الآفاق التى اجتاحت البلاد الروسية ويمكن أن نعد ١٩٠٥ نقطة انطلاق هذا التطور البارز .

وقد كان للعلاقات الجديدة بين الادب الداغستانى وآداب الامم الروسية الاخرى ، ولاسيما التتر أثر كبير محسوس في الادب الداغستانى ؛ فقد تقدم الادب التترى تقدّماً حينذاك . كما لم يخل الادب الداغستانى العربى من تأثير بالبلاد العربية كسوريا ومصر .

وكان من آثار هذا التطور الجديد ، التجدد والانتعاش في شخصية الشعر وبيئتهم ووعيهم ؛ فقد اتسعت آفاقهم الفكرية ، واطلعوا على أفكار أعلام الشرق والغرب . وقد دعا هذا التأثير والتجدد الى تطور الادب الرفيع ونموّه وتقدّمه .

ومن مشاهير الادباء الداغستانيين البارزين في أوائل القرن العشرين الذين استعملوا قدرتهم الادبية ، ومهارتهم بالعربية :

(١) الاديب محمد بن عبد الرشيد الهاراكانى (المتوفى سنة ١٩٢٨) فقد كانت له قصائد طنانة ، واشعار خلاّبة ، منها قصيدة (يوم العواء) التى

قالها في صفة معركة (عاياقاقا) بين الثوّار والفدائيين ، وجماعات الجنرال دينيكين الرجعيين في داغستان سنة ١٩١٩ .

(٢) الشاعر الشيخ علي السوغورى .

(٣) حسن كوزون الغوموقى .

(٤) فخر الدين الآرغانى .

(٥) اسماعيل الشولانى .

(٦) محمد العمرى .

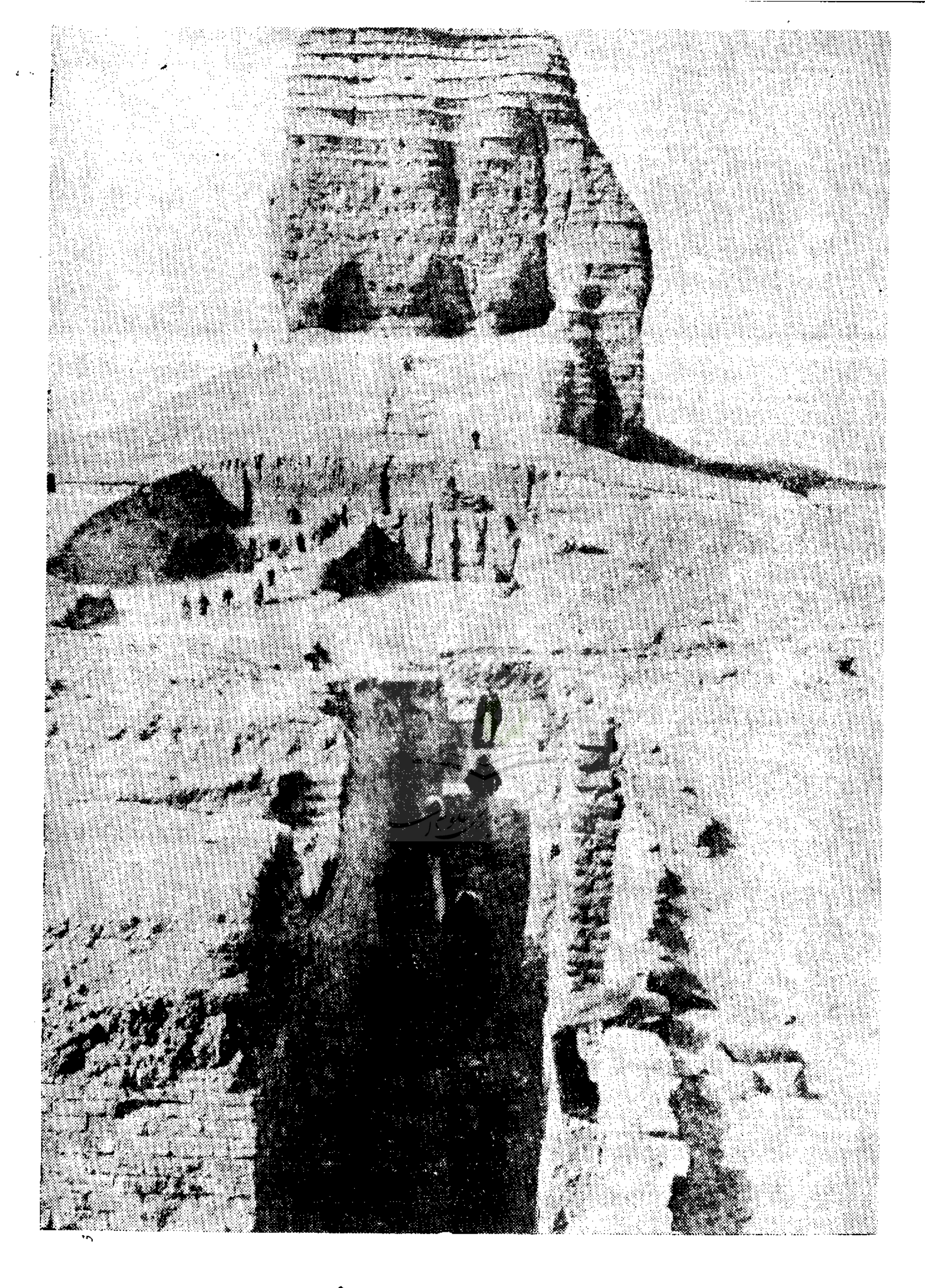
(٧) محمد نور الـكيمراوى .

(٨) ملّه شريف الـكيمراوي .

وكثير غيرهم ..

لقد نشأ الادب العربى الداغستانى ، ونما وتطور في ظروف تاريخة معيّنة ، وتقدم كأدب محلّى نتيجة البيئة والصقع والعصر مع ما له من العلاقات البارزة باخيه الادب العربى العالميّ .

وللادب العربيّ الداغستانى اهميّة كبرى فهو انموذج حيّ فريد في بابه ؛ تطورّ وعاش في البلد النازح بعيداً عن موطنه العربيّ برهة غير قصيرة في ظروف كانت الصلات والعلاقات مقطوعة فيها أو متنائية ، أو ضعيفة الى حدّ كبير . ودراسة هذا الادب تسدّ ثلمة من مجاهل تاريخ التطور العام للآداب العربية .



منظر عام لزقورة عقرقوف "البرج المدرج"
ولم يبق منها سوى لبنها



الكاشيون

١٥٣٠ ــ ١١٦٠ ق٠م٠

الدكتور محمود حسين الامين
استاذ مساعد في قسم التاريخ ــ كلية الآداب

المصادر البابلية عن الكاشيين ٠ موطنهم الاصلي ٠ دويلتهم في خانه (عنه) ٠ آلهتهم ٠ بداية حكمهم في بابل ٠ مركزهم السياسي ٠ علاقاتهم الخارجية ومراسلات تل العمرنة ٠ نهاية دولتهم ٠ بلاد بابل في زمن الكاشيين ٠ الطب البابلي ووفود العلماء ٠ فن النحت والهندسة المعمارية ٠ صناعات الاختام الاسطوانية وأحجار الحدود ٠ الحياة الدينية والادب الديني ٠ طبقة الكهنة ٠ طبقة الكاهنات ٠ الآداب والعلوم ٠

توطئــــة :

لا يعرف التاريخ القديم بلداً ظفر بدرجات المجد وارتقى مدارج الحضارة والتقدم طوال عشرات من القرون وطبع البشرية القديمة بطابعه الثقافي والسياسي والديني لبضعة الاف عام ، قدر ما ظفرت به بلاد وادى الرافدين من سؤدد وما تبوأته من مكانة قيادية في العالم القديم منذ ظهور الكتابة الصورية في بلاد سومر في ٣٣٠٠ ق.م . حتى سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق٠م ٠

على ان طريق المجد الذى سلكه سكان بلاد وادى الرافدين في تاريخهم المديد لم يكن كله مؤزراً بالظفر ، مكللاً بالازدهار لاسيما حين كانت الفرصة تتاح لحكام غرباء ان يظفروا بزمام الحكم أو حين يغتصب السلطة سلطان جائر اجنبي أو تغير على البلاد جحافل الاقوام الهمجية من الشرق فتحرق المدن وتقتل الناس وتخرب المعابد والمدارس وتهدم السدود وتذهب بكل ما ابتدعته عقلية السكان وبنته ايديهم خلال اجيال عديدة ، كما فعل الگوتيون ــ الاقوام الشرقية التى اندفعت من وراء جبال بشتكوه

فقضت على الدولة الاكدية في حدود سنة ٢١٥٠ ق.م . ومحت كل ما انتجه الاكديون من فنون وعمران فاستحقت لعنة السومريين والاكديين على ممر الاجيال ، فما كان نعتهم اياها بثعابين الجبال مجرد كراهية شعب وديع لغاز أثيم محتل ، بل لانها احرقت في الحقيقة المدن ودكت معالم المدنية في البلاد ونهبت ثرواتها وسرقت الزوّج من زوجها وسلبت الملكية (الحكم) من البلاد . هذا ما تحدث عنه السومريون في كتاباتهم .

ان كل امة تصاب بالعثرات في طريقها الحضاري الطويل لان طاقتها الحضارية لا تسير أبد الدهر وفق سرعة معينة ثابتة ، فقد تتعرض للوهن فتسير وئيداً بل قد تتباطأ في سيرها لدرجة الركود . وهنا تدخل الامة في التجربة - تجربة الزمن وتجربة الفناء والحياة وتجربة الكفاية والجدارة بالنهوض تارة أخرى والسير بخطى متلاحقة لتتدارك ما فاتها من زمن وما اضاعته من فرص . وتجربة الزمن هذه أو تجربة الفناء والحياة هي التي اعتدنا نحن تلامذة التاريخ ان نسميها خطأً فترة الضعف والانهيار وهي الفترة التي تسود البلاد فيها الفوضى والاضطرابات ويدب التفسخ الى جسم الدولة وتتفكك فيها اوصال المجتمع بحيث تصبح الفرصة متاحة لغزو اجنبي أو لاقلية غريبة ممتهنة تستحوذ على الحكم كما حصل للكاشيين - العنصر الغريب من وراء الجبال الشرقية الذين سيطروا على الحكم في بلاد بابل وحكموها قرابة اربعة قرون ، كانت من اخطر فترات التجربة التي مرت على بلاد وادي الرافدين والتي لا تقل خطورة عن الفترة التي عاشها العراق في تاريخه الحديث بين ١٤ تموز ١٩٥٨ و ٨ شباط ١٩٦٣ ، مع فارق واحد هو الزمن ووعي الشعب السريع النفاذ في خروجه من التجربة الاخيرة . ولشدة ما يبعث القارىء على الدهشة والاستغراب حين يجد في موضوعنا هذا تشابه الدور السياسي الذي لعبه الكاشيون في العلاقات الدولية بين شعوب الشرق الادنى القديم ولاسيما بين بلاد آشور وبلاد وادي النيل ، مع الدور الذي لعبه الحكم الشعوبي الاجرامي والاوليگارشي الاخير في احلال الفتنة والفرقة بين دول الشعب الواحد في منطقة الشرق الادنى العربية .

المصادر البابلية عن الـكاشيين :

تشير المصادر التاريخية الى ان الكاشيين كانـــوا معروفين في زمن حمورابي وكانوا يعيشون في بلاد بابل ويتعاطون مختلف الحرف فقد كانوا يشتغلون في الزراعة ارقاء وخدماً ويتعاطون التجارة . فهناك رقم من الطين تحتوى على عقود لمعاملات البيع والشراء ترجع الى زمن حمورابى وتحمل اسماء" كاشية ممن كانوا يتاجرون بالخيل ، وهى الحيوانات التى لم يكن يعرفها البابليون من قبل وقد ادى اشتغالهم بالتجارة الى انتشارهم فى بلاد بابـل .

كذلك اشارت المصادر التاريخية من السنة التاسـعة لحـكم المـلك شمسو ايلونا بن حمورابى الى وجود الكاشيين فى بلاد بابل وتحدثت عن اصنافهم وما خلا هذه المصادر فانه ليست لدينا أخبار تاريخية مدونة تبين لنا كيفية مجيىء الـكاشيين الى هذه البلاد واقامة دولتهم فيها ، أو انهم أستولوا عليها عن طريق الحرب والغزو . ولكننا نعرف ان العنصر الكاشى ازداد في خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد أى في زمن حكم الملوك المتأخرين من سلالة بابل واخذت اسـماؤهم تتردد فـي كثير من العقـود والوثائق ومعاملات البيع والشراء المدونة على رقم الطين وعرفنا من هذه الرقم انهم كانوا يعملون في الفلاحة فلاحين بالاجرة او عبيداً للارض وهذا ما يجعلنا نعتقد بان الكاشيين تغلغلوا في بلاد بابل بطريقة سلمية ، كالهجرة ، بدافع الحاجة الاقتصادية أو تحت وطأة المناخ أو انهم اندفعوا أمام موجة غازية من الشعوب المهاجمة من جهة الشرق ، فاتجهوا الى بلاد بابل ولربما كان هذا التغلغل قد حدث بعد وفاة حمورابى في زمن ابنه شمسو ايلونا كما اسلفنا ، لان الدولة البابلية الاولى تضعضعت قوتها بسـبب الثورة التى نشبت في السنة السابعة من حكمه في المنطقة القريبة من بلاد عيلام . فقـد ثار هناك أمير يعرف باسم نرامسن (الثانى) ولعله احد احفـاد رمسن

المشهورة ، فاستولى على إيسن[١] ومدينة كيش[٢] واضطر شمسو ايلونا الى محاربته مدة ثلاث سنوات حتى استطاع القضاء عليه . كذلك انسلخ القسم الجنوبي من بلاد بابل والمعروف ببلاد البحر ، عن سلطان بابل في زمن شمسو ايلونا واستقل بقيادة ايلونا ايلو الذى اسس سلالة بلاد البحر[٣] وقد بقيت هذه السلالة في اثناء حكم الكاشيين لبلاد بابل .

هاجم الكاشيون بلاد بابل في السنة التاسعة من حكم الملك البابلي شمسو ايلونا أي في سنة ١٦٧٦ ق.م. ولكنهم اخفقوا في الاستيلاء عليها فاندفعوا نحو الشمال الغربي واستقروا في اواسط نهر الفرات حول بلاد ماري واسسوا هناك دولة عرفت بدولة خانا (عنه) وظهر لهم فيها ثمانية ملوك قبل ان تسقط الدولة البابلية على يد مرشيلي الاول ملك الحثيين سنة ١٥٣١ق.م. وكان من ملوكهم كنداش وآكوم الاول وكشتلياش الاول وابى رتّاش وهي أسماء هندو ايرانية[٤] .

وفي سنة ١٥٣١ ق.م . هاجم الملك الحثي مرشيلي الاول بلاد بابل فساعده الكاشيون القاطنون في أواسط نهر الفرات وكذلك الخوريون ، وقام الكاشيون القاطنون فيما وراء جبال زاجروس بهجوم على بلاد بابل وبذلك مكنوا الحثيين من الاستيلاء على العاصمة بابل وكانت يومذاك تحت حكم الملك شمسو ديتانا آخر ملك من سلالة بابل الاولى . وقد اشارت سجلات الرقم الطين في العاصمة الحثية ختوشش (بوغازكوي) في أواسط آسيا الصغرى الى نهاية الدولة البابلية على يد الحثيين وحلفائهم الكاشيين .

آلهتهم :

يتبين من اسماء آلهة الكاشيين وواجباتها بانها غريبة في تسميتها

---

(١) ايسن وتسمى ايشان البحريات وتبعد بمقدار ٣٠كم الى اليمين من وسط الطريق من الديوانية الى عفك وهي من أهم المدن السومرية والاكدية وقد نشأت فيها سلالة ملكية عرفت باسمها استغرقت زهاء قرنين من الزمن (١٩٥٩ ـ ١٧٣٥ ق.م) .

(٢) وتعرف باسم تل الاحيمر وتقع بالقرب من بلدة المسيب .

(٣) راجع :ـ King, Chronicles I, pp. 96.

(٤) راجع :ـ Unger, Assyrien und Babylonien.

وواجباتها عن اسماء الآلهة السومرية والاكدية والبابلية والاشورية وليس في اسمائها واصولها ما يشير الى صلتها بآلهة شبه الجزيرة العربيــة أو بالاسماء المنتشرة فيها . وتشير نهايات تركيبها « آش » الى مصدرها الهندو آري وتدخل في اسماء ملوكهم المركبة فتكون اسمها الاخير . والآلهـة الكاشية هي : انداش Indash وبگاش أو بغاش Bugash وبورياش Buriash الذي يعني ســيد البلاد ومّروتّاش Marruttash الذي يقابل الاله مردوك عند البابليين وقد ورد اسمه في القرآن الـكريم باسم ماروت . وساخ Sakh وشرياش Shuriash الذي هو الاله الشمس (شماش) وهو الاله سُريّا « ثريّا » نفسه عند الهنود .

موطنهم الاصلي :

كان الموطن الاصلي للكاشيين في القرن السابع عشر قبل الميلاد في القسم الغربي من جبال زاجروس واستوطنوا بالقرب من منطقة تعرف باسم توبلياش Tupliash واطلقوا على بلاد بابل عند احتلالهم إياها اسـم كاردونياش Kar-Duniash . وقد اخذ الآشوريون فيما بعد يطلقون هذا الاسم على بلاد بابل اهانة . واغتنم الكاشيون فترة الضعف والاضمحلال التي حلت ببلاد بابل فتفيدنا الاخبار الخاصة ببلاد عيلام اذ تقول بانهـــا تعرضت لغزو قبائل الـكشو Kashshu في زمن حكم أمي صدوقا ، الخليفة الرابع لحمورابي . والكشّو قبائل هندو آرية سكنت الجبال المنيعة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من العراق وقد كانت تعرف ببلاد كشّو نسبة الى الههم كشّو ثم انحدروا الى المنطقة التي تعرف اليوم ببلاد لورستان وأصبحت تعرف عند الاغريق باسم بلاد كشّاي . على ان موطنهم قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد كان بالقرب من بحيرة قزوين ومناطق جبال القفقاس اذ ما تزال هناك بقايا من لغة الكاشيين تشير الى صـلتهـا الوثيقة باللغـات القفقاسية ، وهذا ما يظهر بوضوح في قائمة المفردات الكاشية المترجمـة الى اللغة الاكدية التي وصلت الى ايدي المؤرخين عن طريق الحفريـات . كذلك تشير اسماء آلهتهم واسماء ملوكهم والاشخاص المدونين في الوثائق الى صلتهم القريبة ببلاد القفقاس . فأسماء آلهتهم كالاله شرياش هو الالـه

سريا « ثريا » الاله الشمس عند الهنود والاله مرتوتاش هو الاله ماروت وكذله الاله برياش الذي هو نفسه عند الاغريق • تضاف الى ذلك أسماء الطبقة الحاكمة التى هى هندو آرية وقريبة الشبه باسماء الملوك الخوريين الذين عاصروهم . ومع ذلك كله فان معلوماتنا عن ثقافة الكاشيين وحضارتهم تكاد تكون معدومة لانهم انصهروا في الحضارة البابلية وثقافتها ولم يكونوا يملكون شيئا من مظاهر الحضارة وكان ديدنهم الاغارة على ثغور الحضارة في بلاد وادي الرافدين ونهب مدنها ، شأنهم في ذلك شأن جميع القبائل الهندو آرية التي كانت تعيش وراء جبال زاجروس وبشتكوه . وما من شك في ان الكاشيين استوطنوا قبل دخولهم العراق بلاد ميديا وبلاد زاجروس وليس لدينا شيء من آثارهم نصوص ادبية كانت أم تاريخية أم دينية ، لانهم لم يعرفوا الكتابة ، ولذلك فقد عدهم المؤرخون اقواماً غفلاً لاحضارة لهم .

تاريخهــــم :

ان تاريخ الكاشيين غامض لحد الآن لما تكتنفه من ادوار وفترات مظلمة لا نعرف عنها شيئا ولاسيما تاريخ ملوكهم وهذا يرجـــع الى قـلة الحفريات في عاصمتهم دور كورى كلزو (عقرقوف) التى تحتوى على الآثار والسجلات الكثيرة من تاريخ الكاشيين وعلاقاتهم ومراسلاتهم مع فراعنة بلاد وادى النيل وملوك الحثيين والآشوريين ، كما تنقصنا المعلومات عن ملوكهم ولاسيما الاولين منهم ، كالمؤسس الملك گنداش Gandash وخلفائه اوشّي Aushshi وابى رتّاش Abi Rattash وتشّي گورواش Tashshi - Guruash واگوم الثاني ولكن ما زالت هناك فجوات كثيرة من تاريخ الكاشيين وكل ما نعرفه هو تاريخ الملوك الكاشيين الذين لهم علاقة بالملوك المعاصرين من الآشوريين والحثيين والميتانيين والخوريين والمصريين والفضل فى ذلك يعود بالدرجة الاولى الى المراسلات الملكية التى وجدت في تل العمرنة وختوشش (بوغازكوي) حول العلاقات الدولية بين ملوك الكاشيين وملوك مصر والحثيين .

كان اگوم الثانى الذى عرف باسم آگوككريمي Agukakrime

في قائمة الملوك البابليين قد ساعد مرشيلي الاول الملك الحثي على غزو بابل سنة ١٥٣١ ق٠م٠ وهو أحد الملوك الكاشيين الثمانية الاوائل الذين كانوا يحكمون على زعم احدى الروايات التاريخية في ما وراء جبال زاجروس المتاخمة لبلاد بابل أو الذين كانوا على زعم الروايات التاريخية الاخرى يحكمون في مملكة خانا (عنه) .

وقد اندمج الحكام الجدد لبلاد بابل بالحضارة البابلية وساروا على نهج الملوك البابليين وانتحلوا القابهم الملكية . فالملك اكوم الثاني لقب نفسه : ملك الكاشيين والاكديين وملك بلاد بابل الواسعة وملك پادان Padan والوان Alwan وملك بلاد الگوتيين . وقد قام هذا على الفور بارجاع تمثال الاله مردوك والالهه سرپانيتم Sarpanitum زوجه الى بابل وأمر بحملها من مدينة خانا وكانا نن الذهب فباعهما مرشيلي الاول الى الكاشيين في خانه ، فنصبهما اكوم الثاني في معبد ايزاگيلا حيث جدد بناءه ليكسب بذلك رضا البابليين .

وفي سنة ١٤٥٠ ق.م . استطاع الملك الثاني عشر وهو الآمبورياش Allamburiash تجريد قوة عسكرية على مملكة بلاد البحر القوية التى استقلت في عهد شمسو ايلونا ودحر ملكها ايا جميل Ea - Gamil الذى هرب الى بلاد عيلام وتمكن خليفته آگوم الثالث Agum III من القضاء على دولة بلاد البحر والاستيلاء على دور ايا Dur Ea [1] . وازدادت قوة الدولة الكاشية واصبحت مرهوبة الجانب ، حتى ان الملك الثالث عشر كريندااش (١٤٢٠ ــ ١٤١٠ ق٠م٠) عين الحدود بينه وبين الآشوريين الذين كانوا تحت نفوذ الخوريين والميتانيين وصارت لملوك الكاشيين مكانة محترمة في بلاد الشرق فمن ذلك ان امينوفيس الثالث ١٤١٣ ــ ١٣٧٧ ق.م . فرعون مصر طلب الزواج من ابنة الملك الكاشي كريندااش وبعث له المهر هدية ثقيلة من الذهب وقد أفاد كريندااش من كمية الذهب هذه التى كانت رغبة الملوك الكاشيين شديدة فى الحصول عليها دائماً لكى يستخدمها في البناء .

---

(١) لربما كانت دور إيا الموقع الاثري المعروف اليوم بتل اللحم الذي يقع على سكة قطار البصرة شمالي الشعيبة .



قسم من واجهة معبد اننا « عشتار » في الوركاء الذي بناه كريناداش

فقد شيد في الوركاء معبداً للالهة إنَنّا « عشتار » وقسم من واجهته معروض في المتحف العراقي ويتكون من دخلات وطلعات تقف بينها على جبل ، الآلهة نن خرصاك سيدة ينابيع الجبال وبيديها الاناء الفوّار بماء الحياة ولعلهـا الالهة إنِنا كذلك ؟ ومن الدلائل الاخرى على تمتع الكاشيين بمكانة محترمة بين دول العالم القديم يومذاك ، هو تملق فراعنة مصر لملوكهم ومناداتهم إياهم بكلمة « اخي » على الرغم من ان الفراعنة المصريين كانوا اقوياء وقتئذ وكان اعتقاد الناس الديني فيهم بانهم آلهة بشر لا يزال قوياً . ولذلك فان صيغة المخاطبة هذه تنازل كبير من الاله البشري فرعون مصر ابن الاله الشمس آمون او رع ، ان يسمي احداً من البشر اخاً له وهذا ما نجده في سجلات العمرنة ، التل الاثري الذي يقع على بعد ٢٨٠كم جنوبي القاهرة على النيل حيث وجدت في هذه السجلات المراسلات الملكية المشهورة ومن بينها رسائل تبودلت بين فراعنة مصر وبين امينوفيس الثالث والرابع(١٤١٣-١٣٥٨)ق.م. وبين ملوك الكاشيين وملوك سوريا والحثيين[1] . فالمراسلات الملكية بين طيبة وبابل تلقي ضوءاً على العلاقات الدولية بين مصر وبلاد وادي الرافدين من جهة وبين بقية دول الشرق الادنى من جهة أخرى . وكذلك تظهر لنا العلاقات الطيبة بين بلاطي طيبة وبابل وروح الوئام التي كانت تسودهمـا من وقت الى آخر وفيها معاتبات لطيفة خفيفة كالتي تجري بين اعز الاصدقاء والمحبين ولكنها كانت لا تخلو مع ذلك من نكوث بالعهود والمواثيق واساءة العلاقات حين تصطدم المصالح ، فمنها :ـ

ان فرعون مصر امينوفيس الثالث يتملق للملك الكاشي كريندااش بان يسمح له بالزواج من ابنته ونرى على نقيض ذلـك كدشـمان خربي الاول يغضب ويكتب الى الفرعون معاتبا حين يرفض هذا تلبية طلبه ثم يتراجع عن غضبه ويطلب منه ان يرسل له فتاة جميلة يدعى بها امام الناس بانها اميرة مصرية وفي هذا نجد الملك الكاشي يوجه الى فرعـون مصـر

(١) في سنة ١٨٨٧ ميلادية عثرت فلاحة مصرية على عدد كبير من رقم الطين مكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية في مكان يعرف باسم العمرنة .

الرسالة التالية : « انظر ! اذا كنت يا اخي لا تعطيني ابنتك لاتزوجها وتكتب لي انه منذ اقدم الازمان لم تعط بنت ملك مصري لاحد ، لماذا تقول هكذا ؟ انك ملك وتستطيع ان تفعل ما تشاء ، فلما بلغتني كلماتك كتبت الى اخي ان عندك بنتا كبيرة ، كذلك هناك نساء جميلات ارسل لي حسب اختيارك اى امرأة جميلة . من يستطع ان يقول هنا انها ليست بنت ملك ؟ » .

كانت هذه الرسالة موجهة من الملك الكاشي كدشمان خربي الى فرعون مصر امينوفيس الرابع (اخناتون) ويظهر أنه رد الطلب ايضاً ولكن العلاقات بقيت مع ذلك حسنة بين البلاطين اذ ان الملك كورى كلزو خليفة كدشمان خربي يرفض طلب المدن الكنعانية المتحدة في سوريا ، من الكاشيين ان يدخلوا الحرب بجانبهم ضد مصر .

كورى كلزو الاول ١٣٨٠ ـ ١٣٧٠ ق٠م٠ :

لقب نفسه بملك الكل ، رسول سيد الآلهة وقد كان ملكاً قوياً غزا سوسة وشيد فيها قصراً للالهة ننليل زوجة الاله إنليل ليبارك في حياته . ولكي يأمن شر الآشوريين في الشمال فقد شيد حصناً كبيراً على الحدود بين الدولتين الكاشية والآشورية اطلق عليه اسمه فسماه دور كورى كلزو أى حصن كورى كلزو . وبنى فيه معبداً مدرجاً (زقورة) وشيد فيه عدداً من القصور وقد توسع الحصن الى مدينة واسعة الارجاء طغت شهرتها تقريباً على بابل والمدن البابلية الاخرى القديمة وتعرف اليوم اطلال دور كورى كلزو باسم عقرقوف وقد قامت مديرية الآثار القديمة العامة سنة ١٩٤١ بحفريات فيها ، كشفت عن عدد من القصور وقسم من المعابد المحيطة بالزقورة . وعثرت على عدد من رقم الطين وقطع لتمثال ضخم للملك كورى كلزو يحمل كتابة سومرية وما من شك في انه لا تزال هناك في غرفة ما من غرف بلاط الملك كورى كلزو أو خلفائه نسخ كثيرة من المراسلات المسجلة على رقم الطين المكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية والتى تبودلت بين الملوك من اسلاف كورى كلزو وبين امينوفيس الثالث

نقلت من بابل عند انتقال العاصمة الى المدينة الجديدة وهي بحاجة الى من ينقب عنها لتكشف لنا صفحات جديدة أخرى من العلاقات بين بلاد النيل وبلاد الشرق الادنى •

اهتم كورى كلزو ببناء المعابد فشيد عدداً منها فى اريدو وفى الوركاء واور ونفر وقد جاء فى احدى كتاباته التى يمجد فيها الالهة عشتار بانها السيدة العظيمة التى تسير بجانبه وتحافظ على جيشه وتحمى رعيته وتقهر اعداءه . وقد اصبحت مدينة دور كورى كلزو بعد فترة خمسين سنة من المدن المهمة في بلاد وادى الرافدين •

صادف ازدهار بلاد كاردونياش أو بلاد بابل تحت حكم الكاشيين في الزمن الذى ازدهرت فيه الحضارة المصرية في زمن امينوفيس الثالث والعصر المعروف بعصر العمرنة وهو العصر الذى يقع في حكم السلالة الثامنة عشرة وينحصر بين سنة ١٣٧٧ و ١٣٤٥ أى حكم امينوفيس الرابع (اخناتون) وخلفائه الذين ساروا على عبادة الاله آتون . كذلك يصادف اوج عظمة الدولة الحثية على يد الملك شوبي لوليوما القوى وقد كان يحكم الكاشيين يومئذ الملك بورنا بورياش الثانى الذى لعب دوراً مهماً في توازن القوى المتصارعة في بلاد الشرق الادنى القديم وعاصر امينوفيس الرابع . وبالنظر الى سخط الكهنة فى طيبة على الفرعون الجديد والاستياء الذى عم البلاد بسبب اصلاحاته الدينية والدعوة الى عبادة الاله آتون الاله الشمس وتجريد نفسه من الالوهية ، فقد انشغل عن السياسة الخارجية بالوضع فى الداخل وقد كان عليه ان يقوى حلفه مع الكاشيين لكى يخفف من ضغط الحثيين على بلاد سوريا التى تعد منطقة حيوية بالنسبة الى مصر . غير ان انشغال امينوفيس الرابع بشؤون البلاد الداخلية كما اسلفنا جعله يهمل حلفه مع الكاشيين ويقلل اهتمامه بهم في حين كان الكاشيون فى أمس الحاجة الى تأييد مصر لاسيما وان نفوذ الميتانيين في شمالى الهلال الخصيب لا يزال قوياً وكانت سياسة توازن القوى تقضى بان يظل هؤلاء اعداءً للحثيين . وقد اثر انسحاب مصر من الشرق الادنى وانشغالها عن حلبة الاصطراع

السياسي ، تأثيراً كبيراً على مركز الـكاشـيين وشعر الملك الـكاشـي بورنا بورياش بهذا الاهمال من جانب مصر وخيم الفتور السياســي على العلاقات بين بلاد بابل وبلاد وادي النيل وهذا ما نتبينه من احدى رسائل العتاب التي وجهها بورنا بورياش الى امينوفيس الرابع لان العلاقات الشخصية تتحكم بالعلاقات بين الشعوب حينما يكون الحكم فردياً صمدانيا كالحـالة التي مرت على العراق بين تموز ١٩٥٨ وشباط ١٩٦٣ .

فقد صادف ان مرض بورنا بورياش فلم يسأل عنه اخناتون ويستفسر عن صحته فتأثر بورنا بورياش وارسل لفوعون مصر رسالة العتاب الآتية :ـ

« عندما كان جسمي مريضاً ولم يسأل عني اخي جعلت غضبي ينصب على اخي . كيف لا يسمع اخي بانني مريض ؟ لماذا لم يرفع رأسي ؟ لماذا لم يرسل رسله ويستفسر عني ؟ » .

ثم ارسل له رسالة عتاب اخرى حين جاءه رسوله فكتب له فيهـــا يقول :ـ

« لقد انحرفت صحتي منذ اليوم الذي جاء فيه رسول اخي ولم يشجعني اخي طوال المدة التي بقيت فيها صحتي منحرفة ولهذا استأت من أخــي وقلت الم يسمع أخي انني مريض لماذا لم يبعث لي رسولاً ولم يظهر اهتماماً بي . وقد اجاب رسول اخي عن ذلك بقوله : ان مصر ليست قريبة لـكي يسمع اخوك بمرضك ويرسل اليك رسولاً يستطلع اخبارك . والحق انني استفهمت من رسولي بعد ذلك فقال لي « انها رحلة طويلة جداً » فمنذ سمعت ذلك لم يبق في نفسي استياء من اخي » .

والملاحظ في هذه الرسالة اننا نجد ملك بابل يتحرق شوقاً الى كلمة طيبة تأتيه في اثناء مرضه من فرعون مصر ولا يكاد يصبر على هذا الشوق الا بعد ان يعلم ان الشقة بين البلدين بعيدة وان فرعون مصر معذور لهذا السبب اذا هو لم يرسل اليه مستطلعاً أخباره . كذلك فان اسلوب الكتابة يلفت النظر لانه يكرر كلمة أخي ست مرات في سبعة أسطر فهو يشبه اسلوب التوراة .

ويظهر اهمال مصر للدولة الكاشية من رسائل اخرى يوجهها الملك الكاشى الى فرعون مصر عن قلة كمية الذهب التى يرسلها له وعن نهب القافلة البابلية في فلسطين الخاضعة للسيطرة المصرية ثم نرى فى رسالة أخرى طلب فرعون مصر مرة اخرى لأميرة بابلية فيجيبه الملك الكاشى بالموافقة ولكنه يطلب منه مهراً باهضاً من الذهب . ثم يستمر التوتر فى العلاقات بين البلدين أى بين الملك اخناتون والملك بورنا بورياش الثانى لدرجة ان بورنا بورياش يكتب له فيقول :ــ

« حينما كان والدى كورى كلزو حياً ارسل له ملك كنعان رسولاً قال له : هيا ندخل مدينة كارميشان ولنحارب الفرعون سوية » . فبعث اليه أبي يقول « لا تفكر في الاتفاق معى فان كنت تريد معاداة ملك مصر فابحث لك عن حليف غيري . اما انا فانى لا اسير في هذا ولا أدمر بلاد ملك مصر لانه حليفي » . وهكذا رفض والدي وأبي ان يصغى الى ملك كنعان حباً بك . والآن فان ملك آشور تابع لى ولست فى حاجة لان أقول لماذا هو يطلب صداقتك فان كنت تحبنى فلا تعقد معه معاهدة واطرده بعيداً جداً » .

ثم يستمر الفتور السياسى بين البلدين ولاشك ان سببه الدولة الآشورية كما يبدو من الرسالة آنفة الذكر فقد اخذ الآشوريون يستجمعون قواهم لتثبيت شخصيتهم في ميزان سياسة القوى يومذاك باعتبارها السلطة الوحيدة التى التفت حولها آمال الاحزاب القومية الآشورية لتحرير البلاد الآشورية من النفوذ الحثى والنفوذ الكاشى والتفوا حول الملك آشور أو بلط الاول (١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م.) الذى تجسدت فيه جميع الامانى القومية الآشورية فى تحقيق وحدة بلاد وادى الرافدين بزعامة الآشوريين والقضاء على الحكم الاجنبى في بابل . ولتحقيق هذه الاهداف فقد وضع آشور اوبلط نصب عينيه خلق جيش قوى يكون قوة ضاربة في الشرق الادنى واتباع سياسة المهادنة والاحلاف التى هدفت الى استمالة مصر والتحالف معها ضد الكاشيين والحثيين الذين كانوا يطمعون بالسيطرة على شمالى سوريا وبلاد آشور ثم عزل الكاشيين وادخالهم تدريجيا تحت النفوذ

الآشوری . وقد شعر الكاشيون بهذا الخطر المهدد من الشمال ولذلك فقد طالب بورنا بورياش الثانی فرعون مصر امينوفيس الرابع بطرد الوفد الآشوری المفاوض كما جاء فی رسالته . ويبدو ان الاحداث سارت بسرعة يومذاك في غير صالح الكاشيين اذ لم يلق بورنا بورياش تأييداً مشجعاً ومساندة من جانب فرعون مصر الذی كان نفسه متورطاً بمشاكله الداخلية ولذلك فانه يوجه له الرسالة الآتية :ــ

« ان الاخوة والصداقة والتحالف علاقات تبقى طيبة بين الملوك فقط ، كلما ثقلت موازين الهدايا من الاحجار الكريمة والفضة والذهب » .

ويضطر الملك الكاشي بورنا بورياش الثانی الی التقرب الی الملك آشور اوبلط فيتزوج بنته حتى يأمن جانب الآشوريين فتثور ثائرة فرعون مصر لهذا الزواج السياسی الذی عده خسارة كبيرة بالنسبة الی مركز مصر في الشرق الادنی ومصالحها وعده عملاً عدائياً موجها نحوه فيعاتب الملك الكاشی على هذا الزواج ويصمه بانه اصبح تحت سلطان الملك الآشوری فيجيبه بورنابورياش بان الدولة الكاشية ليست صنيعة للدولة الآشورية وكل ما هنالك انه تزوج اميرة آشورية هی ابنة الملك الآشوری آشور اوبلط .

كان بورنابورياش ملكاً ذكياً وسياسياً حاذقاً وكان من البناة ، فقد بنى في مدينة لارسا معبداً كبيراً للاله شماش جدده الملك البابلي نابونائد بعد مضي ٨٠٠ سنة . وما من شك في ان بونابورياش اتبع سياسة حكيمة في ابعاد مملكته عن الفتن وعدم زجها في حروب لا تعود عليه بالفائدة ولكن سياسته مع الآشوريين اثمرت بعد وفاته نتائج قاسية بالنسبة الى الدولة الكاشية فقد نشبت ثورة في بابل بعد وفاته ذهب ضحيتها خلفه وكان ابنه كما كادت تطوح بالعرش فتدخل آشور اوبلط لقمع الثورة ونصب الابن الاصغر للملك بورنا بورياش على العرش وهو ابن بنته وكان اسمه كوری كلزو صخرو أی كوری كلزو الصغير .

واستطابت له الايام طالما كان جده الملك آشور اوبلط في قيد الحياة ،

الا ان الدولة الكاشية لقيت متاعب جمة اثر وفاة الملك الآشوري فقد ساءت العلاقات بين الدولتين وتمخضت عن قيام حــرب عنيفة بينهما . وتدعي المصادر الآشورية انتصار الآشوريين على الكاشيين ، غير ان المصادر التاريخية الموالية للكاشيين تدعي ان كوري كلزو صخرو انتصر على الآشــوريين ودحر الملك الآشوري ادد نيراري وآل الامر الى عقد معاهدة وقعت على الحدود الآشورية . وقد انتهز العيلاميون الذين كانوا يتربصون ببلاد بابل ، فرصة انشغال الكاشيين بالحرب مع الآشوريين فهاجموا بابل وبورسيبا ولكن الجيوش الكاشية (البابلية) تصدت لهـم وقضت عليهم واســرت قائدهم خورباتيلا .

وخلفه نازي مرّوتاش الثاني ١٣٢٠ – ١٢٩٥ق.م. وقد ازدهرت العلوم والآداب فى عهده وحاول ان يجنب بلاده المتاعب ولـكنه اندحــر على ما يبدو في حروبه مع الآشوريين التي كانت فيها نهايته كذلك ، وقد استطاع الملكان اللذان خلفاه على الحـكم انتزاع البلاد من حكم الآشوريين بفضل تحالف الكاشيين مع ختوشيلي الثالث ملك الحثيين على الآشوريين وهـذا ما يتضح من رسالة سياسية تبودلت بين الملك الحثي والملك الكاشي .

حاول ختوشيلي الثالث الاستيلاء على بلاد الكاشيين الا انه من حُسن حظ الكاشيين ان يكون عندهم وزير اشتهر بمناوراته السياسية وكان اسمه اِتّي مردوك بلاطو فقد استطاع هذا ان يبعد خطر الحثيين عن بلاد بابل ولـكن النصوص التاريخية تشير الى ان بلاد الكاشيين دخلت تحت حـكم الآشوريين في زمن ملـكهم توكلتي نن اورتا الاول ١٢٤٣–١٢٠٧ حيث هاجم هذا بلاد بابل واستولى عليها ولم يستطع ملكها كشتلياش ١٢٤١ – ١٢٣٢ الصمود امام الجيوش الآشــورية فســقط اسيراً بيــد خصمه . ويقول توكلتي نن اورتا في بلاغه الحربي : « واسرت في هذه المعركة كشتلياش ملك الكاشيين وقبضت عليه بيدى ودست على خناقه الملكى برجلى كما ادوس على الـكرسى وجلبته امام آشور مكبلاً بالاغلال » . وقد نشبت ثورة عنيفة في بابل فسار توكلتي نن ارتا لاخمادها وقضى عليها قضاءً تاماً

وهــدم أســوار المدينة وأمر بتهجــير عــدد كبــير من سكانهــا ثم نهب المدينة وجلب معه كنوز المعابد وحمل تمثال الاله مردوك الى مدينة آشور حيث بقي فيها قرنا كاملاً وبذلك قضى على الحياة الدينية في بلاد بابل وعطل عبادة الاله مردوك واطلق توكلتي نن اورتا على نفسه لقب ملك بابل ووضع على المدينة والياً يحكم باسم الملك الآشورى .

وذكرت المصادر البابلية خبر اغتيال الملك توكلتي نن اورتا على يد أحد أولاده اثر ثورة عنيفة نشبت فى بلاد آشور ولــكن ذكرهـــا خبر الاغتيال هذا كان تشمتاً عزتها الى انتقام الاله مردوك للاعمال الفظيعة التى ارتكبها حيال سكان بابل والاله مردوك . وقد طرد البابليون الوالى الآشورى بعد سبع سنوات من ولايته وانتصروا فى صد هجوم شنه عليهم العيلاميون واستطاعوا بالاتفاق مع الحزب المتآمر الحــاكم في آشور تنصيب احد اولاد الملك الكاشى الذى اسره توكلتي نن اورتا ملكاً على بابل . واقام البابليون تمثالاً جديداً للاله مردوك ، اما التمثال القديم فقد عاد الى بابل بعد غياب دام مائة عام كما اسلفنا فعاد الناس الى عبادتهم واقامة شـــعائرهم الدينية وتحسنت الاحوال الاقتصادية في بلاد بابل اثر انهيار الدولة الحثية ، في حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م . واصبحت بابل مركزاً مهما للتجـــارة فى حين تدهورت الحالة الاقتصـــادية في بلاد آشور وســـادت فيهـــا الفوضى والاضطرابات . واستعادت بابل قوتها على يد ملـكها أدد شـــمو ناصـر (١٢٢١ ـ ١١٩٢ ق.م.) الــذي استطــاع التدخــل في شــؤون الدولــة الآشورية فبسط نفوذه على الملك الذى خلف توكلتي نن اورتا على العرش الآشورى وقد كان آشور نادن أبلى (١٢٠٦ ـ ١٢٠٣ ق.م) تتبين ذلك من مخاطبته للملك الكاشي في رسالة وجهها اليه ، بالسيد والملك وبملك الـكل . غير ان حياة هذين الملـكين انتهت في حرب وقعت بين الدولتين الآشورية والـكاشية ، إذ قتل الملـكان أحدهما الآخر فيها بالمبارزة .

وقد تسنم العرش الكاشى الملك ميلى شپاك الذى حكم من١١٨٣ـ١١٦٩ ق.م . انشغل هذا الملك بجمع المال وامتلاك العقارات الواسعة وقد تميز

عهده بنهاية الدولة الكاشية ولكن ليس على يد الآشوريين بل على يد العيلاميين اذ هاجم القائد العيلامي شُترك ناخونتى البلاد البابلية ودحر القوات البابلية وتقدم الى مدينة سپار (تل ابى حية) التي تقع بمسافة خمسين كيلو متراً الى الشمال الغربى من بابل ونصب ابنه ملكاً على البلاد . ونهب كل ما وقعت عليه يده ، حتى أن التماثيل والنصب التذكارية لم تسلم من شره اذ أخذها اسلاباً وغنائم الى سوسة وكان من بينها مسلة النصر المشهورة وهى مسلة نرام‌سن الاكدى ومسلة قوانين حمورابى . وقد أمر شترك ناخونتى ان يكتب على هاتين المسلتين بانه اقامهما تقرباً للاله أنشوسنياك اله العلامين .

وثار البابليون على العيلاميين وطردوهم من البلاد ونصبوا احد الامراء الكاشيين ملكا عليهم ولكن حكمه لم يدم سوى خمس سنوات كانت الاخيرة في تاريخ الكاشيين اذ عاود العيلاميون الكرة على بابل واحتلوها .. ثم تخلص البابليون من حكم العيلاميين بقيادة احد البابليين واسمه مردوك شابك زيري الذى لم يكن له اية صلة بالبيت المالك الكاشى فنصبوه ملكاً عليهم وقد تمكن هذا من طرد العيلاميين من البلاد واستطاع ان يؤسس سلالة ملكية لم يدعها باسم بابل وانما دعاها باسم مدينة ايسن ، المدينة القديمة لعبادة الاله شماش . وقد بقي الشعب الكاشي فى هذه الفترة يعيش في البلاد من غير ان يمتزج بالشعب أو يضطهد وقد امتهنوا الجندية فكانوا خيرة الجنود المقاتلين ، الا ان دورهم السياسى انتهى تماماً فى سنة ١١٦٠ ق.م .

بلاد بابل في زمن الكاشيين :

لم يستطع الغزاة الكاشيون القضاء على القومية البابلية ومحو الحضارة البابلية وتدميرها في اثناء احتلالهم بلاد بابل بقيادة زعمائهم كنداش واكوم وكرينداش ، بل لقد انصهروا فى الحضارة البابلية واخذوا كل ما عند البابليين من ثقافة وعلوم وفنون وآداب وكتابة ولغة ، فبقيت القومية البابلية محافظة بذلك على عنصريتها مدة اربعة قرون . غير ان البابليين فقدوا كل ميزة سياسية وعسكرية وصاروا يهتمون بالتجارة التى جلبت لهم حياة

رغيدة وأرتهم افانين جديدة من حياة الانس واللهو والمجون ورفعتهم الى آفاق جديدة في مجالات الفنون ولاسيما الفنون اليدوية كالنحت والنقش والرسم والصياغة ولذلك فقد اصبحت بابل في زمن الكاشيين سوقاً عامرة بالتجارة والنخاسة وبيع الجوارى والغلمان ، بل انها اصبحت تعد من أهم مراكز التجارة في عالم الشرق الادنى القديم . فقد كانت القوافل التجارية البابلية تسير الى فلسطين وبلاد وادى النيل ، والى بلاد الحثيين مجتازة بلاد مارى والامارات السورية ، والى بلاد عيلام والهند فتنقل اليها مصنوعات البلاد المجاورة وبضائعها ثم تعود وهي محملة بالبضائع من هاتيك البلاد ولاسيما بالذهب والفضة ، المعدنين الثمينين اللذين كان الكاشيون يحرصون على اقتناء مقادير كبيرة منهما لسد نفقات الدولة والجيوش وتشييد المعابد والقصور وصرفها على مشاريع الاصلاحات الداخلية كالرى وبناء الحصون واقامة السدود والجسور . فقد زوج الملك الكاشي كريننداش ابنته لفرعون مصر امينوفيس الثالث لقاء مهر ثقيل من الذهب صرفه على بناء معبد الالهة إننا في الوركاء .

اشتهرت بلاد بابل بتجارة الحبوب والزيوت والجلود والماشية وصناعة النسيج والاختام الاسطوانية ولاسيما المصنوعة من حجر اللازورد ، ثم بصناعة الحلى وبتجارة الاحجار الكريمة والعقيق والفيروزج والخيول وصناعة المركبات وكانت هذه البضائع تباع بالذهب والفضة . ولكثرة ما كان من المجوهرات في اسواق بابل فان احد ملوك الحثيين الذين زاروا بابل قال عند عودته الى عاصمة ملكة ختوشش : « ان المجوهرات كالقش في بلاد بابل » • ولضمان سير القوافل التجارية بين بلدان الشرق الاوسط القديم بأمان ، فانه كان يتطلب اقامة علاقات سياسية حسنة بين هاتيك البلاد ولذلك فانه كان يسبق تسيير القوافل التجارية ارسال السفراء الى بلاطات الملوك في طيبة والعمرنة وختوشش ووشوكَنّي (عاصمة الميتانيين الغربيين) والى آشور وبابل وكانت تعقد المحالفات والمواثيق ويتم الزواج السياسى بين الملوك وتوضع قوة عسكرية مهمتها مرافقة هذه القوافل التجارية في

اثناء تنقلاتها . وقد كان الكاشيون يتبعون جميع الوسائل الضامنة لحرية سير قوافلهم ، حتى انهم كانوا يقومون بارسال الآلهة والاطباء الى بلاط فرعون مصر والى بلاط الحثيين وغيرهما . فالملك الكاشي كدشمان اِنليل الثاني (١٢٧٧ ـ ١٢٧١ ق.م.) ارسل وفداً من الاطباء الى بلاط ملك الحثيين وكان رأس هذا الوفد طبيبه الخاص خزاللو لمعالجة الملك ختوشيلي الثالث (١٢٨٢ـ١٢٥٠ ق.م.) بناءاً على طلبه والحاحه الشديد . وكان الطبيب البابلي خزاللو طبيباً مختصاً بالعيون وله وصفات طبية كثيرة وقد ورد اسمه كثيراً في المراسلات الملكية لما كان يتمتع به من شهرة واسعة في طب العيون فتمسك به الملك الحثيي واغراه بالبقاء في عاصمة ملكه ختوشش . فاضطر الملك الكاشي على ان يرسل رسالة الى الملك الحثي يطلب فيها منه ارسال خزاللو وزملائه واعادتهم الى بابل . ولكي نفهم ما كان لهذا الوفد الطبي من اثر في بلاد الحثيين ، يتوجب علينا معرفة النشرات الطبية التي اصدرها خزاللو وزملاؤه الاطباء . فمنها نشرة طبية عن احدى مغنيات الملك التابعة لمدرسة الغناء الخاصة بالبلاط الحثي التي اصيبت بمرض في عينها واشرف الطبيب البابلي خزاللو على معالجتها وكان يصدر من وقت لاخر نشرة طبية عن حالتها الصحية . وتقول احدى النشرات الطبية :ـ

« ان الطبيب خزاللو فحصها وتأكد من مرضها ، فأمر باعادة وضع الكمّادة التي رفعت من عينها فربط بها عينها مرة ثانية » .

وتصاب في مدرسة الغناء نفسها أميرة بالحمى. فيعمل لها هذا الطبيب الضمادات ويسقيها الدواء اللازم فتستريح وتهدأ ويظهر انه كان مع هذا الطبيب ، طبيب بابلي آخر اسمه مكلّم ، مختص بالامراض الداخلية وقد قام بفحص المغنيات والمغنين في بلاط الملك واهل بيته وقدم له تقريراً بالنتيجة يقول له فيه :ـ

« ان حالة المغنين والمغنيات واهل بيت سيدي الملك جيدة . وقد اصيبت عترتو بهذا المرض وان صحة بنت كوري وآخوني في تحسن . فاذا امر

سيدى فانهما يستطيعان مغادرة غرفة المرض (المستشفى) والذهاب الى المدرسة . ودلائل الحمى على بنت مُشتللو قد خفت وتحسنت حالتها وقد كانت من قبل تسعل اما الآن فلا تسعل » .

مظاهر الحضارة البابلية في زمن الكاشيين :

الهندسة المعمارية :

حاول ملوك الكاشيين امثال كريندداش وبورنابورياش وكورى كلزو الاول وكورى كلزو الثانى تكوين هندسة معمارية خاصة بهم فقاموا بتشييد عدد من المعابد والقصور في جميع المدن السومرية : اور واريدو والوركاء ونفر وغيرها . فقد قام كريندداش ببناء معبد للالهة إننا (عشتار) في مدينة الوركاء طوله ٢٢ م وعرضه ١٧ م يتكون من غرفة طويلة تتصل بعدة غرف جانبية وامام هذه الغرفة الطويلة ردهة مستطيلة لها واجهة من الطابوق المفخور تحمل طرازاً جديداً من الزخرفة البشرية التي تمثل صور الآلهة بهيئة الآدميين أهمها تلك التي تتكون من عدة محاريب تقف فيها الآلهة تحمل بيديها وعلى صدرها الاناء الفوار بالماء العذب الذى ينبع منه مجريان ينسابان الى اليمين والى اليسار ويتساقطان على الجبال ثم يخرجان منها وهكذا دواليك . وهذه الالهة التى تحمل الاناء الفوار بالماء العذب لكل من دجلة والفرات هى الهة الماء العذب الذى ينبع من الجبال ولعلها الالهة نن‌خرصاك السومرية نفسها التى نعرفها من تل العبيد من زمن سلالة اور الاولى ٢٥٠٠ ق.م. والتى هى بقي الاعتقاد فيها سائداً في زمن الكاشيين . ويقف بجانبها في المحراب الثانى ، الاله الجبلى عند الكاشيين ولعله الههم الرئيس الاصلى « كشو » . وله لحية وهى من مميزات الآلهة عند الكاشيين ويحمل كذلك بيده وعلى صدره الاناء الفوار بماء الحياة . ومن الواضح ان يكون هذا التعبير الرمزى قد بقي عند الكاشيين ايضاً دلالة على استدامة الحياة كما كان عند السومريين والاكديين .

كان المعتقد عند علماء الآثار أن الكاشيين ادخلوا هندسة جديد في

البناء وهى استعمال الاطواق أو الاقواس على شكل نعل الفرس في مداخل القصور والمعابد والبيوت وابواب اسوار المدن ، ولاسيماالاقواس المزدوجة التى نشاهدها في مباني الكاشيين الباقية في مدينة اور من زمن بورنا بورياش وكورى كلزو الاول والثانى . ولكن الحفريات التى اجرتها مديرية الآثار العامة في اريدو في سنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ اظهرت ان الاقواس كانت معروفة عند السومريين من زمن عصر الوركاء ٣٣٠٠ ق٠م٠ ولاشك ان مدينة كورى كلزو (عقرقوف) التى تبعد عن بغداد بمقدار ١٧ كم غرباً ، تمثل نماذج جديدة من الهندسة المعمارية الكاشية التى اضافهـــا الكاشيون على مظهر البناء الخارجى حيث ان مخطط البناء بقي كما كان معرفاً عند السومريين والاكديين والبابليين .

وقد ولع الكاشيون بادخال المحاريب في المباني ولاشك ان التنقيبات المقبلة في دور كورى كلزو ستكشف لنا معلومات جديدة عن هندسة البناء عند الكاشيين وهنا يجدر بنا ان نذكر شارع المحفل عند قدمي الزقورة يتكون من محاريب كبيرة ملونة باشكال الكهنة بالالوان الاحمر والابيض والاسود وقد كشفت عنه مديرية الآثار القديمة العامة في اثناء تنقيباتها التى اجرتها بين سنتى ١٩٤١ و ١٩٤٢ فى اطلال المدينة . كذلك كشفت عن عدة مبانى كبيرة ، من ضمنها قصر للملك كورى كلزو ومن المرجح ان كورى كلزو الثاني والثالث الذى يسميه الآشوريون كورى كلزو صخرو[1] .

فن النحت :

لم يضف الكاشـــيون شيئا جديداً الى ما كان عند البابليين في زمن

---

(١) راجع نتائج حفريات مديرية الآثار القديمة في منشورات مجلة عـــراق IRAQ لسنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ وكذلك التقرير الثاني ١٩٤٥ لطه باقر عن الحفريات في عقرقوف ٠ فقد عثر في حفريات مدير الآثار العراقية على عدد من القصور وعدد كثير آخر من رقم الطين كما عثر على عدة تماثيل محطمة وعلى تمثال للملك كورى كلزو الثالث يحمل على ظهره كتابة بالخط السومري الذي كان يستعمل يومذاك التواريخ والكتابات باعتباره خطـا مقدسا ٠

سلالة حمورابي من فنون ولم يدخلوا عليها اتجاهات واساليب اكسبتها طابعاً فنيا مميزاً نستطيع ان ندعوه بالفن الكاشي وبالنظر الى انهم كانوا اقواماً همجاً ليس لهم قاعدة حضارية لذلك فقد اعتنقوا المدرسة البابلية واعتمدوا على الفنان البابلى الذى ادخل على مدرسة الفن في زمن الكاشيين بعض المميزات والخواص التى اكتسبت بمرار الزمن طابعاً لعهد الكاشيين يميزهم عن غيرهم من الشعوب وهذه الخواض الجديدة نجدها بوضوح في :ـ

اولا ً ـ قلة الاعتناء بنحت التماثيل .

ثانياً ـ اشارات ورموز وزخرفة نجدها على الاختام الاسطوانية بصورة خاصة .

ثالثاً ـ احجار الحدود « كدور ّو Qudurru » التى كانت من ابتكار الكاشيين وحدهم ولم تكن معروفة من قبل في بلاد وادى الرافدين .

رابعاً ـ ملء الفراغ بالكتابة والزخارف الهندسية وأشكال الحيوانات وكانت حواشي الاختام الاسطوانية تزدان في الغالب باشكال المثلثات .

خامساً ـ التناظر على الرغم من انه من المميزات العريقة لفن بلادى وادى الرافدين .

وسنأتى على هذه المميزات فى معرض كلامنا على النحت البارز والمدور والاختام الاسطوانية واحجار الحدود . على انه من جملة الخواص المهمة لفن النحت في زمن الكاشيين هو رغبة الفنان الكاشي كما ذكرنا في ملء الفراغ على المنحوتات ولاسيما المنحوتات البارزة فقد كان يملأ الفراغ بالكتابة أو الرموز وقد دفعه ولعه هذا الى ان يمّرر الكتابة على الصورة المنحوتة كما في تمثال الالهة عشتار من حجر الكلس ، والذى عثرت عليه البعثة التنقيبية الالمانية عام ١٩٥٥ فى الوركاء وهو يمثل الالهة إننا ترتدى ثوباً بطيات وشعرها طويل مسترسل على كتفيها وعلى رأسها التاج المقرّن . وقد قام بنحت هذا التمثال وتقريبه للالهة إننا ، الهة مدينة الوركاء الملك ميلى شباك آخر ملوك الكاشيين .

لم يعثر المنقبون في الواقع على نحت بارز ونحت مدور (تماثيل) كثير يعود للكاشيين ولاشك ان ذلك راجع الى قلة الحفريات في المواقع الاثرية الكاشية وبخاصة في عاصمة ملكهم عقرقوف ومع ذلك فقد عثر على بعض التماثيل ، من ضمنها تمثال كبير جداً ، لكنه محطم يعود الى الملك كوري كلزو الاول ؟ وجد في عقرقوف ولم يعثر المنقبون على تماثيل للملوك الكاشيين الآخرين . وقد توافرت عند المختصين بالآثار وفي المتاحف ولدى باعة الآثار اعداد كثيرة من الاختام الاسطوانية واحجار الحدود ولذلك فان هذين الموضوعين من الفنون في زمن الكاشيين يكشفان لنا صفحة مهمة من فن النحت عند الكاشيين .

الاختام الاسطوانية :

ازدهرت صناعة الاختام الاسطوانية في بلاد وادى الرافدين في زمن الكاشيين ولاسيما في مدينة بابل فقد كان الاقبال على هذه الصناعة كبيراً وكانت الاختام الاسطوانية تشكل اهم مادة من مواد التجارة الخارجية البابلية فقد كانت الاختام الاسطوانية المصنوعة في بابل تطلب برغبة شديدة من الحثيين وفراعنة بلاد وادى النيل وكان الناس يوصون بصناعة الاختام التى يريدونها وينتظرون تصديرها اشهرا عديدة . وقد وجدت نماذج كثيرة من الاختام الاسطوانية البابلية في تل العمرنة (أخيتون) وفي مدينة ختوشش (بوغازكوي) وقد تعلم الميتانيون والخوريون هذه الصناعة من البابليين اذ يغلب على الاختام الاسطوانية الميتانية التى وجدت في ألالاخ العاصمة الميتانية الغربية وفي نوزى العاصمة الميتانية الشرقية الطابع البابلى .

وتبدو الاساليب الفنية على الاختام الاسطوانية من زمن الكاشيين ، الاساليب الفنية نفسها التى كانت سائدة في زمن سلالة حمورابى مع الفوارق والميزات الخاصة بالكاشيين . فقد كان شكلها مستطيل بحاشية عرضية في أسفل الختم وأعلاه ، يحمل بعضها زخارف هندسية بشكل مثلثات وتغطي سطحها شبكة تظهر عليها رسوم لم نرها على الاختام من قبل

ولاسيما صور لحيوانات تدخل لاول مرة في عنصر الفن كزخرفة ومن بينها الحصان الذي هو حيوان خاص بالكاشيين وحدهم[1] • ثم حيوانات أخرى كالغزلان والأيائل والجرادة والحشرة (ذبابة؟) تقف أمام الاشخاص . ولاشك ان الجرادة كانت تمثل عندهم القحط كما كانت الحشرة تمثل الامراض • كذلك نجد صورة القرد داخل المحراب ولاشك ان هذا تأثير فرعوني لان القرد يمثل في الديانة الفرعونية احدى المراحل الاثنتى عشرة للطريق بين الحياة الدنيا والآخرة . كذلك نجد على الاختام الاسطوانية صورة الصليب المالطي ولاشك انه الرمز القديم للاله الشمس عند اهل حضارة القرية في بداية الدور الحجرى الحديث ووسطه بمثل ما نجده على الاواني الفخارية من عصر حلف ٥٠٠٠ ق.م. على ان أهم ما نجد لاول مرة على الاختام الاسطوانية من زمن الكاشيين ، صورة ابى الهول الذى له وجه فتاة وجسم اسد له جناحان يظهر منهما جناح واحد وهذه ظاهرة جديدة على الاختام الاسطوانية يجدر الاهتمام بها وملاحظتها ودراسة نشأتها واثر انتقالها في الحضارة الغربية القديمة أي الحضارة الحثية وحضارة بلاد وادى النيل .

تتميز الاختام الاسطوانية بكونها تمثل شعار الدولة ، فهى تمثل الملوك والطبقة الارستوقراطية والكهنة وغيرهم وتظهر عدداً من الآلهة ، اما برسمها شخصيا بالهيئة والشكل أو برسم رموزها وقد تجنب الكاشيون رسم الالهة على الاختام الاسطوانية وانتهجوا نهجاً مغايراً للسومريين والاكديين والبابليين وهنا تتضح لنا فكرة الآلهة في نظر الملوك الكاشيين

(١) ليست كلمة الحصان كلمة سامية وقد ظهر الحصان لاول مرة في التاريخ في القرن السادس عشر قبل الميلاد عند الكاشيين والهكسوس الذين ادخلوه الى مصر • ومن المتحمل ان يكون الحصان اوربيا جاء الى بلاد الشرق الادنى القديم من حوض الدانوب ومنطقة البحر الاسود • وقد عرف السومريون الحمار « سيسي sêsê » وسماه الاكديون والبابليون حميرّم أو إمّيرم • اما الحمار الكبير أو البغل فكان اسمه حمار الجبل وقد بقيت كلمة سيسي حية في مفردات اللهجة الموصلية وتعنى الحمار الصغير •

نموذجان من الاختام الاسطوانية الـكاشية

بانهم لا يرون الآلهة ولا يكلمونهم ولكنهم يرون اشاراتهم وعلاماتهم ولذلك فقد رمزوا لها بالرموز • وحين نجدهم يقومون بنحت تماثيل للآلهة كما فعل ميلي شپاك وغيره فان ذلك مجاراة لمشاعر السكان وزيادة في الخنسية والتقديس . وتتميز عن الاختام البابلية بكونها اطول حجما منها وبخاصة من الاختام الاسطوانية في زمن حمورابي وقد بقيت المشاهد الدينية وغيرها التي تتعلق بالملك ، نفسها تقريبا كما كانت عليها في زمن دولة بابل الاولى مع فارق واحد هو انعدام صورة الاله في أغلبها . ومن جملة الرموز التي تكثر في هذا الدور هو رمز الاله مردوك وكان يمثل رأس سهم أو رأس مَر لان مردوك كان اله الفلاحة والزراعة عند البابليين والكاشيين اضافة الى واجباته الاخرى ووظائفه . كذلك نجد رمز الاله نابو ابن الاله مردوك الذي يعبد في بورسيبا (برس نمرود) ومعبده يدعى إيزيدا ، وكان رمزه يمثل قلم الكتابة من القصب أو الحديد باعتباره اله الكتابة .

كانت الاختام الاسطوانية تصنع عادة من مواد مختلفة عديدة ومن كل مادة متيسرة صلبة وكلما كانت مادة الختم ثمينة دلت على مرتبة صاحبها ومركزه الاجتماعي والمواد التي كانت تصنع منها هذه الاختام هي اللازورد والزجاج البركاني والبازلت والحجر الرصاصي والحجر السماقي والطين والفرت المزجج (نوع من حجر الكلس المزجج) •

أحجار الحدود « كدورّو » :

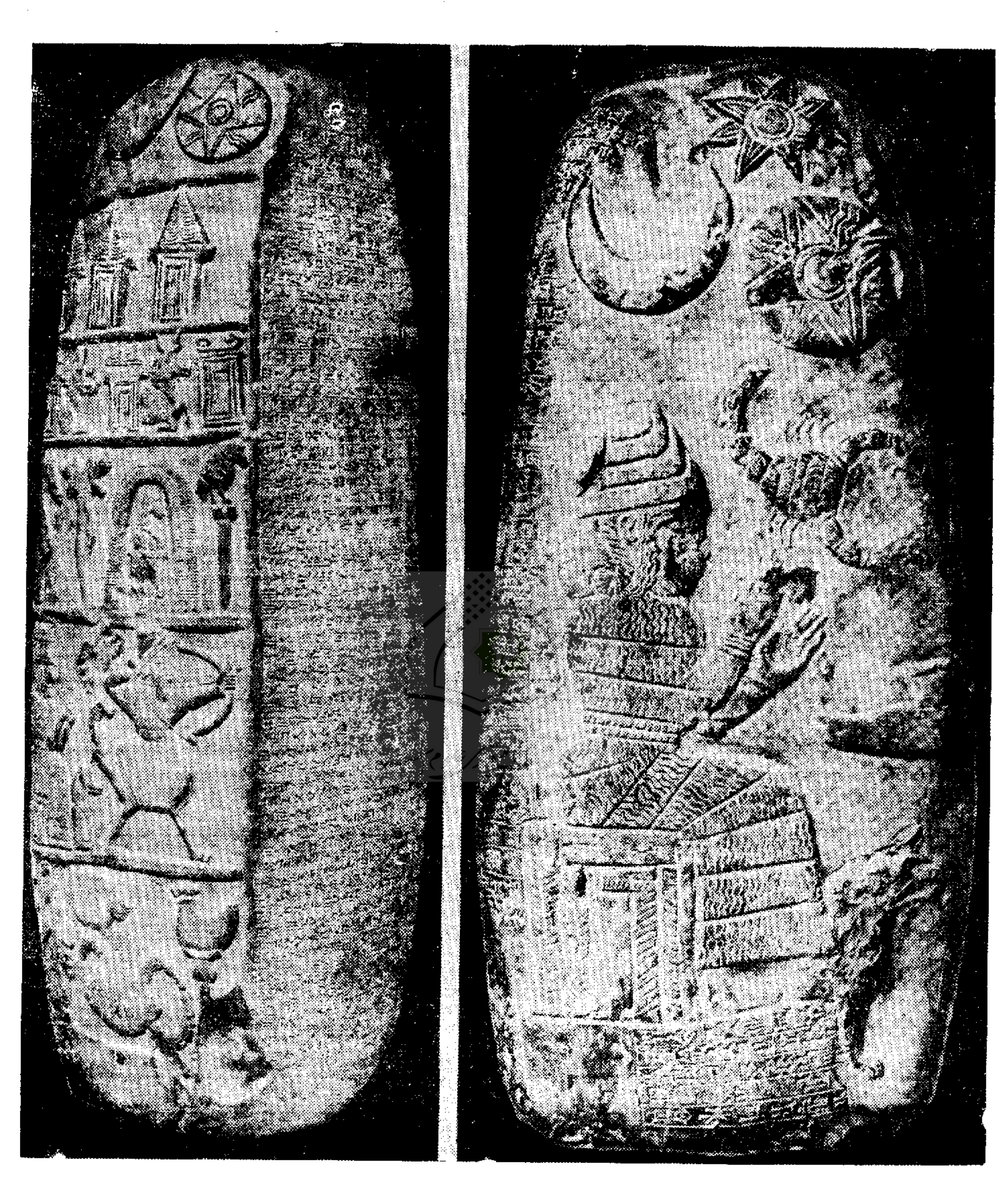
ان احجار الحدود التي تعرف باللغة الكاشية « قدرّو أو كدرّو » ، لها شكل مخروطي ناقص مقسم الى عدة حقول ، فهي اما اربعة حقول أو خمسة حقول أو سبعة حقول وفي كل حقل توجد صور رموز الآلهة التي تحفظ المقاطعات والممتلكات والعقارات من التجاوز عليها وقد خرجوا على المدرسة السومرية والبابلية كما اسلفنا بانهم لم يرسموا صور الآلهة بل رسموا رموزها فبدلاً من ان يرسموا صورة الالهة عشتار على الكدرّو ، رسموا رمزها وهو النجمة المثمنة ورمزوا للشمس بالقرص والقمر بالهلال

وللآلهة الثلاثة الكبار – آنو وايا وانليل – بالتيجان المقرنة وللاله نركال بالعجل وللالهة نن خرصاك الهة الينابيع العذبة عند السومريين رمزوا لها تارة بالاناء الفوار (الرمز السومرى) وتارة بالضريح باعتبارها الهة الموتى ، ورمزوا للاله ادد بالصاعقة .

واحجار الحدود حدث فى تاريخ فن النحت في بلاد وادى الرافدين فى زمن الكاشيين اذ لا نعرف مثل هذا النحت فى الادوار التاريخية السابقة فقد ابتكرها الكاشيون لتكون حدوداً أو علامات للحدود بين المقاطعات والممتلكات الخاصة والعامة . وعلى الرغم من ان الكاشيين يميلون الى احلال نظام الاقطاع فى بلاد وادى الرافدين الذي كان من صميم تقاليدهم وصفاتهم القبلية الا انهم اتخذوا توزيع الاراضى عصاً سحرية للتأثير على سواد الشعب ولاسيما طبقة الفلاحين واستمالتهم فوزعوا الاراضى وثبتوا ملكيتها بهذه الاحجار ورسموا على واجهاتها كثيراً من الرموز لتكون تعاويذ تدفع الشرور والاذى وتنزل العقوبات بكل من يتجاوز على حدود المقاطعات والممتلكات وعينوا جهات المقاطعة بذكر اسماء المقاطعات المجاورة لها والتى تحاددها وذكر مساحتهاومالكها وذكر أسماء الآلهة التىرسموا رموزها مصورة فى الجهة الامامية من الكدورو ثم استنزلوا اللعنات على من يتجاوز عليها . وتبلغ الرموز المصورة على احجار الحدود خمسة وعشرين رمزاً فى بعض الاحيان وكانت رموز آلهة الخير ترسم فى اعلى الكدرو اما رموز آلهة الشر فقد كانت ترسم في اسفل الاحجار فى القسم الذى يغرس في الارض على الحدود .

الرموز الدينية :

كان الكاشيون أول من استعاض عن رسم الآلهة برسم رموزها ، فقد رسم السومريون والاكديون والبابليون الآلهة على مسلاتهم ومنحوتاتهم الحجرية بهيئة البشر وميزوها عنهم بالزي والطابع الالهى الذى اعطاهم اياه السومريون والاكديون والبابليون ، تمييزاً لهم عن البشر . والآلهة في



نماذج من أحجـار الحدود « كدورّو » ، وتظهر عليهـا رموز الآلهة والنصوص المسمارية ٠

زمن السومريين والاكديين والبابليين كانت لها هيأة البشر وفق العقيدة العريقة لسكان بلاد وادى الرافدين التى تقول بان الآلهة خلقت البشـــر على شاكلتها ولكنها تختلف عنها بالحجم واللباس . فقد رسموها ونحتوها ، ذكوراً كانت أم اناثا ، تحمل على رأسها التاج المقرن وتلبس أردية وثياباً من طيات متعددة تخططها اشعة الشمس أو أمواج الماء كما في صورة الالـه نتا (ر) اله القمر وصورة الالهة ننكال زوجه في مسلة الملك اور نمـو وصورة الاله ننگرصو والاله ننگشزدا اله الطب لمدينة لكش ، فى مسلة گوديا وكذلك في صورة الاله شماش الاله الشمس الجـــالس فى مسلة حمورابى المشهورة . وما من شك في ان الاكديين اتخذوا الرموز الدينية للآلهة ولكن في نطاق ضيق محدود وعلى منحوتات منفردة فقط لـم يعم انتشارها في بلاد وادى الرافدين بعد زوال حـــكمهم على يد الكوتيين . وندرج على سبيل المثال مسلة الملك نرام سن التى تعرف بمسلة النصر والتى يشاهد فى قمتها ثلاثة رموز بهيئة نجمة مثمنة الشكل تنبعث من بين زواياها حزم شعاعية ، تلتصق جميعها على اطار دائرى خفيف وهى ترمز بالترتيب من الاعلى الى الالهة عشتار آنونيتا الهة الاكديين والهة العاصمة اكد ثم الاله شماش اله مدينة سيار (تل ابى حبة) ثم الاله القمر سن .

وادخل السومريون في عصر البعث السومرى في زمن ســلالة اور الثالثة رموز الآلهة ولكن فى نطاق محدود ، حيث نشاهدها على الاختام الاسطوانية بصورة خاصة وكثيراً ما تقتصر على اله معين هو الاله القمرسن وهذا ما نجده بكثرة على الاختام الاسطوانية من سلالة اور الثالثة ويعـد طابعاً مميزاً لفن النحت على الاختام الاسطوانية في هذه الفترة وكان رمزه الهـلال . ويبدو ان هـذا الرمز كان شـائعاً في زمن ســلالة أور الاولى (٢٥٠٠ ق.م.) ولـكن لم نجده على المنحوتات بل في هيأة القوارب التى تتخذ شكل الهلال وقد عثر على كثير من هـذه القوارب المصـنوعة من الفضة والقير في المقبرة الملكية لهذه السلالة . ونحن اذا ما عرفنا العقيدة السومرية او الديانة قبل السومريين ، التى تتعلق بالاله القمر نتا (ر)

لا نستغرب تصوير قدماء العراقيين اياه بهيئة هلال طالما كان يظهر في السماء على هذه الصورة أو عمل الزوارق بهيئته لان السومرين كانوا يعتقدون في هذا الفضاء الكونى أو فى السماء بانها المحيط الكونى وان القمر ينتقل في ابراجه في السماء بزورق يركبه فيمخر بـه عباب المحيط الـكونى وهـذا الزورق هو الهلال الذى اصبح رمزاً للاله القمر ننا (ر) عند السومريين أو سن عند الاكديين والبابليين والآشوريين . اما هيئته فانها كهيئة البشر وكذلك هيئة بقية الآلهة التى رسموا رموزها على المنحوتات والاختـــام الاسطوانية التى تحمل عروضاً دينية .

فالكاشيون اقتصروا على رسم الآلهة برموزها فقط ورسموا بعضا من آلهتهم بهيئتها الطبيعية التى تشبه البشر ، فرسموا رمز الالـه القمر بهيئة الهلال ورسموا رمز الالهة عشتار بهيئة نجمة مثمنة الشكل ملتصقة بقرص ورسموا الاله آنو والاله إيا والاله إنليل بهيئة تاج مقرّن له خمسة أو ستة قرون متناظرة بشكل مخروطي . كذلك رمزوا الى الاله مردوخ بعلامة المر السومرية التى على شكل سهم مثلث يقف على منصة تشبـه المحـراب وامامه حيوانه المعروف « مشخشو » الذى لـه جسم اسـد تغطيه حراشـف تشبه حراشف السمكة ويداه الاماميتان يـدا اسـد ورجـلاه الخلفيتان رجلا نسر وذيله ذيل عقرب ورأسه المرسوم على احجار الحدود يشـبه رأس تنين بقرنين . وقد كان هذا الحيوان رمز الاله إيا ، اله اريدو والاله مردوك ، إله مدينة بابل . كذلك نجد رمز الاله نابو الذى يتمثل بشكل لسان مثلث الشكل ونجد حيوانه امام المحراب والذى يشبه المشخشو ايضاً ويرمز القلم كما مر بنا الى الاله نابو ابن الاله مردوك لانه كان اله الكتابة ثم نجد من بين الرموز رمز الاله ادد الذى يتكون من لسانين من البرق ، يرتكز على ما يشبه المعبد أو المحراب ومن بين الرموز كذلك رمز الالهة نسكو الهة اللهيب ويتمثل بشعلة المصباح كذلك نجد في هذه الرموز رموز الآلهة الحنية ومن بينها رمز الالهة گولا الهة الرعاة وهو الذى يتمثل فى صورة حيوانها الـكلب وكثيراً ما كانت ترسم بهيئة امرأة جالسة على معبد

وعليها ثوب يشبه ثوب الاله شماش وعلى رأسها تاج مقرن بعدة قرون تتدلى على كتفيها خصلات شعرها ويربض بجانبها كلبها . كذلك نجد بين هذه الرموز رمزاً يمثل رأس كبش فوق مصطبة المعبد وامامه صور معز جبلي ، ولعل رأس الكبش يرمز الى الاله الكاشي مروتّاش والمعروف ان رأس الكبش يرمز في بلاد وادى النيل الى الاله آمون . ثم هناك رمز آخر يمثل رأس الديك ويرمز الى الاله مشلم طائي وهو أحد الآلهة الكاشيين ورموزاً كثيرة أخرى ترمز الى الآلهة القديمة التى جاء بها الكاشيون الى بلاد وادى الرافدين ، منها الآلهة شوكامونا وشومااليا ودمكال نونا[١] .

ويجدر بنا وقبل ان نختتم بحثنا عن الحياة الفنية في بلاد بابل في زمن الكاشيين ان نذكر جمود الفنان البابلي في هذه الفترة وتمسكه بالمدرسة الكلاسيكية (السومرية) وأساليبها الفنية وقلة تطوره لاسيما في فترة عاصرت ازدهار الحضارة في البلاد التى عاش الكاشيون معها في اوثق العلاقات وهى بلاد الحثيين وبلاد وادى النيل . ففى بلاد وادى النيل ازدهر لون خاص من الوان الحضارة المصرية القديمة وهو فن التصوير والنقش والتلوين ، الذي أصبح طابعا مميزاً لعصرامينوفيس الثالث وعصر العمرنة ـ عصر امينوفيس الرابع وتوت عنخ آمون ، كما تميز بسمو الذوق ودقة التعبير والحركة وتصوير المشاعر وتقليد الطبيعة لاسيما الطبيعة الملونة بالماء والخضرة والطيور المائية . وابلغ ما نجده فى فن هذه الفترة هو ذوق الفنان والرسام المصري وسيطرته على ريشة الرسم ، ثم ذوقه الرفيع في اختيار الالوان وخلطها وايجاد الانسجام بينها • وقد وجدنا هذه الناحية الفنية بارزة في قصر زمرى لم في ماري وفى بلاد آشور وفى الصورة المرسومة بالالوان على جدران معبد زقورة عقرقوف ولكننا نرى مع ذلك تفوق

(١) للاستزادة من موضوع رموز الالهة ، يراجع كتاب :

Jastrow, Bildermappe der Religion

Jastorw Religion of Babylonia and Assyria.

الرسام المصري على الرسام العراقي القديم بجعل فنه قصة متسلسلة . فقد رسم الفنان المصري ملوك وادى النيل بادوار مختلفة من اعمارهم ، في عهد الطفولة والشباب والكهولة ثم رسم الفراعنة في اوقات لهوهم وفي اوضاع مراسيمهم الدينية والرسمية بينما نجد الفنان العراقي قـد بقي محتفظاً باساليب المدرسة القديمة ، فقد رسم الملوك والاشخاص البارزين في سن معينة من سنوات حياتهم وحاول قليلاً في اواخر القرن الثالث عشر ان يجعل من فنه لوحة متعددة الموضوعات او موضوعاً متحركاً يشبه الفلم فنحت صورة توكلتي ننورتا في وضعيات ثلاث للصلاة أمام رموز الآلهة ذلك على قاعدة الرخام يشبه اعلاها اللهيب مما حدا ببعض علماء الآثار ان يعتقدوا بان المنحوتة ترمز الى الالهة نسكو الاله اللهيب .

الحياة الدينية والادب البابلي :

ذكرنا فيما سبق ان الكاشيين انصهروا فى الحضارة البابلية واخذوا عن البابليين الخط واعتنقوا دياناتهم وعقائدهم الدينية وعملوا بشرائعهم وطبقوا قوانينهم في ادارة البلاد وقد وجدنا لدى دراسة معتقداتهم بانه كانت لهم ديانة معينة وباعتبارهم شعبا جبليا فقد كانت معتقداتهم معتقدات سكان الجبال الشرقية نفسها . فكانوا يعبدون القمر الذى يدعي عندهم بالاله شباك وعبدوا الاله شوكا مونا ، اله الجبال واله الحرب كذلك عبدوا اخته التوأم شوماليا ، سيدة الجبال المضيئة . وقد تلاشت منزلة هذه الآلهة الرئيسة امام الآلهة البابلية الرئيسة اذ بقيت الالهة مردوك وتماش والالهة عشتار (إننا) تحتل المرتبة الاولى فى معتقدات الدولة الكاشية وهذا ما يظهر بوضوح على احجار الحدود وعلى المبانى والمعابد التى انشأها ملوك الكاشيين واهتموا بها ولم نجدهم ينشئون معبداً لآلهتهم الاصلية . ولعل اعتناق الكاشيين للديانة البابلية واهتمامهم بها وبآلهة بلاد بابل يرجع بالدرجة الاولى الى محاولة الكاشيين لكسب رضا البابليين وبخاصة الكهنة الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير ويعدون بالآلاف وكانوا منتشرين في كل مكان من البلاد البابلية .

طبقة الكهنة :

كان الكهنة في الزمن البابلي والكاشي بل وحتى في الادوار المتأخرة ينقسمون الي اربع طبقات وكانوا يؤلفون في زمن الدولة البابلية اهم طبقة في المجتمع البابلي واكثرها نفوذاً . وكانوا يشكلون في زمن الكاشيين دولة داخل دولة فقد حافظوا على مكانتهم التقليدية منذ العهود السومرية الاولى وابقوا في ايديهم زمام الحياة الفعلية وبذلك سيطروا باسلوب غير مباشر على الحكم في البلاد ، كما كانوا يناوئون السلطة الحاكمة ويزاحمونها في النفوذ وسياسة الامور في البلاد وكان نجاحهم يتوقف على درجة تفوقهم في حبك الدسائس والمؤامرات وتأليب الطبقة العامة على الهيئة الحاكمة .

كان في كل معبد لكل مدينة ، بل ولكل قرية عدد من الكهنة يتراوح بين عشرة واثنا عشر ، أو تسعة عشر كاهناً وكان يبلغ عددهم في بعض الاحيان اثنين وسبعين كاهنا . وكان لهم رئيس وخدم ، وفيهم كهنة خاصين بعامة الناس يقومون بارشادهم ووعظهم وتطويفهم في المعابد . ثم كهنة مختصون بعمل التمائم والرقى وبكشف المستقبل والظنون وكهنة مختصون بقراءات التعازي والنواح واللطم وبغسل الاموات وتحنيطهم وتكفينهم ودفنهم .

وكان هناك كهنة يختصون بالموسيقى والكتابة والتعليم ـ وهذا يعني ان مهنة الكتابة والتعليم كانت محصورة بفريق معين من الكهنة .

كان الكهنة يظهرون في العهود السومرية في مراسيم العبادة والطقوس الدينية التي يقيمونها في المعابد مستوزرين وزرات تغطي وسطهم وكانوا يظهرون حفاة عراة امام الآلهة ـ من ذلك مشهد الكهنة الذي نجده على الاناء النذري من الوركاء (دور الوركاء الثاني واوائل عصر جمدة نصر ٢٨٥٠ ق.م.) . اما في العهود الاكدية والبابلية والكاشية والادوار المتأخرة فقد كانوا يلبسون اللباس الابيض المصنوع من الكتان . وكانوا يلبسون في اثناء مراسيم التكفير عن الخطايا وابداء الندم وصلوات

الغفران اردية حمراء تحتانية وفوقانية وذلك قصد الارهاب والتخويف. ويضعون على رؤوسهم تيجاناً بهيئة الطربوش ذى الشكل المخروطى الناقص . وكان بين الطبقات الدينية من الكهنة غلمان يتبعون طبقة الكاهنات الخاصة بخدمة معبد الالهة عشتار ، وكانوا يتصفون بالخلق الدنيء وباللواطة التى لم تشر اليها قوانين حمورابى[١] .

كان الكاهن يدعى باللغة السومرية شنگا Shanga وفى الاكدية شنگو Shangu وكانت مهمته الاساسية منذ اقدم العصـــور هى ترأس الاحتفالات الدينية في تقديم القرابين للآلهة[٢] .

وكان مسؤولاً اضـافة الى ذلـك عـن ادارة المعبد وكانت وظيفته مرموقة جداً ومحصورة بالطبقة الارستوقراطية ويتدرج من مرتبة كاهن بسيط الى كاهن كبير ثم يصبح كاهنا اعلى للمدينة ويطلق عليه اسم العين En أو العينو Enu وقد كانت هذه التسمية عند الاكديين والبابليين والآشـوريين اما في السومرية فقد كان الـكاهن الاعلى يدعى سـمگامخ Samgamakh وقد اقتبسها الاكديون كذلك سمكامخّو Samgamakhkhu وكان للكاهن الحق فى ان يسكن خارج المعبد ويشـرف على ادارة حقله وبستانه وانعامه وكان مسـؤولاً عن ثروات المعبد الطـائلة وجمع اوقـافه وادارة ممتلكاته . وفى بداية نشأة القرية فى جنوبى وادى الرافدين وفـى دور العبيد حين كان الجنوب يتكون من جزر وبحار كان المعبد هو الذى يشرف على ادارة حكومة القرية او دولة مجموعة القرى الصغيرة اى انه كان يجمع فى يده السلطتين الدينية والزمنية وكان مسؤولاً عن محافظة رعيته ـ سكان القرية أو القرى ـ ومسؤولاً كذلك عن اعالة الناس وإذ كان المعبد يملك كل شيء باعتباره مأوى الالـــه او الالهة التى تملـك الارض

---

(١) راجع :ـ

Meissner, Kulturgeschichte Babylonien U. Assyrien II.

(٢) راجع :ـ Genouillac, Tablettes Sumeriennes Archaiques.

وما عليها من مخلوقات ، من بشر وحيوان ،لذلك فقد كان الكاهن الاعلى أو رئيس كهنة المعبد يوزع الاعمال على الرعية ويقدم لهم المأكل والمشرب والكساء والسكن لقاء الاعمال التى يقدمونها للمعبد . وقد عرّفنا نحن تلامذة التاريخ القديم هذا النوع من نظام الحكم باسم الاشتراكية الدينية . ومن هنا اصبحت للكاهن الاعلى الكلمة النافذة على الناس وصار يجمع في يده السلطتين الدينية والزمنية لانه يحكم باسم الاله طالما كان الاله أو الآلهة لا تولى الحكم الا لمن تصطفيهم من البشر ولذلك فقد حرص ملوك بلاد الرافدين منذ أقدم الازمان ان يكونوا ملوكا ورؤساء كهنة فى آن واحد أو يكونوا على وئام وصلة وثيقة مع كاهن المعبد الاعلى . وهكذا فان كثيراً منهم تلقب بلقب الكاهن الاعلى أو السيد الكاهن اى العين أو العينو ، فقد تلقب كوديا بلقب « السيد الكاهن للاله ننكرصو » ـ وننكرصو هو الاله الرئيس لمدينة لكش (تللو) .

وكان لكل معبد كهنة ورئيس يختلف لقبه بحسب المدينة والسلالة الحاكمة وكان من أهم رؤساء كهنة المدن فى بداية الالف الثانى قبل الميلاد هو رئيس كهنة بابل لاسيما بعد ان تقلد الاله مردوك الزعامة على الآلهة واصبح سيد البشر بيده آجالهم ومصائرهم وقد جاءته هذه الزعامة كما سنرى نتيجة لتقلد مدينة بابل الزعامة السياسية على البلاد في زمن حمورابى ولذلك فقد أصبح رئيس كهنة معبد ايزاكلا ـ معبد مردوك ، اهم شخصية دينية فى البلاد وكان له لقب خاص به يعرف باسم اور يكلو[١] . فهو الذى يدير مراسيم اعياد رأس السنة ويظهر لايام عديدة من اعياد رأس السنة البابلية مرتديا لباسا أبيض ورداءً أبيض من الكتان ويعظ الناس المجتمعين في فناء المعبد الفسيح . فيتكلم لهم عن أمور الدين ويجرى مراسيم للصلاة تشبه كثيرا مراسيم الصلاة والقداس للكنيسة المسيحية ولا يحق لاحد من

(١) راجع آكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية : مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦٢ أو النشرة نفسها للدكتور محمود الامين ٠

الكهنة الحضور في المراسيم الدينية التي يحضرها رئيس الكهنة فى الايام الاولى من اعياد رأس السنة . وللدلالة على قوة نفوذه فانه هو الذى يقود الملك فى اليوم السابع والثامن من أعياد رأس السنة للحضور في معبد ايزاگلا ويقوده الى مخدع الاله أو محرابه وهناك امام تمثال الاله مردوك يخلع عنه التاج ويجرده من السيف ويأخذ صولجانه (صولجان الملك) ثم يضربه على خديه ويجرّه من اذنه حتى يخر راكعاً امام الاله مردوك وهو يقول « لم اذنب يارب البلاد ولم اتوان عن عبادتك وانني لم ادمر بابل وانني حافظت عليها ولم اهدم اسوارها » .

وكان للكهنة مرتبات وتجرى لهم العطاءات وكان الملك يخصص لهم المنح والهبات من وقت لآخر ويغدق عليهم الهدايا لكسب رضاهم كما كان الناس يقدمون لهم مثل ذلك وتوقف على معبدهم المختلفة والعقارات فتكونت لديهم ادارة خاصة لتسيير شؤون هذه الممتلكات وشؤون المعبد الداخلية وجباية واردات الاوقاف والضرائب الدينية . وكان في كل معبد غرف لخزن الهدايا والنفائس والاموال وكانت تعرف ببيت الخزائن وكان يقوم بتسجيلها وخزنها موظفون من كهنة المعبد .

طبقة الكاهنات :

ومثلما كانت فى بلاد بابل طبقة للكهنة فقد كانت فيها طبقة للكاهنات تخضع لرئيسة كثيراً ما تكون من البيت المالك لكى يهيمن الملك بهذه الواسطة على طبقة الكاهنات والمعبد . وللكاهنات مراتب مثل مراتب الكهنة بالنسبة للاعمال والوظائف التى يقمن بها فمنهن من يختصن بمراسيم تقديم الضحايا والقرابين ومراسيم غسل المعابد وغسل الاموات والقيام باعمال السحر والفأل والتعاويذ والرقى . على ان أهم وظيفة كن يزاولنها هي وظيفة التعليم وتربية اليتامى وتوضيح الامور الدينية للنساء كما كن يتعلمن الموسيقى ويتقنّ الغناء . وكانت رئيسة الكاهنات تسمى « عينتو Entu » في اللغة الاكدية ونن‌دنكيرا Nin-Dingira في السومرية وقد دعيت في الادوار

المتأخرة ربوتو Rabûtu وقد كانت في الغالب أميرة من البيت المالك وكثيراً ما تكون البنت التى ينذرها الملك الوالد رئيسة للكاهنات لان الملوك السومريين والاكديين والبابليين كانوا ينذرون بناتهم لخدمة الاله ولاسيما القمرسن الذى كان مركز عبادته الرئيسة فى مدينة أور ثم اصبح فى مدينة حران اضافة الى اور فى العهود البابلية المتأخرة . وآخر عهدنا برئيسة الكاهنات هذه هو من زمن الملك نابونائيد ملك بابل الاخير (٥٥٥ - ٥٣٨ ق.م.) الذى كانت امه رئيسة لكاهنات معبد الاله سن فى حرّان وكان ابوه كاهنا آرامياً لمدينة حرّان وقد نذر نابونائيد ابنته لمعبد الاله القمر سن فى أور ونصبها رئيسة لكاهناته ويسمح لهؤلاء العينتو بالزواج من كاهن أو بأى شخص آخر ولكن حرم عليهن الدخول فى حانات البيرة أو الوقوف على أبوابها . كذلك حرم عليهن ان يلدن اولاداً ، فان فعلن ذلك فعليهن ان يخفين امرهن ولا يشعرن بـه احداً لان ذلك دلالـة النحس والشـؤم على البلاد والملك وكثيراً ما كن يضعن المولود على قارعة الطريق أو عند عتبة المعبد أو يضعنه فى سلة ويلقينه فى النهر وهذا ما حدث فى الواقـع للملك سرجون الاول مؤسس الدولة الاكدية (٢٣٥٠ ق.م.) اذ كانت امه راهبة ـ عشيقة الاله القمر سن ، فلما تزوجت والده لاعيبو حملت به ثم ولدته فخشيت علية وعلى نفسها من القتل فوضعته فى سلة والقته في نهر الفـرات فحمله الموج الى حديقة الملك اورزبابا ملك مدينـة كيش (تل الاحيمر) فرآه البستانى أكّي فاخذه الى داره وطلب من زوجته ان تربيه عسى ان ينفعه ، فلمـا ترعرع وبلغ اشده أصبح بستانيا في حديقة الملك يساعد مربيه ، فاحبته الالهة عشتار وغرمت به فرفعته الى عرش الملك ليحكم ذوى الرؤوس السود . وتذكر اسطورة سرجون بانه صار نديما وساقيا للالهة زبابا ، الهة الحرب لمدينة كيش وذلك قبل ان يجلس على العرش ثم صار موظفاً كبيراً في بلاط الملك وبعد ذلك انزل الملك عن العرش ونصب نفسه ملكاً على البلاد .

وقد ظل تحريم انجاب الاولاد على العينتو أو رئيسة الكهنة ولاسيما

على المنذورات من الراهبات ، باعتبارهن منذورات للاله فهن ملكه ويظهر انه قلما كان يسمح لهؤلاء المنذورات بالزواج أو الاتصال برجل ، بالاخص اذا كن بنات الملوك أو بنات الذوات وعلية القوم حتى لا يكون ماتنجبنه فتنة للناس فيتبعونه باعتباره ابن الاله وعندها يتزعزع مركز الملك في البلاد ويصبح خطراً عليه . فقد كان الاعتقاد سائداً بين الناس في بلاد وادى الرافدين وبقية اقطار العالم القديم بان اله المدينة أو آلهة البلاد كثيراً ما يقع نظرها على راهبات المعابد أو المنذورات منهن فينزلون الى الارض ويتزيون بزى رجل غريب ويضاجعونهن فاذا حملن ووضعن ولداً فيكون الهاً بشرياً في الارض مثل الفرعون في مصر او الملك الاكدى أو ملوك سلالة اور الثالثة (٢٠٥٠ ـ ١٩٥٠ ق.م.) . وقد كانت طبقة الكاهنات منتشرة في بلاد كنعان الشمالية والجنوبية (فلسطين) كانتشار طبقة الكهنة فيها . وكانت ترقد فوق سرير الذهب في بيت الاله أو المعبد العالي من برج بابل امرأة جميلة وبالاخص في اعياد رأس السنة لتكون متعة للاله مردوك عند نزوله من السماء وقد ذكر ذلك هيرودوت[١] .

وهناك طبقة أخرى من الكاهنات تعرف في السومرية بطبقة النوگى Nugig وفي الاكدية بطبقة القادشتو Qadishtu ومعناها طبقة البغايا وهن اللاتى ينتمين الى مبغى المعبد وكان لكاهنات هذه الطبقة سوق رائجة في الزواج ويحق لهن بعد ان يتزوجن ان يلبسن الحجاب عند عند مغادرتهن البيت كأية امرأة شريفة ، فاذا لم يجدن من يتزوجهن فلا يحق لهن ان يلبسنه . ثم هناك طبقة أخرى تعرف باسم خريماتى أو حريماتي[٢] وتعني المتجولات في الطريق ويكثرن في أعياد رأس السنة التى تقام للالهة عشتار حيث يقمن باغراء الشباب وكن يتزوجن كذلك .

---

(١) راجع هيرودوت : التواريخ ص ١٩٩ .

(٢) ولعلها كلمة حرمة نفسها التي تشمئز المصرية من سماعها اذ تعني بغي ، ومنها الحريم أي النساء اللاتي يتمتع بهن صاحبهن أو صاحب البيت الذي يقمن فيه .

وقد نصح احد الحكماء البابليين ولده بالابتعاد عن هذا النوع من الراهبات ، بقوله : « انها لا تكترث بك اذا ما اصابك مكروه وتطاول عليك فى اثناء الخصام ... الخ »[١] .

واذا ما تزوجت هذه الراهبة فانها تحصل على كامل حقوقها ولا يجوز لاحد ان يحتقرها . ولم يكن هذا النوع من بغايا المعبد موجوداً فى بلاد آشور وان كانت هناك وثائق عديدة وجدت فى بلاد آشور تتكلم عن هذه الطبقة التى لا علاقة لها بطبقة الكهنة الآشورية ولكنها عرفت فى كثير من بلدان العالم القديم ، فقد عرفت عند اليهود فى فلسطين وعند الاغريق والرومان . وكانت هؤلاء الراهبات يسكن فى مكان قريب من المعبد يشبه الدير ويعرف باسم گاگو Gagu كذلك كن يسكن خارج المعبد . ويعتقد بعض الحكماء ان تعاطى هؤلاء الراهبات البغاء انما كان خدمة للآلهة أو لاله معين ومرضاة له فقد كن في أيام الاعياد يقدمن انفسهن للغرباء في مبغى المعبد الذي يعرف عند الاكديين والبابليين باسم بيت أشتمي Bit Ashtammi[٢] .

وقد وصف لنا هيرودت البغاء عند المعبد[٣] فقال : « انه كان يجري عند العتبة المقدسة للالهة افروديت (أي معبد الالهة عشتار) فقد كانت بغايا المعبد يقعدن وقت الغروب فى اسفل حائط المعبد فيمر الغريب فيلقى قطعة من الفضة فى حجر من تعجبه منهن ثم تنهض فى الحال وتتبعه الى مكان خلف المعبد » وهو مبغى المعبد الذى مر ذكره . واذ نحن بصدد هذا البغاء

---

(١) راجع :
Meissner, Altorientalische Texte und Untersuchungen II 1.33 of.; Zeitschrift der Assyriolgie, XXIII 23,368.

وكذلك راجع رسائل الآباء الى الاولاد ص ١ من منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في بغداد ١٩٦٢ .

(٢) راجع :
Messerschmidt, Kelischrifttexte Aus Ashur Historischen Inhalt, II, 18, 34.; Ebeling, Keilschrift Texte Aus Ashur Religiosen Inhalt, II, No. 147.

(٣) راجع المصدر نفسه عن هيرودوت .

المقدس لا يفوتنا ان نذكر ما ذكره هيرودوت وهو أن على كل بابلية حين تتزوج أن يأتي مرة في حياتها الى هذا المكان لتتعاطى الفحشاء في مبغى المعبد مع أول من يأتى اليها من الرجال ثم تذهب بعد ذلك الى بيتها وهي سعيدة بما وفت به من فرض عليها . ويقول هيرودوت أن المرأة الحسناء تجد ضالتها على الفور اما القبيحة فانها تظل تأتي الى حائط المعبد سنوات فلا تجد من يضاجعها ولقد علمت بان هناك من النساء المتزوجات من قد مر عليها سبع سنوات فلم تجد احداً .

وعلى الرغم من هذه الحرفة التى تمتهنها بغايا المعبد فقد كان عليهن ان يتحلين بالفضيلة عند خروجهن من المعبد الى سوق المدينة أو الظهور في احياء المدينة اثناء النهار وقبل حلول الغروب وكان كثير منهن يتزوجن . وقد ذكر احد البابليين السبب الذى دفعه لان يتزوج واحدة من هذه الراهبات ، « بانه يحبها على الرغم من انها كانت بغيًا » .

والاسم الدارج للراهبة أو الكاهنة هو شنگيتو Shangitu أو زاگيتو Sagitu وقد كانت هذه الطبقة من الراهبات معروفة في بلاد وادى الرافدين منذ اقدم العصور ولعلها تكونت بالذات من نذر الوالدين (من الطبقة العامة) ما يأتيهما من نسل لمعبد معين أو من الايتام أو من اللقطاء الذين كانوا يرمون امام عتبة المعبد كما ذكرنا او بنتيجة الفقر . فكثيراً ما يعجز الوالدان عن اعالة اولادهما او تعجز الأم عن اعالة اولادها بسبب وفاة الاب فتهب اولادها للمعبد[1] .

وهناك وثيقة خطية لام تقدم ولديها لمعبد اى أنّا E-Anna وهو العتبة المقدسة للالهة إننا (عشتار) فى مدينة الوركاء جاء فيها :ـ

« وفي وسط الحشد وأمام مدير ادارة معبد إى أنا ، صرخت أمٌ وقالت :ـ

---

(١) راجع :
Yale, Oriental Series, Researches I, No. 45, II, 22.

ان زوجـي توفّي وعمّت المجـاعة فى البـلد لذلك جئت بولـدي الصغيرين شماش ايريبا وشماش ليعو ووسمتهما بنجمة عشتار واني اقدمهما لربة اورك . ابقوهما على قيد الحياة ودعوهما يكونان عبدين لربّة اورك » .

كانت عادة تقديم الرقيق لمعابد الآلهة شائعة فى بلاد وادى الرافدين فنحن نعرف من الادوار المتأخرة ان نابونائيد اهدى لمعبد الاله مردوك ومعبد الآله نابو ومعبد الاله نرگال ٢٨٥٠ اسيراً ليكونوا رقيقاً لمعابد هذه الآلهة .

الادب الديني البابلي في زمن الكاشيين :

وجد الكاشيون ثروة طائلة من النصوص الدينية تحتوى على قدر وافٍ من الميثولوجيا التى توضح لنا وجهة النظر الفلسفية ـ اى النظرة الى الحياة ـ لسكان بلاد وادى الرافدين القدامى . كذلك توضح هذه الآداب الدينية العلاقة بينهم وبين الآلهة التى كانوا يعبدونها وتشـــرح لنا البواعث الاساسية التى كانت تربطهم بها وتتحكم بحياتهم ومقدراتهم اليومية .

فلما غزا الكاشيون بلاد وادى الرافدين واستتب لهم الحكم في البلاد لم يكن لديهم من الثقافة الدينية ما يـكفى لازاحـة المعتقدات الدينية التى توارثها البابليون بمرور المئات من السنين واستبدالها بما كان عندهم من معتقدات وطقوس وميثولوجيا بدائية . فقد وجدوا امامهم ديانة ومعتقدات تزخر بالادب الدينى الرفيع المدون على عشرات من رقم الطين التى كانت تملأ كل معبد من معابد العراق القديم المنتشرة فى كل مكان ، فى المـدن والقرى والارياف . ورأوا امامهم طبقة كبيرة ومتنفذة ومتغلغلة فى جميـع انحاء البلاد فكان لابد لهم من مجاراتهم وكسب نفوذهم بل انهم وجدوا انفسهم مضطرين الى اعتناق المعتقدات البابلية وابقاء الآلهة البابلية فى الرتب والواجبات التى يحتلونها فى هذه المعتقدات . ولقد رأينا عند بحثنا عـن الآلهة الـكاشية ان الكاشيين جعلوا آلهتهم الرئيسـة الهـة ثانوية واكتفوا بتصوير رموزها في اغلب الاحيان وهذا ما نجده على احجـار الحـــدود والاختام الاسطوانية وقد ازداد الاهتمام فى زمن الكاشيين بالآداب الدينية

الاخرى كقصة الخليقة البابلية وبطلها الاله مردوك فعم انتشـارهـا فى بلاد وادى الرافدين وبلدان الشرق الادنى الاخرى وانتقلت عن طريق الكاشيين الى الحثيين وبخاصة الى مصر وذلك فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر وقـد وجدنا عـدداً كبيراً من الرقم الطين البابلية من الزمن الكاشى فى تل العمرنة ، تتناول مختلف النواحى الثقافية والدينية التى كانت سائدة عند البابليين يومذاك . وكان الـكهنة والكتاب المصريون فى انهماك شديد لاستنساخ هذه الرقم ونستدل على ذلك من الاخطاء الكتابية واللغوية والفواصل والنقاط بين الجمل وهى الطريقة التى كانت متبعة في اسلوب الكتابة الهيروغليفية على لفائف البردى .

وانتشرت فى زمن الكاشيين ترجمات الملاحم السومرية التى تتناول الاشعار عن حروب الآلهة فيما بينهم ولاسيما الحرب الطاحنة التى دارت بين الآله لوگال بندا الذى اصبح فى هـذا الدور الالـه مردوك نفســه وانتصاره على الطائر زو الذى يتمثل فى هيئة جانٍ او مارد وقد كان هذا المارد قد انتهز فرصة انشغال الاله إنليل فاغفله ودخل مخدعه وسرق الواح القدر وكانت اثنا عشر لوحاً وذلك لكى يستحوذ على السلطة فى السماء والارض فلحق به لوگال بندا الذى كان الاله إنليل فى معتقدات السومريين ومردوك في معتقدات البابليين ولكن الرياح الجنوبية هشمت احد اجنحته فسقطت الالواح فى البحر فاصبحت الآجال مرتبكة وامسى الموت فى الارض امراً محتوماً وبذلك صار الاله إنليل فى ديانة السومريين يتحكم بآجال الناس ومصائرهم ، وصار الاله مردوك في ديانة البابليين هو الذى بيده مصائر البشر وآجالهم . وتكتب الواح القدر هذه في رأس السنة ، في اليوم الثانى عشر من شهر نيسـان حيث تجتمع الالهـة في معبد ايزاگلا ويترأسهم الاله مردوك فيسجلون آجال الناس اى انهم يكتبون مصير كل شخص للسنة القادمة . وقد وجدنا نسخة مصرية تعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، تحتوى على رحلة « نزول » الالهة عشتار الى العالم السفلي ، وهى من وضع السومريين وقد ترجمت الى اللغة البابلية والآشورية ولـكنهـا

انتحلت في العهد الكاشي شخصية الاله نرگال بدل الالهة عشتار وعدّ الاله الذاهب الى العالم السفلي لانقاذ الاله البشرى تموز . وقد كان نرگال في الاصل اله الفلاحة والرعاة واصبح الآن اله الشر ومن جملة واجباته الطاعون والتدمير والفيضان والحرب اى جميع مسببات الفناء . وكان قد عامل رسول الهة الموتى ايرش خيگال معاملة قاسية اذ أهانه ، فرجع هذا الى سيدته غضبان . فاعلنت عليه الحرب ولكنها اندحرت امامه وخضعت له ثم تصافيا في نهاية المطاف وتحابا واصبحت ايرش خيكال زوجته واصبح المسيطر على العالم السفلي . ثم نجد في هذا الدور اسطورة إرّا التى تصور تألم البلاد تحت حكم الالهة السبعة المفزعة وهى الآلهة سبتّي التابعة للاله نركال وهم موكلّون بمعاقبة البشر وافنائهم فقد دمروا الوركاء ومدينة نيبور وبابل نفسها وحين زال غضب الاله إرّا ، عادت بابل الى سابق عزها ومجدها .

ومن جملة الاساطير الدينية التى اشتهرت فى هذا العهد ، اسطورة أدپا التى انتشرت دراستها بين الطلاب المصريين وقد عثر المنقبون على قسم من هذه الاسطورة في مكتبة الملك آشور بانيبال في نينوى اذ نجد فيها ان ادپا هو الانسان الاقدم وان الاله إيا منحه الحكمة والعلم ولكنه لا يحصل على الخلود بل يصبح كاهناً عند الاله إيا فى اريدو . ويعتقد بعض المؤرخين ان ادپا هو آدم نفسه وكان خادماً عند الاله إيا فتعلم منه الحكمة والعرفان والطبابة والرقى والتعاويذ وكان مركبا من إله وبشر ومهمته تقديم الكساء للناس وتوفير الخبز والزيت لهم وقد علم سكان بلاد وادى الرافدين القدامى النسيج . وقد حرم من الخلود بسبب اتباعه نصائح الاله إيا حين صعد الى السماء لمقابلة الاله آنو اذ رفض ماء الحياة وخبز الحياة اللذين قدمهما له آنو ، فقد اراد الاله آنو ان يمنحه الخلود ويجعله مخلداً لما اعجبه منه عقله وادبه وعلمه ولكن الاله آنو غضب حين رفض أدپا قبول الماء والخبز عملاً بنصيحة الاله إيا الذى خشي ان يصبح أدپا إلهاً وهكذا نزل الى الارض فشمله الفناء الذى هو مصير كل بشر وقد أصبح أدپا إلهاً في معتقدات الآشوريين .

وقد عمت في هذه الفترة اسطورة گلگامش ، اعظم كوميديا في تاريخ الادب العالمي ، كتبت باسلوب شعري يتوسط بين النشيد والاسطورة . كذلك نجد في هذ الدور اسطورة الالهة عشتار ورفعها الى المكانة الدينية الرفيعة التي احتلتها في معتقدات سكان بلاد وادي الرافدين الجنوبية وكيف انها ارتقت من خادمة جميلة الى ان اصبحت زوجة للاله آنو وازاحت زوجته القديمة ننن ثم جعلها إلهة وامست الالهة المحبة الى قلبه وحصلت على الرداء الالهي والحلى الثمينة ـ ولربما كانت القلادة التي عثرت عليها البعثة الالمانية في معبدها في الوركاء قبل الحرب العالمية الثانية والمعمولة من العقيق الاحمر والمعروضة في المتحف العراقي ـ هي حليتها الالهية . ثم اعطاها الصولجان والبسها التاج الالهي واهداها المعبد الذي يعرف بمعبد إي أنا .

ويمتاز هذا الدور بكثرة الآداب العامة ولاسيما بالامثلة والحكم التي وضعها الكهنة البابليون وبأدعية الندم وصلوات التوبة والتعاويذ وطرد الارواح الخبيثة . وكانت الترتيلات المقدمة للاله مردوك تحتل المكانة الاولى في الادب الديني عند البابليين في زمن الكاشيين . وكثرت في هذا الدور الموضوعات عن علم الفلك والتنجيم والكشف عن المستقبل وتفسير ظواهر الطبيعة وعلاماتها ثم طريقة الفأل بالكبد والمنظر في اناء مملوء بالزيت . وكان البابليون يحاولون ربط الحوادث الشاذة بمصير الشخص واظهار العلاقة بينهما فمن ذلك قولهم : « اذا ولدت النعجة غزالاً فان أيام الأمير تقترن بايام الآلهة أو سيكون للأمير جنود محاربون اشداء . فان ولدت النعجة وعلاً فان ابن الملك سيثور على والده ويغتصب العرش منه او ان بلاد سوبارتو (الاشوريين) سيهجمون على بلاد بابل .

مراجع البحث :

1) Cambridge Ancient History, I, II.

2) Jastrow, Religion of Babylonia and Assyria.

3) Campel Thompson, The Reports of Magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon No. 94, 6.

4) Cuneiform Texts From Babylonian Tablets in British Museum, No. B (XIV, 42, 6 ffff).

5) Ungnad, Religion der Babylonier und Assyrer, 1921, S. 27ff.

6) Iraq Government Excavation at Aqar Qûf: Iraq VII, 1946, p. 73 ff.

7) Unger, Assyrische Babylonische Kunst.

8) Scharff, Moortgat, Aegypten U. Vorderasien in Altertum.

9) Woolley, Mesopotamia and the Middle East.

المصادر العربية :

١ ــ محاضرات الدكتور محمود الامين على طلبة قسمي الآثار والتاريخ ٠

٢ ــ دلاپورت ــ بلاد وادي الرافدين ــ ترجمة محرم كمال ٠

٣ ــ زقورة بابل ــ مجلة كلية الآداب ١٩٦٠ ــ للدكتور محمود الامين ٠

٤ ــ قوانين حمورابي ــ مجلة كلية الآداب ١٩٦١ ــ للدكتور محمود الامين ٠

٥ ــ كتبوا على الطين ــ مؤسسة فرانكلين ــ تأليف ادورد كييرا وترجمة الدكتور محمود الامين ٠

٦ ــ آكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيدة البعث بعد الموت ــ مجلة كلية الآداب ١٩٦٢ ــ للدكتور محمود الامين ٠





"The significance of the principle of immediate constituents for understanding and for all levels of language use cannot be overemphasized," Professos Fries states. "Most of the failures of communication',, he adds, "seems to be tied up, in one way or another, with the problem of immediate constituents. In the matter grasping the whole arrangement of the structural patterns in each of our sentences as complete units, it is essential that we keep each layer of structure separate and that we grasp the immediate constituents of each layer."(21)

These immediate constituents, together with the other formal signals presented above, namely, word-order, stress, juncture, and intontion determine the structural meaning of an utterance. This structural meaning is of great significance in language; for without it no utterance is intelligible.



(12) Ibid., p. 261-62.

Professor Fries, before one can "arrive at the complete structural meaning of any utterance."[20]

The following sentence: ***The boss bawled out his secretary*** can be analyzed as consisting of six constituents which are tied together by, among other devices, word-order. On the first level, the constituents of the sentence taken as a whole may be grouped into two layers of construction, namely, /*The boss*/and/*bawled out his secretary*/. On the next and lower level, however, the constituents of the second layer of construction, i.e., /*bawled out his aecretary*/, may also be grouped into two immediate constituents, that is: /*bawled out*/ and /*his secretary*/. The layers of construction into which the constituents of our sentence are now grouped are therefore: /*The boss*/, /*bawled out*/, and /*his secretary*/.

In other cases, however, the grouping of constiuents into layers of constructions may be doubtful. For instance, the items of a sentence such as *They looked up the building* will, on the first level of structure, be grouped into the layers: /*They*/ and /*looked up the building*/.. On the next lower level, however, the grouping of the items of the second layer, i.e., /*looked up the building*/, is ambiguous; that is, they may be grouped into /*looked*/ and/*up the building*/, or into /*looked up*/ and /*the building*/. Whether the immediate constituents of the layer of structure under consideration are identified as the former or the latter depends on the identity of the constituent *up;* that is, if *up* is a preposition it would then constitute a prepositional phrase with the following noun, as in the first case, *up the building;* but if, on the other hand, it is an adverb it would then go with the verb that precedes, and form with it an adverbial phrase, *looked up,* as in the second case.

The approach through the identities of the items in the construction is perfectly feasible if these identities-- i.e., form-classes-- are known. Actually, it somehow begs the question, since the real problem is the discovery of the identity of the items. If we are dealing with written English as we were with the sentence: *They looked up the building,* we are forced to take Fries's method since the written sentence suppresses the phonological signals which identify such an item as *up* for us. In speech, however, the situation is quite different and there are differences in stress, possibly differences also in juncture, which distinguish the adverbial use of *up* from the prepositional use. Once the identity of *up* is thus established, the cutting of the sentence into constituents is then automatically done without further reference to probabilities of meaning.

---

(20) C.C. Fries, The Structure of English, p. 257.

successive primary stresses there is always one of the terminal junctures," and that (2) each primary stress is followed by a "terminal juncture at some point subsequent to it." If follows that "any utterance made in English ends in one of the terminal junctures. If it is a minimal complete utterance it has no terminal junctures within it." Such a minimal complete utterance "must have one or more pitch phonemes, one-- and only one-- primary stress, and may have one or more other stresses and one or more plus junctures." If plus junctures are added, then, according to Trager and Smith, "there may be as many secondary stresses as there are pluses, but not more, and there may be less." Such a minimal complete utterance is, to Trager and Smith, a "phonemic clause."

The same subject has also been summarized by Gleason who, in his chapter on English Stress and Intonation, employs basically the Trager-Smith technigue but uses his own signals and terminology. To him a "phonemic clause" is simply a *clause*,(16) and the terminal junctures are *clause terminals*.(17) Gleason's clause terminals: *fading, rising,* and *sustained* correspond to Trager and Smith's *double-cross juncture, double-bar juncture,* and *sinfal-bar juncture,* respectively. The first of these cdause terminals, that is, *fading* is characterized by "a rapid trailing away of the voice into silence. Both the pitch and volume decrease rapidly". The second clause terminal, *rising,* is characterized by "a sudden, rapid, but short rise in the pitch. The volume does not trail off so noticeably, but seems to be comparatively sharply cut off. "The last of Gleason's clause terminals, *sustained,* is characterized by" a sustention of the pitch accompanied by prolongation of the last syllable of the clause and some diminishing of volume."(18) Each of these clause terminals is, according to Gleason, "a means of ending a clause, not of separating two clauses, and for this reason one such terminal will be found at the end of the last clause in an utterance."(19)

IMMEDIATE CONSTITUENTS AND LAYERS OF CONSTRUCTION. Above are preseented some of the formal devices which may signal the structural meaning of an utterance. Now, consideration must be given to the grouping of the constituents of a sentence into layers of consruction and immediate constituents, as this may determine the structural meaning of a given utterance. This procedure is essential, according to

(16) H.A. Gleason, An Introduction to Descriptive Linguistic, New York, Henry Holt Co., 1955, p. 46.
(17) Ibid.
(18) Ibid.
(19) Ibid.

voicing. After voiceless stops it is shown by contrasts in the degree or aspiration. / + / also has certain noticeable effects on the following vowel or consonant.[10]

The other three junctures, those called terminal junctures, are *the single-bar juncture, the double-bar juncture,* and *the double-cross juncture.*

Before giving the general characteristics of these terminal junctures, it should be pointed out that in English there is a close relationship between terminal junctures as such and intonation. Because of this relationship, and because of the possible use of intonation as a structural signal, it is mecessary at this point that a statement about the pitch-levels of intonation in English be given.

INTONATION. To begin with, it is important to note that "the pitches of intonation are relative. The absolute pitch of a syllable-- the number of vibrations per second-- has no significance as such. The significance of pitches is determined by their height relative to one another."[11] In the conclusions arrived at independently by Kenneth L. Pike in *The Intonation of American English,* and George L. Trager and Henry L. Smith in *An Outline of English Structure* there are four relative pitch-levels in English. Using the system of Trager and Smith, these four pitch-levels may be indicated by : /1/, /2/, /3/, and /4/, for *low, mid, high,* and *extra-high,* respectively. Each of these pitch phonemes has, according to Trager and Smith four allophones. It should be indicated here that "pitch as used in language is heard around a limited number of points rather than as a continuum."[12]

We can now go back to the terminal junctures, which may be considered as being "three different manners of transition from the preceding part of the utterance to anything that may follow..."[13] The characteristics of these terminal junctures are as follows:[14] the single-bar juncture indicates "terminsl sustention at the (pitch) level from the previously marked (pitch) level"; and the double-cross juncture previously marked"; the double-bar juncture indicates "tcrminal rise indicates "terminal fall from the previously marked (pitch) level."

Trager and Smith state[15] that (1) "between any any two

(10) H.A. Gleason, An Introduction to Descriptive Linguistics, (New York. Henry Holt & Co., 1955), p. 43.

(11) Kenneth L. Pike, The Intonation of American English (Ann Arbor, University of Michigan Press, 1945), p. 25.

(12) Trager and Smith, An Outline of English Structure, p. 41.

(13) Ibid., p. 46.

(14) Ibid., p. 42.

(15) Ibid.. pp. 49-50.

néw in contrast to *old* or *used,* thus: *Shè bôught a néw câr.*

The word-stress of isolated words which consist of more than one syllable, such as Chìnése, may change its position when the word appears in an utterance. Thus: *Hè wênt to a Chínèse rêstaurant,* in contrast to an *Italian* or a *Mexican* restaurant. In a normal non-contrastive situation, the stress-pattern would be as follows: *Hè wênt to a Chînèse réstaurant.* Whether the stress-pattern of such a word as *Chinese* would be / `´ / or / ´` / or / ˆ` / depends on whether it appears in isolation, in which carse it would be / `´ /, or within an utterance, in which case it would be / ´` / in a contrastive situation, or / ˆ´ / in a normal non-contrastive situation.

JUNCTURE. Another formal device of significance for defining structure in English is the phenomenon of juncture. Trager and Smith recognize four different phonemes of juncture: *plus, single-bar, double-bar,* and *double-cross,*(7) so called from the conventional keys on the standard typewriter which can be coveniently utilized to represent them. The first, plus juncture, is concerned with the manner or transition between linguistic forms: that is, whether such a transition is uninterrupted or interrupted, as, to borrow an example from Trager and Smith, may be seen in the difference between *nitrate* and *night-rate.*(8) Both have the same segmental phonemes, and the same stresses, but show a difference in the transition from /t/to/r/. *Nitrate* shows uninterrupted transition, but *night-rate* shows a discontinuity between /t/ and /r/. Since *night-rate* stands in contrast with *nitrate,* there must be a phonemic difference. This difference is defined as the phoneme of juncture, in the presence, that is, in *night-rate* of the phoneme of juncture which is absent in *nitrate,* here, to be specific, of the plus juncture: /náyt+rèyt/vs. /náytrèyt/. It should be added here that "the occurrence of plus juncture varies as do the occurrences of other phonemes, regionally and individually."(9)

The nature of plus juncture /+/ is summarized by H. A. Gleason briefly as follows:

> When /+/ follows immediately after a syllable nucleus, as in *slyness,* it is expressed, in part, by a prolongation of the syllable nucleus. This is certainly the most noticeable difference in such a pair as *minus*: *slyness.* After certain consonants, notably/m n g/, it is also expressed by prolongation of the preceding consonant. After some other consonants it takes the from of a weakening of the

(7) Ibid.
(8) Ibid., p. 38.
(9) Ibid.,

without both lexical meanings and structural meanings."(3)

In addition to these formal signals, the structural meaning of an utterance may also be indicated by a number of other devices such as stress, juncture, intonation, as well as by the arrangement of the constituents of that utterance into layers of construction and immediate constituents.

At this point, a brief statement will be given about each af these structural linguistic features.

STRESS. Daniel Jones defines stress as "the degree of force with which a sound or syllable is uttered,"(4) and Bloomfield, with greater detail, as "intensity or loudness (which) consists in greater amplitude of sound-waves, and is produced by means of more energetic movements, such as pumping more breath, bringing the vocal cords together for voicing, and using the muscles more vigorously for oral articulation."(5)

In this paper we assume that in English, stress is phonemic, and that there are four different phonemic levels of stress in English, in descending order: primary / ˊ /, secondary / ˆ /, rertiary / ˋ /, and week /ᵕ/.(6)

We also assume that in English each word pronounced in isolation has only one primary stress. A word consisting of more than one "syllable" has, in addition to the primary stress, varying degrees of lesser stress on the remaining "syllables" in that word. The stress of words uttered in isolation may be called *word-stress*: shé, néw, mán, cár, bóught, póstmàn, proféssor, Chìnése.

Within an utterance, however, such word-stress may be reduced, or may shift its position, if the word in question consists of more than one syllable. Thus the primary stress of the words *shé, bóught, néw* and *cár* given in isolation above would be reduced as in the following non-contrastive and normally pronounced utterance: *Shè bôught a nêw cár.* Here the word *cár,* by virtue of its utterance-final position, retains its primary stress. But if contrast is involved, the primary stress may shift to any other word in the utterance. It may, for instance, fall on *shé,* in contrast to someone else, thus: *Shé bôught a nêw câr;* or it may fall on *bóught,* in contrast to *sold,* thus: *Shè bóught a nêw cár;* or on

(3) Ibid., 56.
(4) Daniel Jones, An Oultine of English Phonetics, (New York, Dutton & Co. 1940), p. 227.
(5) Leonard Bloomfield, Language, (New York. Henry Holt & Co., 1933), pp. 110-111.
(6) See: Trager and Smith. An Outline of English Structure, (Norman. Oklahoma. Battenburg Press. 1951).

FORMAL SIGNALS AND STRUCTURAL MEANING IN ENGLISH

Abdul Karim Taha

University of Baghdad

Is is assumed in this paper that the structural signals in English are matters of form which can be defined in physical terms, i.e., by describing these forms, stating their correlation, and order of arrangement. It is also assumed that such formal signals as convey structural meanings themselves operate in a system, so that these elements of form and arrangement possess signalling significance only as they are patterns in a structural whole.(1) To a native speaker of English, in a commonplace English utterance such as *The students asked the professor,* the presence of the final –*s* in a word following *the,* here *students,* indicates that more than one such entity is designated, whereas the absence of such final –s in professor, here likewise following *the,* indicates, on the contrary, that but one such entity is involved. The –*ed* in *asked* signifies that the action indicated by the verb *ask* was done in the past. Again, the word-order of the same utterance signals that the performer of the action is *the students,* and the one affected is *the professor.* The same word-order ordinarily makes clear also that the utterance is not a question, or a request, but a statement. If any change takes place in its present word-order, this utterance will express quite a different meaning. Signalling devices such as these constitute the structural meaning of the utterance.

Besides this structural meaning, the utterance cited above conveys another type of meaning, a meaning which people speaking the same dialect refer to by the words *student, ask,* and *professor.* Such meaning constitues what is called lexical meaning. Taken together, these two meanings, the structural and the lexical, constitute what Professor C. C. Fries calls "The total linguistic meaning"(2) "No utterance is intelligible

(1) C.C. Fries, The Structure of English. (New York, Harcourt. Brace & Co., 1952), 58-60.

(*) For conveitnce, the signals are here discussed in terms of spelling, not phonemes.

(2) Fries, The Structure of English, p. 56.



The 'Laboratory' In Action.

dings or for the simultaneous production of up to sixteen copies of pre-recorded tapes which can be played either through an amplifier or over the student's headphones. The individual student booths are each equipped with a double track tape recorder and a two way hand set and an intercom speaker receiver. From the upper or master track, the student will hear pre-recorded questions, parts of a lesson, or a passage, and on the lower or student track he can record answers to questions or repeat matter recorded on the master track. The method is intensive, and the burden of learning is on the student. It has the advantage of privacy, freedom from embarrassment, and relieves the teacher from disciplinary problems. Concentration and an unselfconscious attitude to speaking the foreign language build up self-confidence and this in turn encourages the student's will to learn and makes the assimilation of necessary grammar much easier.

During the individual work stage, the teacher is concerned largely with giving help where it is most needed. This individual work ensures that the maximum use is made of the available time as every student is working and speaking throughout the language laboratory period. The teacher can give the maximum amount of individual tuition to a group of students every student is able to proceed at his own speed, and while he is helping one member of the class, the remainder are not disturbed or held up.

All the operations of the control panel have been designed to give a maximum of function with a minimum of technical complications. All the operations can be easily mastered by a person with little technical ability, and there should be no problems on these grounds.

But the language laboratory can not replace the teacher. In fact it will make even greater demands on his sympathetic approach and skilful preparation of subject material directed to the specific needs and problems of each group of students. It does not offer a packaged, 'do it yourself' approach to the problems of learning a language. It is an aid. Without conventional classes in grammar and the structure of the language the student would make less progress. The value of the language laboratory lies in the 'spoken language' atmosphere which can not be provided easily in the ordinary classroom, and in its ability to rouse the student's enthusiasm and desire to learn which are essential of he is to make the 'leap forward' both he and his teacher are hoping for.

The language laboratory, which costs about I.D. 3000, is among the most expensive units of equipment yet devised for the teaching of a non-scientific subject. But greater speed, greater efficiency in learning, and constant use both in teaching a foreign language to Iraqi students and teaching Arabic to foreigners can be set against the cost whether the aim of language teaching is cultural or utilitarian.

Recent developments have pointed the way to an entirely new approach to language teaching. These developments make use of language laboratory techniques, and experience so far suggests that it is likely to become as indispensable to the teaching of languages as the science laboratory is to the teaching of science and technology.

In other countries there have been some quite dramatic achievements where this approach has been used. The pioneer work was carried out in America, France, Russia, Sweden and Yugoslavia, all of which countries have been using language laboratories with increasing success for several years. After the war, the French set up a language teaching research centre at St. Cloud, near Paris, designed mainly to help the teaching of French to foreigners. A method was worked out of learning a language by a brief, carefully selected vocabulary, no complicated grammar rules, visual aids such as film strips, illustrated text-books; and relation of the language all the time to everyday experience. This philosophy is behind most of the new methods mow being tried in Britain.

In May, 1960, the Training Centre of Shell International in London was suddenly confronted with the need to teach Indonesian to a number of Shell executives in a very short period of time. The members of the course were to go to Indonesia at short notice to replace Dutch personnel, and included engineers, teachers and doctors, together with their wives. Many of them would be sent to remote parts of the country and would need to have an elementary command of Indonesian in order to meet the basic requirements of daily living. An intensive residential course was developed lasting for four weeks and relying heavily on language laboratory techniques supplemented by background lectures on such subjects as the history, political development, religion, social background and general information on Indonesia. All the course members were complete beginners; by the end of the course they had all learned enough to make a speech in Indonesian. After hearing a recorded version of these speeches, one begins to press to find out some of the technicalities of the revolutionary 'language laboratory'.

A language laboratory consists of a number of individual booths lined with sound proof material and with a glass or Perspex front so that the student is in clear view of the teacher and vice versa. Using his control console or control panel, the teacher can speak to the whole group for general instructions or can talk to any student individually without disturbing the work of the others. He can listen to an individual student as he uses the dictating machine installed in each booth, interrupting where necessary. The student can attract the teacher's attention by pressing a button connected to a red light under the appropriate switch on the console. This console can also be used for making recor-

THE LANGUAGE LABORATORY.

M. Makiya.

After many years of trying to teach English to students of the College of Arts outside the English department, it seems time to pause and ask ourselves what we are attempting to do, and what practical benefits the students gain from their weekly three periods of English in the first two years of their college life. Professors who are training their students in the fields of European History, Archaeology, Political Philosophy and Sociology are naturally anxious that their students should be able to attempt some reading of sources in a foreign language, and for practical purposes this foreign language tends to be mainly confined to English. Valuable texts are ofhen suggested to the teacher, ranging from Eileen Power's 'Medieval People,' through 'Digging up the Past' to Mac Ivers 'Community'.

In practice such texts though not intfinsically difficult are well beyond the ability of most students. Classes in the non-English departments contain a wide range of language ability, including students who can not answer a simple question as well as those whose linguistic facility is perhaps higher than their opposite numbers in the English department itself. Classes are not small, and with the increasing thirst for university education they are not likely to grow smaller in the near future.

Students approach their first English lessons in college with a natural and healthy curiosity, in many cases with a lively determination to make a fresh attempt to 'master' the English language. One of the most discouraging aspects of the problem is to watch this 'eager beaver' attitude change into apathy as the teacher continues his uphill struggle to give some basic training in grammar to those whose foundations are shaky, to develop reading comrehension and to encourage oral and written self-expression in the chosen foreign language.

Before we decide that the problem is insoluble, we ought, perhaps, to ask ourselves if we have explored all possibilities in our approach to language teaching. During the past years, colleges and schools have considerably improved their modern language teaching by the use of tape recorders, cinefilms, film strips, radio and television. But even the tape recorder has not solved the problem of how to give plentiful oral practice without the inevitable periods of time-wasting inactivity which lead to boredom.

While there is something more than promise in the youth who could capture the sense of twilight and evening star so completely as Blake did in the lines, from to "The Evening Star."

Let thy west wind sleep on
The lake! speak silence with the glimmering eye
And wash the dusk with silver.

Furthermore, the later Blake appears here often enough to us who know him. "Golden" is already [as in "How sweet I roam'd", for instance] a favourite word with him. "Albion" in the "Prologue to King John" is at present only England' and "The fiend in a cloud" of the "Mad Song" becomes "a fiend hid in a cloud" of the "Songs of Experience". Besides, in "To the Evening Star" Blake's most characteristic images make their first appearance e.g. "bright touch of love", "wolf" and "lion".

More important still, is Blake's deceptive simplicity which is already present in this early volume. We are baffled, for example, by "sunny beans", "silken net", and "golden cage" of the song "How sweet I roamed". Again the immagery in "To Winter" is not easy to comprehend, and as H. M. Margoliouth has justly pointed out, "In love and Harmony Combine" and "Mad Song" there is no real difficulty but there is need for the most wide-awake attention."(1)

The final and lasting impression we are left with, after reading these early poems, is that Blake cared only for impulse, spontaneity and primal energy, which marked all the difference there is bet-ween his poetry and that of the eighteenth century.

(1) "William Blake" ch. III P. 50 Home University Library Edition.

My lord was like a star in Highest heav'n
Drawn down to earth by spells and wickedness;
My lord was like the opening eyes of day
When western winds creep softly o'er the flowers,......

or as in the opening stanza of the same poem.

"Samson", with its irregularly rhythmed prose is after Macpherson's Ossian, and his "War song to English men" is reminiscent of Thomson's "Rule Britania" with yet a greater force and vitality.

In his well-known work, "Manual of English Prosody", Saintsbury points us to how Chatterton's adaptation of the ballad metre and the equivalanced octosyllabic and trisyllabic which had been revived by Percy, were practised too by Blake,[1] whose "Mad Song" giving astonishing result, especially in its first stanza:

The wild winds weep
And the night is a cold
Come hither sleep
And my griefs unfold.

There are, finally, some of the classical diction of the eighteenth century together with the use of balance, here and there, particularly in "To the Muse" and "How Sweet I roam'd", e.g. "Languid" and "Green corners of the earth" and the balance in the last line of the former poem:

"The sound is forc'd, the notes are few!"

In the same poem Blake, while expessing his discontent with the artificial measures and feeble and meagre achievements of his time, is using, unconciously, similar techniques as those he is attacking. There is a sort of conscious neatness about this poem.

But this is not all. For, most of Blake's imitation is, deliberately, at a distance. We have already seen how little his "An Imitation of Spenser," is Spenserian, and how different his season poems are from their models by Thomson. On the whole, Blake's notes are neither languid nor forced. It is true that much of it is more directly imitative than his later work. Yet, this is due, as far as I can see, more to an unconcious recognition of the common unity between his own romantic spirit and that of the older poetry than anything else. Different measures are tried and different results are reaped, and, in all, even in his less successful ones, there is not any abatement of fresh enthusiasm. Rather, there is an over-tasking of power not yet fully grown. "Fair Elenor", the tale of terror and wonder, contains such passages as the one beginning:

My lord was like a flower upon the brows
Of lusty May! Ah, life as frail as flower!

(1) Saintsbury: Manual of English Prosody. Book I Ch. VI pp. 92-94.

the time, and the experimental science of Newton and Bacon. For, we begin, in the latter half of the eighteenth century, to have scientific and poetic interests blended together in a somewhat complex way. The subject of Nature in poetry was by no means new. But the new thing about this period's Nature-poetry, was due not only to the existence of a fresh accuracy of description of the details of a scene partly scientific in origin, but also to the growing recognition of the imaginative appeal of a vivid and objective description. The poet in whose poetry the new objective was made the main theme, was James Thomson (1700-1748). Although it is after his "Seasons" that Blake is believed to have modelled his poems to the seasons, yet how different their poems are. In his "Approach of Winter", Thomson, the close and accurate observer says:

See, winter comes, to rule the vary'd Year,
Sullen, and Sad, with all his resting train
Vapours, and Cloud and Storm.........

Thomson's figure of winter appears a weakling if compared with Blake's terrible giant of a winter, which is but imaginatively conceived:

" O winter! bar thine adamantine doors,
The North is thine; There hast thou built thy dark
Deep-founded habitation. Shake not thy roof,
Nor bend thy pillars with thine iron car."

The technique adopted in these poems is basically the same as that which Thomson had revived from Milton, that is Blank Verse. But Thomson's influence does not appear in all the season poems. In "To Spring" and "To Autumn" it is Spenser's that is more evident, as in:

O thou with dewy locks, who lookest down
Thro' the clear windows of the morning, turn
Thine angel eyes upon our western isle,
Which in full choir hails thy approach, O Spring!

Despite a slight conventionality in expression, there is, here, a sincere delight in nature; this is also a personal development from the language of the psalms.

The hills tell each other, and the list'ning
Valleys hear; all our longing eyes are turned
Up to thy bright pavilions: issue forth,
And let thy holy feet visit our clime.

The Ballad-form which the publication of Percy's "Reliques" had revived, was resorted to by Blake in "Gwin, King of Norway" and "Fair Elenor". Blake, too, took the same interest in the Gothic and Mediaeval setting and theme, but with that added sense of dream and magic which was the secret of the later poets of romance, as exemplified in the following from "Fair Elenor"!

to subject-matter; it also included the literary forms and techniques. Besides the works of English writers, such as Spenser, Shakespeare and Milton, it was extended to cover Norse and Welsh as well as psuedo Gothic subjects. In Blake, we have already noticed an attempt at the Spenserian stanza. Spenserian diction is not lacking; In "To the Muse", for instance, phrases like "The chambers of the East", and "The chambers of the Sun" are worth noticing (of course, they could have been drawn from "the chambers of the south" of the Book of Job (ix. 9). But even then they do not fail "to date" Blake). The songs, "My silks and Fine Array", "Love and Harmony Combine" and "I love the jocund Dance" reacall early Shakespearian and Elizabethan lyrics especially the first, where the Elizabethan freshness is wonderfully re-embodied. Indeed, in all the songs and particularly in "How sweet I roamed", "Love and Harmony Combine" and the "Mad Song", a further characteristic of the age is revealed, namely, the deepening of the personal tone. The Elizabethan lyric vein appears, once more, in the "Blind Man's Buff", and "A Song by an Old Shepherd". The latter, espceially its opening, recails "Love's Labour's Lost" and "As You Like It":

When silver snow decks Sylvia's clothes,
And jewel hangs at Shepherd's nose, ...

Notice its almost direct imitation of this song of "Love's Labour's Lost":

When icicles hang by the wall,
And Dick the shepherd blows his nail,
And Tom bears logs into the hall,
And milk comes frozen home in pail......

Although the tendency of reviving the older techniques was general, yet the light-winged music of Blake's Songs, and especially that of the "Mad Song", cannot be captured in the works of any other poet of the age. Into the songs there is poured a passionate imaginative quality which is wholly Blake's. Yet the passionate quality was not completely lacking at the time, and, in effect, Blake is believed to be influenced, in this respect, by the Wesleyan Hymns.(1)

A further characteristic of the eighteenth century appears in the poems to the Seasons. In the first place, they show the age's growing tendency and interest in external nature, the world of the earth and sea and sky. It started, I believe, as a result of the scientific spirit of

(1) In his famous book on Blake. J. Bronowski illustrates how this influence of John Wesley is manifest, not only in Blake's idea, choice of words and imagery but also feeling and sentiment. See chapter on "Innocence V. Expetience" pp. 161-182.

of the style of the poet in which he recorded his contempt for the artificiality of the verse of that age:-

Wondrous the Gods, more wondrous are the Men,
More wondrous, wondrous still, the Cock and Hen,
More wondrous still the Table, stoole and Chair,
But oh! more wondrous still the Charming Fair.

Nevertheless, the didactic vein of the early eighteenth century is not lacking in the "Poetical Sketches". It is to be found in his incomplete chronicle-play, "King Edward the Third" where Blake is chiefly occupied, not with any development of plot, but with the consideration of abstract moral questions. Consider these lines uttered by Chandos, for instance:

Courage, my Lord, proceeds from self-dependence.
Teach man to think he's free agent,
Give but a slave his liberty, he'll shake
Off sloth, and build himself a hut, and hedge
A spot of ground; This he'll defend; Tis his
By right of Nature......

OR again,

Considerate age, my Lord, views motives,
And not acts; when neither warblig voice
Nor trilling pipe is heard, nor pleasure sits
With trembling age, the voice of Conscience then,
Sweeter than music in a summer's eve,
Shall warble round the snowy head, and keep
Sweet symphony to feathered angels, sitting
As guardians round your chair; then shall the pulse
Beat slow, and taste and touch and sight and sound and smell,
That sing and dance round Reason's fine wrought throne,
Shall flee away, and leave him all forlorn;
Yet not forlorn if Conscience is his friend.

A similar tendency is evident in the Prologue to "King John" too, wherein a Johnsonian note is struck:

Beware, O proud! thou shalt be humbled:
Thy cruel brow, thine iron heart is smitten,
Though lingering fate is slow. ......

But the medium, unlike that of Johnson's, is not the couplet. It is, rather, Blank Verse of an irregular kind which was in use in the second half of the eighteenth century.

The shift in the latter half of the century from the neo-classicism which prevailed from the days of Pope to those of Johnson, resulted in among other things, a revival of interest in old literatures and legends other than those of Greece and Rome. The revival was not confined

Blake's "Poetical Shetches"

and the Poetry of the 18-th Century

By W. Al-Wakil

William Blake is, perhaps, the most individualist of all English poets, not only because he learnt little from his predecessors, but also because he taught even less to his successors. For, while some of the formers' influence is traceable here and there in the "Poetical Sketches," none of his could have affected the latters. His poems, jotted down in his own notebook, or printed by his own processes in issues that were hardly more accessible than the original manuscript, remained unknown till many years after his death.

On the whole, it is safe to say that the "Poetical Sketches", published in 1783, contains some memories and echoes of older poets. For, the "Poetical Sketches" consist mainly of quite early experiments after various models, but not without the fully recognisable Blakian stamp. It is, perhaps, worth noticing that even in his most deliberate attempt at modelling his verse on another poet's, Blake could not help varying, even transforming the old into something very different. In "An Imitation of Spenser", for instance, he makes six successive attempts at the Spenserian stanza "all different and all wrong",(1) as an editor described them once. For, only three of them have nine lines. and the other three contain eight or ten lines. Moreover, even the nine line stanzas do not wholly conform, in their rhyming scheme, with the original Spenserian stanza.

It is noteworthy, too, that it is the literary influence of the second half of the eighteenth century, rather than that of the first, that we can trace in the "Poetical Sketches". Indeed, he shared his successors' and some of his contemporaries' indignation against the Augustan school giving pithy utterance, in one of his proverbs to the formers indictment against the verse of the eighteenth century: Bring out numbedr, weight and measure in a year of dearth," He shows no acquaintance with their works, and might almost be supposed never to have heard the name of Pope, were it not for his whimsical parody

(1) See William Blake by H.M. Margoliouth Ch. 3. P. 49 Home University Library Edition.





Figure 2. Seated Statue Lady Sennuwy





Figure 1. Seated Statue of Mycerinus



Sources

1. Aldred, C. The Development of Ancient Egyptian Art, 1952.

2. Boston Museum of Fine Arts: Alabaster Statue of Mycerinus, No. 09.204.

3. Boston Museum of Fine Arts: Granite Statue of Lady Sennuwy, No. 14.720.

4. Hall, H. The Ancient History of the Near East, 1952.

5. Lloyd, S. The Art of the Ancient Near East, 1961.

6. Reisner, G. Mycerinus, 1931.

7. Smith, W. A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom, 1949.

8. Smith, W. Ancient Egypt, 1952.

the female figure represents royalty, the male figure represents royalty and religious siginficance. Thus the king adds a divine character because he was thought to be the son of Ra, the sun god. The two works are made of hard stone, but the male statue is made of translucent alabaster, while the female statue is made of black granite. Both of them show traces of polishing with rubbing stone, and drilling with a copper drill. The female staue is well proportioned but the male statue lacks balance because of the small head over the gigantic body. The female statue bears the inscription of Sesostris I, but no trace of any inscription could be observed on the male statue. The male statue is oversize but the female statue is lifesize.

The revived Oid Kingdom style seems to lack vitality in the Middle Kingdom. The statues that the Middle Kingdom followed along the old lines lost something of the strength and vigour which made the royal sculpture of the Oid Kingdom so impressive. In the Oid Kingdom the sculptors worked in the idealistic funerary tradition, while those of the Middle Kingdom followed a more rtalistic official style. It is true that the private figures of the reign of Sesostris I leave impression of over-smoothing and conventionality, but they lack the invention and the freshness of the Old Kingdom style, and they loose some of the sureness of balance which give a pleasing appearance to average statues of the Old Kingdom.

forehead is flat. The eyebrows are rendered by protrusions which get thinner as they grow towards the temples. The nose is round, and the nostrils are circular carved cuts. A short vertical depression reaches between the nose and the mouth which gives the impression of smiling and expression of happiness. Slight depressions are cut between the nose and the cheeks giving prominent appearance to their fieshy formation. Traces of drilling suggest the use of a metal drill, probably of copper. Stone was used for polishing.

The entire figure shows no evidence of the barborous local art style. It gives expression of happiness, youth and royal position of the princes.

During the reign of Sesostris I, Prince Hapzefa was established as governor of Kerma. He brought with him from his native Assiut his entire household which includes artists and craftsmen of every sort. The arrival of these newcomers must have acted as a considerable stimulus to the lacal art. The result was the growth of a school of art having its own particular style which continued to make itself felt although gradually submerged by the native influence.

The new style tended to fashion the statues after a more realistic intension. The brutal strain of realism which runs through most of the protrait figures in hard stone of Dynasy XII culminated in the statue of Lady Sennuwy which strikes a peculiarly civilized note in the midst of that barbaric burial. The beautiful proportioned figure of a woman, as well as the delicate beauty of the face and the smooth finish given to the black granite make it one of the marvellous masterpiece of the period.

III

The two statues represent two different periods. Mycerinus statue represents the Old Kingdom and that of Lady Sennuwy represents the Middle Kingdom. They present certain similarities as well as certain differences. They share a common action in their seated postures facing the on-looker. Both of them have the arms bent at the elbows with the left hand on the left thigh and the right hand on the right thigh, but His Majesty has his right thumb up and holds a handkerchief, while Her Highness has the thumb closed and holds a flower. The male statue gives a majestic expression and the femals statue gives a reflection of the same meaning. Emphatic parts in both cases are the facial features but while the male figure refiects strngth and vigour, the female statue reflects tenderness and happiness. Both of them are official images:

even more. Thus between 200 and 400 statues and statuettes, mostly of alabaster and diorite, were carved probably by a single generation of sculptors. Chephren seated figures present strong similarities to our figure. Furthermore the same modeling may be observed in the Louver head of Radedef. The facial resemblance may be noticed on Ankh-haf head, Shepseskaf head, and the slate pair, though the face of the king in the latter is of severe type. This stresses the idea that the sculptors of Dynasty IV practiced a general tradition, but each followed his own technical style.

II

The second statue is that of Lady Sennuwy (Figure 2), wife of Hapzefa, the Egyptian governor of Kerma in Sudan during the reign of Sesostris I of Dynasty XII (1991-1786 B. C.), who ruled 43 years (1971-1928 B. C.) in which art and culture reached an apogee.

The statue was excavated at Kerma, 1913-1916, and was found in her husband's burial mound in an Egyptian outpost in Sudan. Now it is in the Boston Musuem of Fine Arts, No. 14.720.

The statue is life-size and is made of black granite. It represents a reflection of royal image, but it does not seem to have any funerary significance. Sennuwy is seated on a seat, bearing the inscription of Sesostris I on either side of the block and on the base in front of her feet. She wears a long garment ending above the feet. She holds a flower in her right hand. The hair is carefully made. It is combed and descends on either side of the face down to the breasts from a parting forming a beautiful frame to the face. The mathematical proportion is well arranged. The relation of the major parts combines a restrained sense of form with excellent workmanship and a high finish. The axis goes down the center of the figure and the space does not enter into the composition. The treatment of the surface is plastic, this may be observed on the breasts projecting forward in beautiful roundness with prominent appearance caused by a slight depression in between. Turning to the back, we see vertical depression in the middle defining the muscle formation of the back. The roundness of the shoulders and the frail muscles of the feminine arm, the roundness of the rear and the hips are excellently cut. The bony structure of the knees and the shins is treated in a realistic fashion. The feet are delicately made and carefully cut showing the arch and the roundness of the heels and the beauty of the toes and the nails. The neck is straight, slightly convexed on the frontal side and pouched below the chin. The face is round and the facial features are the most emphatic part of the figure. The

below the breasts and by the narrowness of the waist. A well-shaped vertical depression is seen in the middle of the back between the shoulders. Although the legs are rendered in profile they seem rough. The feet are crude and lack the curvature of the palm of the foot. The toes even those of the right foot which are preserved in alabaster are also roughly cut and badly shaped. The neck is straight. The modeling of the cheeks, the mounth, the nose and the chin is remarkable, Slight carved depressions between the nostrils and the corners of the mouth and between the lower lip and the chin give a prominent appearance to them and to the face in general. The round nose is chipped off, especially at the right end. The nostrils are rendered by holes. The mouth is represented by a horizontal carved cut, with a full drooping lower lip. The eyes are almond-shaped and bulging. They are encircled by carved lines in black paint representing the eyelids. The eyebrows are rendered in protrusions of an archaic form. The conventional beard is rendered by an oblong projection descending down the chin. It consitsts of fifteen short carved horizontal lines. The molding of the ears and their interior depressions and porjections is remarkable as far as carving is concerned.

The surface was shaped by abrasion with a stone implement, while rubbing stone served for polishing. The nostrils show traces of metal tool use, probably the common bow-drill with a wooden top and copper point, but more probably the hand-drill.

The entire figure is drawn from environment giving a majestic expression of a mighty king. The emphatic parts are the facial features.

Most of Mycerinus statues are seated. There are twenty one seated figures of the king, all have their arms bent at the elbows, the left hand flat with palm resting on the left thigh, and the right hand with the thumb up resting on the right thigh. The right hand on the front of the body is characteristic of Cheops statues, but the left hand on the front of the body is characteristic of the archaic period.

The seated attitude is usual in the stone statues of Dynasty IV. These statues were probably made by individuals or groups who followed the same traditions but differed in sculpturing the details. The sculptor or the group of the sculptors who worked for Chephren and then for Mycerinus created a form more acceptable to the Egyphian court of that day for conveying the correct impression of royolty. Chephren, for whom the first work was executed by this new school, had 22 life-size statues in his Valley Temple alone, and probably as many more in his Pyramid Temple, while many fragments of smaller statues indicate a total of between 100 and 200. Mycerinus had perhaps

residence for the soul of the dead man and to substitute in case the body itself shold be destroyed. The kings, being as representations of Horus, and from the time of Chephren as the sons of Ra, the sun god, were believed to take their place among the gods after death. In addition to that they were thought to be the chiefs of the gods because they were considered to be one with the sun god. In order to assist the king to achieve this end the priests composed a long series of magical texts and spells which were inscribed upon the walls of the burial chambers in their pyramids.

The king is sitting on a throne made of heavy oblong block of alabaster facing the on-looker. The arms are bent at the elbows, the left hand flat with the palm resting on the left thigh, and the right fist closed with a rising thumb up resting on the right thigh. The legs descend down attached to the throne behind, with the resting feet on the base.

The royal head-dress is peculiar. Its folds above the head and below the neck on either side suggest a textile material which is adorned with a pig-tail descending on the back, while the frontal side has linear decoration of carved horizontal lines with protrusions on either side of the neck above the shoulders. Slightly above the forehead the head-dress is decorated with what seems to be feather-like attire with a small rectangle in the center consisting of several short horizontal carvings. The head-dress is fastened to the head by a string represented by a carved line going round the face at the edges of the cheeks and the chin where the beard covers its lower part.

Around the waist there is a belt rendered by a stripe which is about ten centimeters wide. It marks the upper end of the loin-cloth, which is well defined between the thighs by linear representation, being horizontal carved lines below, vertical carved lines above to the right, and semi-vertical carved lines above to the left. The variation of the direction of the lines is caused by the foldings of the dress. The same representation of the dress in vertical form is observed on the hips down to the middle part of the thighs.

The axis goes right down the figure. The volume is heavy and covers all details. The proportion and the relation of the major forms are unbalanced due to the small size of the head over the gigantic shoulders. The surface treatment of all individual forms is plastic. The arms are bent at the elbows carefully showing the roundness of the muscles, the bone-structure of the elbows and fingers. The roundness of the shoulders is well defined. The chest is wide, fleshy and projected in an impressive appearance by the slight depressions between and

Two Egyptian Statues:

Alabaster Statue of Mycerinus and Granite Statue of Lady Sennuwy

by

T. Dabbagh

I

The first statue is the statue of the king Mycerinus (Menkaura) son of the king Chephren (Khafra), Figure 1, He was one of the famous kings of the Old Kingdom (2680-2258 B. C.), Dynasty IV (2680-2565 B. C.). He ruled twenty five wears (2595-2570 B. C.).

The historical events of the Old Kingdom indicate that he did not succeed his father immediately, for the descendents of Radedef, a son of the lesser wife of Cheops (Khufu) made several attempts to seize the throne. According to the reconstruction of the Turin Papyrus, one of them, Bekheris (Bakara) might heve been able to rule for one year at the close of the reign of Chephren, before his son Mycerinus had succeeded in establishing himself in control of the country.

The great statue of Mycerinus was found fragmented at his Pyramid Temple at Giza. The head was found outside the northern wall opposite room 20, the left shoulder was found with the head, a fragment of the body was found near the drain, three fragments of the body together with the other shoulder were found burried in sand in the inner end of the drain hole in room 20, and the large frament of the knees and part of the base were found in room 15. The statue being put together is now exhibited in Boston Museum of Fine Arts (No. 09.204). It is the best preserved colossal statue of the Old Kingdom.

The size is over life. The material is clear translucent alabaster restored in plaster. The plaster is well observed on the lower parts of the legs, the feet except the toes of the right foot, the arms except the wrists and the hands, the upper part of the chest, the shoulders, and the middle part of the body including the lower part of the back, the rear. the upper parts of the rumps, and the lower part of the belly.

The function shows a king image drawn from the religious beliefs concerning a life after death. Representation in sculpture was employed as a magical means by which life could be re-created for the dead man. Statues were made and placed in the tomb in order to provide permanent

U. S. Congress - House: Committee on Foreign Affaire: *The Jewish National Home in Palestine* (78th Congress - 2nd session), Washington, Gov't Printing Office, 1944

U. S. Congress - Senate: Committee on Foreign Relations: *U. S. Foreign Policy in the Middle East*, No. 13, Washington, Gov't Printing Office, 1960

U. S. Congress - House: Committee on Foreign Affairs: *Hearings* (81st Congress - 2nd session), Washington, Gov't Printing Office, February 16 and 17, 1950

U. S *Congressional Record* (September 22, 1949)

U. S. *Congressional Record* (May 7, 1956)

U. S. *Congressional Record* (May 23, 1956)

U. S. *Congressional Record* (March 22, 1956)

U. S. *Congressional Record* (March 12, 1962)

U. S. *Congressional Record* (March 20, 1962)

Pamphlets and Periodicals

Badeau, J. "Advice to a Traveller", *Issues* (summer, 1960)

Chofshi, N. "The Bitter Truth About The Arab Refugees", Jewish Newsletter (Feb. 9, 1959)

Humphrey, H. "The Senate in Foreign Policy", *Foreign Affairs* (July, 1959)

Jones, S. *"America's Role in the Middle East"*, Foreign Relations Series, Laidlaw Brothers, River Forest, Ill., 1961

Peretz, D. *"Israel and Palestinian Arabs"*, Middle East Inst., 1958

Roosevelt, K. "The Partition of Palestione", *Middle East Journal* (January, 1948)

Time Mag. (August 26, 1957)

Toynbee, A. "Pioneer Destiny of Judaism", *Issues* (Summer, 1960)

Weizman, Ch. "Palestine Role in the Solution of the Jewish Problem", Foreign Affairs (Jan., 1942)

REFERENCES

Books

Buck, Ph. *The Control of Foreign Relations in Morern Nations*, N.Y., Norton Co., 1957

Caroll, H. *The House of Rspresentatives and Foreign Affairs*, Univerersity of Pittsburgh Press, 1958

Cohen, I. *A Short History of Zionism*, London, Frederich Muller, Ltd., 1961

Dahl, R. *Congress and Foreign Policy*, New Heaven, Yale Institute of Int. Studies, 1949

Gallaway, G. *The Legislative Process in Congress*, New York, Corwell, 1961

Goldman, N. *The Genius of Herzal and Zionism Today*, Jerusalem: Zionist Executive, 1955

Griffith, E. *Congress - Its Contemporary Role*, New York University Press, N.Y. 1961

Hadawi, S. *Palestine*: Questions and Answers, New York, Arab Information Center, 1961

Halperin, S. *The Political World of Zionism*, Detroit, Wayne State University Press, 1961

Hurewits, J. *The Struggle for Palestine*, New York, Norton Co., 1950

Lerche, Ch. *Foreign Policy of the American People*, Prentice-Hall, N.J. 1958

Lilienthal, A. *What Price Israel*, Chicago, Regnery, 1953

Lilienthal, A. *There Goes The Middle East*, N.Y., Dewin-Adair, 1957

Sands, W. Ed. *The Arab Nation*: Paths and Obstacles to Fulfillment, Washington, M.E. Institute, 1960

Taylor, A. *Prelude to Israel*: An Analysis to Zionist Diplomacy, The Philosophical Library, 1959

Documents

U. S. Congress - Senate: Committee on Foreign Relations: The M. E. and Southern Europe: Report of H. Humphrey on a *study mission*, Washington, U. S. Gov't Printing Off., 1957

U. S. Congress - Senate: Committee on Foreign Relations: *Resolution of Palestine as a home for the Jewish* Washington, U. S. Gon't Printing Office, 1945

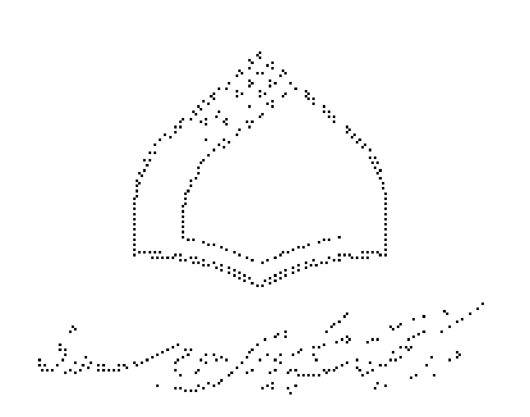
U. S. Congress - Senate: Committee on Foreign Relations: *Situation in the Middle East*, Washington, Washington, U. S. Gov't Printing Office, 1956

U. S. Congress - Senate: Committee on Foreign Relations: *Hearings* by Hans Morgenthou, April 15, 1959

U. S. Congress - House: *Hearings* before Sub-Committee on Appropriations (87th Congress, 1st session), Washington Gov't Printing Office, 1961

How can things, in their broad meaning, be restored to normal? To this, no one has given a better answer than the eminent scholar Arnold Toynbee:

> "In seeking for terms on which a peace settlement might be arrived at, we ought to be guided all the time by three principles. The first of these is justice: The vindication of people's rights, and the righting of their wrongs. The second is humanity: the least possible suffering for the smallest possible number of people. The third is freedom of choice: the greatest possible number of options for people whose lives and rights will be affected by a peace settlement".



the system of Separation of powers allows the legislative branch to play a greater role in foreign Affairs, the internal structure of this same branch, being decentralized, has allowed, through the Committee system and the Key personalities still greater access, to pressure groups, influence and interfere with its course of action.

The Zoinists have taken advantage of all af these gaps. Through their control on the news media, the limited knowledge of a number of Congressmen of Arab affairs, together with the liberal interpretations of the Holy scriptures the Zionists have made their issue bear fruit.

If the Zionist Campaign has succeeded materially, it failed both fom the spiritual and justice angles. The killing, the massacring, the displacement of over one million Arab, could not be labeled other than criminal actions. More than that, it is degenerate to see massacres done against a suffering people; also to their revenge directed against an innocent and different people. Then to see, after all this, the same group that massacred others, helped and protected by a democratic government: the United States. "The Arabs until the establishment of Israel had considered the United States the one foreign power on which they could rely and who had in American confidence which they could give to no other foreigner, became alienated by what they considered ... breach of faith".

The United States government's support of Israel has worked against the American majority's security and interest. While America's interest and security need more than at any other period, a stable Middle East, the emergence of Israel, has caused much of its instabillity for the last fifteen years; thus threatening all American interests in the entire region. Furthermore, the American support and protection of Istrael has not severed American-Arab relations. The Arabs, the traditional allies of the West, have, since the establishment of Israel, pulled away from the West to the neutral camp, in the West-East conflict. Needless to say that the Arabs withdrawal from the West has caused considerable headaches to America.

What can America do to restore faith? Nothing more than enforcing peace with ustice. Israel whose very existence still depends on the American moral and financial aid, governmental and private, gives the United States a unique position to break the deadlock: correct wrongs by pressing on Israel to restore things to normal. The Eisenhower policy stand of November 1956 - March 1957 on the question of Israel's withdrawal from Gaza demonstrated good evidence of the United States' ability to influence the outcome of the present conflict.

"In the last analysis the bare facts which strikes our eyes-Here was a people who lived on its own land for 1,300 years. We came and turned the native Arabs into tragic refugees. And still we dare to slander and malign them, to besmirch their name. Instead of being deeply ashamed of what we did and trying to undo some of the evil we committed by helping these unforunate refugees, we justify our terrible acts and even attempt to glorify them".(1)

What can the United States government do about this deteriorated situation will be discussed in the final part of this research: the conclusion.

VI

The role played by the United States in the creation of Israael is undoubtedly great. This big role was but the result of the work of a strong minority interest group: The Zionist Organization. It was not the Executive Branch which reciprocated first to the Zionists, rather the Legislative branch, the Congress, that escorted the initial pressure, but the culmination of which resided with the Executive branch, whose role already influenced by Congrese became most articulate in the end.

In limiting itself to the role of Congress and its influence in shaping the American stand toward Palestine and the creation of Israel, this research, in following through the sequence of events, arrived at some interesting findings: that pressure on Congress by a well organized group, the Zionist, goes back to the World I period. That Congress responded more actively to the Zionist pressure than the Executive. And that the connected series of influences finally made Congress, through its active pro-Zionist members occupying key position take the initiative to make the President follow a course of action favorable to the progress of the Zionist claims in Palestine.

Several factors have worked on Congress for the success of Zionist design. The nature of the principle of separation of powers in the American system allowing a dissipation of power, has let the legislative branch play a greater role than any other system in Foreign Affairs. The increase of American responsibilities has even made the legislative branch go much beyond its traditional limits. But if this nature of

(1) See Nathan Chofshi - a member of the first Zionist group. who immigrated to Palestine. in 1906 and who is still living there-" "The Bitter Truth about the Arab Refugees." Jewish Newsletter. (Feb. 9, 1959).

choice, they bitterly oppose anything which has even the semblance of Permanent settement elsewhere"[1]

Against all these facts, the Zionists are still pushing on Congress and the President to press Arab governments to take refugees into the respective countries, insist upon sitting down and talking peace (with no change of the status quo)[2] despite Israel's violation and expansion beyond U. N. plan; and in the meantime pushing the American Congress not to stop or curtail America's share of the refugee finance, in the hope that the passing of years may weaken and finally kill the issue. It is strange to see that the Zionist pressure has succeeded in influencing the course of America with regards to the Palestinian refugees up to present time by letting the Zionists have what they wan and leave the refugees in camps homeless, without at least pressing Isreal to enforce the United Nations decisions; despite the knowledge that the Zionist view on refugees constitutes a principal obstacle to settlement.

That is the reason why, then, a recent staff study prepared for the Senate Committee on Foreign Relations has recommended, a possible soultion in which it says, "although the refugees insist on the right to return to their homeland, it is generally believed that relatively few of them - probably less than 10 percent exercise that right",[3] in the hope that such recommendation will raise no objection by Israel supporters in Congress. But when a hearing was conducted by Mr. Cottam, of the State Department, before the House Committee on Appropriation, in July 1961, Congressman John J. Rooney, commented on the proposal of enforcing the United Nation resolution on the refugees choice between repatriation and compensation by saying, "This proposal might be the end of the state of Israel ... you would recommend that these million Palestinian refugees should have the right of repatriation, and destroy all that has been done so far, all that has been by the American tax payers out of government funds, and by private people in America who contributed momentarily to the success of the State of Israel".[4]

Nothing can conclude the Arab refugee problem better than the following Zionist confession:

---

(1) U.N. Press Release 3369, Feb. 11, 1957.

(2) The latest of such pushing was Representative Dodd proposed resolution to Congress in a speech on March 20, 1962, in which he urges that the United States uses its good offices to push on Arab States recognition. See U.S. Congressional Record, March 20, 1962, p. 4182.

(3) U. S. Congress (86 Congress, 2nd session) Committee on Foreign Relations Staff study No. 13, June 9, 38.

(4) U.S. Congress - House Committee on Appropriation: Hearings before the sub-committee of (87th Cong. 1st session), p. 692.

immagination. One does not need even to take the trouble of reading the Zionist literature since it is easy to discover it was designed for internal consumption, i.e., to secure financial and political support, both from the American public and American officials - to keep Israel alive. And this is, indeed a remaining task for Zionism, which by itself explains why Zionist organization has continued to exist despite the fulfillment of its aim: the creation of Zionist state in Palestine. In other words, Zionism's remaining task includes both the dissimination of "favorable news" to Istael's survival and the liquidation of the "diasopora". It would be fruitless, therefore, to assume, in the light of the abbve that the Zionists recognize the reality of Arab refugee problem.

The pretext presented by the Zionists and their supporters does not stand on real grounds. That the Arab League is responsible for the refugees flee is another way of saying that the Arabs ousted the Arabs to establish a Zionist state. It was the periodic attacks which were carried out by the Zionist forces that made the Palestine Arabs flee. Those inhuman incidents, after they entered the record of history are no secret. The incident on the night of January 4, 1948, at the Kataman Quarter of Jerusalem where the Semiramis Hotel was blown up killing many including the Spanish Consul General; and the Dier Yassin incident whose news shocked the World for its brutality, are only examples of the many Zionist massacres.(1) In the words of Dr. John H. Davis, the United Nations Relief and works Agency Director, in answering the charge that the Arab host governments have mistreated the refugees by neglecting them and even holding them as hostages in their struggle with Israel, he says, "The truth is that in general the (Arab) host governments have been sympathetic and generous within their means".(2) As to the charge that the Arab politicians have held the refugees idle, Dr. Davis replies that Arab politicians "quite accurately voice the deep feelings and aspirations"(3) of their peoples in not accepting Israel in the heart of their land and against their will. And when it comes to the charge that the Arab refugees do not want to return to their home in Palestine, Mr. Henry R. Labouisse, Former Director of UNRWA, declares that "the refugees as a whole insist upon the choice provided for them in General Assembly Resolution 194 - that is, repatriation or compensation. In absence of that

---

(1) See Jon Kimche, The Seven Fallen Pillers: The Middle East 1942-52 (New York, Praeger, 1953), P. 228; also A. Toynbee Study of History: Vol. VIII, p. 290.

(2) Palestine Refugees Today. (UNRWA Newsletter, Feb. 1961. New York U.N. Headquarters) p. p. 4-5.

(3) Ibid.

and instability in the countries in which they reside, and will serve as fertile soil for subversion and unrest".[1]

The Arab refugees have entered their fifteenth year living in camps under the threat of hunger, diseases, and death. According to the United Nations record, the number of Arab refugees registered with the Relief Agency until the end of June 1960 has reached 1,120,889 persons.[2] These refugees are maintained by the United Nations. Their diet is far "below the minimum required for an individual and consists of basic food stuffs, with no meat, vegetable or fruit. The 1500 calories which a refugee receives from the U.N. cost less than seventeen cents per day, per person, including administrative and other expenses".[3] The U-N. Record also reveals that the annual total cost of the refugees until June 30, 1960, was $35,004,000.00. Of this $26,763,000.00 went toward rations and $8,241,000.00 to cover vocational and educational expenses as well as individual projects.[4]

Careful analysis shows that the Arab refugee problem has been distorted and mutilated. The Zionists have relentlessly disseminated, through their headquarter, in the United States, information favoring only the interests of Israel and Zionism. Zionist dissimination of erroneous informations are not without planning. Of these plans, first comes the idea, that the refugees' flight was not the mistake of Israel, but that of the Arab States, or rather the Arab League; thus the two issues (Israel - and Arab refugees) should not be mingled together. And since the refugees problem was the mistake of the Arabs, it is logical, according to the Zionist logic, that the Arab States should collectively solve their problem. Why the refugee problem has remained so long, the Zionists assert, is because of Arab States indifference and carelessness, on the one hand, and because the refugees are used as political ammunition against Israel on the other. Therefore, Israel can't be responsible for the consequences of the refugees' problem. Nor can it be asked to let them return, since non of them wish to live in a new society which is very different from their own. All the fuss about refugees' return is but the fabrication of Arab States.

As one goes deep into the core of the Arab refugee problem, he will find that what is presented by the Zionists does not represent the refugees' true picture. For any thoughtful analysis, will disregard the Zionist fabricated information. The Arab refugee problem is self-explanatory. It is a fact, a material fact and does not require any

---

(1) Sami Haddawi : Palestine - Questions and Answers. 1961, p. 59.
(2) Ibid., p. 38.
(3) Ibid., p. 39.
(4) Ibid., p. 40.

to make contrast: Israel makes progress and the Arabs are standing still. Direct and indirect discussions usually take Israel's side. In the voluminous literature of the "U.S. Congressional Record" rarely is there a rebuttle by a Congressman presenting the Arab point of view. And even on rare occasions, the Arab point of view is only mentioned indirectly.

When Congressman Victor Anfuso was at the House of Representatives hailing Israel on its 12th anniversary on April 21, 1960, he not only praised Israel but also denied that she was embarking on "any expansionist adventure as is falsely maintained in certain Arab quarters ...[1] In the meantime, he expressed pleasure at the House approval of the amendment assuring freedom of navigation in international waterways. He deplored the situation whereby "their blindness, the Arab leaders refuse to recognize facts or to consider reason", and hailed the Seafarers Union for performing a great service to the free world "in teaching the Egyptian dictator a lesson in American democracy".[2] No doubt these remarks represent definite pro-Zionist stand. But where Senator J.W. Fullbright wanted to refer to the activities of the Zionist interest group in Congress, he referred to it only by saying, "our representative government is designed to deal with these special interests, to balance them, and ultimately blend conflicting interests in such a way that the total national interest will be served... there are limits, however, beyond which special interests can't go without under running the conduct of our foreign policies".[3] The gist of Senator Fulbright's statement is that the Zionists over-pressure on American policy makers in the Middle East is endangering the interests of America.

V

Israel's imposition has created a refugee problem for over one million Palestinian Arabs. This problem in effect has greatly contributed to the existing social, economic and political difficulties of adjacent Arab countries. More than that, it has not only deprived the Palestinian Arabs of their elemental rights of security, peace, and freedom, but also has displaced them from their own Country. The creation of Israel, in a word has made the Palestinians "a source of danger

---

(1) U.S. Congressional Record (86th Cong. 2nd Session). April 22. 1960.
(2) Ibid.. (April 22, 1960).
(3) Ibid.. (April 92, 1960).

she will not surrender, she will not retreat ... and we will not let her fail".[1] Nor did congressman John D. Dingell in the House of Representatives on March 22, 1956, understand the real intention of Israel's future military campains, or else was sympathetic to them when he said, "Time is very short, the Secretary of State must make a strong statement of policy that we tolerate no changes in the status quo. We must ship to Israel the arms she needs without delay. America must recognize its responsibility to preserve a foothold of democracy in a hostile feudal land".[2]

Only few months after this favorable and constant bolstering of the State of Israel, came the blow of the Israeli-Anglo-Franco attack on Egypt (U.A.R.). Now, it was needless to prove that Israel, backed by Britain and France, by opening military attack, envisioned territorial expanasion over the neighboring Arab States. As Campbell has correctly put it: "after Israel's attack on Egypt and her obvious reluctance to withdraw from Sinia and Gaza, who can say that this fear (of Arabs) is without reality of without justifications".[3]

Seen form all perspectives, the role played by Congress, in the emergence and constant support and protection of Israel has been great indeed; but this role, on the other hand, has worsend Arab-American relations. It has ignored the wishes of he great majority in Palestine. This attitude which ignored the principle of people's self-determination, makes it both undemocratic and also contrary to American Ideals.

Praise of Israely by the Congress has remained constant. It is no exaggeration to say that Israel with less than two millions has overshadowed all Arab relations. Economic wise, total governmental aid alone for the State of Israel between 1948-1955 as an example, "was greater than that given to all Arab States combined in the same period. These amounts have been supplemented by a substantially larger amounts of private assistance to Israel from American Jews".[4] Publicity wise, rarely a week passed without some remarks made either by Congressmen, Senators, or other high officials over the press, the Radio and television and other means of communications: all boasting for Israel. Almost always the remarks on Arab countries are mentioned not for the purpose of indicating progress of any sort. but

(1) U.S. Cong. Record. (May 7. 1956) p. 7506.
(2) Ibid.. (1956) p. A2569.
(3) John C. Campbell: Defense of the Middle East. p. 317.
(4) S. Shepard Jones: American's Roles in the Middle East. Foreign Relations Series. Laid Law Brothers publishers. River Forest. Illinois. 1961. p. 41.

ther"[1] The echo of the oratoric introduction of Silver, the Zionist leader, was but a clear cut example of pro-Zionist line. Lodge, thus, opened his speech in saying, "to be a speaker at this first anniversary of the State of Israel, is one of the most distinguished honors which could have come to a man".[2] Although, Lodge knows that it is the people, the majority of the people, under democracy, to determine and decide what is good for the people, nevertheless, he concluded his speech with: "What has happened in Israel is not only good for the Jews and good for the people of the Near East and good for the United States, it is in all truth good for the whole human race...".[3] Apparently, Lodge, did not mind seeing one million of the human race become displaced and dissipated, so long as it was satisfying the Zionists.

Again and despite the fact that Palestine house was set fire by all the forceful means applied by the Zionists, Congressman Emanuel Celler insisted in the House of Representatives on September 22, 1949, that "We (in Congress) must keep this clearly in mind: The Israelis did not drive these Arabs out of Palestine... In truth and in fact, the Israelis urged them to stay".[4] One need not refer to the successive United Nations resolutions concerning the rights of Arabs to return home; but merely refer to what the Zionist sources themselves confessed about one of their massacres in Deir Yassin. This is what Hal Lehrman said in *Commentary*, "Native fear of more Deir Yassins must be added to all other reasons for the mad flight of the Arab people. I am shaken by the expressions of grief and shame that I have privately received from non-political but prominent Israelis, whose presonal integrity is beyond question. The Israeli soldier has looted, burned and slaughtered, I have been told, and it is no comfort for us that soldiers of every other army do likewise. It is even hinted that certain officers actually ordered their troops to let themselves go ...".[5] Probably, President John Kennedy, then a Representative and later a Senator, did not read about the Deir Yassin massacre, when he made his address at Yankee Stadium on the occasion of the eighth anniversary of Israel saying "Yes: Israel, We Salute You. We know your progress and your determination and your spirit ... all the nations of the World, in the Middle East and elsewhere, realized that Israel here to stay ...

---

(1) Henry Cabot Lodge, Jr., played a big role defending the Zionist cause in the U.N. - See for the above the U.S. Congressional Record (1949) p. A 2806.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid., p. A 5821.

(5) Hal Lehrman, "The Arabs of Israel", Commentary, (Dec. 19. 1949).

in his life been subject to as much pressure as he had been (during the final stage of the voting).[1] Even Former President Truman, who gave, after eleven minutes of voting in the United Nations, a De facto recognition for the Zionist fabricated State, confessed in his "Memoires" answering Weizman, the Zionist leader, that, "the facts were that not only were the pressure movements around the United Nations unlike anything that he been seen before but that the White House, too, was subjected to a constant barrage: "I do not think I ever had as much pressure and propaganda aimed at the White House as I had in this instance. The persistence of a few of the extreme Zionist leaders-actuated by political motives and engaging in political threats-disturbed and annoyed me".[2]

IV

The forced creation of a Zionist State in Palestine was not without severe consequences: the ousting of one million Arab refugees. Few stopped and looked with insight to what a forced state will create in the Arab World. Ironically enough some members in the Congress did not pay any attention to the fact that Palestion was a predominately Arab populated area. They dealt with Palestine as if it were vacant, more or less as an internal issue. Certain other responsible congressmen took issuue, for rivalry with their competitors. The huge dissiminated Zionist propaganda blocked off, to still other Congressmen, the completed true picture. The rest were confused, and did not know what to do other than follow the tide of the day. One is amazed at the huge pile of speeches and comments found in the Congressional Record; favoring the bolstering of the State of Israel. On the first anniversary celebration of the State of Israel, Henry Cabot Lodge Jr.[3] was among the first of American government officials to give a celebrating speech. Before he opened his speech, Lodge was introduced to the audience by Rabbi Hillal Silver in the following words, "A genration ago dear friends, a name was written large in the annals of the Zionist Movement, that name was that of Senator Henry Cabot Lodge. It was under his leadership, and by his political guidance and sagacity, that the first revolution favoring the establishment of the Jewish National Home in Palestine was adopted by the Congress of the U.S. in 1922... (The Speaker) name is now being written large in the annals of the American Zionist Movement, alongside of his distinguished grandfa-

(1) Ibid., p. 103.
(2) Truman, "Memoires" p. 158.
(3) A Senator, and later the chief of American Delegation to the United Nations in the early days of Israel emergence.

until Truman's Administration that a loophole for the Zionists found.

Truman's support of Zionism, paved the better way along with key members of the Legislative Branch, who had already expressed sympathy to the Zionist cause, for the "final push" in the United Nations. But before the vital hour came to decide finally the issue of Palestine, the Zionists already accumulated sufficient power to importune their Congressmen that their premier aim was not one that concerned with the European displaced Jews, and finding a way for their settlement in America and other European countries, but their aim concerned the creation of a Zionist State in Palestine. By now, Congressmen and other important figures in the American government knew that the Zionists were not at all for humanitarian endeavor. Nevertheless, their test of muscles, one year before the final shooting in the United Nations, the Congressional election year of 1946, showed great enthusiasm for the Zionist cause. "It was reported that Dewey was considering the advisibility of making a statement favring Zionism. Mead, Lehman, who were running on the Democratic ticket for Senator and Governor, respectively, immediately proceeded to press Truman for a similar proclamation on behalf of the Demacratic Party. The result of this was a statement by Truman calling once again for the admission of 100,000 Jews into Palestine and thus the administration, as well as both parties became further committed to the support of Zionism".[1]

The Zionist show in the United Nations was spectacular. All the political movement's machinery was set to work. It was a full scale operation to win the United Nations for the creation of a Jewish State in Palestine. The American delegation at the United Nations, notwithstanding the attention of all Nations of the World, were busy working on hesitant states, such as Haiti, Liberia, the Phillipines, Greece, China and Ethiopia, to vote pro-Zionist. During the decisive hours of November 22, 1947, it was to the dismay of the Zionists to learn that less than the "required mumber of votes were pledged to support partition".[2] the immediate instruction required to press harder on the pledged Congressmen to contact the Executive government officials to get the needed votes.

The final answer came revealing the establishment of the Zionist State in Palestione; but it was not only un-democratic, but also outrageous. The extreme pressure focused on the State Department made Robert Lovett, the Under Secretary of State declare that "he had never

---

(1) Ibid., p. 93.
(2) Ibid., p. 103.

a Zionist member and a member of the Commitee on Foreign Affairs, Hamilton Fish, from New York and co-author of the "Lodge Resolution", who in the midst of his speech, boasted "I hope that the Zionists all over the World not yield to this proposed breach of Trust in order to cajole the Arabs by double-crossing the Jewish people in Palestine and elsewhere and selling them out for a mass of Prooidge... I urge the President, the State Department, and the Congress to demand that there shall be no modification of our treaty rights in Palestione without our consent".(1) Or, Abba Hillal Silver, then the Chairman of the Executive committee of the American Zionist emergency Council, testifying before the Committee on Foreign Affairs who said indiscreetly to Chairman Bloom, "you know what we think of you", notwithstanding that "we" meant the "Zionists". Indeed one is forced to notice the Zionists' huge demonstration in Congress. Also to notice how significant the role played by Bloom, "to employ his position as chairman of the Committee to guide discussion in such a way as to avoid embarrassement to Zionism".(2)

Zionist tactics remained constant in Congress. By January 27, 1944, they were able to push through both houses a joint resolution in faver of their claims to Pelestine. The resolution affirmed that "the United States shall use its good offices and take appropriate measures to the end hat the doors of Palestine shall be opened for free entry of Jews into that Country, and that there shall be full opportunity for Colonization, so that these Jswish people may ultimately reconstitute Palestine as a free and democratic Jewish Commonweath".(3) As the Zionists sought to have the resolution receive Presidential endorsement, they were confronted, this time by the disapproval of the Chief of the Staff, General Marshall. General Marshall objected that such step be taken on the ground that it inflict upon the Allies, at the time, a disadvantage. But the Key Zionist Representatives, relentlesaly, kept pushing for the President's endorsement. The repeated pressure was confronted by reluctance from the State Department. Notwithstanding any unexpected consequences, Emanuel Celler, a pro-Zionist Congressman from New York, and Key figure, "threatened the President with a congressional investigation if actions were not taken to prevent the state Department from continuing its opposition to Zionism".(4) Despite all the more pressure, and inspite of Weizman's suggestion to the U.S. - British strong stand in letting down any Arab objection, President Roosevelt maintained his stand that Arabs consent should be sought. It was not

(1) Ibid., p. 18.
(2) Taylor, op. cit., p. 83.
(3) Hearings, op. cit., 391.
(4) Taylor, op. cit., p. 86; also Kirk, op. cit., p. 314.

urgently needed to transfer their headquarter to the United States. And this was what they did in 1940. Now, that the headquarter became close to the American Branch, Zionists' power and tactics not only were doubled but also became more fruitful. It was to these new tactics that caused the (500) Zionist Rabbis to assemble in a petition to Congress urging it to pass a resolution expressing the Legistative Branch, support for continuous Jewish immigration in the hope that they eventually become sufficient and powerful to establish their "promised" home in Palestine.

The resolution demanded by the Zionists did not meet any hardship in Congress. But the amazing thing about the proposed resoluton, was the questionaire between the chairman of the House of Committee on Foreign Affairs, Sol Bloom, and Charles A. Eaton, Representative from New Jersey, and a member of the Committee on Foreign Affairs. When Congressman Eaton asked the Chairman who wrote the resolution and prepared it, the Chairman connived its authorship as if he did not know how it happened.(1) But the story of the handling of the proposed resolution, on the other hand, was no less vivid than its authorship. At the outset, it revealed a climatic success for Zionism: a success with the two Houses, but particularly overwhelming with the lower House. "When the resolution was introduced into that body, it was referred to the Committee on Foreign Affairs, the Chairman of which was Sol Bloom, a representative from New York and a Zionist".(2) And "when the House Hearings got underway, Sol Bloom presented the members of the Committee with a pamphlet he had prepared for the purpose of instructing them on all relevant matters connected with the resolution. Actually, however, the booklet was primarily devoted to summarizing the Zionist position on Palestine".(3) A more interesting thing yet to come was the fact that the booklet under discussion did not include any reference from the State Department, "which is not short of surprising since the resolution up for consideration involved a significant development in American Foreign Policy, the handling of which is specifically assigned to the State Department by the President".(4) All of this took place at the House Committee on Foreign Affairs Hearings, but no one of the members seemed, as one read the volume of (504) plus a supplement of (104) pages of Hearings to object or question the authenticity or objectivity of the wordings such as "the White paper sets up another but illegal, amoral Standard".(5) Or the statements made by

(1) Seventy-Eight U.S. Congress. Committee on Foreign Affairs. Hearings. op. cit.. pp. 2-3.
(2) Taylor. op. cit.. p. 82.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) Hearings. op. cit.. p. 14.

The Joint Congressional resolution of 1922, was regarded by the Zionists only as an initial success. But in the meantime it was seeking further response and support for the years to come. The right moment for the second campaign on Congress, came, only few years later, when the Zionists were able to push for the creation of the American Palestine Committee. The Creation of the American Palestine Committee was not without fruition: it soon secured an enrollment of (67) Senators and (143) Represesntatives, which was substantial success.(1) Thus by "December 1942, Congress again demonstrated its susceptibility to Zionist propaganda when one third of the Senate joined one and a half thousand other public figures in signing a revisionist proclamation demanding the creation of a Jewish Army".(2)

"What was needed now was a Congressional declaration backing the (Zionist) Biltmore program. On October 6, 1943, a group of 500 rabbis arrived at the Capitol and presented the Zionist demands to Vice-President Wallace".(3) At this time the Zionist lobbyists stood on the march: Many Zionist representatives were instructed to make supplementary maneuverings to frustrate any anti-Zionist reaction.(4) The object of this whole episode was to seek a Congressional resolution, or rather action to be taken urging Great Britain to abrogate the Malcolm Macdonald white paper of 1939, since it limited Jewish immigration into Palestine to (75,000) with all Jewish immigration to cease on March 31, 1944.(5). Instead, the Zionists wanted to "reestablish Palestine as a home for the Jews, in accordance with the principles laid down by the famous Balfour Declaration of 1917".(6) The first response of the new dramatic campaign on Congress resulted in Congressmen's petition to the President, urging action. In the words of a member of the House of Representatives, Emanuel Celler, "upon Britains announcement of its change of Policy, as contained in the White paper, President Roosevelt was asked to take action in protest by a petition signed by (51) Senators, (194) Representatives, and (30) Governors. The President expressed his sympathy and promised to do all in his power to prevent curtailment of Jewish immigration to Palestion".(7) But the British White Paper of 1939, caused in the Zionist circles suspicions of future British intentions. The Zionists saw that it was

---

(1) Alan R. Taylor, Prelude to Israel: an analysis of Zionist Diplomacy (1897-1947), the Philosophical Library, 1959, p. 81.
(2) Ibid., see also George Kirk: Middle East in the War, p. 247.
(3) Ibid., p. 81 - also Frank Charles Sakran, Palestine Dilemma, Arab Rights vs. Zionist Aspiration, Wash. D.C. public Affairs.
(4) Ibid.
(5) U.S. Congressional Hearings, op. cit., p. 12.
(6) Ibid.
(7) U.S. Congress, Hearing, op. cit., p. 13.

American pro-Zionist stand in Palestine, was not solely the decision of the President; it was a decision supported, upheld, and esteemed, first by Congress. Zionist pressure was felt in Congress as early as the Balfour Declaration of November 2, 1917. And it was in 1922, when the Zionists succeeded in pressing for the "Lodge Resolution", favoring the establishment of a national home for the Jewich people in Palestine. It was a joint resolution by the Two- Houses of Congreass. In his addrese to the sixty-seventh Congress, on June 30, 1922, Senator Henry Cabot Lodge, the prime mover of the resolution, revealed his sympathy for the Jewish people and urged the Congress to pass a resolution on the pretext that it "neither threaten nor invades any rights of any other people".(1) (No doubt the fact that the great majority of Arabs numbered 90% in Palestine was not known to Senator Henry C. Lodge at the time). In the very same address, Senator Lodge was only able to accept religious tolerance for the Jews, but also never to "accept in Palestine the thought that Jerusalem and Palestine should be under the control of the Mohammedans".(2)

This move by senator Lodge was not without foundation. Louis Lipsky, representing the Zionist Organization of America, in his testemony before the House Committee on Foreign Affairs on Wednesday, February 16, 1944, as one of the survivors of the hearings of 1922, before the very same House Committee, clearly indicated that "acrimonious debates that took place" at the time, but with the result that the end was accepted by a good number of Senators and Representatives whose views were not only in full support of the American Zionist Organization but also were given wide circulation in a book published by the Zionists entitled, "The War, Congress and Zionism".(1) Lipsky confirmed that the Zionists views were received with support and endorsement by President Harding, who signed the said resolution in less than two years.(4) Strange as it may sound, the records of both 1922 and 1944 hearings showed all too clearly that the Jews themselves, the majority of the Jews still indifferent to the Jewish National Home in Palestine.(5) In other words, only a well organized minority of the Jewish people, the Zionist Organization, was advocating a National Home in Palestine.

---

(1) U.S. Congress-House: Hearings before the Committee on Foreign Affairs (78th Cong. 2nd session) "The Jewish National Home in Palestine". Senator Henry Cabot Lodge address. June 30. 1922. referred to in Hearings (Feb. 8, 9, 19 and 16. 1944). p. 375.
(2) Ibid., p. 375.
(3) Ibid., p. 376.
(4) Ibid., p. 376.
(5) Ibid., p. 376.

Moslems and Christians who are the descendants of Abraham's eldest son, Ishmael. But the more challenging question that arises before the Jews, of how much the newly converted Europeans and Americans to Judasism are related to the early Hebrews, has no answer. Thus, the Zionist demand that whoever embraces Judaism, should acquire the promised land, sounds not only strange, but fictitious.

To Biblical rights, Zionists added historical rights. Again, anyone who is free from Zionist pressure, does not need to go into all the historical details to find the answer. Suffice it to say, that the Arabs, who are the descendants of the "Canaanites" have a much stronger historical claim to Palestine. To all this must be added the other historical fact: that the Arabs have been the constant inhabitants of whole Palestine for the last 2000 years; whereas old Hebrews occupied part of Palestine and only for a limited period. Thus, if one follows the Zionists claim, Canada and the United States must be given to Red Indians, and so all the rest of world's map must make some changes.

Thus, "by wrapping the labels "humanitarian", "liberal" and "religious" around its political program, Zionism has carried the day. And conversely, people who have supported but one plank of a many-faceted Zionist program, usually the "humanitarian", have wound up by being counted in the fold and have been exploited by Zionist nationalism".(1) Thus, Zionism stands on false foundations which must now be clear to the neutral observer. It is no exaggeration, then, to say that Zionism stands for political opportunism; and is far away from religious and humanitarian attributes. Further, this political opportunism cannot and should not be associated with democracy. For, if democracy rests upon agreement and approval of the governed for the gverning, on the will of the majority, on the application of peaceful means to solve problems, on the belief on human rights, freedom, and human self-determination; Zionism, has managed to push forward through propaganda, threat, force, and by imposing itself on a country populated and inhabited by a majority of Arabs, thus causing them to flee and become in the end displaced and homeless.

III

The American system has given way to Zionists' pressure. This pressure which successfully came to fruition in 1948 in the creation of the State of Israel, and later ensured its support and protection, dates back to the world war Period. Contrary to the general belief, the

(1) There Coes the Middle East, op. cit, p. 206.

But in the final analysis, "the interest group comes nearest to completion when it is able to stir up the public to the point where policy - makers face an opinion "fait accompli" to which they have no choice but to bow".[1]

Political Zionism forms a typical interest group. Political Zionism has succeeded through various means in gathering many sympathizers and converted members of Congress. But as we penetrate into the secrecy of their success, we are convinced more and more that there exist within the legislative circle a lack of complete comprehension of Zionism. This very miscomprehension of the real intentions of Zionism on the part of a number of Congressmen, together with the distorted picture of the Arab affairs,[2] have greatly contributed to the Zionist success. On the other hand, the Zionists have adroitly exploited other means, for drawing American sympathy, such as that of humanitarian appeal, religious and historical attachments to Palestine, among others, which served them best.

Zionists' appeal to apparent "humanitarian" ground is all too false. It is nothing more than a political approach set up for sheer political gain. As already mentioned earlier, Zionists have no interest in human endeavors. Zionists organization was not formed to serve for charitable purposes; it was formed for the purpose establishing a state in Palestine. In order to achieve this goal, the Zionists had to establish an articulate Zionist lobby in the American capital. Through their propaganda activity, "the Zionists have managed to frighten the politicians,"[3] they have managed to speak for the entire American Jewry; while in fact they represent only a segment of them.[4] "Though there is little evidence that a "Jewish Vote" exists or is deliverable to any party, or a particular candidate --- yet the mythical unity attributed to "Jewish people" by Zionist propaganda caused the American politicians' surrender to Jewish Nationalism".[5]

The Zionist slogan about the Biblical rights of the Jews to Palestine is envisioned with favorable version. A true interpretation of the promise given to (Abraham and his seeds), would equally include the Arabs,

---

(1) Ibid., p. 64.

(2) To cite only one example, see U. S. Congressional Record (March 12, 1962) p. 3495, where representative steed confuses between Oil, Arab Nationalism and Iranian Nationalism. More astonishing of all is that the wrong was left without correction.

(3) A. Lilienthal, What Price Israel, 1953, p. 109.

(4) "A maximum of ten percent. of American Jews are Zionists party members, while a bare half of one percent, are anti-Zionists, the rest are non-Zionists - - -" see A. Lilienthal, - There Goes the Middle East, p. 209.

(5) What Price, op. cit., p. 109.

Lobbyists, as representative of interest groups usually exert pressure on legislators in order to make them respond to their demands.

The break-up of the United States Congress into committees and sub-committees puts lobbyists in an ideal situation, which is not without influence upon the entire work and decisions of Congress. One of the most noticeable observation is that lobbying, if it is ill used, can create and cause great damages to the entire country. Definite damage results, for example, when lobbyists possess greater deal of information on a particular issue, and ill-use it on inadequately informed congressmen. Greater damage can be done when a small minority can influence decisions of Congress, and profit for itself at the expense of the entire nation. But nothing can do more harm than the coincidence of a congressman "personal motivation" with an interest group, and the resulting profit to both, at the expense of the public interest.

The most interesting fact about lobbying in the American System of government is that government agents in general and legislators in particular, due to the nature of the system among other things, do respond to "interest groups". This response, can only be understood in term of these interest groups' "access" and "maneuvering"; which at times causes the legislator to be threatened or feel he is threatened. Such feeling of threat generates usually from the modern techniques used by the various interest groups.

"Interest groups" or "pressure groups" as they are sometimes called, use whatever pressures they possess to make their views felt and achieve action. Basically, pressure is applied in two ways: direct and indirect. Direct pressure is the personal sort of pressure exercised by the group leader on officials. To obtain his goal, the interest group leader may use various techniques: He tries his personal pressure by using persuasion, technical information, threats of political reprisals, or promises of voting support.(1) No matter which technique is used, the object remains the same, and that is "to impress the groups' wishes forcibly on the decision making official(s)".(2) Indirect pressure, as the term implies, is the kind of pressure used by the interest group in two steps. The first step is to create (through editorial and news columns of the nations' newspapers and periodicals, radio and television, among others), a "mass opinion "that will in turn exert pressure on officials to take the desired steps".(3) In a word, the creation of public opinion favorable to an interest group, is but the result of propaganda work.

---

(1) Charles O. Lerche, Jr. - Foreign Policy of the American People. Prentice-Hall, New Jersey, 1958, p. 63.
(2) Ibid., p. 63.
(3) Ibid., p. 64.

so without violating the integrity of the Executive Branch."[1] In Laski's view, "no legislative assembly in the World rivals the Senate... in its influence in the International sphere."[2]

Further, Congress unlike the Parliament in Britain, gives a "Central" position to the Committee system. This means that any standing committee is an expert body which by means of studies, investigations and hearings, can play a significant role in Congress. It recomments, and usually the Congress approves its recommendation. In short, actual power in Congress lies in Committees.[3] "And because of the importance of the chairman, the Committee is responsible only if the chairman is responsible."[4] This much shows us that the chairman of a standing Committee in Congress occupies a key position. And the position of committee Chairman still ramains significant despite the attempts made to limit his powers somewhat. What gives a key position to the Committee Chairman is that he is customarily accepted as the spokesman of his committee. Further, he has arbitrary power in calling meetings, controling discussions, selecting measures to be considered by the Commitee and reporting to the full chamber.[5] But despite all these powers the chairman possesses, there is "little assurance that the chairman of a committee will be "responsible" in any meanngful sense."[6] Even the selection of a chairman is often done "on grounds... deterrent to genuine responsibility."[7] On the other hand, a vigorous chairman can exort a significant influence in Congress. His infuence extends even to the executive branch, since a proposed bill by the President has to be studied and recommended by a committee first.

But the Chairman of a Committee in Congress cannot work alone. He needs to exchange views with his colleagues before, and during sessions. In order to play an influencial role, he must know how to enlist the support of the active members of his committee. Thus, it is the infiuence of the chairman of a Committee together with those active colleagues that shape committee recommendations and resolutions.

The other significant feature of the nature and operation of Congress, aside from what we have already discussed, the "central" position of committees, is the great access given to "lobbying". In fact much of the agreements and discussions are made in lobbies.

---

(1) Ibid. p. 532.
(2) Quoted by Sheever, op. cit, p. 12.
(3) Robert Dahl, Congress and Foreign Policy. Yale International Studies. New Haven 1949 p. 9.
(4) Ibid.
(5) Ibid., p. 10.
(6) Ibid., p. 9.
(7) Ibid., p. 9.

for outside forces to influence both the Executive and Legislative branches. The principle of "checks and balances" with regard to Palestine in fact, helped outside forces tremendously: first in controling personalities, and later in making both powers -- the Executive and the Legislative -- boasting for the winning of the same outside force. We shall see later in this research how this outside force - the Zionist organization - managed to have access to both the Executive and the Legislative branches. We shall also see how the control of Key personalities influenced congressional decisions, and later the Executive stand.

Under the American system of separation of powers, each of the three distinctive powers -- Executive, Legislative and Judicial - can "check" the other branches so that a concentration of Power in one agency is psevented; and thus a balance of powers results. This means that the President, with regard to foreign affairs, is never completely free in making his decisions. Daniel Sheever and. H. Field Haviland affirm in their book, *American Foreign Policy and the Separation of Powers,* that "there can be little doubt that there are strong arguements in the substantiation of a theory of executive predominance in foreign relations, nevertheless, both the constitution and actual practice make it clear that the President does not have sufficient authority to control foreign policy without regard to the wishes of the legislative branch. In many matters he has no choice but to work with Congress. In fact, some writers support a theory of legislative predominance".(1) Former Secretary of State Dean Acheson has correctly observed that in one "aspect of foreign affairs Congress is all powerful. This is in the establishing and maintaining of those fundamental policies, with their supporting of actions, which require legal authority, men and money. Without these foundations - solidly laid and kept in repair - even wise and skillful diplomacy cannot provide the power and develop the world environment indispensable to national independence and individual liberty for ourselves and others."(2) Senator Hubert Humphrey indicates that parliamentary bodies do not govern and that the American Congress is no exception to this rule.(3) But it is also true that "with its power of the purse, and through the right to investigate, to criticize and advocate, the Congress does exert significant influence on the quality and direction of the United states foreign policy, and it usually does

---

(1) Daniel S. Sheever and H. Field Haviland, American Foreign Policy and the Separation of Powers, Harvard University Press, 1952, p. Policy and the Separation of Powers, Harvard University Press, 1952, p. 11.

(2) Quoted by Senator Hubert Humphery, "The Senate in Foreign Policy", in Foreian Affairs (July, 1959), p. 532.

(3) Ibid., p. 532.

Hebrews inhabit all of Palestine, or constitute the sole inhabitants of that land."(1)

Here, the Zionist dilemma becomes even more complicated. How can one associate ethnically the Zionists with the Hebrews whose association with Palestine was ended 18 centuries before the rise of Zionism? Even if this premise could be proven, how can a limited, part-time and interrupted association of people to a land, enable those people to claim the entire land? The creation of Israel in Palestine, accordingly, can not be considered other than a violation of modern standards and principles of international law and practice.

One of the worst things man in the 20th Century has witnessed is the creation of a State by usurping another people's land, to make those people flee and beconioe doisplaced; then to have its issue forced upon The United Nations, through utmost support of a democratic nation.

The injustice which befell the Palestinian Arabs as a result of the creation of Israel, has aroused the conscience of men such as the world famous historian, Arnold Toynbee, who said before a mass gathering at McGill University in Montreal, Canada: "Israeli treatment of Arabs in 1947 was morally comparable to Nazi murders of six million Jews. It was particularly tragic because the Jews suffered the same sort of thing at the hands of the Nazis. The most tragic thing in human life is when people who having suffered impose suffering in their turns".(2)

The Palestinian Arab refugees' tragedy is by all means an International tragedy. It is serious and dangerous. It has been in existence since 1948. Further delay makes it more dangerous; i.e., if such human tragedy is left unsolved, it may lead to an explosion on a much wider scale. It is for these reasons that this problem deserves concerted attention and concern.

How this problem entered the American scene and how the United States Congress reacted to it, is the theme of this research.

II

The Palestine issue did not enter the Amedican scene by accident. The entry of the Palestine issue upon the American scene, can be better understood through, first, the American system of government; and second, outside forces working upon it. The theory of "Checks and Balances" in the American System of government permits great access

(1) Ibid., p. 81.

(2) For further comments, see Arab News and Views, Vol. VII, No. 4 p. 15, No. 5 - March 1, 1961.

able to produce has been a series of directives and amendments jointly stipulating that for the purpose of official registration, a Jew is a person who can prove his adherence to Judaism by documents issued by an authorized (i.e., orthodox) rabbinate or who can prove his descent from at least a Jewish mother."(1) Paradoxically enough, this does not hold back very far. "Not only the children of mixed marriage, but also children of mothers who were converted to liberal and Reform Judaism would not be Jews."(2) Thus the Problem facing "Jewish Nationalism" (i.e. Zionism), is a most strange nationalism. That is to say, even if Zionism bases its argument of the creation of Israel on religion, then such an interpretation, among other things, would fail to support the concept of alleged "Jewish Nationalism" (or Zionism), since the common bond of a religion does not necessarily create a common national bond esepecially in its strict modern meaning. And further, many Jews who are disseminated in many countries do not feel that the Israeli national flag is theirs.(3) If, on the other hand, Jewish nationalism is interpreted through the biological and blood line, there dilemma appears again of proving the outworn and fallacious racial line which receives no recognition by modern anthropologists.

Another unique character of the State of Israel is its mystique "homeland". And here, indeed, the reader is confornted with a strange happening manifested in a group, an organized group, rising up all of a sudden, building a case, and imposing itself on a land, with all sorts of pressures including the force of arms, and expelling a well identified population, to the very same land long before any new claimant; in order to successfully put its "grand design" into operation.

Zionism has claimed Palestine as a "homeland for its alleged nation for no better reason than that of the Hebrews - whose relation to the Jews of the 19th and 20th Centuries Zionists seldom care to define or explain - had had some association with Palestine about 2,000 years ago..."(4) "In its 6,000 years of history, Palestine has had associations with countless tribes and ethnic groups; that the essociation of the Hebrews with Palestine lasted some 1,500 years; that association which had come to an end some eighteen centuries before the rise of Zionism - was not continuous, but intermittent... and that at no time... did the

(1) 1. Ibid.

(2) Quoted by Sayegh, from Jewish Chronicles, p. 79.

(3) An outstanding article written on this line by Alfred Lilienthal which appeared in the Reader's Digest (Sept. 1949) and reprinted in the U. S. Congressional Record (1949), in which he said, "Israel's flag is not mine... this new flag has brought everyone of us 5.000 American citizens of the ancient of a loyal citizen of any country could adhere... By contrast. Zionism was and is a national movement organized to reconstitute a nation with a separate homeland". p. A5619.

(4) Sayegh. op. cit. p. 81.

idle, even if the manager keeps shouting the contrary for a thousand times. The core of this matter resided in a single fact: "Zionism was determined to get ahead with its plans - and let Rome be set on fire. A Jewish State must be established and let the Carthage be destroyed. The Zionists, however, were faced with the dreadful question: How can a Jewish State be estabished on Arab land, and with such a great majority of Arab population.(1) The Arabs, and this is their right, will not accept Jewish Sovereignty, nor will they abandon their lands. To Zionism, that was an obstinate fact which had to be confronted. The Jewish State would either be established by sheer brutal force, or be abandoned. The choice had to be made, and it was made. Zionism decided: The Jewish State must be established, and the Arabs must be driven out of their country. And this is exactly - what has taken place. Under unspeakable terror, bloodshed, and destruction, the defenseless people of Palestine were driven out of their towns, villages, and homes. Their homeland was usurped, and the so called State of Israel was established."(2)

The Second important and unique characteristic of the State of Israel was that it proclaimed itself a national state, yet it lacked all the classical attributes of nationhood. Classical attributes of nationhood are consciousness, volition, and common tongue. Before the rise of Zionism, the Hebrew language was by all purposes a dead language. Further, national conciousness and national volition, as the terms are understood in modern times did not apply to Zionist Israel. A situation as such left only "religion and race for Zionism to fall back upon. But each of these two elements would raise more problems than it would solve for Zionism. Accordingly, Zionism preferred to meet the first ideological challenge it faced by evasiveness, equivocation, ambiguity, and a considerable amount of double talk-".(3) Strange as it may sound, "there is nowadays in Israel a heated debate - pregnant with political implications - over the question "What is a Jew?". This debate has caused many a political crisis within Israel in recent years, culminating in the resignation of the government not long ago. And the best that the corporate wisdom to the movement and the State has been

---

(1) In 1920, the Jews numbered only 10 percent of the entire population. In 1947 they had increased to 22 percent. Conversely, the Arabs in 1920 were 90 percent. In 1947 they became 67 percent. This resulted mainly from forceful ingathering of Jews from the various parts of the World, during the British mandate.

(2) See statement made during the 15th session of the United Nations General Assembly, by Ahmed Shukairy, head of Saudi Arabian Mission to the U. N. (Nov. 30, 1960), p. 57.

(3) Fayez A. Sayegh, "The Encounter of Two Ideologies - Zionism and Arabism", in W. Sands, Ed., The Arab Nation, The Middle East Institute, 1960, p. 78.

CONGRESS AND FOREIGN POLICY

"A Case Study of the Role of the U.S. Congress in Shaping The American Stand toward Palestine".

By

Fadhil Zaky Mohamad, PH.D.

I

No issue invites more tension than the issue of Palestine. Naturally, tension does not arise out of nothing; in the case of Palestine it has been the outcome of the creation of Israel: the offspring of political Zionism.(1)

Although it is not the purpose of this research to delve into the way various factors worked for the creation of the State of Israel, yet, some of the factors, although unique and irrelevant to modern practice, have a direct connection with our topic necessitating some elaboration.

The first unique attribute of the State of Israel is that, "rarely in history - at least, in modern history - has a majority of population fled a country in the face of a militant minority. Yet that is what happened in Palestine."(2) The human exodus of about one million Arabs from Palestine did not happen haphazardly, and was not the peoples's choice as is claimed by the Zionists and their supporters. For no group of great numbers such as the Palestinians, no human mass, in either the past or the present ever left their fatherland wilfully with nothing in their hands; and let their country be occupied by an enemy. The Palestinian tragedy can be explained and understood in plain words and with only a little common sense. That the Palestinian Arabs evacuated their homes and left their properties, not because of the Zionist threat in unnatural circumstances, but because of Arab leaders repeated radio broadcasts runs short of common sense a bit. When a house sets fire, no single occupant would be expected to remain

(1) "Historical exemination,... reverals that the creation of Israel is the result of Zionist planning and organized effort."

See Alan R. Taylor: Prelude to Israel - an analysis of Zionist Diplomacy (1897-1947), the Philosophical Library, 1959. Preface P. VI.

(2) United States Congress: Committee on Foreign Relations (86th Congress. 2nd session). Staff Study No. 13. Middle East, June 9. 1960, p. 34.

Bergson, Henri Louis

1. "The Two Sources of Morality and Religion"
translated by R.A. Audra and Brereton, London, 1935
2. Creative Evolution"
translated by A. Mitchel, London, 1911

De Boer
"The History of Philosophy in Islam"

Iqbal. Dr. Muhammad,
"Reconstruction of Religious Thought in Islam"
Muhammad shraf Publication, Lahore, 1958

James, William
"The Varieties of Religious Experience"
Longmans Green Co. London 1952

Joad. C.E.M.
"Guide to Modern Thought"

Lecomte du Nouy
"Human Destiny"

Mc Dougall, Williams
"Modern Materialism", London, 1934

Nicholson, Reynold
"Studies in Islamic Mysticism", Cambridge

Patrick,
"Introduction to Philosphy"

Quran, (Holy Quran)
Rumi, Jalalud Din
"Mathnawi of Jalalud Din Rumi"
edited by Reynold Nicholson A.
Cambridge, 1925, 1929, 1933.

Russell, Bertrand.
"Histery of Western Philisiphy"

Shaw, George Bernard,
'Preface to Androcles and the Lion"

Shibli Nu'mani
"Ilm i Kalam

container which is unique but rather the content which is the divine essence in the being of man that makes him a true image of the Deity. No where has it been said that the process by which man has been created is different from what we see in the emergence of vegetative and animal kingdoms. We have been clearly informed that God has caused us "to grow as a growth from the earth".

والله انبتكم من الارض نباتا

(LXXI - 17)

After this there should remain no ambigmty as to how man has appeared on earth. The Creative Impulse does not come from any source other than the Being Himself who "has brought us into being from the earth and made us dwell in it".(1)

هو انشاكم من الارض واستعمركم

(XI - 61)

(1) Whatever has been said about the events in the unseen, we are no doubt not in a position to test its validity but if this is the picture of creation in the revealed literature, then we do not think science has yet able to go beyond it or has definitely proved something which contradicts it.

their Lord who had asked them to be away from the mortal fruit and warned them not to be misled by the Satan who was an open enemy to them. When they realised the gravity of their sin they admitted their fault in the following words and prayed for mercy.

قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخسرين

(XXIII - 7)

"They (Adam and Eve) said: Our Lord, we had been unjust to ourselves. If thou forgive us not and have not mercy on us, surely we are of the losers".

The wrong had already been done. They had to reap what they had sowed. They were asked to leave the Garden and undergo an ordeal for acquiring the material existence we now possess and to be in a perpetual conflict with the rebel spirit.

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين — قال فيها تحيون وتموتون ومنها تخرجون

(VII - 24/25)

"He (God) said: "Go ye down, (remaining) some of you, the enemies of others, and there is for you in the earth an abode and a provisions for a time".

"He (God) said: 'There shall ye live, there shall ye die, and thence shall ye be brought forth'."

This is what has happened before the emergence of man on earth. From the Quranic point of view it would be a wrong notion to believe that Adam was dropped from heaven on this world without suffering the pangs of creation and evolution. We are not informed through what stages man had to pass in order to reach the form of existence he has now acquired. The Tin (clay) with which he created has been described as طين لازب (1) firm clay, صلصال كالفخار the dry clay like the potter's (XV - 26: صلصال من حمامسنون (2) the clay that gives forth sound, of black mud given shape. Such a metal with the melange of water turned into he human seed نطفه . It was allowed to develop in humidity and made to grew in a safe lodging (XXIII - 13 نطفه من قرار مكين (3).

There is no reason to suppose that the metal used in the creation of creation of man is different from that of other species. It is not the

(1) The Holy Quran (XXXVII - II).
(1) Ibid (XV - 26).
(3) Ibid (XXIII - 13).

sexual act in the sense we understand it. The human progency was only in the potential form. But it is apparent that Adam and Eve had somehow developed a desire for the full realiasation of their carnal self and both of them had a temptation to get the pleasure from out of it. Their disobedience lies in turning their attention from the sublime spiritual entities to lower forms of existence. In this sense the mortal fruit seems to be no more than a consciousness of carnal pleasures. The Devil, who had been cursed for not bowing down before Adam, was there to take his revenge. He seems to have taken an active part in creating this consciousnese and at last convinced them that it was genuine. Till the time they did not concentrate on their physical nature they might have been having some heavenly raiments on them. Satan wanted them to see their material existence in its naked form:

فوسوس لهما الشيطن ليبدى لهما ما ورى عنها من سوأتهما

(XXI - 7)

"Satan whispered to them that he might manifest unto them that which was hidden from them of their shame".

About the fruit he deceived them by expressing views quite the contrary to what they should bave been. They were told:

قال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكون ملكين او تكون من الخلدين ــ قاسمهما انى لكما لمن النصحين

(XXI - 7)

"(The Devil said): Your Lord forbade you from this tree lest ye should become angels or rema in as immotals. And he swore unto them (saying): Verily I am a sincere adviser unto you".

No sooner they beceme self-indulgent than they saw their material froms with all their changing modes. This was not at all a happy experience. The heavenly biss had gone for ever. They were overtaken by a sense of guilt and shame. Their celestial robes were removed from them and the "leaves of the Garden" by which they wanted to hide their shame could not be a substitute.

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة

(XXII - 7)

"Then he (Devil caused them to be deceived. And when they tasted of the tree their shame was manifest to them and they began to cover themselves with the leaves of the Garden".

But there was nothing that could be done. They were rebuked by

The superiority of Adam thus lies in the fact that he had the Divine spirit in him and had been granted a knowledge par excellence. All this seems to have happened in a sphere about which we know nothing. The nature of the Garden (Eden) they were kept in is also not known. This muoh we know that they were asked to live there and not to eat the fruit:

يا آدم اسكن وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكون من الظالمين

(VII - 19)

"O Adam, dwell thou and the wife in the Garden and eat from whence ye will, but come ye not nigh this tree lest ye be wrong doers".

It is apparent from this that the Garden has so much resemblance with our physical world. We can very well imagine that Adam, who was himself made from out of dust could not have been kept in a purely spiritual domin.(1) At the same time, it is also clear that the Garden does not refer to the world we live in. This is because it is a world of change. Nothing remains here eternally fresh and beautiful. The place referred to in the scriptures is perhaps an intermediary stage between the sphere of pure Sdirit and the material existence in its lowest from as we see in our world.

If the forbidden tree is not to be truly identified with knowledge of good and evil then what could be its nature? There is no agreement on this point. George Bernard Shaw holds that the apple refers to a sense of shame in man. He says that Adam and Eve were not only naked in the garden of Eden but that their "sexal relations were also normal. The eating of apple only made them conscious of what they habitually doing. "The moment Adam and Eve tested the apple they found themselves ashamed of their sexusl relations which until then had seemed quite innocent to them".(2) Dr. Iqbal believes that the eating of forbidden fruit means the sexual intercourse: Adam and Eve before this expericence had been living an innocent life, In his own this they could not be allowed to stay in the Garden. In his own words: "The fall of man form a supposed states of bliss was due to the original sexual act of human pair".(3)

Both these views are subject to criticism. From the Quranic point of view there was no nudity in the heaven, nor could there be any

---

(1) Of counse. there oppears to be a life of human souls even prior to the creaion of Adem. That was probably the domain of pure spirit wherein the creator was known to the spirits without any veil.

(2) "Prepace and Androcles and the Lion".

(3) Reconstruction of Religious thought in Islam, p. 75.

"And when thy Lord said unto the angels: Verily I am about to create a mortal from mire (dust)".

We do not know in what way the dust (tin) had been used in the creation of Adam but there is no doubt he did not have the same body as we have in this world. It could have been some other modification of physical energy of which we have no idea. But this was not all what Adam had in pre-existent life. What was most fundamental to this nature was the spirit that was infused into him. It was not a mere life as it has been said in the Bible. It was the Divine element in him for which the angels had to bow before him:

فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين

(XV - 29)
(XXX - 72)

"So when I have made him and have breathed into him My spirit, do ye fall down prostrating before him".

Even the rebel spirit (Iblis or Devil) who refused to submit to him was not altogether free from physical nature. Though in his own estimation he thought himself to be superior in his nature to man. And when he was asked to explain why he did not obey the Divine command, he replied:

انا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين

(XXXVIII - 77)

"I am better than him. Thou (God) created me of fire while him thou didst create of dust".(1)

Contrary to what has been said in the Bible, Adam, according to Quran, had been given a unique knowledge in this tate, a knowledge about which it is said that even the cherub did not possess it. The verse:

وعلم آدم الاسماء كلها

(II - 31)

"And He taught Adam all the names,(2) "refers to this. Such a knowledge naturally includes the awareness of good and evil. It seems illogical to identify the knowledge of good and evil with the forbidden fruit. The very moment Adam and Eve had temptation for it they knew it was bad.

---

(1) He forgot that both matter and fire are modifications of the same creative energy. Besides. Adam was not a mere clay there was Divine spirit in him.

(2) Was this kniwledge of names about the Divine attributes or simply it means a faculy to differentiate. is controversial.

In this verse the word "thousand" has been used, but even thousand is not to be taken literally. In another place the same word implies a fifty thousand years. Refering to the flight of angels to the Being it is said:

تعرج الملئكة والروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة

(LXX - 5)

"To Him ascend the angels and the Spirit in a day the measure of which is fifty thousand years".

What is meant is this that the world has been created in relatively indefinite period of time. This is what the science tells us.

It is pointed out in science that life is started in water then it spread on earth. The same idea is expressed in these words:

والله خلق كل دابة من ماء

(XXIV - 47)

"And Allah hath created every of water".

We are told that as a result of further development there appeared reptle-like creatures. These have been referred to in the Quran by the following phrase:

فمنهم من يمشى على بطنه

(Ibid)

"Of these is (a kind) that goeth upon its belly"

And then there were birds and mammals:

ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع

(Ibid)

"Of these (creatures) is (a kind) that goeth upon two legs and (a kind) that geoth upon four".(1)

This is how the creation took place. The Quran does not stop here; it tells us more then what science can empirically teatify. There are two aspects of Quranic Theory of creation. We are not only informed about the life in the phenomenal world but also about the existence in the domain of the Unseen. We are indeed amidst the brute facts of science but was there any life prior to this existence? If so, then what was its nature? Was it completely devoid of physical nature? These are the question whioh the Quran has attempted to enswer.

Like Bible, it says that Adam existed long before human species appeared on earth. He had a life though not beyond all physical in plications:-

اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين

- 38)

(1) Such a description of creatures goes well with that of the bible quoted on the page 26.

The Quran like Bible asserts that the world was created in Six days: (XXXII - 4).

الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

"Allah is He who created the heavens and the earth and that which is between in six days. He then mounted the Arsh (Throne)."(1)

But "the day" in the terminology of the Quran has never been taken in the literal sense. It refers to a very long duration of time:

وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون

(XXXII - 47)

"Verily a day with the thy Lord is as (long as) a thousand years of what ye number".

(Contd)

Names for such species which can be identified with the missing link in Darwinism. e.g. Nizami Arudhi calls them "Nasuas". Anoungst Muslim Philosophers, Ibn Muska waih (D 421 A.H.) was much nearer to modern Evolutionism than others. Shibli sees in him the germs of Darwinism (Ilm Kalam P. 141). He explained that the combination of primary substances first produced the minerals, which passed into the lowest form of plant life. In its highest stages it produced organisms that belong to both the animal and vegetative life. The animal kingdom in the begining exhibited only involuntary motions, then the sense of touch was developed which in the course of evolution differenciated into various senses. In the last stages of the animal kingdom such animals appeared which were erect and very near to man-kind.

Discussing the philosophy of the "Brothern of Purity" De Bore writes, "They have been presented as the Darwinists of the tenth contury, but nothing could be more inappropriate. The various realms of Nature, it is true, yield according to the encyclopaedia, an ascending and connected series; but the relation in determined not by bodily structure but the inner Form or Soul-substance". The Form, according to them, wanders in mystic fashion, not in accordance with inner laws of formation or modified to the external conditions, but in accordance with the influence of the stars. In fact, in their system the body is a matter of quite secondary consideration, The soul alone is an efficient existence, which procures the body for itself. (History of Philosophy in Islam P. 91-92).

Even if the above statement is correct they were not very far from the modern notions of evolution. Their views have much resemblence with those of the vitalists. There is definitely much improvement on the neo-Platonic ideas and the crude theory of transmigration.

---

(1) That is to say, the Throne is with reference to the things and beings that have been created.

the problem in its true perspective. We are of the opinion that for a true understanding of the problem of creation both the help of science and spiritual insight is necessary. A careful examination of both the views is therefore essential. Especially with reference to the Biblical theme, we are in need of further enlightenment. Doubtless, there are in it references to many things that cannot be testified on scientific grounds but still so many other things are clarified if one scientifically studies the divine literature. A fundamental point is that the revelation should be taken as a whole. We have no reason to suppose that the chapter on creation in the Old Testament is the last word. We get much more information from the latest revealed documents. We shall have to make use of all available information and see if the spiritual view can combine with that of the science and enlighten us in any way. From this point of view the description of creation given in the Holy Quran, the latest of the revealed books, may prove to be so valuable. It will be seen that the doctrine here is presented in an altogether new form and is evolutionary on its spirit. That is the reason why the idea of evolution was not at all new to Muslim mind.(1) Some of the great Muslim thinkers have written on this subject, but in their teaching we find no such vulgarity of the halftruth that "men sprang from monkeys". Science now-a-days is more cautious, nevertheless, it is in extreme doubt if there has been any special creation of man. But it is quite possible that the cause of his apparent supremacy over other animals is not to be seen in some external source but rather in the very nature which has produced varieties of species and has bestowed so much on man besides granting him the faculty of reason to rule over the matter. In a sense there is special creation for every organism. We might as well say that all that is, is natures master-piece. In the creation of man nature seeme to have made use of animality in order to take it beyond itself.

The Quran like all revealed books confirms the simple and generally accepted truth that the world has not come of its own, but that it has a Source which is conscious and creative principle. If the physical energy had started pouring into this world from this source at certain time then it is not unlikely that it might also disappear or dissolve after some time. If such a source exists, then what we see by our naked eyes is not all. There is much more in the Universe. That which is fundamental defies all sense-perception.

---

(1) They did not stop at showing only the marked similarities between one and the other. With the observation that the species in plant life are very near to animal world and the animals are in proximity to man, they even suggested the (See the footnote on the rext Page.)

increased control and enlarged freedom. The human body is such a new structure; and human mind is such a new power and mode of action.[1] We are told that it took about thirty thousand years for human specied to evolve. Before its emergence there was in central Europe a race of men called the Cro-Magnons, but long before them there were other species which resembled mankind.[2] None of these are now taken the ancestors of Home sapiens, the man of tody. Nature succeeded in its efforts when at last mankind appeared on earth.

The scientists have different views on "humanization" of anthropoids. 1- According to some reliable authors, the Simiidae of the Tertiary period show a distinct tendency in this direction and the morphology of the hody of species (Drypithecus, Sivapithecus) is considerably nearer to that of the human beings than the morphology of the anthropoid apes living to-day. 2- According to others the Eoanthropus of Piltdown (Dawn man) derives directly from the Propliopithecus of the Oligocene or Eocene (Egypt). This primate would therefore be common stock from which the branches leading to the actual primates and man emerged about forty or fifty million years ago. 3- Some other authors believe that the common ancestor is even more ancient. The truth is that nothing positive is known.[3]

Vis-a-vis these considerations those who believe in the Biblical version have also modified their views. They now admit that the value and purpose of scriptures is not scientific instruction, but its moral and spiritual influence. We have no right to except that they should anticipate a scientifically accurate discovery of the method of creation than we have to demand that it should contain statement of the Copernican system or Newtonian Laws of gravitation.

The problem as it appears, is not so simple.[4] The differences are so obvious that one cannot accept both the views at the same time, or else we need a clear guidance. The plausibility of the scientific view is undeniable. If religion insists that its view is correct then it will have to justify its position. But the little attempt has yet been made to see

(1) Ibid. p. 147.

(2) The Java man, Heidelberg man, Neanderthal man, Piltdown man, Rhodesian man, and Pekin man have all been defined as tentative man and are not counted among nature's successful experiments.

(3) Human Destiny, p. 76.

(4) Dr. Iqbal has rightly pointed out that "the theory of evolution has brought despair and anxiety instead of hope and enthusiasm for life to the modern world" (Reconstruction of Religious thought P. 115). The reason is that in the light of modern theories of evolution old optimistic views of religion have been underminded. The substitute is poor Science does not lead us to any definte conclusions on the main points. The trend is rather materialistic.

organizations, which work mechanistically. He tries to prove the existence of a non-spatial organization by referring to such organizations as that of a sonata which is physical though not material.

Scientifically speaking, we are not in a position to say definitely if there can be life without matter. But if it is be considered as something infused into matter from the very begining, then it means that there is higher reality which makes use of both matter and life. Such a hypothesis appears difficult to be reconciled with facts of science and is evidently in need of clear guidance. If there is a God then how and why God created this world. Science itself will not be able to decide the issues unless there is a clear metaphysical insight.

On the other hand, if it is said that life has been introduced on this planet at a certain stage of material changes, then we are led to believe in two different independent entities of life and matter. Since matter now a days is considered as a dynamic reality, the belief in yet another dynamic but mystical force of life does not seem to be very helpful. It is believed that this mystical vital entity does not explain anything. Vitalists first suppose an entity and then all that we see in life and consciousness is attributed to it.

A contemporary view on this problem is that matter is composed of neither mond nor matter but of a sort of newtral stuff more fundamental than either. Others are of the opinion that it contains both mind and matter and perhaps other things as well. But such stuffs either tend to the one or the other of the above mentioned hypotheses, or remains as an unknown third entity more mysterious than the other two.

From these discussions it is apparent that the question concerning the origin and nature of life, is still very puzzling. The general trend is now to admit that both mechanism and vitalism have some truth in what they say. We are asked to treat organic and inorganic as one. It is believed that "there are no new materials and perhaps no new forces at work in the living cell. But it seems as though there are present in nature's depths 'formative influences struggling up to freedom', impulses and urges towards organization - and towards relations which for want of a better word we may call social.(1)

Evolution is described as a "process of organisation, tending to increase complexity and integration and to increased definiteness and stability, issuing in new structures, thus giving to the world new aqualities, new powers, and new modes of action, all leading to

---

(1) Introduction to Philosophy, p. 118.

I see no analogy(1). "Besides, it is difficult to reconcile the repudiation of every form of vitalism by the Emergentists with their idea that Directive activity of God makes the emergent emerge.

For the exponents of the doctrine of emergent evolution, there are two ways open, either they would have to agree in repudiating even the immanent teleology of Bergson's 'Elan vital', or else it would follow that teleological causation is but a disguised form of mechanistic causation. But purposive intelligent action implies always a considerable degree of organization. It would be absurd to attribute teleological action to electrons or any other premordial unevolved stuff. There has been, not-evolution of Mind from the physical realm, but evolution of mental capacities according to the fundamental laws of mind. Cognition cannot be legitimately regarded as evolved or as emergent out of same events or some functions that have nothing of the nature of the cognition. Where there is life, there is mind. Though it may be very simple form of mind. Pure evolution is only in the organic world, which exhibits a progress of organizations in respect of complexity and efficiency.

According to new-Darwinism organic evolution has been purely mechanistic, however emergent. According to Lamarkism, mind or teleological activity has been a guiding influence without which there could have been no evolution. If the Biological Materialism were true, namely the assumption that all vital organization is material, Lamarkian transmission could not occur. How can mechanism through which any modification of form or function acquired by the adult organism, impress itself upon the germ-plasm? In matter there is no memory and therefore no evolution.

In the end McDaugall concludes that the whole doctrine of emergent Evolution has been devised just in order to bridge or to distinguish the gap between the physical and the mental by importing some of mind into physical world. 'We must be content with a provisional dualism, however repugnant it may be to our aesthetic preference".(1)

What kind of "Provisional Dualism" does McDougal suggest us? For the working of the mind, he postulate a kind of organization that is physical yet not material. To this he gives the name of psychō-plasm; it consists not of material protons and electrons but of some other modification of ether. It is, therefore, physical though immaterial(2). It works teleologically and is nonspatial, as opposed to spatial

(1) Modern Materialism. p. 129.
(2) Ibid. p. 156.
(3) Ibid. p. 103.

Professor William McDaugall has tried to repudiate this doctrine. Criticising Mr. A. D. Broad who praising the doctrine of Emergent Evolution had said, "The link connecting the properties of silver chloride with those of silver and chloride is so far as we know, a unique and ultimate law, which could not have been discovered only by studying samples of silver chloride itself." Mc Dougal writes' "It is clear that, in the instance cited by Broad and many other similar ones, many of the properties of the compound could have been predicted from the knowledge of silver and chlorine and such compounds as silver bromide etc. If no samples of silver chloride had been available for study, its weight, its crystalline form, its solubility, its general properties as a metallic salt could have been predicted.

It is for the emergentists to point to specific instancse of what they regard as emergent qualities in the physical realm, and this they neglect to do. It is implied in their doctrine that in such elements as chlorine and silver there are properties that remain latent and undiscoverable until the two elements enter into combination; and then those latent properties are manifested in the emergent. In view of the fact that chemists have been able to predict the existence and many of the quaities of elements never actually observed, this claim of the emergents seems ill-founded(1)". It is said that hydrogen after combining with oxygen in a peculiar reciprocal active or causal relation, prouces a liquid compound: water, then it would be said that liquidity is not the attribute of water only, under certain physical conditions hydrogen and exygen are themselves liquid and H_2 O a gas. This solidity or liquidity of compounds, even though it were unpredictable before the event, becomes inteligible and explicable thereafter. All physical combinations are interchangable. Water can be resolved into hydrogen and oxygen, and again, from oxygen and hydrogen water can be formed. This cannot be said of organisms.

There is no reason to believe that at any remote time changes of the kinds now going on in physical world did not occur. Nor can it be said that the physical world in general or any part of it has gone through any process of change in some direction that could properly be called evolution. Explaining this view Mr. Daugall writes, "Our island of matter, the steller universe is approaching a condition in which all the matter will be collected in one solid mass at zero temperature. This history when completed would be one of a process of change in a certain direction. But would it be the history of evolution? In what sense would it be analogous to organic evolution?

(1) Modern Materialism. p. 126.

of a special cause, added on to what we ordinarily call matter, matter in this case being both an instrument and an obstacle. It divides what it fefines. We may conjecture that a division of this kind is responsible for the multiplicity of the great lines of vital evoluaion"(1).

In his "Creative Evolution" Bergson attributes the quality 'La Durée' (Duration) to organism. There is in them a continuous change and a progress of the past which grows into the future and which swells as it advances. Each moment something new is added to it. Bergson refutes both mechanism and the doctrine of pure finality, because in both cases the creation of life is supposed to be predetermined whereas, there is a creative spontaneity in the indivisble acts of life.

Lloyd Morgan tries to take a middle course between mechanism and vitalism. According to his doctrine of Emergent Evolution physical forerunners of matter become arranged in various systems and from elements oxygen, hydrogen, sulpher etc. That is one great step. The qualities and properties of these elements are emergents. They are new in the world on their first appearance.

These elements combine with one another in various ways. Oxygen combines with hydrogen and the properties of a molecule of water emerge; water with all its peculiar qualities and properties is an emergent. In the combination, potentialities previously latent in the hydrogen and oxygen have become actualized, with the consequence that the molecule of water exhibits qualities not exhibited by, nor discernible in hydrogen or oxygen in their pure state.

In a similar way, every element combines with different elements and forms a multitude of chemical componuds. 9fter a period of such chemical emergence there came a great step forward. Some systems of atoms attained a new degree of complexity and life emerged. "Life" is the work with which we sum up the peculiar qualities that emerged on that occasion. There was nothing added from outside the system; no new clement catered it. As the new intrinsic relations were established, the system began to exhibit the complex properties that we call 'Life'.

New complications rendered possible further new kinds of correlation and there emerged sentience, the forerunner of that which is called mind. After further complications mind appeared. Thus, this process continued upto the emergence of the higher forms of intellect and moral personality.

---

(1) Morality and Religion pp-29-93.

of materialism. If matter is "something infinitely attenuated and elusive" and a wave of electricity undulating into nothingness, and "merely a convenient way of collecting events into bundles", then materialism is as mystical a doctrine as any other mystical dogma.

The Vitalists come to fill up some of the gaps in the doctrine of materialism. They show that the Physics-chemical theory of life is unsatisfactory and point to the two different realms in nature:- that of physical activity and vital activity. Organiam to them is not mere aggregate of matter, nor is it a machine. It differs from any machine in its greater efficiency. It is a self repairing, selfpreserving, self adjusting, and self producing engine which is perfected by experience and trades with time, hence it is not an engine.

Dr Hans Driesch says that the interpretation of a living creature as a machine is invalid both in regard to its functioning and its development. He seeks to show that it is necessary to postulate an immateral autonomous factor or "Entelechy" which stresses the transformation of energy that goes on within the body. This entelechy is the inner most secret of living organism, and its directive soul.

Bergson thinks that there is an impetus of life which rushes through matter and disperses itself on its way. He reminds us that the physico-chemical explanation of life is unsatisfactory. "Some may maintain", says he, "that the passage from one species to another was accomplished by a series of variations, all of them accidental being preserved by selection and fixed by heredity. But if we reflect on the enormous number of variations, coordinated with, and complementary to one another, which must take place in order that the organism shall benefit by them or merely not to be injured, we wonder how each of them taken separately, can be preserved by selection and wait for others which are to complete it". "It is not the mechanical action of the external causes", he preceeds, "but an inward impulse that passes from germ to germ through individuals, that carries life in a given direction towards an ever higher complexity. "He compares matter with a heap of iron filings in which the hand of life moves. In his own words, "An invisible hand thrust through a heap of iron filings would merely brush aside the resistance encountered but the very simplicity of this act, seen from the point of view of the resistence, would appear as an alignment made in a deliberate order of the filings themselves: Now, is there nothing to be said concerning this act and the resistances it encounters ?If life cannot be resolved into physical and chemical facts, it operates in the manner

and the anthropoid apes; their physique is closely similar. This evidence is the same as that used to substanciate the general doctrine of evolution.

What are the causes of the origin of species? There are different theries:-

It is said that the changed conditions may directly influence the whole organization of the creature or certain parts of it. Its direct result is variation. Functional peculiarities of an organism, use and disuse of organs also cause these variations. Darwin talks of the importance of indivioual variations which we see between parents and children, brothers and brothers; when these slight variation are accumulated and successively repeated they give birth to new species. De Vries believes that these have nothing to do with the origin of species which appear all at once by mutation, without any visible preparation and without any obvious series of transitional forms.

Heredity also plays an important role. It is no longer thought that it is a mere power or principle, fate or force but a genetic relation which is sustained by a visible material basis, namely the germ-cell. In it lies the tendency to persist, i.e. like begets like. Similarly in it lies the tendency to diverge. Changes in the degree of use and disuse of a part, produce an inherited effect. This is hereditary relation; it includes both continuence and change.

A continual process of adaptation of creatures to their surroundings, is also a fact. They adapt themselves to their food and habits, sexes to one another and so on.

Natural selection preserves the favourable variation and destroy injurious ones. There is a continual struggle for existence between individuals and species. Individuals having any advantage over their fellows would have the best chance of surviving and of procreating their kind. This is called the survival of the fittest.

There is no satisfactoy ;answer to the question "What is the fittest"; Darwin admitted that it is extraordinarily difficult to say precisely why one species has been victorious over another in the great battle of life. It is possible, he says, that man arose as a mutation, as an anthropoid genus, but admits the factors that led to his emergance are all unknown. Darwin even confessed his ignorance about the laws of variations. The internal unity of an organism, the manifold chemical processes that are correlated and controlled in a unified behaviour, are still far from our knowledge.

The present scientific trend is not very favourable to the hypothesis

time is very short. The period or human life in relation to a biological scale of time, is very short. It is estimated that period if life upon the earth from its earliest appearance in the shape of specks or protoplasm floating in the tidal scum of the shores of the earth's first seas, is roughly about twelve hundred milion years.

It is suggested that in warm waters of the proterozoic seas anything from six hundred to sixty million wears ego, there were amoebas and there were jellyfish. The earth grew cooler, and life left the waters and proliferated into enormous reptile-like creatures, the dinosaurs and gigantosaurs of mesozoic age. Among them there could have been the human gterm as well in the form similar to those of sandworms which continued to evolve because "it was less adapted" than the others and probably possessed an aptitude to evolve.(1)

When the earth was still cooler there appeared birds and mammals. Among them was a small lemur-like creature whose descendents split into two branches, the one developed into anthropoid apes, the other calminated in man. The past of human life from Neanderthal man upto the present day is about one million years; of civilized human life, about four thousand years.(2)

All Mechanistic biologists agree that life started from matter, though until the earth cooled and consolidated, it was quite unfit to be a home of life. At some uncertain but unconceivably distant date living creatures appeared on the scene. Some of the evolutionsts believe that the germ of life came to the earth embosomed in meteorites. The majority of them are unanimous on this point that life is as old as matter and that living beings evolved from the inanimate.

Life in its simplest form appears in the single cells that are physiologically complete in themselves. Then the nucleus divides over and over again and forms loose colonies. Then, as evolution goes on, an internal unity develops. The centralization of the nerveus system develops for a unified control of the whole organism. Plants and animals are alike in fundamental structure being built up of cells and various modifications of cells. Minerals evolve; plants grow and live; animals grow, live and feel. The real distinction of man from his nearest allies, depends on his power of building up general ideas and of controlling his conduct to these ideas. For man's origin, we should look into an ancestral type common to him and to the higher apes. There is an all pervading similitude of structure between man

(1) Lecomte du Nouy tells us that this worm may have been our ancestor. (Human Destiny, p. 70).
(2) Guide to Modern Thought, p. 85.

forbidden fruit so that they might for ever remain there like gods knowing everything. She yielded to the temptation and also beguiled her husband to partake of it. When they both ate of the fruit thereof, as a result, their eyes were opened and they knew they were naked. Because of this disobedience, they were banished from the garden and sent down into this world where woman shall bring forth children "in sorrow" and man shall eat bread "in the sweat" of his face.

According to the modern findings this statement has its origin in the cosmogonies of other early races, especially that of Babyonians. Despite their fantastic mythology that contrasts with the sober Biblical narrative, it has instructive comparisons with Hoberw story of creation

Both accounts begin with the chaos of darkness and water; each records the division of the chaos of waters into two parts by a firmament; each epeaks of light as existing before the sun, moon, and stars. Eden, Sacred tree, and the cherubim all have their analogies in Babylonian mythology.

We shall be wrong to conclude from this that it makes the Biblical statement doubtful. A person who is interested in truth, will be glad to acknowledge it in whatever source it is found provided it is truth. But unfortunately the theory as it is given, appears to be not in confirmity with the truth. The main objection to this theory is this that, in the light of modern scientific researches, it is unbelievable to thing that the world has come into existance in a short duration of six days. Besides, it is not clear what is meant by the Garden. Where was it? Was it in this world or in some other sphere? What form of body was given to Adam and Eve? What was the nature of that fruit which was forbidden to them? Did they live in ignorance of good and evil before they ate that fruit? Who was the serpent and what did he gain by deceiving them? We do not find any satisfactory answers to these questions. In contrast to this the modern theories of evolution based on historico-empirical grounds. No sooner the scientists started formulating their theories than the Biblical version appeared to be more and more absurd. For a true understanding of the problem it is essential to examine their views and see if they satisfy us.

Despite so many discoveries of modern times, scientists themselves admit that they find themselves unable to solve the riddle of the uiverse. No one is still in a position to show definitly how the universe came into existance or in what way the life started in this planet of ours. But there is a unanimity on the point that the life of our planatary system, judged in relation to an astronomical time scale, is very short. The period of life upon earth, as compared to a scale of geological

we do see some of the Greek philosophers teaching the development of the species. However, it did not accur to them that the universal phenomenon of development has a deeper significance. With all their intellectual subtleties they were far from these evolutionary notions.

The only thinker of antiquity whose world picture can be developed into a theory of evolution was Plotinus. He believed in a continuous chain of life, in a hierarchy of Being emanating out of the One. Naus is the first manifestation of the image of the One; it is engendered because God in His self-quest has this in Vision. Soul is the lowest member of the hieraachy and the author of all things. There is a continuous movement and a circle of beings, each one rising from the lower to the higher and reverting from the higher to the lower.(1)

The teaching becomes monotonous when Plotinus puts forth the idea of eternal repetition of an infinite series in similar world periods. It did not occur to him that there is such a thing as the transformation of species. This shows how Philosophy unaided by scientific data can be a misleading guide. Whatever seems to be true in his scheme of Emanation and Return from and into the Primeval and Eternal One, is mostly due to his mystical insight.

The Biblical story of creation, despite its apparently inadequate explanation, has its own merits and deserves a careful considertion.(1)

In the beginning, we are told, God created the heaven and earth. It took him Six days to finish His work and he rested on the seventh day. The earth was without form and void and there was darkness upon the face of the deep. Then God said: 'Let there be light' and there was light. He then made the firmament and gathered the waters together. Then dry land and grass, the herb yielding seed and fruit trees, were brought forth. After which moving creatures and fowls appeared and then there were cattles, creeping things, and beasts of earth.

Man was created at the end. He was formed "of the dust of the ground" "in His own image". Ged breathed into his nostrils the breath of life and put him into the garden of Eden. He then took one of his ribs of which the woman was made. Of every tree in the garden they could eat but of the tree of knowledge of good and evil, they were not allowed to eat. There they lived naked and were not ashamed. The serpent then beguiled the woman and advised her to eat of the

(1) History of Western Philosophy. p. 313.

(1) Some of the views that have been elaborated here are those that I have expressed in my paper which was read in the XII International Congress of Philosophy Held in Venice (Stpt. 1958).

of experience that many a man whose conduct is meritorious, is oppressed with poverty and pain. And how can we explain, they add, the great sufferings of innocent infants and harmless animals? Hence they maintain the doctrine of transmigration of soul, and say that the bad man who lives in comfort must have been eminently virtuous in a former state of existence and now is reaping the reward of his virtue. When a good man suffers afflictions, they conclude that in a former state of existence he was sinful. Infants and beasts according to this doctrine, undergo punishment for the offences of which, in a prior birth they were guilty.

Long before the theory of evolution came to be accepted, this doctrine was subject to a severe criticism on the ground that proving the eternity of soul in this world is as impossible as proving the eternity of matter. Seeing that everything is perishable, the only altenative is to believe that both the soul and the matter have come from some other source. It is a legitimate question to ask how the first creature that appeared in the world is to be explained. It cannot be supposed that it assumed its primitive form as a result of its good or bad deeds in a previous life. Its sufferings are not in any way related to its past generation.

It cannot be believed that animal life which is all interrelated exists from eternity. Instead, it is easier for human mind to think of yet another life beyond material existence. Those who believe in such a life hold that the happiness or the misery in this life is not the sole criterion for judging a man to be good or bad. The well-being or perdition in the other life beyond the physical realm might be more important. If a good man suffers or a bad man enjoys life, it matters little. The total happiness is to be always in view. The theory of transmigration not only asserts that a good man who suffers in this life was inherently sinful but it also claim that a man, as a consequence of his deeds may be born next time as a quadruped or a worm. If this be the case, then cruelty may be attributed to God. However good or bad a man may be, man's very nature abhores to be in that state.

Despite these difficulties in accepting this theory, we see in it human mind coming very near to the idea of evolution. This theory suggests in a way the idea of transmutation of species. But there is little room for the creation of new forms of life; all the succeeding life experience is the result of the deeds or misdeeds in previous life. Moreover, the idea of spiritual progress is there, and the goal does not seem to be not in confirmity with a consistant philosophy of evolution.

The idea of evolution is thought to be purely a product of modern scientists and thinkers. But there is no doubt that even in ancient time

The problem of creation is one of the most important problems of science and philosophy. The theory of evolution has caused a revolution in the history of thought, though it is true that its propounders have generally dealt with the "how" of evolution and not with the "why". And even when the evolutionists deal with how, they are not unanimous in their verdict.

The literature that has come down to us from the past generations contains more or less different cosmogonies coloured by religious or theological presuppositions. It is generally thought that the old traditional notions of Jews, Chistians, and Muslims, point to an immediate ex nihilo creation of the world. During the latter half or the 19th century many attemnts were made to reconcile the facts and theories of science with the creation narrative of the Book of Genesis, but such adjustments were recognized as impossible and unnecessary.

Nevertheless, it should be borne in mind that before the exposition of evolutionary theories these same traditional notions appealed to many people in the world. The theory that could rightly be said to rival it was that of the tranmigration of soul which is linked with the Greek philosopher Pythagoras. But is obviously much older than his time.(1)

A consistant doctrine of metempsychosis is to be mound in Hindu philosophy. Souls they hold to have existed from eternity, each diffused throughout all space. If we do not accept this doctrine, say the advocates of these systems, it follows that the soul must be perishable. It is argued that whatever had a beginning will have an end. If a soul once began to be, it will at some time cease to be.

It is also pointed out that, in case we do not accept this doctrine, the imputation of partiality and cruelty must be attached to God. Almost all men suffer misery and misfortune. There must be some reason for it. It is not enough to say that it is because of sins that have been committed in the current state of existence; for it is matter

---

(1) Hindus in India and Chams of Indo China have long believed in some such doctrines. Similar views are also to be found among some tribes of North America, the Philippines, Sumatra, and among the Negroes of West Africa.

MODERN THEORIES OF EVOLUTION AND THE PROBLEM OF CREATION IN THE HOLY QURAN

by

Professor K. M. Jamil, M. A. (Osm.), M. A. (London)
Docteur es lettres (Paris)

Arts College,
University of Baghdad

The persons in the government who have influential position, are also within this group. The old families who are influential and enjoy excellent social standing in their communities and have good relations with the ruling class. Some lawyers, doctors and other professional persons also included.

2. The middle class:

Those are the small producers, the majority of the officials in the government, most of the educated class, the lawyers and the doctors in general.

3. The lower class:

This class is composed of farmers, laborers, small owners of property and forms a high percentage of the total population.

The higher classes in the northern part of Iraq in relation to the common class, specially in the villages, constitute a caste system if we consider the situation from the standpoint of social change; the status of the farmers in the northern part of Iraq and in some other areas in the South is still much of a rigorous type of slavery.

During the past few centuries, there has been no change in the general condition of the farmer class. They are still the neglected class in the country.

If there are different groups in a society with much differentiations in every aspect of their lives, therefore, it is apparent that this society is made up of social classes.

In order to discuss and to analyze the social differences among these classes, it is necessary to consider the social structure of Iraq in relation to its agricultural nature.

1. The nomadic tribesmen community
2. The rural community
3. The urban community

Under these considerations it is easy to say that socitey in Iraq is made up of a broad social classes:

1. the lower
2. the middle
3. and the upper.

One of the difficulties in the attempt to delineate social classes has been a lack of agreement as to the criteria of a class. A man in a social class is determined by different factors:

1. By his participation or association with groups as reported by his acquaintances.
2. The occupation of the individual in his own community.
3. The sources of the income and the type of home and area in which he lives.
4. The historical status of the family in the community.
5. The formalized status, the affiliation of the individual to the ruling class.

Generally, these are the criteria by which we can approach the social classes in Iraq.

1. The upper class:

The upper class is composed of the large merchants, the land owners, the owners of the important means of production.

3. Another group which possesses the large real estate properties, the ownres of large farms. This group also includes the owners of companies, and it is considered almost the ruling class and their followers. This group represents the upper class in society.

It is obvious from the foregoing that, there are different groups in the urban society in Iraq and they differ in various aspects. Consequently, it is safe to say that, whether the urban society is considered as one group or not, there are social classes within this group. The question which should be saked than is, what is the social stratification in Iraq?

III. Social Stratification in Iraq

Despite the democratic principle which is expressed in the constitutional law in Iraq all men are free and equal, social classes exist in Iraq. A widely observed phenomena, which may be considered as a rule is, that the overwhelming majority of individuals remain in the classes in which they were born. To stress the fact that some of the ministers and a considerable number of persons who run for higher office in the government are of humble birth. While there has been some shift in the socio-economic organization of the community through the last three decades, the social class situation in general remained much the same, specially in the northern part of the country and some parts of the middle and southern areas. There has been some shifting of jobs or shift in economic status or in formalized status without shifiting in the social class itself.

Up till now there some families who are considered by the community as the upper strata. They do not permit their members to marry outside the family; they still adopt marriage within the family. The old families permit their members to marry from another family which has the same status and reputation in the community. But at the present time this has slightly shifted. Some people who could get formal status, either by education or by wealth, can find an opportunity to marry from the upper class, but this is not wide-spread yet.

I. The Caste system in Iraq:

The observer may find the Iraquian society unorganized not only along class lines but along caste lines as well particularly in the northern part and in some parts in other areas.

The fundamantal rule is that, farmers have no apportunity to marry tfrom he urban society. It is also a rule that the shaike does not marry from the common class. Also the common class has no apportunity to marry from the highes classes.

All societies provide some opportunities for social mobility; that is, a change of social status, either upward or downward. But the factors which produce this mobility varies in different societies in respect to the differences of the cultural and social values. It also varies in time and place. Where this is the case society is said to have an open class. Elsewhere there is little shifting. Individuals remain a lifetime in the class into which they were born. Such classes are closed, and if extremely differentiated, constitute a caste system. When a class is somewhat strictly hereditary, says Cooley, we may call it a caste. Under this basis we will attempt to explore the social aspect of social mobility, class and caste in Iraq, specially in the urban communities.

It appears to us through the analysis of the social classes in tribes and in rural communities that, the members of the tribes and the members of the rural community have the same status and the same opportunities in their communities. There are no differences in the status of the members of the group. The only distinguished member among them is the shaike or the mere, who is the leader of the tribe. The status of the leader is on a high level among the members of the tribe. This position is passed on by heredity-the elder son of the shaike inherits his father's position in the tribe after his death.

Therefore, under this criteria, it is safe to say that there is caste system in Iraq among the rural and tribal communities, because the leader and his relatives enjoy complete authority over the tribe and maimtain their privileges by heredity. In the meantime this caste is recognized by the members of the tribe, and there is no opportunity for any member in the tribe to becoma a shaike or leader of the tribe.

But the situation is thoroughly different in the urban commnities, because the urban society is more complicated and social differences among different groups are the charcteristics which overshadow the various aspects of the social system.

In this community, there are different social groups, and they differ in various aspects:

1. Some groups which have little opportunity in life. 8hey are very poor economically and remain in the class in which they were born. They are illiterate, have no opportunity for education, no opportunity to marry outside their class. These are the most characteristic features of the lower class.
2. Another group is one which possesses a certain amount of wealth or a considerable amount of the means of production. This group has a different social status in society-better than those in the lower class. This group consitute the middle class.

to secure the majirity in parliamant from their followers. They interfere directly to ascertain their own purposes. This is one of the major reasons which contributes to the growth of the conflict between the ruling class and the population.

The people believe that their problems, their troubles will come to end if another set of persons will run and administer the authority.

The ruling class, in order to keep their influential position, will resort to any means by which they may keep their position.

It is known that the ruling class always claims on the occasion when social problems are manifested, that the behvior and attitude of the people is a criminal behavior, that it is it is consideres an attempt to chan go the political system. The is not true, because there is no scientific knowledge to be used as evidences to prove these points. It is more logical to interpret these phenomena in terms of the social forces which are exerted upon individuals and groups to search out a solution for their problems and to find out the best possible means by which their lives may be inproved.

The average man in society is more interested in the funtion of institutions rather than in its structure. The structure of institutions does not mean anything to the average man, only when the function of the institution is directed against his interests and affairs. Injustice, exploitation, poverty and the like are significant aspects of the social disorganization behind which lies the danger of social conflict between varions classes and social instability which impedes and prevents social advancement of society.

Those who benefit from injustice and corruption are a small minority in society while the majority of the population suffering from insufficient income, unemployment, deprivation of chances in life, are great. Those who streggle for survival should be given mush attention and care. the government and the ruling class should realize the fact that, the attitude, the behavior of the groups and the pattern of their thinking is the counterpart of cultural and social factors in the social environment.

5. Social mobility, Class and Caste:

It is a general observable phenomena in every society that a child at birth automatcally becomes a member of the social class of his parents and ordinarily remains a member of this class throughout his lifetime.

The educated people are met with much favor by the community in some urban areas. At the present time, it is known that the educated class in the country are inclined to vote for persons who are not governmental candidates, because the educated classes and other classes in society lost confidence in the ruling class, whether the ruling class is in authority or outside the authority. Most people do go to the election, because they believe that the election will not be free. Consequently, their vote will not be respected. These reasons create in the course of time a feeling of grudges against democratic rules indirectly, because when peolple hate something, the reaction of that feeling reflects in their attitude and in their pattern of thinking. The will the general public and behavior. Poor classes in the urban communities usually have nothing to do with elections. Some of them do, though, hoping that those persons will reward them after they win the election by offering them certain services or defend their affairs in the government.

The majority of people in the urban society believe that the condidotes of the election do not represent the rights; in the past the people used to believe that the members of parliament represent a caste or a part of the ruling class who are not interested in the people's affairs, but only in their own interests and affairs. This created a critical conflict between the population as a whole and the ruling class. Sometimes this conflict took a very critical and serious shape and developed into great clashes and revolutions, years specially during the last fiftem from 1940-1953.

The analysis of the great strikes and demonstrations which contributed to the revolution during 1947, 1952-53, which resulted in the replacement of the Cabinet by another, reveal significant facts. That the demands of the people centered around two important points:

1. The abolition of the law of tuition in colleges and in schools in order to make education free for all.
2. The amendment of the law of the election to permit free elections and to minimize the possibilities of the governmental influence through its interference.

These two purposes were accomplished by the new Cabinet during 1952-53. This reflects a feeling of the general public in society that people realize the facts which lie in constitutional law. This fact is that people want to pratice their right in the election as it is drawn by constitutional law. In other words, they want to practice their under democratic ways to elect persons in whom they have confidence. The government and the ruling class endeavor to direct the election on different bases in order

among the sociologist is that; classes are broad groups Between whom there exist barriers to intimate association; moreover, classes differ in their opportuhities for education, recreation, and the like. They differ also in what they learn, how they behave, and their reaction to the world around them.

Scientific knowledge derived from empirical research dealing with such kinds of social matters are not available at the present time in Iraq.

But general observation to actual practice as it exists at the present time reveals certain facts as far as the foregoing issues are concerned.

1. How people vote in an election? In order to arrive at a general conclusion concerning the pattern of thinkng of the people during an election and the ways of the vote, it is necessary to point out the principles of constitutional Law in Iraq as far as constitutional rights of individuals in an election are concerned.

Constitutional law secured the right of the individual to vote in an election. The individual can choose the candidate whom he wishes, and every person under certain qualifications has the right to vote for the person whom he wishes. In constitutional law it is stated that elections should be undertaken without any interference or influence from the governments. These are general constitutional rules which regularize the right of the election. Theoretically, constitutional law represents and implies democatic principles which are familiar in democratic countries such as the United States and England.

Practically, there is a great deal ot discrepancy between legal aspects and pracitical aspects as it exists in practice at the present time. Since the farmers and the tribesmen are mostly illiterate, and they have no idea at tll conerning the election, it is quite evident that the election does not mean anything to them. It is the government which dominates the election for the interest of its candidates. Usually the persons who win the elections are the shaikes of the tribes or someone who belongs to the ruling class.

Actually, there is on evidence upon which we can draw a clear cut idea about the ways of thinking of the people in the election, because freedon in the election is absent. But it usually happens during the election that some persons are very much opposed by the government while without any governmental interference, they con easily succeed to win the election.

The educated class in the country who are indepeneent of any political affiliation to any political party are usually oppesed by the government.

of research has not yet been taken. However, it is very probable that the number of deaths among the poor class is very high, because the income of the poor class is very low. Often the income does not reach the minimum amount of day to day living. The poor class member is not able to offer any medical care for his children. The only chance available to him is to take the child to a public hospital where the standard of medical treatment is very low.

In addition to this, the individual from the poor class cannot offer the required diet for their children, and another factor may be taken into consideration-that the poor classes live in crowded houses where sanitation conditions are completely absent.

It is apparently obvious that the number of children in the lower class families are three and four times more than in the middle and higher classes. In such cases it is impossible for a man of the lower class to offer and to fulfil all the needs of his children. It very seldom happens that a son of a poor person continues his studies up to the college level. Most of them quit ofter completing primary school. Some continue on to high school, but a very small percentage continue on to the college level. Sometimes it happens that a preson from a lower class with excellent mental capabilities can continue through high school with high grades. In European or American universities, he would be able to get a governmental scholarship in order to continue his higher education. From the foregoing it is clear that the lower class has a very limited chance in education.

It is well known that the sons of the poor class leave their studies at an early age in primary school or sometimes during high school; not from a lack of their mental capacity, but under the pressure of financial conditions which are exerted upon them to leave school and to seek a job in order to maintain themselves or in order to support their family, suffering from a shortage of income and from the misery of poverty.

As a matter of fact, there has been no data on infant death rates in Iraquian families classified by social classes or by income, but it it generally true that by the utilization of the method of logical reasoning, deduction or induction, a general conclusion may be drawn from the social analysis of various aspects. This conclusion may indicate some tentative facts. These facts reveal a wide discropancy in income, life chances, and in the infant death rate among different groups in the urban community in Iraq.

4. Group differences in behavior:

The general principle in sociology which meets general agreement

from his affiliation to a particular group, a particular family, or a particular class, such as the ruling cltss, who represent some of the families in Iraq or some of them represent a particular group affiliated to a particular authority in the country.

2. The social significance of formalized status:

The most important status in the urban society in Iraq is the formalized ones. The group as a whole is vastly more concerned with the business of every day living and its role than with whom should fill this role. Society in the urban community is less interested in the individual than in the position with which he occupied. This is a generai phenomenon which has certain exceptions in relation to the educated class in this country. The educated class, however, forms a particular class, has its own characteristics, values, and attitudes. It is of course possible for a man to have a great reputation as a scientist or a scholar. Then this status has a great effect in the chances of the individual to move upward to the higher class, because it is a widely observed phenomenon that the professional status of the individual leads to the promotion of his social status, even though the person who has a respected professional status belongs to the lower class.

The professional status of the indivdual sometimes determines his social status, specially when his professional status is a profitable one. In such cases the financial ability of the professional status which is correlated with a high standard of living and with social acceptability raises up the individual to the level of the higher class. The economic factor and the financial aspect should be considered as major factors in social mobility and favoring factors in the grouth of social classes in the urban societies in Iraq.

3. The life chances of different groups:

The general principle in sociology is the significance of the class system. This lies partly in the fact that it determines the social rewards of people, the members of a particular class has more or less the same life chance-that is, the same probabilities of securing the good things of life, such as freedom, a hogh standard of living, leisure, diference, or whatever things are highly valued in a given society. If we use this principle as a criteria for the measurement of the differences in life opportunities among the different groups in Iraq, we find that the analysis of the sosial situation reveals a significant difference in life chances among the various groups in the society.

The chances of surviving the first year of life for the avearge baby born in a poor class Iroqian family is not known, because such kind

a distinction may be made among the different classes in the urban community. However, an attempt should be made in order to find an objective criteria to measure these classes. In such cases, deduction and induction methods are indispensable. The safest guide to depend upon in such cases where empirical social research is lacking is to use general principles concerning the social classes as is generally accepted in the field of general sociology.

The basis which might be used as a guide for the analysis of the urban society in Iraq require the formulation of a criteria to measure the social differences in this community is by using the deduction and induction method.

In order to approach the problem by sociological analysis it is necessary to analyze and measure the differences between the different groups under the following Basis:

1. Social status
2. The social significance of formalized status
3. The life chances of different groups
4. Group differences in behavior
5. Social mobility
6. Factors favoring the growth of social classes

1. Social status

In the two communities which have been mentioned before, the tribesmen community and the rural community, it appeared that the same indivduals participated in all the groups. The individual in such community where primitiveness charcterizes the life of the community, have only one status. From this conclusion we arrive at a definite result, that is: "There is no social class in these two communities in Iraq", with the exception of the leaders who form a distinct caste among them.

But the situation is quite different in respect to the urban communities where life is more complex. In the urban community we find different groups, and the individual has as many statuses as he has group affiliations. For example, a person belongs to a particular family in an urban society and enjoys a high status in the community may enjoy high status from the professional point of view, but, from the social point of view, he may not enjoy a high status among the group in the community. Class status seems to overshadow all other kinds of status. Most people in the urban community prefer to be identified with the upper class, because it is correlated with a higher standard of living and with social acceptability. The status of the individual at the present time in the urban society in Iraq is derived

from the rural area, specially to the towns and cities. The high rate of migration occurred during the wears 1942-50 where lobours was available in the towns and cities. In the towns to which this class migrated the group resided together on the fringe of the city or town. Most of them migrated from the southern parts of Iraq, and some of them came from the northern parts.

Those who migrated from the southern parts did not join the community but establishad a new community outside the society to which they migrated.

The farmers who left their lands and migrated to the towns and cities created a very complicated social problem at the present time. Since they could not accustom themselves to the new enviroment, they isolated themselves to live as a special group. Crimes, prostitution was prevalent among them.

Some of them took advantages of the new environment to work as a labor group. When they prospered, they made their work in businesses. Some of them were working in merchandize and sales business.

III. The towns and cities community and the social classes:

As a matter of fact, the population who live in towns and cities are quite different from the tribes and rural communities. While primitiveness and underdevelopment characterize the life of the former communities, modernization and civilization are familiar with the life of the towns and cities. However, this phenomenon differs in quality between the large cities and the small cities to a certain degree, and to a great degree, in the others.

In the large cities like Baghdad, Basra, and Mousil, the three major cities in Iraq, the modern civilization is quite apparently observed, specially in the tangible aspects of buildings, gardens, streets, bridges, transportation and in all facilities which characterize modern life. The schools and hospitals are concentrated in these large cities. Towns and cities in this country are given more attention by the government than to the other areas. This is the reason why we find repid changes in the town communities while other communities remain stagnant.

In urban communities social classes are apparently observed. As there is no social research concerning social classes in Iraq, data is therefore not available by which we can formulate criteria on which

isolated from the other parts of the civilized society. Farms are usually located outside cities and towns, and means of transportation are not available. Facilities for general education such as radio, and newspapers, olmost not availiable. Schools are few but on continuing increase.

Since the British mandate in 1917, British colonial policy has aimed to keep this cltss isotated in its areas and to deprive them of any possibilities in life for modern civilization.

British policy and national policy up to the yeas 1958 tended to prevent the advancement of this class. This class has no idea at all about modern civilization. It is the cheap labor class in the country. A child at birth automatically becomes a member of the farmer class to which his parents belong. Throughout his lifetime he identifies himself with his parents, and he marries someone of the same class, either from his own community or from the neighborhood.

It is generally observed that all societies provide some opportunities for social mobility; that is, a change of social status, either upward or downward. Accordingly, it is safe to say that the farmer class in Iraq has very limited social mobility upward, but there is social mobility downward. Because of the nature of the rural communities in this country, this class is completely dominated by primitive characteristics. The simplicity of their lives and the limited demands of the primitiveness which prevails among them does not permit or provide for differences among them whether from the social or ecoomic point of view. The chances are one for all. Social status is absent among them. almost the chance for the farmer's son is to become a farmer. Therefore, opportunities for the individual to change his social status is very difficult. Consequently, the social ladder has no basis upon which it might exist. Therefore, the farmer's class in this country share the same characteristics. They have the same social and economic status. The farmer's income in different parts of the country is almost the same. Life chances are the same. overwhelmeng majority are illiterate. The only opportunity for the farmer to change his social and economic status is to migrate from the rural area to the big towns and cities or to move to some industrial districts, especially the oil district where labor is available. This is the only chance which is available to the farmer to find better opportunities which might help in the improvement of his lot, or in other words, the best possible opportunity for the farmer is to move from the rural area to the urban area and to change his career from farming to labor.

At the present time under the strain of poverty and famine, a great migratory movement has been occuring during the last fifteen years

in society. The chances of staying alive is very low; the infant death rate is very high.

The average income of the farmer for the year is between $90-$120. This income is supposed to maintain the life of the farmer and his family.

Often the farmer is in debt to the landlord. This is one of the major factors which limit the freedom of the farmer and compel to stay on the farm as a land slave. Since he cannot pay the debt to the landlord, he has no opportunity to move to another farm where there may be better opportunities and better chances available to him.

Most of the landowners, whether shaikes or persons from the rich classes in the towns and communities, were members of the House of Commons or the House of the Senate. It is apparently obvious that the laws which regularized the relationship between the land owners and the farmers are charaterized with a great deal of impartiality toward the favor and the interests of the landowners as against the interests of the farmers. The former's interests were given very little attention by the lagislators while absolute attention and care little centered around the landowners' interests and affairs. Legislative purposes were not designed for the protection of the farmers from landlord exploitation, but the laws, in general, tended to increase the profit of the owners to a maximum and to lower the protection of the farmers to its minimum. The reason for this was that legislative authority represents a minority of the population who form the higher class in society while the majority of the population were not actually represented in Parliament. They were completely neglected.

Since the farmer class is under extreme control, this class has little opportunity to improve their lives. There is no possibility for social mobility in this class. They inherit the farming profession from generation to generation. This is a social phenomena obviously observed in this country. In certain areas of the southern part of the country and in some villages in the northern part, the farmers are treated as slaves by the landlords. They, the landlords, have complete authority over them. This position gives the owners, and most of them are from the shaike class, absolute authority over the tribe or the villages and forms a sort of feudalism.

The farmer class is a major social problem in this country. Olmost the son of a farmer has no opportunity in life other than to adopt same pattern as his father's-to work on the farm. The child is taught to be strong and clever in order to be a good farmer.

Social mobility is not feasible among this class, because it is

The local government in the past used to protect this caste which represents the feudalism of the middle ages. If the head of the administrative government or in other wirds, the governor of the province was disfavored by the shaike or a conflict occurs between them, the governor usually transferred to another province as soon as possible.

The leaders (the shaikes) of the tribes played a significant role in the First World War through the English occupation of Iraq. When the war proceeded through the year 1915-1917 between the British army and the Turkish army in Iraq, some of these tribes, by the order of their leaders, sided over to the British army and offeres important services to the British authority. Since that time up to the year 1958 before the revoletion those who helped the British during the war were renumerated for their services. They enjoyed a higher position in the country, for most of them were members in the House of Senate or in the House of Commons.

The other shaikes who stood in opposition toward the British were deprived of their lands and were degraded of their authority to rule their tribes.

This community in the rural areas, who represent the farmer class, are the lowest class in the country.

Under the following criteria, we will try to find out the location of this class on the pyramid.

1. Life chances:

Practically, the significance of a class system lies in the fact that it determines the social reward of the people. It is supposed that the members of a particular class have more or less the same life opportunities.

If we realize that all the farmer groups in this country share the same opportunities; that is to say, they are the poorest class, the majority of them are illiterate, they are exploited by the landlords or the shaikes, and they have limited opportunites to join schools, even those of the primary level in some areas are not even available yet. Also medical facilities are not available to this class in their areas. In the caes of disease the people have to travel a very long distance which in some communities cover more than 200 miles in order to reach the nearest public clinic or small hospital. Most of these establisments are very poor, and drugs generally are not enough available. All these facilitis are not available to these gdoups of famers; therefore, they have the same life chances. If so, they are considered the lower class in the society.

Disease is widely spread among them. They are the neglected class

This group is very poor; they are exploited by the landowners. They work on a plantation all year long, doing very hard work, but they receive a very small percentage of the production. They are often indebted to the owners of the lands, and, for that reason, they cannot move to other lands even though they find better labor conditions. According to the agricultural law, the farmer cannot move to other farms unless he repays his debts to the former owner of the land in which he was engaged. Their living Conditions are very simple; they live on bread, dates, and vegetables, and they seldom eat meat. Disease is widely spread among thef, specially syphillis and trachoma.

This community forms the farmer class in the country and constitutes a high percentage among the popultation. They live in small villages near the farms areas and in cottages on the farms. Since the country is agricultural, the farmers make their livelihood in agricultural production. Most of them have settled on the farms for a long time-from generation to generation. On some large farms farmers form small community where most of the residents on one form know one another intimately and share with one another a set of common experiences. Birth, death, joy, sorrow, all become the concern of the whole group. As a group they consitute one unit. The shaike is the leader of the group. He owns the lands, and the farmers are his followers. He enjoys complete authority over them; he is the dictator of the farmers and they are considered the land slaves.

Befor the revolution of 1958 The shaike used to maintain a high status in the government; he was the representative in the House of Commons, and some shaikes were members of the House of Senate.

In respect to the absolute authority which they enjoy over the tribe, the shaikes possess a very high and influential status in their communities.

This wide and absolute authority in the hand of the shaike is an arm of two edges. From one aspect, he is the leader of the tribe and depends upon this power to ascertain his demands on the government. From another aspect, he depends upon his political status in the government to dominate the tribe and thus secure absolute authority over them.

Sometimes ago when a group of tribesmen revolt or disobey the order of the shaike, the local government has to take steps against them, and the solution of the problem is usually in favor of the shaike. Almost always, the shaike takes personal decision in such cases without the interference of the local government.

party from the other tribe. The payment carries with it reconciliation and an end to the dispute.

Cooperativeness and solidarity are the outstanding characteristics of their social life. Crimes seldom occur unless it is absent within the tribe. In the nature and simplicity of their life competition is absolutely unknown among them. They are competers only in the case of combat which occurs sometimes between them and another tribe. Each member of the tribe attempts to compete with the other by taking the major role in the operation of the combat and in the sacrifice.

None of the members of the tribe have any influence over the others. They enjoy the same rights and duties except for the shaik who is considered the head or the leader and who enjoys absolute authority over the whole tribe. Also his family has an influential position, but they come second after the shaik. Each member has complete participation in the life of the group, and the degree of integration is very high.

They form one unit, and they assume collective responsibility toward the tribe.

Each one has the same pattern of thinking and the same attitude toward the values and the customs of the tribe.

The tribe as a group are quite isolated from the urban and rural population. They have no social contact with them except sometimes through the season when they have a purpose to contact them such as in the purchase of seeds and clothes. They are very satisfied with their life, and they have no relation or contact with the other people in the country.

II. The rural community and its classes:

The rural community in Iraq forms the second part of the population. They are those who live on the plantations and are concerned with agricultural production. They live in small cottages made of mould. They live on the plantation, and some of them have their own land.

The majority or them work on the farm lands which are usually owned either by the shaik or by some persone from the urban towns and cities. They have social relationships with the villages and the small cities in the neighborhood. Some of them send their children to schools there. At the present time the govermment established schools in these areas, and they used to send their children to learn in these schools, but the education is not availoble enough for them as we will see.

5. Another small minority, called the Sabeans, have settled in the South and in the middle part of Iraq.

Iraq is made up of three communities:

I. The townsmen who have settled the towns and cities.
II. The rural people who live in the villages, on farms and on plantation lands.
III. The tribes who wander in the deserts or around the boundaries of the country.

I. The class system of the tribesmen as a community:

The tribesmen are all illiterate; some of them know how to write and to read letters or they have learned to read the Kurian; they get this knowledge from the mullah of the tribe. They have their own traditions and customs; in general, theyg are conservative. There are no classes among them, because they are all considered the same, and they possess similar property. Each member of the tribe or each family has similar property, consisting of tents, some sheep, and another kind of animal like the horse or donkey for transportation. They are also selfsufficient and live on the production of their sheep.

There is only one distinguishied caste among them. This is the leader, his family, and some followers. This leader is called the shaik or the mere. He is the absolute authority in the tribe. All members must obey him, and everybody obeys him with full respect. There are no differences between the members of the tribe. They are cooperative. They help each other if a conflict or dispute occurs between two or more members. The mere or the shaik holds the responsibility in solving the problems, and the two parties in queseion accept his arbitration without any objection. The shaik and his family are the superior group; the others are the followers, and they have no distinctions and differences among themselves. Therefore, there is only one class. The shaik or the mere and his family, however, enjoy a prominent position and prestige among the tribe as a whole.

The tribes have no opportunity for education or health facilities, because they are unsettled and are moving around the country. They are still primitive. They do enjoy good health, and disease is not widely spread among them. In the case of disease, they have their own experts who practice a certain kind of treatment which they have acquired through experience.

Every member in the tribe assumes responsibility toward a criminal act committed by any member of the tribe, and the whole tribe shares an equal portion in the compensation which must be paid to the injured

different considerations and factors are involved which make such distinction somewhat difficult. Social values, education, wealth, and the family status all interfere in determining the social classes, and no single factor can determine or characterize social class.

I. What is the Meaning of Social Class?

The social class is a group of individuals which consist of both sexes and of all ages.

Each class has particular groups belong to it, ond the classes are ranked by members of the community in socially superior and inferior positions.

Where society is composed of social classes, the social structure generalty resembles a truncated pyramid with the lawest social class at the base and with the other social classes arranged above it in a hierarchy of rank and distinction.

The dimension of the three parts of the pyramid are not equal; they differ in time and place as a result of the social mobility between the classes.

These classes are different in their relation, attitude, and ways of thinking toward the major institutions in every society for different considerations; specially in their relationship and in their atitude toward the government as the most important institution controlling and directing the society as a whole, as we shall see.

II. The Class System and Caste in Iraq:

Iraq is composed of two racial elements.

1. The Arab
2. and the Kurd

Over six million Arab and approximately one million Kurds make up this group. There are also small minorities of Turks, Persians and Armenians.

1. The Moslems form the majority of the Arabs and the Kurds.
2. The Christans are the minority. Most of them are Arabs, and a few are from the Armenians who immigrated during the First World War from Turkey and South Russia after the Bolshevik Revolution.
3. The Jews, who form a small minority, left the country during the last fifteen years.
4. Another minority scattered in the northern part of Iraq are the Yazides.

CLASS SYSTEM AND CASTE IN IRAQ

Introduction: Every society, whether primitive or civilized, urdan or rural, is formed of different groups and castes.

These groups may be classified and categorized under different criteria.

They may be classified nto two classes from the political point of view.

1. The ruling closs
2. The common class, or the ruled and governed class

From the economic point of view they may be classified into the following classes:

1. The poor class or proletariat
2. The middle or the bourgeois
3. The rich class or the aristocrocy

From the social point of view they may be classified into the following classes:

1. The upper class
2. The middle class
3. The lower class

This is the subject which concerns us.

The criteria to be used in distinguishing between the different classes in political terms is easy to be formed, because there are definite characteristics by which we can distinguish the ruling class from the common class. Those who possess the authority for governing the country are the rulng class, and the others who have no authority or position in the government are the ruled class.

Also it is possible to distinguish between classes, from economic standpoint, The criteria upon which this distinction to be based is the amount of wealth and means of production which each class possess. Those who do not own or possess any considerable wealth, or any means of production; who live on their own energy and personal activity, may be called the poor or the proletariat, or labor in general. Those who possess the means of production or wealth of any kind are known as the rich class and the middle class, the owners of factories and the landlords. The difficulty arises in finding an adequate criteria in distinguishing among the classes from social standpoint, because

PREFACE

This study is a general survey of the social communities, class system and caste in Iraq. The study should be considered as a pilot study to formulate knowledge for further investigation. In this country at the present time there is a lack in social research of empirical types. Therefore, it is necessary to provide a general picture about the major characteristics the social class system. There is no other way than to utilize the methods of logical reasoning by deduction or induction from different materials. The study is approached by these methods.

In such a situation it is worthwhile to find out the criteria upon which the study be guided. This attempt was made ofter the criteria was formulated, the next step was to analyze the social phenomenon as far as it concerned the differences between various groups in order to arrive at general or specific characteristics which distinguish the different groups.

Contents

COMMUNITIES, CLASS SYSTEM AND CASTE IN IRAQ

Abduljabbar Araim,
Dean, College of Law
University of Baghdad

1963

CONTENTS